موقف الكنيسة الغربيّة من الإسلام ونبوّة محمدٍ ﷺ

ــ عرض ونقد ــ

The Attitude of Western Church of Islam and the prophethood of Muhammad peace be upon him.

- Presentation & Criticism-

إعداد

راجح إبراهيم محمد السباتين

المشرف

الأستاذ الدكتور عبد المقصود حامد عبد المقصود

قدّمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلّبات درجة دكتوراه فلسفة في تخصص العقيدة والفلسفة

كلية الدراسات العليا

جامعة العلوم الإسلامية العالمية

أيار ٢٠١٠م

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة الأطروحة (مــوقف الكنيسة الغربيّة من الإسلام ونبوّة محمدٍ ﷺ ــ عرض ونقد ــ)

وأجيزت بتاريخ ٢٨/٧/٢٠١٠

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الأستاذ الدكتور عبد المقصود حامد عبد المقصود (أستاذ العقيدة والفلسفة ــ كلية أصول الدين)	....
الأستاذ الدكتور بكر زكي عوض (أستاذ مقارنة الأديان ــ كلية أصول الدين ــ القاهرة)	....
الأستاذ الدكتور محمد أحمد الخطيب (أستاذ العقيدة ــ الجامعة الأردنية)	....
الأستاذ الدكتور محمد أحمد الملكاوي (أستاذ العقيدة ــ جامعة اليرموك)	....
الأستاذ الدكتور سعدون محمود ا لساموك (أستاذ مقارنة الأديان ــ كلية أصول الدين)	....

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

- لأمي وأبي الكريمين الحبيبين، ففي رضاهما كل البركةِ، وفي دعائهما كل التوفيق والبهجة.
- لشريكتي ورفيقة دربي ومفتاح النجاح في كل ما كتبت، زوجتي الغالية التي قهرت كل الظروف بصدق توكلـها على الله، فصبرت واحتسبت وطوعت العوائق والصعوبات، وقبلت أن تكون الجندي المجهول الذي يصنع وببراعةٍ كل مفاتيح النصر والنجاح بعيداً عن الأضواء وحب الظّهور.
- لأيمن الصابر، القدوة، المثابر، الرجل الذي أنفق سنوات عمره يسعى على عباد الله ينفس كربا م ويهونُ عليهم.
- للعزيز الغالي أيسر، الذي كان كبيراً بكُلّ ما تحمله الكلمة من مدلولات، فتشجيعه وعطاؤه كان سبب استمراريتي في الدراسة والبحث.
- للشاهدِين على هذا العصر، المُحاصرين في غزة وقد أثخنتهم الجراح وأعياهم الجوع والعطش وظلم ذوي القُـربى، مستحضرين حصار المسلمين الأوائل في شِعبِ أبي طالبٍ في سيناريو "التاريخ يعيد نفسه". ما وددت أن أكـونَ إلاّ معهم وبينهم، لأشارك في شرف رفع الحصار يحذوني الأملُ بفَرَجٍ قريبٍ يعيد البسمة لوجوه أبنائهم وبنـا م ولو بعد حين...

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وبعد؛ فلا يسعني في هذه الصفحة إلا أن أتقدم بكُل إجلالٍ واحتـرامٍ ومحبةٍ وتقديرٍ للأعلام:

١. الأستاذ الدكتور عبد المقصود حامد عبد المقصود، الذي تفضل مشكوراً بالموافقة على الإشراف على هذه الرسالة. وكان بحقٍّ معلماً وأخاً كبيراً لم يبخل علي بنصيحةٍ ولا مجهودٍ ولا وقتٍ. وكان خير يد عونٍ مـدت إلي لـيس وقت هذه الرسالة فحسب بل طيلة جلوسي على مقعد الدرس في مرحلة الدكتوراه، وكـان ضـابط إيقـاع استمرارية العملية التربوية والأكاديمية في كلية أصول الدين، والذي تضيق هذه السطور القلائل عن سرد ما قدمه لي ولعائلتي من دعمٍ ومؤازرةٍ وتشجيعٍ للمضي قدماً في البحث، مع تأكيده الدائم على أهمية موضوع الرسـالة وخطورته.

٢. الأساتذة والعلماء الأفاضل الذين تفضلوا مشكورين بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة.

كانت مكتبة كلية الشريعة بالجامعة الأردنية الحُضن الدافئ الذي أويت إليه طيلة سنتين كاملتين من كتابـة هذه الرسالة. فللقائمين عليها الأستاذين خليل بشير وأحمد النسور كل الشكر والتقدير على ما بذلاه من وقتٍ وجهدٍ لإراحتي وعلى ما احتملوه من فوضى تناثر كتبي وأوراقي وأقلامي على طاولا م.

شكر خاص وامتنانٌ عظيم للأخت الفاضلة الأستاذة إلهام محفوظ،خبيرة اللغة العربية التي كانت خير ناقـدٍ وممحصٍ للمادة العلمية التي احتو ا هذه الرسالة واجهدت نفسها كثيراً في سبيل خروج هذه الرسالة إلى النور خاليةً من المثالب والأخطاء.

قائمة مختصرات رموز أسفار الكتاب المقدس كما وردت في النسخة الكاثوليكية الصادرة عـن دار المشرق ببيروت عام ١٩٨٢.

الكلمة	الرمز	الكلمة	الرمز
سفر التكوين	تك	سفر نبؤة باروك	با
سفر الخروج	خر	نبوءة حزقيال	حز
سفر الأحبار	اح	نبوءة دانيال	دا
سفر العدد	عد	نبوءة هوشع	هو
سفر تثنية الاشتراع	تث	نبوءة يوئيل	يؤ
سفر يشوع	يش	نبوءة عاموس	عا
سفر القضاة	قض	نبوءة عوبديا	عو
سفر راعوت	را	نبوءة يونان	يون
أسفار الملوك	١ مل ٢ مل	نبوءة ميخا	مي
سفر الأخبار	١ اخ ٢ اخ	نبوءة نحوم	نحو
سفر عزرا	عز	نبوءة حبقوق	حب
سفر نحميا	نح	نبوءة صفنيا	صف
سفر طوبيا	طو	نبوءة حجاي	حج
سفر يهوديت	يه	نبوءة زكريا	زك
سفر استير	اس	نبوءة ملاخي	ملا
سفر أيوب	أي	سفرا المكابيين	١ مك ٢ مك
سفر المزامير	مز	انجيل متى	متى
سفر الأمثال	مثل	انجيل مرقس	مر
سفر الجامعة	جا	انجيل لوقا	لو
سفر نشيد الأناشيد	نش	انجيل يوحنا	يو
سفر الحكمة	حك	اعمال الرسل	رسل
سفر يشوع بن سيراخ	سير	رسائل بولس:	
سفر نبوءة اشعيا	اش	إلى أهل رومة	روم
نبوءة ارميا	إر	إلى أهل قورنتس	١ قور ٢ قور
مراثي ارميا	مرا	إلى أهل غلاطية	غل
إلى أهل افسس	اف	الرسالة إلى العبرانيين	عب
إلى أهل فيلبي	فل	رسالة يعقوب	يع
إلى أهل قولسي	قول	رسالتا بطرس	١ بط ٢ بط

الكلمة	الرمز	الكلمة	الرمز
إلى أهل تسالونيقي	١تس ٢ تس	رسائل يوحنا	١ يو ٢ يو ٣ يو
إلى طيموتاوس	١ طيم ٢ طيم	رسالة يهوذا	يهو
إلى طيطس	طي	رؤيا يوحنا	رؤ
إلى فيلمون	ف		

ملاحظات هامةٌ جداً:

- كل المراجع الإلكترونية المنشورة على شبكة الإنترنت التي رجعنا إليها في هذه الدراسـة موجـودة لـدينا بالكامل، بعد أن قمنا بطلب بعضها واستخراج وطباعة بعضها الآخر ورقياً.
- إنّ استخدامنا لبعض المصطلحات والأوصاف المسيحية لا يعني اقتناعنا ا أو موافقتنا عليها، ومن الأمثلة على ذلك إطلاق لفظ "القديس" على الكثير من الرهبان والبابوات الذين يرد ذكرهم في هذه الدراسة، كـذلك إطلاق وصف "الشهيد" أو "الاستشهاد" على مقتل بعضهم وكذلك إطلاق وصف "الرسل" على الحواريين وبعض تلاميذ المسيح عليه السلام.
- إنّ عدم ذكر جملة (ﷺ) في بعض المواضع بعد ذكر اسم الحبيب المصطفى (ﷺ) راجع لورودها ضمن أقواس الاقتباسات التي أخذناها عن الكتاب والمؤرخين غير المسلمين.

فهرس المحتويات

موقف الكنيسة الغربية من الإسلام ونبوة محمدٍ صلّى الله عليه وسلم

- عرض ونقد -

إعداد

راجح إبراهيم محمد السباتين

المشرف

الأستاذ الدكتور عبد المقصود حامد عبد المقصود

ملخص

تتألف هذه الدراسة من خمسة فصول. وهي تتحدث عن معنى الكنيسة ونشأ ا وتطورها، وتناقش هوية الباني الحقيقي لكنيسة روما. كما تستعرض أبرز العوامل التي أدت إلى تكوين صورة الإسلام في ذهن الكنيسة الغربية كقصص العهد القديم، والجهل بالإسلام والخوف منه، والقصص الخيالية والأناشيد الحماسية، ودور الكنيسة الإسبانية، وعقدة الأنبياء الكَذَبة، وعقدة المقارنة المستمرة بين محمدٍ والمسيح عليهما السلام.

كما تورد هذه الدراسة تحليلاً كاملاً لدوافع ومضامين بعض الخطب البابوية التي أُلقيت في حضور جموعٍ كبيرةٍ من الناس والتي وضحت حقيقة موقف كنيسة روما من الإسلام، ومن هذه الخطب، على سبيل المثال، خطبة البابا أوربان الثاني في مجمع كليرمون والتي كانت بمثابة الإعلان الرسمي للحروب الصليبية، ومنها كذلك خطبة البابا بنديكتيوس السادس عشر التي ألقاها في جامعة ريجنسبورغ بألمانيا عام ٢٠٠٧م.

توضح هذه الدراسةُ الدور الهام والخطير الذي لعبه رهبان الكنيسة الغربية في حث الناس على الانخراط في حروبٍ مقدسةٍ ضد المسلمين تحت ما سمي بالحروب الصليبية، كما تناقش الدراسةُ حقيقة انتهاء أو عدم انتهاء هذه الحروب في وقتنا الحاضر. ثمّ تعرض الدراسة للفكر الرؤيوي (النبوئي) وتعرف بالمقصود من هذا المصطلح وكيفية التوظيف المغلوط له في التنفير من الإسلام والرسول الكريم ﷺ، كما تعرض أبرز نصوص رؤى حزقيال ودانيال ويوحنا اللاهوتي، التي زعم أصحاب الفكر الرؤيوي أ ا تنبئ بقدوم دولة الإسلام و اية دولة الرومان وتصف محمداً بأنه

المسيح الدجال الذي سيأتي في اية الزمان. وتقوم الدراسة بعرض هذه النصوص كاملةً مع إيراد تحليلها وتفسيرها المسيحي المُعتمدِ والذي يتعارض مع التفاسير الكاذبة المغلوطة التي قدمها أصحاب الفكر الرؤيوي في هذا ا ال.

تقف هذه الدراسة وقفةً طويلةً عند دور الكنيسة الغربية في صنع الاستشراق الديني كوسيلةٍ لمحاربة الإسلام عقدياً وفكرياً بعد فشل المواجهة العسكرية مع المسلمين.

وتذكر بالتفصيل والتحليل أبرز الجهود الخطيرة والخبيثة التي قام ا رهبانُ العصور الوسطى الكاثوليك في هذا ا ال ابتداءً من بطرس المبجل رئيس دير الكلوني صاحب أول ترجمةٍ للقرآن الكريم، وانتهاءً بنيكولاس الكويسي صاحب كتابي "نظرة في القرآن" و "نقد الإسلام وتفنيده"، وتبين الدراسة أن كل هذه الجهود إنما كانت دف للطعن في الإسلام والتخويف منه دف صد المسيحيين عن الدخول فيه. ثم تعرض الدراسة ملّخصاً لأبرز الشبهات والمطاعن التي خرج ا رهبان العصور الوسطى فيما يتعلّق بالإسلام ونبوة محمد ﷺ. ثم تناقش هذه الدراسة استمرارية وجود الاستشراق الديني في وقتنا الحاضر وتطوره إلى استشراقٍ إعلاميّ معاصرٍ تحت مسمياتٍ جديدةٍ وبقنوات اتصالٍ جديدة، وتفصل القول في تركيز الكنيسة الغربية على استخدام القنوات الإعلامية وبالذات "الإنترنت" كوسيلةٍ حديثةٍ لنشر عقائدها، وتعرج على دور الكثير من مواقع "الإنترنت" المسيحية في مهاجمة الإسلام والافتراء عليه وعلى الحبيب المصطفى ﷺ. كما تناقش هذه الدراسة الدور الذي لعبه ثلاثة من المستشرقين المعاصرين في حمل الإرث الكنيسي السابق الرافض لنبوةِ محمدٍ والمُنكرِ للدين الذي جاء به، وهؤلاء كان لهم دور خطير جداً في الطّعن في الإسلام وتشويه صورته، والطّعن في نبوة الحبيب محمدٍ ﷺ. دف تخويف المسيحيين منه وصدهم عنه.

وفي فصلها الأخير تسلطُ الدراسة الضوء على أبرز الجهود التي بذلها علماء الأمة قديماً وحديثاً في مواجهة التحديات السابقة سواءً أكانت هذه الجهود فرديةً أو جماعيةً مؤسسيةً ، حيث تعرض الدراسة تعريفاً بأبرز الكتب والمؤلفات القديمة والمعاصرة التي خطت دف رد الشبهات والمطاعن عن الإسلام ونبوته ﷺ، وهي الشبهات التي أثارها رهبان العصور الوسطى بإشرافِ الكنيسة الغربية ودعمها، والتي استمرت واستمر تداولها وتطّورت بزياداتٍ وإضافاتٍ عليها حتى وصلت يومنا هذا... وأخيراً تورد الدراسة الردود الشافيةَ الكافيةَ التي كتبها علماءُ الأمة قديماً وحديثاً في الرد على هذه الشبهات والمطاعن وتفنيدها ونقدها ونقضها.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

خطت أولى حروف هذه الدراسة في ساحة المسجد الحرام بمكة المكرمة في يوم الأربعاء الذي وافق السادس عشر من نيسان لعام ألفين وثمانية للميلاد، وهو العام الذي تراكمت فيه وفي العام الذي سبقه حصيلةٌ كبيرةٌ من الاساءات المدروسة المقصودة لرسول الله ﷺ، واتخذت شكل الحملات المتوالية والموجات المتتابعة، فلا تكاد إحداها تنتهي إلاّ وتبدأ بعدها الأخرى، مذكرةً إيانا بالحملات الصليبية التي شهد ا العصور الوسطى...

أطلّت علينا في هذين العامين الكثير من رؤوس الفتنة، فمنها من هاجم النبي ﷺ في سلسلةٍ من الرسوم المُسيئة البشعة التي تظهره، عليه السلام، بمظهر الإرهابي القبيح، ومنها من هاجم القرآن الكريم واصفاً إياه بـ"مصدر تشريع الإرهاب ومرجعية المسلمين الأولى التي تدعو للقتل وسفك الدماء"!!، ومنهم من عاود الهجوم على الحبيب المُصطفى واصفاً إياه بـ"الشاذ، مغتصِب الأطفال"!! ومنهم من وصفه بأنه "لم يأتِ إلا بكل ماهو شرير ولا إنساني"!!!

لقد كان هذان العامان، عامي الهجوم على الإسلام ورسوله الكريم، ففيهما شهدنا أسوأ حملاتٍ على الإسلام في واقعنا المعاصر. ومن هنا كان العزم والتصميم على إعداد دراسةٍ تبحث في الأصول العقدية والدوافع الفكرية لهذه الحملات وتوضح أ ا لم تكن حملاتٍ مرتجلةً أو عشوائيةً متخبطة لا صلةَ بينها أو أ ا كانت وليدةَ اللحظة أو الساعة التي وقعت فيها، فعكس ذلك هو الصحيح، لأ ا كانت حملاتٍ مدروسةً منظّمةً وبينها من الوشائج والصلات ما قد يخفى على الكثير من الناس. لقد وضِعت هذه الدراسة ـ بقدر المستطاع ـ للذب عن هذا الرسول الكريم والدين الحق الذي جاء به من عند الله، وذلك من خلال تتبعها وبحثها في حقيقة موقف الكنيسة الغربية من هذا الدين الحق وبعثة رسوله الكريم، ومن خلال توثيقها لتاريخ وجذور هذا الموقف والأرض العقدية الصلبة التي نبت فيها. وقد ثارت تساؤلات كثيرةٌ حول الأسباب الدافعة لاختيار هذا الموضوع، وهل هو موضوع ديني عقدي أم أنه موضوع سياسي بالدرجة الأولى؟؟ كما ثارت تساؤلات أُخرى حول صحة أو عدم صحة اختيار العنوان بدعوى أنه عنوانان مدموجان في واحدٍ، فالأول منهما موقف الكنيسة الغربية من الإسلام، والثاني موقف الكنيسة الغربية من نبوة محمدٍ ﷺ!! وقد برز أخذٌ ورد أثناء مناقشة خطة هذه الدراسة حتى انتهت إلى إقرار العنوان ـذه الصورة المُرضية ولله الحمد.

وفي الإجابات عن تلكم التساؤلات السابقة نقول: ليس هنالك تفريق في الإسلام بين العقيدة (الدين) وبين السياسة، حيث إن السياسة جزءٌ من نطاق المعاملات والعلاقات الإنسانية التي نظّم الإسلام أحكامها. بل إنّ هنالك تخصصاتٍ معاصرةً ضمن برامج الجامعات الكبيرة عنوا ا (السياسة الشرعية) و (العلاقات الدولية في الإسلام)... وفي ردٍّ آخر على أصحاب هذا التفريق بين العقيدة (الدين) والسياسة نقول: هل فرق البابا بنديكتيوس السادس عشر بين (الديني) و (السياسي) في خطبته الشهيرة بجامعة ريجنسبورغ الألمانية التي وصف فيها محمداً ﷺ بأنه لم يأتِ إلا بكل ما هو شرير ولا إنساني؟؟؟ لا، لم يفعل البابا ذلك ولم يفرق بين (الديني) و (السياسي) وهو القائم دينه على (دع مالقيصر لقيصر ودع مالله لله)!! إن لم يفعل البابا ذلك فكيف نفعل نحن، وديننا دين الحق ودعوته دعوة الخير؟؟؟ فإننا إن فعلنا ذلك لنكونن، والعياذ بالله، كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض!!

وفي الإجابة عن التساؤلات التي ثارت حول عنوان الدراسة، وأنه اثنان مدموجان في واحدٍ نقول: إنّ موضوع هذه الدراسة واحد وليس اثنين، والدراسة تقوم على محورٍ واحدٍ لا على محورين، فموقف الكنيسة الغربية من الإسلام هو عينه موقف هذه الكنيسة من نبوة محمدٍ ﷺ؛ وبيان ذلك أنّ الكنيسة اتخذت من طعنها في نبوة محمدٍ ﷺ منطلقاً للطعن في الإسلام والقرآن الكريم وكل ماجاء به محمد بن عبدالله، وعلى ذلك يكون ذِكر نبوةِ محمدٍ بعد ذكر الإسلام من باب ذكر الخاص بعد العام، وذلك لزيادة الاهتمام به والتنبيه على تميزه. ومن المعلوم أن ذكر الخاص بعد العام إنما هو أحد الفنون البلاغية في علم المعاني، فنحن إذا أردنا التنبيه على أهمية الخاص وفضلِهِ ذكرناه بعد العام تشريفًا له. وخلاصة القول أن ذكر نبوة محمدٍ ﷺ بعد الإسلام كان للتأكيد على انطلاق الكنيسة الغربية ورهبا ا من إنكار نبوة محمدٍ إلى التعميم في إنكار الإسلام الذي جاء به محمد بكلّ مضامينه ومدلولاته . ثم إننا لم نر عند هؤلاء فصلاً بين الإسلام وبين نبوة محمدٍ ﷺ حيث أن موقفهم من المُسميين ومضمو ما كان واحداً فلماذا نقوم نحن بالفصل؟؟؟

مشكلة الدراسة وأهميتها:

- تقوم هذه الدراسة في أساسها على عرضٍ تفصيليٍّ لموقف الكنيسة الغربية والمؤسسات التابعة لها من الإسلام والرسول محمدٍ، ﷺ، وتشرح حقيقة فهمها للإسلام والأسباب التي أدت إليه.

- كما تقوم الدراسة بعرض وتحليل ومناقشة أبرز الخطب والمحاضرات "البابوية" فيما يتعلّق بموقف الكنيسة الغربية من الإسلام وبالذات خطبة "البابا أوربان الثاني" في مجمع "كليرمون" في شهر تشرين الثاني عام ١٠٩٥م، والتي كانت الشرارة التي أوقدت نار الحروب الصليبية ضد المسلمين وأعطتها الغطاء الشرعي الديني، كما تعرض لمناقشة وتحليل خطبة "البابا بنديكتيوس السادس عشر" الشهيرة في جامعة "ريجنسبورغ" بألمانيا في شهر ايلول عام ٢٠٠٦م.
- ثم تعرض الدراسة معتقدات ومواقف أبرز رهبان وقساوسة العصور الوسطى وجهودهم في تشويه صورة الإسلام، وذلك من خلال الدراسات والمؤلفات التي وضعوها لمناقشة مضامين القرآن الكريم وطبيعة النبوة التي يدعيها رسول الإسلام محمد، وأ ا، بزعمهم،لا تعدو كو ا مجرد هرطقاتٍ مسيحيةٍ.
- ثم تعرض الدراسة لكيفية تحّول هذه الدراسات والمؤلفات إلى بواكير لظاهرة الاستشراق الديني الذي أقّرته الكنيسةُ الغربيةُ ودعمته على المستويين؛ الفردي (كجهود بطرس المبجل، وتوماس ألاكويني، وركلدس دي مونتي كروتشي) والمستوى الرسمي المتمثّل في موافقة الكنيسة الغربية على وجود كرسيٍّ لتدريس اللغة العربية في كلٍّ من الجامعات الأوروبية الكبرى.
- وأخيراً فإن الدراسة تعملُ على تحليل الأثر الكبير الذي تركته ظاهرة الاستشراق الديني الغربي في دراستها للإسلام، ويتمثّل هذا الأثر أكثر ما يتمثّل في ظهور جيلٍ جديدٍ من المستشرقين الإعلاميين الذين أخذوا على عاتقهم حمل الإرث المشوه المغلوط السابق وتكريسه في أذهان العامة من الغربيين، وذلك من خلال:

١. الجامعات التي يعمل فيها هؤلاء المستشرقون الإعلاميون الجدد.
٢. المؤلفات التي وضعوها والتي ضمنوها لنظرية (صراع الإسلام مع الغرب ضرورةٌ حتميةٌ) مثل مؤلفات (برنارد لويس وصاموئيل هنتنغتون ودانيال بايبس).
٣. المؤسسات الإعلامية ومراكز الدراسات التي يملكو ا والتي وصلت الليل بالنهار طيلة العقود الماضية لمحاربة الإسلام وتشويه صورته منطلقةً في ذلك من دوافع دينيةٍ عقديةٍ محضةٍ.
٤. الجمعيات الخيرية والنوادي الاجتماعية التي يتخذو ا لبث سمومهم في صفوف الشباب بصورٍ متعددةٍ ومقنعة.

أهمية البحث والحاجة إليه

وتظهر أهمّية هذا البحث من خلال ما يلي:

- معرفة مصدر سلطات الكنيسة الغربية وصلاحيات القائمين عليها من "البابا" والرهبان والقسيسين.
- فهم حقيقة العصمة التي يتصف ا "البابا".
- فهم الأسباب للصورة المغلوطة التي تحملها الكنيسة عن الإسلام والرسول محمد ﷺ.
- الوقوف على كيفية ترسيخ الكنيسة والمؤسسات التابعة لها للصورة المخيفة المكروهة عن الإسلام في أذهـان الشعوب الأوروبية.
- معرفة حقيقة الدور الذي لعبته الحروب الصليبية ـ التي أعلنتها الكنيسةُ على العالم الإسلامي ـ في ترسيخ هذه الصورة المغلوطة عن الإسلام ونبوة محمد ﷺ في الضمير الأوروبي حتى يومنا هذا.
- إظهار كيفية ربط الكنيسة لرؤيا "حزقيال" ولرؤيا "دانيال" ولرؤيا "يوحنا اللاهوتي" بالإسلام ورسوله، عليه الصلاة والسلام، علماً بأنّ الرؤيتين كانتا قبل بعثته، عليه السلام، بمئات السنوات.

أهداف الدراسة ومبررا ا:

يهدف هذا البحث لتحقيق ما يلي:

- إبراز مدى خطورة الصورة المغلوطة المُخيفة التي تحملها الكنيسة الغربية عن الإسلام وعدم آعترافهـا بنبـوة سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى يومنا هذا.
- بيان كيفية فرض الكنيسة لفهمها المغلوط هذا على الناس في أوروبا في عصر الظلمات، وآليات استمرار هذه الصورة المشوهة حتى وقتنا الحاضر.
- توضيح كيفية تطويع "البابا" والرهبان لنصوص الكتاب المقدس بعهديهِ القديم والجديد حتى توافـق الفهـم الذي يريدونه للإسلام.
- إبراز مدى خطورة الفكر "الرؤيوي" القائم على "رؤيا دانيال" و"رؤيا يوحنا اللاهوتي" على الفهم المسيحي القديم والمعاصر للإسلام، وذلك من خلال قيام البحث بعرض وتفنيد نصوص الكتاب المقدس المتعلقة ـذه "الرؤى".

- العرض التحليلي لأبرز الكتب التي وضعها الرهبان بقصد محاربة الإسلام وتخويف الناس منه وصدهم عنه.
- تفصيل القول في أهمية القدس بالنسبة للمسيحيين وآستغلال الكنيسة لهذه الأهمية وتسخيرها لخدمة الحروب الصليبية وأهدافها في العصور الوسطى.
- يسعى البحث لإثبات أنّ الاستشراق الديني الذي أخذ على عاتقه مسؤولية تشويه صورة الإسلام ومحاربته كان منطلقاً من خلفيةٍ دينيةٍ دون أدنى شكٍّ، حيث كانت محاربة الإسلام وصناعة التخويف منه بالكلمة والبحث والدراسة عوضاً عن السلاح والحرب، كانت فكرةً رهبانيةً بآمتياز خصوصاً بعد عجز الآلة الحربية الصليبية أمام القّوة الإسلامية المتنامية آنذاك، فقام الرهبان، كما تثبت هذه الدراسة، بترجمة القرآن الكريم للّغة اللاتينية وذلك تمهيداً لدراسته وفحصه وكشف عيوبه وجوانب نقصه وإثبات كونه مجرد مزيجٍ خالصٍ من الهرطقات اليهودية والمسيحية.

الدراسات السابقة:

تناولت فكرة البحث دراسات سابقةٌ قليلةٌ منها على سبيل المثال:

دراسة "كريم اللحام" (موقف الكنيسة الكاثوليكية من الإسلام بعد ا مع الفاتيكاني الثاني) وقد قامت مؤسسة طابة للدراسات والبحوث في دولة الإمارات العربية المتحدة بنشر هذه الدراسة ضمن سلسلة منشورا ا. عام ٢٠٠٨ ولكن هذه الدراسة تكاد تكون سرداً مجرداً دون أي شرحٍ للوثائق والمنشورات التي نجمت عن جلسات هذا ا مع الفاتيكاني الأخير. فالدراسة خلت من تحليل هذه النصوص والمقررات واكتفت بسردها. وهذا أمر مستغرب؛ فهذه المقررات والنتائج كلها بلا استثناء متوافرة وبا ان على الموقع الإلكتروني الرسمي للفاتيكان www.vatican.va بما يزيد على العشرين لغةً.

ما الذي يميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة لها؟؟

١. تفصيلها لنصوص الكتاب المقدس، بعهديه القديم والجديد، التي تمّ توظيفها من ِقبل الكنيسة الغربية لتبرير مناهضتها للإسلام والخوف منه، وعدم اقتصارها على إبراز الجوانب والدوافع السياسية والاجتماعية لهذه الظاهرة على نحو ما ذهبت إليه الدراسات السابقة، فهذان الدافعان السياسي والاجتماعي ليسا موضع دراستي، بل الجانب الديني، والذي أراه الأبرز والأخطر والأكثر فاعليةً في استمرار صورة الإسلام المشوهة المُخيفة في الذهن الغربي.

٢. توضحيها لكيفية تسلل مبدأ العنف والحرب والقتال إلى الروح المسيحية التي لطالما وصِفت بأ ا متسامحةٌ تدعو إلى (الله محبة).

٣. تركيزها على الأسباب الدينية التي أدت إلى نشوء "ظاهرة الخوف من الإسلام في الغرب" وتتبعها المنهجي لكيفّيـة وصول واستقرار هذه الظاهرة إلى وقتنا الحاضر واستقرارها في الذهنية الغربية.

٤. عرضها لأبرز المؤلفات التي وضعها الرهبان والبابا في مجال المواجهة الدينية مع الإسلام.

٥. تسليطها الضوء على العديد من الكتب التي ترجمت حديثاً والتي تخدم موضوع العلاقات الإسلامية المسيحية وتؤرخ لها وتتحدثُ عن واقعها.

منهجية البحث:

تعتمد هذه الدراسة على العديد من المناهج العلمية، ومن أبرزها مناهج أربعة هي:

١. المنهج النقلي التاريخي.

٢. المنهج الاستقرائي.

٣. المنهج التحليلي الاستنباطي.

٤. المنهج النقدي.

١. أما المنهج النقلي التاريخي فيتمثل في تتبع أصول موقف الكنيسة الغربية من الإسلام ونبوة محمـدٍ ﷺ، مـن خلال الكتب والمؤلفات التي خطّها البابا والرهبان بأنفسهم ومن خلال خطبهم ومحاضرا م في العصور الوسطى ـ عصور الظلام الأوروبية ـ ثم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ثمّ في أيامنا الحاضرة، مع ملاحظة ضرورة الترجمة لحياة كل واحدٍ من هؤلاء الرهبان والقسيسين، والتعريف بأبرز ما كتبوه عن الإسلام، وذلـك بغـرض تكوين صورةٍ متكاملةٍ عن شخصيا م وأساليب تفكيرهم.

٢. أما عن المنهج الاستقرائي في هذه الدراسة؛ فهو يقوم على نوعٍ واحدٍ من الاستقراءِ ألا وهو الاستقراء الناقص غير التام ويتضح ذلك من خلال عرض آراء ومواقف أبرز الرهبان وأكثرهم تأثيراً في التاريخ المسيحي، وقد كان ذلك بسبب استحالة حصر كل أسماء الرهبان ومؤلفا م.

٣. **أما عن المنهج التحليلي الاستنباطي** في هذه الدراسة فستتضح معالمه من خلال عرض بعض الخطب البابوية المتعلّقة بالإسلام الشارحة لموقف الكنيسة منه واستنباط الأوجه الحقيقية لدلالتها وتوجيهها وشرحها شرحاً سليماً محايداً يبرز المقصود منها. كما تظهر معالم هذا المنهج من خلال المقارنة بين مواقف رهبان اليوم ورهبان الأمس البعيد وأفكارهم تجاه الإسلام والمسلمين.

٤. **أما عن المنهج النقدي** في **هذه الدراسة** فستتضح معالمه من خلال عرض الردود التفصيلية على كل الاعتراضات والانتقادات التي وجهها الرهبان للإسلام أثناء دراستهم له.

ومن المفيد هنا التأكيد على وجوب الالتزام بما يلي:

- الأمانة العلمية في النقل، وذلك بنسبة كل قولٍ إلى قائلِهِ ورد كل فكرةٍ إلى صاحبها، حسب الأصول المقررة والمعتمدة في الدراسات العليا.
- أخذ النصوص من أصولها وعدم الاكتفاء بنقلها من كتبٍ أخذتها من الأصول.
- العرض التحليلي للنصوص وعدم الاكتفاء بسردها جزافاً.
- مراعاة الترتيب التاريخي للنصوص قدر الإمكان.

الفصل الأول
نشأة وتطور موقف الكنيسة من الإسلام ونبوةِ محمدٍ ﷺ عبر العصور

المبحث الأول: الكنيسة الغربية، نشأ ا وطبيعة نظامها ومصدر صلاحيا ا

المبحث الثاني: فهم الكنيسة الغربية للإسلام، حقيقته والعوامل التي أدت إليه

المبحث الثالث: ورهبانيةٌ ابتدعوها

المبحث الرابع: القديس أوغسطين يؤسس للعنف والحروب في المسيحية

المبحث الخامس: بطرس الناسك

المبحث السادس: البابا أوربان الثاني يعلن الحرب المقدسة على الإسلام

المبحث السابع: القديس برنار

المبحث الثامن: هل انتهت الحروب الصليبية؟

المبحث التاسع: دعوات كاثوليكية للحوار مع المسلمين

المبحث العاشر: البابا بنديكتيوس السادس عشر يهاجم الإسلام ويكرس إشكالية الاعتراف بالآخر

مقدمةٌ في الاتصال الإسلامي المسيحي الغربي

من المستحسن قبل الخوض في موقف الكنيسة الغربية من الإسلام، أن نرصد بعض نماذج الاتصال الرسمي الإسلامي المسيحي الغربي، لنقف على معالم هذا الاتصال ودوافعه وحيثياته ونتائجه.

مما لا شك فيه أنّ البادئ بهذا الاتصال كان رسول الله ﷺ عندما شرع في دعوة زعامات الغرب وشعوبه وغيرهم، للتعرف على الإسلام والدخول فيه، وذلك من خلال بعثه سفراء للإسلام، يحملون رسائله إلى الحُكّام والزعماء في زمانه. ولعلّ أبرز هذه الرسائل وأشهرها على الإطلاق تلك التي حملها دحيةُ بن خليفة الكلبي[1] ـ رضي الله عنه ـ إلى هرقل عظيم الروم[٢] "في آخر السنة السادسة للهجرة بعد رجوعه، عليه الصلاة والسلام، من الحديبية، فوصل هذا الكتاب إلى هرقل في المحرم من السنة السابعة للهجرة، وقال أنس بن مالك [كتب النبي إلى كل جبارٍ يدعوهم إلى الإسلام] وسمى منهم كسرى وقيصر"[٣].

وقد أخرج الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ في صحيحه نص هذه الرسالة التي حملها دحيةُ واستلمها منه حاكم بصرى وسلمها بيده إلى هرقل وجاء فيها:

"بسم الله الرحمن الرحيم، من محمدٍ رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى. أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإنّ عليك إثم الأريسيين[٤]. و[قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ][5].

---

(1) صحابي جليل شهد مع رسول الله ﷺ كل الغزوات خلاف بدرٍ. وكان رسول الله ﷺ يشبهه بجبريل عليه السلام.

(2) هو فلافيوس اغسطس هرقل، امبرطور بيزنطي حكم من تشرين الأول سنة ٦١٠م حتى شباط ٦٤١م.

(3) العمري، أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة، ج٢، ص ٤٥٥، بتصرف. ط٧، ٢٠٠٧، مكتبة العبيكان، الرياض.

(4) صحيح الإمام مسلم، كتاب الجهاد، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ص ٩٤٥، ط٢، ٢٠٠٦، مكتبة دار الفوائد ودار ابـن رجب، مصر. **والأريسيون:** هم الفلاحون والخدم والأكارون. وقيل: هم الموحدون من أتباع آريوس المصري الذين كانوا يعيشون في ظل امبرطورية هرقل البيزنطية.

(5) سورة آل عمرآن، الآية ٦٤.

لقد اختار رسولُ الله ﷺ وقتاً مناسباً تماماً لبعث هذه الرسالة إلى هرقل؛ حيث كان هذا الأخير مزهواً بنصرٍ تاريخيٍّ على الفُرس، نصرٍ كان قد انتظره طويلاً ليتوج به سلسلة انتصاراته وإنجازاته العسكرية حتى إنه قد عاهد الله على القدوم للحج[1] شكراً إن نصره على الفرس وأعانه على استرداد الصليب المقدس الذي سلبوه من الروم.

"وقد جاء نصره التاريخي هذا على الفرس، في نهاية حملته الصليبية التي بدأت لاستعادة القسطنطينية في شتاء عام ٦٢١ للميلاد"[٢]. وقد وصف "أسد رستم"، مؤرخ الكرسي الأنطاكي، هرقل بأنه "الصليبي الأول وذلك نظراً للواجبات التي قام بها في الدفاع عن الدولة والكنيسة والدين"[٣]. إذاً فهرقل هذا الذي راسله النبي ﷺ لم يكن مجرد قائدٍ عسكريٍ لا علاقة له بالدين، ولكنه كان ذا صلةٍ وثيقةٍ بالكاثوليكية، ومن مظاهر هذا أنه "استشفع إلى العذراء في سنة ٦٠٩ للميلاد عندما بدأ الاستعداد للحملة على القسطنطينية وتقدم في الرابع من نيسان سنة ٦٢٢ للميلاد من المائدة المقدسة متناولاً جسد الرب ودمه، وكان همّه الأكبر في كل حروبه ضد الفرس استرداد الصليب وإعادة نصبه في "أورشليم"، وهذا الذي تحقق له فعلاً في شهر آذار سنة ٦٣٠ للميلاد"[٤].

لقد دلّت هذه الرسالة، وبكلّ وضوحٍ، على حرص الرسول ﷺ على تعريف شعوب العالم من العرب والأعاجم بالإسلام ودعوتهم إلى اعتناقه وتأكيداً منه ﷺ على عالمية الدعوة الإسلامية وهذا الدين، والذي هو أكبر وأعظم من أن يقتصر على حدود جزيرة العرب. ويشهد لصحة هذا الكلام ذلك العدد الكبير من الرسائل التي بعث بها النبي، عليه السلام، للحكام من غير العرب، كما كانت هذه الرسائل نواةً أساسيةً للمخاطبات الرسمية بين رؤساء الدول ونقطة انطلاقٍ لما يسمى بـ "حوار الأديان ما بين الشرق والغرب". والقاسم المشترك في رسائل النبي هو حرصه، عليه السلام، على تقديم الإسلام والتعريف به لكل الشعوب والأمم وإقامة حجة التبليغ عليهم بأنّ رسالة الإسلام قد وصلت إليهم عن طريق حكّامهم وزعمائهم. ويستفاد من الرسالة إلى هرقل وغيرها من الرسائل جدوى وفاعلية هذا الأسلوب من الأساليب في الدعوة، ويشهد لذلك دخولُ عددٍ كبيرٍ من الناس في الإسلام بسبب هذه الرسائل وذلك بعد إسلام ملوكهم وحكّامهم، ومن هؤلاء "المنذر بن ساوى" والي البحرين، و"الحارث الحميري" ملك اليمن و"جيفَر وعباد" ملكي عمان آنذاك.

---

[1] يحج المسيحيون إلى كنيسة القيامة في مدينة بيت لحم.

[2] رستم، أسد. كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، ج١، ص ٤٢٦، بتصرف، مطبعة دار الفنون، تاريخ النشر مجهول.

[3] انظر رستم [م. س]، ص ٤٢٦.

[4] رستم، [م. س]، ص ٤٢٨، ٤٢٩ بتصرف.

ويستفاد من هذه الرسائل كذلك أنّ تبليغ دعوة الإسلام للحكّام والملوك هو بالدرجة الأولى من مسؤوليات وواجبات الحاكم المسلم قبل الأفراد المُسلمين؛ "لأنّ ما يقبله الرؤساء من بعضهم قد لا يقبلونه من آحاد الرعية"[١]، كما يستفاد كذلك "أن تخصيص الزعماء في إبلاغ الدعوة دليلٌ على عدم وجوب تبليغ كل فردٍ في رعاياهم، لتعذر ذلك من جهةٍ، ولأنّ كل زعيمٍ مسؤولٌ عن دعوة قومه إلى ما دعي هو إليه"[٢]. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه بقوةٍ في هذا الموضع، ماذا كان رد فعل هرقل العظيم على رسالة النبي سالفة الذكر؟ لقد اهتم هرقلُ اهتماماً شديداً بأمر هذه الرسالة وتأمل في مضمو ا بعمقٍ حتى إنه سأل عن أدق التفاصيل المتعلّقة بأمر بعثة وشخص هذا النبي الجديد، وأمر أتباعه أن يأتوه بأناسٍ من قوم هذا النبي الجديد ليسألهم عن خبره، وقد وافق ذلك مرور رهطٍ من تجار قريش متجهين من الشام إلى غزة من أرض فلسطين في تجارةٍ لهم بقيادة "أبي سفيان"، قبل دخوله في الإسلام، فألقى الجند القبض عليهم وجيء م إلى هرقل وهو لا يزال موجوداً في "إيلياء" (القدس)، فأجلسهم هرقل بين يديه وبجانبهم ترجمانه ووجه كلامه لأبي سفيان، الذي روى هذه الحادثة كاملةً فقال: سألني هرقلُ قائلاً: "أخبرني عما أسألك من أمره. فقلت: سلني عما بدا لك؟ قال: كيف نسبه فيكم؟ فقلت: محضاً من أوسطنا نسباً، قال: فأخبرني هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبه به؟ فقلت: لا. قال: فأخبرني هل ملك فأسلبتموه إياه فجاء ذا الحديث لتردوه عليه؟ فقلت: لا. قال: فأخبرني عن أتباعه من هم؟ فقلت: الأحداث والضعفاء والمساكين فأما أشرافُهم وذووا الأنساب منهم فلا. قال: فأخبرني عمن صحِبه أيحبه ويكرمه أم يقليه ويفارقه؟ قلت: ما صحبه رجلٌ ففارقه. قال: فأخبرني عن الحرب بينكم وبينه؟ فقلت: سجالٌ يدال علينا وندال عليه. قال: فأخبرني هل يغدر؟ فلم أجد شيئاً أُغره به إلا هي. قلت: لا ونحن منه في مدةٍ ولا نأمن غدره فيها. فوالله ما التفت إليها مني قال: فأعاد علي الحديث، قال: زعمت أنه مِن أمحضكم نسباً وكذلك يأخذ الله النبي لا يأخذه إلا من أوسط قومه، وسألتك هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبه به؟ فقلت: لا، وسألتك هل كان له ملك فأسلبتموه إياه فجاء ذا الحديث لتردوا عليه ملكه؟ فقلت: لا، وسألتك عن أتباعه فزعمت أ م الأحداث والمساكين والضعفاء وكذلك أتباع الأنبياء في كل زمانٍ، وسألتك عمن يتبعه أيحبه ويكرمه أم يقليه ويفارقه؟ فزعمت أنه قَل من يصحبه فيفارقه وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلباً فتخرج منه، وسألتكم كيف الحرب بينكم وبينه؟ فزعمت ا ا سِجالٌ يدال عليكم وتدالون عليه وكذلك يكون

---

[١] الصوا، علي محمد وآخرون، العلوم الإسلامية، ص ٣٠٥، ط٣، منشورات وزارة التربية والتعليم، الأردن.

[٢] المرجع السابق نفسه، ص ٣٠٥.

حرب الأنبياء ولهم تكون العاقبة؛ وسألتك هل يغدر؟ فزعمت أنه لا يغدر فلئن كنت صدقْتني ليغلبن على ما تحت قدمي هاتين ولوددت أني عنده فأغسل عن قدميه"[١].

إنه من الواضح تماماً أنّ أسئلة هرقل الكثيرة هذه إنما هي أسئلة الباحث عن معرفة الحقيقة، والتي يستدل من خلالها على صدق نبوة هذا النبي الجديد ﷺ. في ختام الأمر لم يسلم هرقلُ، ولربما كان السبب راجعاً إلى خوفه من رد فعل كبراء قومه وحاشيته التي كان فيها عدد لا بأس به من البطارقة والرهبان. ولربما كان السبب راجعاً بالدرجة الأولى إلى حرصه على المحافظة على عرشه ... ومهما يكن من أمر هرقل السابق فإنه يحسب له أنه أعطى لنفسه الفرصة الكافية والقدر الكافي للتعرف على حقيقة دعوة الإسلام وأبرز مضامينها وما تدعو إليه، ولم يكن موقفُه موقف المعادي الساخط الراغب في الانتقام من محمدٍ أو الانتقاص من قدره أو المتهم له بالكذب والافتراء.

ومع أن هرقل هذا قد عاصر النبي، عليه السلام، إلاّ أنه لم يقع في عقدة "الأنبياء الكَذَبة" التي ما فتأت الكنيسة الغربيةُ تقذف ا محمداً ودينه حتى يومنا هذا، مستندةً في ذلك إلى قول المسيح "لأنه سيقوم مسحاءُ كَذَبةٌ وأنبياءُ كذَبةٌ ويعطون آياتٍ عظيمةً وعجائب حتى يضِلّوا لو أمكن المختارين أيضاً"[٢]، وإضافةً إلى ذلك فإنّ هرقل لم يتهم محمداً، كما فعلت كنيسته الغربيةُ لاحقاً، بأنه واحد من الكذّابين الذين حذّر المسيح أتباعه منهم واصفاً إياهم بأنهم (ذئاب في ثياب حملان) بقوله "احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة"[٣].

يستفاد مما سبق أنّ الرسول الكريم، ﷺ، كان السباق في مد يده للحوار مع المسيحيين الروم الغربيين، ودعاهم إلى التعرف على الإسلام واعتناقه من خلال الرسالة السابق ذكرها، التي بعثَ ا إلى أعظم زعيمٍ وقائدٍ عسكريٍّ في ذلك الوقت وأنزله فيها المـ لة التي تليق به ويحبها قلبه فخاطبه بقوله (هرقل عظيم الروم)، ويستفاد مما سبق، كذلك، أنّ هرقل كان عظيماً في أدبه وتعامله مع هذه الرسالة النبوية؛ حيث قرأها وتمعن فيها وسأل عن أدق تفاصيل حياة هذا النبي الجديد، واستدل من خلالها على علاماتٍ وأماراتٍ لا تتوفّر إلاّ في الأنبياء، وقد تبين لنا من خلال ما سبق ذكره من النصوص اقتناعه بصدق دعوة رسول الله ﷺ، بدليل قوله لأبي سفيان [ليغلبن على ما تحت

---

[١] ابن كثير، إسماعيل، البداية والنهاية، ج٤، ص ٦٣٠، ط١، مكتبة الإيمان، القاهرة، مصر.
[٢] متى: ٢٤: ٢٤.
[٣] متى ٧: ١٥.

قدمي هاتين، ولوددت أني عنده فأغسل عن قدميه]. والجميل في ذلك كله أنّ هرقل استسقى معلوماته تلك، عن النبي والإسلام، من فمِ رجلٍ كان من ألد خصوم الإسلام آنذاك، ألا وهو أبو سفيان بن حربٍ، الذي أنطق اللهُ لسانه بالحق والصدق وقلبه كاره لذلك. ويستفاد مما سبق كذلك أنّ هرقل لم يحتكر الحقيقة لنفسه ولم يكتم أمر محمدٍ ودعوة دينه الجديد ولم يعمل على تشويهها، بل عرض نص الرسالة التي جاءته كما هو على حاشيته وقال لهم:

"يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت لكم ملككم؟ فتتابعوا لهذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمرِ الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غُلّقت، فلما رأى هرقلُ نفر م وأيس من الإيمان قال: ردوهم علي. وقال: إني إنما قلت مقالتي آنفاً أختبر ا شدتكم على دينكم فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل"[(١)].

ولا ينبغي لأحدٍ أن يقللَ من أهمية وفائدة مثل هذا النوع من المراسلات التي سنها رسولُ الله ﷺ، بين الدول والحضارات ذات الأديان والثقافات المختلفة المتنوعة، فقد نشط مثل هذا النوع من المراسلات بين كبار بابوات الكنيسة الكاثوليكية في روما وبين الحكّام المسلمين، خصوصاً بعد أن استشعر رجالات الكنيسة الخطر الإسلامي ـ كما يصفونه ـ المحدق ببلادهم وكبريات عواصمهم، والتي كانت تتهاوى أمام المد والفتح الإسلامي واحدةً تلو الأخرى ... وقد جاءت هذه الرسائل التي بعث ا هؤلاء إلى الحكّام المسلمين وشعو م كرد فعل على ما كانوا يسمونه "المشكلة الإسلامية"، عبروا من خلالها عن اعتزازهم بدينهم المسيحي، وحذّروا المسلمين من الاغترار بانتصارا م، ودعوهم إلى اعتناق المسيحية كسبيلٍ وحيدٍ للحصول على رضا الرب والخلاص من عذاب الدنيا والآخرة. ومن أشهر هذه الرسائل التي سجلها التاريخ الأوروبي ونقلها إلينا رسالتان؛ أولاهما تلك التي بعث ا البابا "إيناس سلفيوس"[(٢)] الملقّب بـ (بيوس الثاني) إلى السلطان العثماني محمد الثاني[(٣)] الملقب بـ (محمد الفاتح) ومما جاء في هذه الرسالة[(٤)]: "إنك لا تجهل أمورنا، ولكنك قد لا تعرف قوة الشعب المسيحي: إسبانيا المرابطة، الغال "فرنسا" المولعة بالحرب، ألمانيا الكثيفة بالسكان، بريطانيا القوية، بولندا الجريئة، ا ر النشيطة، إيطاليا الغنية التي تملك روحاً عاليةً وخبرةً بفنون القتال. هناك نقاط عديدة من الاتفاق بين المسيحيين والمسلمين: الإله الواحد خالق العالم، الإيمان

---

(1) صحيح الإمام مسلم [م. س]، كتاب الجهاد، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل.

(2) تولّى كرسي البابوية من ١٤٥٨ – ١٤٦٤ للميلاد ويعد من علماء النهضة الأوروبية ومشجعيها، حاول عقد تحالف مع ملوك أوروبا ضد العثمانيين.

(3) سلطان عثماني شهير فتح القسطنطينية في ١٤٥٣ للميلاد.

(4) سوذرن، ريتشارد. صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة رضوان السيد، ص ١٤٥ – ١٤٧ بتصرف ط١، ١٩٨٤، من منشورات معهد الإنمـاء العربي، لبنان.

بضرورة الدين، الجزاء والعقاب في الحياة المستقبلية (الآخرة)، خلود الروح، **الاستعمال المشترك للعهد القديم على اعتبار أنه الأساس،** كل ذلك أرضية مشتركة، **ولكننا نختلف حول طبيعة الرب فقط.** شيءٌ بسيطٌ، يمكن أن يجعلك أعظم وأقوى وأشهر رجلٍ في زمانه، وإذا سألت ما هو؟ فليس من الصعب إيجاده، ولن تبحث عنه بعيداً، إنه موجود في العالم كلّه، قليل من الماء تتعمد به، وتتحول إلى المسيحية المقدسة، وتؤمن بالإنجيل. إفعلْ هذا، ولن يكون في العالم أمير يتفوق عليك في العظمة، أو يوازيك في القوة، وسنجعلك إمبراطور اليونان والشرق. إنّ الأرض التي تحتلُها الآن بالقوة ستحكمها بالحق، وإنّ جميع المسيحيين سيبجلونك ويجعلونك قاضيهم، **ومن المستحيل أن تنجح ما دمت على شريعة محمد. ولكن فقط إذا تحولت إلى المسيحية فستصبح أعظم رجلٍ** في زمانه وبرضاء العالم وموافقته"[(١)].

وقبل ذكر أبرز الملاحظات على هذه الرسالة فإنه من المستحسن ذكر الرسالة الشهيرة الأخرى، وهي التي بعث ا الراهب الفرنسي الشهير "بطرس المبجل[(٢)] لعموم العرب والمسلمين، وجاء فيها: "من بطرس الفرنسي الجنسية، المسيحي العقيدة، الأباتي في الخدمة الكنسية، من أولئك الذين يطلق عليهم الرهبان ... **إلى العرب، أبناء إسماعيل، الذين يتبعون الرجل الذي يدعى محمداً.** قد يبدو غريباً، ومن الممكن أنه كذلك، أنني إنسان كم أنا بعيد عنكم موطناً، وأتكلم لغةً أخرى، وأفكّر بصورةٍ مختلفةٍ، وأعرف أن عاداتكم ونمط حياتكم مغايرة لحياتنا ونمط معيشتنا، ومع ذلك أكتب إليكم من عمق الغرب، إلى شعوب الشرق والجنوب، الذي أرجح أنني لن أتمكن من رؤيتهم أبداً"[(٣)].

"لكنني أردت أن أجيء إليكم ليس بالسلاح، كما يفعل مسيحيونا في أغلب الأحوال، وإنما بالكلمة، ليس بالبغض والكراهية، وإنما بالمحبة، تلك المحبة، التي يجب أن تكون بين أولئك، الذين يجلون المسيح، وأولئك الذين استداروا عنه، بتلك المحبة التي وجِدت بين رسل المسيح "تلامذته وحوارييه" **والوثنيين**. وهكذا، فأنا أيضاً، واحد من عددٍ لا يحصى من خدم المسيح، بل الأصغر من بينهم ... إنني أحبكم، وبمحبةٍ أكتب إليكم، داعياً إياكم للخلاص، ليس ذلك الخلاص الذي يزول ويتبدل، وإنما إلى الخلاص الذي يبقى ويدوم ... ليس إلى الخلاص الذي ينتهي مع انتهاء هذه الحياة القصيرة، وإنما إلى ذلك الخلاص الذي يستمر في الحياة الأبدية"[(٤)].

---

(1) المرجع السابق نفسه، ص ١٤٧

(2) رئيس دير الكلوني للرهبان في فرنسا، كان متقناً للغة العربية ويعتبر مؤسس الدراسات الإسلامية في أوروبا في العصور الوسطى، وسيأتي تفصيلُ ذكره لاحقاً.

(3) جورافسكي، إليكسي، الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، ترجمة خلف محمد الجراد، ص ٧٩، ط١، ٢٠٠٥، دار الفكر، بيروت.

(4) المصدر السابق نفسه، ص ٧٩ – ٨٠ بتصرف.

إنه من المفيد بعد إيراد نص الرسالتين المذكورتين ونص رسالة النبي ﷺ السابقة إلى هرقل ـ مع الاحتفاظ بعلو مقامه وقدره ﷺ ـ التنبيه على ما يلي:

أولاً: جاءت رسالة النبي ﷺ دون مقدماتٍ وغير مرتبطةٍ بحدث معينٍ، إنما كانت امتثالاً لأمر الله تعالى الذي أمره بدعوة الناس كافّةً لهذا الدين، دون أن ينتظروا مقابل ذلك مغنماً أو مكسباً أو مردوداً دنيوياً، والنبي ﷺ عندما عرض على هرقل الدخول في الإسلام لم يعرض عليه ـ إن هو أسلم ـ أي مقابلٍ أو مردودٍ أو تعويضٍ متوقعٍ في حالة خسارته لعرشه إنما تلخص العرض في (يؤتك اللهُ أجرك مرتين) بينما جاءت رسالة البابا إلى السلطان العثماني، إن هو اعتنق المسيحية، تعرض عليه المزيد من المكاسب والمغانم كتنصيبه إمبراطوراً لليونان والشرق وجعله قاضياً لجميع المسيحيين.

ثانياً: حملت رسالة النبي ﷺ اعترافاً صريحاً وإعلاناً واضحاً بأنّ المسيحيين أهلُ كتابٍ سماويٍّ، وذلك جلي واضح في الآية القرآنية التي ختمت ا الرسالة (قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)[1]. بينما لم تعترف رسالة البابا بيوس الثاني بالإسلام كدينٍ سماوي، ولم تعترف بنوة محمدٍ ﷺ. وهذا ليس موقفاً غريباً أو متفرداً لهذا البابا؛ فقد دأب البابوات حتى يومنا هذا على إنكار نبوة محمدٍ وعدم الاعتراف ا وطعنوا فيها على الدوام، وكان إنكارهم لها وطعنهم فيها من أبرز مداخلهم للطعن في الإسلام.

ثالثاً: كان البابا بيوس واضحاً وصريحاً في تشخيصه لأبرز نقطة خلافٍ بين المسيحية والإسلام، حسب الفهم المسيحي لها، ألا وهي الخلاف (حول طبيعة الرب)، أي وبتعبيرٍ آخر الخلاف حول ألوهية المسيح، والتي ينكرها الإسلام تمام الإنكار وذلك من خلال تقريره لبشرية المسيح عليه السلام.

وعلى الجانب الآخر تشير الرسالةُ الأخرى (رسالة بطرس المبجل) إلى محمدٍ ـ عليه السلام ـ بعبارة [إلى العرب أبناء إسماعيل الذين يتبعون الرجل الذي يدعى محمداً]، وهذا لفظٌ غير مستغربٍ من كبير رهبان فرنسا الكاثوليك الذين كانوا ولا يزالون ينكرون نبوة محمد عليه السلام، وهي عبارةٌ فيها من الانتقاص من قدر العرب

---

(1) سورة آل عمران، الآية ٦٤.

وقدره عليه السلام، الشيء الكثير خصوصاً إذا ما تذكرنا نصوص العهد القديم (والتي وصفها البابا بيوس في رسالته السابقة بأنها الأساس) التي تصف إسماعيل وأمه وذريته بأقذع الألفاظ والأوصاف، ولننظر كذلك إلى عبارات البابا بيوس التي تسفه محمداً والشريعة التي جاء ا [ومن المستحيل أن تنجح ما دمت على شريعة محمدٍ، ولكن فقط إذا تحولت إلى المسيحية فستصبح أعظم رجلٍ في زمانه وبرضاء العالم وموافقته]. إنّ الربط بين شريعة محمدٍ والفشل من جهةٍ وبين المسيحية والعظمة ورضا العالم من جهةٍ أخرى واضح تماماً في الرسالة السابقة، وليس من المبالغة القولُ إنّ المسيحيين الغربيين وحتى هذه الساعة، لم يستطيعوا أن يخرجوا أنفسهم من عقدة المقارنة الدائمة بين محمدٍ والمسيح، عليهما السلام، وهي مقارنة نتيجتها لديهم، أنّ المسيح أفضلُ من محمدٍ؛ لأن الأول إله تجسد في صورة الإنسان أما الثاني فهو مجرد إنسان ادعى النبوة وزعم أنّ وحياً سماوياً تـ ّلُ عليه!!.

رابعاً: في الوقت الذي اتسمت به رسالةُ النبي ﷺ السابقة بافتتاحية [سلام على من اتبع الهدى] نرى أن رسالة البابا بيوس اتسمت بروحٍ عدائيةٍ وحملت طابع التهديد المبطن، وركزت على استعراض قوة الشعب المسيحي والدول المسيحية التي وصفها بـ [المرابطة] و[المولعة بالحرب] و[القوية] و[الجريئة] و[التي تملك روحاً عاليةً وخبرةً بفنون القتال] وهذا يثبت أن هذه الرسالة كانت وبالدرجة الأولى، رد فعلٍ على التفوق والمد الإسلامي العثماني آنذاك، وكانت "قد كُتبت، على ما يبدو، ليس من أجل السعي إلى التفاهم اللاهوتي، وإنما لأهدافٍ سياسيةٍ وديبلوماسيةٍ ودعويةٍ"[1]. ومن المُستغربِ عند الحديث عن مثل هذا النوع من الرسائل أنْ نرى انحيازاً واضحاً من بعض المؤرخين لطرفٍ دون آخر من الأطراف التي بعِثت إليها الرسائل فنرى، على سبيل المثال، أن ريتشارد سوذرن[2] قد أثنى على رسالة البابا بيوس السابقة ثناءً عظيماً، بعد ذكره لترجمتها الكاملة بقوله[3]: "ولا أتمالك هنا أن أعبر من جديدٍ عن إعجابي برسالة بيوس الثاني إلى محمد الثاني، فهي عملُ رجل دولةٍ خبيرٍ بالعالم. لقد جمع كل حجج الأقدمين والمعاصرين في صعيدٍ واحدٍ بطريقةٍ جديدةٍ، فيها السياسة وفيها الجدل. إ ا الطريقة التي استخِدمت في مواجهة قسطنطين وكلوفيس واهتديا ا. لكن في حين جرى التركيز هناك على قضايا السياسة والاجتماع؛ جرى التركيز هنا على العقل والمنطق والفوائد العملية التي يمكن أن تتحول إلى

---

[1] جورافسكي، [م. س] ص ٩٠.
[2] مؤرخ ومستشرق بريطاني متخصص في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى.
[3] سوذرن [م. س]، ص ١٤٦، ١٤٧، بتصرف.

بديهيات. ولم يكتف بيوس بذلك؛ بل ضمن ذلك كله في لغةٍ ضويةٍ رائعةٍ". وقد جاء ثناء "سوذرن" المبالغ فيه على هذه الرسالة كتذييلٍ في ختام مداخلاتٍ وتعليقاتٍ كثيرةٍ رافقت سرده لترجمة نص الرسالة، لم يلتزم عند كتابتها أدنى درجات الحياد أو التجرد أو الموضوعية ويشهد على ذلك قوله: "تعتبر هذه الرسالة نموذجاً رائعاً للرسائل من هذا النوع؛ تبدو فيها بلاغة إينياس العالية، وحكمته، وعمقه في فهم نفسية العثمانيين،وقدرته على مجارا م في كبريائهم. وقد ركز فيها على المسائل الأساسية المؤثرة، وعمد إلى تنظيم البراهين والحجج بطريقةٍ منطقيةٍ واضحةٍ تظهر فضائل المسيحية ومواطن القوة فيها. **ولا تتضمن الرسالة ما يمكن أن يخدش مشاعر العثمانيين وسلطا م لا من حيث المضمون، ولا من حيث التأدب** في مخاطبة **السلطان"**[1]**!!!**

ولا يصح أن يفهم مما سبق أنّ كل المؤرخين الأوروبيين لا يلتزمون الحياد فإنّ هذا الفهم يجانب الصواب؛ لأن منهم المعتدِل ومنهم الباحث عن الحقيقة ومنهم المدافع عن الحق حتى لو كان في غير صفه وعلى غير مذهبه، قديماً وحديثاً، ومن هؤلاء كارين آمسترونج التي ذكرت الرسالتين السابقتين ووصفت بطرس المبجل بتنحيته التعقل والموضوعية عندما يتعلّق الأمر برؤية الإسلام، فقالت: "حتى رجل منصفٍ كبطرس المبجل لم يستطع، إلا أن ينحي جانباً التعقلُ والموضوعية عندما وصل الأمر إلى رؤية الإسلام، وكان لا يزال بحاجةٍ ماسةٍ إلى رؤيته كدينٍ قائمٍ على العنف وعدم التسامح"[2]. وقد جاء وصف آرمسترونج هذا لبطرس المبجل بعد حديثها عن ترجمته المُغرِضة للقرآن الكريم وتعليقاً على رسالته السابقة للمسلمين، تلك "الرسالة التي ادعى أ ا تتقدم من المسلمين بمشاعر الود، ولكن عنوان الرسالة وحده يكشف بأية روح كُتبت: [موجز بكامل هرطقات مذهب السراسنة الإبليسي] إنه ليتعذر على المسيحية، فيما يبدو، أن ترى الإسلام على أية صورةٍ إلا باعتباره نسخةً فاشلةً من المسيحية. والانتقاد العنيف للمسلمين الذي تطور في العصور الوسطى، ولا يزال يؤثر في الطريقة التي يرى ا الغربيون الإسلام اليوم"[3].

يسجلُ في ختام هذه المقدمة أنّ الرسائل السابقة التي بعث ا بعض كبار المسيحيين الغربيين لزعماء وشعوب العالم الإسلامي إنما كانت تنطلق، بالدرجة الأولى، من نظرة الكنيسة الغربية للإسلام وفهمها له، هذا الفهم الذي توافرت له مجموعةٌ من العوامل التي خرجت به عن جادة الصواب والسلامة والاستقامة، فكان فهماً عوجاً يستلزم

---

(1) المرجع السابق نفسه، ص ١٤٤.

(2) آرمسترونج، كارين، الحرب المقدسة، الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم، ترجمة سامي الكعكي، ص ٢٨٦، ط١، ٢٠٠٤، دار الكتاب العربي.

(3) المرجع السابق نفسه، ص ٢٨٤.

النهوض لتقويمه وتوضيحه وتصويبه. إنّ فهم البابا بيوس الثاني للإسلام إنما يجسد ويمثلُ فهم كلّ البابوات الذين جاؤوا من قبله للإسلام، وهذا الفهم، الخاطئ طبعاً، لم ينقطع بموت بيوس الثاني بل امتد واستمر حتى هذه الساعة، وكذا الحال بالنسبة للرهبان؛ فإنّ فهمهم الخاطئ للإسلام هو الآخر لم ينتهِ، ولم يمت بموت بطرس المبجل، بل استمر حتى هذه الساعة. وبطبيعة الحال فإنّ فهم الرهبان للإسلام إنما هو امتداد طبيعي لفهم رئيسهم وملهمهم المعصوم "البابا". وإنما وقع الاختيار على الرسالتين السابقتين، لشهر ما ولأن كل واحدةٍ منهما خطت بقلم علَمٍ مسيحيّ يمثّلُ عنواناً من عناوين فصول هذه الدراسة التي سيأتي فيها الحديثُ تالياً عن موقف البابوات والرهبان من الإسلام عبر العصور.

المبحث الأول

الكنيسة الغربية

نشأ ا وطبيعة نظامها ومصدر صلاحيا ا

يتخذُ الحديث عن الكنيسة دروباً طويلةً قد تطولُ ولا تنتهي؛ وذلك راجع إلى قدم عمرها وامتداد جذورها في الأرض المسيحية. ويرجِع معظم المؤرخين المسيحيين، على اختلاف طوائفهم، تأسيسها إلى اليوم الخمسين من قيامة المسيح، عليه السلام(١)، وذلك اعتماداً على الإصحاح الثاني من سفر أعمال الرسل، ويصفون هذا اليوم بأنه تاريخ ميلاد الكنيسة؛ حيث كان قد تجّمع فيه مجموعةٌ من تلاميذ المسيح و"هؤلاء المؤمنون الأمناء كانوا أتباعاً للمسيح أفراداً ومنهم تكونت نواةُ الكنيسة عند تأسيسها في اليوم الخمسين. ففي ذلك اليوم اعتمدوا جميعاً بالروح النازل من السماء إلى جسدٍ واحدٍ للمسيح وصاروا متحدين بمخلصهم الممجدِ في الأعالي كما هو مكتوب: "لأننا جميعنا بروحٍ واحدٍ أيضاً اعتمدنا إلى جسدٍ واحدٍ يهوداً كنا أم يونانيين عبيداً أم أحراراً وجميعنا سقينا روحاً واحداً" [١ كو ١٢: ١٣]. هؤلاء المؤمنون لم يبقوا بعد مؤمنين أفراداً بل صاروا جسداً مترابطاً، جسداً للمسيح وأعضاء بعضهم لبعضٍ، مرتبطين معاً بروح الله الذي يسكن الآن فيهم. كانت هذه هي بداية كنيسة الله الحي"(٢).

وللكنيسة في الاصطلاح المسيحي معنيان أولّهما خاص، وثانيهما عام.

أما المعنى الخاص للكنيسة فهو أنّ كلمة كنيسة إنما هي ترجمةٌ للكلمة اليونانية "أكليسيا"، والتي تعني (آجتماع أو جماعة مدعوة أو جماعة المؤمنين)(٣). وهذا المعنى الخاص إنما يستعمل للدلالة على تجمع الناس في مكانٍ معينٍ أو بناءٍ محدد يجلسون فيه.

أما المعنى العام للكنيسة فهو أكبر من سابقة وأشمل، حيث يستعملُ هذا المعنى للدلالة على "كل المؤمنين الحقيقيين بالمسيح سواءٌ الأحياء أو الذين رقدوا في الرب"(٤). وهذا التعريف يتوافق تماماً مع التعريف الذي ذكره مؤرخ

---

(1) رستم، [م. س]، ص ٥.

(2) كامبل، د. ك، كنيسة الله الحي، الفصل الأول ص ١، ترجمة موقع كلمة الحياة. www.kalimatalhayat.com التابع للكنيسة الآرثوذكسية

(3) انظر: أ. جبسون، و. ج، الكنيسة النابضة، الفصل الأول، ص ١، وهو ترجمة لكتابه المسمى The Dynamic Churuch، الذي قام بترجمته ونشره موقع كلمة الحياة www.kalimatalhayat.com التابع للكنيسة الآرثوذكسية

ب. الموسوعة الحرة ويكيبيديا، كلمة كنيسة.

(4) جبسون، [م. س]، ص ١.

الكرسي المسيحي الأنطاكي "والكنيسة في العالم هي جماعة المقدسين في المسيح وبنعمة الروح القدس المدعوين ليكونوا قديسين بشراً أحراراً كاملين قدر المستطاع منصرفين إلى تطبيق مشيئة الله على أكمل وجه. والكنيسة فوق العالم هي سر الله المكنون. ولولا هذا لما عاشت في العالم"[(١)].

ويفضل معظم الباحثين في التاريخ الكنسي القديم والمعاصر استخدام المعنى العام للكنيسة بل إنّ منهم من يخطئ استعمال المعنى الخاص (معنى البناء) للدلالة على الكنيسة؛ وذلك لأنها أكبر وأعم من أن تنحصر في مكانٍ أو بناءٍ محدد. (كذلك خطأٌ ما جرت به الألسن من تسمية المنشآت الدينية وأماكن ممارسة الشعائر الدينية بالكنائس. لأن الكنيسة بحسب الكتاب ليست بناءً مادياً، بل هو جسد يجمع جماعةً من المؤمنين الذين فيهم حياة الله ـ وهم حجارةٌ حية ـ يكونون هيكلاً مقدساً في الرب، كما هو مكتوب "مبنيين على أساس الرسل والأنبياء، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية، الذي فيه كل البناء، مركباً معاً، ينمو هيكلاً مقدساً في الرب، الذي فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً، مسكناً لله بالروح". وأيضاً "كونوا أنتم أيضاً مبنيين كحجارةٍ حيةٍ، بيتاً روحياً، كهنوتاً مقدساً، لتقديم ذبائح روحيةٍ مقبولةٍ عند الله يسوع المسيح" [أف ٢: ١٩ – ٢٢، ١ بط ٢: ٥] واجتماع المؤمنين معاً في أي مكان معين يشكّل كنيسةً حقيقيةً. والمكان الذي يضمهم معاً ما هو إلا مكان الاجتماع سواء كان م لاً أو قاعةً أو معبداً أو أي مبنى مطبوعٍ بطابع ديني خاص)[(٢)].

ويرى كامبل أنّ الكنيسة "كانت دوماً في فكر الله وموضوع مقاصده من قبل تأسيس العالم. وأنها كانت هي "السر المكتوم منذ الدهور في الله" [أفسس ٣: ٩] وكانت سراً مكتوماً في الأزمنة الدهرية ولكن ظهر الآن وأُعلِم به جميع الأمم (رو ١٦: ٢٥ و٢٦)[(٣)].

وبالعودة للحديث عن التاريخ الحقيقي المعتمد عند المسيحيين لتأسيس الكنيسة وبنائها نجد أن هنالك قولاً يعارض تأسيسها في اليوم الخمسين بعد القيامة (كما يذكر الإصحاح الثاني من سفر أعمال الرسل)، ويرى أصحاب هذا القول أن تأسيس الكنيسة الحقيقي إنما كان في ختام سفر الأعمال عند سجن بولس وليس في اليوم الخمسين. ويترتب على هذا القول، الذي ينظر إليه المسيحيون على أنه خطير، فهم واحد ألا وهو أنّ هنالك كنيسةً قد تأسست

---

(1) انظر، رستم، [م. س]، المقدمة صفحة ج.

(2) كامبل [م. س]، ص ٢، بتصرف.

(3) المرجع السابق، ص ١.

في غير اليوم الخمسين لقيامة المسيح، وأنّ هذه الكنيسة كانت يهوديةً، فقد وصفتِ الأمةُ الإسرائيلية مرةً في العهد القديم بوصف "الكنيسة في البرية"[(١)]. ولكن المسيحيين يردون معنى "كنيسة" في الآية السابقة إلى المعنى الخاص وهو أ ا كانت تعني (جماعة مدعوين) من أرض مصر. ويقولون: إن هنالك فروقاً وتبايناً كبيراً بين تلك الجماعة في البرية وبين كنيسة العهد الجديد الكنيسة الحقيقية. يسلّم المسيحيون ويعترفون ـ بناءً على إيما م بالعهد القديم ـ بأنه كان لله شعب وأمةٌ بين الشعوب، هو شعب إسرائيل، وأن هذا الشعب كانت له علاقةٌ ينظمها عهد مع الله، لكنهم يرون "أنّ هذا الشعب الإسرائيلي لم يكن هو الكنيسة التي لها مع المسيح علاقةٌ أكثر قرباً وأوفر بركةً مما كان لإسرائيل"[(٢)]. ويؤكد كامبل على "أنّ الرب له كنيسةٌ واحدةٌ فقط، وأن الكنيسة التي ذُكِرت في اليوم الخمسين هي جسد المسيح تماماً وأنه لا توجد كنيسةٌ يهوديةٌ وأخرى أمميةٌ أو كنيسةٌ من اليهود وأخرى من الأمم".[(٣)]

ويعتقد المسيحيون أنّ الكنيسة هي المؤسسةُ الإلهية العظمى وأن المسيح ذكر أنه سوف يستبدلُ أمةَ إسرائيل التي كانت تمثّلُ الله على الأرض بمجتمعٍ جديدٍ كلياً هو مجتمع الكنيسة وأتباعها المؤمنين ا، وأنّ هذا الاستبدال إنما جاء بسبب عدم إخلاص اليهود وفشلهم في أن يكونوا نوراً للأمم ويوصلوا خلاص الله إلى أقاصي الأرض، مع أنّ التحذيرات لهم كانت مستمرةً بوساطة الأنبياء، وهذا يتفّق تماماً مع ما ذهب إليه جبسون، حيث كان يرى أنّ الأنبياء العبرانيين قد تنبأوا بالخلاص الذي يمتد إلى الأمم في العالم كله، وعن رفض إسرائيل بسبب عدم إيما م وأمانتهم، كانت حقيقةً حيث إنّ الكنيسة هي شعب الله سراً في العهد القديم، لكن كُشِف هذا السر في العهد الجديد (أفسس ٣: ٤-٥) حيث كانت الكنيسة أمراً في المستقبل فيما قبل الأناجيل الأربعة والإصحاح الأول من سفر الأعمال، لكنها بدأت في يوم الخمسين، العيد العبري (أعمال ٢) انضم المؤمنون إلى المسيح بمعمودية الروح (أعمال ١: ٥ و١ كورنثوس ١٢: ١٢ – ١٣) الكنيسة ليست استمرارا لشعب إسرائيل بل هي خلفاً لها. وهي التي تقوم الآن بالعمل الإلهي في فترة رفض الله لإسرائيل (رومية ١١: ١ – ٢) وسوف يرجع إسرائيل في المستقبل إلى الرب يسوع الذي ترفضه الأمم الآن

---

(1) أعمال الرسل، ٧: ٣٨.

(2) كامبل [م. س]، ص١.

(3) المرجع السابق نفسه، ص ٣ بتصرف.

(رومية ١١: ٢٥ و٢٦؛ زكريا ١٢: ١٠؛ ١٣: ١) والله الآن ينادي الناس ليأتوا إلى المسيح بواسطة شهادة الكنيسة ويضم الله إلى الكنيسة كل يومٍ الذين يخلصون (أعمال ٢: ٤٧)[1].

يجدر بكل دارس لتاريخ الكنيسة المسيحية أن يقف عند سفر أعمال الرسل[2]، بل أن يتأمله طويلاً، وأهمية هذا السفر كما نرى إضافةً لاحتوائه على معالم أعمال الرسل وتلاميذ المسيح في صدر المسيحية الأولى، فإنه يمثلُ فترةً انتقاليةً من اليهودية إلى المسيحية زاد فيها عدد المسيحيين بشكلٍ كبيرٍ وملحوظٍ.

يستفاد مما سبق أن الكنيسة في أيامها الأولى ولدت في القدس وأخذت تنمو ويزداد أتباعها وأعضاؤها منذ أيامها الأولى وقد حملت كنيسة القدس أو كنيسة (أورشليم) لقب أم الكنائس. وهي لم تكن لها في بداية عهدها أماكن خاصةٌ للعبادة والوعظ، بل كان الأعضاء يجتمعون في الهيكل أو في بيو م الخاصة. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه بقّوةٍ الآن هل بقيت التعاليم المسيحيةُ والشرائع والمعتقدات حكراً على القدس وأهلها ممن آمن بدعوة المسيح آنذاك أم أنها توسعت وتمددت خارج هذه الأسوار، وانتشرت في العالم؟ وكيف تمّ ذلك؟ ولماذا؟ الجواب عن ذلك كله يخبرنا به جبسون بقوله: [3]

"أسس اللهُ كنيسته من أجل غرضٍ في نفسه. لم يخلّص الله المؤمنين لكي يعيشوا في شركةٍ انفراديةٍ وانعزاليةٍ معه كما يعتقد البعض. إ م مدعوون إلى الشركة في مجتمعاتٍ روحيةٍ كأفراد عائلة الله العاملة، ويوصينا ألاّ نترك اجتماعنا (عبرانيين ١٠: ٢٥) فالكنيسة هي الجسد الذي رسمه الله والذي يستحق الاحترام والتعضيد والمشاركة الشخصية من كل شعبه. لم يتجاهل أي إسرائيليٍ مكرسٍ مسؤلياته في الحياة الروحية في مجتمعه، بنفس الحالة لا يمكن لأي مسيحيٍ مخلصٍ أن يتجاهل الكنيسة، عائلته الروحية".

إنّ كلمات جبسون السابقة واضحةٌ تمام الوضوح في الدلالة على وجوب نشر التعاليم المسيحية في العالم كله، وعدم بقائها حكراً على عائلةٍ أو مجتمعٍ أو كنيسةٍ بعينها بل يجب (التبشير) ا إلى العالم كله أو (التكريز) ا

---

[1] جبسون، [م. س]، ص ١.

[2] سفر أعمال الرسل (باليونانية يقال له الإيبركسيس) هوأحد كتب العهد الجديد يروي قصة الكنيسة المسيحية الناشئة، وسمي بأعمال الرسل لأنه يركز على بعض ما قامت به جماعة الإثني عشر رسولاً من نشاطات رسولية في الفترة التي تلت صعود يسوع المسيح إلى السماء بحسب رواية هذا السفر، وبشكل أوسع ما قـام بـه بولس الرسول من رحلات وأعمال تبشيرية وكيف أسس جماعات مسيحية في معظم المدن اليونانية آنذاك. ومن المتفق عليه بأن كاتب سفر أعمال الرسل هو نفـسه كاتب إنجيل لوقا والذي قد يكون الطبيب لوقا كما تؤمن معظم الكنائس، يعتقد أن هذا السفر كتب في فترة متزامنة مع كتابة إنجيل لوقا أي حوالي ٦٠م، بينما يرى العديد من الباحثين المعاصرين بأن هذا السفر كتب من قبل شخص غير معروف في الفترة ما بين ٨٠م و١٥٠م.

[3] جبسون، [م. س]، ص ١.

على نحو ما ذهب إليه تلاميذ المسيح الأوائل. ولقد بدأت الدعوة المسيحية تتخذُ وبالتدريج، صفة العالمية على يد بولس وأتباعه، حيث أخذت بالانتشار في المُدن المحيطة بالقدس ومن ثمّ البلاد المحيطة بفلسطين والشام إلى آسيا وبقية القارات. وكان أشهر من تصدى للقيام بنشرها القديسان بولس[١] وبطرس[٢] وذلك من خلال زيار ما، كلٍّ على انفراد، للكثير من البلدان والمدن المختلفة أو من خلال الرسائل التي بعثا ا إلى معظم الناس في تلك البلاد. وقد بلغ مجموع رسائل بولس أربع عشرة رسالةً، أما رسائل بطرس فكانت رسالتين. وفي بعث هذه الرسائل دلالات بارزة على أهميتها في نشر الدين كما سبق وأن بينا، عند الحديث عن رسالة الرسول محمد ﷺ إلى هرقل عظيم الروم. وقد كانت هذه الجولات لنشر التعاليم المسيحية وهذه السفرات المتعددة المتواصلة ولفترةٍ غير قصيرةٍ من الزمن منطلقةً من الإيمان المسيحي بعالمية دعوة المسيح عليه السلام، هذه الدعوة التي يرون أنها ظهرت في نبوات العهد القديم، وكان من مستندا ا أن المسيح بركة لكل الأمم (أشعياء ٣: ١٣ و١٤) والمسيح نور للأمم (أشعياء ٤٢: ١ و٦و ٧، أشيعاء ٤٩: ٦) والمسيح هو الذي أخرج الحق للأمم (أشعياء ٤٢: ١ و٢) والمسيح هو مخلص الأمم (أشعياء ٤٩: ٦) والمسيح هو رب ومعبود كل الشعوب والأمم (دانيال ٧: ١٣ و١٤).

كما تستند الدعوة بعالمية المسيحية إلى شواهد متعددةٍ من الإنجيل، فمن هذه الشواهد ما جاء في إنجيل "مرقس" (إصحاح ١٦: ١٥ – ١٦) من قول المسيح لتلاميذه: "اذهبوا إلى العالم أجمع، واكرزوا [وادعوا] بالإنجيل للخليقة كلها، من آمن واعتمد خلُص، ومن لم يؤمن يدن".

ومن هذه الشواهد كذلك قول المسيح في سفر (أعمال الرسل: الإصحاح: ١: ٨): "لكنكم ستنالون قوةً متى حل الروح القدس عليكم، وتكونون لي شهوداً في أورشليم، وفي كل اليهودية، والسامرة، وإلى أقصى الأرض" والذي نراه أنّ دعوة المسيح، عليه السلام، جاءت خاصةً ببني إسرائيل وحدهم ويشهد لذلك قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ عِيسى ابن مريم يبني إسرائيلَ إني رسولُ اللهِ إليكم"[٣]، كما يشهد لذلك قول المسيح، عليه السلام، "لم أُرسلْ إلاّ إلى

---

[١] هو القديس بول (١٠م – ٦٨م) من الشخصيات الكنسية الأولى، يعرف أيضاً باسم القديس بولس. اشتهر بوصفه منصراً ومؤسساً موءـات الأديـرة الـتي انتشرت في آسيا الصغرى وجنوب شرقي أوروبا. ولشدة أهميته فإن بعض النصارى يسمونه الحواري، رغم أنه لم يكن واحداً من الحواريين الإثني عشر الذين كـانوا مع عيسى عليه السلام. واسمه شاول وكان من أصلٍ يهودي، ولد في طرسوس.

[٢] هو سمعان بن يونا الملقب بسمعان بطرس ومعنى اسمه بالعربية الصفا وبالآرامية والعبرية شمعون كيفا وبالإنكليزية Simon Peter ومعنى اللقب بطـرس هـو الصخرة وقد نال لقبه هذا من المسيح بحسب رواية الكتاب المقدس. كان بطرس الرسول واحداً من نخبة الرسل الإثنى عشر رسولاً الذين اختارهم المسيح مـن بـين أتباعه وسموا بالتلاميذ. وقد دونت بعض محطات حياته في الكتاب المقدس {الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل}.

[٣] سورة الصف، الآية ٦.

خِراف بيت إسرائيل الضالةِ"[١]. ولكن الذين جاؤوا من بعده أحدثوا أمراً غير هذا، وارتأوا نشر دعوة المسيح خارج حدود بني إسرائيل فأصبحت الآية "اذهبوا إلى العالمِ أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كُلها"[٢].

ونقول هنا، وباختصارٍ شديدٍ: إنّ المسيح، عليه السلام، قدم دعوته في ثوبٍ خاصٍّ ببني إسرائيل. ولمّا اشتد عود دعوتِهِ وكثُر عدد أتباعها والمتعاطفين معها جعل منها هؤلاء (وبالذات بولس وأتباعه) ديناً عالمياً. وسيأتي تفصيل القول في محلية دعوة المسيح، عليه السلام، على خلاف عالمية دعوة الإسلام ومستندات هذه المحلية وتلكم العالمية في المبحث قبل الأخير من الفصل السادس في هذه الدراسة بعونه تعالى.

وعلى كل حالٍ، فقد انتشرت في معظم أرجاء العالم، وقد ساعدها على ذلك، إضافةً لما سبق، تعرضها للاضطهاد، وتعاطف الناس مع أتباعها، وبعد ذلك اعتناق قسطنطين[٣] لها وجعلها ديانةً مرخصةً مسموحاً ا في جميع أنحاء الدولة الرومانية التي كانت إمبراطوريةً عظمى آنذاك، "حيث جعلها مذهباً مساوياً لبقية المذاهب داخل الإمبراطورية الرومانية، منهياً بذلك عهوداً من الاضطهاد الذي عاشه المسيحيون في ظل سابقيه من الحُكّام الرومان. "والحقيقةُ التي لا يستطيع أحد إنكارها، أن الدولة الرومانية عندما رفعت شعار الصليب، فإنها أعلنت أنّ الديانة الرسمية لها هي المسيحية، سواءٌ أكان اعتناق الإمبراطور للمسيحية سياسياً أم اعتقادياً"[٤].

وبالعودة للحديث عن رحلات "تكريز" أو "تبشير" كُل من القديسين بطرس وبولس بالتعاليم المسيحية في العالم، فهذا أمر ذكره كبار مؤرخي المسيحية بلا استثناء. ولكن الجدل والخصومة ثارت بعد ذلك حول من فيهما الذي قام ببناء "كنيسة روما" هل هو القديس بطرس كما تذكر المصادر المسيحية الكاثوليكية الغربية؟ أم أنه القديس بولس كما تذكر المصادر المسيحيةُ الآرثوذكسية؟؟؟ ولئن كُنا قد تجاوزنا الوقوف عند الكثير من تفصيلات الأمر ببناء الكنيسة وتجاوزنا بعد ذلك الوقوف عند عالمية المسيحية والأمر بنشرها في العالم، فإننا بحاجةٍ الآن لوقفةٍ جادةٍ نمحص فيها أدلّة ومستندات كلٍّ من الفريقين؛ وذلك لأنّ القول بأنّ بولس، وليس بطرس، هو الذي قام ببناء كنيسة روما إنما يعد طعناً صريحاً ومباشراً في نصوص العهد الجديد وتفسيرها، وقد جاء هذا الطعن بأقلام المسيحيين أنفسهم قبل أقلام

---

(1) متى: ١٥: ٢٤

(2) مرقص: ١٦: ١٥.

(3) قسطنطين الكبير (٢٧٥ – ٣٣٧م)، ويعرف أيضاً باسم قسطنطين الأول. أول إمبراطور روماني يدخل النصرانية، وتعتبر الكنيسةُ قسطنطين قديساً. وقد عمـد على فراش الموت.

(4) الخطيب، محمد أحمد، مقارنة الأديان، ص ٢٥٨، ط١، ٢٠٠٨، دار المسيرة، الأردن.

غيرهم ... **أما عن رحلة القديس بطرس إلى روما وإقامته فيها** فقد ذكرها ديورانت فقال: "ولسنا نعرف متى شق بطرس طريقه إلى روما أو المراحل التي وصل ا إلى تلك المدينة. فأما "جيروم" (حوالي ٣٩٠) فيؤرخ وصوله إليها بعام ٤٢م. وقد بقيت الرواية القائلة بأنه كان له اليد الطولى في إنشاء الجالية المسيحية في عاصمة الدولة الرومانية صامدةً للنقد: ويحدثنا "لكتانتيوس" عن قدوم بطرس إلى روما في عهد نيرون، وأكبر الظن أن الرسول زار رومة عدة مراتٍ. وكان وهو طليق، وبولس وهو سجين، يبذلان ما في وسعهما من جهدٍ ويتنافسان لهداية أهلها حتى استشهد كلاهما في سبيل هذه الغاية، ولعل استشهادهما كان في عامٍ واحدٍ هو عام ٦٤م. ويرى "أرجن" أنّ (بطرس صلِب ورأسه مدلى إلى أسفل، لأنه طلب أن يعذب ذه الطريقة)، ولعلّه كان يأمل أن يكون الموت ا أسرع إليه أو (كما يقول المؤمنون) لأنه يرى أنه غير خليقٍ بأن يموت بالطريقة التي مات ا المسيح. وتقول النصوص القديمة إن زوجته قُتِلت معه، وأنه أُرغم على أن يراها تساق للقتل. وتحدد إحدى القصص المتأخرة حلبة نيرون، القائمة في ميدان الفاتكان، موضعاً لمقتله. وفي هذا المكان شيدت كنيسة القديس بطرس، وقيل إ ا تضم عظامه"[1].

ولعل عمدة الأدلة التي يستدلُ ا الكاثوليك على أن بناء الكنيسة في روما إنما هو أمر من المسيح للقديس بطرس هو "أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي، أبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأُعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات"[2]. وبناءً على هذا النص قامت كنيسةُ روما واستمدت سلطتها وصلاحيا ا، وكثرت التفاسير التي تدعم وتؤيد ذلك، ومن هذه التفاسير ما يلي:

١. "إنّ إبن الله أنشأ الكنيسة بأنْ جعل الرسولَ بطرس أول رئيسٍ لها. وإنّ أساقفة روما ورثوا سلطات بطرس في تسلسلٍ مستمرٍ متصلٍ، ولذلك فإنّ البابا ممثلُ الله على الأرض يجب أن تكون له السيادةُ العليا والسلطان الأعظم على جميع المسيحيين حكّاماً كانوا أو محكومين"[3].

---

(1) ديورانت، ول، قصة الحضارة، الكتاب الخامس، الفصل الأول ص ٢٤٦، ٢٤٧، ترجمة عبد الحميد يونس، طبعة الإدارة الثقافية وبجامعة الدول العربية.

(2) متى ١٦: ١٨ – ٢٠ وقد ورد في بعض الترجمات للإنجيل النص التالي (أنت صخر وعلى الصخر هذا سأبني كنيستي ...) أنت بطرس وعلى هذه الصخرة إبـني كنيستي، فلن يقوى عليها سلطان الموت، وسأعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فما ربطته في الأرض ربطَ في السموات وما حللته في الأرض حل في السماوات.

(3) ديورانت [م. س]، الجزء ١٤، ص ٣٥٢.

٢. "إن الكنيسة هي صاحبة السيادة في العالم كُله، تستمد نفوذها من الله مباشرةً، وتمد هي ملوك الأرض وأمراءها بالنفوذ، وإنّ البابا له مركز فذ في العالم، فهو الذي يولّي الأساقفة ويخلعهم وله الحق في خلع الأباطرة لأنه سيدهم الذي لا يسألُ عما يفعل وهم يسألون"(١).

وبناءً على ما سبق يمكننا أن نفهم سبب تعددِ الأسماء التي أُطلقت على **الكنيسة الغربية والتي هي محور وأساس دراستنا هذه**، ومنها: **الكنيسة الغربية أو اللاتينية** وذلك لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتيني خاصة، ومنها **الكنيسة البطرسية أو الرسولية**، لأنّ أتباعها يؤمنون أن مؤسسها هو (بطرس) كبير الحواريين، ورئيسهم، والبابوات في روما خلفاؤه. أما أبرز أسمائها فكان **الكنيسة الكاثوليكية.** "وأصل كلمة كاثوليكي هو اللفظة اليونانية Katholikos كاثوليكوس، وتعني: العالمي، حيث تمثّل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية أكبر تجمع مسيحي في العالم؛ إذ يقّدر عدد أتباعها بنحو مليار مسيحي يمثلون حوالي خمس سكان العالم، وينتشرون في جميع بقاع المعمورة"(٢). "وقد استخدمت هذه الكلمة ـ أي الكاثوليكية ـ لأول مرةٍ من قبل القديس "أغناطيوس الأنطاكي" في رسالته إلى السميرانيين سنة ١١٠م، ثم استخدمها اللاهوتي الإغريقي "كليمنت الإسكندراني" (١٥٠م – ٢١٥م)، الذي يعد أحد الآباء العظام اليونانيين للكنيسة الكاثوليكية، لكن الاستخدام الرسمي لها في التعبير عن الكنيسة المسيحية ـ التي كانت الوحيدةَ في ذلك الوقت ـ لم يحدث قبل القرن الثالث الميلادي"(٣).

يستفاد مما سبق استقرار عقيدةٍ في الذهنية المسيحية الغربية أو (الكاثوليكية) مفادها أن القديس بطرس هو الذي قام ببناء الكنيسة في روما، وأنّ خلفاءه من البابوات في روما ورثوا صلاحياته في تسلسلٍ مستمرٍّ، وأ م مارسوا هذه الصلاحيات في سبيل نشر وتكريس الإيمان الكاثوليكي في ظل وجود البابوية. "**والبابوية أو "Papacy"** باللغة الإنجليزية نسبةً إلى البابا، والبابوات جمع بابا أو "Pope" بالإنجليزية، والكلمة في أصلها مشتقةٌ من الكلمة اللاتينية papa والتي تعني الأب، وهو لقب كنسي يطلق في الكنيسة الغربية خاصةً على رئيس الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، الذي اتخذ مدينة روما الإيطالية ثم الفاتيكان مقراً له"(٤). لقد كان لقب "البابا" يطلق على كل أُسقفٍ في القرنين الرابع والخامس للميلاد، إلاّ أنه أصبح تدريجياً، مقصوراً على أسقف روما وحده، واستمر الحال على هذا في

---

(1) حسونة، محمد ومحمد رفعت، معالم تاريخ العصور الوسطى، ص ١٣٧، ط١، ١٩٢٥، المطبعة الرحمانية، مصر.

(2) الموسوعة الحرة باللغة الإنجليزية ويكيبيديا، انظر كلمة chatholic.

(3) رستم، سعد، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص ٦٨، ط٢، ٢٠٠٥، دار الأوائل للنشر، دمشق.

(4) الموسوعة الحرة باللغة الإنجليزية، ويكيبيديا، انظر كلمة pope وpapacy.

الكنيسة الغربية إلى يومنا هذا. ومما يجدر ذكره هنا أنه وبعد اعتناق قسطنطين للمسيحية بدأ مركز الثقل الديني ينتقل من أورشليم إلى روما، وبدأت المدينة المقدسة تفقد بريقها القديم كعاصمةٍ لمملكة الله؛ فقد حلت روما محلها، وإن بقيت لها جاذبيتها الخاصةُ؛ إذ فيها ظهر المسيح وبدأت رسالته، وبذا تحولت إلى مزارٍ مقدسٍ يحج إليه (المؤمنون). وتعلق المؤرخةُ اليهودية "باربارا توخمان" على ذلك بقولها: "إنه وإن أخذت أورشليم تسلم المقاليد إلى روما إلى أن انتقل مركز السلطة الدينية إلى أوروبا بتأسيس العرش البابوي سنة ٥٩٠م. فإنها ظلّت الوطن الروحي، حتى وإن تضاءلت مكانتها الزمنية"[1].

ويحدثنا التاريخ المسيحي عن وقوع ما يسمى بـ (الانشقاق العظيم) وهو انشقاق كنائس الشرق والغرب الخلقيدونية عن بعضها البعض، مشكلةً بذلك فرعاً غربياً لاتينياً (كاثوليكياً) وفرعاً شرقياً بيزنطياً (أرثوذكسياً)، وعادةً يرجع تاريخ هذا الانشقاق إلى عام ١٠٥٤ م. "والانقسام بين الشرق والغرب جاء في الواقع نتيجة فترةٍ طويلةٍ من الجفاء بين المسيحية اللاتينية واليونانية. وقد كان السبب الرئيس للنزاعات التي أدت للانشقاق هو الخلاف حول قرار البابا ليو التاسع، والذي طالب بأن يكون له سلطةٌ على البطارقة اليونانيين الأربعة في الشرق، وأيضا رغبة الغربيين بإضافة عبارة على قانون الإيمان النيقاوي حول انبثاق الروح القدس من الابن إضافة للآب. وقد رأى الشرقيون بأن سلطة بابا روما هي شرفيةٌ وهو يملك سلطةً روحيةً في نطاق رعيته فقط، ولا يملك الحق لتغيير قرارات المجامع المسكونية"[2].

وقد ظل كرسي البابوية في روما يزداد قوةً ونفوذاً في كل عقدٍ من العقود التي مرت عليه... وكان ثراؤه وكثرة صدقاته العامة مما رفع مكانته، وكان العالم المسيحي بأجمعه يستشيره في كل ما يصادفه من المشاكل الخطيرة ... "وقد نادى سبريان في كتابه "الكنيسة الكاثوليكية الموحدة" بأنّ كرسي بطرس أو مقره إنما هو مركز العالم المسيحي وأعلى مكانٍ فيه. وقبل أن ينتصف القرن الثالث كان مركز البابوية ومواردها المالية قد بلغا من القوة حداً جعل ديسيوس يقسم أنه يفَضلُ أن يكون في رومة إمبراطور ثانٍ ينافسه على أن يكون فيها بابا. وهكذا أصبحت عاصمة الإمبراطورية عاصمة الديانة المسيحية"[3].

---

(1) مقار، شفيق، المسيحية والتوراة، ص ٦٢، ط١، ١٩٩٢، دار رياض الريس للنشر، لندن، وقبرص.

(2) انظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا، مادة الانشقاق الغربي.

(3) ديورانت [م. س]، الكتاب الخامس، الفصل الأول، ص ٣١٨، ٣١٩، بتصرف واختصار.

وسيأتي مزيد من الحديث عن البابا والمؤسسة البابوية لاحقاً بعد الانتهاء من الحديث **عن الرحلة الأخرى لروما، وهي الرحلةُ الشهيرة التي قام ا القديس بولس،** وقام فيها ببناء كنيسة روما حسب المصادر الأرثوذكسية[1]، وقد ذكر سفر أعمال الرسل تفاصيل كثيرةً يطول ذكرها تحدثت كلها عن انطلاق بولس للتكريز (التبشير) بالإنجيل في أقاليم وبلادٍ كثيرةٍ، منها على سبيل المثال أنطاكية وقبرص وبلاد آسيا الصغرى. وتركّزت معظم أعماله التبشيرية وجهوده في بلاد اليونان حيث أسس عدة كنائس أصبحت مشهورةً على مر الزمن، وذلك نظراً لأنّ بولس كتب إليها رسائل بعد فترةٍ من الزمن، وحفِظَت هذه الرسائل في العهد الجديد تحت مسمى رسائل القديس بولس، سواءٌ تلك التي خطها داخل السجن أو خارجه. ويذكر سفر أعمال الرسل كذلك أنّ بولس بقي بدون حريته لفترةٍ من الزمن في منطقة "اليهودية" بالقدس نتيجةً لمؤامرةٍ يهوديةٍ حيكت ضده وا مته بأنه جاء بوثنيين يونانيين إلى القسم المحرم عليهم ضمن بناية الهيكل، كما يذكر سفر الأعمال كذلك أن بولس وبسبب تمتعه بالجنسية الرومانية رفعت قضيته (قضية سجنه) إلى قيصر رومية. وأنّ بولس عند وصوله إلى رومية أُعطي حريةً كبيرةً لمقابلة الناس أثناء فرض إقامةٍ جبريةٍ عليه، بصحبة جنديٍ رومانيّ. "إلا أن مؤرخي الكنيسة في العصر التالي أجمعوا على القول بأن الرسول حصل على براءته وسافر إلى أماكن عديدةٍ في سبيل البشارة ولكنه سجِن ثانيةً أثناء الاضطهاد الكبير الذي لحق بالمسيحيين تحت حكم الطاغية نيرون. ومن الأرجح أنه استشِهد في العام ٦٧م تاركاً وراءه عملاً مجيداً لم ير له مثيلٌ لا في تلك الأيام ولا في أي عصرٍ آخر، إنّ الرسول مضى إلى ديار النعيم تاركاً لنا رسائله والكنيسة المسيحية التي ساهم في تأسيسها ونشرها والدفاع عنها"[٢].

لقد حرصت مصادر الكنيسة الآرثوذكسية حرصاً شديداً على ذكر أدق تفاصيل رحلات القديس بولس ونشره لتعاليم المسيحية في العالم، وكان مما ذكرته هذه المصادر رحلة القديس بولس إلى رومية (روما)، تلك الرحلة الشهيرة التي برزت فيها أحداثٌ ثلاثةٌ كان أولها سجنه وفرض إقامةٍ جبريةٍ عليه، وثانيها مباشرته في الإعداد لكنيسة روما الشهيرة وثالثها موته (أو استشهاده حسب اللفظ التي تستخدمه تلك المصادر). والحَدثُ الذي يعنينا هنا هو

---

(1) إحدى الكنائس الرئيسة الثلاث في المسيحية وقد انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية بشكل ائي عام ١٠٥٤م. وتدعى أرثوذكسية بمعنى مستقيمة المعتقد مقابل الكنائس الأخرى، ويقدر اتباعها بنحو ١٨٠ مليونا، ويتركز أغلبهم في المشرق ولذا يطلق عليها الكنيسة الشرقية، أو كنيسة الروم الآرثوذكس، وتمثلت في عدة كنائس مستقلة. ولا تعترف بسيادة بابا روما عليها.

(2) مدني، بسام، سلسلة دروس الكنيسة في التاريخ، الدرس الرابع رحلات بولس الرسول البشيرية، المنشورة في موقع كلمة الحياة www.kalimatalhayat.com التابع للكنيسية الأرثوذكسية.

إعداده أو بناؤه لكنسية روما (والمقصود هنا الكنيسة بالمعنى العام لا الخاص) وقد أكدت هذه المصادر في ذكرها لهذه القضية وبشدةٍ رفض إسناد بناء هذه الكنيسة للقديس بطرس، وهذا التأكيد والتشديد واضح تمام الوضوح في قراءتنا ورصدنا للمواقع الإلكترونية لهذه الكنائس، وبثها الحي والمباشر لكل ما يتعلّق باعتقادات وتعاليم الكنيسة الأرثوذكسية، ومن ذلك إيرادها مجموعةٍ من الأدلة الهامة التي أثبتت من خلالها، كما يرى أتباعها ويعتقدون، أنّ القديس بولس هو الذي أسس لبناء كنيسة روما.

ونرانا في حاجةٍ لإيراد بعضٍ من هذه الحجج والأدلة لأن فيها تدعيماً لوجهة نظرهم بإقامتهم للدليل والبرهان النصي والعقلي على رأيهم، ولأن الموضوعية والحياد يتطلبان إيراد حجج كلٍّ من الفريقين المتخاصمين، وما يدعمها ومن ذلك ما يلي:

أدلةُ أتباع الكنيسة الآرثوذكسية على رفض القول بأن بطرس هو مؤسس كنيسة روما[١]

أولاً: استدلوا بأنّ بولس هو رسول الأمم قائلين: إن الكنيسة التي تأسست في مدينة رومية عاصمة العالم الوثني، هي كنيسة "أمميةٌ" وليست يهوديةً، وكان القديس بولس هو رسول الأمم، بينما القديس بطرس هو رسول الختان كما نصت على ذلك رسالة بولس إلى أهل غلاطية "إذ رأوا [يعقوب وبطرس ويوحنا] أني أؤتمنت على إنجيل العزلة [تبشير الوثنيين]، كما بطرس على إنجيل الختان [تبشير اليهود]، أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم، وأما هم فللختان" [غلاطية ٢: ٧-٩] نلاحظ التعبير الذي استخدمه القديس بولس "إذا رأوا أني أؤتمنت" ... من الذي ائتمنه؟ الرب نفسه منذ البداية أفرز بولس لهذه المهمة، وقال لحنانيا في دمشق عن بولس عقب اهتدائه مباشرة "هذا لي إناء مختار ليحمل اسمي أمام أممٍ وملوكٍ وبني إسرائيل" (سفر الأعمال ٩: ١٥) .... ومرةً ثانية يسجل القديس لوقا في سفر الأعمال، أنّ الرب ظهر لبولس في رؤيا في الهيكل بأورشليم وقال له "أسرع وأخرج عاجلاً من أورشليم ... فأني سأرسلك إلى الأمم بعيداً (سفر الأعمال ٢٢: ١٨، ٢١) ... هذا عن الأمم بوجهٍ عامٍ، أما عن رومية بوجهٍ خاصٍ، فقد أعلن له الرب ذلك في رؤيا بينما كان مقبوضاً عليه، ومودعاً المعسكر الروماني في أورشليم ... "ثق يا بولس لأنك كما شهدت بما لي في أورشليم هكذا ينبغي أن تشهد في روميةَ أيضاً (الأعمال: ٢٣: ١١).

---

(1) لقد قمنا بصياغة هذه الردود وعرضها على شكل نقاط بالاستناد إلى المصادر التالية: (١) مذكرات في تاريخ الكنيسة المسيحية للقمص ميخائيل جريس ميخائيل وهي جزءٌ من كتابه (تاريخ الكنيسة القبطية الارثوذكسية) وهو منشور في موقع (www.coptichistory.org) (٢) موقع الكنيسة القبطيــة الآرثوذكــسية الإلكتروني (٣) موقع الأنباتكلاهيمانوت الحبشي القس الإلكتروني. وهنا نشير إلى استعمالهم لنسختين من الكتاب المقدس فيهما اختلافات في الترجمــة، والنــسخة الأولى هي الطبعة الأولى من نسخة دار المشرق، بيروت، عام ١٩٦٩. والنسخة الثانية هي طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، بيروت، ١٩٩٢.

ثانياً: استدلوا بمبدأ بولس في **الكرازة (التبشير)** وذكروا أنّ بولس سار في كرازته على مبدأ واضحٍ، وهو أن لا يكرز في مكانٍ كرز فيه شخص آخر "كنت متحرصاً أن أبشر هكذا. ليس حيث سمى المسيح. لئلا أبني على أساسٍ لآخر". (رو ١٥: ٢٠) ومن العجيب أن يذكر بولس هذا المبدأ في رسالته إلى رومية، مما يدل على أن أحداً من الرسل لم يذهب إلى تلك المدينة ويبشرها. وكان بولس يشتهي تبشير أهل رومية (رو ١: ١١، ١٥) وذهب إليها بالفعل وأستأجر بيتاً هناك يكرز فيه ويقبلُ كل الذين يدخلون إليه لمدة سنتين كاملتين (أع ٢٨: ٣٠) وهذا دليلٌ أكيد على أن بطرس لم يكن قد ذهب إلى رومية حتى ذلك الوقت ولم يكن موجوداً في تلك الفترة بين سنتي ٦١، ٦٣م.

ثالثاً: استدلوا بصِلات بولس بمؤمني **رومية** وبأن الأصحاح السادس عشر من رسالة بولس إلى أهل رومية حافلٌ بعددٍ كبيرٍ من أسماء المسيحيين الرومان ـ يهود وأمميين ـ يبعث إليهم بولس بتحياته الحارة وتقديره، الأمر الذي يقطع بأنّ له صلاتٍ وثيقةً معهم؛ فمنهم من عمل معه في ميدان الخدمة ووضع عنقه لأجله ومنهم من احتمل الأسر معه ومنهم من تعب كثيراً لأجله ولأجل خدمة الرب (رو ١٦: ٣ – ١٦) ... وهو يشرح لهم في هذه الرسالة كيف أنه كثيراً ما قصد أن يأتي إليهم لكنه مُنِع وأنه مشتاق أن يراهم لكي يمنحهم هِبةً روحيةً لثبا م ... والرسالة إلى رومية تشعرنا بأنه ـ حتى وقت كتابتها سنة ٥٨م ـ لم تكن هناك أي كنيسةٍ مؤسسةٍ من هيئةٍ رسوليةٍ في روما.

رابعاً: استدلوا بكرازة بولس في **رومية** وأكّدوا على أنّ أسفار العهد الجديد لا تحتوي على أية إشارة ـ ولو من بعيدٍ ـ لكرازة بطرس في رومية في حين أنه ثبت أن بولس وصل إلى رومية وأقام كارزاً ا حسبما نص على ذلك سفر الأعمال (أع ٢٨: ١٦، ٣٠، ٣١) ... فبعد ثلاثة أيام من وصوله إلى رومية سنة ٦١ استدعى وجوه اليهود وحدثهم عن المسيح رجاء إسرائيل، الذي لأجله كان موثقاً وجاءت إجابتهم أ م لا يعرفون شيئاً عن المسيحية، وبالتالي أن أحداً لم يبشرهم "لكننا نستحسن أن نسمع منك ماذا ترى، لأنه معلوم عندنا من جهة هذا المذهب أنه يقاوم في كل مكان" (أع ٢٨: ٢٠، ٢٢) .... كان معنى إجابة اليهود هذه أنه حتى تلك السنة (٦١)، لم تكن قد تأسست في روما كنيسة ... فأين أذن كانت كرازة بطرس في رومية، لو كان قد ذهب إليها سنة ٤٢ كما يدعي الكاثوليك؟! أما عن كرازة بولس فيشهد عليها كاتب سفر الأعمال بصراحةٍ "وأقام بولس سنتين كاملتين في بيت استأجره لنفسه وكان يقبلُ جميع الذين يدخلون إليه كارزاً بملكوت الله، ومعلماً بأمر الرب يسوع المسيح بكل مجاهرة

بلا مانع" (أع ٢٨: ٣٠، ٣١) ... وإلى جانب جهوده الكرازية في رومية، فقد كتب فيها رسائله إلى افسس وفيلبي وكولوسي وفليمون.

خامساً: ثبت مما سبق أنه حتى انعقاد مجمع أورشليم حوالي سنة ٥١، كان بطرس ما يزال ببلاد اليهودية، وأنه ذهب إلى انطاكية سنة ٥١ وبعدها (غل ٢: ١١) ... بعد ذلك نجد كلوديوس قيصر يطرد اليهود من روما حوالي سنة ٥٢، الأمر الذي أشار إليه القديس لوقا في (أع ١٨: ٢) ... وكانت المسيحية حتى ذلك الوقت، معتبرةً شيعةً يهوديةً. فلا يمكن أن يكون بطرس قد ذهب إلى رومية في تلك الفترة ـ ما بين طرد اليهود من روما وعودتهم إليها.

سادساً: ولا يمكن أن يكون بطرس قد ذهب إلى رومية قبل سنة ٥٨م، تلك السنة التي كتب فيها بولس رسالته إلى أهل رومية من كورنثوس،والتي لم يرد فيها أي تحيةٍ وذكرٍ لبطرس بينما حوت الرسالة تحياتٍ إلى أشخاصٍ عديدين، كما سبق أن ذكرنا، والقديس بولس في هذه الرسالة يقول لأهل رومية إنه مستعد لتبشيرهم (رو ١: ١٥)، مما يقطع بأنّ أحداً من الرسل لم يبشرهم حتى ذلك التاريخ، لا بطرس ولا غيره من الرسل.

سابعاً: لا أثر لوجود القديس بطرس في روما في فترة وجود بولس بها (٦١ – ٦٣) ... فالقديس لوقا في سفر الأعمال لا يذكر شيئاً عن بطرس. وكما أنّ القديس بولس، في رسائله الأربع التي أنفذها من روما في تلك الفترة، لم يورد أيةَ إشارةٍ تفيد، ولو من بعيدٍ، بوجود القديس بطرس فيها.

ثامناً: من غير المعقول أن يغفل القديس لوقا كاتب الأعمال، خبر وجود بطرس الرسول برومية لمدة ربع قرن من الزمان، وتأسيسه لكنيسة عاصمة الإمبراطورية، بل عاصمة العالم كله آنذاك، لو كان ذلك حدث فعلاً!! وعلى ذلك فإنّ الادعاء بوجود بطرس في روما قبل سنة ٦٣ أمر مستحيل ... أما احتمال ذهابه إليها بعد ذلك التاريخ، فليس له ما يؤيده، سوى إشاراتٍ عابرةٍ غير واضحةٍ ولا قاطعةٍ لبعض الآباء اللاحقين ...

تاسعاً: إنّ أولَ من أشار من الآباء إلى استشهاد بطرس هو القديس "كليمنضس الروماني" اسقُف رومية (٩٢ – ١٠١م) في رسالته إلى كنيسة كورنثوس لكنه لم يذكر مكان استشهاده في روما أم في غيرها.

عاشراً: وثمة نقطة كانت مثار جدلٍ بين العلماء. وهي بابل المذكورة في رسالة بطرس الأولى والتي منها كتب هذه الرسالة (١ بط ٥: ١٣) فقد فسرها الكاثوليك على أنها روما (بابل = روما) على أساس أن القديس يوحنا

أشار إليها في سفر الرؤيا بهذه التسمية الرمزية ... وقصدهم من ذلك أن يثبتوا وجود بطرس في روما وأنه كتب منها هذه الرسالة.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه في ختام هذه الأدلّة والبراهين هو كيف يرد المسيحيون الآرثوذكس القائلون بأن بولس لا بطرس هو الذي بنى كنيسة روما، كيف يردون الدليل الواضح الصريح في إنجيل متى والذي يأمر فيه المسيح القديس بطرس ببناء الكنيسة حين طوبه وقال له أنت بطرس وعلى هذه الصخرةِ ابني كنيستي؟؟ والجواب على ذلك كما يراه الأرثوذكس(1): إن المسيحيين الغربيين يقصدون بذلك النص أن المسيح بنى الكنيسة على بطرس كأساس لها !!! وهذا فهم مغلوط للنص، وقد حدث سوء الفهم من تجاور كلمتي "بطرس" و"صخرة"؟! إن بطرس "هو اللفظ اليوناني، يقابله في الأرامية "كيفا" وفي العربي "صفا" ... فهذه الأسماء الثلاثة واحدة ولكن بلغاتٍ مختلفة ... وبطرس باليونانية لا تعني "صخرة" فصخرة اسم مؤنثٌ وهو "بترا" أما بطرس فاسم مذكر معناه حجر مقطوع من صخرة .. وهذه التفرقة واضحة في اللغات القديمة اليونانية واللاتينية والسريانية والقبطية ... هذا والمسيح لم يؤسس كنيسته على بطرس ... لكنه أسسها على هذا الإيمان "المسيح ابن الله الحي". وكل من يريد أن يصير مسيحياً يجب أن يعترف أولاً ويبني إيمانه على الصخرة التي هي "أومن أن يسوع المسيح هو ابن الله الحي".

ولو جئنا لمحاكمة الأدلة العشرة السابقة التي ذكرها المسيحيون الآرثوذكس لوجدنا فيها من الإحكام والإقناع والمعقولية قدراً كبيراً، يقدر على الصمود في وجه الانتقادات المسيحية الغربية المتعلقة بهذا الموضوع. وهذا بدوره يوقعنا في المزيد من الحيرة والتردد، **فمن هو يا ترى الباني الحقيقي لهذه الكنيسة؟ أهو بولس أم بطرس؟؟؟ إنّ هذا ليطعن وبكل قوةٍ** في **خاصرة الموثوقية التاريخية لواحدةٍ من أبرز معتقدات الكنيسة الغربية الكاثوليكية.** ولا ندعي هنا أننا أولُ من تنبة إلى هذا التخاصم والاختلاف؛ فقد سبقنا الكثيرون إلى ذلك، ومن هؤلاء المؤرخ الشهير "يوسابيوس القيصري" الذي عاش في الفترة (٢٦٤ – ٣٤٠م) وترك لنا إرثاً ضخماً ومرجعاً هاماً حمل عنوان (تاريخ الكنيسة)(٢)، وقد خرج فيه بوجهة نظرٍ حول هويةِ باني كنيسة روما حاول فيها التوفيق والجمع بين الرأيين السابقين بأن اختار القول بأن القديسين بولس وبطرس معاً هما اللذان قاما بتأسيس أول كنيسةٍ في روما، مدعماً قوله بأ ما

(1) المرجع السابق نفسه، باختصار وتصرف.

(2) كتاب ضخم وهام قام بتعريبه القمص مرقس داود ونشرته مطبعة القاهرة الحديثة للطباعة عام ١٩٧٩.

استشهدا هناك في السنة نفسها. وقد ذكر يوسابيوس ذلك في مواضع متعددةٍ من كتابه وبالذات لمّا ذكر الحاكم الظالم الروماني نيرون فقال[1]:

"ولا يتسع المجال لوصف شناعة فساده، ونظراً لأن الكثيرين قد وصفوا تاريخه بإسهابٍ فيمكن لكل من أراد أن يرجع إلى كتاباتهم ليعرف فظاظة الرجل وشذوذه وجنونه وكيف أنه بعد أن أباد ربواتٍ كثيرةً من الأنفس بلا سببٍ ارتكب جرائم كثيرة لدرجةٍ أنه لم يشفق حتى على أقرب أقربائه وأعز أصدقائه، بل قتل أمه وإخوته وزوجته مع آخرين كثيرين جداً من عائلته، كما قتل أعداءه الخفيين والظاهرين بميتاتٍ مختلفةٍ ... وعلاوةً على كل هذه الجرائم فقد كان أول إمبراطورٍ أعلن العداء للديانة الإلهية ... وهكذا إذاً أعلن جهاراً أنه أول أعداء الرب الرئيسيين فأقدم على قتل الرسل؛ لذلك دونَ بأنّ بولس قُطعت رأسه في روما نفسها، وأن بطرس أيضاً صلِب في عهد نيرون، ومما يؤيد هذه الرواية عن بطرس وبولس أن اسميهما لا يزالان باقيين إلى الان على المقابر في ذلك المكان. **ولكنني استطيع أن أبين آثار الرسوليين، لأنك إن ذهبت إلى الفاتيكان ... أو إلى طريق لوستيان وجدت آثار هذين اللذين وضعا أساس هذه الكنيسة ... أما أنهما استشهدا في وقتٍ واحدٍ فيقرر ذلك "ديونيسيوس" أسقف "كورنثوس" في رسالته إلى أهل روما في الكلمات التالية: أنكم بمثل هذه النصائح قد ربطتم معاً ما غرسه بطرس وبولس في روما وكورنثوس، لأن كليهما غرسا وعلمانا في مدينتنا كورنثوس، وكذلك علما أيضاً في إيطاليا واستشهدا في وقت واحد".**

ومما هو واضح أن "يوسابيوس" بقوله هذا إنما كان يحاول (أن يرضي جميع الأذواق!!) إلا أنّ محاولته تلك باءت بالفشل فقد أسخط بمحاولته التوفيقية هذه كلا الفريقين؛ فلا الأرثوذكس قبلوا أن يكون بطرس هو الباني لكنيسة روما، ولا الكاثوليك قبلوا أن يكون بولس هو الباني لها ... **ولمّا كان من أهداف هذه الدراسة ومثيلاتها الوصول إلى نتائج كان لابد لنا من الترجيح بين الأقوال المتعارضة واعتماد الراجح منها، وهذا الترجيح ضروري للوقوف على مدى موثوقية المصدر الذي منه استمدت الكنيسة الغربية صلاحياتها وسلطاتها بل وشرعيتها قبل ذلك.** إنّ وقوفنا على سيرة بطرس، كما ذكرها العهد الجديد، يسوقنا للحديث عن بعض المواقف التي يصعب علينا بعد قراءتها أن نجزم بأنّ المسيح، عليه السلام، قد رشحه ليكون رأساً للكنيسة، ومن تلك المواقف، أنّ المسيح وبخ بطرس، لمّا حاول أن يبعده عن طريق الصلب، بقوله "إذهب عني يا شيطان، أنت معثرةٌ لي، لأنك لا تهتم بما لله لكن

[1] القيصري، يوسابيوس، تاريخ الكنيسة، الكتاب الثاني، الفصل الخامس والعشرون مطبعة القاهرة الحديثة، ط١، ١٩٧٩، باختصار وتصرف.

بما للناس"[1]. وواضح كم هو قاسٍ ومؤلمٌ هذا التوبيخ!! فكيف يستساغُ أن يكون المسيح قد قال لبطرس وفي الإصحاح نفسه قبل أربع أو خمس آيات: "أنت الصخرة التي أبني عليها كنيستي" وفي الإصحاح نفسه واللحظة ذا ا نرى كلمة التوبيخ "شيطان"؟؟ إنّ الفكرة القائلة بأنّ بطرس هو صخرةُ الكنيسة افتراءٌ على المسيح، فمن المستبعد أن يكون بطرس هو أساس الكنيسة! وقد وبخه المسيح بطريقةٍ قاسيةٍ لم يوبخ ا تلميذاً آخر. كان من أصعب المواقف التي واجهها المسيح موقف محاكمته أمام رئيس الكهنة قبل محاكمته أمام بيلاطس. وفي تلك الساعة كان المسيح بحاجةٍ للتلاميذ ليكونوا معه، ولكننا نقرأ في (متى ٢٦) أن بطرس أنكر يسوع ثلاث مرات وحلف بأنه لا يعرفه قط. وهذا عملٌ لم يعمله تلميذٌ آخر سوى بطرس. أما بالنسبة لقول الكنيسة الكاثوليكية إن بطرس كان رأس كل الرسل والتلاميذ. فإن هذا القول لو كان صحيحاً لذَكَره القديس بولس أو أحد كتاب العهد الجديد، إذ أن في الأمر أهميةً كنائسيةً، ولكن الأمر غير مذكورٍ. وهذا الصمت ظاهر وهو برهانٌ ساطع على أن بطرس لم يكن في أي وقتٍ من الأوقات رأساً للكنيسة.

ذكر القديس بولس أنه مساوٍ لباقي الرسل، ولو كان بطرس هو رأس الكنيسة لما استطاع بولس أن ينكر ذلك، وقد قال في (٢ كورنثوس ١١: ٥) "وأرى أني لست أقل شأناً من أولئك الرسل الأكابر" (وفي أحدى الترجمات لهذه الآية ذكر بولس أنه مساوٍ لباقي الرسل) فإن كان بطرس بالحق هو رأس الكنيسة فكيف يقول القديس بولس كلامه السابق؟ لو كان بطرس هو رأس الكنيسة لما تجرأ بولس أن يقول غير ذلك ... هل أعطى المسيح سلطةً لبطرس أكثر من باقي الرسل؟ كلا لم يكن كذلك؛ فعندما تشاجر الرسل بين أنفسهم عمن هو الأعظم، وبخهم المسيح وفي (لوقا ٢٢: ٢٤) "ووقع بينهم جدال في من يعد أكبرهم" وفي (متى ٢٠: ٢٥ – ٢٧): "فدعاهم يسوع إليه وقال لهم: تعلمون أنّ رؤساء الأمم يسودو ا، وأنّ أكابرها يتسلّطون عليها. فلا يكن هذا فيكم، بل من أراد أن يكون فيكم فليكن لكم خادماً، ومن أراد أن يكون الأول فيكم فليكن لكم عبداً". هل كان بطرس رأس أو سيد الكنيسة؟ كلاّ لم يكن كذلك، ولا كان أعلى من باقي الرسل، ولو كان أعلى منهم لذكر ذلك صراحةً؛ لأنه ذا ينال شرفاً واحتراماً أعظم من باقي الرسل، لكن الذي وصف به نفسه أنه شيخ، إذ يقول في (رسالته الأولى ٥: ١) (أما الشيوخ الذين بينكم ... أنا الشيخ مثلهم، والشاهد لآلام المسيح)، فلو كان بطرس رئيساً لأعلن عن نفسه وعن سلطته، ولأمر

---

[1] متى ١٦: ٢٣.

الرسلَ بالذهاب إلى أماكن مختلفةٍ، ولكن على العكس فإننا نرى أنه قَبِلَ أوامرهم وأ م أرسلوه، فنقرأ في (أعمال الرسل ٨: ١٤) "وسمع الرسلُ في أورشليم أن السامرة قبلت كلمة الله، فأرسلوا إليهما بطرس ويوحنا".

وعندما اجتمع الرسل والإخوة في أورشليم (أعمال ١٥) كان بطرس بينهم، ولكنه لم يترأس الاجتماع ولو كان هو الرئيس لأعلن الأمر في ذلك الاجتماع، ولأخذ بإصدار أوامره. لقد ترأس الاجتماع القديس يعقوب، وليس بطرس. أين هو البرهان على الاعتقاد برئاسة بطرس؟ ففي "العهد الجديد" الذي يحتوي على سبعةٍ وعشرين سفراً لا يوجد ذِكر يؤيده. إن هذا الصمت يضع علامات استفهامٍ **على مكوثه الطويل المزعوم** في **روما**، لأنه لو مكث هناك طويلاً فلا بد من ذكر الأمر في أحد كتب العهد الجديد. فالقديس بولس كتب رسالةً مطولةً إلى أهل روما، ولكنه لم يذكر شيئاً عن وجود بطرس فيها. وبولس نفسه عاش في روما سنتين، وأثناء إقامته فيها كتب عدة رسائل، لكنه لم يأتِ على أي ذكرٍ لوجود بطرس في المدينة، الأمر الذي كان يجب عليه ذكره لو أن بطرس كان حقاً في روما في فترة وجود بولس فيها. إن العهد الجديد يذكر أن بطرس سافر إلى أنطاكية والسامرة وقيصرية وإلى بعض الأماكن الأخرى، ولكنه لا يذكر مطلقاً أنه سافر إلى روما.

ولو كان بطرس مطراناً لروما، فأين هي الوثائق التي بموجبها سلم بطرس لمن خلْفه؟ لم تكن كنيسة روما أول كنيسةٍ مسيحيةٍ بل كانت كنيسة أورشليم، كما ذكرنا سابقاً، وسميت كنيسة أورشليم أُم الكنائس، لأ ا كانت أول كنيسةٍ، وإضافةً لذلك فقد تأسست كنائس أخرى في أنطاكية وكورنثوس وغلاطية وفيلبي وتسالونيكي قبل تأسيس كنيسة روما. **والذي نراه ونختاره** في **اية الحديث عن هذا الموضوع هو أن القديس بطرس قد ذهب** إلى **روما وزارها، ولكن تلك الزيارة كانت لفترةٍ قصيرةٍ وجاءت** في **أواخر أيام حياته، حيث قضى فيها على يد الحاكم الظالم نيرون، والله تعالى أعلم.**

ومهما يكن من أمرِ هذا الترجيح والرأي الذي اخترناه، فإن كنيسة روما قد قامت وازدهرت واتخذت ـ ولا زالت تتخذ ـ مركز السيادة والريادة في العالم المسيحي الغربي كله ... تعتقد كنيسة روما الكاثوليكية إن القديس بطرس هو أول رئيسٍ روحيٍ وأول بابا لروما، وإنّ باقي البابوات الذين أتوا بعده كانوا برتبته وأ م توارثوا سلطته. وتعتقد كذلك إن القديس بطرس كان رأس كل الرسل والقديسين، وأن المسيح أسس الكنيسة عليه، وأعطاه وباقي الذين خلفوه، أن يكونوا رؤساء روحيين لروما، ولهم القدرة في السيطرة على حكم الكنيسة إلى الأبد.

وهم يؤسسون هذا الاعتقاد على ما سبق ذكره من نص في (إنجيل متى ١٦: ١٨) ويعتبرون البابا الخليفة والوريث الشرعي والوحيد للمسيح وذلك عبر سلسلةٍ متواصلةٍ بدأت من القديس بطرس وستستمر عبر خلفائه من البابوات وهي قائمة حتى هذا اليوم، والكنيسة ترى في ذلك حقاً لها مستمداً كذلك من تفويض المسيح، عليه السلام، للرسل الاثني عشر (الحواريين) وإعطائه لهم سلطة التكريز (التبشير) واصفاً إياهم كالغنم في وسط الذئاب محذراً إياهم من الناس موصياً إياهم أن يكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام[1].

وبناءً على ما سبق ذكره من النصوص، فقد تمحورت الكنيسة الكاثوليكية حول شخص البابا بوصفه خليفةً للقديس بطرس، وتمتع البابا بصفة القداسة في ذاته وكلماته كما اعتبر عند الكثيرين من الكاثوليك واسطةً بين الله والخلق، وممثلاً لله على وجه الأرض. وتطّور الأمر لدرجةٍ وصلت إلى إطلاق وصف العصمة عليه فهو معصوم عندما يتكلم بصفته كاهناً أو معلماً، وهذه العصمة، كما يرون، إنما هي هديةٌ من الله ثبتت مشروعيتها بنص العهد الجديد في إنجيل يوحنا "لم تختاروني أنتم بل أنا اخترتكم وأقمتكم لتنطلقوا فتثمروا ويبقى ثمركم فيعطيكم الآب كل ما تسألونه باسمي"[2]. وقد قرر مجمع روما الذي عقد عام (٨٦٩م) أموراً هامةً فيما يتعلق بالكنيسة والبابا كان من أبرزها "تقرير مبدأ عصمة البابا ومنح الكنيسة سلطة محو السيئات ووجوب الاحتكام إلى كنيسة روما في كل أمرٍ يتعلق بالمسيحية، وأن المسيحيين في جميع بلاد العالم يخضعون لقرارات رئيس كنيسة روما"[3]. وقد تعاقب على كرسي البابوية مئات البابوات، كان أولهم، حسب الاعتقاد الكاثوليكي، القديس بطرس وآخرهم الألماني جوزيف ريتسنغر الملقّب "بنديكتيوس السادس عشر". ومن المعلوم أن البابا يتم انتخابه عن طريق مجلس الكرادلة (جمع كاردينال) وهم مستشارو البابا. **أما عن الإدارة البابوية للكنيسة الكاثوليكية والرتب الكهنوتية التي فيها فهي تتكون مما يلي[4]:**

١. الإدارة البابوية: تتكون من أمين سر وعدد من اللجان: لجنة الكرادلة، و ا فريق يطلق عليهم أمناء السر (السكرتارية)، ويشرفون على المسائل الخاصة بالكنيسة، لاسيما القانونية والإدارية واللاهوتية.

---

(1) للتوسع في أمر هذه الوصية انظر إنجيل لوقا ١٠: ١ – ٢٠.

(2) مرقص ١٦: ١٥ – ١٨.

(3) شلبي، أحمد، المسيحية ص ١٦٨، ١٦٩، بآختصارٍ وتصرفٍ ط١٠، سنة ١٩٩٣، مكتبة النهضة، مصر.

(4) رستم، سعد [م. س] ص ٧٨، ٧٩ بتصرف.

٢. المطارنة (الأساقفة): وهم مسؤولون أمام البابا، ويتكون مجمع المطارنة من الأساقفة بمن فيهم البابا الذي يرأس ا مع، وا مع مسؤول عن قيادة الكنيسة وهم أعلى مرتبة من الكهنة والقسيسين.

٣. الأسقفيات أو الأبرشيات: وهي مناطق حدودية من الكنيسة يديرها أسقف يتولى شؤو ا الإدارية والدينية، وتعتبر الأبرشيات الوحدات التنظيمة التي تتكون منها الكنيسة الكاثوليكية.

أما التسلسل الهرمي للإكليروس (أي لرجال الدين)، في الكنيسة الكاثوليكية فهو كالتالي[(١)]:

١. الشماس المساعد، ثم الشماس، ثم رئيس الشمامسة.

٢. القسيس (ويسمى ـ أيضاً ـ القس والكاهن، والأب والخوري)،وكل هؤلاء لقبهم التشريفي هو الـ محترم، ويناديهم الأتباع باسم "أبونا".

٣. ثم الأسقُف، أو المطران، وأحياناً؛ يكون المطران أعلى من الأسقف، حيث يرأس عدة أساقفة، ثم رئيس الأساقفة، ولقبهم التشريفي "سيادة" .. الجزيل الاحترام والوقار، في حين يخاطبهم الأتباع باسم "سيدنا".

٤. البطريرك (أو البطريارك أو الشيخ الجليل) وهو رئيس الأساقفة، ولقبه التشريفي: "غبطة" البطريرك.

٥. الكاردينال، ولقبه التشريفي "نيافة"، ومنهم يتشكل مجمع الكرادلة.

٦. وأخيراً؛ البابا ويلقّب قداسة الحَبر الأعظم.

ومن المهم في ختام هذا المبحث أن نذكر أن عقائد الكنيسة الكاثوليكية إنما تثبت بناءً على قرارات ا امع الكنسِية المسكونية (العالمية) "وا امع هيئات شوريةٌ في الكنيسة المسيحية، قد رسم نظامها الرسل في حيا م، حيث عقدوا ا مع الأول في أورشليم "القدس" بعد ترك المسيح لهم باثنتين وعشرين سنة"[(٢)].

عقدت في تاريخ الكنيسة المسيحية عدة مجامع أو اجتماعات ضمت قادة الكنيسة من مختلف أنحاء العالم للبحث في أمور الكنيسة وخاصةً للبت في القضايا العقدية في ضوء تعاليم الكتاب، ولم تكن جميع ا امع التي عقدت في تاريخ الكنيسة القديم، مجامع مسكونيةً، بل عقدت أيضاً مجامع إقليميةٌ حيث كانت الكنائس في إقليمٍ ما تبحث في قضايا مشتركة. وكذلك كانت هناك مجامع وطنيةٌ أي ضمن البلد الواحد، وكانت تشمل عدة أقاليم وكان لها تأثير معين في الوطن ... والذي يعنينا هنا هو تلك ا امع التي انعقدت للبحث في الأمور التي م الكنيسة في كل أنحاء

---

(1) رسم، سعد، [م. س]، ص ٧٩، بتصرف.

(2) الخطيب، [م. س]، ص ٢٨٦.

العالم. وتسمى هذه ا امع الكنسية با امع المسكونية وهذه الكلمة تستعملُ إلى يومنا هذا في الكلام عن الاجتماعات التي تعقد للبحث في شؤون الكنيسة في مختلف بلدان العالم والتي تضم ممثلين من أكثر من بلدٍ أو قارةٍ واحدةٍ. "ولم تكن هناك أيةُ منظمةٍ لعبت دوراً هاماً كالدور الذي لعبته ا امع المسكونية التي انعقدت في تاريخ الكنيسة القديم"[١] وتعتبر قرارات هذه ا امع ملزمةً لجميع أتباع الكنيسة الكاثوليكية "وتكمن خطور ا في كو ا تختص بتقرير القواعد والقرارات الدينية العامة، وفي كو ا تملك سلطان التشريع. وأخطر هذه ا امع وأبعدها أثراً وأكبرها شأناً أربعة، وهي التي عقدت في القرون الأولى للمسيحية، فحددت حدود العقيدة، ورسمت مظاهر التشريع عند اتباع المسيحية وهذه ا امع هي"[٢]:

١. مجمع نيقية المنعقد في ٣٢٥م.

٢. مجمع القسطنطينية الأول المنعقد في ٣٨١م.

٣. مجمع أفسس المنعقد في ٤٣١م.

٤. مجمع خليقدونية المنعقد في ٤٥١م.

ويهمنا أن نضيف إليها مجمع كليرمون المنعقد في ١٠٩٥ ومجمع الفاتيكان الثاني المنعقد ما بين عامي ١٩٦٢ و١٩٦٥ للميلاد وذلك لما صدر عنهما من قراراتٍ تتعلق مباشرةً بموضوع دراستنا هذه.

---

(1) مدني، بسام [م. س]، درس ا امع المسيحية.

(2) الخطيب، [م. س]، ص ٢٨٧، بتصرف.

المبحث الثاني

فهم الكنيسة الغربية للإسلام

حقيقته والعوامل التي أدت إليه

علا نجم الكنيسة الكاثوليكية ولمع في العصور الوسطى[1]، وأخذ نفوذها في الازدياد على ثرى القارة الأوروبية لدرجةٍ ضايقت الكثيرين من الحكّام والملوك والأمراء، وكان أصدق تعبيرٍ عن هذا التضايق المصادمات العديدة التي شهد ا "أوروبا" بين السلطات الزمانية (مؤسسة الحكم الدنيوي التي كان يتزعمها الملوك والأمراء) وبين السلطات الدينية (مؤسسة الحكم الروحي التي كانت تتزعمها الكنيسة برئاسة البابا)، وقد كانت المؤسسة الدينية تتدخل في معظم شؤون الناس، إن لم يكن فيها كلّها، كيف لا وقد منحت لنفسها حق غفران الذنوب؟ واستصدرت صكوك الغفران وفرضت الكتاب المقدس باللغة اللاتينية التي كان معظم الناس لا يجيدو ا ولا يعرفون عنها شيئاً كما أنها احتكرت الحق في فهم هذا الكتاب وتفسيره، وابتدعت نظام محاكم التفتيش لملاحقة كلّ من يخالف تعليما ا وتشريعا ا وقوانينها وا ـمته بالهرطقة والكفُر. وفوق ذلك فقد فرضت أسراراً سبعةً وطقوسها التي يمنع غيرها من تفسيرها وتوضيحها، وفرضت لنفسها سلطاناً وهيبةً في النفوس جعل لها جانباً كبيراً من الرهبة في قلوب الناس. وقد ساعد على تقوية نفوذ الكنيسة الغربية ضعف الإمبراطورية الرومانية الغربية وما تلا ذلك من صراعاتٍ وانقساماتٍ في البلدان والممالك التابعة لها، وكانت الكنيسة الكاثوليكية أكبر المستفيدين من ذلك حيث استقلّت بتعيين البابوات عن طريق ا امع الكنسية وليس عن طريق الأباطرة، كما كان الحال سابقاً، وهذا بحد ذاته قوى سلطان الكنيسة والبابا بوصفه السلطان الأعلى للمسيحيين في العالم كلّه، وهم ملْزمون بطاعته والخضوع له ولسلطاته الممنوحة له من الرب، وبما أن الحاكم أو الملك أو الأمير الذي يحكم إحدى البلدان في أوروبا مسيحي فإنه ومن كل بدٍّ بحاجةٍ لمباركة ودعم وتأييد الكنيسة لحكمه وإضفاء صفة الشرعية عليه. وقد تعدى الأمر هذه الحدود؛ ففي مقابل تمتع الكنيسة بحق الغفران (غفران ذنوب الناس ومعاصيهم) فقد وهبت لنفسها حق الحرمان، و"الحرمان نوع من العقوبة أخذه المسيحيون عن

---

[1] العصور الوسطى: يشار إلى هذه الفترة المبكرة بأ ا العصور المظلمة، كانت القرون الأولى من العصور الوسطى، خاصة من القرن الخامس إلى أواخر القرن العاشر الميلاديين أقرب إلى أن تكون مظلمة، حيث أصيبت حضارة غربي أوروبا بالانحطاط، ولم يتبق من حضارة الرومان القدامى سوى ما بقي في قلة قليلة مـ ـن مـ ـدارس الأديرة والكاتدرائيات والبلاط والقصور الملكية. أما العلوم التي نقلت عن اليونانيين فقد اندثرت تقريباً وكان الذين تلقوا علماً فئة قليلة من الناس، كما ضاع الكثير من المهارات الفنية والتقنية القديمة، وأمسى العلماء في جهلهم، يتقبلون الحكايات الشعبية والشائعات على أ ا حقيقة.

قدماء الوثنيين، وفي العهد الذي كان للبابا الحق في تتويج الأباطرة، كان الحرمان يسلبهم تيجا م وعروشهم، وقد حرم البابا "بيوس الخامس" ملكة الإنجليز "اليصابات" عام ١٥٧٠م وأباح لرعاياها عصيا ا، وحرم البابا "بيوس التاسع" في النصف الأخير من القرن الغابر ملك إيطاليا "فيكتور عمانويل" لاستيلائه على أملاك الكرسي الرسولي. أما حرمان غير الملوك والأباطرة فكان على نوعين؛ حرمان المحروم من بعض المزايا الكنسية ـ متى كان جرمه بسيطاً، فإن كان الجرم كبيراً، طُرِد المحروم من عضوية الكنيسة ـ إن كان عضواً ا، وحرم من معاشرة المسيحيين، ودفن على غير الشعائر المسيحية. وقد أيدت القوانين المدنية عقوبة الحرمان الكنسي، فسلبت المحروم حقوقه المدنية في وظائف الدولة وصادرت أملاكه، وحرمته من الرتب ونحوها. وقد يصدر البابا قرار الحرمان ضد أمةٍ كاملةٍ، وعندئذ تغلق كنائسها ويمنع الزواج بين أهلها، ولا تبارك الكنيسة دفن موتاها ..."[1]. ولعل ممارسة الكنيسة لهذا الحرمان، يدل بكل صراحةٍ ووضوح على نوعية النفوذ والسلطة التي كانت الكنيسة تمارسها وتتمتع ا، ويشهد على ذلك ما أعلنه البابا "غريغوري السابع": "إن الكنيسة هي صاحبةُ السيادة في العالم كلّه، تستمد نفوذها من الله مباشرةً، وتمد هي ملوك الأرض وأمراءها بالنفوذ، وإنّ البابا له مركز فذ في العالم، فهو الذي يولّي الأساقفة ويخلعهم، وله الحق في خلع الأباطرة لأنه سيدهم الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون"[2].

كما يشهد على ذلك بيان البابا "نيكولاس الأول" ... "إن البابا ممثّلُ الله على ظهر الأرض، يجب أن تكون له السيادة العليا والسلطان الأعظم على جميع المسيحيين حكاماً كانوا أو محكومين"[3].

ولئن كان هذا حال الكنيسة وبابوا ا مع الحكّام والملوك فمن السهل علينا أن نتصور حالها مع المحكومين من الشعوب والرعية ... من السهل أن نفهم الآن أنّ أي رأيٍ كانت الكنيسةُ تتبناه، فإنه يصبح، وبصورةٍ تلقائيةٍ، رأياً يجب على أتباعها ورعاياها أن يتبنوه، وأنّ أي موقفٍ تتخذه الكنيسةُ تجاه حدثٍ معينٍ فإنه يصبح، وبصورةٍ تلقائيةٍ كذلك، موقفاً لجميع أتباعها ورعاياها ... ويبرز في معرض الحديث عن هذه المواقف موقف الكنيسة من الإسلام ونبوة محمد ﷺ، وخصوصاً إن تذكّرنا أنّ وصول الإسلام إلى القارة الأوروبية آنذاك لم يكن مجرد حدثٍ بارزٍ بل هو الأبرز والأهم في ذلك الوقت خصوصاً وأنّ الإسلام كان في عصره الذهبي وأوج قوته ومجده، بينما كانت القارة

---

(1) الطويل، توفيق، قصة الاضطهاد الديني في الإسلام والمسيحية ص ٨١، ١٩٤٧، ط١، دار الفكر العربي.
(2) حسونة محمد، محمد رفعت، [م. س]، ص ١٣٧.
(3) ديورانت، [م. س]، ص ٣٥٢.

الأوروبية وكنيستها العجوز غارقةً في عصرٍ حمل اسم عصر الظلمات أو العصور الوسطى. وإنّ من الصواب قبل أن نذكر حقيقة موقف هذه الكنيسة من الإسلام وفهمها له، أن نشير إلى أن هنالك مجموعةً من العوامل كانت قد تضافرت وتجمعت لتشكّل وتصنع هذا الموقف والفهم الذي لا زالت الكنيسة الغربية في روما تتبناه إلى وقتنا الحاضر، وترفض أن تدخل على جوهره أي تغييرٍ حقيقيّ. **وعوامل فهم الكنيسة الغربية للإسلام وصورته** في **ذهنها إنما هي عوامل متباينةٌ مختلفةٌ،** على مصدريتها العشرات والعشرات من علامات الاستفهام والتعجب والرفض، وأبرز هذه العوامل قصص العهد القديم ودور الحجاج المسيحيين العائدين من بيت المقدس (أورشليم) وقصص الخيال والموروث الشعبي، ويضاف إلى تلك العوامل مساهمات الكنيسة الإسبانية ومساهمات الرهبان في التحريض على الإسلام والمسلمين. أما أهم هذه العوامل وأبرزها على الإطلاق فكان عامل الجهل بالإسلام والخوف منه. وتفصيل هذا ما يلي:

أولاً: قصص العهد القديم

شهدت العصور الوسطى انكباباً كبيراً من الناس على قراءة الكتاب المقدس ومحاولة فهمه وتفسير الأمور من خلاله؛ فمن الناس من كان يقرؤه ليسير حياته بمقتضى تعليماته وأوامره، ومنهم من كان يقرؤه لمعرفة أصول المسلمين ـ أو السرازانيين أو السراسنة، كما كانوا يسمون في أوروبا في العصور الوسطى ـ وسلالا م ومكا م بين شعوب العالم، ومنهم من كان يقرأ هذا الكتاب ليحاول من خلاله فهم ما سيحدث في المستقبل[1]، وهذا الانكباب على قراءة الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد يرجع ـ كما يرى سوذرن ـ إلى "أن الكتاب المقدس كان الأداة الفكرية الوحيدة الفعالة في أوروبا في مطالع العصور الوسطى، وما كان بوسع المؤلفين اللاتين أن يتجاهلوا كلام العهد القديم عن الماضي والمستقبل؛ مهما كان هذا الكلام غامضاً أو غير معقولٍ. وقد أسهم الكتاب المقدس في صياغة مفهوم الأوروبيين للعالم والتاريخ؛ وكان هؤلاء يصغون إليه ويتلمسون في نصوصه حلولاً لمشكلات العالم في الماضي والحاضر والمستقبل؛ رغم أن سلاّ م كانت تعود غالباً فارغةً. وما كان علماءُ الكتاب المقدس ليجدوا مهمةً أولى في مجال تخطيطهم للمستقبل من العودة لدراسة المسألة انطلاقاً من نصوص الكتاب"[2].

---

[1] سيأتي تفصيل ذلك في الفصل الثاني والذي يحمل عنوان "الفكر الرؤيوي وتوظيفه في الفهم الخاطئ للإسلام في العصور الوسطى"

[2] سوذرن، [م. س]، ص ٥١.

أما عن قراءة هؤلاء للكتاب المقدس ومحاولتهم للربط بين أحداثه ونصوصه من جهةٍ وبين الدين الإسلامي الذي يمثله محمد، ﷺ من جهةٍ أخرى، فإنما كانت على الدوام تؤدي إلى ما يلي:

١. إنّ محمداً وأتباعه العرب هم أعقاب إسماعيل، ابن الجارية المصرية هاجر.

٢. إن ظهور محمدٍ ودولته الإسلامية القوية وانتصارها إنما هو مقدمةٌ وتمهيد لظهور المسيح الدجال، وفي هذه إشارةٌ واضحةٌ لقرب اية الزمان.

٣. إنّ محمداً ومملكته إنما هما التفسير الحقيقي لمعنى الوحش الرابع الذي ورد ذكره في سفر دانيال[1].

وقد علّق سوذرن على مقارنة هؤلاء للمسألة الإسلامية وربطها بنصوص العهد القديم "بأ ا خاطئةٌ ومضحكةٌ ولكنها تركت آثاراً ضخمةً على تطور فهم أوروبا للإسلام"[2].

ولا يخفى على أي قارئٍ أنّ محاولات الربط والتأكيد على أنّ محمداً والعرب هم أعقاب إسماعيل ابن الجارية المصرية إنما هي محاولةٌ للتحقير والحط من شأن العرب ونبيهم، خصوصاً إذا ما قرأنا الطريقة التي روت ا التوراةُ قصة هاجر وابنها إسماعيل، عليهما السلام، وتفاصيل هذه القصة موجودةٌ في الإصحاح السادس عشر من سفر التكوين وألفاظها صريحةٌ في الحط من شأ ا وشأن ابنها الذي وصفته التوراة بالوحشي ـ حسب الفهم الكتابي لمعنى الكلمة ـ وأوحت بأنه بدوي شرس يرفع يده على الجميع!!! وهكذا انطلاقاً من هذا الربط كان الأوروبيون ينظرون للإسلام ورسوله في العصور الوسطى على أنهم بدو، شرسون، بربريون، مقاتلون أشداء، جاؤوا من الصحراء.

"ويعتبر المؤرخ "بدا" (أو بيدا) العالم الكبير بنصوص الكتاب المقدس في مطالع العصور الوسطى أولَ من أدخل المسلمين في تفسير العهد القديم، وصار الأمر من بعده بمثابة (كليشية) يستعمله الجميع في شروح الكتاب المقدس وخارجها ... وقد ظلّت صورة "بدا" عن المسلمين (السرازانيين) سائدةً لمدةٍ طويلةٍ دون إضافاتٍ ظاهرةٍ"[3]. لقد شكّلت سرعة انتشار الدين الإسلامي في العالم في ذلك الوقت، تماماً كما هي اليوم، ظاهرةً فريدةً أثارت الخوف والقلق في قلوب رجال الكنيسة الغربيين، فعملوا جاهدين على محاربة هذه الظاهرة والحد منها بأن حاكوا حولها

---

(1) أحد كتب العهد القديم، ونرى فيه تجارب ورؤى مر ا دانيال في الأسر البابلي، حيث نجا من وكر الأسد. يذكر السفر أن دانيال بعدما تمكن من تفسير حلـم الملك نبوخذ نصر في الوقت الذي عجز فيه ا وس والسحرة والمنجمين عن ذلك رفعه الملك ليكون كبيرهم (دانيال ٥: ١١) ويعتقد أنه كتب في القرن الثاني قبـل ميلاد المسيح عندما عانى اليهود من الاضطهاد، وليس في بابل. ومما يتميز به هذا السفر أنه خليط من اللغتين العبرية والآرامية الغربية، وفيه أيضاً أكثر من أثنى عـشر كلمة مشتقة من الفارسية.

(2) سوذرن [م. س]، ص ٥١.

(3) سوذرن [م. س]، ص ٥٢.

الأكاذيب والقصص المشوهة والخيالية لصد الناس عن مجرد التفكير في حقيقة هذا الدين وطبيعته فقالوا بأن الإسلام من اختراع محمدٍ وإنه استلهم هذا الدين من الشيطان. وكان هذا القول نقطة البداية التي نسِجت حولها الخيوط، وبنيت عليها الكثير من الأساطير والافتراءات على الإسلام، ونشروها بين الناس وبخاصة في الأوساط المسيحية، لإخافتهم من هذا الدين، ومنعهم من التحول عن دينهم واعتناق الإسلام. و"من هذه الأساطير زعمهم بأن محمداً "صلى الله عليه وسلم" لم يمت في عام ٦٣٢م، كما هو معروف، وإنما في عام ٦٦٦م، حتى ينطبق هذا الرقم على عدد الوحش في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي، الإصحاح الثالث عشر، والذي يقول في أوله: "ثم وقفت على رمل البحر فرأيت وحشاً طالعاً من البحر له سبعة رؤوسٍ وعشرة قرونٍ وعلى قرونه عشرةُ تيجانٍ وعلى رؤوسه اسم تجديف". وفي ايته يقول: [وأن لا يقدر أحد أن يشتري أو يبيع إلا من له السمة أو آسم الوحش أو عدد اسمه، هنا الحكمة. من له فهم فليحسب عدد الوحش فإنه عدد إنسانٍ، وعدده ستمائة وستة وستون][1].

"وقد حرفوا اسم هذا الوحش وأطلقوا عليه "ماهاوند Mahound" حتى يصبح محمد "صلى الله عليه وسلم" في نظرهم تجسيداً للشيطان. إن اسم "ماهاوند" أو "ماهون Mahun" بالفرنسية و"ماهمت Mahmet" بالإنجليزية، أو "ماتشميت Machmet" بالألمانية، كانت جميعها مرادفةً لكلمة عفريت وشيطان وصنم ابتكرها كُتاب مسيحيون، صِيغت حولها قصص أسطوريةٌ ورومانسيةٌ في أوروبا إبان القرن الثاني عشر. وفي هذه الكتابات لم يظهروا فيها محمداً نبياً، وإنما صوروه على أنه صنم ووثن عبده العرب"[2]. وليس من قبيل المبالغة أن نؤكد هنا على أنّ قدراً كافياً من العلم عن طبيعة وحقيقة الإسلام كان متوفراً لدى علماء العصور الوسطى وذلك من خلال توفر بعض ترجمات القرآن الكريم والكثير من الأحاديث النبوية والتاريخ الإسلامي[3]، إلا أنّ هؤلاء ومن كان وراءهم من رجالات الكنيسة كان يصرون على فهم الإسلام والتعرف عليه من خلال الكتاب المقدس وبالذات العهد القديم منه، والذي كان ولا زال حتى الساعة، ملْهماً لهم في تدوين أبرز أحداث تاريخ العالم!!! "ومن ذلك أنهم فسروا أحداث زما م طبقاً لإشاراتٍ وردت فيه، فقد فسروا، على سبيل المثال، ظهور الإسلام بأنه ظهور نقيض المسيح وعدوه. وقد وجدوا ما يثبت زعمهم هذا في كتا م المقدس، وبالتحديد في (سفر دانيال، الإصحاح السابع الفقرات ١٥ – ٢٥)

---

(1) الفرا، محمد علي، الإسلام والغرب مواجهةٌ أم حوار، ص ٥٠، ط١، ٢٠٠٢، دار مجدلاوي للنشر، الأردن.

(2) المرجع السابق نفسه، ص ٥٠.

(3) سيأتي تفصيل ذلك لاحقاً في الفصل الثالث.

والتي جاء فيها "أما الحيوانُ الرابع فتكون مملكةً رابعةً على الأرض مخالفةً لسائر الممالك فتأكل الأرض كلّها وتدوسها وتسحقها. والقرون العشرة من هذه المملكة هي عشرةُ ملوكٍ يقومون، ويقوم بعدهم آخر، وهو مخالف الأولين، ويذِل ثلاثةَ ملوك، ويتكلم بكلامٍ ضد العلي، ويبلي قديسي العلي، ويظن أنه يغير الأوقات والسنة ويسلمون ليده إلى زمانٍ وأزمنة ونصف زمان".

وبموجب فكر العصر الوسيط فإن الحيوان الرابع يتمثل في الإمبراطورية الرومانية التي جاءت بعد إمبراطوريات: الأشوريين والفرس واليونان، وأن القرون العشرة للمملكة هم البرابرة الذين غزوا أوروبا، ومن بعدهم جاء أتباع محمدٍ، ﷺ، الذين اكتسحوا اليونان والفرنجة والقوط، وأ م مختلفون عن البقية، وأ م غيروا الأوقات والقوانين"[١].

يستفاد مما سبق أن الكنيسة الغربية وافقت ودعمت محاولات فهم الإسلام والتعرفِ عليه من خلال الكتاب المقدس وكان خلاصة ما انتهت إليه تلك المحاولات أن محمداً هو عدو المسيح أي أنه المسيح الدجال الذي يعتبرون قدومه وكثرة انتصاراته الدنيوية دلالةً على اقتراب اليوم الآخر. والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو هل كان لهذه التفسيرات والتأويلات إنعكاس حقيقي أو أثر ملموس في أوروبا في تلك العصور الوسطى؟ الجواب هو قطعاً نعم. فقد خرجت فتاوى هنا وهناك في أنحاء أوروبا وبالذات في إسبانيا تشجع على مسبة وشتيمة "محمد" أو "المسيح الدجال" وكانت تلك الفتاوى والتي شجعها رجال من أمثال باول ألفاروس وأوجيليو[٢] بدايةً لتاريخ مؤلمٍ محزنٍ مريرٍ من العلاقات بين المسلمين والمسيحيين الغربيين. وقد بدأ ذلك بالهجوم على شخص الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في إسبانيا، التي كانت الأندلس المُسلمة آنذاك، "ففي عام ٨٥٠م خرج راهب يدعى "بيرفكتوس" إلى السوق في قرطبة، وكانت عاصمة دولة الأندلس المسلمة، حيث لقيه بعض العرب الذين سألوه أن يفَاضل بين النبي عيسى والنبي محمدٍ. وأدرك "بيرفكتوس على الفور أن بالسؤال شركاً نصب له، لأن قانون الإمبراطورية الإسلامية كان يقضي بإعدام من يسب النبي محمداً، ومن ثم التزم الحذر في إجابته أول الأمر ولكن زمامه أفلت فجأةً فانطلق يصب وابلاً من الشتائم؛ فزعم أن نبي الإسلام دجالٌ ومولع بالجنس بل وأنه المسيح الدجال نفسه ... وسرعان ما ألقي به في السجن ... وعندما وصل "بيرفكتوس" إلى السجن، كان يرتعد فرقاً ورعباً، ولكن القاضي قرر ألاّ يصدر حكماً بإعدامه، إذ رأى

---

[١] الفراء، [م. س]، ص ٥٢، ٥٣.

[٢] سيأتي الحديث عنهما لاحقاً في الفصل الثاني.

أنه كان ضحية استفزازٍ ظالمٍ من المسلمين، ولم يلبث "بيرفكتوس" في غضون أيامٍ معدودةٍ، حتى أفلت زمامه من جديد فطفق يسب نبي الإسلام سباباً بذيئاً، لم يطق القاضي إزاءه إلا تطبيق القانون بكل صرامة. ونفذَ حكم الإعدام في الراهب، فإذا بجماعةٍ من المسيحيين، الذين كانوا ــ فيما يبدو ــ من زعانف المجتمع، يمزقون أوصاله ويضفون هالةً من القداسة على رفات "شهيدهم" وبعد أيام مثُلَ راهب آخر يدعى "إسحق" أمام القاضي وأخذ يسب محمداً ودين محمدٍ بحرارةٍ جعلت القاضي يظنه مخموراً أو مختل العقل، فصفعه على وجهه ليعيده إلى صوابه، ولكن إسحق استمر في السباب، فلم يجد القاضي بداً من وضع حدٍّ لمثل ذلك الانتهاك الصارخ للقانون"[١].

وقد اشتهرت هذه الحادثة في **التاريخ المسيحي باسم ظاهرة "شهداء قُرطبة".** وهذه الظاهرة إنما هي انعكاس حقيقي وواضح للتأويلات والتفسيرات الكتابية التي سبق الحديث عنها، وكانت تلك التفسيرات المستند الداعم لصيحات التهجم والشتم التي استهدفت شخص رسول الله، ﷺ، كيف لا "وقد صور الجهلُ والوهم للأذهان التي سيطر عليها الرعب أنّ محمداً دجال كاذب، نصب نفسه نبياً ليخدع العالم، وصور لها "الجهلُ" أنه فاسق يستمرئ الفسق البذئ ويدفع أتباعه إلى محاكاته، وصور لها "الوهم" أنه كان يجبر الناس على اعتناق عقيدته بحد السيف. وانتهت هذه الأوهام إلى القول بأن الإسلام ليس ديناً مستقلاً مـ ـلاً، بل بدعةً، أو صورةً مشوهةً من صور المسيحية، وأنه دين عنفٍ يؤمن بالسيف ويمجد الحرب والقتل. وقد سمع البعض أنباء شهداء قرطبة في مناطق أخرى من أوروبا، بعد أن انطفأت شعلة الحركة، ولكن هذه الأنباء لم تحدِث صدى يذكر"[٢].

وبمناسبة الحديث عن الجهل فإن ذلك ينقلنا للعامل الثاني من عوامل فهم الكنيسة الغربية للإسلام.

ثانياً: الجهل بالإسلام

يعتبر الجهل بالإسلام، في تقديرنا، أبرز وأهم العوامل التي صاغت صورة الإسلام في ذهن الكنيسة الغربية حتى يومنا الحاضر، وليس هذا الجهل بالإسلام راجعاً لتواضع إمكانيات الكنيسة الغربية وعدم قدر ا على بعث من يذهبون إلى الجزيرة العربية للتعرفِ على حقيقة دعوة الإسلام، لا ولكن ذلك راجع إلى عدم اهتمام هذه الكنيسة والقائمين عليها، في ذلك الوقت على الأقل، بمعرفة عقيدةٍ مغايرةٍ للعقيدة الكاثوليكية، و"كان الكثير مِن أتباع هذه الكنيسة يعتقدون بأن الدين الجديد لمّا كان غير مسيحيٍ فإنه لابد أن يكون وثنياً، ولمّا كان المسيحيون الكاثوليك

---

[١] أرمسترونج، كارين، سيرة النبي محمد، ترجمة فاطمة نصر ومحمد عناني، ص ٣٢، ٣٣، ط١، ١٩٨٩، دار الكتاب العربي، القاهرة، باختصار وتصرف.

[٢] آرمسترونج، [م. س] ص ٣٣، بتصرف.

يعبدون مؤسس العقيدة المسيحية فإنّ المسلمين يعبدون محمداً مؤسس العقيدة الإسلامية!!![1] ويشبه سوزرن الجهلَ الناجم عن ضيق الأفق بأنه "نوع من الجهل مثل ذلك الذي يـ ل بالسجين؛ إنه يسمع ضجيجاً وأصواتاً عاليةً خارج الأسوار ويحاول بفكرته السابقة عن المصادر الموحِدةِ للضجيج والأصوات أن يصيغها بالشكل المناسب. ففي القرون السابقة على العام ١١٠٠م كان المؤلفون الغربيون فيما يتصل بالإسلام في موقع مشابهٍ، فهم لم يكونوا يعرفون شيئاً أبداً عن الإسلام بوصفه ديناً غير المسيحية، لقد كان الإسلام بالنسبة لهم رقماً في قائمة الأعداء الطويلة؛ أولئك الذين يتهددون المسيحية من كل ناحيةٍ. ولم يكن هؤلاء على استعدادٍ للتمييز بين وثنية الأوروبيين الشماليين وتوحيد الإسلام، ولم يكن الإسلام يفترق بالنسبة لهم عن المانوية التي واجهتها المسيحيةُ قديماً"[2].

وبالحديث عن الجهل ودوره فقد أُشِيع حول النبي محمدٍ، ﷺ، في القرون الوسطى قصص تدل بمنتهى الصراحة على جهل الأوروبيين بحقيقة الإسلام ونبوة محمدٍ، ومن ذلك قصةٌ خرافيةٌ مؤداها "أنّ محمداً كان في البداية تلميذاً للراهب النسطوري سرجيوس بحيرا، تلقّى عنه بعض المعلومات الأساسية عن التوراة والإنجيل، وبعد ذلك أعلن نفسه نبياً وكونَ عقيدةً خاصةً به"[3]. ورأى لاهوتيون كثيرون أنّ النبي محمداً هو مطرانٌ أو بطريرك في الأصل؛ تشاجر مع بطريق القسطنطينية فَشكلَ هرطقةً انفصلت تدريجياً عن المسيحية الكاثوليكية الصحيحة"[4]. ولم تكن هذه الفرية وليدة لحظةٍ أو ساعةٍ، بل الأمر خلاف ذلك تماماً حيث ولدت هذه الفرية في بيئةٍ ملائمةٍ ونمت وتطورت واتخذت اشكالاً متعددةً في التعبير عنها، إلا أن هذه الأشكال بقيت تعبر عن جوهرٍ واحدٍ، وهو أن محمداً تلميذٌ لبحيرا النسطوري" أخذ عنه هذه الهرطقة المسيحية وأدخل عليها بعض التعديلات والتطويرات والإضافات وزعم أ ا دين جديد سماه الإسلام. وقد تصدى لودفيغ هاغمان لرصد تطور هذه الفرية خلال فترة تقارب الأربعمائة سنةٍ، نلخصها فيما يلي[5]:

"في مرحلة بداية اللقاء بين الديانتين كان الجهل مسيطراً. وبعد ما لا يقل عن مئة عام من وفاة محمدٍ تحاور في الشرق يوحنا الدمشقي (ولد في عام ٦٥٠م، وتوفي قبل عام ٧٥٤م) مع الإسلام. وكان يدين بمعرفته بالدين الجديد

---

(1) سوذرن، [م. س]، ص ٦٨.
(2) المرجع السابق نفسه ص ٦٨.
(3) جورافسكي [م. س]، ص ٧٠.
(4) سوذرن [م. س] ص ١٢.
(5) هاغمان، لودفيغ، المسيحية ضد الإسلام حوار انتهى إلى الاخفاق، ترجمة محمد جديد، ص ٤٦، ٤٧ بتصرف، ط٢، ٢٠٠٥، قدمس للنشر، سوريا.

لاحتكاكه الشخصي بالمسلمين الذين عاش بين ظهرانيهم ومارس العمل. وفي كتابه (حول الهراطقة) وهو القسم الثاني من كتابه في اللاهوت (ينبوع المعرفة)، يعد الإسلام ضرباً من الهرطقات، لأن محمداً تلقّى معلوماته على الخصوص من راهب آريوسي: وهذا ما يفسر برأي يوحنا أيضاً أن المسيح يطلق عليه في القرآن اسم "الكلمة"، و"الروح" أي "كلمة الله" و"روحه" غير أن ألوهيته يجادلُ فيها. وهكذا رأى في تعاليم محمدٍ بصدد شخص المسيح هرطقةً مسيحيةً ذات طابعٍ أريوسي.

وهذه الأطروحة الخاصة بتأثر محمدٍ براهبٍ مسيحيّ تظل المرةَ بعد الأخرى، تلقى التأييد والاحتضان على مدى التقليد الطويل الخاص بالجدل المذهبي المعادي للإسلام، سواء أكان ذا مصدرٍ بيزنطيٍ أم لاتيني. ومن الممكن أن يكمن أصل تلك الأسطورة عن معلمٍ مسيحيّ لمحمدٍ كان يوجهه، في قصة بحيرا[1] العائدة إلى عصر الإسلام الأول. وقدم الحافز إلى ذلك الا ام الوارد في القرآن، الذي زعموا أنه يرد فيه أن محمداً يتلقى تعليماته من بشرٍ لا يستخدم اللغة العربية [في إشارةٍ منه للآية ١٠٣ من سورة النحل "ولقد نعلم أ م يقولون إنما يعلّمه بشر، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي، وهذا لسان عربي مبين"] ففهموا الآية فهماً خاطئاً.

وفي الروايات البيزنطية واللاتينية اللاحقة يصبح الراهب الأريوسي الذي ورد الحديث عنه عند يوحنا الدمشقي: سرجيوس / سركيس ونسطوريوس، وجيورجيوس، ونيقولاوس ويوحنا ... الخ، وهو يظهر أيضاً نسطورياً. كما يظهر من أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة، كما يظهر أيضاً أريوسياً. بل يظهر أيضاً مرتداً، وحتى مؤلفاً للقرآن. وفي هذا الصدد كان ينظر إليه، أكثر ما ينظر، على أنه نسطوري ويصور على أنه مصدر غامض لمعلومات محمد.

وفي مستهل القرن التاسع يتحدث ثيوفانس في استئنافٍ لتاريخ صديقه جيورجيوس سينكيللوس بالتفصيل عن نشوء محمدٍ وإقامته بين ظهراني اليهود والنصارى وأصبح هذا التاريخ الذي بات معروفاً جداً في القرون الوسطى، في ترجمته اللاتينية التي تحمل اسم (ثلاثية الحوليات) بقلم اناستازيوس المكتبي (المتوفي عام ٨٧٩م) ذا أهميةٍ بالغةٍ عند الغرب أيضاً. وفيه يجري الحديث على النحو ذاته عن راهبٍ هرطوقي.

ومع بداية الحروب الصليبية في عام (١٠٩٦م)، وانحسارها، تزداد معلومات اللاتين عن الإسلام ومؤسسه ونصادف أسطورة تأثر محمدٍ بالمسيحية عن طريق راهبٍ من الهراطقة في أكثر الأشكال تنوعاً: فمحمد يظهر ضحيةَ

---

[1] كلمة سريانية تعني المتبحر في العلم

راهبٍ حاول عبثاً أن يطمح إلى منصب بطريرك القدس، ثم يظهر على إثر ذلك ساحراً في ليبيا، ويجري الحديث عن زاهدٍ لم يفلح في الحصول على منصب بطريرك بسبب هرطقته، ثم مارس تأثيره على محمد. ولأول مرةٍ في الغرب اللاتيني يذكر بطرس المبجل (١٠٩٤م – ١١٥٦م)، رئيس دير كلوني ومفتتِح الدراسات الإسلامية الغربية، في رسالته إلى برنارد فون كليرفو (١١٥٣ – ١٠٩٠) اسم راهبٍ نسطوريٍ، هو سرجيوس، على أنه مصدر لمعلومات محمد ويقول إن سرجيوس / سركيس هذا جادل في ألوهية المسيح وكسب محمداً إلى جانبه في هذا الاعتقاد.

وفي العصر الذي تلا ذلك تختلط روايات شتى: إذ يظهر سرجيوس راهباً هرطوقياً، ومرتداً، ومغوياً لمحمدٍ"[1]...

هكذا إذاً ولدت وتطورت هذه الفِريةُ السخيفة التي لا زالت قائمةً حتى الساعة تحتضنها وتدعمها الكنيسة الغربية التي لا زالت حتى هذه اللحظة ترفض الاعتراف بالاسلام كدينٍ سماويٍ موحى به وذلك استناداً إلى إنكارها لنبوة محمدٍ، ﷺ، وطعنها المستمر في نبوته المزعومة المدعاة!!! إنه عداءٌ له تاريخ وإ ا أحقاد متوارثةٌ، وإنه لتراثٌ من الجهل والتعصب والعمى كان الهدف منه ولا زال الطعن في هذا الدين الجديد "وتصويره على أنه غير أصيلٍ وغير عريقٍ، بل على أنه صدى لتوجيهٍ مسيحيٍ مطبوعٍ بطابع الهرطقة، ووصمه، بذلك على أنه تزييف"[2]. ولقد عمدت الأوساط الكنسية والعملية الأوروبية إلى اختلاق هذه الفرية ـ التي لا زلنا نصمم على وصفها بالسخيفة ـ بعد أن عجزت عن إقناع الشعوب الأوروبية بأنّ السحر وممارسةَ محمدٍ له هو السبب في سرعة انتشار الإسلام آنذاك، في ذات الوقت الذي كنا نرى فيه التقلّص والانكماش المفاجئ للعالم المسيحي بسبب انتشار الإسلام في مجال البحر الأبيض المتوسط، وفتحه إسبانيا وبعض البلدان في الشرق الأوروبي حتى حدود النمسا، ولمّا لم تلق فريةُ محمد (ﷺ) الساحر والمشعوذ إقبالاً عند الجماهير في أوروبا تمّ اللجوء إلى القول بفرية الهرطقة النسطورية المسيحية، خصوصاً وأنّ هذه الفرية كان لها ما يبررها في العقلية الغربية؛ وكيف لا؟ وقد عاش محمد (ﷺ) في شبه جزيرة العرب، تلك الجزيرة التي ضمت العديد من المسيحيين الذين كانوا ينتمون لمذهب الطبيعة الواحدة للمسيح والعديد من المسيحيين الذين يعتنقون المذهب النسطوري المؤمن بطبيعتين منفصلتين للمسيح، إلهيةٍ وبشريةٍ. فما الذي يمنع الفرضية القائلة بإمكانية التقاء محمدٍ (ﷺ) ببعضٍ من بقايا هؤلاء؟؟

---

(1) هاغمان، [م. س]، ص ٤٦، ٤٧، بتصرف.

(2) المرجع السابق نفسه، ص ٤٨.

"وكان محمد مؤسس الإسلام الذي عاش ما بين ٥٧٠ – ٦٣٢م، أول الأمر، يشاطر أهل بلده النظرات العقدية القديمة المتوارثة من جيلٍ إلى جيلٍ، حيث بدا أن التصورات الدينية اليهودية والمسيحية، كان من الجائز أن تكون معروفةً لديه نتيجةً للمعطيات المتوافرة في مسقط رأسه، مكة، عن طريق الرواية، ولو بصورٍ مختلفةٍ. فالقوافل، والتجار الذين كانوا يرتادون أشهر الأسواق هناك، وكذلك الأعياد التي كانت تقام في مسقط رأسه وتجذب الناس إليها سنوياً من كل حدبٍ وصوبٍ، جعلت من مكة بوتقةً لمختلف التصورات الدينية، ومركزاً تجارياً وروحياً بين سورية في الشمال واليمن في الجنوب"(١).

هكذا وعلى هذا الأساس الفرضي التاريخي بنيت فرية الهرطقة المسيحية التي قُذف ا خير البشر صلّى الله عليه وسلم .

ثالثاً: الخوف من الإسلام

من أسباب الخوفِ من الشيء الجهل به. وقد ارتبط خوف المسيحيين الغربيين، بشكلٍ عامٍ، من الإسلام بجهلهم بحقيقته، التي حرصت الكنيسة الكاثوليكية على مدار قرونٍ مضت على حجبها عنهم، كما حرصت على عرضه لهم كما تفهمه هي وكما تريده هي مشوهاً، مرعِباً، زائفاً، انتشر بحد السيف وقوة السلاح دون أدنى درجات الإقناع أو المحبة. ويمكن جمع أبرز عوامل الخوف الغربي المسيحي من الإسلام فيما يلي:

١. إنّ وجود الإسلام كان قد أثار في العصور الوسطى الأوروبية إحساساتٍ عميقةً بالخوف والصدمة وعدم الرضا. ومن الناحية الواقعية أحدث الإسلام موجاتٍ غير متناهيةٍ من الشعور بعدم الأمان، وتوقعِ الخطر؛ ليس لأنه كان خطَراً حقيقياً فقط؛ بل لتشكيله عاملاً قوياً لا يمكن حسبان أفعاله وردود أفعاله: فالغرب ما كان يعرف نوايا المسلمين، كما لم يكن بوسعه تحديد أهداف الإسلام الحقيقية.

٢. إنّ مما أثار حفيظة أوروبا المسيحية على الإسلام والمسلمين، وولد الخوف عندهم من هذا الدين وأتباعه، الانتشار السريع للإسلام، وتحولُ الكثيرين إليه واعتناقهم له دون إكراه، وذلك لبساطة تعاليمه، وسمو قيمه ودعوته إلى المساواة بين جميع البشر، بصرف النظر عن أجناسهم وأعراقهم وألوان بشر م وأوضاعهم الاجتماعية، وأعطى

(١) هاغمان، [م. س]، ص ٢٩.

الحق للعبيد لتحرير أنفسهم بشراء حريتهم، في الوقت الذي كان فيه نظام العبيد سارياً ومتفشياً في العالم وبخاصةٍ في أوروبا، حيث غضت المسيحية الطرف عنه.

٣. أُصيب الأوروبيون بالرعب من الفتوحات الإسلامية، وخشوا على مصير الدولة البيزنطية التي اعتبروها خطهم الدفاعي الأول في مواجهة الشرق. صحيح أن هذه الدولة كانت تحسب الحساب لندها الدولة الفارسية، إلا أ ا لم تكن تشعر بأ ا تشكل خطراً على كيا ا وعلى الشعوب الأوروبية الخاضعة لنفوذها، وبخاصةٍ بعد أن ذهبت رياحها، واضمحلّت قو ا ولم تكن ترى في يوم من الأيام أ ا ستكون خطراً على عقيد ا المسيحية، ولكن اندفاع الجيوش الإسلامية، واجتيازها لحدودها أشعرها وللمرة الأولى بالخطر الحقيقي، ما دام الهدف الاستيلاء على أجزاءٍ من إمبراطوريتها، ونشر عقيدةٍ غير عقيد ا تعتبرها نقيضةً لدينها. وإذا كانت هي تحارب المذاهب المسيحية الأخرى المخالِفة لها وتضطهد كل من يعتنقها أو يؤمن ا، فكيف لا تخاف من دينٍ جديدٍ، جاء، كما اعتقدت، لينسخ المسيحية كلها ويهددها بالزوال؟.

٤. لقد ظن الغربيون بأن فتح العرب المسلمين لبلادهم ما هو إلا غزوة طارئة من أقوامٍ حل ا القحطُ، أو شكت من مجاعةٍ أو واجهت الشح في عيشها فلم تجد وسيلةً تخفف بلو ا إلاّ بالإغارة على المناطق الزراعية الخصبة. ولكن سرعان ما خاب ظنهم بعد أن شاهدوا انطلاقة الإسلام يكتسح العوائق والعقبات التي تعترض طريقه، ورأوا المسلمين يقبلون على الجهاد، لا طمعاً في المكاسب والمغانم، وإنما طلباً للشهادة، وفوزاً بالجنة التي وعِد ا ا اهدون ا، بل لقد امتلأت قلو م بالإيمان ونفوسهم تشبعت بالإسلام فزاد ذلك من مخاوفهم وحولها إلى قلقٍ مستمرٍ دائم.

وإضافةً لما سبق من عوامل الخوف الغربي المسيحي من الإسلام من النواحي العسكرية، فإن هنالك عوامل أخرى ساهمت في صياغة هذا الخوف والتأسيس له منها عوامل حضارية وأخرى دينيةٌ عقديةٌ.

أما عن العوامل الحضارية فتمثّلت في أنّ الإسلام حقّق خلال قرونه الأربعة الأولى تطوراً ثقافياً وعلمياً وحضارياً لم تستطع أوروبا المسيحية تحقيقه إلا عبر عصورٍ متطاولةٍ من النضوج البطيء والمتردد، وقد أدى ذلك كله إلى تقرير الفرق الأساسي بين حضارة العالمين الإسلامي والغربي اللاتيني؛ "وهو الفرق بين حضارةٍ نمت وتطورت ببطءٍ وعلى أمداءٍ طويلةٍ، وأخرى بلغت أوان النضج بسرعةٍ بالغةٍ. ويرجع ذلك إلى أسلوبي الحياة المختلفين تماماً في

الحضارتين. ثم إنه إلى جانب البنية الاجتماعية المتمايزة في العالمين، كان هناك تمايز واضح في الميراث الحضاري. فعندما ٍاوت حضارةُ العالم القديم، كان الإسلام الوارث الرئيسي للعلم والفلسفة الإغريقيين، في حين ورث الغرب المتبربر الثقافة الرومانية. وقد صور ريتشارد فالزر هذا التضاد في الميراث في مقالٍ معروفة، أوضح فيها تسلل الفكر الإغريقي من خلال المدارس الهللينيستية[1] إلى بلاطات الإسلام ومدارسه؛ حيث جرى التوفيق بينه وبين الإسلام وثقافته. وهذا الحدثُ هو أخطر ما كان في التاريخ الثقافي، كما كان صعود الإسلام باعتباره قوةً سياسيةً عاليةً أخطر الأحداث في تاريخ المؤسسات والنظم. لقد كان الإسلام الوسيط يفيض ازدهاراً وثراءً في ا الات كلها؛ بينما كان الغرب في الحقب نفسها لا يملك غير ثقافة آباء الكنيسة، والشعراء الكلاسيكيين ومن بعدهم، وثقافة مدرسي اللاتين. وقد كانت أعمالُ هؤلاء بالغة الضخامة والتنظيم؛ لكنها في عالم العصور الوسطى المبكرة لم تترك آثاراً ضخمةً. ويبدو أنّ الأمر بالنسبة للغرب كان شديد الإيلام إذا ما قورن ما كان يملكه الإسلام في عالم الثقافة من أعمالٍ بما كانت تملكه أوروبا في العصر نفسه. وقد أدرك العلماء اللاتين في القرن الثاني عشر التفاوت الهائل بين ثقافة الغرب المسيحي والإسلام الوسيط، وشكل ذلك صدمةً قاسيةً لهم"[2].

أما عن العوامل الدينية العقدية فتتمثّل في أنّ الإسلام قد قال بالله الواحد الأحد، القادر، مبدع الأكوان، لكنه أنكر التثليث وتجسد الإله، والطبيعة الإلهية للمسيح ... كما قال الإسلام بخلود الروح، وبيوم الحساب الذي يؤجر فيه الصالح ويعاقَب الطالح ... لكن ماذا يستطيع المسيحي الأوروبي أن يقول عن دينٍ ينكر ألوهية المسيح، كما ينكر واقعة صلبه، ويعترف في الوقت نفسه بولادته من عذراء، كما يرى نبوته وأنه مرسلٌ من الله؟! وقد قال الإسلام كالمسيحية، بالثواب والعقاب ولكن مع اختلافٍ في الكيفية ... "إنّ عقيدةً بدون كنيسةٍ ولا أسرارٍ أمر ربما أمكن فهمه؛ لكن هذه الخصيصة التي يتميز ا الدين الطبيعي، ترتبط بما يناقضها في عقل الغربي الوسيط عندما يجري ربطُها بكتابٍ مقدسٍ هو القرآن، رأى الأوروبيون أنه يتضمن الكثير مما يناقض صور م عن الدين. ثم إنّ هذا الدين دعا إليه

---

(1) الهلينيستية مستمدة من كلمة هيلين وهي الاسم العرقي الذي يطلقه اليونانيون على أنفسهم) هي فترة متأخرة من الحضارة الإغريقية، وتمتد منذ أوائل القرن الرابع قبل الميلاد وحتى القرن الخامس الميلادى. وفى هذه الحقبة أصبحت الثقافة الاغريقية ملكا مشتركا بين جميع بلدان البحر المتوسط وكانت اليونانية لغة العلم في ذا ـ لك الوقت والهيلينستية هي ثقافة مركبة من عناصر يونانية وشرقية حمل فيها الاغريقيون إلى الشرق الفلسفة ولقح فيها الشرقيون حضارة اليونان بروحانية الشرق ونظمه وعلمه . يقول بعض المؤرخين مثل تارن في كتاب الحضارة الهيلينستية أن الحضارة الاغريقية تنقسم إلى مرحلتين الأولى هلينيك اى المرحلة اليونانية البحتـ ـة وتـ ـضم مرحلتى النشأة والنضج والازدهار وتشمل العالم اليونانى وحضارته منذ الغزو الدوري وحتى الاسكندر الأكبر والمرحلة الثانية هي هيلينستك اى المرحلة الهيليني ـ ستية وهي مرحلة يونانية متأخرة وتشمل البقاع التي تألفت منها امبراطورية الاسكندر وتشمل بلاد اليونان والممالك الشرقية بعد غزو الاسكندر لها.

(2) سوذرن، [م. س] ص ٤٣، ٤٤.

رسولٌ اعتاد الأوروبيون منذ بدايات العصور الوسطى على النظر إليه باعتباره رجلاً عاش حياةً غير حميدةٍ، وكان غارقاً، في نظرهم، في حمأة الدنيا وشهوا ا"[١].

نعم إنّ هذا هو الذي حدثَ بالضبط، قدوم دينٍ جديدٍ إلى أرض الكنيسة الغربية الكاثوليكية يناقض كل ما تؤمن به وتحمله من عقائد، دين تميز بسهولة تعاليمه وتشريعاته على عكس الكنيسة الغربية، وببساطة عقيدته وموافقتها لكلٍّ من العقل والفطرة البشرية، على العكس من الكنيسة وعقيد ا، نعم لقد كان الإسلام وبما يحمله وما يمثّله أخطر عوامل الرهبة والإرهاق للكنيسة الغربية وعلى المستويات كُلها.

ونختم الحديث عن هذه العوامل الدينية بقولنا إنّ الكنيسة الكاثوليكية كانت ولا زالت مصممةً على عدم التسامح مع الإسلام وأتباعه على الأرض الأوروبية، محجِمةً عن دراسته وفهمه دراسة المحايد الراغب في معرفة الحقيقة، خوفاً على وجودها وكينونتها لأنها تعلم على اليقين أنه البديلُ الحضاري الوحيد الأنسب منها. حتى إنها لم تتسامح مع أولئك الذين يمدحون الإسلام من أتباعها، فكان حالها كحال الأستاذ صامويل جونسون الذي قال في إجابةٍ له على سؤال رجلٍ أبدى إعجابه بانفتاح الفلاسفة القُدامى وتسامحهم في محاورا م ومناظرا م مع خصومهم: "كان بوسع هؤلاء أن يظهروا تسامحاً في مناظرا م؛ لأ م لم يكونوا يأخذون عقائدهم مأخذ الجد [....]. فالذي لا يخاف أن يفقد شيئاً، يستطيع أن يستمع إلى خصمه دوء [...] أما ذلك الذي يعتقد شيئاً هو عزيز عليه؛ فإنه يحس بالتوتر والألم عندما يواجه مناظِراً ينقض ذلك. إن الذي يهاجم عقيدتي؛ ينالُ من ثقتي بنفسي. وبالتالي من هدوئي النفسي، إنّ ذلك الذي يؤمن بدينٍ موحى به يشعر بالغضب الشديد عندما يواجه التشكيك في اعتقاده. إذ في مثل هذه الحالة فإنّ الخصم إنما يسلبه إلى حد ما الأرض التي يقف عليها"[٢].

رابعاً: القصص الخيالية والأناشيد الحماسية والموروث الشعبي

كان من الطبيعي، ونتيجةً لما سبق ذكره من توطدِ الجهل بالإسلام والخوف منه في عقول الأوروبيين من أبناء الغرب المسيحي، شيوع قصصٍ خرافيةٍ وخياليةٍ تغذّي الشعور الشعبي العام تجاه الإسلام وتعبر عنه بأسلو ا الخاص. وقد كانت هذه الموروثات الشعبية جزءاً من تاريخ الخيال الأوروبي وشطحاته، ولم تكن بحالٍ من الأحوال جزءاً من تاريخ أوروبا الحقيقي الذي دون الوقائع والأحداث، وحفِظها كما وقعت وكما هي. وكان من أبرز ذلك أغنية

(1) المرجع السابق نفسه، ص ٤٠، ٤١ باختصار وتصرف.

(2) المرجع السابق نفسه، ص ٣٨.

رولان أو (أغنية عن رولان)[1]، وهذه الأغنية (أو بالأصح الملحمة الشعبية) "نظمها شاعر الكنيسة القسيس "كونراد" قُبيلَ الحروب الصليبية، بمدةٍ قليلةٍ، وبالتحديد في عام ١٠٨٠م، فكان لها تأثير كبير في إلهاب العواطف العدائية في أفئدة الأوروبيين مما جعلهم يرددو ا في كل مناسبةٍ.

"لقد ترجمت أنشودة رولان إلى سائر اللغات الأوروبية، فأصبحت شائعةً في فرنسا وألمانيا وإيطاليا. وقد كان لها من الذيوع وبعدِ الصيت ما حمل كثيراً من نحّاتي الهياكل على نحت تماثيل لرولان ولرفيقه أوليفيه على مداخل الكنائس الكبرى في مدن أوروبا المختلفة"[٢].

ومن الجدير ذكره هنا أن أنشودة رولان الحربية نظمت بمناسبة حادث هجومٍ وقع على مؤخرة جيش الفرنجة كان يقوده شارلمان بنفسه ضد مسلمي إسبانيا، وحين كان هذا الجيش عائداً من الغزوة عن طريق جبال البرانس، انقض فريق من فرسان المسلمين على مؤخرته التي كانت بقيادة رولان ابن أخ شارلمان، فأبادوها عن بكرة أبيها، فعم الحزن وانتشر بين جميع الفرسان في أوروبا المسيحية. وتصف هذه الأنشودة نضال رولان وتفانيه في الدفاع عن المؤخرة واستبساله في مقاومة هجمات أعدائه الهائلة. وكان من أبرز ما اشتملت عليه هذه الأنشودة وخصوصاً في الأبيات ٢٥٨٠ – ٢٥٩١ ما يلي:

١. تصوير المسلمين من أعداء شارلمان ورولان في صورة عابدي الأصنام، وهم يركعون أمام ثلاثة آلهة هي "أبولو"[٣] و"تيرفاجان (أو ووترفونيوس)[٤] ومحمد (ﷺ)، وإن كانوا على ذلك، جنوداً شجعاناً، يسعد المقاتل بمنابذ م.

٢. وصف المسلمين بأ م "الشعب الذي لا يروى تعطشه إلا بسفك الدماء، والذي لعنه رب السماء... فهم كفرةٌ وكلاب ... وخنازير فجرة ... وهم عبدة الأصنام التي لا حول لها ولا قوة ... الذين لا يستحقون إلا أن يقتلوا وتطرح جثثهم في الخلاء، فهم إلى جهنم دون أدنى شكٍّ.

---

[1] أغنية عن رولان أو أغنية رولان (chanson de Rolland) قصيدة غنائية فرنسية ظهرت في القرون الوسطى، طُورت وعدلت مراتٍ كثيرة فكان شكلها الأكثر اكتمالاً من تحرير اكسفورد حوالي ١١٧٠م. موضوعا ا التاريخية تقوم على سرد الحكايات البطولية حول حروب كارل العظيم (أو الكبير)، بطل هذه الملحمة الغنائية، الذي يجسد الشجاعة والوطنية.

[2] الفرا، [م. س]، ص ٢٩.

[3] أبوللو أو أبولون (Apollon). يعد عند الإغريق إلهاً لكل ما هو خير وجميل كحفظ واحترام القانون وإسعاد الناس، والتخفيف عن ذوي الـ ضمائر المعذبـ ـة. وكان إلهاً للرماة وللطب، ويستغاث به في كثير من المدن لاسيما في دلفي حيث كان وحيه يكشف الإرادة الإلهية للكهنة الذين يؤدو ا للناس. وكان أيضاً إله الموسيقا والشعر ورئيس ربات الشعر.

[4] تروفونيوس (Trophonios) هو ابن الإله (أبولون) تروي الأسطوة أنه اشترك مع زوج أمه آغاميد في بناء معبد أبوللو في دلفي وسواه، لكن زوج الأم غدر به وقتله فابتعلته الأرض، ثم أصبح مؤلهاً، واختص بمهبط ريح في بيوتيا حيث تقيم روحه في نفق (أو كهف) يدخله المستشيرون فيقدمون قرابينهم ثم ينامون على أمل أن يتلقوا وحي هذا الإله الأرضي.

٣. قول الشاعر المؤلف القس "كونراد" عن الشعب المسلم: "إن أولئك جميعاً دون استثناءٍ حزب الشيطان اللئام، خسروا الدنيا والآخرة، وحل عليهم غضب الله، فبطش م روحاً وجسداً، وكتب عليهم الخلود في جهنم أبداً"[(١)]!!.

٤. إن السبب المباشر لهزيمة المسلمين في هذه المعركة على يد الملك المسيحي كان نتيجةً لسخطهم وحقدهم وكُفرهم، وأ م لما هزموا سحبوا أصنامهم من الكهف وحطّموا تمثالي "أبوللو" و"وتروفونيوس"!!! وقد علّق "أليكسي جوارفسكي" على هذه الملحمة الشعبية الأوسع والأكثر انتشاراً في أوروبا آنذاك قائلاً: "وللحقيقة يجب القول: إن تلك الأساطير المختلَقة تمثّل سخريةً مأساويةً لأن النبي محمداً الذي حارب أكثر من أي مخلوقٍ آخر عبادةَ الأوثان، والذي حطم جميع أصنام الكعبة، يتحول في تصور المسيحيين إلى صنمٍ يؤلّهه أتباعه" الذين يطلقون عليهم إزدراءً واحتقاراً لقب "عبيد سارة" أو "أبناء الجارية"[(٢)]. ولقد شهد على هذه الفترة السوداء التي شاعت فيها هذه القصص والحكايات عن الإسلام والمسلمين عدد لا بأس به من كبار المؤرخين والمُستشرقين الأوروبيين الذين دونوا خلاصة هذه القصص الشعبية التي لا زالت عالقةً في الذهن الأوروبي إلى يومنا هذا. وقد جمع شهادا م الأستاذ المبدع محمد عمارة في كتابه الأخير ومهد لذلك بالقول[(٣)]: "وبشهادات علماء الغرب، الذين قارنوا بين حقيقة الإسلام وبين الصورة البائسة والكريهة والشوهاء التي صنعتها المسيحيةُ الغربية لهذا الإسلام ... فإن الخيال الغربي المسيحي المريض قد أطلق لنفسه العنان في تشويه صورة الإسلام ليشحن العامة والغوغاء في الحروب الصليبية التي شنتها الكنيسة الغربية لإعادة اختطاف الشرق من التحرير الإسلامي". يشهد على هذه الحقيقة المستشرق الفرنسي "مكسيم رودنسون" فيقول:

"لقد حدث أن الكُتاب اللاتين، الذين أخذوا بين ١٠٠٠م و١١٤٠م على عاتقهم إشباع حاجة الإنسان العامي، يوجهون اهتمامهم نحو حياة محمدٍ، دون أي اعتبارٍ للدقة، فاطلقوا العنان "لجهل الخيال المنتصر" فكان محمد (في عرفهم): ساحراً، هدم الكنيسة في إفريقيا والشرق عن طريق السحر والخديعة، وضمن نجاحه بأن أباح الاتصالات الجنسية ... وكان محمد ـ في عرف تلك الملاحم ـ هو صنمهم الرئيس، وكان معظم الشعراء الجوالة يعتبرونه كبير

---

(1) الفرا [م. س]، ص ٣٠ فما فوق بتصرف.

(2) جورافسكي، [م. س] ص ٧٥.

(3) عمارة، محمد. الفاتيكان والإسلام، أهي حماقة أم عداء له تاريخ، ص ٢٨، ٢٩، بتصرف ط١، ٢٠٠٧، مكتبة الشروق الدولية، مصر.

آلهة السراسنة [البدو] وكانت تماثيله (حسب أقوالهم) تصنع من مواد غنيةٍ، وذات أحجامٍ هائلةٍ"[١]. وبشهادة المستشرق الإيطالي "فرانشسكو جابرييلي": "فلقد كانت العصور الوسطى الغربية تنظر إلى ظهور الإسلام وانتشاره باعتباره تمزقاً شيطانياً في صدر الكنيسة المسيحية، وانشقاقاً مشؤوماً قام به شعب بربري"[٢]. وبشهادة المفكر الألماني "هربرت هيركومر" ـ في دراسته عن [صور الإسلام في الأدب الوسيط] ـ: "فإن الأوروبيين ادعوا أن رسول الإسلام كان كاردينالاً كاثوليكياً، تجاهلته الكنيسة في انتخابات البابا، فقام بتأسيس طائفةٍ ملحدةٍ في الشرق انتقاماً من الكنيسة، واعتبرت أوروبا المسيحية ـ في القرون الوسطى ـ محمداً المرتد الأكبر عن المسيحية، الذي يتحملُ وزر انقسام نصف البشرية عن الديانة المسيحية"[٣]. وبشهادة المستشرقة الألمانية "زيغريد هونكة": "فلقد استقر في أذهان السواد الأعظم من الأوروبيين الازدراءُ الأحمق الظالم للعرب، الذي يصمهم جهلاً وعدواناً بأ م "رعاة الماعز والأغنام، الأجلاف، لابسو الخِرق المُهلهلة ... وعبدة الشيطان، ومحضرو أرواح الموتى، والسحرة، وأصحاب التعاويذ وأعمال السحر الأسود، والذين حذقوا هذا الفن، واستحوذ عليهم الشيطان، تحرسهم فيالق من زبانيته من الشياطين ... وقد تربع على عرشهم الذهبي "ما هو مد" "مخميد" ـ وقد ركعت تحت أقدامه قرابين بشريةٌ يذبحها أتباعه قرباناً وزلفى إليه .. فهم الكفرة الفجرة، الذين لا يدينون بالمسيح أو الله؛ لأ م لم يعبدوه بعد .. فهم ليسوا سوى ديدان حقيرةٍ .. وسفلة أوغاد .. أعداء الله .. وأعداء المسيح .. مستبيحو قبر المسيح"![٤].

لقد كانت مساهمةُ الكنيسة الغربية في تكريس الصورة السوداء عن الإسلام كبيرةً فقد "صورت الكنيسةُ الأوروبيةُ رسولَ الإسلام ساحراً كبيراً ... وصورت "قرطبة" في الأندلس على أنها وطن عباد الشيطان، المتوسلين بالموتى، الذين قدموا لمحمدٍ الصنم الذهبي الذي كانت تحرسه عصبةٌ من الشياطين"!! "فبلاد الإسلام هي عالم الخرافات والأساطير وعبدة الشيطان، والسحرة المتضرعين إلى الشيطان ... بلاد الأضاحي البشرية من أجل صنم ذهبي، تسهر على سلامته عصبة من الشياطين، اسمه محمد"!![٥].

---

[١] عمارة، [م. س] نقلاً عن مكسيم رودنسون [الصورة العربية والدراسات العربية الإسلامية] بحث منشور بكتاب [تراث الإسلام] ـ ـ بإشـراف "شـاخت" و"بوزورت" القسم الأول ص ٢٧، ٢٨. ترجمة: د. محمد زهير السمهوري. مراجعة: د. شاكر مصطفى. طبعة الكويت ١٩٧٨م.

[٢] المرجع السابق نقلاً عن: [الإسلام في عالم البحر المتوسط] ص ١٠٤ ـ ١٠٥.

[٣] المرجع السابق نقلاً عن: [صورة الإسلام في التراث الغربي] ص ٢٣، ٢٤.

[٤] هونكة، زيغريد، العقيدة والمعرفة، ص ١٦١، ١٦٢، بتصرف، ترجمة عمر لطفي العالم، ط١، دمشق ١٩٨٧.

[٥] المرجع السابق نفسه، ص ١٦٢، بتصرف.

لقد كانت هذه الصورة السوداء للإسلام في الخيال الشعبي الأوروبي المسيحي تتوهج أحياناً وتخبو أحياناً أخرى. ولم تظهر، ولم تجرِ أيةُ محاولةٍ نقديةٍ موضوعيةٍ لفهم رسالة محمد، ﷺ، وتعاليم الإسلام، بل على العكس من ذلك ظلت الحروب الصليبية حيةً في أوروبا وعززت بالخوف من تصاعد قوة الإمبراطورية التركية في أثناء القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر. ولقد خبت هذه الأساطير الخيالية حيناً من الدهر، لكن كتاب مفكري النهضة الأوروبية أحيوها واستعادوها، فقد صوروا محمداً بأنه ادعى الألوهية، وأنه ماكر وساحر ومنجم وخادع. وعلى الرغم من زيادة احتكاك الغرب بالشرق عن طريق التجار والرحالة والسياح الذين اختلطوا بالمسلمين وتعرفوا على الإسلام، وشاهدوا المسلمين وهم يمارسون عبادا م ورأوا أعمالهم على أرض الواقع، إلاّ أنّ هذا كلّه لم يغير من صورة الإسلام الشائنة التي رسموها ونشروها في أوروبا. وظلّ الأوروبيون ينظرون إلى المسلمين نظرةَ حقدٍ وكُرهٍ وبغضٍ وتحيزٍ.

وقد كان للنبي محمدٍ، ﷺ، نصيب كبير من افتراءات وخيالات هذا القصص الشعبي نالته كلها بالذم والقدح والتحامل على شخصه الكريم والرسالة السامية التي كان يدعو إليها، ومن المؤسف أنّ الكثير من المؤلفين الغربيين ورثوا هذا القصص عن آبائهم وأجدادهم وصاغوا مفرداته في مؤلفا م بأسلو م الخاص ودونوها في كتبهم الحاقدة اللاّموضوعية طبعاً، فحفظوها من الزوال والإندثار. ولما توالت عليهم العصور والأزمان أصبحت مؤلفاتهم هذه مرجعاً ومستنداً يرجع إليه المتأخرون من الأوروبيين، وكان ملخص التراث المدون لهؤلاء عن النبي، ﷺ، ما يلي: "محمد رجلٌ مسيحي الأصل، تزوج أيماً ثريةً، وكان مصاباً بالصرع. وتحدد هدفُه بسحق المسيحية عن طريق اشتراع حريةٍ جنسيةٍ واسعةٍ. "وعلى أساسٍ من هذه المعالم القليلة (والمضلّلة) بنى الغربيون في القرن الثاني عشر بناءً ضخماً من الحكايات. وقد اعتاد المؤلفون اللاتينيون أن يطرحوا على أنفسهم أسئلةً عن محمدٍ الإنسان، وعن أسباب انتشار دعوته، ثم يجيبوا عليها بأنه كان ساحراً استطاع بسحره وسعةِ حيلته أن يقضي على الكنيسة في إفريقية والشرق، وأن يثبت دينه ويغري الناس باتباعه بحريةٍ جنسيةٍ أتاحها لمعتنقي دينه"[(١)].

هذا عدا القصص الآخر الذي أُشيع عن "تأرجح ضريح النبي محمدٍ بين السماء والأرض مغناطيسياً، وهذا كله كان بعد موته الناجم عن افتراس الخنازير له في إحدى نوبات صرعه"[(٢)].

---

(1) سوذرن، [م. س]، ص ٦٦.

(2) المرجع السابق، ص ٦٦، بتصرفٍ واختصار.

وقد كان هؤلاء المؤلفون يأخذون خلاصات القصص الشعبية والأدب الشعبي ويضمنو ا في كتبهم، وكانوا يعترفون بعدم استنادهم إلى مصادر مكتوبةٍ أو موثوقةٍ فيما يكتبونه عن النبي محمدٍ، ﷺ، ومن الأمثلة على هؤلاء اللاهوتي الأوروبي الكبير "غيبرت نوغنت" الذي ذكر بصراحةٍ أنه لم يستطع الاستناد إلى مصادر مكتوبةٍ عن النبي ﷺ. وقال إنّ ما يذكره هو نتاج الرأي العام السائد، ولا يستطيع أن يحدد مدى الصحة أو الخطأ في أخبار الرأي العام؛ لكنه يستطيع القول "إنّ الباحث له الحق في أن يتحدث بشكلٍ سلبيّ عن رجلٍ فاقت سيئاته كل حدٍّ معقولٍ ـ يقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وتقارير النصف الأول من القرن الثاني عشر تختلف من حيث الشكل؛ لكنها تستند بمجموعها إلى المبدأ نفسه تقريباً: حكم الرأي العام، وصورة الرأي العام. وما يأتي بعد ذلك ليس غير خيالٍ محضٍ ومريضٍ في أحيانٍ كثيرة"[1]. ولعل الكلمات السابقة تكتسب أهميةً بالغةً خصوصاً إذا ما تذكّرنا أنّ "غيبرت نوغنت" هذا إنما كان كاتب أول سيرةٍ للنبي محمد ﷺ في أوروبا الغربية في النصف الأول من القرن الثاني عشر.

هكذا إذاً كانت خلاصة تصورات هؤلاء عن رسول الله، ﷺ، **رجل فاقت سيئاته كل حدٍّ معقول!!!** ومن هنا يمكن لنا أن نفهم عبارة سوذرن عن صورة محمدٍ صلى الله عليه وسلم في المخيلة المسيحية الغربية "أما الخطوط الرئيسة للصورة فقد كانت نتاج مخيلةٍ مغرقةٍ في التوهم وتسويغ الذات"[2].

وفي ختام الحديث عن عامل القصص الخيالية والأناشيد الحماسية والموروث الشعبي ودوره في صناعة صورة الإسلام في ذهن الكنيسة الغربية، نذكّر بأنّ هذه الحكايات الشعبية كلها نشأت في البيئات نفسها، التي انتشر فيها القصص الخرافي عن النبي محمدٍ (ﷺ) وعادات المسلمين. وليس هناك شك في أنّ المُبتدعين والسامعين لهذه الحكايا كانوا يتوهمون أ ا حقيقيةٌ ويمكن التصرف على أساسٍ منها "ثم إنّ هذه الأقاصيص الأسطورية اكتسبت بمجرد ظهورها حياةً خاصةً وطريق تطورٍ خاصاً مستقلاً عن إرادة أوائل واضعيها. وجاء الشعر الشعبي الأوروبي ليردد الصورة الخيالية المتكونة عن الإسلام جيلاً بعد جيلٍ دون أن يطرأ عليها تعديلٌ ملحوظٌ. وكان العامةُ ينتظرون من هذه الشخوص الشعبية ـ مثلما هو في الحكايا والمرويات ـ أن تتصرف بطريقةٍ معينةٍ؛ ولذلك لم يطرأ على النموذج الأول المعهود كبير تغييرٍ يمكن أن يخِلّ بالصورة المنتظَرة. **وهكذا بقي الإسلام وبقي نبيه عند الغربي العادي** محبوسين

---

[1] سوذرن [م. س] ص ٦٧ بتصرف.
[2] المرجع السابق نفسه ص ٦٤.

في **الصورة الخيالية الأولى لعدة قرون. وليس سهلاً هنا تحديد الوقت الذي أدرك فيه الجميع أن صور م عن الإسلام والشرق طفوليةٌ تماماً هدفُها الإخافة والاستهزاء"(١).**

خامساً: الحُجاج المسيحيون ودورهم في رسم صورة المسلمين

تحتلُ القدس مكانةً عظيمةً في قلوب أتباع الأديان السماوية الثلاثة، والذي يعنينا هنا هو الحديث عن أهميتها لدى المسيحيين، فقد كانوا يأتون لزيار ا من أقاصي الغرب، دف مسح الآثام والذنوب والتطهر من الخطايا والآثام، وهو ما يسمى بالحج عند المسيحيين.

وتسمى القدس عندهم بالمدينة المقدسة لاعتقادهم أنّ المسيح، عليه السلام، هبط إلى الأرض وتجسد بشراً في مدينة بيت لحم القريبة منها، ثُم رفِع إلى السماء من جبل الزيتون "فكيف لا تصبح المدينةُ مقدسةً بعد أن شهدت خلاص العالم"[٢] على حد مقولة "كيريلوس" أُسقُف أورشليم عام ٣٤٩م.

وكان المسيحيون يعتقدون أنّ الأماكن المقدسة في "أورشليم يمكن أن تعين المسيحيين على الاتصال بالقوة الإلهية، لأ ا – كما يعتقدون – "هي الأماكن التي لَمَس اللهُ فيها عالمنا ومِن ثمّ فقد أصبحت لها قوتها الروحية"[٣]. ومعنى ذلك أنها تمكّن المسيحيين من الشعور بوجود الله عن طريق إزالة الحاجز المكاني، لا الزماني، بينهم وبين حياة المسيح وأنّ المسيحيين عندما يلمسون الأشياء التي لمسها المسيح مثل الصليب والمقبرة بل والأرض التي يقفون عليها نفسها فإنهم يستطيعون أن يتصلوا عبر السنين بالمسيح الغائب.

وكان كيريلّوس يحب أن يقول: "إنّ الآخرين يسمعون فحسب، ولكننا نرى ونلمس"[٤]. فالحجاج الذين يقتفون خطى المسيح حرفياً، ويطأوون الأرض التي وطأها، يجدون أن أحداث حياته التي بعد العهد ا قد أصبحت حقيقةً حاضرةً وماثلةً أمامهم "ويستدرك كيريلّوس قائلاً إنّ المسيح لا يقتصر حضوره على موضع بعينه، فالمسيحيون قادرون على استشعار هذا الحضور في أي مكانٍ في العالم، ولكن زيارة الأماكن المقدسة، تمكّنهم من الوقوف في مكانٍ ما يزال مفعماً بالحضور الإلهي"[٥].

---

(1) المرجع السابق نفسه، ص ٦٥.

(2) آرمسترونج، كارين، القدس مدينةٌ واحدةٌ وعقائد ثلاثةٌ، ترجمة فاطمة نصر ومحمد عناني، ص ٣١٩، ط١، ١٩٩٨، دار الكتاب العربي، القاهرة.

(3) المرجع السابق نفسه، ص ٣٢٠.

(4) المرجع السابق نفسه، ص ٣٢٠.

(5) المرجع السابق نفسه، ص ٣٢٠.

ويستفاد من ذلك كلّه أنّ واحداً من أبرز الدوافع التي كانت تجذب الناس إلى أورشليم في الحج هو الرغبة في مشاهدة ولمس الأماكن التي كان المسيح يحضرها بجسده "وأصبح الحجاج يعودون إلى ديارهم حاملين قطعاً من الصخور أو بعض التراب أو بعض زيت مصابيح الأماكن المقدسة، بل إن أحد الحجاج بلغ به الحماس أن قضم قطعةً من الصليب الحقيقي عندما قَبله في يوم الجمعة الحزينة. كان الناس يريدون أن يمتد تأثير قداسة أورشليم إلى أوطا م ويتوفر في بلد كُلٍّ منهم"[(١)].

وكانت كنيسة القيامة أبرز المعالم التي يزورها الحجاج المسيحيون، لاعتقادهم أنها تضم قبر المسيح. وقد اشتعلت في القرن الحادي عشر الميلادي موجةٌ كبيرةٌ من الحماسة والشوق لأورشليم والأراضي المقدسة، حيث راحت أعداد أكبر من الحجاج من أي وقتٍ مضى تقوم **بالرحلة الشاقة المحفوفة بالمخاطر عبر الأراضي المسلمة إلى الأراضي المقدسة.** وفي أوروبا، أقبل المزيد من المسيحيين، وكما لم يقبلوا من قبل، على تقديم التبرعات والأعطيات إلى كنيسة القيامة، وأوقفوا الكنائس التي شيدوها للقبر المقدس.

لم يحتمل الحجاج المسيحيون الغربيون الذين كانوا يأتون إلى القدس رؤية الأماكن المقدسة تحت الحكم الإسلامي. وكانوا يمتعضون من الإشراف الإسلامي على تلك الأماكن وكانوا عند عود م إلى أوروبا، يتحدثون عن المعاملة السيئة التي كانوا يلقو ا من المسلمين أثناء رحلة الحج ـ كما يزعمون ـ وينادون بتطهير القبر المقدس (القبر المزعوم للمسيح عليه السلام) من دنس المسلمين الكُفار ـ كما يصفو م ـ وينادون بتقديم العون لإخوا م المسيحيين الشرقيين الذين أصا م الذل والهوان في ظل الحكم الإسلامي للشرق، وقد لاقت دعاواهم وشكاواهم هذه آذاناً صاغيةً من الكنيسة الكاثوليكية التي اتخذت من (هذه المزاعم) مادةً لشحن عواطف الناس وتعبئتهم ضد الخطر الإسلامي القادم من الشرق.

ويضاف إلى ذلك أنّ هذه الدعاوى والشكاوى (التي لا زلنا نصمم على وصفها بالمزعومة المختلَقة) قد تزامنت مع الحملات الدعائية المُغرضة التي كانت تستهدف تشويه صورة الإسلام لصد الناس عن الدخول فيه، وهي الحملات التي كان يبرمج لها وينفّذها القساوسة والرهبان في أوروبا. وقد لاقت هذه الدعاوى، كما قلنا، آذاناً صاغيةً

---

(١) المرجع السابق نفسه، ص ٣٣٨.

لدى الكنيسة الكاثوليكية التي أخذت ول هذه الأخبار وتضخمها وتدعو لتحرير قبر المسيح من المغتصبين والكفّار وكانت تلك الدعوى سبباً مباشراً من أسباب الحروب الصليبية.

سادساً: دور الكنيسة الإسبانية في رسم صورة الإسلام والمسلمين

عاشت الكنيسة الكاثوليكية في إسبانيا حرباً مفتوحةً طويلة الأمد في ا ال العقدي ضد الإسلام والمسلمين. "ويمكن القول إن أكثر أخبار وأفكار الأوروبيين عن المسلمين في القرون الأولى للعصور الوسطى إسبانيةُ المنشأ. صحيح أنّ النظريات العامة، والمنظومات الشاملة، وتطورات الأفكار الأولى، جرت كلها خارج إسبانيا تقريباً، بيد أن الدوافع الأصلية إسبانيةٌ في غالبيتها العظمى؛ سواءٌ كانت تلك الدوافع العلمية الطبيعة، أو المستندة إلى رؤى أنبياء الكتاب المقدس .. وربما كان هذا هو السبب في أ م كانوا الأكثر انفعالاً من بين الأوروبيين بالمسألة الإسلامية"[١].

وفي تلك الفترة الزمنية كانت الحضارة الإسلامية في قمة نموها وازدهارها واجتذبت اللغة العربية (لغة الإسلام) الكثيرين من الشباب الإسبان الذين انكبوا على دراستها وتعلّمها وقراءة المؤلفات العربية والأشعار وأعمال المتكلّمين والفلاسفة، لا ليردوا عليها وينقضوها بل ليتقنوا التعبير والكتابة بالعربية "يا إلهي!! كل المسيحيين الشبان الموهوبين يقرؤون ويدرسون بإعجابٍ الكتب العربية. أما الثقافة المسيحية فهم يحتقرو ا ويقولون إنها لا تستحق الاهتمام. لقد نسوا لغتهم. فمقابل المسيحي الواحد الذي يستطيع كتابة رسالةٍ لصديقه باللاتينية؛ نجد ألف مسيحيٍّ على الأقل يمكنهم أن يبتدعوا أشعاراً بالعربية أحسن من أشعار العرب أنفسهم"[٢].

وقد أُطلق على هؤلاء لفظ "المُستعرِبين"، ويبدو أنّ معنى التسمية واضح تماماً. وقد شغلَ هؤلاء "المستعربون" الإسبان بال القائمين على الكنيسة الكاثوليكية الإسبانية طويلاً، مما جعلها تكافح على جبهتين؛ الأولى جبهة مواجهة الوجود الإسلامي على أرضها، والثانية جبهة رد هؤلاء إلى هويتهم ولغتهم الأصلية. ولمّا رأت الكنيسةُ الإسبانية أن محاولا ا لرد هؤلاء إلى "صوا م" كانت بلا طائلٍ، فإ ا عمدت إلى إثارة بعض حركات الاحتجاج ليس ضد الإسلام مباشرةً وإنما ضد رضا العامة من المسيحيين بالحضارة العربية الإسلامية ونتاجها، وكانت تتداول فتاوى في الخفاء تحرض على محاربة المسلمين وشتم رسولهم محمدٍ ﷺ، كما سبق عند الحديث عن ظاهرة شهداء قُرطبة، وقد تزعم هذا الاحتجاج الراهب "أوغيليوس" أكبر علماء المسيحية الإسبانية آنذاك وسانده في ذلك "باول ألفاروس". "وقد كان

---

(1) سوذرن [م. س]، ص 55 بتصرف.

(2) سوذرن [م. س] ص ٥٧، ٥٨.

هذان الراهبان يشجعان ظاهرة شهداء قرطبة ويحاولان العمل على نشرها في المدن الإسبانية كلّها، كما أ ما كانا يعتقدان أنّ السيطرة الإسلامية على إسبانيا إنما هي مقدمةٌ ضروريةٌ لظهور المسيح الدجال"[1]، وكانا يفتيان بأن شهداء قرطبة إنما هم من جنود الله الذين كانوا يقاتلون وبكل استبسالٍ في الدفاع عن عقيد م "كانت حركة الشهداء التي قادها الفارو وأوغيليو تعارض المُستعربين المسيحيين بنفس المرارة التي تعارض ا المسلمين؛ إذ ا متهم بأ م خونةٌ لثقافتهم. وقام "أوغيليو" بزيارة إلى "بامبلونا" في البلدة المسيحية ا اورة، وعاد يحمل كتباً غربية: نصوصاً باللاتينية كتبها آباء الكنيسة، ومؤلفاتٍ رومانيةً كلاسيكيةً. كان يطمح في مقاومة استعراب مواطنيه الإسبان، وإبداع ضةٍ لاتينيةٍ تتوقّد حنيناً وشوقاً إلى الماضي الروماني لبلده، فذلك من سبل إحباط تأثير الثقافة الإسلامية السائدة، ولكن الحركة خبت وتدهورت عندما أصدر القاضي حكمه بإعدام أوغيليو"[2].

سابعاً: عقدةُ الأنبياء الكَذَبة

لقد بنت الكنيسة الكاثوليكية ما أشاعته من أقاويل وأكاذيب حول رسول الله ﷺ على أساسٍ عقدي تمثلَ في أن محمداً (ﷺ) إنما هو واحد من الأنبياء الكذبة الذين يأتون في اية الزمان. وكان المسيح قد حذّر من هؤلاء الأنبياء الكذبة في الفصول الخامس والسادس والسابع من إنجيل متى وبالذات في القسم الأخير في الموعظة على الجبل، وكان مما ورد في ذلك في إنجيل متى (٧: ١٥ – ١٩): "احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفةٌ. من ثمارهم تعرفو م. هل يجتنون من الشوك عنباً أو من الحسك تيناً. هكذا، كل شجرةٍ جيدةٍ تصنع أثماراً جيدةً. وأما الشجرة الردية فتصنع أثماراً رديةً. لا تقدر شجرةٌ جيدةٌ أن تصنع أثماراً رديةً ولا شجرةٌ رديةٌ أن تصنع أثماراً جيدةً. كل شجرةٍ لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار. فإذاً من ثمارهم تعرفو م ... "ليس كل من يقول لي: يا رب يا رب، يدخل ملكوت السموات. بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات. كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم: يا رب يا رب، أليس بآسمك تنبأنا وبآسمك أخرجنا شياطين، وبآسمك صنعنا قواتٍ كثيرةً؟ فحينئذٍ أُصرح لهم: إني لم أعرفكم قط. إذهبوا عني يا فاعلي الإثم".

ولا يفهم من ذلك أن المسيح، حسب نصوص الكتاب المقدس، اتهم كل الأنبياء بأ م كذبةٌ ولكنه أكد على أن هناك أنبياء صادقين وآخرين مزيفين، ومن هؤلاء المزيفين الكَذَبة جاء تحذيره (إحترزوا من الأنبياء الكذبة). ولقد

---

(1) المرجع السابق، ص ٦٣.

(2) آرمسترونج، سيرة النبي محمد [م. س]، ص ٣٥.

ذكر الكتاب المقدس أوصافاً متعددةً يعرف الناس من خلالها هؤلاء الأنبياء الكذبة، ومن هذه الأوصاف أنهم يأتون الناس بشكلٍ غير شكلهم الحقيقي، وهذا واضح في قول المسيح في الآية (١٥) من الفصل السابع من إنجيل متى (يأتونكم بثياب الحملان) وتلك كنايةٌ عن استعمالهم اللّطف والنعومة واللين في أفعالهم وأقوالهم، ولكنهم في ذا م وجوهرهم خلاف ذلك؛ فهم كما وصفهم المسيح (ولكنهم من داخلٍ ذئاب خاطفةٌ) وذلك للدلالة على مهار م الفائقة في خطف نفوس الناس وشدهم وجذ م إليهم. ومن الأوصاف التي يعرف ا الأنبياء الكذبةُ كذلك النتائج السيئة لأعمالهم على الدوام، فقد وصفهم المسيح في الآيات (١٦ – ٢٠) من الفصل السابع في إنجيل متى بقوله (من ثمارهم تعرفو م) ثم سألَ (هل يجتنون من الشوك عنباً أو من الحَسك تيناً؟) وكلامه واضح في دلالته على أعمال هؤلاء؛ فالشوك لا يثمر إلاّ شوكاً والحسك لا ينتج إلاّ حسكاً. ثّم شبه المسيح نتاج أعمالهم الرديئة بالثمار الرديئة التي لا تطرحها إلاّ الشجرةُ الرديئة حين قال: (كل شجرةٍ جيدةٍ تصنع أثماراً جيدةً؛ أما الشجرةُ الرديئةُ فتصنع أثماراً رديةً). وحتى لا نطيل في ذكر تفصيلات الحديث عن الأنبياء الكذبة[1] **فإنّ الكنيسة قد ذكرت أهم وصفٍ يعرف من خلاله هؤلاء الأنبياء الكذبة، ألا وهو إنكارهم لعقيدة الثالوث الأقدس (الآب والإبن والروح القدس) وإنكارهم للصليب والقيامة ولاهوت المسيح وعمل الفداء ويضاف إلى ما سبق من أوصاف الأنبياء الكذبة "ادعاؤهم لمعرفة علم الغيب وظهور العديد من الآيات والعجائب على أيديهم، إضافةً لكو م يقدمون تفسيراتٍ جديدةً مغايرةً تماماً للمعروف والمألوف من تفسير الكتاب المقدس"[٢]**. لقد أسندت الكنيسةُ في تاريخها وصف النبي الكاذب للعديد من الرجال، وذلك حسب تفسيرا ا التي كانت على الدوام تتغير بتغير الزمان والأماكن والأشخاص، **لكن الشخص الوحيد الذي اتهمته الكنيسةُ ذا الوصف منذ ما يزيد على تسعمائة سنةٍ ولا زال هذا الوصف ملازماً له كلما ذُكِر هو الرسولُ محمد** ﷺ، الذي لا زالت الكنيسةُ الكاثوليكية حتى اليوم تتخذُ من الطعن في صحة نبوته مدخلاً للطعن في الإسلام كله، معلنةً دون أدنى حياءٍ أو خجلٍ، كراهيتها لهذا الرجل، عليه الصلاة والسلام "ورغم أن بعض الحضارات حاربت المسلمين، إلاّ أنّ معظم تلك الحضارات لم تحتفظ ـِتراثٍ من الكراهية تجاه نبي الإسلام مثلما احتفظت به دويلات أوروبا وكنائسها. إنّ ـِمن الُملفت للنظر أن العداء المسيحي للإسلام وللنبي ﷺ خارج أوروبا

---

(1) للتوسع في أوصافهم انظر موقع كلمة الحياة www.kalimatalhayat.com / الرد على البدع وكشف القناع (احترزوا من الأنبياء الكذبـة) وانظـر تفسير القديس يوحنا الذهبي الفم لموعظة يسوع المسيح على الجبل (كيف نميز الأنبياء الكذبة) على موقع www.orthodoxonline.org .

(2) مقالة البابا شنودة الثالث (إحترزوا من الأنبياء الكذبة) المنشورة على موقعه الرسمي www.copticpope.org.

الغربية لم يتحول إلى كراهيةٍ تاريخيةٍ يتم الاحتفاء ا وتأكيدها في المناسبات الدينية وعلى حوائط الكنائس والأديرة كما حدث في أوروبا الغربية"[١].

ثامناً: عقدةُ المقارنة المستمرة بين محمدٍ والمسيح عليهما السلام

أما عن هذا العامل؛ فالكلام فيه كثير وطويلٌ،وقد لا تتسع صفحات هذه الدراسة بأكملها لحصره والوقوف عليه وتحليله.

إنه لا يخفى على أحدٍ مدى جمالية الصورة التي رسمتها الكنيسةُ للمسيح، عليه السلام، ومدى قباحة وسوداوية الصورة التي رسمتها لمحمدٍ ﷺ عن قصدٍ وعمدٍ، وذلك عبر مجهودٍ متواصلٍ خلال فترةٍ قاربت الألف عام من الدس وسوء الفهم والتشويه، فكانت النتيجةُ مقارنةً كالمقارنة بين إلهٍ وبشرٍ، وكالمقارنة بين الكمال أو السمو المطلق وبين النقص المُعيبِ. ولم ينقطع هذا النوع من المقارنات (السخيفة) بانزواء سلطات الكنيسة داخل جدرا ا في مطلع عصر النهضة الأوروبي، بل لا زالت المقارنات مستمرةً حتى الساعة بين المسيح الإله الذي تجسد في صورة بشرٍ وبين محمدٍ البشري الناقص المزيف، مدعي النبوة الذي تجلّت فيه أدق أوصاف الأنبياء الكذبة، كما يزعمون. لم تنقطع المقارنة بل اتخذ فيها أعداءُ الإسلام أسلوباً من أساليب الطعن في الإسلام أو الدعوة إلى المسيحية، فكثرت كتابا م التي حملت عنوان (بين محمدٍ والمسيح) وما شاكله من عناوين تحملُ مفرداتٍ قريبةً من ذلك، وتسابقت المواقع الإلكترونية للكنائس كلّها (الآرثوذكسية منها والكاثوليكية) لتبثّ على الدوام خلاصة هذه المقارنات في محاولةٍ منها للتقليل من شأن الحبيب المصطفى ﷺ، منطلقةً في ذلك من جهلٍ متوارثٍ بطبيعة الإسلام والرسول عليه السلام، ومن الخوف منه ومن الرغبة في التخويف منه ومن الدين الذي جاء به، علّها تجد في ذلك ضالّتها وما يشفي غليلها من هذا المحمد، الذي كان الدين الذي جاء به ولا زال حتى اليوم أسرع الأديان نمواً وانتشاراً على وجه الكرة الأرضية.

"صرحت قناة (Fox) الإخبارية الأولى في الولايات المتحدة الأمريكية بأنّ عدد الذين يتحولون سنوياً للإسلام في أمريكا حوالي عشرين ألف أمريكي، كما أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية أن الإسلام هو أكثر الأديان انتشاراً في أمريكا"[٢]. كما نشرت صحيفة "صنداي تايمز" البريطانية في عددها الصادر يوم الأحد بتاريخ٢٠٠٤/٢/٢٢ دراسةً موثقةً عن انتشار الإسلام في بريطانيا، وخصوصاً في صفوة ا تمع البريطاني جاء فيها:

---

[1] خفاجي، باسم، لماذا يكرهونه؟ الأصول الفكرية لموقف الغرب من نبي الإسلام، ص ١٥، ط١، ٢٠٠٦، من منشورات مجلة البيان، الرياض.
[2] الريس، علي، الحروب الصليبية من عهد قسطنطين إلى اليوم وجذورها الدينية، ص ٤، ٥، ط١، ٢٠٠٨، دار طيبة، مصر.

"إنّ أكثر من ١٤ ألف بريطاني أبيض اعتنقوا الدين الإسلامي، بعدما خيبت القيم البريطانية آمالهم، وإنّ أغلب هؤلاء تأثروا بكتاب الدبلوماسي البريطاني المسلم تشارلز إيتون "الإسلام قدر الإنسان"، وقالت الصحيفة اللندنية الأسبوعية: إنه وفقاً لدراسةٍ موثقةٍ لظاهرة تحول البريطانيين إلى الإسلام، فإن العديد من كبار ملاك الأراضي ومشاهير المجتمع وشخصياتٍ بريطانية بارزة قد اعتنقوا الإسلام. والذي أجرى هذه الدراسة المُوثقّة هو (يحيى بيرت) "جوناثان بيرت" سابقاً نجل "اللورد بيرت" مدير هيئة الإذاعة البريطانية السابقة. وأشارت الصحيفة إلى اعتناق (إيما كلارك) حفيدة رئيس الوزراء البريطاني السابق "هيربرت إسكويت" من حزب الأحرار الدين الإسلامي"[(١)].

وذكرت صحيفة التايمز البريطانية في عددها الصادر في ٢٠٠٦/١١/٣ أن قساً ألمانياً انتحر، حيث حرق نفسه داخل أحد الأديرة احتجاجاً على ما وصفه بانتشار الإسلام وعجز الكنيسة البروتستانتية عن احتوائه.

"وتشهد ألمانيا في السنوات الأخيرة تزايداً ملحوظاً في الإقبال على اعتناق الإسلام من قبل المواطنين الألمان، فهناك ٤٠٠٠ ألماني سنوياً يعتنقون الإسلام. إضافةً على ما سبق فإنّ المخابرات الفرنسية قلقةٌ من انتشار الإسلام السريع بالسجون حيث إن نسبة الفرنسيين مِن الذين أسلموا في السجون حوالي ٧٠%. كما نشرت صحيفة "التايمز" البريطانية مؤخراً أن اسم "محمد" أصبح أكثر الأسماء المفضلة في بريطانيا للمواليد الذكور بعد جاك"[(٢)]. لقد عمد أصحاب وهواة المقارنات بين محمدٍ والمسيح إلى توثيق كلامهم، في مدح المسيح ورسالته والطعن في محمدٍ ورسالته، ودعموا كلامهم بتوظيف نصوصٍ مجتزأةٍ من سياقها أخرجوها عن مقصودها لتخدم غرضهم من هذه المقارنات، وسيأتي تفصيل هذه المقارنات في الصفحات القادمة من هذه الدراسة بعونه تعالى .

ونجد من المفيد في نهاية الحديث عن عامل عقدة المقارنة المستمرة بين محمدٍ والمسيح[(٣)] عليهما السلام التذكير بأنّ ردوداً تفصيليةً كاملةً سيرد ذكرها لتوضيح ما سبق من الشبهات والإفتراءات وتفنيدها والرد عليها في مبحثٍ مستقلٍ، نقمع فيه الصلبان وندفع شبهات القسيسين.

---

(1) المرجع السابق نفسه ص ٥.

(2) التميمي، محمد أسعد بيوض، الحرب الصليبية والإساءة المتكررة لرسول الله ﷺ والغزو الفكري والثقافي وحقيقة المعركة. دراسة منشورة على موقع مفكرة الإسلام الإلكتروني، بتاريخ ٢٠٠٨/٣/٢٣.

(3) هذه المقارنات موجودةٌ في كل مواقع منتديات الكنائس المسيحية على شبكة الإنترنت. ولكن دون ذكر أسماء واضعيها. وقد كان موقع الكلمة www.alkalema.net الوحيد الذي تجرأ على الإشارة إلى أجزاءٍ منها في كتبٍ ودراساتٍ بعينها مثل دراسة (من هو= =الأعظم المسيح أم محمد؟) بقلم دانيال فراس كمال، ودراسة (بين السيد المسيح والنبي محمد في القرآن والإنجيل) دون ذكر اسم الكاتب، وكتاب (ماذا يقول الكتاب المقدس عن النبي محمد رسول الإسلام؟) بقلم المدعو الدكتور عبد الله يوسف الأمين.

يستفاد مما سبق ذكره من العوامل أنّ الكنيسة الغربية شنت حرباً إعلاميةً فكريةً ضد الإسلام، استهدفت وبالدرجة الأولى تشويه صورته والحطّ من قدر نبيه ﷺ وأظهرته بمظهر المخادع والساحر والكاذب والمهرطق والدجال، لا بل زعمت أنه هو المسيح الدجال الذي كان ظهوره وانتصار دينه المزيف مقدمةً يء المسيح الحقيقي وقيام القيامة، وأنه يسعى لاحتلال البلاد الأوروبية لنشر دينه فيها بالسيف وقوة السلاح وأن ذلك لم ينتهِ بموته، فقد حمل أتباعه رسالته المرعِبةَ وحطّوا ا على الأرض الأوروبية، فكان لابد من النهوض لمحاربتهم واستئصالهم وإخراجهم من أورشليم وردها لسابق عهدها. نقول: ساهمت العوامل السابقة كلها في رسم صورةٍ ذهنيةٍ نمطيةٍ مرعبةٍ عن الإسلام في الذهن الغربي، صورةٍ جعلت منه ديناً كريهاً بغيضاً لدى العامة. وقد استمرت هذه الصورة النمطيةُ البشعة إلى يومنا هذا، ولكن مع تعديلاتٍ وتفصيلاتٍ طفيفةٍ أُدخِلت على ظاهرها ولم تنل من جوهرها شيئاً يستحق أن يذكر.

المبحث الثالث

ورهبانيةٌ ابتدعوها

نشأت الرهبانية في مرحلةٍ مبكرةٍ من مراحل المسيحية، بعد رفع المسيح عليه السلام إلى الله تعالى، وقد كان ذلك في فترة الاضطهاد وعصور الاستشهاد[1]، أثناء الحكم الروماني وذلك قبل اعتناق الإمبراطور قسطنطين للديانة المسيحية. وكانت الرهبانية متعددة الأسباب فمن المسيحيين من ترهبن واعتزل الناس عزوفاً منه عن الزواج، ومنهم من ترهبن رغبةً في البعد عن المدن وضجيجها لينعم بالعبادة في ظل سكينةٍ وهدوءٍ، ومنهم من ترهبن حرماناً لجسمهِ ومنعاً له من ملذات الطعام والشراب. والقاسم المشترك في الأسباب السابقة كلها هو رغبتهم في الاقتداء بالمسيح، حسب اعتقادهم.

وقد كانت الأديرة (جمع دير) الملاذ الآمن الذي فر إليه هؤلاء جميعاً لممارسة الرهبنة، وللزهد في الحياة ولممارسة الشعائر وطقوس العبادة المسيحية دون انقطاع. ويستدل هؤلاء على جواز الرهبنة بالإصحاح التاسع عشر من إنجيل متى، والذي نختار من فقراته ما يلي:

١. فقال له التلاميذُ: "إن كان هكذا أمر الرجل مع المرأةِ فلا يوافِق أن يتزوج"[٢].

٢. "إنْ أردت أن تكون كاملاً، فاذهب وبع أملاكك وأعطِ الفقراءَ فيكون لك ك ٌ في السماء، وتعال اتبعني"[٣].

٣. "وكل من ترك بيوتاً أو إخوةً أو أخواتٍ أو أباً أو أماً أو آمرأةً أو أولاداً أو حقولاً من أجل آسمي، يأخذُ مائة ضعفٍ ويرث الحياة الأبدية"[٤].

"وقد مرت الرهبنة بمراحل؛ فكانت في المرحلة الأولى هروباً من الناس وبعداً عن المدن والقرى الزاخرة بالأدناس، وانطلاقاً في الصحارى والبراري ولجوءاً إلى الكهوف، بقصد محاربة الجسد، والإكثار من العبادة والتأمل مع المحافظة على الوحدة والتفرد. وبمرور الزمن كَثُر عدد الراغبين في الترهبِ، ومال هؤلاء إلى نوعٍ من الاجتماع والمعاشرة إذ تعرض بعضهم إلى عدوان اللصوص وا رمين، فبنوا لهم صوامع متجاورةً، ثم انتهى م الأمر إلى بناء

---

(1) حركة الاستشهاد مصطلح يطلق على عصور الاضطهاد التي عاشتها المسيحية في عصورها الأولى، وبالذات في عهد نيرون ودقلديانوس، عندما كانـت الدولـة الرومانية وثنيةً وأمعنت في تعذيب المسيحيين، الذين كانوا يقبلون على الموت بفرحٍ وسرورٍ لاعتقادهم بأن الموت ذه الطريقة يجعلهم متحدين مع المسيح بعد مما م.

(2) متى ١٩: ١٠.

(3) متى ١٩: ٢١.

(4) متى ١٩: ٢٩.

أسوارٍ عاليةٍ تضم بداخلها عدداً من الصوامع. فنشأ عن ذلك الدير، وكثرت بعد ذلك الأديار وانتشرت هنا وهناك"[١].

وقد قويت الأديرة وازداد نفوذها بتقوي الكنيسة الكاثوليكية، وازدياد نفوذها لاسيما في العصور الوسطى. وكانت هذه الأديرة بمثابة الرافد للكنيسة وذراعها الأيمن. واشتهر في التاريخ الأوروبي العديد من الرهبانيات كان من أبرزها "الفرنسيسكان"[٢] و"الدومينيكان"[٣] كما اشتهر العديد من الأديرة مثل دير "كليرفو" في فرنسا ودير "كلوني" الشهير الذي تزعم وقاد حركة الإصلاح الكولونية التي كانت تنادي بإصلاح الكنيسة والعودة لتطبيق التعاليم المسيحية الصحيحة، خصوصاً بعد الفساد الذي استشرى في الأوساط الكنسية في العصور الوسطى، بالذات في القرنين التاسع والعاشر. وكان هؤلاء الرهبان قد كرسوا أنفسهم وجهودهم للوعظ والإرشاد ونصح الناس والاهتمام باحتياجا م الروحية. لقد قامت هذه الأديرة والرهبانيات ومن قبلها الكنائس لتحقيق العديد من الأهداف، حسب الاعتقاد المسيحي، ومن هذه الأهداف إكمال التواصل بين النفوس البشرية التي أرسل إليها الرب إبنه لكي يساعدها ويرشدها، ومن أهدافها كذلك تحقيق رسالة المحبة والتي تعني عيش الحب الإلهي حتى الوصول للقداسة، ومنها كذلك رسالة تعزيز الإنسان من خلال القيام بأعمال المحبة وتحقيق رسالة التحاور والتعايش مع غير المسيحيين، إضافةً لرسالةٍ سابقةٍ وهي رسالة العزلة والتأمل في الحياة الرهبانية لعيش محبة الله بأمانة ... ولتحقيق هذه الأهداف والرسائل، فقد منحت الكنيسة للرهبان والقسيسين والأساقفة سلطاتٍ روحيةً جعلت لهم وضعاً مميزاً ومكانةً في أعين العامة.

"حوالي سنة ١٠٧م كتب الأسقف اجناسيوس اسقف كنيسة أنطاكية إلى المسيحيين في سميرنا ما يلي: "عليكم جميعاً أن تطيعوا آباء السماء كما أطاع عيسى أباه، أطيعوا أئمتكم الروحانيين كما تطيعون الرسل، ولا يباشر أحد منكم شأناً من الشؤون التي تقوم ا الكنيسة "كالتعميد والزواج وحضور الموت والصلاة بدون حضور آباء الكنيسة، وأنى يوجد الأسقف فإنّ حضوره يعد حضوراً للمسيح نفسه تبعاً لتعاليم الكنيسة الكاثوليكية ... الأب

---

[١] شلبي، [م. س]، ص ٢٤٤.

[٢] الفرنسيسكان: أعضاء في منظمات مسيحية مختلفة تنتمي إلى الرومان الكاثوليك، أخذوا إلهامهم ونظام حكمهم وبرنامج حيا م من القديس فرانسيس. وفي عام ١٢٠٩م أسس فرانسيس نظام الفرير الصغار لإصلاح الكنيسة. وبين عامي ١٢١٢م و١٢١٤م أسس فرانسيس والقديسة كلير نظاماً للنساء يدعى النظـام الثـاني للقديس فرانسيس.

[٣] الدومينيكانية: هي رهبنة أسسها القديس دومينيك عام ١٢١٥م، ويلقب المنخرطون فيها باسم "الأخوة الوعاظ". وقد بدأت نشاطها أول ما بدأته في مدينة تولوز بفرنسا، وكانت أول رهبنة كاثوليكية أخذت على عاتقها التبشير بالعقيدة المسيحية. وقد تميز الدومينيكانيون الأولون بثقافة تخطت اللاهوت إلى محاولة للتوفيق بـين اللاهوت والفلسفة.

والأئمة الروحانيون لهم سلطان لقيادتنا وإرشادنا باسم المسيح، فمن أيديهم نتلقّى حياة الطّهر عن طريق التعميد، وهم الذين يعطوننا الخبز المقدس في العشاء الرباني، وهم الذين يربوننا لنصبح أبناء الله، وهم عوض عيسى، وآباؤنا الروحانيون، فعلينا أن نتعمق في احترامهم وحبهم وطاعتهم ... وكل رجال الكنيسة العظام من الأب المقدس إلى الأساقفة، يصدرون الأوامر لتنظيم الكنيسة ولسلامة المسيحيين من الذنوب والهموم النفسية، وتشجيعهم على فهم الحياة الكنسية ... والمسيحيون أعضاء يتكون منهم جسم عيسى المقدس، فعليهم أن يمتثلوا لأوامر الأساقفة وأن يسلموا أنفسهم للآباء الروحانيين"(١).

لقد سارت هذه الأديرة ممثّلةً برهبا ا وقساوستها على المبادئ السابقة حيناً من الزمان لكنها ما لبثت أن خرجت عنها وحادت عن خطّها المُعلَن، ولعل الذي أخرجها عن خطّها وأفقدها صوا ا هو وصول الإسلام إلى القارة الأوروبية فاتحاً، حاملاً لرسالةٍ قوامها دين جديد. لقد وجد هؤلاء الرهبانُ والقساوسةُ ومن قبلهم أسيادهم البابوات المعصومون أنفسهم في مواجهةٍ مع "عملاقٍ قويّ خرج من المدينة المنورة، فحطّم لهم قواهم وجيوشهم التي كانوا ا يصولون ويجولون، ويحكمون ا نصف العالم، وطاردهم حتى حصرهم في أوروبا وحدها، بل في جزءٍ منها، وطوقهم من الشرق والغرب بذراعين قويتين يهددهم ما صباح مساء"(٢). لقد اتخذ الرهبان القائمون على الأديرة قراراً بالاشتراك في الحروب الصليبية ضد العالم الإسلامي بمجرد أن دعا البابا أوروبان إليها، كما فعل الراهب بطرس الناسك، لا بل إنّ منهم من شجع الحكّام عليها بعد انتهائها كما فعل القديس برنار الذي كان مسؤولاً عن دير كليرفو، والذي كان سبباً رئيساً ومباشراً في اشتعال الحملة الثانية من حملات الحروب الصليبة وذلك بعد خمسين عاماً من انتهاء الحملة الأولى التي دعا إليها أوربان الثاني ... لقد انخرط الرهبان في الدعوة للحروب الصليبية وحثّوا الناس على الاشتراك فيها وأخذوا يشجعو م للخروج للقتال والقضاء على المسلمين الكُفّار الذين منعوا الحجاج المسيحيين من الوصول إلى القدس ودنسوا قبر المسيح المقدس، وقد استخدم هؤلاء الرهبان كل ما خطر ببالهم من طُرقٍ وحِيلٍ ووسائل لحث الناس على الخروج لقتال المسلمين وذبحهم، ومن ذلك "أ م رسموا صورة لقبر المسيح، وعليه فارس مسلم يدوس القبر بجواده، ويسمح لهذا الجواد، فيبول عليه أيضاً!. وقيل بل صوروا المسيح، عليه السلام، وجعلوا معه

---

(١) شلبي [م. س]، ص ١٧١، نقلاً عن "تعاليم الكنيسة الكاثوليكية" من فصل بعنوان "نفوذ الكنيسة" مترجماً عـن Pengad Jaran Geredjla Katolik الصفحات ٣٠٠ – ٣٠١.

(٢) الجندي، جمعة، ملامح العنف والإرهاب الصليبي في بلاد الشام، ص ١٤٩، ط١، ٢٠٠٦، مكتبة مدبولي، مصر.

صورة عربي يضربه، وجعلوا الدماء على صورة المسيح، عليه السلام، وقالوا: "هذا المسيح يضربه محمد نبي المسلمين، وقد جرحه وقتله"[١]. وحتى تكون الأمور أكثر تحديداً ووضوحاً فسنفرد لأبرز هؤلاء الرهبان مبحثاً مستقلاً نستعرض فيه موقفهم من الإسلام وجهودهم في محاربته.

[١] المرجع السابق نفسه ص ١٥٧ نقلاً عن مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ص ٣٦٣.

المبحث الرابع

القديس أوغسطين يؤسس للعنف والحرب في المسيحية

من الأسئلة الهامة التي تطرح نفسها في هذه الدراسة، وقبيل الحديث عن الحروب الصليبية ودور الرهبان فيها كيف بدأت بواكير العنف والقتال والحرب في المسيحية؟ فهذا الأمر لم تألفه هذه الديانة في مسير ا الأولى على الأقل. فكيف يا ترى سوغت ا امع المسيحية في كلٍّ من مدينة "بياشا ا" الإيطالية ومن بعدها "كليرمونت" الفرنسية كيف سوغت وأجازت للبابا أوربان الثاني إعلان الحرب على العالم الإسلامي؟ وهل غابت عن ذهنها أوامر ووصايا المسيح ذا الصدد؟؟ الإجابة هي قطعاً لا، لم تغب عن هذه ا امع وأعضائها ورئيسها البابا "المعصوم" هذه النواهي الكتابية عن العنف والاقتتال، ولكن الذي استجد هو أنها أخذت تفعل مبادئ ونظريات القديس أوغسطين (أوأغسطنيوس)[1] فيما يتعلّق بالحرب العادلة أو (المقدسة).

ويبرز عندنا، في معرض الحديث عن الحرب والعنف في المسيحية قولان لفريقين متغايرين:

١. **يرى الفريق الأول** أنّ روح العنف قد تسلّلت إلى المسيحية من اليهودية، وكان ذلك من خلال العنصر الرؤيوي في سفر الرؤيا (رؤيا يوحنا اللاهوتي). وهم يرون أنّ هذا العنصر "الرؤيوي" يتسم بالعنف لدرجةٍ كبيرةٍ، وأنّ ا عة العدوانية لدى المسيحية قد تبدت في وقتٍ مبكرٍ جداً من تاريخ الكنيسة وأنّ تلك ا عة قد توضحت تماماً في حركة الاستشهاد في عهد السلطات الرومانية التي كانت تضطهد المسيحيين الذين كانوا يرفضون تقديم القرابين إلى القيصر، ويشكلون خطراً محتملاً. فقُتل آلاف المسيحيين في حلبات ا الدة الرومانية، وقد تركت هذه الأحداث المؤلمة أثرها في الوعي المسيحي، وتركت لدى المسيحيين انطباعاً بأنّ "العالم" يقف ضدهم وسوف يتغلّب على دينهم. "وأدى هذا الشعور العميق بعدم الأمان إلى نشوء بدعةٍ عدوانية الطابع من الاستشهاد الطوعي. **وكان ينظر إلى الشهيد على أنه مسيحي مثاليّ، لأن المسيح قال إن الجود بالحياة في سبيل من تحب هو أعظم أعمال الحب. والشهيد إنما يحاكي يسوع في موته،** غير أنّ هذا الحب كان يكتسب بعداً عدوانياً؛ إذ شرع المسيحيون يبلّغون السلطات عن أنفسهم كي تقوم بإعدامهم. لم

---

[1] القديس أوغسطين (أوراليوس): (٣٥٤ – ٤٣٠م)، لاهوتي مسيحي وفيلسوف صوفي، سعى لتوظيف الفلسفة الهيلنستية في دعم اليقينيات العقائدية المسيحية. مؤلفاته الأساسية: "مدينة الله"، و"الاعترافات" و"مدينة الله" تشكل كفلسفة القاعدة المطلقة للكنيسة مقابل مدينة الأرض أي الدولة الدنيوية "الخاطئة" ولا تزال الأوغسطينية بوصفها فلسفة مسيحية، تستخدم اليوم على نطاق واسع لدى رجال الدين الكاثوليك والبروتستانت.

يكن دافعهم إلى ذلك ميلاً لديهم إلى الألم والموت، كما لم يكن ذلك رغبةً لديهم في إثبات حبهم للمسيح. كانت قناعة هؤلاء الشهداء الطوعيين أ م إنما يشاركون في معركةٍ كونيةٍ متواصلةٍ ضد الشر. فكان موت كل شهيدٍ يقرب النصر النهائي وا يء الثاني للمسيح، كما كان جزءاً من المعركة الفاصلة التي تنبأ ا الأنبياء"[1]. كان الشهيد يبدو سلبياً بسماحه لعنفٍ أن يصيبه، لكنه كان على يقين من أنه "جندي من جنود المسيح" وأن موته مرادف لـ "النصر"!!. حاولت الكنيسة أن تضع حداً لهذا الشغف بالاستشهاد الطوعي، الاختياري، لكنه لم يتوقف قط؛ إذ ظهر لاحقاً في أوروبا عندما شعر المسيحيون أن أعداء الرب يهددون هويتهم؛ كما برزت أهمية الدافع الاستشهادي أثناء الحروب الصليبية. كما يرى أصحاب هذا الرأي أن القديس أوغسطين، أسقف هيبو في شمال إفريقيا تابع وبذعرٍ في أوائل القرن الخامس تدمير الإمبراطورية الرومانية الغربية فقرر أنه بينما تعتبر الحروب ضد المسيحيين الآخرين دائماً خاطئةً وغير مبررةٍ، فقد يلهم الرب في بعض الأحيان قائداً مسيحياً كي يشن حرباً على الوثنيين، كما سبق له وأوحى إلى يوشع وداود في "العهد القديم" بذبح أعدائهما. ويرى أصحاب هذا الرأي أن "ما يميز العنف المسيحي عن العنف الوثني هو أنه يجب أن يكون مفعماً بالحب لعدوه الذي يقاتله، وينظر إلى عنفه هو على أنه علاج يستخدم تقريباً بنفس الطريقة التي يعاِقب ا الأب ابنه من أجل صالحه. وكان يسوع قد استخدم هذا النوع من العنف عندما طرد المرابين من الهيكل، وأنزل العمى بالقديس بولس على طريق دمشق. ومن دواعي الأسى أن هذا العنف المسيحي ذا الغاية العلاجية، ينتهي أحياناً بموت العدو. صحيح أن المسيحيين بحاجةٍ إلى الدفاع عن أنفسهم، إلاّ أنّ القديس "أوغسطين" شدد على أن الدفاع عن النفس بحد ذاته لا يمكن أن يبرر العنف، ذلك أن الدفاع عن النفس قد يكون نابعاً من الكراهية. وهم يرون أنّ حجج أوغسطين كانت ملتويةً، ومتناقضةً، وتظهر مدى الصعوبة التي واجهته في تسويغ الحرب المسيحية. كما يرى أصحاب هذا الرأي أن المسيحيةَ ما كانت لتبقى وتستمر من دون حرب.

٢. **ويرى الفريق الثاني** أن القديس أوغسطين كان الرائد في إدخال النظرية التقليدية عن الحرب العادلة إلى المسيحية[2]، ويرون أنّ منطلقه في تسويغ حربٍ عادلةٍ على الهراطقة هو ما ورد في إنجيل لوقا (١٤: ٢٣) (أُخرج إلى الطرقات والدروب وألِزم الناس بالدخول حتى يمتلئ بيتي). "وأفادته عبارة: "وألِزم الناس بالدخول"

---

(1) آرمسترونج، [م، س]، ص ٥٨ بتصرف.

(2) صاغ أوغسطين تفاصيل هذه النظرية في كتابه "مدينة الله" والذي كان يمثل رد فعلٍ على سقوط مدينة روما في أيدي القوط آنذاك.

في تسويغ حربٍ عادلةٍ على الهراطقة. ومن الممكن أن تكون عبارة "ألزِم" عند لوقا تشير إلى ممارساتٍ تبشيريةٍ صلبةٍ أدت بعد ذلك على مر الزمن من تاريخ الكنيسة إلى أشكالٍ من الشطط والطغيان لم يسمع بها"[1].

وقد قام القديس "توما الأكويني" في القرن الثاني عشر بتطوير نظرية الحرب العادلة[2] التي صاغها القديس أوغسطين، وأضاف عليها المعايير الأخلاقية التي يمكنها، حسب رؤيته، أن تكون مسوغاً لأي حربٍ من الحروب، وهذه المعايير هي ما يلي[3]:

١. السلطة الشرعية من جانب السلطة المختصة، التي تشن الحرب بأمرٍ منها.

٢. السبب الذي يسوغ الحرب، مثل الدفاع عن النفس، أو الإحساس بظلمٍ يعاني المرء منه.

٣. مستوى الوسائل.

٤. النية الحقة التي تنطوي على هدف يتمثلُ في خدمة السلام.

ومن الجدير ذكره هنا أنّ الممارسات الحربية في المسيحية كانت قد انتشرت وشاعت قبل أن يضع "توما الأكويني" هذه المعايير الأخلاقية للحرب العادلة في المسيحية؛ فقد كانت الحرب تعد وسيلةً مناسبةً للانتقام من إهانةٍ فعليةٍ أو متوهمةٍ للمسيح، مثلاً، أو المساس بالعقيدة المسيحية، أو شتمها. "وفي القرنين التاسع والعاشر، عندما رأت أوروبا المسيحية نفسها تتعرض المرة بعد الأخرى لغزواتِ الشعوب الوثنية، ارتبطت فكرة الحرب العادلة على نحوٍ خاصٍّ كل الخصوص بمفهوم "الحرب على الكفار". و بهذه الروح ضمن البابا ليون الرابع بين عامي (٨٤٧ – ٨٥٥م)، والبابا يوحنا الثامن بين عامي (٨٧٢ – ٨٨٢م) لكل هؤلاء الذين يسقطون في القتال ضد العرب، أي المسلمين، وضد النورمانيين، أي ضد الوثنيين، الحياة الأبدية"[4].

وقد علّق لودفيغ هاغمان على فكرة الحرب العادلة أو الحرب المقدسة بالقول إنها مهدت لفكرة الحرب الصليبية على نحوٍ حاسمٍ بقوله: "ويمكن هنا أن نثبت على وجه التلخيص: أن فكرة (الحرب المقدسة) وما يرتبط

---

(1) هاغمان، [م. س]، ص ٥٠.

(2) فصل توما الأكويني القول في هذه الإضافات في الجزء الأخير من موسوعته اللاهوتية.

(3) هاغمان، [م. س]، ص ٥٠.

(4) المرجع السابق، ص ٥١، بتصرف.

ا من تكوين فروسيةٍ مسيحيةٍ على أ ا طبقةٌ عسكريةٌ في خدمة الكنيسة، قد مهدت لفكرة الحرب الصليبية على نحوٍ حاسمٍ وجعلتها في النهاية تتحول إلى حقيقةٍ واقعةٍ"[١].

إذاً فقد ساهم القديس أوغسطين، ومن خلال فهمه الخاص واجتهاداته الخاصة التي لم يسبقه إليها أحد من تلاميذ المسيح والقديسين، ساهم في إضفاء صبغةٍ جديدةٍ خطيرةٍ أخرجت المسيحية، على الأقل كما يقول أتباعها، عما كانت تتميز وتتغنى به،حتى يومنا هذا، من كو ا دعوةً خالصةً للمحبة والسلام والتسامح ونبذ العنف وإراقة الدماء. وكل هذه الأوصاف والميزات كانت مبنيةً على وصايا المسيح التالية:

١. "السارق لا يأتي إلاّ ليسرق، ويذبح ويهلك، وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياةٌ وليكون لهم أفضل"[٢].

٢. وأما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن، فحول له الآخر أيضاً. ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً. ومن سخرك ميلاً واحداً، فاذهب معه اثنين"[٣].

٣. "وأما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات"[٤].

٤. "رد سيفك إلى مكانه لأنّ كل الذين يأخذون بالسيف، بالسيف يهلكُون"[٥]

هذا الذي نراه قد تقرر على لسان المسيح - استناداً للإنجيل طبعاً - ولكن الذي رأيناه قد تقرر على يـد أوغسطين خلاف ذلك تماماً. والغريب في الموضوع أنّ المؤسسة البابوية ومجامعها المسيحية التي دعت إليها قد كرست وأصلت هذا النهج الذي خطّه أوغسطين!! ورأت فيه تحقيقاً لضالتها المنشودة في استعمال القوة والـسلاح والعنـف وطريقاً لإخضاع كل مخالفٍ لها سواءٌ أكان من المسيحيين أنفسهم أم من غيرهم من (الهراطقة والكُفار)!!

---

(1) المرجع السابق، ص ٥٣.
(2) يوحنا ١٠: ١٠ – ١١.
(3) متى ٥: ٤٠ – ٤٢.
(4) متى ٥: ٤٤، ٤٥.
(5) متى ٢٦: ٥٢.

المبحث الخامس

بطرس الناسك

كان هذا الراهب[1] من أشد الرهبان الفرنسيين تعصباً ضد الإسلام، وكان من الداعين لقتالٍ مستميتٍ ضد المسلمين، وقد سخر كل مواهبه الخطابية والكلامية لتحقيق هذا الغرض. وهو بالرغم من بساطة مظهره وتواضع لباسه إلاّ أنّ تأثيره في الناس كان عميقاً لأبعد الحدود. وقد سبق لهذا الراهب أن زار بيت المقدس للحج، والتقى ببعض بطارقة المسيحيين هناك وناقش معهم الشقاء (المزعوم طبعاً) الذي يعيشونه في ظل الحكم الإسلامي للمدينة، وقام بحثّهم على مخاطبة كنيسة روما والاستغاثة ا لكي تهب لتحريرهم وتحرير القبر المقدس، من هذا الاحتلال.

وكان مما قاله لأحد هؤلاء البطارقة: "... أعلم أيها الأب المبارك، أنه إذا توفر لكنيسة رومة وأمراء الغرب مبلغٌ ألمعي ثقةٌ يخبرهم بالمصائب التي تكابدو ا، فلا شك أنهم سوف يبادرون إلى بذل الجهد لتقديم العلاج بأسرع ما يمكنهم قولاً وعملاً، لتخليصكم من هذه المشاق. وعليك أن تثابر في الكتابة إلى قداسة البابا وإلى الكنيسة في روما ... وأما أنا فلن أتراجع من جهتي عن حمل هذه الرسالة رجاء خلاص روحي. كما أنني مستعد ـ مهتدياً بالله ـ لزيارة الجميع والتوسل إليهم ... وأدعو الجميع أفراداً وجماعاتٍ ألاّ يتوانوا عن إسعافكم بما فيه خلاصكم ..."[٢] ولمّا عاد من زيارته تلك إلى فرنسا أخذ يقوم بشحن عواطف الناس ضد المسلمين السلاجقة، ويبتدع ويختلق القصص المُرعبة عن انتهاكهم الدائم وتدنيسهم المستمر لقبر المسيح، ويحثهم على النهوض لمحاربة المسلمين والانتقام لما أصاب القبر المقدس من ذُلٍ وهوانٍ، ويشجعهم على استرداده. وقد كان هذا الراهب أولَ من تكلم بمجرد انتهاء البابا أوربان الثاني من خطبته الشهيرة في مجمع كليرمونت، التي ستأتي الحديثُ عنها، **حيث صاح** في **اية خطبة البابا قائلاً [**إني **نظرت قبر المسيح محتقَراً مهاناً، ورأيت زواره مضطهدين] ثُم صاح م [إذا ما قام شخص غريب بالاعتداء على أحدكم، هل تتركونه من دون أن تثأروا له؟ أفلا تثأرون لله، ولآبائكم وأشقائكم الذين ترو م يتعرضون للّوم والتأنيب، والنفي والطرد من أراضيهم، ويسامون الاضطهاد وهم يصرخون** في **بؤسٍ طالبين النجدة؟]**[٣]. لقد اختار هذا

---

[1] بطرس الناسك عاش بين سنتي ١٠٥٠م، ١١١٥م، كان ميلاده في مدينة ميان شمال فرنسا، كان رجلاً قصير القامة قبيح الوجه رث الهيئة ومن أشـد الـداعين للحروب الصليبية، حيث جال في أوروبا لهذا الغرض، وقدم مع طلائع الحملة الصليبية الأولى.

[2] الرومي [م. س] ص ١٣٢ نقلاً عن تاريخ الحروب الصليبية، لوليم الصوري ص ١٩٢ الجزء الأول.

[3] آرمسترونج، [م. س]، ص ١٠٥.

الراهب وقت الذروة في غضبة الناس الحاضرين مع كليرمون الذين نفخ فيهم البابا أوربان الثاني الروح الصليبية، للنهوض ومحاربة المسلمين، فزادهم بطرس غضباً على غضبهم، فراق للبابا أوربان ما فعله الراهب بطرس وأعجبه تأثيره في جمهور الناس. فكلّفه جر ديره "لكي يقوم بالدعوة إلى الحملة الصليبية، فطاف بمختلف أقاليم فرنسا يئته المزرية داعياً إلى حملة البابا، وفي كل مكانٍ يحل به كان يسحر ألباب الناس، ويسلب أفئد م، ببيانه الساحر وفصاحته حتى تجمع حوله أعداد هائلةٌ من الأتباع"[١].

لقد طاف هذا الراهب في أنحاء أوروبا داعياً للحملةالصليبية هذه بأسلوبٍ حماسيٍّ استهوى العديد من الناس على مختلف مراتبهم وطبقا م، وكان بلا منازعٍ القائد الروحي للحملة الصليبية الأولى "وادعى أنّ المسيح نفسه هو الذي عينه لقيادة هذه الحملة وأنه لديه رسالةً إلهيةً لإثبات ذلك، حتى ظن الكثيرون أنه هو وليس البابا أوربان الداعي الحقيقي للحملة إلى الأرض المقدسة"[٢]. تركز مجهود هذا الراهب في إيطاليا وشمال فرنسا وبلاد الفلانديرز، وكان حريصاً على الالتقاء بكل أمراء المقاطعات التي زارها ومر فيها، أثناء دعوته بل حملته التحريضية تلك "ولم يترك أميراً من الأمراء إلاّ زاره، غير مدخرٍ وسعاً في حثّهم جميعاً وتحذيرهم ولومهم. فنجحت تحذيراته، بفضل الرب، في حمل بعضهم على المبادرة إلى الخروج لمساعدة إخوا م الذين مستهم البلوى ونزل م الضر، رغبةً منهم في ألاّ يدعوا الأماكن المقدسة ـ وهي البقاع التي تعطف السيد فشرفها بحضوره وصا ا ـ أن تدنس بالخبائث"[٣].

في اعتقادنا، أنّ هذا الراهب المحارب كان ضابط الإيقاع بل المحرك الأساس في هذه الحرب والحملة كلها، ولعلّه كان أشهر الوعاظ الصليبيين على الإطلاق "كتب الراهب والمؤرخ المحنك غيبر دو نوغان،الذي كان يعرف بطرس الناسك شخصياً يقول عنه: "كل ما كان يفعله أو يقوله كان يبدو شيئاً شبه إلهي" طاف بطرس أرجاء فرنسا، مجتذباً الأتباع من كل الطبقات والفئات الاجتماعية. وحيثما وعظ، كان يسحر جمهوره ويحمله على البكاء. وقد حدث ذلك حتى في ألمانيا، التي لم يكن فيها أحد يفهم كلمةً واحدةً مما يقوله"[٤]. ولكن السؤال الملح الهام الذي يطرح نفسه الآن، هو هل نجح هذا الراهب في حث هذه الجموع على الخروج إلى بيت المقدس ومحاربة المسلمين؟ وإنْ كان قد فعل فإلى أي مدى وصل هذا النجاح؟؟ في الواقع لقد أصاب هذا الراهب نجاحاً عظيماً في دعوته التحريضية

---

(1) تمام، أحمد، الحروب الصليبية، حملة الرعاع في ذكرى تجمعها، دراسة منشورة على شبكة الإنترنت في موقع www.islamonline.net

(2) الموسوعة الحرة ويكيبيديا تحت عنوان حملة فقراء صليبية.

(3) الرومي [م. س]، نقلاً عن تاريخ الحروب الصليبية، لوليم الصوري، ص ١٣٣.

(4) آرمسترونج، [م. س]، ص ١٠٥.

تلك، وأصابت حماسته الأغلبيةَ الساحقة من فئات ا تمع الأوروبي بفرسا ا ورجالها وأمرائها ونبلائها وكبار رجال الإقطاع وحتى الفقراء والعبيد فقد تحركت هذه الفئات كلّها للخروج لمحاربة المسلمين (أعداء الرب)!! "يقول وليم الصوري [وقد كان أحد المشاركين في هذه الحملة الصليبية] في وصف حركة الاستعداد للرحيل إلى الشرق: "**انفصل الزوج عن زوجته والمرأة عن بعلها، وفارق الآباء أبناءهم والأبناءُ آباءهم، كما غادر كثير من الرهبان أدير م، وفعل النساك فعلهم**"[(١)]، ولقد عبرت المؤرخة آنا كومنينا عن هذه الحالة أحسن تعبير بقولها: "**إنه العالم الغربي بأجمعه وسكّانه، إ ا هجرةٌ كاسحةٌ. أسر تقتفي إثر أسرٍ قاطعةً أوروبا من الطرف إلى الطرف قاصدةً آسيا. لقد وصل الكليتون بكامل عددهم وعد م فضاقت م رحال المسالك وبصحبتهم جماهير عزلٌ حاملون الصلبان، من بينهم النساء والأطفال، إ م البحر بأمواجه المتلاطمة**"[(٢)].

لقد خرج الأوروبيون في جموعٍ عظيمة العدد متوجهين إلى الشرق في الحملة الصليبية الأولى، وقد كان بطرس الناسك يقود بنفسه جحفلاً من عشرة آلاف رجلٍ من النبلاء والفرسان والمشاة، يصحبهم حشد ضخم من الحجاج. ولعلّ هذا شاهد على حرص الكنيسة الكاثوليكية على إبراز الدافع الديني العقدي لهذه الحرب. نعم، لقد حرصت الكنيسة الكاثوليكية على الإشراف بنفسها على الحملات الصليبية، حيث كان لها دور بارز في اختيار قادة الحملات واختيار رجال الدين والرهبان والوعاظ المرافقين لكل الفرق والجيوش، وذلك في محاولةٍ منها لتذكير هؤلاء المحاربين دوماً بالهدف العقدي الأبرز للحملة ألا وهو تحرير المدينة المقدسة والقبر المقدس والمسيحيين في الشرق من أيدي المسلمين الكفّار أعداء الرب ...

لقد أخرجت هذه الحروب الصليبية الأديرة الرهبانية عن الأهداف والغايات التي وجِدت لأجلها (ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ)[(٣)]. نعم تلك هي الرهبانية التي ابتدعها

---

(1) جمعة [م. س]، ص ٥٤ نقلاً عن كتاب a history of the deeds done byeyond the sea لوليام الصوري.

(2) المرجع السابق نفسه، ص ٥٥.

(3) سورة التوبة: الآيتان ٣١، ٣٢.

هؤلاء باسم المسيح والانقطاع للعبادة، فما رعوها حق رعايتها بل اتخذوا منها وسيلةً للتحريض ونشر الكراهية والحث على القتل وممارسة العنف، وباسم من؟؟ باسم المسيح عليه سلام الله تعالى. لقد خرج الرهبان ورجال الدين عن الخط الذي رسموه لأنفسهم، فتركوا أديرتهم وصوامعهم وتسابقوا، في ظل ورعاية وتشجيع الكنيسة الكاثوليكية، للتدخل في شؤون السياسة والحرب، ولم يتوقفوا عند هذا الحد بل إنهم شكّلوا جماعاتٍ مقاتلةً من الرهبان الفرسان، كان من أبرزها الإسبتارية[١] والداوية[٢]،والتيوتون[٣]. وقد استقرت هذه الجماعات في بلاد الشام بعد احتلالها من قبل هؤلاء الصليبيين، وسيطرت على العديد من الأراضي الزراعية وتلقّت الدعم من كبار القادة والحكام المسيحيين الكاثوليك، إضافةً للدعم المباشر من كنيسة روما. "وقد اشتركت هذه الجماعات الرهبانية الفرسانية في العديد من المعارك ضد المسلمين، كان من أبرزها اشتراكها في حصار دمشق وعسقلان ومعركة حطين ... وقد كانت الداوية والاسبتارية وغيرهما من فرق الرهبان الفرسان، كانت طوال فترة الحروب الصليبية تغذّي الشعور الديني للنصارى ضد المسلمين، وكانت لهذه الفرقة المكانة العالية لدى قواد النصارى سواء في أوروبا أو في بلاد الشام. وكثيراً ما تشترك هذه الفرقة مع قادة الصليبيين في البلاد الإسلامية ضد المسلمين"[٤]. لقد أفلح بطرس الناسك وأعوانه من الرهبان في نفخ الروح الصليبية في قلوب وعقول هؤلاء الذين قطعوا آلاف الأميال من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق، وفي ذهنهم هدف واحد هو (ذبح الكُفّار وطردهم من بيت المقدس واسترداد القبر المقدس)، وسيأتي الحديثُ عن المذابح والفظائع التي ارتكبها هؤلاء عند وصولهم لبيت المقدس. لقد كان هؤلاء المحاربون، وتحت تأثير الشحن والتحميس من الرهبان المرافقين لهم، يعتقدون أنهم هم فعلاً جند الله وجند المسيح!! ويفيدنا في هذا المقام الاستشهاد بفقرةٍ من وثيقةٍ هي في حد ذاتها رسالةٌ بعثها الأساقفة في الجيش قُبيلَ وصولهم إلى القدس، تحديداً عند أسوار أنطاكية، وتبرز وبكل وضوحٍ صحةَ كلامنا "وأردف الأساقفة يقولون في رسالتهم: **"إننا لا نثق** في **أي حشدٍ، ولا** في **أية قوةٍ، ولا** في **أي سلطانٍ؛ وإنما نثق فقط** في **درع المسيح الوافي** وفي **عدالة قضيتنا،** في **ظل** حماية **(القديسين) جورج وثيودور وديمتري وبليز،**

---

(1) هيئة الإسبتارية أو فرسان المستشفى. وهذه الهيئة عبارة عن مجموعة من الرهبان ورجال الدين الذين انقطعوا للعبادة وخدمة الحجاج المسيحيين في بلاد الشام. ثم تحولوا بعد ذلك إلى هيئةٍ عسكريةٍ قويةٍ كان لها دورها في حرب المسلمين خلال فترة الحروب الصليبية.

(2) هيئة الداوية: ظهرت هذه الهيئة في القدس بعد إنشاء الاسبتارية بعشرين عاماً تقريباً، وقد أسسها مجموعة من رجال الدين النصارى الفرنسيين، وكانت مهمتهم منذ البداية محاربة المسلمين، وحماية طرق الحج. حيث نالوا على ذلك تصريحاً من بطريرك القدس ومن الملك بلدوين الثاني.

(3) هيئة الفرسان التيوتون: وقد أنشا هذه الهيئة مجموعة من الحجاج الألمان في عام (٥٨٥ هـ - ١١٩٠م) وذلك أثناء حصار عكا خدمةً للمحاربين، وتقديماً للعون والعلاج للجرحى، ثم ما لبثت هذه الهيئة في المشاركة الفعلية والمباشرة في حرب المسلمين،وتأليب النصارى ضدهم. وإن كان دورها في المجال العسكري أقل من دور الهيئتين السابقتين.

(4) الرومي، [م. س]، ص ١٤٢، ١٤٣، باختصارٍ وتصرفٍ

جنود المسيح الذين يلازموننا حقاً وصدقاً"[١]. وتعلّق كارين آرمسترونج على ذلك بقولها "وهذه لم تكن، بأي حالٍ، استعارةً لفظيةً زائفةً، بل حقيقةً واقعةً "صدقاً"! وإذا كان الصليبيون قد رأوا محاربين سماويين يقاتلون من أجلهم في دوريليه، فإ م الآن يحسون بأ م محاطون بجيشٍ سماويٍ كاملٍ، غير منظورٍ. في هذه الحالة، من الغباء أن يفر المرء من الجندية، لأنه يكون كمن يتخلّى عن المسيح ويهجر أصدقاءه الخُلص. وحين أخذ الصليبيون يشيرون إلى أنفسهم على أ م "جند الله"، أو "جند المسيح"، فإنما كانوا يعنون ذلك حرفياً؛ وهذا معناه أن الفرار من الجندية هو بمثابة الردة القصوى. لقد دفع سوءُ التغذية الصليبيين إلى الهلوسة، فلا عجب إنْ أخذوا "يرون" مزيداً من محاربي الرب السماويين يحومون فوق الجيش حمايةً له، أو يحلمون بتلقّي رسائل تطمينٍ سماويةٍ تقول للصليبيين "إن الله معهم". ولم يكن ذلك من قبيل الوهم الكاذب، أو من باب البلاغة التحريضية، بل كانوا يؤمنون بأ ا هي الحقيقة بحذافيرها"[٢].

لقد أفلح هذا الراهب بطرس وأعوانه من الرهبان والقساوسة الكاثوليك في **توظيف الدين وجعلوه** في **خدمة الحرب، وكان الجنود الصليبيون يتناولون القربان المقدس** في **بداية كل مرحلةٍ من مراحل حملتهم هذه،** وفي **كل لحظات الضيق والهزيمة النفسية وأزمات التعب، وكان الجيش يقبل على أداء الصلاة** في **العلن. "كان الجنود يضعون الطقوس الدينية** في **مصاف ا الس الحربية، ويستمعون** إلى **العظات الدينية بانتباهٍ كما لو كانت تعليماتٍ عسكريةً.** كذلك كان الصليبيون جنوداً يدركون جيداً مدى أهمية الغذاء بحيث كانوا يحرصون على تزويد جيادهم بحصتين من العلف قبل المعركة، فيما كانوا هم أنفسهم يصومون لثلاثة أيام كاملة قبل شن أي هجومٍ كبيرٍ حتى وإنْ أوهنت ا اعةُ قواهم .... هذه كلها أسبغت على الحملة الصليبية طابعاً ديرياً مميزاً، **وبدت الجيوش لمعاصريها كما لو كانت أديرةً عسكريةً شاسعةً تنتقل من مكان** إلى **آخر، وقد أضفت على الحملة جو الخشوع المأثور** في **الحج الذي كانت له اليد الطولى** في **إطلاقها أصلاً"[٣].**

ما أشبه اليوم بالأمس! فقد كان الجنود الصليبيون يتناولون القربان المقدس في بداية كلّ مرحلةٍ من مراحل حملتهم تلك وهاهم الجنود الأمريكيون في العراق اليوم "غالباً ما يجتمعون للصلاة قبل قيامهم بدوريات في مدينة

---

[١] آرمسترونج، [م. س]، ص ٢١٤.
[٢] المرجع السابق نفسه، ص ٢١٤.
[٣] آرمسترونج [م. س]، ص ٢٠٥.

بغداد"[١]. "وكان الجنود الصليبيون وعلى رأسهم بطرس الناسك وبوهيموند يتساءلون عما كان يحملُ غالبيتهم على مواصلة القعود أمام أسوار انطاكية، أثناء حصارهم لها، وهم يرون رفاقهم يتساقطون كالذباب"[٢] وها هم الجنود الأمريكيون، في العراق يتساءلون عن "مدى إمكانية استمرارهم في القيام بذلك [يقصد الحرب]؟ وهل يستحق الأمر هذا الألم والأسى؟ يا رب ارجوك دعني أتطلّع إليك وحدك"[٣] وكان الصليبيون الأوائل في الحملة الصليبية الأولى لما أصابهم الفشل الذريع الكارثي يتساءلون "إذا كان جيش الصليب يمثّل إرادة الرب، فكيف عساه يفشل؟؟ إنّ الهزيمة النكراء التي حلّت بالصليبيين لم تكن هي النصر المؤزر الذي يتطلّع إليه الغرب"[٤]. وها هم الجنود الأمريكيون في العراق اليوم يتساءلون عن سبب فجائعهم وإصاباتهم المتوالية في العراق وهو الأمر الذي أفقد الكثيرين منهم ثقته بالرب "... ويواجه الكثير من الجنود شكوكاً في إيمانهم خلال الحرب، لكن هذه الضغوط أكثر حدةً بالنسبة إلى المرشدين الدينيين. ومن خلال تقديم الإرشاد للنساء والرجال الذين يكافحون للحفاظ على إيمانهم، يواجه الكثيرون منهم شكوكهم الخاصة مراراً وتكراراً ... كانت تعكس أسى الجنود وإيمانهم بوجود الله الثابت. لكنها لم تفسر لماذا تحدث أمور سيئةٌ لأناسٍ طيبين، وهو سؤال واجهه بنيموف مراراً وتكراراً مع الجنود الذين خدم برفقتهم؛ وطرحه على نفسه مراراً. ويقول المرشد الديني في الجيش الأمريكي الذي كان أحد الوعاظ الدينيين المرافقين للجنود في حرب العراق (روجر بنيموف): كان يسألونني: إن كنت ابن الرب، فلماذا لا يحميني الرب؟ في سفر أيوب نرى أنّ الرب يرعى الصالحين والأشرار، لكن من الصعب دائماً تقبلُ ذلك. لذا يكف بعض الجنود عن الإيمان بالرب، فيما يتقرب آخرون أكثر منه. كل شيء يتسارع في ساحة الحرب"[٥].

وتنتهي مذكرات بنيموف في ٢٢ كانون الثاني من هذا العام وقد جاء في الأسطر الأخيرة منها: **"لا أريد أن يكونَ لي أي علاقةٍ بالرب. لقد سئمت الدين، إنه مجرد عكازٍ للضعفاء .. الرب يتغير بالنسبة إلينا بحسب ما نحتاج**

---

[١] كونانت، إيف، الإيمان في ساحة الحرب، دراسة منشورة بتاريخ ٢٠٠٧/٥/٨ في مجلة News Week الأمريكية ص ١٧.

[٢] آرمسترونج، [م. س]، ص ٢١٣.

[٣] كونانت [م. س]، ص ١٦.

[٤] آرمسترونج [م. س] ص ١٠٧ باختصار وتصرف.

[٥] كونانت [م. س] ص ١٨.

إليه في لحظةٍ **معينةٍ. أنا أكره الرب. وأكره كل الذين** يحاولون **تفسير أعمال الرب** في **حين أ م لا يعرفون شيئاً** في **الحقيقة"**[١]**.**

ونؤكد في ختام هذا المبحث على أنّ دعوة بطرس الناسك وأعوانه من الرهبان للنهوض ومحاربة المسلمين قد لاقت نجاحاً باهراً، وأثارت في النفس حميةً وحماساً منقطع النظير، ودفعت الآلاف من الأرواح ثمناً باهظاً لها، في ظلّ سيطرة الكنيسة الكاثوليكية ورهبا ا على عقول الناس وأفئد م في تلك العصور الوسطى المُظلمة.

(1) المرجع السابق نفسه ص ١٩.

المبحث السادس

البابا أوربان الثاني[1] يعلن الحرب المقدسة على الإسلام

كان من المتوقع، في مقابل تراكم العوامل السابقة وعلى رأسها انتشار الإسلام في العالم بسرعةٍ تفوق سرعة انتشار النار في الهشيم، أن تتخذ الكنيسةُ الغربية موقفاً تعبر فيه عما كان يكتنفها ويدور في خلد بابوا ا تجاه الإسلام. وكانت المؤشرات كلّها تشير إلى أنّ الكنيسة يجب أن تتخذ موقفاً وتخطو خطوةً عمليةً، بعد أن استنفذت كل الخطوات والمواقف النظرية التي تمثّلت في حر ا الإعلامية ضد الإسلام والتي استهدفت، كما أسلفنا، تشويه صورته وتخويف الناس منه لصدهم عن مجرد التفكير في اعتناقه، أو حتى في التعرف عليه. وكان هذا الموقف العملي الذي اتخذته الكنيسةُ متمثّلاً في إعلا ا للحرب المقدسة ضد العالم الإسلامي. وهي الحرب التي اتخذت أسماءً متعددةً كان من أبرزها "حروب الفرنجة" و"الحروب الصليبية"[2].

"ولم تقم هذه الحرب إلا عن طريق مجامع مقدسةٍ نادى إلى انعقادها البابا أوربان. كان أولها في شهر آذار سنة ١٠٩٥م في مدينة بياشـ ا الإيطالية، وا مع المقدس الثاني كان في مدينة كليرمونت الفرنسية في ٢٧ تشرين الثاني ١٠٩٥م"[3]. كان السبب الظاهر أمام الناس لإعلان هذه الحرب المقدسة على المسلمين، هو أن يهب المسيحيون الغربيون الكاثوليك لنصرة إخوا م المسيحيين الشرقيين بعد أن أمعن المسلمون في إذلالهم، وعملوا على إهانة قبر المسيح، عليه السلام، وذلك "حين أرسل إلكسيوس كومنينوس (كومنين) الأول إمبراطور بيزنطة، يطلب مساعدةً عسكريةً من البابا أوربان الثاني ضد الأتراك المسلمين، وقد رأى أوربان في طلب الدعم العسكري هذا فرصةً سانحةً له لكي يرسخ أقدام سلطة الكنيسة البابوية في بيزنطة، ولتحسين علاقات روما بالقسطنطينية"[4]. لهذا وافق أوربان في الحال، وأشار إلى أنه سيحث فرسان أوروبا على التوجه بجحفل من الجنود إلى الشرق. وفي شهر تشرين الثاني من عام ١٠٩٥، تحدثَ إلى مجمع كليرمونت، وفيه أطلق دعوته إلى الحملة الصليبية الأولى.

---

(1) هو أوتو اللاجيري ويلقّب بـ أوربان الثاني. فرنسي المولد تولى منصب البابوية من عام ١٠٨٨ إلى عام ١٠٩٩م.

(2) الحملات الصليبية أو الحروب الصليبية بصفة عامة اسم يطلق حالياً على مجموعة من الحملات والحروب التي قام ا أوروبيون في أواخر القرن الحادي عـشر إلى الثلث الأخير من القرن الثالث عشر (١٠٩٦ – ١٢٩١)، كانت بشكل رئيسي حروب فرسان، وسميت ذا الاسم لأن الذين اشتركوا فيها تواروا تحت رداء الدين المسيحي وشعار الصليب من أجل الدفاع عنه وذلك لهدفهم الرئيسي وهو الاستيلاء على أرض المشرق في الوقت الذي كان فيه الشرق منبع الثروات ولذلك كـانوا يخيطون على ألبستهم على الصدر والكتف علامة الصليب من قماش أحمر.

(3) الريس، [م. س]، ص ١٣٦.

(4) آرمسترونج، الحرب المقدسة، [م. س]، ص ١٠٣.

"ويبدو أنه استهلّ خطبته بأن دعا إلى "سلام الرب" ثم أهاب بفرسان أوروبا أن يكفّوا عن التقاتل فيما بينهم، وأن يعتصبوا معاً ضد الأتراك في حرب تحريرٍ مزدوجةٍ؛ تحرير إخوا م المسيحيين في آسيا الصغرى من ربقة الأتراك، والزحف على أورشليم لتحرير الأراضي المقدسة"[1].

إذاً فقد استهل البابا أوربان خطبته الشهيرة تلك بالدعوة لعملٍ عسكري ضد المسلمين الهدف منه صالح المسيحية والمسيحيين ... في الواقع لقد كان هذا هو الدافع المُعلَن والظاهر للحرب، لكن النص الكامل، أو بالأصح شبه الكامل، لهذه الخطبة يكشف لنا عن تفاصيل أدق وأوضح كانت هي المحرك الحقيقي لهذه الحرب ولهذا الإعلان، ولعلّ هذه التفاصيل إنما تمثّل خلاصة معتقدات وتصورات الكنيسة الكاثوليكية وبابوا ا عن الإسلام، وهذه التفاصيل تذكرها وبكل وضوحٍ وصراحةٍ المقتطفات التي وقفنا عليها من هذه الخطبة الشهيرة ومنها[2]:

أولاً: ... من المهم أن تهبوا، بلا تأخيرٍ لنجدة إخوانكم الذين يقطنون بلاد الشرق الذين طالبوا مراراً بمعاونتكم.

وبالفعل، كما تعرفون، فإن هناك شعباً من الأتراك قادماً من بلاد الفرس قد غزا بلادهم. ولقد تقدموا حتى البحر الأبيض المتوسط وبالتحديد إلى ما يطلق عليه ذراع القديس جورج. وهم يتقدمون في البلاد الرومانية على حساب أراضي المسيحيين الذين ا ـزموا سبع مراتٍ في الحرب، ولقي كثير منهم حتفه؛ **وكثير قد تحولوا إلى عبيد ... إن هؤلاء الأتراك يهدمون الكنائس ويخربون مملكة الله** .... وإذا ما ظللتم دون عمل أي شيءٍ فإنّ عدد الضحايا من المؤمنين سيزداد بسبب هذا الغزو. لذلك فإنني أحثكم وأتوسلّ إليكم ـ **لا لست أنا الذي أحثكم ـ إنه الرب نفسه ـ هو الذي يحثّكم أنتم يا رافعي لواء المسيح**، وأيا كانت الطبقة الاجتماعية التي تنتمون إليها، فرساناً كنتم أم حفاةً، أغنياء أم فقراء، أن تذهبوا لنجدة المسيحيين وأن تصدوا هذا الشعب الشؤم بعيداً عن أراضينا. **أقولها للحاضرين هنا، وأطلبها من الغائبين: إن المسيح يأمر بذلك** ... إن كل الذين سيذهبون ويموتون على الطريق، سواء على الأرض أم في البحر، أو **أولئك الذين سيموتون وهم يحاربون الكفّار، فإن ذنو م ستغفر لهم وسأمنح الغفران لكل الذين سيساهمون** في **هذه الرحلة** بموجب **السلطة التي منحني الرب إياها ... ويا للعار إذا ما انتصر مثل هذا الشعب الحقير، المنحطّ، عابد الشياطين، على الأمة التي تعبد الرب، وتفخر بأ ا مسيحية!** أي لومٍ سيوجهه لكم الرب بنفسه إذا لم تجدوا الرجال

[1] المرجع السابق نفسه، ص ١٠٣.

[2] عبد العزيز، زينب، محاصرة وإبادة موقف الغرب من الإسلام، ص ٧٦، ط١، ١٩٩٣، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت.

الكافية الجديرة مثلكم بلقب المسيحيين! "ليذهب إذن هؤلاء الذين كانوا يحاربون بعضهم بعضاً على حساب المؤمنين **ليذهبوا إلى المعركة ضد الكفّار،** إ ا معركةٌ جديرةٌ بأن تبدأ، ورهينةٌ بأن تنتهي بالنصر! وليصبحوا من الآن فرسان المسيح، بعد أن كانوا قُطّاع طرقٍ! ليحاربوا الآن **ضد البرابرة** بدلاً من أن يحاربوا ذويهم وإخوا م! ولسوف ينالون المكاسب الخالدة، بعد أن كانوا مرتزقةً من أجل بضعة فلسات. ولسوف يعملون من أجل شرفٍ مزدوجٍ بدلاً من الشقاء على حساب جسدهم وروحهم. لقد كانوا هنا حزانى ومساكين، سيصبحون هناك سعداء أثرياء. لقد كانوا هنا أعداء الرب، وهناك سيصبحون أصدقاءه"[(١)].

ثانياً: ... إن العالم غير مقسومٍ بالتساوي. فمن أصل أجزائه الثلاثة، يستحوذ أعداؤنا على آسيا بوصفها أقطاراً موروثةً لهم، وهي جزء من العالم الذي طالما كان أسلافنا على حقٍّ في اعتباره معادلاً للجزأين الباقيين مجتمعين. فهناك نما فيما مضى ديننا وتفرعت أغصانه، وهناك لقي الحواريون فيما خلا اثنين منهم حتفهم. لكن المسيحيين في تلك الأنحاء، هذا إذا بقي أحد منهم هناك، **بالكاد يقيمون أودهم من الأرض،** ويدفعون فوق ذلك الجزيةَ لأعدائهم، متطلّعين إلينا في صمتٍ علّهم يستردون الحرية التي فقدوها. وإفريقيا، أو الجزء الثاني من العالم، مضى عليها هي الأخرى مئتا سنة أو يزيد **وهي** في **قبضة أعدائنا بقوة السلاح؛ وهذا خطر أشد وأدهى على العالم المسيحي** كو ا أنجبت ورعت نفوساً هي من ألمعها على الإطلاق، رجالاً ستدرأ أعمالُهم غائلةَ الدهر عن كتابنا المقدس طالما بقي اللسان اللاتيني حياً. وهناك ثالثاً أوروبا، الجزء المتبقي من العالم. وفي هذه المنطقة، فإننا نحن الأوروبيين لا نشغل إلا شطراً منها، إذ من ذا الذي يسعه إطلاق تسمية "المسيحيين" **على أولئك البرابرة ممن يقطنون الجُزر النائية ويبحثون عن لقمة عيشهم** في **المحيطات المتجمدة لكأ م الحيتان؟** وحتى هذا القسم الضئيل من العالم الذي يعود إلينا، يتعرض الآن للضغوطات من جانب **الأتراك والسراسنة المولعين بشن الحروب:** فها هم منذ ثلاثمائة سنة يحتلون إسبانيا وجزر البليار، **ويعيشون على أمل ابتلاع البقية الباقية**[(٢)].

ثالثاً: ... **إن الأتراك عرق ملعون، عرق غريب** تماماً **عن الله،** وهم حقاً جيلٌ لم يتوجه بقلبه أو يعهد بروحه إلى الله **إن قتل هؤلاء الوحوش الكفرة عملٌ مقدس.** فالواجب المسيحي يقضي باستئصال هذا العرق الفاسد من

---

(1) عبد العزيز، [م، س] ص ٧٧، نقلاً عن جورج تيت في كتابه L'orient des corisades .

(2) آرمسترونج، الحرب المقدسة [م. س]، ص ٢٦١، ٢٦٢ استناداً إلى ما كتبه المؤرخ الإنجليزي وليم أوف مالمزبوري عام ١١٢٥ في نسخته الخاصة من خطـاب البابا أوربان في كليرمونت.

أراضينا. وبعد أن يطهروا آسيا الصغرى من رجس المسلمين، يتعين على الفرسان أن ينخرطوا في مهمة أكثر قُدسيةً بعد؛ ألا وهي الزحف على مدينة أورشليم المقدسة **وتحريرها من الكفار** فمن العار أن يكون قبر المسيح في أيدي المسلمين[١].

رابعاً: ... وعلى ذلك فنحن محذروكم وموصوكم باسم الرب بالعمل على التطهر من خطاياكم وذلك بمشاطرة إخواننا سكان القدس ومن حولهم في مصائبهم وآلامهم ... **وعليكم أن تكبحوا بكل غضبةٍ دينيةٍ وقاحة الكفّار** الذين يحاولون إخضاع الممالك، والولايات، والدول، وأن تحاربوا ما وسعكم الجهد هؤلاء الذين أجمعوا العزم على إزالة الاسم المسيحي[٢].

لن نقف طويلاً عند المفردات البذيئة الحاقدة المقصودة السابقة التي انتقاها البابا أوربان الثاني ليصف ا المسلمين، فهي واضحة المعاني والدلالات، أو كما يقال فإ ا شارحةٌ لنفسها بنفسها، ولكن الذي نود الإشارة إليه هنا أنه استعمل هذه الكلمات والمصطلحات وهو يعلم أنّ المسيحيين الأوروبيين الذين خطب فيهم يعلمون معانيها تماماً. وهذا يدل بداهةً على أنّ هذه الأوصاف القبيحة عن العرب والمسلمين كانت شائعة الاستعمال في أوروبا، آنذاك خصوصاً إذا ما تذكّرنا أنّ طبقات ا تمع كافّةً كانت حاضرة في (مؤتمر كليرمونت) ابتداءً بالفلاحين والقساوسة والرهبان والفرسان وانتهاءً بالأمراء والنبلاء، كلّهم كانوا حاضرين ليستمعوا على مدار عشرة أيام لهذا التثوير والإغضاب والشحن ضد المسلمين. وحتى تأخذ هذه الحرب المزيد والمزيد من الغطاء الديني فإنه قام بتكليف العديد من الرهبان بقيادة بعض الفرق والجيوش المتوجهة للمشاركة في الحرب، كما عهد إلى بعضهم الآخر بمرافقة هذه الجيوش لتحميسها ونفخ الروح الصليبية فيها.

وفي اية خطبته الشهيرة تلك اتجه البابا إلى الحاضرين، وصرخ فيهم قائلاً: "عبدوا طريق الرب، واجعلوا سبيله مستقيماً، وما كاد ينتهي من خطبته حتى صاح الجميع صيحةً واحدةً زلزلت أركان المؤتمر، وقالوا في هذه الصيحة: هكذا أراد الله"[٣].

---

(1) آرمسترونج، [م، س] المقدمة.

(2) الرومي، سليمان بن عبد الله بن صالح، دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية، ص ١٣٨، ١٣٩، ط١، ٢٠٠٧، مكتبة الرشد، الرياض.

(3) الجندي، جمعة، ملامح العنف والإرهاب الصليبي في بلاد الشام، ص ٤٤ ط١، ٢٠٠٦، مكتبة مدبولي، مصر.

ومنذ ذلك اليوم أصبحت هذه الكلمة صيحةً عامةً للمحاربين الصليبيين تقابل في كل موقعةٍ من المواقع صيحة من المسلمين "الله أكبر، الله أكبر" وطالما كانت تسمع الصيحتان دائماً عند الصدام الأول بين الفريقين.

وما أن فرغ البابا أوربان الثاني من تلك الخطبة حتى "تسابق الأمراء المسيحيون في ركوعهم بين قدميه، وأسرع في أن يضع شارة الصليب على كل واحدٍ منهم، وأقسم الجميع له يمين الإخلاص للمسيح وتعهدوا له بألا يلقوا السلاح حتى يظفروا ذا الشرف الديني، وهو تحرير الأماكن المقدسة، وتعبيد طريقها للحجاج النصارى، ليقوموا بحجهم دون أن يتعرض لهم أحد من الأتراك"[١].

لقد كان عنصر الإلهام الذي ارتكزت عليه خطبة البابا أوربان الثاني هو الضريح المقدس للمسيح عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ كما كان يدعي، إذ راح البابا يقص على الناس ملحمة "أورشليم"، محور العالم، أم الكنائس، والجنة الأرضية، التي شهدت الميلاد العجيب والرسالة الكبرى ثم طريق الآلام الفادي؛ فالقيامة. إن هذه المدينة قد أمست في أغلال الأسر، وعلى الرجل تخليصها من العبودية والهوان. "وعلى هذا فمن يحمل صليبه يصبح جندياً للمسيح مع جيشه (من خاصة الله) ومن (الشعب المختار). وقال [أوربان الثاني]: "إن الأتراك قد أسروا وقتلوا كثيرين وهدموا الكنائس ودمروا مدينة الله ... وطلب من الحاضرين أن يذكروا الألوف الذين لاقوا موتا شنيعاً، وعدد الفظائع التي زعم أن المسلمين ارتكبوها مع الحجاج المسيحيين مسيحي الشرق، وفي الكنائس ذكّرهم بقول المسيح ـ عليه السلام ـ [كلّ من ترك بيوتاً أو إخوةً أو أخوات أو أباً أو أماً أو أمرأةً أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمي يأخذ مائة ضعفٍ ويرث الحياة الأبدية][٢].

ولما وثق أنه أثار الشجون، وأسال العبرات، استصرخهم قائلاً: "فعلى عاتق أيّ غيركم يقع إذن واجب الانتقام من أعمال الظلم هذه؟ واسترداد الأراضي المقدسة؟ أنتم الذين حباكم الله بالأسلحة والشجاعة الفائقة والقوة الجسدية والمقدرة على الانتصار على كل من يجرؤ على مقاومتكم "لا ترهبوا الموت، لأن فيه تاج الشهادة، فالطريق قصير، والعناء قليل، والجزاء وفير أبدي. احملوا سلاحكم وامضوا فإنه خير لكم أن تقعوا في المعركة من أن تتألموا لما يصيب إخوانكم، وما تتعرض له مقدساتكم "سيروا فإنني أرى أمامكم في الطليعة، القائد الذي لا يغلب المسيح"[٣].

---

(1) المصدر السابق، ص ٤٥.
(2) المصدر السابق، ص ٤٧.
(3) المصدر السابق، ص ٤٨.

لقد لاقت كلمات البابا أوربان صدى واسعاً وحماسةً منقطعة النظير عند الحضور والمستمعين، وهذا واضح تماماً، ولكن السؤال المهم الذي يطرح نفسه الآن هو هل كان لهذه الخطبة وما اشتملت عليه من تثويرٍ وشحنٍ ضد المسلمين أي أثرٍ عمليٍ وانعكاسٍ حقيقيٍ على أرض الواقع؟! الجواب هو نعم وبكلّ تأكيد، فقد كانت تلك الكلمات الملتهبة من ذاك البابا المعصوم وخطب البابوات المماثلة من بعده، السبب المباشر والمستند الشرعي للمذابح والفظائع التي قام ا هؤلاء الصليبيون بمجرد وصولهم إلى القدس، وهي واحدةٌ من أكبر ا ازر والفظائع التي سجلّها تاريخ العصور الوسطى والمعاصرة، "ففي الخامس عشر من تموز من عام ١٠٩٩ للميلاد نجح الصليبيون في إحداث اختراقٍ إلى داخل المدينة واستولوا عليها. ولمدة يومين كاملين، انصرفوا إلى مهاجمة سكان المدينة فقتلوا كل من وقع في أيديهم من السراسنة والأتراك، بل ذبحوا كل فردٍ رجلاً كان أو امرأة ... وفي اليوم التالي للمذبحة، صعد الصليبيون إلى سطح المسجد الأقصى، وهناك قتلوا بدمٍ باردٍ مجموعةً من المسلمين كان تانكرد قد أعطاهم الأمان ... لم يعد المسلمون بعد اليوم أعداء محترمين، بل أمسوا أعداءَ الرب، وبذلك كُتب عليهم أن يبادوا إبادةً لا رحمة فيها ولا شفقة. إ م يدنسون هذه المدينة المقدسة. وبالتالي يجب قطع دابرهم كالحشرات الطفيلية، ومن هذه الزاوية، كانت التسمية التي أُعطيت للمسلمين في اللغة الصليبية هي: "القذارة". ورواية شاهد العيان الأشهر، "ريمون داغويليه"، ترينا بأيةِ روحٍ يشوعيه نفذت تلك المذبحة:

[وشاهدنا أشياءً عجيبةً، إذا قطعت رؤوس عددٍ كبيرٍ من المسلمين، وقُتل غيرهم رمياً بالسهام، أو أُرغموا على أن يلقوا بأنفسهم من فوق الأبراج. وظلّ بعضهم الآخر يعذبون عدة أيامٍ، ثم أُحرقوا في النار. وكنت ترى في الشوارع أكوام الرؤوس والأيدي والأقدام، وكان الإنسان أينما سار فوق جواده يسير بين جثث الرجال والخيل. بيد أن هذا كله لا يعد شيئاً بالمقارنة مع ما حصل في هيكل سليمان [يقصد المسجد الأقصى المبارك] حيث تقام عادةً خدمة القداس. فماذا حصل هناك؟ أخشى إن انا أخبرتكم بالحقيقة أن لا تصدقوها لذلك حسبي أن أقول لكم على الأقل إنه في هيكل سليمان [يقصد المسجد الأقصى المبارك] ورواقه غاص الرجال حتى الركب وأعنة الخيل في الدماء. **وقد كان حكماً إلهياً عادلاً ورائعاً أن يمتلئ هذا المكان بدماء الملحدين، وهو الذي عانى طويلاً من تجديفا م وتدليسا م.** لم تكن تلك المقتلةُ مجرد معركةٍ عاديةٍ من معارك الفتوحات، فقد هجم الصليبيون على مسلمي بيت المقدس وأعملوا في رقا م السيف كأ م ملائكةُ الإنتقام في سفر الرؤيا. كان ذلك حكماً أصدره الرب بذاته. وكان

خلاصاً يشبه الخلاص الذي اجترحه الرب في البحر الأحمر حين فتك بجيش المصريين عن بكرة أبيه. بل كان فصلاً عنيفاً وقاطعاً ما بين العدل والظلم لقد أضحت الحملة الصليبية بحقٍّ حرباً مقدسةً. والرحلة المقدسةُ انتهت بمعركة الخير ضد الشر، أباد فيها جنود المسيح زهاء ٤٠ ألفاً من المسلمين في ظرف يومين ... ومشى قادة الحملة الصليبية، ودموع الفرح تنهل مدراراً على خدودهم، إلى حيث القبر المقدس، فكان لقاءً وجدانياً مؤثراً مع مسقط رأس إيما م. في تلك اللحظة، لّفتهم الأجواء المقدسة للقبر الذي منه قام المسيح من بين الأموات. واحتفالاً بعودة الإيمان إلى أشد مراكزه قدسيةً وقوةً، أنشدوا جميعاً ترانيم قُداس القيامة وقد كتب "ريمون داغويليه" يقول، مردداً صدى إيقاع الطقس الديني الشرقي في احتفاله ببزوغ فجر عصر جديد على العالم:

[إنه يوم جديد، وفرح جديد، و جةٌ جديدة ودائمةٌ بانتهاء عملنا واكتمال تكرسنا، نستقيها من كل الكلمات الجديدة والأناشيد الجديدة. يحق لي أن أقول إن هذا اليوم سيكون يوماً مشهوداً في العصور الآتية كلها، لأنه حولَ جهودنا وأحزاننا إلى فرحٍ وابتهاجٍ، **ويحق لي أنْ أقول إن هذا اليوم هو يوم انكسرت فيه شوكة الوثنية، وظهرت فيه براءة المسيحية كاملة، وتجدد فيه ايماننا]**"[1].

كانت تلك المذابح والأعمال الهمجية التي قام ا الصليبيون في القدس (التي سموها المدينة المقدسة ومدينة الله) نتيجةً وأثراً عملياً واقعياً للشحن الذي قام به أوربان الثاني "المعصوم" ومن جاء بعده مِن البابوات الصليبيين. كانت صورة القدس السماوية لا تفارق مخيلة هؤلاء الصليبيين طيلة مسيرهم نحو القدس. وقد وصلوا إليها بعد ثلاث سنواتٍ من العذاب والسير والترحال. ولمّا وصلوا مشارفها أجهش جيشهم كله بالبكاء وأخذ يطلق صيحات مدويةً.

"لكن صيحا م قد تكون صيحات غضبٍ خالصٍ. ففي ذلك الحين، كما هي الحال الآن، كانت المدينة المهيبة الرابضة على التلال بأسوارها المنيعة تهيمن عليها صورة الجامِعين الكبيرين: المسجد الأقصى وجامع عمر. ولا بد أنّ عظمة وجلالة هذين الصرحين، اللذين هما أكثر مهابةً بكثيرٍ من أي شيءٍ آخر في العالم المسيحي آنذاك، شكّلا على ما بدا لهم إهانةً للرب وللدين الحق. ويمكن أن يكونوا قد شعروا بما يشبه "الرهبة". لقد قيل للصليبيين إنّ

---

(1) انظر:

أ. ديورانت [م. س]، ا لد الرابع من الجزء الرابع الباب ٢٣، الفصل الأول، الحروب الصليبية، ص ٢٥.

ب. آرمسترونج، الحرب المقدسة [م. س] ص ٢٣١، ٢٣٢ بتصرف.

ج. الفرا [م. س] ص ٣١ – ٣٣.

د. زابورف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ترجمة إلياس شاهين، ص ١٢٢، ١٢٣، ط١، ١٩٦٨، دار التقدم، موسكو.

هـ. حبشي، حسن، الحرب الصليبية الأولى، ص ١٧٩، ط١، ١٩٥٨، دار الفكر العربي، القاهرة.

المسلمين يحتلّون المدينة المقدسة، وها هم يستطيعون رؤية ذلك بأم أعينهم. فبوسعهم سماع أصوات المآذن تتردد عبر الروابي والأودية المجاورة، وبدت لهم كما لو أنها إهانةٌ متعمدةٌ وتهديد عميق لمشروعهم كلّه الذي راهنوا عليه بأرواحهم ذاتها. إنّ هؤلاء المسلمين بديانتهم الغامضة والزائفة إنما يلوثون التراب المقدس. لقد كانوا من مصر، وقد نظر إليهم الصليبيون على نحوٍ يختلف كثيراً عن نظرتهم إلى الأتراك في آسيا الصغرى، ليس لأسبابٍ عرقيةٍ، بل لأنهم في أورشليم، ولذلك لابد أن يكونوا أعداء الرب"[1].

نستطيع في نهاية حديثنا عن الحرب الدينية الصليبية التي تمّت بأمرٍ ودعمٍ وتمويلٍ من الكنيسة الكاثوليكية الغربية، نستطيع الآن أن ندرك أهمية الاعتذار التاريخي والهام الذي قدمه ما يقارب الثلاثمائة من القساوسة المسيحيين عن الحروب الصليبية؛ التي أضرت بالمُسلمين وتسببت بآثامٍ وخسائر بشريةٍ وعقائدية طالبين المغفرة من الله الرحيم والصفح من الأمة الإسلامية في جميع أنحاء العالم "وجاء ذلك في جواب للمسيحيين بعنوان "حب الله وحب الجار" رداً على رسالة وقعها ١٣٨ عالماً ومفكراً مسلماً بعنوان "كلمة سواء بيننا وبينكم" والذي قال فيه كبار رجال الدين والفكر والعلماء المسيحيين إننا نود البدء بالإقرار بأن العديد من المسيحيين في الماضي ـ في الحروب الصليبية مثلاً ـ وفي الحاضر ـ في تجاوزات ما يسمى الحرب على الإرهاب مثلاً ـ أذنبوا بارتكابهم آثاماً ضد جيراننا المسلمين، فقبل أن نصافحكم رداً على رسالتكم نطلب مغفرة الله الرحيم وصفح الأمة الإسلامية من جيمع أنحاء العالم.

إننا نفهم هذا الاعتذار ونقدره تماماً ونفهم أنه جاء ليمحو مرارات الماضي ويؤسس لحوارٍ ضروري ومطلـوبٍ بـين المسلمين والمسيحيين في واقعنا المعاصر، لكن الذي لا نفهمه هو سبب إصرار الفاتيكان ورئيسها البابا، علـى عـدم المشاركة في هذا الاعتذار، خصوصاً وأنه يرأس المؤسسة الدينية التي حملت لواء تلك الحروب وجعلت مـن الـصليب شعاراً لها بدءاً من حملتها الأولى وحتى الأخيرة!!! والذي لا نفهمه كذلك أنّ الفاتيكان وبالرغم من إصراره على عدم الاعتذار للمسلمين عن الجرائم التاريخية التي لبست لباس الدين المسيحي نراه يرسل بين الحين والآخر، رسالات اعتذارٍ ومحبةٍ وتقديرٍ لليهود ويصر على تبرئتهم من دم المسيح، عليه السلام، بالرغم من أن (العهد الجديد) ينص وبكل صراحةٍ على أنهم هم المسؤول الأول والأكبر عن حادثة الصلب تلك!!!.

---

[1] آرمسترونج، [م. س]، ص ٢٣٠، بتصرف.

المبحث السابع

القديس برنار

إذا كان الراهب بطرس الناسك سبباً رئيسا ومباشراً في الدعوة للحملة الصليبية الأولى وإثارة حماسة النـاس لها، كما أسلفنا، فإن القديس برنار[1]، قد لعب الدور نفسه في الحملة الصليبية الثانية، لا بل يزيـد، فالراهـب الأول بطرس استغل دعوة البابا أوربان الثاني للحرب الصليبية، أما القديس برنار هذا فكان هو صاحب الفكرة ابتداءً؛ حيث أثار سقوط (الرها) على يد ا اهد عماد الدين زنكي عام ١١٤٥م، في قلب هذا الراهب الرعب والذعر فخـشي أن تكون تلك مقدمةً لتوسعٍ إسلامي جديدٍ نحو الغرب الأوروبي.. ولمّا كان الناس في أوروبا عموماً، وفي فرنسا وألمانيـا خصوصاً، متشائمين من الأهوال والمتاعب التي رافقت الحملة الصليبية الأولى، والتي حدثت قبل خمسين سنةً من ذلك، قام هذا الراهب ينفخ الروح الصليبية في الناس، ويثير فيهم الحنين للرحيل إلى الشرق من جديد. وقد كان هذا الراهب متنفذاً جداً، وعلى علاقةٍ وثيقةٍ بملك فرنسا "لويس السابع" و البابا "أوجينيوس الثالث" الذي كان عضواً في جمعيـة الأخوية التي كان هذا الراهب رئيسها بل ومؤسسها آنذاك. "وقد كان الراهب برنار هذا في أرجـح الظـن أقـوى شخصيةٍ في أوروبا حينذاك"[2]، وكان يتمتع بموهبةٍ فذّةٍ في الخطابة لا تعرف الحدود، كما كان يمتلك قدرةً فائقةً على التأثير في الناس .. تمّت الدعوة للحملة (أو الحرب) الصليبية الثانية في تجمعٍ جماهيري حاشدٍ في مدينة فيزيلية الفرنسية، حضره الملك لويس السابع بنفسه في اليوم الحادي والثلاثين من شهر آذار عام ١١٤٦ للميلاد، وكان مـن الحـضور كبار رجال الدولة وعدد كبير من البارونات (جمع بارون) الفرنسيين، لقد أزال الراهب برنار في خطبةٍ ناريةٍ ألقاها في هذا التجمع كل الشكوك من نفوس الناس الحاضرين، وأقنعهم " بأن سقوط الرها ليس بكارثةٍ، بل هو جزء من خطّة الرب المقدرة، لا بل إنّ الرب (سمح) لزنكي أو حتى "دفعه" إلى الاستيلاء على الرها كي يمنح المسيحيين فرصةً مذهلةً، ولسوف يكون مع شعبه في حملته الصليبية الجديدة، التي هي تجلٍّ للحب الإلهي، وأحد أعظم الأحداث شأناً في التاريخ الخلاصي وفي ايةَ تلك الخطبة خر الملك ساجداً على ركبتيه وتناول شارة الصليب، وتبعه في ذلك حشد "هائلٌ "جداً

---

[1] برنار أو برنارد، قديس فرنسي عاش بين ١٠٩٠م-١١٥٣ م . ولد في فونتن – ليه – ديجون بفرنسا وكان أبوه من النبلاء، وعندما بلغ الثانية والعشرين من عمره دخل برنارد الدير البندكتي بمدينة سايتو، وفي عام ١١١٥م أسس ديراً بندكتياً بمدينة كليرفو، وصار رئيساً له، امتد تأثيره إلى نطاقٍ واسعٍ، حتى أن مساندته لكل من انوسنت الثاني ويوجين الثالث ساعد ما في الجلوس على كرسي البابوية. وشارك عام ١١٤١م في مجلس الكنيسة الذي أدان اللاهوتي بيير آبيلار بالخروج عن الدين . في عام ١١٤٦م جعله يوجين مسؤولا عن تنظيم الدعم للحملة الصليبية الثانية.

[2] آرمسترونج [م.س] ص ٢٥٣ .

من كل طبقات وفئات المجتمع، حتى أن المخزون من شارات الصليب الجاهزة نفد بسرعةٍ اضطر معه برنار إلى تمزيق ردائه إلى شرائط ومناولتها للحشود الصاخبة"[1].

كيف لا وقد كان هذا الراهب يتمتع بشخصيةٍ قويةٍ مؤثرةٍ مقنعةٍ كفيلةٍ "بإقناع جمهوره حتى قبل أن ينبس ببنت شفةٍ".[2]

وكان من الطبيعي والمتوقع ، بعد أن شاهد الملك لويس ما شاهد من عبقرية هذا الراهب في الخطابة والتأثير أن يقوم بتكليفه بالإشراف على الدعوة لحملةٍ صليبيةٍ جديدة، وجمع الدعم اللازم لها. وهذا الذي كان، فقد تجَولَ هذا الراهب في معظم المدن والمقاطعات في فرنسا وألمانيا مجدداً الدعوة لحملةٍ صليبيةٍ جديدةٍ، ومؤكداً على مشروعية الحرب المقدسة التي أضحت محل تشجيع ودعم الكنيسة، مستفيداً من فصاحته وقدراته وخلفيته الصوفية المسيحية "هذا ولسوف تصبغ قواه الصوفيةُ هذه الحملةَ بصبغتها لتجعل منها الحملة الأشد تديناً من بين سائر الحملات الصليبية على الإطلاق"[3]. وقد خاطب هذا الراهب البابا أوجينيوس الثالث، زميله في جمعية أخوية برنار الدينية، برسالةٍ يمتدح فعله ونشاطه الذاتي وتأثيره في الناس قائلا: " فتحت فمي ، تكلمت، وفي الحال تضاعف عدد الصليبيين إلى ما لا نهاية. المدائن والدساكر خلت من سكّانها، وترى في كل مكانٍ أرامل لأزواجٍ لا يزالون على قيد الحياة"[4]. لقد كان مضمون الدعوة التي سار بها الراهب برنار لتحريض الناس على النهوض لمحاربة المسلمين مشابهاً وبدرجةٍ كبيرةٍ لدعوة سلفه بطرس الناسك. لكن الجديد في هذه الدعوة (دعوة برنار التحريضية) هو تقديمه تبريراتٍ تقنع الناس بأسباب نصر الله المؤقت للأعداء الوثنيين المسلمين على عباد الرب من المسيحيين، وهي المبررات والأسباب التي لطالما تساءل عنها "جيش الرب" "وجند المسيح" من المسيحيين الذين تركوا أموالهم وزوجاتهم وأولادهم، وخرجوا للاشتراك في الحرب ضد أعداء الرب في الشرق، لكنهم فوجئوا بتخلّي الرب عنهم مراتٍ كثيرةً لصالح أعدائهم من المسلمين الكفار!!!.

لقد كان مضمون دعوة برنار وتبريراته تلك يتلخص في أن هذه الحملة الصليبية الثانية إنما هي دعوةٌ سماويةٌ موجهةٌ من الرب إلى كل صليبيٍّ على حدى، وأنّ المسيحي الذي يتوجه بنفسه للأراضي المقدسة فإنما يستجيب لنداءٍ

[1] آرمسترونج [م. س] ص ٢٥٣ باختصار وتصرف
[2] المرجع السابق نفسه ص ٢٥٣
[3] آرمسترونج، [م. س] ص ٢٥٤
[4] آرمسترونج [م. س] ص ٢٥٤

شخصي ويخلص روحه هو، "وأن الرب إذا كان قد عرض نفسه للخطر بسماحه بانتصار المسلمين، فما ذلك إلا لكي يجعل الحملة الصليبية ضروريةً"[١].

لقد عاش هذا الراهب في دير كليرفو حياةً من التقشفِ، وطور في مفهوم الرهبنة الشيء الكثير، واجتذب إلى ديره العديد العديد من شباب العائلات الثرية النبيلة آنذاك. وهو على تقشفه في الدير لم يكن راهباً متديناً فحسب، بل كان فارساً سابقاً وفي الوقت ذاته شديد الا ماك في الحياة السياسية للعالم المسيحي، وكانَ على وعيٍ تامٍّ "بقوة المارد الإسلامي، ولعل هذا بالذات ما جعل انتصار زنكي على الفرنجة المسيحيين في الرها، يبدو بالغ الخطر وحدا ببرنار إلى وصفه بنقطة تحولٍ في التاريخ"[٢]. ولعلّ الذي نراه مكمناً للخطر الحقيقي لهذا الراهب برنار هو أنه كان على الـدوام نصيراً داعماً ومتحمساً لفرق الرهبان الفرسان (الداوية)[٣]، أو كما اشتهرت تسميتهم (فرسان الهيكـل). "وسـاهم مساهمةً جادةً في اتخاذ مجمع "ترويه" لقرارٍ باعتبار أخوية الداوية (فرسان الهيكل) سلكاً دينياً رسمياً في الكنيسة وصادق على قواعدها وأحكامها"[٤].

كان هذا الراهب شديد الإعجاب بفرقة الفرسان الرهبان الإرهابية هذه بوصفهم الجنود المسيحيين المثاليين، وما ذلك إلا لأن هذا الراهب كان يرى أنّ أوروبا في حالة حربٍ دائمةٍ، وأنّ المسيحي الجاد يجب عليـه أن يكـون جاهزاً على الدوام للقتال!!!.

كان برنار يرى المغامرة الصليبية العنيفة كتجلٍّ للمحبة الإلهية، كما كان يعتقد أنّ (الداوية) يحقّقـون المثـل العليا للحب المسيحي الذي يجمع، في عرفه ، ما بين الرقّة والضراوة، فيقول: "إنّ هؤلاء المحاربين لهم أكثر وداعةً مـن الحملان، وأشد ضراوةً من السباع، إ م يقرنون سلاسة الراهب ببسالة الفارس، حتى ليصعب على المرء معرفة ما ينبغي أن يسميهم: رجال يزينون هيكل سليمان بالتروس بدلاً من تيجان الـذهب، وبالـسروج والألجمـة بـدلاً مـن الشمعدانات.... من يعيشون في بيتٍ واحدٍ على كثر م، وفقاً لقاعدةٍ واحدةٍ، وبروحٍ واحدةٍ وقلبٍ واحدٍ"[٥]. لقـد كان هذا البرنار من الداعمين والمؤيدين لنظرية "الحرب المقدسة" وعمل على تكريسها كواقـع في حيـاة المـؤمنين

---

[1] آرمسترونج [م. س] ص ٢٥٦ بتصرف

[2] المرجع سابق نفسه ص ٢٥٦

[3] سبق التعريف م في المبحث السابق.

[4] المرجع السابق نفسه ص ٢٦٣

[5] آرمسترونج [م. س] ص ٢٦٤

المسيحيين بكل ما استطاع وأوتي من إمكانات ، فكان دون أدنى شكٍ من رهبان الحرب والموت الذين خلعوا لباس الرهبانية ولبسوا أثواب الحرب داعين على الدوام إلى القتال ثم القتال ضد أعداء الرب (المسلمين طبعا) !!!.

كان هذا الراهب المُحارِب يرى "الحرب المقدسة" الحل الأفضل والأصح والوحيد لمشكلة الوثنية (الإسلامية طبعاً)، وها هو يشرح لفرسان الهيكل (الداوية) أثناء حديثه عن الوثنيين ويقول: " مادام الأمر كذلك فمن الأفضل القضاء عليهم، حتى لا يبقى سيفهم بعد اليوم مسلّطاً على رؤوس أهل العدل والإنصاف"[(١)]. وتعلّق كارين آرمسترونج على نزعات الراهب برنار السابقة بقولها: "ولا نجافي الحقيقة إذا قلنا إن الموت المسيحي الأمثل عند برنار هو موت المرء أثناء قتاله وقتله أعداء الرب، أجل، فسواء قضى الإنسانُ نحبه في فراشه أو في ساحة المعركة، فإنّ موت قديسيه غالٍ دونما شكٍ في نظر الرب، لكن موته في القتال سيكون أغلى بعد بكثيرٍ بكل تأكيدٍ، ولكن حقيقة أن هؤلاء الشهداء يصعدون إلى الجنة بعد أن ذبحوا أناساً آخرين، ما كانت تزعج برنار مثقالَ ذرةٍ"[(٢)]. وإضافةً لما سبق من تكريس هذا الراهب المحارب لنظرية "الحرب المقدسة"، فإنه عمِلَ على تكريس نظرية "الاستشهاد في سبيل المسيح"، وقد سبق الحديث عنها، معتبراً الاستشهاد في سبيل المسيح أسمى دليلٍ على الحُب. وها هو يخاطب مجموعة الإرهابيين الذين يحملون اسم فرسان الهيكل قائلا: "ماذا هناك يا ترى مما يدعو لخوف الإنسان سواء أعاش أم مات؟ طالما أنّ الحياة بالنسبة إليه هي المسيح، والموت بالنسبة إليه هو الفوز؟ إنه يظل في هذه الدنيا أميناً وراغباً في المسيح، لكن رغبته الأعظم هي في الذوبان لكي يكون مع المسيح... وذلك لعمري المآلُ الأمثل. لذا ، كروا في أمانٍ، أيها الفرسان، وبنفوسٍ لا تعرف الوجل ادحروا أعداءَ صليب المسيح، واثقين من أنه لا الموت ولا الحياة يمكن أن تفرقكم عن محبة الرب الكائنة في يسوع المسيح، ومرددين في سركم عند كل خطرٍ: سواء عشنا أم متنا، نحن في حوزة السيد. فيا مجد المنتصرين العائدين من أرض المعركة! ويا لنعمة الشهداء الصرعى على أرض المعركة"[(٣)].

من الواضح أن نظريات ومفاهيم ومعتقدات هذا الراهب المحارب، لا تحمل أي نوعٍ من أنواع الرحمة أو الإنسانية أو حب الحياة، ولا حتى أدنى نوعٍ من الأخلاقيات التي يفترض بالرهبان أن يتحلوا بها. والمصيبة أنّ هذا البرنار كان يرى الحروب الصليبية عملاً من أعمال الرب تماماً!!!!. وما نرى التراث الذي جاء به إلا شبيهاً بالتراث

---

(1) المرجع السابق نفسه ص ٢٦٥

(2) المرجع السابق نفسه ص ٢٦٥

(3) آرمسترونج [م. س] ص ٢٦٥

الذي حمله سلفه بطرس الناسك؛ تراث الحقد والكراهية والتحريض على قتال المسلمين الوثنيين الكفار أعداء الرب الواجب قتالهم وذبحهم !!!.

"**لم يكن المسلمون بالنسبة إليه كائناتٍ بشريةً حقيقيةً، وقد أساء هو ومعاصروه التكهن بنواياهم فيما خص أوروبا، وأخطر من ذلك، أنه افترض أنهم صاروا في جيب المسيحيين فعلاً لأنهم، على ما يرى، مجرد أدواتٍ استخدمها ويستخدمها الرب لتمجيد الغرب المسيحي**"(١).

إن كانت هذه هي خلاصة الأفكار، بل المعتقدات، التي يحملها القديس برنار عن الإسلام والمسلمين، فمن البدهي أن تكون هذه المعتقدات عينها هي التي يحملها المئات من الرهبان الذين تتلمذوا على يديه وصقلهم في دير كليرفو، وفي رابطته الأخوية الرهبانية. مع التذكير بأنّ قِسماً كبيراً من هؤلاء الرهبان قد شارك في الحرب ضد المسلمين في الحملة الصليبية الثانية. ولكن ما النتيجةُ التي آلت إليها هذه الحملة الثانية التي قادها ودعا إليها هذا البرنار؟

لقد كانت هزيمةً نكراء وإخفاقاً شنيعاً، دفع المسيحيون الآلاف من أرواح أبنائهم، مرةً أخرى ثمناً لها. **وقد خلق فشل هذه الحملة، الأكثر تديناً في تاريخ الحروب الصليبية، رد فعلٍ عكسياً في الأوساط الأوروبية حيث "أخذ الناس يتساءلون كيف يرضى الله جل جلاله أن يذِل المدافعين عن دينه هذا الإذلال المنقطع النظير؟ وشرع النقاد يهاجمون القديس برنار ويصفونه بأنه خياليٌ متهور، يرسل الناس ليلاقوا حتفهم. وقام في أماكن متفرقةٍ بعض المتشككةِ الجريئين يجادلون في القواعد الأساسية للدين المسيحي، ورد عليهم برنار بقوله "إن أساليب الله سبحانه لا تدركها عقولُ البشر، وإن الوبال الذي حل بالمسيحيين ربما كان عقاباً لهم على ما ارتكبوا من ذنوب"**(٢).

بدعمٍ وتحريضٍ من هذا الراهب الذي أحل قومه دار البوار، أعاثت فرق الرهبان الفرسان الخراب في بلاد المسلمين، وأهلكت الحرث والنسل منطلقةً من خلفيتها الرهبانية وواقعها المسلح، ولعل هذا هو الذي دفع صلاح الدين، يرحمه الله، ليكون أشد قسوةً عليهم من غيرهم من الأعداء الصليبيين، مع أنه "كان في العادة شفيقاً على الضعفاء، رحيماً بالمغلوبين، يسمو على أعدائه في وفائه بوعده سمواً جعل المؤرخين المسيحيين يعجبون كيف يخلق الدين الإسلامي، "الخاطئ" في ظنهم، رجلاً يصل في العظمة إلى هذا الحد، وكان يعامل خدمه أرق معاملةٍ، ويستمع

---

(1) المرجع السابق نفسه ص ٢٦٥ – ٢٦٦

(2) ديورانت [م. س] الجزء الرابع من المجلد الرابع، عصر الإيمان، ص ٣٣ .

بنفسه إلى مطالب الشعب جميعها، وكانت قيمةُ المال عنده لا تزيد على قيمة التراب، ولم يترك في خزانته الخاصة بعد موته إلا ديناراً واحداً"(١).

نعم، هذه هي أخلاق فرساننا، وهذه هي أخلاق فرسا م. هذه ممارساتنا إن تمكنا منهم، وهذه ممارسا م إن هم تمكنوا منا... ونختم هذا المبحث بعقدِ مقارنةٍ سريعةٍ بين عينةٍ من رسائل القديس برنار، سبق إيرادهـا، لفرسـان الهيكل، وبين رسالةٍ ووصيةٍ تركها صلاح الدين لابنه الظاهر وهذا نصهما:

رسالة القديس برنار	رسالة صلاح الدين
ماذا هناك يا ترى مما يدعو لخوف الإنسان سواء أعاش أم مات؟ طالما أن الحياة بالنسبة إليه هي المسيح، والموت بالنسبة إليه هو الفوز؟ إنه يظل في هذه الدنيا أميناً وراغباً في المسيح، لكن رغبته الأعظم هي في الـذوبان لكـي يكون مع المسيح... وذلك لعمري المآلُ الأمثل. لـذا ، كروا في أمانٍ، أيها الفرسان، وبنفوسٍ لا تعرف الوجل، ادحروا أعداء صليب المسيح، واثقين من أنه لا المـوت ولا الحياة يمكن أن تفرقكم عن محبة الرب الكائنـة في يسوع المسيح، ومرددين في سركم عند كل خطرٍ: سواء أعشنا أم متنا، نحن في حوزة السيد. فيا د المنتـصرين العائدين من أرض المعركة! ويا لنعمة الشهداء الصرعى على أرض المعركة.(٢)	أوصيك بتقوى الله تعالى فإ ا رأس كل خيرٍ، وآمرك بما أمر الله به فإنه سبب نجاتك، وأحذرك من الدماء والدخول فيها والتقلد ا فإنّ الدم لا ينام، وأوصيك بحفظ قلوب الرعيـة والنظر في أحوالهم، فأنت أميني وأمين الله عليهم، وأوصيك بحفظ قلوب الأمراء وأرباب الدولة والأكابر، فما بلغت ما بلغت إلا بمداراة الناس، ولا تحقد على أحدٍ، فإن الموت لا يبقي على أحد، واحذر ما بينك وبين الناس فإنه لا يغفر إلا برضاهم، وما بينك وبين الله يغفره الله بتوبتك إليه، فإنـه كريم.(٣)

---

(1) المرجع السابق نفسه ص ٤٤، ٤٥

(2) آرمسترونج [م. س] ص ٢٦٥

(3) ديوارنت [م. س] ص ٤٥ / نقلا عن كتاب " صلاح الدين"، لستانلي لين بول ونقلها المترجم الأستاذ عبد الحميد يونس، عن "النـوادر الـسلطانية والمحاسـن اليوسفية ، لابن شداد.

المبحث الثامن

هل انتهت الحروب الصليبية؟

لا زال العقل المحايد المتجرد عن التحيز، لا يفهم حتى هذه اللحظة كيف أخذ البابوات المتعاقبون ومجامعهم المسيحية بآراء واجتهادات أوغسطين وتركوا وصايا المسيح السابقة الواضحة وضوح الشمس في الأمر بنبذ العنف!! إنّ (محاكم التفتيش) التي شرعتها الكنيسة الغربية (والحروب المقدسة العادلة) ضد العالم الإسلامي لهي وصمةُ عارٍ كانت ولا زالت واضحةً في جبين الكنيسة الغربية التي تصر حتى اليوم على عدم الاعتذار عن هاتين الجريمتين مهما كلّفها الأمر، وفي هذا كبير دليلٍ على اعتقادها بصحة ما فعلته، كما أنّ فيه دليلاً على أنّ الحروب الصليبية لم تنتهِ ولم تتوقف بتوقف الحملات العسكرية التي أعلنها أوربان الثاني في مجمع كليرمونت.لم تنتهِ الحروب الصليبيةُ التي تسببت بجراحاتٍ وآلامٍ ومساهماتٍ في بعد الشقّة بين حضارتنا وحضارة الغرب، لم تمت الروح الصليبية ولكنها اتخذت أشكالاً معاصرةً متعددةً في التعبير عن وجودها واستمراريتها وكينونتها.

"إن التحديد الزمني للحركة الصليبية بين سنتي ٥٨٨ هـ - ٦٩٠ هـ، هو تحديد خاطئٌ لا يقوم على أساسٍ سليمٍ ولا يعتمد على دراسة الحركة الصليبية دراسةً شاملةً، وإنما يكتفي بعلاجٍ مبتورٍ يشمل جزءاً من تلك الحركة ولا يعبر عن جذورها وأصولها من ناحيةٍ، ولا عن ذيولها وبقاياها من ناحيةٍ أُخرى"[1].

إن كانت الحروب الصليبية قد انتهت فعلاً فكيف نبرر ما يلي:

لمّا دخل الجنرال اللنبي القدس يوم ١٩١٧/١٢/٩م قال قولته المشهورة: [الآن انتهت الحروب الصليبية] ولمّا دخل الجنرال جورو دمشق يوم ١٩٢٠/٧/٢١م توجه إلى قبر صلاح الدين الأيوبي ووقف أمامه قائلاً: [ها قد عدنا يا صلاح الدين]. وما قاله اللنبي أو جورو ما هو إلا تعبير عن الموقف السياسي والثقافي الأوروبي في ذلك الوقت، فنشرت الصحف البريطانية صور اللنبي وكتبت تحتها العبارة التي قالها، وهنأ لويد جورج وزير الخارجية البريطانية في ذلك الوقت الجنرالَ اللنبي في البرلمان البريطاني لإحرازه النصر في آخر حملةٍ صليبيةٍ من الحروب الصليبة التي سماها لويد جورج الحملة الصليبية الثامنة.

---

(1) عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ٢٦/١.

لم تنتنه الحروب الصليبية، ولا زالت المدارس في بريطانيا والولايات المتحدة تجملُ صور ا القبيحة الدموية في أعين تلاميذ المدارس الصغار، لينشأوا على الإعجاب بالفرسان الصليبيين البواسل ويحبوهم ويتمنوا عودة أيامهم. نحن لم ندرس في هذين البلدين الكبيرين، ولم نطّلع على مضمون مناهجهما، ولكننا ننقل في هذا ا ال شهادات اثنين من أشهر الكتاب في تاريخ البلدين، **أما الشهادة الأولى فهي ما ذكرته الكاتبة البريطانية كارين آرمسترونج، وهي راهبة كاثوليكية سابقة،** في **مقدمة كتا ا عن الحرب المقدسة:[١].** "جرت العادة، عندنا في إنكلترا، أن نتعرف على العصور الوسطى عندما نكون بعد أطفالاً صغاراً، وتبدو لنا تلك العصور كما لو كانت زمناً موغلاً في السحر. فهم يطلعوننا على اللحظات الكبرى في تاريخنا ... فنتعلّم أن تلك الأزمنة كانت عصراً عظيماً من الإيمان الديني ... وكل ذلك يتراءى فاتناً ساحراً إلى حدٍّ ما، وأبعد ما يكون في روحه عن عصرنا الحاضر، حتى لتبدو الأحداثُ والوقائع محاطةً الةٍ من الأسطورة **ذلك هو الزمن الذي نسمع فيه أولَ ما نسمع عن الحملات الصليبية، وهو يبدو لنا سحرياً وشاعرياً إلى حدٍّ غير عملي بتاتاً، مثله مثل سائر أجزاء الحقبة المذكورة: فلمدةٍ تربو على مئتي سنة، جعل الصليبيون البواسلُ يخيطون صلباناً حمراً على أرديتهم ويسيرون إلى أورشليم لإنقاذ قبر السيد المسيح من الأوغاد [قوم يعرفون فيما يشبه الغموض بـ "الكفّار" أو السراسنة][٢].**

وأما الشهادة الثانية، فهي ما ذكره الكاتب الأمريكي بول فندلي،وهو عضو مجلس شيوخ أمريكي سابق، في **مقدمة كتابه لاسكوت بعد اليوم** "قالت لنا معلمتنا، وهي متطوعةٌ عطوفةٌ عمِلت بإخلاصٍ سنواتٍ طويلةً: **إن شعباً أمياً وبدائياً وميالاً إلى العنف يعيش في مناطق صحراوية في الأراضي المقدسة، ويعبد "إلهاً غريباً". وما زلت أذكر، من طفولتي المبكّرة، أ ا كانت تسميهم "محمديين"؛ وتواظب على تكرار قولها: "إ م ليسوا مثلنا". وكُنا، أثناء حديثها، نلهو في صندوق رملٍ كبيرٍ، نغرس في مواقع مختلفةٍ منه، أشكالاً مصغرةً لأشجار النخيل والجمال والخيم والبدو.** لقد انغرزت تعليقا ا في ذاكرتي. وبقيت معظم حياتي أحمل صورة عن المحمديين كأناسٍ غرباء جهلةٍ، ويضمرون الأذى للآخرين. كانت معلّمتي، مثلها مثل العديد من الأميركيين اليوم، تكرر ببراءةٍ، الأضاليلَ التي اكتسبتها من أُناسٍ آخرين يفتقرون إلى المعرفة الوافية. فقد كانت تردد في صفّنا ما كانت تعتقد أنه الحقيقة، بما في

---

(1) انظر آرمسترونج، الحرب المقدسة [م. س]، بتصرف المقدمة ص ١٣.

(2) علّقت الكاتبة على استعمالها لكلمة (السراسنة) بقولها "السراسنة" بدلاً من كلمة "عرب" أو "مسلمين" حفاظاً على ما تعنيه لدى الغربيين؛ ولأن تعريبها بكلمـة "مسلمين" (أو عرب) لا يؤدي معناها الحقيقي النفسي لديهم، بما كانت تثيره في نفوسهم من مشاعر النفور والفزع.

ذلك التسمية المغلوطة "المحمديون". لا أظنها تعمدت تقديم معلوماتٍ مضلّلةٍ، أو الافتراءَ على الإسلام. كانت، بكل بساطةٍ، تفتقر إلى الحقائق، شأ ا شأن المعلّمات الأخريات والقس الذي ترأس أبرشيتنا ... وحتى الترتيلة المفضلة "إلى الفرسان في الأيام الخوالي"، أدامت الصور المزيفة. وما زلت أذكر، بعد سبعين عاماً، أ ا تقع في الصفحة ٢١٩ من كتاب التراتيل، كما أذكر لحنها وكلما ا، فقد كانت المراسم الافتتاحية تتضمن، على الدوام، إنشاداً جماعياً. **وكنا ننشد الترتيلة ٢١٩** بحماسٍ، **إذ كانت أنشودةً مرحةً** تحتفي **بالصليبيين المسيحيين** في **الأراضي المقدسة: "إلى الفرسان** في **الأيام الخوالي الذين** يحرسون **المرتفعات الجبلية**، جاء طيف الكأس المقدسة، وصوت عبر الليل المنتظر منادياً: اتبعوا، اتبعوا الضوء، الرايات المرفوعة في العالم أجمع؛ اتبعوا، اتبعوا، وميض كأس القربان، إنه الكأس المقدسة **... تنقلُ هذه الترتيلة نظرةً مشوهةً إلى الإسلام، ما زال يقبلها كنظرةٍ تتسِم بالدقّة، العديد من المسيحيين، وربما غالبيتهم، فكلماتها التي تصور الفرسان أبطالاً، لا تلمح إلى إقدامهم، في الواقع، على ذبح آلاف المسلمين الأبرياء، واستمتاعهم بارتكاب ا زرة.** لقد تجاهل الصليبيون، الذين سموا أنفسهم مسيحيين، التزام دينهم التسامح والرحمةَ والعدل. وسلكوا، بدلاً من ذلك، سلوك المتوحشين التواقين إلى الانتقام، والمتعطّشين للدماء"[1]...

إن كانت هذه كلمات وتعليقات المسيحيين أنفسهم فماذا عسانا نحن أن نقول؟؟؟ إنّ المرحلة الابتدائية في الدراسة هي مرحلة التأسيس في التعلم والتحصيل العلمي، لا بل هي مرحلةُ الحفر والنقش على الحجر ... لبئس النقش وبئس الحجر. لقد لخصت الكلمات السابقة كل ما سبق ذِكره من صناعة الكنيسة الغربية لصورةٍ مزيفةٍ مقصودةٍ عن الإسلام. لم تمت هذه الصورةُ، كما أسلفنا، ولم تنتهِ بل على العكس لقد عاشت ونمت وتطورت واستفادت من وسائل الإعلام والاتصال المعاصر حتى وصلت إلى أعماق الضمير المسيحي الغربي المعاصر، في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية. من المؤسف فعلاً أن نسجل هنا أنه وبالرغم من الفشل المرير الذي منيت به الحركة الصليبية فإن المثال الصليبي تحولَ بمرور الوقت، تحت تأثير وسائل الإعلام إلى مثالٍ براقٍ يوحي بالشجاعة والتضحية بالنفس في سبيل المثل الأعلى. واستقر في الوجدان الشعبي الأوروبي أن (الحملة الصليبية) لابد من أن تكون بالضرورة حملةً خيرةً، نبيلةَ القصد والهدف، م هةً عن الغرض مثل: رعاية المرضى، ومساعدة المنكوبين، أو جمع التبرعات ... وما إلى ذلك من أهداف. وربما يكون الموروث الشعبي الأوروبي المتداولُ حول الحروب الصليبية الذي حملته الأغنيات الشعبية الأوروبية

---

(1) فندلي، بول، لاسكوت بعد اليوم مواجهة الصور المزيفّة عن الإسلام في اميركا، ترجمة تحسين خياط، ص ٣٥، ٣٦ بتصرف واختـصار، ط١، ٢٠٠٢، شـركة المطبوعات للتوزيع والنشر بيروت، لبنان.

وغيرها من عناصر هذا الموروث وراء تلك الصورة الأخاذة التي ترتسم في أذهان الناس عامةً في أوروبا حين ترن في آذا م عبارة (الحملة الصليبية). إذ أن الأغنيات والحكايات الشعبية الأوروبية عن الحروب الصليبية تخلّت عن الحقيقة التاريخية لصالح القراءة الشعبية لتاريخ تلك الظاهرة التي كانت في حينها تجسيداً لأحلام الفقراء والمعدمين من أبناء الغرب الأوروبي.

وربما يكون الحادث الوحيد الذي يتذكره خِريج الجامعة العادي في **أوروبا من حوادث تاريخ العصور الوسطى هو الحروب الصليبية التي يتصورها** في **صورة فرسانٍ بواسل على جيادهم الفارهة، وقد فارقوا الأهل والوطن** تحت **راية الصليب ليطاردوا العرب ذوي البشرات الداكنة الذين يفرون أمامهم** في **جبنٍ وتخاذلٍ.**

وعلى الرغم من أن هذه الصورة غير صحيحةٍ جملةً وتفصيلاً، فإنّ الكثيرين من السياسيين ورجال الدين المتنفّذين وقادة الرأي في أوروبا لا يعرفون غيرها؛ ولذلك فإن كثيراً من رجال السياسة والدين والقلم في الغرب يستخدمون مصطلح العصور الوسطى ومصطلح (الحملة الصليبية) ـذا المعنى الخير والنبيل.

مات أوربان الثاني ولم تتوقف الحملات الصليبية بعده، ولكنها أخذت تعبر عن نفسها في قوالب جديدةٍ. ولم تتوقّف الكنيسة الكاثوليكية يوماً عن رصد الإسلام وانتشاره، ولم تتوقّف عن التخطيط لكيفية مواجهته واحتوائه؛ فهو كان ولا يزال في نظرها، الخطر العظيم القادم من الشرق، وهو الخطر الذي ما فتئ يمثّلُ التحدي الحضاري والعقدي الأكبر للغرب، منذ بداية انتشاره في القارة الأوروبية، حتى أنّ الخوف والقلق (ا بول بالجهل والكراهية طبعاً) أوصلَ هذه الكنيسة وبابوا ا لإصدار أوامر إجبارية التنفيذ بحق رعاياها، تمنعهم من كل أنواع التعامل مع المسلمين، ومن ذلك التعليمات التي أصدرها مجمع لاتيران في كلٍّ من عام (١١٧٩م) وعام (١٢١٦م). وكانت هذه التعليمات مقصودةً لتحقير كلٍّ من المسلمين واليهود والحط من شأ م على السواء "وكانت التعليمات تنص على وجوب اعتزال المسلمين واليهود وتحظر أي اتصالٍ طبيعيٍّ م أو تعايشٍ معهم. وتنص على أنّ أي مسيحي يخدم في م ل مسلمٍ أو يهودي يلقى عليه الحرم الكنسي[1]؛ كما أن أي شخصٍ يعتني بأطفالهم أو يتاجر مع مسلمين، أو يحمل بضاعةً إلى بلاد إسلاميةٍ، أو يسافر على متن سفنهم "القُرصانية"، يحرم كنسياً وتصادر ممتلكاته. وحدهم المبشرون ورجال الإرساليات، الذين كان ينظَر إلى نشاطا م بعين الريبة، كان مسموحاً لهم أن يتناولوا الطعام مع مسلمين أو

(1) يعني الحرمان والعقاب الكنسي.

يهود. وأصدر البابا غريغوري التاسع، الذي ارتقى السدة البابوية عام ١٢٢٧م، عدة مراسيم حبريةٍ أضافت بعض التحريمات الجديدة وأعادت العمل بتعليمات لاتيران القديمة. فكان على المسلمين واليهود الذين يقيمون في بلادٍ مسيحيةٍ أن يرتدوا ملابس خاصةً تميزهم بوضوحٍ عن السكّان المسيحيين، وقد كانت هذه طريقةً لعزل العدو ووسمه"[١].

وقد رصدت الأستاذة زينب عبد العزيز مواقف سبعةٍ وعشرين من أبرز البابوات من الإسلام في دراسة لها بعنوان (البابوات والإسلام)، وكانت هذه الدراسة الهامة بمثابة التوثيق لمواقف البابوات وسياسا م الثابتة التي لا تقبل التغير من الإسلام، وما ذلك إلاّ لأنها سياسةٌ قائمةٌ على أساسٍ عقَدي ملخصه أن الإسلام ليس ديناً سماوياً موحى به، بل هو تلفيقات وهرطقات مسيحيةٌ جمعها المهرطِق المزيف محمد، وصاغها على شكل دينٍ جديدٍ. ويفيدنا في دراستنا هذه أن نقتطف من دراسة الأستاذة زينب ما يلي[٢]:

١. يوحنا العاشر (٩١٤ – ٩٢٨م): كان أولَ من نادى بطرد المسلمين من الحوض الغربي للبحر المتوسط، من جنوب إيطاليا وجنوب غربي فرنسا، وما بينهما من جزرٍ كان التجار المسلمون يسيطرون عليها.

٢. إسكندر الثاني (١٠٦١ – ١٠٧٣م): كان أولَ من استخدام صكوك الغفران لدفع الأوروبيين لمحاربة المسلمين في إسبانيا، فقام نصارى أوروبا بقيادة رئيس فرسان البابوية بشن حرب على مدينة بربشترو شرق الأندلس (١٠٦٤م) راح ضحيتها أربعون ألفاً من المسلمين.

٣. جريجوار السابع (١٠٧٣ – ١٠٨٥م): يعد مؤسس فكرة الحروب الصليبية على المسلمين في الشام ومصر.

٤. أوربان الثاني (١٠٨٨ – ١٠٩٩م): وضع الحملة الصليبية الأولى موضع التنفيذ في مجمع كليرمونت عام ١٠٩٥ بزعم أن "الرب يريدها"، وأطلق على المشاركين فيها اسم "جنود المسيح"، وطالبهم بحياكة صليبٍ على ثيا م ورسمه على كل معدا م. ولأول مرةٍ في التاريخ، تعلن حرب صليبية بآسم المسيح. كما قدم الحماية والمغفرة لكل من يساهم فيها، وأطلق على خط سيرها عبارة "الطريق إلى الرب".

---

(1) آرمسترونج، [م. س]، ص ٤٩٣ بتصرف.

(2) عـبد العـزيـز، زينب، البـابـوات والإسـلام، دراسـة منـشـورة بتـاريخ ٢٠٠٩/١/٢ علـى موقعهـا الإلكترونـي www.dr-z-abdelaziz.com.

٥. كالكست الثاني (١١١٩ – ١١٢٤م): أنشأ جماعة فرسان المعبد وكانوا من أشدهم تعصباً ضد المسلمين، وتم وضعهم تحت الإشراف المباشر لبابا روما الذي أغدق عليهم الإقطاعات والامتيازات ليتفرغوا لمحاربة المسلمين.

٦. جريجوار الثامن (١١٨٧/١٠/٢١ – ١١٨٧/١٢/١٧م): على الرغم من عدم بقائه إلاّ شهرين في منصب البابوية، إلا أنه سعى لإشعال الحرب الصليبية الثالثة على المسلمين وناشد حكام أوروبا وفرض عليهم ضريبة ١٠% على دخولهم عرف بآسم "ضريبة صلاح الدين".

٧. إينوسنت الثالث (١١٩٨ – ١٢١٦م): يعد أكثر البابوات محاربةً للمسلمين وشناً للحملات ضدهم، وقام بتحويل الهجوم من الشام إلى مصر، ونجح في شن الحملة الرابعة.

٨. جريجوار التاسع (١٢٢٧ – ١٢٤١م): كان من أكثر البابوات عداوةً ضد المسلمين، وأصدر مرسوماً لحرمان الإمبراطور فريديك الثاني لتردده في المشاركة في الحملة الصليبية، وأجبره على الإشتراك في الحملة السادسة، واستطاع فريدريك أن يستولي على بيت المقدس بالتفاوض مع محمد الأيوبي ملك مصر، بلا أي معركةٍ حربيةٍ فما كان من جريجوار التاسع إلاّ أن حرمه وأطلق عليه لقب الزنديق الأكبر، وهو يوبخه قائلاً: "إن الملوك الصليبيين يذهبون لسفك دماء المسلمين وليس للتفاوض معهم"! وبعدها أبادت البابوية أسرة فريدريك الثاني.

٩. إينوسنت الرابع (١٢٤٣ – ١٢٥٤م): كان أولَ بابا يفكر في تشكيل حلفٍ مسيحيٍ وثنيٍّ ضد العالم الإسلامي، لمحاربة المسلمين وإباد م تماماً. لكن تلك الحملة فشلت ثم دعا إلى حملةٍ أخرى بقيادة لويس التاسع (١٢٤٩م) وأضفى عليه لقب قديس.

١٠. بونيفاس التاسع (١٣٩٨ – ١٤٠٤م): قام بتكوين حلفٍ ضم فيه كل الأوروبيين الكاثوليك والأرثوذكس، وكان أكبر حلفٍ في القرن الرابع عشر، في تاريخ صراع الكنيسة ضد المسلمين (١٣٩٦م) ... ولأول مرةٍ يحارب الكاثوليك جنباً إلى جنب مع الأرثوذكس ضد المسلمين. وانتصر بايزيد على هذا الحلف في معركة نيكوبولس.

١١. جريجوار الخامس عشر (١٦٢١ – ١٦٢٣م): أسس لجنة عقيدة الإيمان محاكم التفتيش الدينية، وأنشأ منظمة اليسوعيين وفرض الكاثوليكية على أوروبا وزايد على محاصرة الإسلام.

كانت تلك شواهد قليلةً على ما تحمله المؤسسةُ البابوية لهذا الدين منذ أزمانٍ متطاولةٍ غابرةٍ. وقد بقيت هذه المواقف البابوية تجاه الإسلام قائمةً على الأسس القديمة نفسها، دون أن تتغير قيد أُنملةٍ ... بدأت مهاجمةُ كبار البابوات

والقديسين والرهبان للإسلام بالكلمة ثم تحولت إلى السيف والسلاح ... ودارت الأيام وعادت الكلمةُ من جديد. لم تنقطع آثار البابوات السابقين بمو م، بل استمر الكثير منها حتى يومنا هذا، فها هي منظمة (رابطة الرهبان لتنصير الشعوب) التي أسسها البابا بيوس بين عامي ١٥٦٦ – ١٥٧٢ والتي انبثقت عن رابطة الرهبان، لا زالت تحاول نشر المعتقدات المسيحية في العالم وتعملُ بجيشٍ من الأشخاص والرهبان يزيد تعداده عن المليون شخص للحد من انتشار الإسلام في العالم. وهذه الرابطة هي المؤسسة الأبرز في العالم التي تتصدى بفاعليةٍ للصراع بين الديانة المسيحية والإسلامية، فهي لا تبحث العلاقة بين المسلمين والمسيحيين باعتبارها مؤسسةً ثقافيةً أو بحثيةً، بل تعمل بصورةٍ عمليةٍ بجيشٍ يضم أكثر من مليون شخصٍ للحد من انتشار الإسلام في العالم، وعلى تشويه صورة النبي محمد ﷺ، ونعته بأبشع الصفات، وتسعى أيضاً لإعادة البشر في كل أنحاء العالم للمسيحية. "وهذا الصراع لا يخلو دون شكٍ من العنصر العسكري، فالكاردينال "كريشينسيو زيبه" رئيس هؤلاء المبشرين الفاعلين يسمي العاملين معه بـ "قواتي"، وذلك ليس من قبيل الصدفة، كما أن العدد عنصر مهم في هذه الحرب حول العقيدة على مستوى العالم. ورابطة الرهبان لتنصير العالم موجودة وحدها في ٤٠% من العالم المسيحي، ومعترف ا من ١٠٨١ أسقفيةٍ من ضمنها المُسماة "مناطق الصمت" وهي كل مناطق العالم التي تحظر فيها الكنيسة الكاثوليكية واقعياً كما في الصين والسعودية وفيتنام واليمن وكمبوديا. ورابطة الرهبان تضم جيشاً قوامه ٨٥ ألف قسيس و٤٥٠ ألف جمعيةٍ دينيةٍ، وقدمت الرابطة أكثر من مليون مدرس تعليم مسيحي وتخرجوا في القسم المحارِب للرابطة وهم يجوبون كل مكانٍ في العالم من قريةٍ لقريةٍ، ومن مدينةٍ لمدينةٍ لإقناع المترددين في الإيمان بالعقيدة المسيحية. أما عن تمويل هذا الجهاز العملاق فمن الصعب تقديره، فالكاردينال الحالي "زيبه" يرفض ذكر الرقم الصحيح ولكنه يقول [إننا نحتاج الكثير جداً من المال] ولأنه لا توجد شركات مساهمةٌ في الفاتيكان، فدولةُ الكنيسة ليست ملزمةً بنشر الميزانيات فهي تقَدر فقط ما يتكلّفه جهاز الرابطة. والرقم الوحيد المؤكد يظهر في يوم الإرسالية في يوم الأحد قبل الأخير من شهر أكتوبر حيث تصل تكلفتها عالمياً إلى حوالي ٢٠٠ مليون دولار لعمل "زيبه"، ويسمح للنفقات أن يصل إجمالها إلى ما يزيد على ٥٠٠ مليون دولار. **وذلك من أجل أن تسعى الرابطة لنشر العقيدة المسيحية حول العالم ولمواجهة الديانات العدوانية"[1].**

---

(1) انظر ترجمة مقالة (مليون ضد محمد، الفاتيكان تسعى لوقف انتشار الإسلام حول العالم، منظمة معروفة ... بالكاد تسهم بربع التكلفة) التي نشر ا صحيفة فليت إم زونتاج / الألمانية بتاريخ ٢٠٠٤/١/٣٠. منشورة على موقع www.islamdaily.net.

ويكفينا في ا ية إيرادنا لأبرز عناصر هذه المقالة التي أثارت عاصفةً من الاحتجاج على عمل (رابطة الرهبان) في العالم الإسلامي، يكفينا الإشارة إلى العبارة الأخيرة في هذه المقالة والتي تدل وبكل وضوحٍ على أن الفاتيكان ينفق الملايين من الدولارات على مؤسسةٍ واحدةٍ فقط وذلك لقيامها بواجبين، الأول: هو نشر العقيدة المسيحية حول العالم، والثاني: مواجهة الديانات العدوانية، والمقصود ذه الديانات العدوانية هو الإسلام. كل هذه الملايين ينفقها الفاتيكان سنوياً على واحدةٍ من مؤسساته لتحارب ديانة الإسلام (العدوانية!!). قال تعالى (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ)[1].

---

[1] سورة الأنفال، الآية ٣٦.

المبحث التاسع

دعوات كاثوليكية للحوار مع المسلمين

يرجع سوذرن بواكير المؤتمرات التي انعقدت، وكان الإسلام والمسيحية الغربية أطرافاً فيها وأركاناً، إلى "المؤتمر الذي عقد في الثلاثين من شهر أيار عام ١٢٥٤ للميلاد. وقد انعقد هذا المؤتمر في مدينة "قراقورم" على الحدود المنغولية ـ السوفياتية"[١]. وقد وصف سوذرن هذا المؤتمر بأنه أولُ مناظرةٍ عالميةٍ مفتوحةٍ بين الشرق والغرب في التاريخ. وكان سبب انعقاده إرسال البابا إينوسنت الرابع للراهب الفرانشيسكاني "فلهلم فون روبرك" إلى منغوليا آملاً في أن يساعد المغولُ أوروبا في حر ا ضد المسلمين. "حيث نظم "الخانُ الأكبر" هناك المناظرة التاريخية الضخمة بين أهل الأديان، اشتركت فيها فئات أربع هي المسيحية اللاتينية (الكاثوليكية) والمسيحية الشرقية التي مثّلها بعض الآباء النساطرة والرهبان البوذيون وبعض العلماء المسلمين"[٢]. عقدت هذه المناظرة (أو المؤتمر كما أسماه سوذرن) في التاريخ المذكور واستمرت يوماً كاملاً. لسنا في معرض الخوض في تفاصيل هذه المناظرة لكننا نؤكد على أن سوذرن وصف المناظرة بأنها انتهت بفوزٍ مشتركٍ للمسيحيين والمسلمين على البوذيين، وأ م أقبلوا في الختام على الاحتفال ذا النصر، وذلك بعد أن اتخذ المسيحيون الغربيون والشرقيون موقفاً موحداً حيال الكثير من المواضيع التي تمت مناقشتها في مواجهة البوذيين. وركز على رفض المسلمين للجدل مع النساطرة بقولهم [إننا نؤمن بالتوراة والإنجيل ولا نريد التخاصم معكم][٣]، ومن ثمّ تأكيدهم على أنّ التصور الإسلامي للموت وما بعده لا يختلف عن التصور المسيحي ... مع تأكيده قبل ذلك على أنّ "فلهلم فون روبرك" كان يرى إتفاقاً بين المسلمين والمسيحيين، في القضايا الأساسية المتصلة بطبيعة الله تعالى ووحدانيته، وأنّ النقاشات الحادة حول طبيعة الألوهية والآراء المختلفة في الله أدت إلى نشوء جبهةٍ واحدةٍ من اللاتين والنساطرة والمسلمين في مواجهة البوذيين. وبالرغم مِن تشكيك سوذرن في أمانة ومصداقية التقرير الذي كتبه هذا الراهب "فلهلم" والذي رفعه إلى البابا إينوسنت إلاّ أنه يؤكّد على تفوق المسيحيين الغربيين (اللاتين) في آداب البحث والمناظرة، راداً ذلك إلى الإعداد المنطقي الطويل الذي تابعته مدارس الغرب لأكثر من قرنٍ

---

(1) سوذرن، [م. س]، ص ٩٠.

(2) المرجع السابق، ص ٩١.

(3) المرجع السابق، ص ٩٣.

من الزمان، ويؤكد على أنه "في حين كان "فلهلم" يعرف طرق الجدال في المسائل اللاهوتية، لم يكن خصومه يعرفون ذلك..."[١].

إننا وبالرغم من تشكيكنا في وجود هذه المناظرة وانعقادها أصلاً، وذلك بسبب عدم ذكر "فلهلم" لأيّ من أسماء العلماء المسلمين الذي اشتركوا في هذه المناظرة، إلاّ أننا نسر لوجود أدبيات الحوار والمناظرة مع المسلمين في كتب المسيحية الغربية، خصوصاً إذا ما تذكرنا أنّ ذلك كلّه كان يتم في فترة الحروب الصليبية، حيث تؤكد هذه الأدبيات على أنه لا يزال هناك مجالٌ للجلوس والتحاور والتفاهم، رغم كل الظروف التي كانت تحيط بالناس في الشرق والغرب...

ومن المفيد جداً في ذكرنا للجلوس والتحاور المسيحي اللاتيني مع الإسلام في العصور الوسطى، أن نقف عند محاولةٍ جادةٍ من هذه المحاولات مهد لها صاحبها وواضعها بالقول: إنها مساهمةٌ حقيقيةٌ في حلّ "القضية الإسلامية"، وهو يقصد بذلك الحديث عن إ اء وحل الصراع المسيحي الإسلامي السائد آنذاك حلاً سلمياً بالتفاوض والتحاور، وليس بالسلاح والحرب التي كانت كفّتها تميلُ لصالح المسلمين آنذاك؛ تلك هي دعوة "يوحنا السيغوفي" لحل المعضلة والمشكلة الإسلامية بالوسائل السلمية، حلا فاصلاً يمكن الأوروبيين من الاتصال بالمسلمين بطرائق جديدةٍ كلّها تؤدي إلى عقد اجتماع أو "مؤتمر عام". وهي محاولةٌ، كما يراها صاحبها، تبقى مهمةً وتستحق التجربة حتى وإن لم تقُد إلى النجاح المطلوب المتمثّل في هداية المسلمين. "وقد انصرف يوحنا بطريقته المسهبة البلاغية لشرح فوائد المؤتمر مع المسلمين حتى في حالة الفشل؛ فذكر ثلاثين وجهاً إيجابياً لذلك! والحق أنّ هذا كان جديداً كله. فالرأي التقليدي السائد أن مسوغ النقاش مع الكُفّار هو هدايتهم فقط. أما يوحنا فلاحظ في نقاش المؤتمر فوائد أخرى جانبيةً ذات طابعٍ جزئيّ وعمليّ. إنّ المؤتمر هو أداةٌ سياسيةٌ ودينيةٌ في الوقت نفسه. وحتى لو استمر عشر سنواتٍ كاملة؛ فإنّ تكاليفه وآثاره ـ على حد قوله ـ لا تقارنُ بالتكاليف المُرعبة، والآثار السلبية الفظيعة لحربٍ لا تبقي ولا تذَر"[٢].

وتأكيداً من "يوحنا السيغوفي" على المضي قدماً في الإعداد لفكرة هذا المؤتمر، فقد بعث مجموعةً من الرسائل إلى معاصريه من كبار الرهبان والعلماء اللاهوتيين المسيحيين الغربيين، وأبرزهما إثنان؛ الأول هو "الراهب نيكولاوس فون كيس" الضليع في الفلسفة الأفلاطونية صاحب المحاورات الهامة مع الهوسيين والإغريق، والذي كان قد كتب قبل

---

[1] المرجع السابق، ص ٩٤، بتصرف.

[2] المرجع السابق، ص ١٣٧.

وصول رسالة يوحنا السيغوفي إليه رسالةً تتضمن حواراً مفترضاً بين أديان العالم، حاول من خلالها استخراج كل ما هو أساسي وجيد في هذه الأديان، في مسعى ومحاولةٍ منه لتوحيدها إيماناً وأخلاقاً. "وقد تلقى نيكولاوس مقترحات يوحنا برحابة صدرٍ وروحٍ عمليةٍ، وفكر في طرقٍ لتنفيذها. وهكذا اقترح، إعداداً للمؤتمر الإسلامي المسيحي، جمع تجارٍ من القاهرة والإسكندرية وأرمينية واليونان لشرح العقيدة الإسلامية والسلوك الإسلامي. ثم إن ما يتجمع من معلوماتٍ ينبغي وضعه في تصرف رجالٍ أوروبيين مسيحيين، يفضل نيكولاوس أن يكونوا من الأمراء والنبلاء وليس من رجال الكنيسة؛ لأنّ هذا هو ما يفضله المسلمون. وبعد هذا الإعداد الجيد على هؤلاء أن يزوروا السلاطين والأمراء المسلمين في ديارهم كمرحلةٍ أولى لشرح أهدافهم من المؤتمر ودعو م للمشاركة فيه"(١).

أما الراهب الآخر الذي بعث إليه يوحنا السيغوفي برسالةٍ يدعوه فيها للمشاركة في الإعداد "للمؤتمر العام" فهو الراهب "جان جيرمان". وقد كان جان جيرمان مطران مدينة شالون ورئيس جمعية رهبان القديس "فليس"، أكثر الذين أُرسلت إليهم الرسائل تشككاً في جدوى مقترحات يوحنا. كتب يوحنا إلى جان جيرمان مشدداً على أهمية الحوار مع المسلمين، وإن لم يحقق ذلك الهداية المطلوبة لأول وهلةٍ. "ونعى على الكنيسة والأمراء عدم اهتمامهم بالقضية الإسلامية، وقد وافقه "جان جيرمان" في إنكاره لإهمال أوروبا لخطر الإسلام، لكنه كان رجلاً قد وضع منذ البداية نصب عينيه هدفاً مختلفاً مع هدف "يوحنا السيغوفي"، حيث كان يرى أن العلاج الوحيد الممكن للخطر الإسلامي هو في العودة لفضائل الكفاح والفروسية الأوروبية التي ردد ا الملاحم مطالع العصور الوسطى، وكانت وراء الروح الصليبية التي غزت الشرق"(٢).

وقد أجاب "جان جيرمان" على دعوة "يوحنا السيغوفي" بأنه لم يتسن له، بسبب احتفالات عيد الميلاد، أن يقرأ كل ما أرسله إليه. ورغم أنه شجعه على متابعة بحوثه ودعوته؛ فقد قال له: [إنه لا ينبغي تجاهلُ القضية الملحة والمتمثلة في استمرار زحف الترك باتجاه أوروبا الغربية؛ وسيبقى القلق سائداً حتى توجد الجهةُ التي تستطيع مقاومتهم وصدهم](٣). ثم أتبع رسالته هذه برسالةٍ أخرى أوضح فيها خطته لحربٍ مقدسةٍ جديدة كان ملخصها: "**إنّ الحرب ضد الإسلام قد صارت مقدسةً منذ أصدر الباباوات السابقون عدة قراراتٍ بشأ ا، ومنذ شارك فيها ملوك وأمراءُ**

---

(١) المرجع السابق، ص ١٣٨.
(٢) المرجع السابق، ص ١٤٠.
(٣) المرجع السابق، ص ١٤٢.

كثيرون صالحون. إنّ الكنيسة الرومانية الكاثوليكية منحت المقاتلين المشاركين في ضرب الإسلام امتيازاتٍ وحقوقاً استمد ا من سلطتها الكنسية الدينية"[١].

وما هو واضح أنّ "جان جيرمان" هذا، كان يرى الحرب الوسيلة الوحيدة للتعامل مع المسلمين، والحد من الإسلام ومواجهته. وكان يرى في اتجاه "يوحنا السيغوفي" للحوار مع المسلمين (كوسيلةٍ للمواجهة طبعاً) إساءةً لروح الكفاح الصليبية. كان "جان جيرمان" يرى أنّ المسوغ الوحيد للحوار والنقاش مع الكفّار (المسلمين) هو هدايتهم فقط. وبما أنّ حظوظ ذلك النجاح كانت ضيئلةً جداً فلا داعي إذاً ولا حاجة لمناقشة (فوائد الفشل). كان هذا الراهب يتمتع بروحٍ صليبيةٍ عميقةٍ ويرى أن بعث روح الحماسة والفروسية هي وحدها الوسيلة الناجعة والناجحة لمواجهة الإسلام ...

يستفاد مما سبق أنّ هنالك محاولاتٍ جادةً وجدت لدى الكاثوليك للحوار مع المسلمين، وبالرغم من تصريح الرهبان القائمين على تلك المحاولات، بأنّ هدفها كان مواجهة الإسلام مواجهةً سلميةً عقائديةً فكريةً ... فإنّ تلك المحاولات كلها انتهت بالفشل؛ حيث توفي "يوحنا السيغوفي" وفكرته لازالت وليدةً ضعيفةً سرعان ما ماتت بموته، وانتهت الحوارات السابقة كلها إلى الإخفاق. "صحيح أنه استمر بينهم جدلٌ ونقاش عنيفان، لكنهم جميعاً لم يصلوا إلى مواجهةٍ فكريةٍ حقيقيةٍ مع الإسلام ولم تكن مشاريعهم المقترحةُ لحلّ القضية الإسلامية تملك مستقبلاً"[٢].

شهدت حقبة الستينات من القرن العشرين قفزةً نوعيةً عاليةً في مجال الحوار مع المسلمين، والمُلفت في هذا الشأن، هو أنّ هذا الحوار إنما تمّ بإشرافٍ مباشرٍ من الفاتيكان وبدعوةٍ منه. وقد تجلّى ذلك في فترة انعقاد مجمع الفاتيكان الثاني (أو ا لس العالمي الحادي والعشرين للكنيسة الرومانية الكاثوليكية). "وقد دعا إلى عقده البابا يوحنا الثالث والعشرون، في الخامس والعشرين من شهر كانون الثاني عام ١٩٥٩م. وانعقد ا مع في الثاني عشر من شهر تشرين الأول عام ١٩٦٢م. وبعد وفاة البابا المذكور في الثالث من تموز عام ١٩٦٣م تابع أعمالَ ا مع بعده البابا بولس السادس. وعقد أربع جلسات استمرت حتى كانون الأول من عام ١٩٦٥م. وشارك في اجتماعاته ألفان وخمسمائة عضوٍ، وعدد كبير من غير الكاثوليك بصفة مراقبين"[٣].

---

(1) المرجع السابق، ص ١٤٢، ١٤٣ بتصرف.

(2) المرجع السابق، ص ١٤٩، بتصرف.

(3) موقع الفاتيكان الرسمي www.vatican.va

وقد أصدر ا مع ست عشرة وثيقةً وأربعةَ قوانين وثلاثةَ إعلانات. وكان من أهمها القوانين التي تناولت الطقوس الدينية والوحي والكنيسة ودور الكنيسة في العالم المعاصر.

ولعلّه من المفيد هنا أن نذكر أنّ هذا ا مع (الهام) قد استخدم أربعةَ أنواعٍ من الوثائق، وهي تشتملُ على دساتير ومراسيم وإعلاناتٍ ورسائل. فأما الدساتير فهي عقديةٌ ورعويةٌ أيضاً، وكانت الوثائق هي الأكثر سلطويةً وموجهةً إلى الكنيسة العالمية.وأما المراسيم، فكانت وثائق مبنيةً على المبادئ الدستورية، وموجهةً نحو صنفٍ معينٍ من الأشخاص. وأما الإعلانات، مثل وثيقة "في عصرنا" (أو في زماننا هذا) Nostra Aetate، فكانت تصريحاتٍ متعلّقةً بالسياسات المتبعة تظهر تعاليم الكنيسة. وأما الرسائلُ فكانت عبارةً عن مجرد حث.

والذي يهمنا ويعنينا في دراستنا هذه، هو الوثائق التي صدرت عن هذا ا مع والمتعلّقة بالإسلام. وتنبع أهميتها من كو ا رسميةً صادرةً عن الفاتيكان؛ **فلأول مرةٍ** في **تاريخ الكّنيسة نافش ا تمع الفاتيكا**ني **الثاني مشكلةَ العلاقة** بين **الكنيسة والديانات غير المسيحية؛ حيث خصص لهذه المسألة المُهمة تصريحاً خاصاً حول "علاقة الكنيسة مع الديانات غير المسيحية"**، "والذي نوقشت بعض جوانبه، بصورةٍ أو بأُخرى، في عددٍ من الوثائق الصادرة عن ا مع: "في الدستور العقائدي في الكنيسة"، وفي "الدستور الرعوي في الكّنيسة وعالم اليوم"، وفي القرارات ا معية: في "رسالة العلمانيين"، وفي "مهمة الأساقفة الرعوية في الكنيسة"، وفي "نشاط الكّنيسة الإرسالي"، وفي البيانات والإعلانات الصادرة عن ا مع "في الحُرية الدينية"، و"في التربية المسيحية"[(1)]. **كما أولى هذا ا مع اهتماماً خاصاً للإسلام، فللمرة الأولى، منذُ أربعة عشر قرناً من وجود المسيحية والإسلام، يتحدث** مجمع **مسكوني كاثُوليكي بصورةٍ إيجابيةٍ عن المُسلمين، معترفاً بوضعهم الديني المُتميز**، "ولهذا؛ شبهت المطبوعات الكاثوليكية التغير الحاصل في موقف الكنيسة تجاه الإسلام بـ "الانقلاب الكُوبرنيكي" وهو تشبيه غير مبالغٍ فيه، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار، أن رسالة البابا بيوس الثّاني عشر "Fidei Donum"، الصادرة في أواخر الخمسينات (١٩٥٧)، رأت في انتشار الإسلام في أفريقيا "خطراً على الكنيسة"، وأن كتاب "تاريخ الإرساليات الكاثوليكية"، المُؤلف من أربعة مجلدات، والصادر في المرحلة نفسها، نظَر إلى نشاط الإسلام وفعاليته العالمية، ككارثةٍ، تضاهي خطَر الشيوعية"[(2)].

---

(1) جورافسكي، [م. س] ص ١٣٣.

(2) المرجع السابق، ص ١٣٣.

إن فكرة إصدار وثيقةٍ مستقلةٍ، حول مشكلة العلاقات بين الكنيسة (الكاثوليكية) والديانات غير المسيحية، ولدت أثناء أعمال المجمع الفاتيكاني الثّاني، وبصورةٍ مفاجئةٍ، حتى بالنسبة لكثيرٍ من أعضائه؛ "ففي المرحلة التحضيرية للمجمع (١٩٦٠ – ١٩٦١م)، تحدث عدد محدود من المؤتمرين (من أساقفة آسيا وإفريقيا بالدرجة الأولى) عن ضرورة إصدار مثل هذه الوثيقة، مع أنه كان بين هذا العدد (غير الكبير أصلاً) عدم اتفاقٍ؛ حيثُ أن بعضهم كان يرى وجوب التحدث عن المسلمين (في الوثيقة المُقترحة) بروحٍ إيجابيةٍ، ولكن، دون الوقُوع في النسبية الدينية المُطلَقةِ، في حين تمسك آخرون بوجهة النظر التقليدية، التي ترى في الإسلام بدعةً خطيرةً و تهديداً حقيقياً للكنيسة، ومن ثم فقد طالبوا بإدانته دون تحفظٍ، عدا أنه لم يجرِ تكليف أي من لجان العمل المتفرعة عن الهيئة التحضيرية للمجمع بدراسة مثل هذه الوثيقة"[1].

ولكن في عام ١٩٦٠م، كلّف البابا يوحنا الثالث والعشرون الكاردينال "بيا" إعداد مسودة نصٍّ مجمعيٍ "عن اليهود"، يزيل عنهم تهمة "قتل الله".

وبعد اتصالاتٍ ومداولاتٍ واستشاراتٍ دامت عامين، وضع الكاردينال "بيا" مسودة (مشروع) النص المجمعي في حزيران سنة ١٩٦٢م، التي عرضت على اللجنة المركزية، لكن هذا المشروع وضِع جانباً نظراً لما أثاره من احتجاجاتٍ واسعةٍ في البلدان العربية، وبرزت أصداؤها من خلال مناقشات ومداخلات واعتراضات أساقفةِ هذه البلدان المشتركين في المجمع "وقد أظهرت المناقشات مقاومةً قويةً من بطريرك أنطاكية للكاثوليك "طبوني" وبطريرك الأقباط الكاثوليك "إسطفانس الأول"، يؤازرهما عدد لا بأس به من أساقفة الكاثوليك الشرقيين، الذين أجمعوا على أن التطرق إلى موضوع اليهود ونفي التهمة التاريخية عنهم قد يؤدي إلى الاعتراف بدولة إسرائيل من قِبل الفاتيكان من جهةٍ، وقد يخدم مصلحة اليهود سياسياً في نزاعهم مع العرب من جهةٍ ثانيةٍ. أما بطريرك الروم ـ الكاثوليك مكسيموس الرابع، فقد أشار إلى أن المسودة المقترحة "عن اليهود" يمكن أن تقَر وتصدر فقط في حال إذا كانت الكنيسة ستتحدث عن دياناتٍ أخرى، بما في ذلك عن الإسلام. ورفع الكاردينال" بيا" إلى البابا كتاباً يلح فيه على مناقشة الموضوع نافياً عنه كُل صبغةٍ أو توجهاتٍ سياسيةٍ، ونظراً لما أثاره المشروع من مناقشاتٍ واعتراضاتٍ، فقد طُرح على الآباء في دورة المجمع الثانية؛ ليشكلَ فصلاً من مرسوم الحركة المسكونية، وقوبل مجدداً باعتراضاتٍ كثيرةٍ؛

(1) المرجع السابق، ص ١٣٤.

مما أدى إلى رفضه وعزله عن المرسوم في ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٣م. وقبل انعقاد الدورة الثالثة من ا مع، كانت اللجنة المختصة قد عمدت إلى إجراء تعديلاتٍ واسعةٍ في النص، بحيث حذفت منه عباراتٍ خلافيةً مثل تلك التي تنفي عن اليهود مة "قتل الله"(1).

غير أن تطوراتٍ مهمةً، جذبت اهتمام ا مع، أخيراً، صوب الإسلام؛ حيث جرت وقائعها في المرحلة بين الدورتين الثانية والثالثة للمجمع، ويأتي في مقدمتها زيارة البابا بولس السادس إلى منطقة الشرق الأدنى في كانون الثاني من سنة ١٩٦٤، "**إذ توجه** في **خطبه، التي ألقاها** في **عمان والقدس، "بتحيةٍ أخويةٍ** إلى **المسلمين"، كما شدد** في **رسالته** في **السادس من كانون الثاني ١٩٦٤، على احترام الكنيسة المسكونية الخاصة، لأولئك "الذين يعتنقون الأديان التوحيدية، والذين يعبدون معنا إلهاً واحداً وحقيقياً". وفي أيار من العام نفسه، أعلن البابا بولس السادس عن إنشاء أمانة سر (سكرتارية) لشؤون الديانات غير المسيحية، وحدد مهمتها الأساسية** في **إقامة "حوارٍ مخلصٍ مع أولئك الذين يؤمنون بالله، ويعبدونه". وفي شهر آب من العام ذاته (١٩٦٤)، وجه البابا بولس السادس رسالةً كنسيةً جامعةً، ركزت على ضرورة الحوار مع كل المؤمنين وذوي الإرادة الصالحة، لإرساء علاقاتٍ جديدةٍ** بين **الكنيسة والديانات الأخرى القائمة** في **العالم، وعلى ضرورة التقارب والحوار مع المسلمين بصفةٍ خاصة"(٢).**

"وكانت اللجنة المختصة قد اتخذت قراراً، قبيل انعقاد الدورة الثالثة من ا مع، بعزل الفصل الرابع عن مرسوم الحركة المسكونية في وثيقةٍ مستقلةٍ، ونشره تحت عنوان "تصريح عن اليهود وغير المسيحيين"، وقراراً آخر بتشكيل لجنةٍ فرعيةٍ حول مسألة الإسلام، كان من بين أعضائها خبراء من "المعهد الدومينيكاني للدراسات والأبحاث الشرقية" في القاهرة، ومن "المعهد البونتيفيكاتي (الآباء البيض / الكاثوليك) للدراسات الشرقية" في تونس، وفي الوقت نفسه، قررت اللجنة المكلفةُ بإعداد مشروع الدستور العقائدي "في الكنيسة" أن تضم إلى فصل "شعب الرب" قسماً عن غير المسيحيين؛ حيث يولي هذا القسم اهتماماً خاصاً للمسلمين: "وأولئك الذين لم يأخذوا بالإنجيل بعد، ولكنهم، بدرجةٍ مختلفةٍ أو بصورةٍ أُخرى، ينتمون إلى شعب الرب، وأولهم، ذلك الشعب، الذي منحهم الرب العهود والمواثيق، والذين منهم المسيح، حسب الجسد"(٣).

---

(1) رستم، سعد، [م. س]، ص ٩٣، ص ٩٤.

2 المرجع السابق نفسه، ص ٩٤.

(3) المرجع السابق، ص ٩٤، ٩٥، بتصرف.

"لأن الخلاص سيشملُ أولئك الذين يعترفون بالخالق، وأولُهم المسلمون الذين يعتقدون أنهم يتبعون ملّة إبراهيم، ويعبدون معنا الإله الواحد الحي القيوم الرحيم، الذي سيحاسب الناس يوم الدين، الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه، الذي يعطي الجميع حياةً ونفساً وكل شيءٍ، لأن المخلص يريد أن جميع الناس يخلصون، أولئك الذين ليس بذنبهم لا يعرفون إنجيل المسيح وكنيسته، ولكنهم يبحثون بإخلاص عن الرب، وبتأثير النبل والخير يسعون لأن ينفذُوا بأعمالهم إرادته؛ حيث يقودهم إلى ذلك ضميرهم، وبذلك يمكن أن يحوزوا على الخلاص الأبدي. فالإرادة الإلهيةُ لا ترفض منح المساعدة لأجل الخلاص لأولئك الذين ليس لهم ذنب في عدم بلوغهم المعرفة الواضحة للرب، ولكنهم يتبعون حياةً صحيحةً بعون الرب ذاته، والكنيسة تنظر إلى أن كل ما تمكنوا من بلوغه من خيرٍ وصالحٍ وحقيقيٍّ إن هو إلا يئة للإنجيل، وهبة من ذلك الرب، الذي يهدي كل فرد، وبالتالي؛ فإنه يملك الحياة ذا ا في اية المطاف"[1].

ومن اللافت للانتباه حقاً، أن ا مع أشار للمرة الأولى إلى المسلمين في إطار معالجته مكانة غير المسيحيين في عقيدة الخلاص، وأشار إلى خلاص المسلمين.

ويهمنا، في النهاية، الوقوف عند النص النهائي لتصريح ا مع بشأن دين الإسلام والمسلمين، الذي جاء فيه: "إن الكنيسة تنظر بعين الاعتبار، أيضاً، إلى المسلمين الذين يعبدون الإله الواحد الحي القيوم الرحيم القادر على كل شيءٍ، خالق السماء والأرض ومكلم البشر، الذين (أي المسلمين) يجتهدون في أن يخضعوا بكلّيتهم حتى لأوامر الله الخفية، كما خضع لها إبراهيم، الذي يسند إليه، بطيبة خاطر، الإيمان الإسلامي، وأ م يجلون يسوع كنبيٍّ، وإن لم يعترفوا به كإلهٍ، ويكرمون أمه مريم العذراء، كما أ م بتقوى يتضرعون إليها أحياناً، علاوةً على ذلك؛ فإ م ينتظرون يوم الدين، عندما يثيب الله كل البشر القائمين من الموت، ويعظمون الحياة الأخلاقية أيضاً، ويؤدون العبادة لله، لا سيما بالصلاة، والزكاة، والصوم. وإذا كانت قد نشأت ـ على مر القرون ـ منازعات وعداوات كثيرةٌ بين المسيحيين والمسلمين، فا مع المقدس يحض الجميع على أن يتناسوا الماضي، وينصرفوا،

---

(1) موقع الفاتيكان الرسمي www.vatican.va

بإخلاص، إلى التفاهم المتبادل، ويصونوا، ويعززوا، معاً، العدالة الاجتماعية، والخيور الأخلاقية، والسلام والحرية لفائدة الناس جميعاً"[1].

في ختام ما سبق وتلخيصاً له، فإنّ خلاصة ما ذكره الفاتيكان في مجمعه الثاني من نصوص تتعلّق بالإسلام أو بالحوار مع المسلمين يمكن حصرها فيما يلي[2]:

أولاً: في ٢١ تشرين الثاني من عام ١٩٦٤ نشرت وثيقةُ ا مع الأولى حول الإسلام بعنوان نور الأمم Lumen Gentium وقد ورد في الفقرة رقم ١٦ منها ما يأتي:

أخيراً، إنّ أولئك الذين لمّا يقبلوا الإنجيل مرتبطون بطرقٍ مختلفةٍ بشعب الله. ففي المقام الأول يجب علينا أن نتذكر الشعب الذي أعطي له العهد والوعد والذين ولد منهم المسيح حسب الجسد فهذا الشعب يبقى عزيزاً على الله من أجل آبائهم، لأنّ عطايا الله ودعواته هي بلا ندامةٍ، ولكن خطة الخلاص تشمل أيضاً أولئك الذين يعترفون بالخالق ففي الدرجة الأولى بين هؤلاء يأتي المسلمون، الذين يعترفون بأ م على إيمان إبراهيم، وأنهم يعبدون معنا الإله الواحد والرحيم، الذي سيقاضي البشرية في اليوم الأخير.

ثانياً: في الإعلان ا معي الثاني الذي تناول علاقةَ الكنيسة بالديانات غير المسيحية المعنون "في عصرنا" [في زماننا هذا] Nostra Aetate، والذي أعلنه البابا بولس السادس في ٢٨ تشرين الأول من عام ١٩٦٥، يبين الإعلان في المقطع رقم ٣ ما يأتي: إن الكنيسة تنظر إلى المسلمين أيضاً بعين التقدير، فهم يعبدون الله الواحد الحي القيوم، الرحيم القدير، خالق السماء والأرض، والذي تكلم إلى الناس؛ وهم يجتهدون في خضوعهم لأوامر الله من صميم قلو م دون ترددٍ، تماماً كما كان يخضع لله إبراهيم الذي يحرص دين

(1) موقع الفاتيكان الرسمي www.vatican.va

(2) انظر:

أ. اللحام، كريم، موقف الكنيسة الكاثوليكية من الإسلام بعد ا مع الفاتيكاني الثاني، ص ٢٦، بتصرف، منشور ضمن سلسلة ورقات طابة، العدد ٢، شهر تمـوز، ٢٠٠٨. مؤسسة طابة، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة.

ب. هاغمان [م. س]، ص ١٦٥، ١٦٦.

ج. جورافسكي، [م. س]، ص ١٣٨، ١٣٩ بتصرف.

د. موقع الفاتيكان الرسمي www.vatican.va

هـ. عبد العزيز، زينب، وثيقة في زماننا هذا وعلاقة الكنيسة بالإسلام، مقالة منشورة على الإنترنت على موقعها الإلكتروني dr.abdelaziz@gmail.com بتاريخ ٢٠٠٨/١٠/٢٧.

و. بسترس، كيرلس سليم، نظرة الكنيسة الكاثوليكية إلى العلاقات المسيحية الإسلامية، بحث منشور ضمن كتاب "العيش المشترك في الإسلام والمسيحية" الصفحات ٤٢-٥١ بتصرف واختصار، ط١، ٢٠٠٢، من منشورات اللجنة الوطنية اللبنانية، بيروت.

الإسلام على الارتباط به. ومع أ م لا يقرون بيسوع كإله، لكنهم يوقرونه باعتباره نبياً. كما أ م يكرمون أمه مريم العذراء، وأحياناً يستغيثون ا في تضرعهم. بالإضافة إلى ذلك، فهم ينتظرون يوم الحساب والثواب من الله بعد بعث الأموات. أخيراً، إ م يقدرون الحياة الأخلاقية ويعبدون الله خاصةً عن طريق الصلاة والزكاة والصوم. وبما أنه حصلت على مر القرون حالات ليست بالقليلة من ال اع والقتال بين المسيحيين والمسلمين فإن هذا السينودس [ا مع] المقدس يحثُ الجميع على نسيان الماضي والعمل بإخلاص من أجل التفاهم المتبادل وحفظ وتعزيز مصلحة العدالة الاجتماعية والخير الأخلاقي، والسلام والحرية، من أجل جميع البشر.

ثالثاً: في **الرسالة التعميمية الأولى للبابا بولس السادس التي صدرت في ٦ آب من عام ١٩٦٤م بعنوان Ecclesiam Suam، عرض البابا على الكنيسة رغبته في الانخراط في حوارٍ مع العالم غير المسيحي، وقد وصِف أطراف هذا الحوار على أساس دوائر عدة متحدةِ المركز، وقد عبر عن واحدةٍ منها بأولئك الذي يعبدون الإله الواحد الأعلى الذي نعبده نحن أيضاً. ويشير إلى المسلمين بالطريقة الآتية:**

بعدها نلاحظ من حولنا دائرةً أخرى، وهذه بدورها واسعةُ المدى، ومع ذلك فهي أيضاً غير بعيدةٍ عنا. وتضم الدائرة أولاً وقبل كل شيء أولئك الذين يعبدون الإله الواحد الأعلى، الذي نعبده نحن أيضاً، ويمكننا أن نذكر أولاً الشعب اليهودي، الذي ما زال يعتنق ديانة العهد القديم، وهو حقاً أهل لاحترامنا ومحبتنا.

لقد كانت النصوص القليلة السابقة المتعلّقة بالإسلام هامةً جداً، لأ ا، وكما ذكرنا، تعتبر وثائق رسميةً صادرةً عن الفاتيكان، تدعو إلى الحوار مع المسلمين والتعايش معهم في جوٍّ من العدالة والسلام ... وقد ثارت ثائرة الكثيرين من المسلمين والمسيحيين على السواء فيما يتعلق ذا ا مع الفاتيكاني وقراراته، أما سبب ثورة المسلمين فكانت وبكل بساطةٍ نابعةً من عدم اعتراف هذا ا مع الفاتيكاني بسماوية الإسلام، بل نظر إليه على أنه "أمر واقع وموجود"، وكذلك فلم يعترف هذا ا مع بنبوة سيدنا محمد ﷺ، وسكت عن أي إشارةٍ إلى الاعتراف بصدق نبوته، ومكانته، مع أن هذه المسألة جرى التعرض لها أثناء المناقشات والمداولات؛ حيث اقترح بعض المؤتمرين إدخال تعديلٍ على القسم السادس عشر من مسودة الدستور العقائدي "في الكنيسة" الذي يؤكد أن المسلمين "يعبدون معنا الإله الواحد الرحيم، الذي كلم الناس بالأنبياء"، **إلاّ أن اللجنة اللاهوتية المختصة ألغت هذه العبارة، نظراً لأ ا يمكن أن**

تؤولُ بشكلٍ مثيرٍ للإشكال، كأن يفهم منها أن الله "تكلم عبر محمد"، في حين **أن "التصريح" الختامي صاغ هذه العبارة بصورة مقتضبة: ".... الذي كلم الناس".**

"إنّ قضية الوضع الديني لنبي الإسلام محمد ﷺ، هي واحدةٌ من الإشكاليات المُعقدة في الحوار المعاصر بين المسيحية والإسلام؛ فاللاهوتيون الكاثوليك يعترفون بـ "الدور الإيجابي التاريخي لمحَمدٍ" لكنهم لم يوفقُوا بعد إلى عباراتٍ إنشائيةٍ مناسبةٍ لوصف المآثر المحمدية بصيغٍ لاهوتيةٍ عقديةٍ مسيحيةٍ. ويحضرنا في هذا السياق مثال المؤتمر الإسلامي المسيحي الثاني، الذي عقد في آذار ١٩٧٧م (في قرطبة)، وكُرس لمناقشة موضوع "تبجيل محمد وعيسى في الإسلام والمسيحية"، والذي اشترك فيه أكثر من مائتي لاهوتي وعالم إسلاميات، ولكن مجموعةً من الأقطار العربية رفضت إرسال مندوبين عنها إلى المؤتمر، محتجةً بعدم جدوى أي حوارٍ بين الديانتين، "ما دام أن الكنيسة لن تغير ـ رسمياً ـ موقفها من النبي محمد ﷺ"[1].

وأما سبب ثورة بعض المسيحيين واعتراضهم على نتائج هذا ا مع ومقرراته فقد كانت راجعةً، وبالدرجة الأولى، إلى أنّ هذا ا مع قد اتخذ قراراً بتبرئة اليهود من دم المسيح عليه السلام بالرغم من أن نصوص العهد الجديد واضحةٌ تماماً في تحميلهم المسؤولية عن ذلك، والآيات ٢٢ – ٢٦ في الإصحاح السابع والعشرين من إنجيل متى تروي حكاية الصلب وتسليم اليهود للمسيح ليصلب كاملةً بأدق تفاصيلها، والتي كان ايتها تطوع جموع اليهود لتحمل المسؤولية عن صلب المسيح بقولهم [ليكن دمه علينا وعلى أولادنا][2]. لقد ثارت ثائرة الكثيرين من المسيحيين في الشرق والغرب على قرار هذا ا مع بتبرئة اليهود من هذه المسؤولية؛ **فقد أصدر البابا يوحنا بولس السادس وا مع المسكوني المذكور الوثيقة التاريخية الأخطر** في **تاريخ الكاثوليكية؛ ألا وهي** تبرئة **اليهود من دم المسيح وصلبه، والمتضمنة أن المسيح ولد ـ من ناحية الجسد ـ** في **الشعب اليهودي وأنّ الكنيسة مدِينةٌ للشعب اليهودي** بسبب **ذلك، وأنّ المسيحيين** فد **تسلّموا تراثهم من الشعب اليهودي .... ومما جاء** في **تلك الوثيقة "تنظر الكنيسة باهتمامٍ أعظم** إلى **ما تكون عليه علاقا ا بالديانات غير المسيحية فهي نظراً لما تلتزم به** في **تقرير الوحدة والمحبة** بين **الناس، بل وبين الأمم، تصرف جل اهتمامها هنا** إلى **ما هو مشترك** بين بني **البشر، وما من شأنه أن يمهد للتعايش ... ـ** إلى أن تقول ـ **ومع أن الكنيسة هي شعب الله الجديد، فيجب ألا يشهر باليهود بحجة الاستناد** إلى **الكنيسة**

(1) جورافسكي [م. س]، ص ١٤٠.
(2) متى ٢٧: ٢٥.

المقدسة بأ م عند الله ملعونون ... ـ وجاء في الخاتمة ـ إن هذا ا مع المقدس يناشد المسيحيين أخيراً مناشدةً حارة أن يسلكوا بين الأمم مسلكاً حميداً، وأن يساعدوا جميع الناس ما أمكنهم ذلك، وما استطاعوا إليه سبيلاً..."(1) ولم يصدر البابا الوثيقة بقرارٍ فرديّ منه بل جرى عليه تصويت، كان خاصاً بالديانات غير المسيحيةً، فأقر البيان في مجموعه بأغلبية ١٧٦٣ صوتاً مقابل ٢٥٠، وقد جرى التصويت على القرار فقرةً فقرةً. وهذه هي النتائج الخاصة بالجزء المتعلق باليهود "وأقر ا مع بأغلبية ١٩٣٧ صوتاً مقابل ١٥٣ المقدمة الخاصة بالديانة اليهودية، **التي صرحت بأنه يوجد وثاق روحي بين المسيحيين واليهود، ودعت إلى الحوار الأخوي فيما بينهم. وأقر ا مع الفقرة التي تنفي المسؤولية الجماعية لصلب المسيح عن اليهود، بأغلبية ١٨٧٥ صوتاً مقابل ١٨٨"(٢).**

وفي الرابع والعشرين من حزيران عام ١٩٨٥م صدرت وثيقةٌ رسميةٌ عن لجنة الفاتيكان للعلاقات الدينية مع اليهودية، برأت اليهود في الأجيال كلها من دم المسيح عليه السلام، وقد تضمن النص الحرفي للوثيقة، كما نشرته صحيفة "أوبسيرفاتوري رومانو" الناطقة بلسان حال الفاتيكان في عددها الصادر بتاريخ الخامس والعشرين من حزيران عام ١٩٨٥م تعليماتٍ مشددةً لرجال الدين الكاثوليك كافّةً بشأن التعامل مع اليهود وتلاوة الصلوات المسيحية من الطقس الكاثوليكي بشكلٍ يضمن عدم التعرض لهم، وذلك في محاولةٍ لقطع جذور مظاهر معاداة السامية بين المسيحيين ومهدت لها بالقول: **"إن الكنيسة التي ترفض اضطهاد الإنسان؛ وتدرك التراث المشترك مع اليهود، والتي لا تحركها أسباب سياسيةٌ وإنما المحبة الروحية للأناجيل، تندد بالكراهية والعداء للسامية مع اليهود، وتستنكر اضطهادهم في جميع الأوقات، وفي أي مكان"(٣).** لقد كان القرار الذي اتخذه هذا ا مع الفاتيكاني بتبرئة اليهود من دم المسيح ودعواته ا ّانية وتنازلاته المتتالية للتسامح معهم والرفق م، كل ذلك كان نسخاً صريحاً وواضحاً من أعضاء هذا ا مع ورئيسه البابا المعصوم للكثير من نصوص العهد الجديد الواضحة وضوح الشمس في ذم اليهود التي وردت في العهد الجديد، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

(1) القاسم، أنيس، نحن والفاتيكان وإسرائيل، ص ٧٣، ٧٤، بتصرف ط١، ١٩٦٦، منشورات مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت

(2) المرجع السابق نفسه، ص ٧٤، ٧٥، بتصرف، واختصار.

(3) الكيلاني، إسماعيل، الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، ص ١٦٤، ط١، ١٩٨٦، مكتبة الأقصى، الدوحة.

أولاً: ورد على لسان المسيح، عليه السلام، في إنجيل "متى" "اتركوهم. هم عميانٌ قادة عميان. وإن كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما في حفرة"[(١)].

ثانياً: ورد على لسان المسيح، عليه السلام، في إنجيل "متى" (يا أولاد الأفاعي كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار فإنه من فضلةِ القلب يتكلم الفم)[(٢)].

ثالثاً: ورد في رسالة "بولس" الأولى إلى أهل تسالونيكي: كما هم أيضاً من اليهود الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم واضطهدونا نحن. وهم غير مرضين لله وأضداد لجميع الناس"[(٣)].

لقد تجرأ هؤلاء القائمون على المؤتمر الفاتيكاني الثاني كل الجرأة على نصوص العهد الجديد فعطّلوا منها ما عطّلوا، وأولوا منها ما أولوا لكن الجرأة ما كانت لتواتيهم ليعترفوا برسالة محمدٍ ﷺ أو بسماوية الإسلام.

ويشار في ختام الحديث عن هذا المجمع الفاتيكاني، إلى أنه "من بين الخمسة عشر وثيقة التي أصدرها المجمع بين عام ١٩٦٤م وعام ١٩٦٥م، فإن وثيقة "في عصرنا" "في زماننا هذا" Nostra Aetate التي تعنينا هنا قد تم التوقيع عليها في ١٩٦٥/١٠/٢٨م. والنص النهائي للوثيقة وكل محاضر الجلسات والتعليق عليها موجودةٌ في الكتاب الصادر عن دار نشر دي سير (du Cerf)، سنة ١٩٦٦، تحت عنوان: مجمع الفاتيكان الثاني وعلاقات الكنيسة مع الديانات غير المسيحية، وهو يمثل جزءاً من المجموعة الكنسية برقم ٦١ والكتاب يتكون من ٣٣٥ صفحة، ومقسم إلى ثلاثة أجزاء بخلاف الملحقات. والجزء المتعلق بالإسلام يحتل الصفحات من ٢٠٠ إلى ٢٣٦. وقد قام بصياغته القس روبير كاسبار، أستاذ "علم اللاهوت الإسلامي" بالمعهد البابوي للدراسات العربية في روما، ومستشار السكرتارية الخاصة بغير المسيحيين، وأثناء انعقاد المؤتمر كان عضواً في اللجنة الفرعية الخاصة بالإسلام"[(٤)]. كما يشار ختاماً إلى لباقة اللهجة واللغة التي كان يتكلم بها البابا يوحنا بولس[(٥)] والناطقون بلسان الفاتيكان آنذاك (مقارنةً بالبابا الحالي

---

(1) متى ١٥: ١٤.

(2) متى ١٢: ٣٤.

(3) رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي ٢: ١٤ – ١٥.

(4) عبد العزيز، [م. س].

(5) يوحنا بولس الثاني: بابا الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. ولد في بولندا، وأصبح أول بابا غير إيطالي منذ أدريان السادس (١٥٢٢ – ١٥٢٣م) الذي كان هولندياً. جعل يوحنا بولس البابوية جزءاً لا يتجزأ من العالم بالسفر إلى أكثر من ٦٠ دولة معظمها من الدول النامية، وهو بذلك أول بابا ينتهج هذا النهج في تاريخ الكنيسة في القرن العشرين. وقد شملت هذه الرحلات أمريكا الوسطى، عام ١٩٨٣م، والشرق الأقصى عام ١٩٨٩م، وإفريقيا عام ١٩٩٠م، وكوبا عام ١٩٩٨م. وقد استخدم البابا هذه الرحلات لإبراز الشخصية العالمية للكنيسة الرومانية الكاثوليكية، ولإيصال رسالة الإنجيل بنفسه إلى كثير من الناس.=

=تحدى يوحنا بولس كلاً من الماركسية والرأسمالية في أن يحسنا من أوضاع فقراء العالم. ونادى بنظام عالمي جديد كان معارضاً لحكومة بولندا الشيوعية قبل انتخابه وبعده. وكان أيضاً مسانداً قوياً لحرية الأديان خلال مناقشة هذا الموضوع في مؤتمر الفاتكيان الثاني عام ١٩٦٢ – ١٩٦٥م.

بنديكتيوس) كما يشار إلى الشخصية الهادئة المتوازنة التي كان يتمتع ا البابا الراحل. وإننا وبالرغم من رفضنا الواضح والصريح لسكوت الفاتيكان والبابا يوحنا بولس عن التحدث بصراحةٍ وجرأةٍ عن نبوة سيدنا محمد ﷺ وسماوية الدين الإسلامي، إلا أننا نسجل له رفعةَ أسلوبه في التعامل مع أهل الأديان غير المسيحية (مقارنة بالبابا الحالي) هذا التهذيب وهذه الرفعة وهذا التوازن في التعامل مع (الآخر) الذي فقده الفاتيكان، وبامتيازٍ، في عهد البابا بنديكتيوس الـ سادس عشر المثير للجدل.

المبحث العاشر

البابا بنديكتيوس السادس عشر يهاجم الإسلام ويكرس إشكالية الاعتراف بالآخر

يتحدث هذا المبحث عن آخر البابوات الذين يتربعون على عرش الكرسي الرسولي في وقتنا الحاضر. وهو الألماني جوزيف ريتسنغر[1] الذي انتخِب رأساً للكنيسة الكاثوليكية وأسقفاً لروما يوم الثلاثاء ٢٠٠٥/٤/١٩. وقد كان هذا البابا كاردينالاً لامعاً ومتعمقاً في اللاهوت، كما كان يرأس قبل رحيل البابا يوحنا بولس الثاني مجمع العقيدة والإيمان، الذي يحظى بنفوذٍ واسعٍ، وهو وريثُ المحاكم الدينية التي اشتهرت بأحكام الإعدام عبر الحرق في ـاية القرون الوسطى.

من جهةٍ أُخرى أطلق عليه مناصروه اسم "المحقق الأكبر"، ورحبوا بعمله في سبيل "إسكات اللاهوتيين المنشقّين" و"سحق الهرطقة".

لقد وصفت تريسي راولاند هذا البابا بأنه "أكبر مفكرٍ في تاريخ البابوية، فاطّلاعه واسع جداً، ليس فقط على العلوم الدينية وإنما أيضاً على الفلسفة وتاريخها ونظريا ـا العويصة والمعقّدة ولهذا السبب سلموه قسم الشؤون العقدية في الفاتيكان، لسنواتٍ طويلةٍ إبان حكم البابا يوحنا بولس الثاني، الذي كان سياسياً بالدرجة الأولى. ويمكن القول إنّ البابا الحالي يستطيع أن يناظر كبار علماء أوروبا وفلاسفتها"[2]. وكان دليلها على وصفها السابق للبابا ـذه الأوصاف أنه انخرط في مناظرةٍ فلسفيةٍ عميقةٍ مع أكبر فيلسوفٍ ألماني في وقتنا الحاضر: يورغين هابرماس. وقد اعترف له هابرماس بسعة الاطلاع ورجاحة العقل. وقد اختار البابا لنفسه لقب بنديكتيوس والذي يعني المبارك.

---

(1) ولد جوزيف ريتسنغر في ١٦ نيسان ١٩٢٧ في ماركتل ـ ام ـ اين ضمن ابرشية باساو في بافاريا، ووسم كاهناً في ٢٩ حزيران ١٩٥١ ثم عين رئيساً لأساقفة ميونيخ في أذار ١٩٧٧ وكردينالاً بعد أربعة أشهر من ذلك في ٢٧ حزيران ١٩٧٧ من قبل البابا بولس السادس، وكان أحد الكرادلة الثلاثة الناخبين الذين لم ينالوا رتبتهم من البابا يوحنا بولس الثاني. والكردينال ريتسنغر يلاقي معارضة شديدةً من قبل العديد من الكاثوليك التقدميين، ومنذ العام ١٩٨١ وحتى اليوم كانت ثوابته راسخة: لا لتنصيب النساء كهنةً ولا لزواج الكهنة ولا لمثلية الجنس ولا للشيوعية ولا لانضمام تركيا إلى أوروبا. ومواقفه قاطعة وكان من شأ ـا في غالب الأحيان أن تتسبب بأزماتٍ سياسيةٍ ففي العام ٢٠٠٤ أبدى معارضته لانضمام تركيا المسلمة إلى الاتحاد الأوروبي ووصف ذلك بانه "خطأ فادح" و"قرار مخالف للتاريخ".
وهو يدعو إلى التقارب مع الحركات الكاثوليكية الأكثر تشدداً أي "الأصولية". وقال "إنّ الحركات المسيحية الجديدة مثل الحركات التبشيرية أو الكنائس الحـرة في ألمانيا تزدهر لأ ـا تدافع بضرورة عن القيم الأخلاقية الكبرى".

(2) تريسي راولاند أستاذة علم اللاهوت والفلسفة السياسية في جامعة ملبورن في انجلترا. وهي تقدم دراسةً مستفيضةً عن عقيدة البابا الحالي بنـديكتيوس الـسادس عشر، الذي أشعل المناقشات حوله في السنوات الأخيرة. وهي مؤلفة كتاب إيمان ريتسنغر: لاهوت البابا بنديكتيوس السادس عشر. وهو مـن مطبوعـات جامعـة اكسفورد، ٢٠٠٨.

ولمزيدٍ من توضيح الأمور قبل الشروع في بيان موقف هذا البابا من الإسلام، فإن مِن المفيد ذكر المحطّات الأكاديمية والدينية التي مر ا هذا البابا ليتضِح لنا مدى تمكن وصلابة التركيب العقدي اللاهوتي لهذا الرجل وكذلك مدى النفوذ الذي كان ولا زال يتمتع به في الفاتيكان.

١. تولّى، على امتداد ربع قرن، من عام ١٩٨١م حتى انتخابه بابا في نيسان عام ٢٠٠٥م، منصب "فرض النقاء العقدي"، الذي هو امتداد لمنصب "المفتش الأكبر" ... الذي هو امتداد "لمحاكم التفتيش"!.

٢. تولّى عمادة كلية الكاردينالات.

٣. بتوجيهٍ منه، وتحت قيادته، ضيقت "لجنة الكرادلة لحماية مبادئ الدين" حدود الانشقاق المسموح به ... وتم استدعاء من شك في أنهم يقوضون الدين، إلى روما للخضوع للمساءلة ... وأعلن أن عشرةً من الكرادلة لم يعودوا صالحين لتعليم الطلاب الكاثوليك ... وأُمِر آخرون بمراجعة كتبهم!.

٤. تكونت "أرثوذكسية كاثوليكية جديدة" داخل الكنيسة ... وساد تيار "الخوف من الإبداع" وكان الكاردينال الألماني "جوزيف ريتسنغر" هو المسئول عن قيادة هذا التيار"[١].

٥. وعقب توليه للبابوية قام بما يلي:

أولاً: ألغى لجنة "حوار الأديان" وسماها "حوار الثقافات"!! ... وذلك تطبيقاً لوثيقة "المسيح المهيمن"، الرافضة لوجود أديان حقيقيةٍ غير الكاثوليكية!.

ثانياً: ألغى صدور مجلة "إسلامو كريستيانا"!"[٢].

ثالثاً: استقبل وفداً لممثلين مسلمين في مدينة "كولونيا" وقال لهم: "إنّ على المسلمين نزع ما في قلو م من حقدٍ، ومواجهة كل مظاهر التعصب، وما يمكن أن يصدر عنهم من عنف"!![٣].

كل المعطياتِ السابقةِ تشير إلى أننا نتحدثُ عن رجلٍ، له وزنه واعتباره في عالم الكاثوليكية، رجلٍ من الوزن الثقيل المُعتبر، الذي يكون قوله مسموعاً إن تكلم، وأمره مطاعاً إن أمر ... وباختصارٍ، فإنه رجلٌ ذو أساسٍ أكاديميّ متينٍ، فهو يدرك ما يقول، ويقصد ما يقول ... استهل هذا الرجلُ عهده في رئاسة الفاتيكان، كما قلنا، بإلغائه للجنة

---

(1) عمارة، محمد، الفاتيكان والإسلام، الجزء الأول من سلسلة منشورة على الموقع الالكتروني لجريدة (المصريون) www.almesryoon.com وعلى موقـع "نصرة رسول الله" الإلكتروني www.nosra.islammemo.com وهذه الدراسة في أصلها تلخيص مأخوذ عن كتابه الفاتيكان والإسلام [م. س].

(2) عمارة [م. س].

(3) عمارة [م. س].

حوار الأديان وتحويلها إلى لجنة حوار الثقافات. وما ذلك إلاّ لأنّ هذا الرجل لا يعترف بدينٍ بعد المسيحية، وهو في تصرفه واعتقاده هذا لم يأتِ بجديدٍ، ولكنه كان يكرس الاعتقاد البابوي بأنّ الأديان التي جاءت بعد المسيحية ليست أدياناً سماوياً، بل هي منحولات وهرطقات مسيحيةٌ ... لقد كان الغاء هذه اللجنة مقدمةً للحرب الإعلامية القالب، العقدية المضمون التي أعلنها هذا البابا بكُل صراحةٍ ووضوحٍ في محاضرته الشهيرة التي ألقاها في الثالث عشر من شهر أيلول عام ٢٠٠٦م في جامعة ريجنسبوغ الألمانية، والتي أثارت ضجةً وصخباً واعتراضاتٍ واسعةً في العالم الإسلامي؛ ذلك بسبب ما تضمنته من إساءاتٍ مقصودةٍ صدرت عن هذا البابا، طعن فيها ومن خلالها بالله تعالى رب العالمين (كإلهٍ للمسلمين) وبرسوله محمد ﷺ، وبتشريع الجهاد في الإسلام، وافترى فيها على القرآن الكريم واصفاً آياته بأنها (تعليمات أوامر اللئام التي أُثبتت في القرآن).

ولمّا رأى هذا البابا والكنيسةُ التي يرأسها الهبةَ المفاجئةَ في الشارع الإسلامي والملايين الذين خرجوا متظاهرين للتنديد به وبمحاضرته، سارع هو ومستشاروه إلى تدارك الأمر، ونطقوا العبارات المزخرفة الجوفاء لتطييب خاطر المسلمين ... لكنهم أصروا على عدم الاعتذار وما ذلك إلاّ لأنّ البابا لم يعترف بارتكابه للخطأ أصلاً، بل إنه تمادى في الخطأ عندما وصف هو ومستشاروه المسلمين بأنهم أساؤوا فهم عباراته ومقصوده، وأنهم يأسفون فقط لسوء الفهم هذا!! لقد دار جدلٌ كثير وطويلٌ حول مضمون هذه المحاضرة (الخطيرة) وكثُر الخوض فيها بين مؤيدٍ لها من المسيحيين الكاثوليك وبين معارضٍ لها من المُسلمين وغيرهم. وحتى تتجلى الأمور فإننا نرى أن عرض النص الكامل لهذه المحاضرة، ثم القيام بتحليل أبرز ما ورد فيها لهو الأسلوب الأمثل والأنجح لفهمها وتحديد المقصود منها مع التنويه لكتابة الأجزاء التي منا منها بخطٍ غامقٍ[1]:

(إ ا لتجربة مثيرة بالنسبة لي، أن أقف لأحاضر بمدرج هذه الجامعة مجدداً. وإني لأعود إلى تلك السنوات عندما بدأت التدريس في جامعة "بون" بعد فترة رائعة قضيتها في "فرايز نجر هو شولة" لقد كان ذلك في عام ١٩٥٩، أيام كانت هيئة التدريس في الجامعة القديمة تتألف من أساتذة عاديين؛ فأساتذة الكراسي العديدون لم يكن لهم مساعدون ولا سكرتارية، ولكن في المقابل كان هناك تواصل مباشر أكبر مع الطلاب، وبين الأساتذة فيما بينهم، على الأخص حين كنا نلتقي قبل وبعد الدروس في حجرات هيئة التدريس، كما كان هناك تبادلٌ وتواصلٌ مع المؤرخين

[1] انظر الموقع الالكتروني لصحيفة الفاتيكان L'osservater Romano وانظر الموقع الرسمي للفاتيكان /www.vaticoan.va

والفلاسفة وعلماء اللغة، وطبعاً بين الكلّيتين اللاهوتيتين، فبمجرد بدء الفصل الدراسي كانت تعقد حلقات أكاديمية يلتقى فيها أساتذةُ كل كليةٍ مع طلاب الجامعة كلهم، ليجعلوا التجربة الجامعية المتفردة ممكنةً، وهي حقيقة أنه بالرغم من تخصصاتنا التي قد تجعل من تواصلنا معاً أمراً صعباً في بعض الأحيان، إلا أننا استطعنا أن نكّونَ وحدةً واحدةً تعمل على أساسٍ من عقلانيةٍ منفردةٍ بنواصيها العديدة في كل الأمور، وتتشارك مسؤولية حق إعمال العقل؛ حيث أصبحت هذه الحقيقة تجربةً حيةً، وقد كانت الجامعة كذلك فخورةً بكلّيتيها اللاهوتيتين. وكان من الواضح أنه، فيما يخص العقيدة، فقد قامت الكلّيتان بعملٍ هو بالضرورة جزءٌ من كلٍّ من العمل الجامعي، حتى لو لم يكن الجميع ينتمي للعقيدة التي يسعى اللاهوتيون لربطها بالعقل ككل، ولم يعترض هذا الحس الإدراك الفريد داخل محيط العقل للتأثر حتى عندما قيل: إن أحد زملائنا يرى أن هناك شيئاً شاذاً بشأن جامعاتنا ألا وهو تكريس كلّيتيها لشيءٍ لم يوجد وهو الرب، فحتى أمام مثل هذه الريبة الأصولية لا يزال من الضروري والعقلاني أن نطرح مسألةَ الرب من خلال إعمال العقل، وأن نفعلَ ذلك في إطار تقليدية العقيدة المسيحية، فهذا كان مقبولاً دون نقاشٍ داخل الجامعة ككل.

مؤخراً تذكّرت هذا، لكن عندما قرأت ما دونه الأستاذ "ثيودور خوري" كجزءٍ من حوارٍ دار بين **الإمبراطور البيزنطي الموسوعي مانويل الثاني باليجوس، هو ودارسٍ فارسيٍّ لشؤون المسيحية والإسلام وحقيقة كل منهما، وهو حوار دار بالأحرى عام ١٣١٩م** في **المنتجعات الشتوية بالقرب من أنقرة، وعلى الأرجح** فإن **الإمبراطور نفسه هو الذي أرسى هذا الحوار خلال حصار القسطنطينية** في **الفترة من عام ١٣٩٤م** إلى **١٤٠٢م وهو ما يفسر سبب ذكر مساجلاته تفصيلياً، بصورةٍ أكبر من ردود الفارسي المثقف، والحوار** يمتد **على** نحوٍ **واسع ليتناول بناءات العقيدة المتضمنة** في **الكتاب المقدس** وفي **القرآن، ويتعلق بصورة الرب على** نحوٍ **خاصٍّ، وكذلك على صورة الإنسان،** فيما يعود **بشكلٍ متكررٍ بالضرورة** إلى **القوانين الثلاثة: العهد** القديم **والعهد الجديد والقرآن.**

وفي **هذه المحاضرة** فإنني **أود مناقشة نقطةٍ واحدةٍ هامشيةٍ** في **حد ذا ا بالنسبة للحوار نفسه،** والتي **أجدها** مثيرةً **للاهتمام** في **مجمل إطار قضية العقيدة والعقل** والتي **تصلح كنقطةٍ بدايةٍ** لمراجعاتي **حول هذه المسألة.**

في **المحاورة السابعة** التي **حررها** البروفيسور **"خوري" فإن الإمبراطور يعرض** إلى **موضوع الجهاد "الحرب المقدسة"؛ فلا بد أنّ الإمبراطور كان يعرف أن السورة ٢ آية ٢٥٦ "تنص على أنه لا إكراه** في **الدين" وهي أحدى سور العصور الأولى من تاريخ الإسلام عندما كان محمد لا يزال مهدداً وتعوزه القوة، ولكن من الطبيعي**

كذلك بالنسبة للإمبراطور أن يكون قد عرف التعليمات "أوامر اللئام" بشأن الحرب المقدسة والتي ذُكِرت لاحقاً ودونت في القرآن، ودون الدخول في التفاصيل، مثل الاختلاف في المعاملة بين أصحاب الكتاب والمشركين، فإن "الإمبراطور" ينتقل إلى محدثِه بخشونةٍ نوعاً ما للمسألة الجوهرية حول العلاقة بين الدين والعنف عموماً وفي هذه الكلمات:

"أرني ما الذي أتى به محمد من جديدٍ، فهنا ستجدون أشياءَ شريرةً وغير إنسانيةٍ مثل أمره بنشر العقيدة التي دعا إليها بحد السيف". ويواصل الإمبراطور تفسيره تفصيلياً لأسباب كون نشر العقيدة من خلال العنف أمراً يتنافى مع العقل، فالعنف أمر لا يتماشى مع طبيعة الرب وطبيعة الروح؛ فالرب لا ترضيه الدماء، وعدم التصرف بعقلٍ هو أمر يتناقض مع طبيعة الرب، فالإيمان يولد من داخل الروح وليس الجسد، فأي شخص يهدي آخر للإيمان هو بحاجةٍ إلى التحدث جيداً، وأن يعقل الأمور بشكلٍ ملائمٍ دون عنفٍ ودون تهديدٍ، فالمرء ليس بحاجةٍ إلى ذراع قوية أو أية أسلحة من أي نوع أو أي من وسائل التهديد بالموت لإقناع روح متعلقة بالإيمان.

إن القول الفصل من النقاش حول التحول العقائدي باستخدام العنف هو أن عدم التصرف وفقاً للعقل هو أمر مناهض لطبيعة الرب. والكاتب "ثيودور خوري" يقول: بالنسبة لإمبراطورٍ بيزنطيٍّ صاغته الفلسفة الإغريقية، فإن هذه المقولة هي دليلٌ واضح بذاته، ولكن بالنسبة للتعاليم الإسلامية فإن الرب مطلق السمو، فمشيئته لا تتماشى مع أيٍّ من خصائصنا بما فيها العقلانية، وهنا فإن "خوري" يقتبس كتابات الإسلامي الفرنسي المعروف "آر آرنادليز" الذي يشير إلى أن "ابن حزم" ذهب إلى حد الإقرار بأن الرب الله لا يلتزم حتى بكلمته الخاصة، وأنه ما من شيءٍ يلزمه بكشف الحقيقة لنا، ففيما يتعلق بإرادة الله فإنه ينبغي علينا التعبد بشكلٍ وثنيٍّ أعمى.

وهنا نجد تشابهاً بين المعنى اليوناني والإنجيلي لتعريف "الإيمان بالله". ولقد غَير جون الآية الأولى في كتاب "سفر التكوين" وبدأ مقدمة أحد الكتب الأربعة الأولى من العهد الجديد بـ "في البداية" التي استخدمها الإمبراطور: الإله يتصرف بالمبدأ الحاكم للكون ...

والمبدأ الحاكم يعني العقل والكلمة ... والعقل هنا يتميز بالإبداع والقدرة على التواصل الذاتي، وبذلك تحدث جون في كلماته الأخيرة في الإنجيل عن معنى "الإله" وقال: إن كل الطرق غير المستقيمة للإيمان الإنجيلي وجدت استدلالها المنطقي.

ويقول إيفانجيليست: في البداية ظهر المبدأ الحاكم للكون، والمبدأ الحاكم للكون هو الله، كما أن التصادم الذي نشأ بين التفكير اليوناني والإنجيلي لم يكن من قبيل الصدفة، فالرؤية التي رآها القديس باول ـ وهي أنه رأى الطرق إلى آسيا مغلقةً، وتوسل له رجلٌ مقدونيٌ لكي يأتي لهم وينقذهم ـ يمكن أن تفسر على أ ا خلاصةُ ضرورةِ وجودِ تواصلٍ بين الإيمان الإنجيلي واليوناني.

وفي الحقيقة تم هذا التواصل لفترةٍ، ولكن الاسم الغامض "للرب" مختلف عن كل أسماء الآلهة التي ظهرت، لدرجة أن الفيلسوف سقراط أراد أن يصنع لغزاً مشا اً لذلك ... وفي العهد القديم كان إله إسرائيل هو إله السماء والأرض، ومع بداية عصر التنوير ازدادت السخرية من الآلهة التي يصنعها الإنسان بيده، وبالرغم من التصادم الذي نشأ بين الإغريق والإنجيل في مسألة الإيمان، إلاّ أنه أسفر عن حركةٍ فكريةٍ ثريةٍ في الأدب ... واليوم نعرف أن ترجمة اليونان للعهد القديم في الإسكندرية ـ ترجمة يونانية للتوراة في القرن الثالث قبل الميلاد ـ تعد نموذج ترجمةٍ للنص العبري، وهذه خطوةٌ فريدةٌ ومهمةٌ في تاريخ ظهور حقائق إلهيةٍ، وخطوةٌ لظهور وميلاد المسيحية. وفي الحقيقة يوجد هنا تصادم بين الإيمان والعقل يتمثلُ في التصادم بين الحركة التنويرية والدين. وبأمانةٍ شديدةٍ يجب أن يلاحظ أي إنسانٍ أنه في أواخر العصور الوسطى ظهرت اتجاهات دينيةٌ مختلفةٌ كان من الممكن أن تفصلَ هذا الاستدلال المنطقي بين الروح اليونانية المسيحية ... **وفي عقلانية أوجوسناين وتوماس، ظهر مذهب الإرادة الذي أدى إلى ادعاءٍ أننا يمكننا معرفة إرادة الرب، ووراء ذلك تكمن حريةُ الإله، والتي تعنى أنه يمكن أن يناقض أفعاله، وأن يتصرف بشكلٍ لا منطقي، وبذلك لا يمكن إضفاء صفة الألوهية والحقيقة عليه.**

إن تجلّي الإله موجود فقط في عقولنا؛ فإحساسنا بالحقيقة والخير لا يعد مرآةً لصفات الرب، الذي تكمن إمكاناته وقدراته وحقائقه خلف قراراته الحقيقية ... وعلى النقيض من ذلك يؤكد إيمان الكنيسة أنه يوجد تجانس بين الإله وبيننا. كما أن صفة الألوهية لا تنطبق على الرب إذا ابتعدت كينونته عن البشر.

يعد تناولُ الإيمان الإنجيلي والفلسفة اليونانية حدثاً مهماً ليس فقط دينياً، ولكن تاريخياً ... إنه حدثٌ ما زال يشغلنا حتى اليوم، وبالرغم من الإنجازات التي حققَتها الديانة المسيحية في الشرق إلا أ ا بدأت مؤخراً تتسم بطابعٍ ائيّ في أوروبا.

لقد كانت المطالبة بعدم أغرقة المسيحية، أي إبعاد المسحية عن الإغريقية، سبباً في مواجهة النظرية التي شكلها التراث اليوناني عن المسيحية.

لقد أدت هذه المطالبة إلى مناقشاتٍ عديدةٍ منذ بداية العصر الحديث وبنظرةٍ أعمق، مرت مرحلةُ عدم "أغرقة" المسيحية بثلاث مراحل مختلفةٍ في الأهداف، بالرغم من اتفاقها من حيث المبدأ. وقد نشأت مرحلة عدم الأغرقة مع بداية الإصلاح في القرن السادس؛ فلقد شعر الإصلاحيون أ م موجهون بإيمانٍ مرتبطٍ بالفلسفة، أي إيمانٍ مرتبطٍ بفكرٍ معينٍ واتجاهٍ معينٍ، وفي الوقت نفسه وجدوا أ م يتطلعون إلى إيمانٍ بمعنى الكلمة في الإنجيل ... علاوةً على ذلك ظهر علم الغيبيات كعلمٍ منفصلٍ مشتقٍ من مصدرٍ آخر ... الأمر الذي يجب أن يتحرر منه الإيمانُ لكي يصبح مستقلاً. عندما قال الفيلسوف "كانت"، إنه بحاجةٍ إلى إعادة التفكير لعمل غرفةٍ خاصةٍ للإيمان، نفذَ هذا البرنامج بتطرفيةٍ شديدةٍ لم يتوقعها الإصلاحيون.

ويعد الاعتقاد الحر في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، إحدى سمات المرحلة الثانية من عملية عدم أغرقة المسيحية، وكان العضو البارز في هذه المرحلة، هو أدولف فون هازاك، وعندما كنت طالباً وفي بداية سنوات تدريسي، كان هذا البرنامج مؤثراً لدرجةٍ كبيرةٍ في الاعتقاد الكاثوليكي، حيث تم التمييز بين إله الفلاسفة وإله إبراهام وإسحاق ويعقوب ...وفي محاضرتي الإفتتاحية ببون عام ١٩٥٩م، حاولت التطرق لهذا الموضوع ... لن أكرر ما قلته في هذه المحاضرة، ولكني أود أن أصف بصورةٍ وجيزةٍ ما هو الجديد في هذه المرحلة الثانية من عدم أغرقة المسيحية ... لقد كانت الفكرةُ الرئيسية لهازاك هي الرجوع إلى السيد المسيح والاقتداء بنموذجه، وكانت هذه الفكرة ناتجةً عن تراكماتٍ دينيةٍ إنسانيةٍ... فلقد وضع السيد المسيح ايةً للعبادة من أجل الأخلاق الإنسانية، وظهر كأبٍ للرسالة الأخلاقية الإنسانية، وكانت الغاية الأساسية هي الوصول بالمسيحية إلى شكل متجانسٍ من العقل الحديث، شكلٍ متحررٍ من العناصر الاعتقادية والفلسفية. ما أستطيع أن أقوله عن السيد المسيح، إنه رجل ذو عقلٍ عمليّ، وبالتالي فهو ذو مكانةٍ عاليةٍ في الجامعة ... بالإضافة إلى هذا يعتمد المفهوم الحديثُ للعقل على مفهومٍ استدلالي يتأرجح ما بين

الأفلاطونية والتعبيرية، فمن ناحيةٍ، إ ا تفترض البناء المادي للأشياء، ومن ناحيةٍ أخرى تعبر عن قدرة الطبيعة في أن تتحمل استقلالنا لها، ولا يبقى سوى أن تكون الاختبارات الحد الفاصل النهائي للوصول إلى الحقيقة. وفي الواقع يؤدي هذا إلى بروز مبدأين خطيرين من خلال الموضوع الذي أثرناه وهما:

أولاً: تعد الحقيقة الناتجةُ عن استخدام المنطق المادي والتعبيري حقيقةً علميةً بحتةً، فيجب أن ينظر لأي شيءٍ علميّ على أنه مضاد للمعايير ... لذلك فإن العلوم الإنسانية مثل التاريخ وعلم النفس والفلسفة تعد مجالاتٍ علميةً.

ثانياً: النقطة الأهم هي أن هذه الطريقة تستبعد "البحث عن ذات الإله الأمر الذي يجعله لغزاً غير علمي". سنعود إلى هذه المشكلة مؤخراً. حالياً يجب أن نلاحظ أن أي محاولاتٍ لجعل الاعتقاد "علميا" قد تنتهي بتقليص المسيحية، ولكن علينا أن نقول المزيد، فالإنسان هو الذي يقلل من نفسه نتيجة التساؤلات التي يطرحها عن أصله ومصيره تلك الأسئلة التي طرحها الدين وعلم الأخلاقيات ... وفي النهاية تقرر تجاربه ما هو مادي وملموس في الشؤون الدينية، وفي الحقيقة "الضمير" هو الحكم الفاصل فيما هو أخلاقي، وفي هذا الاتجاه نلاحظ فقدان الأخلاق والدين قُو ما في تشكيل مجتمع، واعتبارهما مجرد أشياء شخصيةٍ ... إ ا حالة خطيرة وصلت إليها الإنسانية ... إن محاولات بناء علم أخلاقي يعتمد على علم النفس والاجتماع محاولات لن تثمر النتائج المرجوة منها. وقبل أن اختم يجب أن أشير إلى المرحلة الثالثة من عدم "أغرقة" المسيحية التي هي موجودة الآن ... ففي ظل تجربتنا الملموسة مع التعددية الحضارية، يقالُ هذه الأوقات: إن التضامن الذي حدث بين الاستدلال المنطقي والإغريقي في أقدم الكنائس كان مزجاً تمهيديا للحضارات، ويجب ألا يمتد لحضاراتٍ أخرى، وقد اقترح البعض الرجوع إلى رسالة العهد الجديد التي تسبق هذا المزج الحضاري ... والعهد الجديد كُتِب باليونانية؛ ولذلك نجده يحمل في طياته الإغريقية التي تطورت مثلما تطور العهد القديم .. نعم ... توجد بعض العناصر في مراحل تطور الكنيسة البدائية التي يجب ألا تنضم إلى كل الحضارات، ومع ذلك فالقرارات الأساسية التي نتجت عن العلاقة بين الإيمان واستخدام الإنسان للعقل جزء من الإيمان نفسه.

و ذا وصلت إلى نتيجة ائية ... هذه المحاولة لا تعني الرجوع إلى عصر ما قبل التنوير ورفض العصر الحديث، فيجب استغلال المظاهر الإيجابية للحداثة ... فهذه نعمةٌ وهبها الإله لنا. فالقيم الأساسية العلمية هي عزيمةٌ يجب أن تطّوع لصالح الحقيقة، وهي تعكس أحد المبادئ الأساسية للمسيحية ... لا أقصد هنا أن أوجه نقداً سلبياً، بل

أريد أن نوسع مداركنا لمفهوم العقل وتطبيقاته ... فبينما نسعد بوجود احتمالاتٍ، نجد أخطاراً يجب أن نتغلّب عليها ... ولن يحدث ذلك إلا بإدماج العقل مع الإيمان في شكلٍ جديدٍ، والتخلي عن التقيد الفكري، وإذا قمنا بهذا سنجد الاعتقاد ينتمي للجامعة في شكله الصحيح مع وجود حواراتٍ لمختلف العلوم ... ولن يكون هذا مجرد نظامٍ تاريخي وعلومٍ إنسانيةٍ بل اعتقاد.

إن التحاور بين **الحضارات والأديان هو ما** نحتاجه في **هذه الفترة. ففي العالم الغربي** تم **إثبات أن استخدام العقل الإيجابي** بجانب **أشكال الفلسفة** التي **تعتمد على هذا العقل هو الطريق الأمثل.**

ومع ذلك نجد **أن الدول ذات الحضارات الدينية ترفض استبعاد الألوهية عن عالمية العقل، وتعتبر ذلك هجوماً حاداً على اعتقاداتها. إن العقل الأعمى** بمبدأ **الألوهية، من يقسم الدين إلى** جماعاتٍ **حضاريةٍ** مختلفةٍ **لا يستطيع التواصل مع مبدأ التحاور** بين **الحضارات.** وفي الوقت نفسه، كما أشرت من قبل، العقل العلمي الحديث بعنصره الأفلاطوني يحمل في طياته سؤالاً أبعد من محتواه ... فالعقل العلمي الحديث عليه أن يقبل الترتيب المنطقي والعقلّي للأشياء والتواصل بين أرواحنا والطبيعة، فبالنسبة للفلسفة والاعتقاد يعد الاستماع إلى الخبرات والتقاليد الدينية للإنسانية مصدراً هاماً للمعرفة، وتجاهلُ هذه الأشياء شيءٌ غير مقبولٍ. ولقد تذكرت شيئاً قاله سقراط لفيدو في محادثتهما الأولى عندما أُثيرت آراءٌ فلسفيةٌ خاطئةٌ ... قال سقراط: "سيكون الأمر مفهوماً إذا أصبح شخص ما متعصباً نتيجةً لكل هذه الشعارات الخاطئة، ولكن في النهاية سيخسر الكثير بسبب هذا التعصب الذي سيفقده معرفة حقيقية الوجود" ... وتنطبق هذه المقولة على الغرب، فالشجاعة هي أن تستعملَ العقل، وهذا ما يعتمد عليه الإيمان الإنجيلي ... لا تتصرف بالمبدأ الحاكم للكون؛ لأن ذلك فيه تعارض لطبيعة الإله ... وفقط باستخدام العقل يمكننا استقبال شركائنا في حوار الحضارات، وإعادة اكتشاف هذا هو مهمة الجامعة.)(*)

لقد سبق أن تحدثنا عن المكانة العلمية والدينية التي يحتلها البابا بنديكتيوس في الفاتيكان، كما سبق القول بأنه يعي ما يقول، ويقصد ما يقول. وإنه لمن البدهي ولمن نافلة القول التذكير بأنّ إلقاء محاضرةٍ كهذه وفي موضوعٍ كهذا ليحتاج إلى تحضيرٍ مسبقٍ وتوثيقٍ معمقٍ وتوخٍّ للحذر في عرض المضامين، فلا يصار إلى إلقائها على مسامع الحضور إلاّ

(*) هنا ينتهي نص المحاضرة كاملةً.

بعد التنقيح الضروري اللازم، وهنا نؤكّد على أ ا كانت محاضرةً مكتوبةً وليست مرتجلةً يلقيها المحاضِر من ذهنه وذاكرته. ويمكننا بعد ذكر النص الكامل لهذه المحاضرة أن نسجلَ الملاحظات ونطرح التساؤلات التالية:

إن كان العنوان الذي حملته هذه المحاضرة هو (الإيمان والعقل والجامعة، ذكريات وانعكاسات) وإن كان موضوعها الرئيس علاقة العقل بالإيمان المسيحي وتفعيل ذلك في الحياة الجامعية فلماذا يا ترى استشهد البابا بنصوص، تتعلّق بالإسلام وبالله تعالى ومشيئته الإلهية واستعمال محمدٍ للعنف والسيف وتعليمات القرآن الكريم؟!! ما علاقة كلّ هذه المواضيع بموضوع المحاضرة وعنوا ا، لقد كان من الجدير ذا الأكاديمي الفذّ، أن يستشهد بنصوصٍ تدعم وتؤكد عنوان محاضرته لا أن يوظّف "مائة سطرٍ من أصل أربعمائة سطرٍ، وهي مجموع سطور محاضرته"[١]، في موضوع الإسلام والذي ليس هو موضوع المحاضرة ولا علاقة له بعنوا ا.

لقد ذكر البابا في دفاعه عن نفسه بعد ثورة الغضب التي اجتاحت الشوارع في العالم الإسلامي، اعتراضاً على ما قاله فيما يتعلّق بالإسلام، ذكر أنه استشهد ذه الشواهد عرضاً وأ ا لم تكن مقصودةً لذا ا ... وهو لم يكن صادقاً في تبريره هذا، حيث بلغ حديثُه العرضي، عن الإسلام في محاضرته ربعها!!.

نقول: إنّ الاستشهادات السابقة لم تكن عرضيةً البتة، وإنما كانت مقصودةً لذا ا، بدليل أنها تناولت الطعن في نفس النقاط والمحاور التي كانت كنيسة العصور الوسطى تطعن في الإسلام من خلالها، وهي (الله والقرآن ومحمد والجهاد). نعم، لقد تقصد هذا "المعصوم" الطّعن غير الصحيح وغير المبرر في العناصر السابقة؛ فهو قد كذب، وطعن وافترى على المولى سبحانه وتعالى حينما اختار القولَ بعقلانية الإيمان المسيحي وبتسامي المشيئة الإلهية لرب المسلمين (الله) وبأنْ لا علاقة لها بالمنطق ولا بالعقل!! مما أدى في النهاية لكون إيمان المسلمين نوعاً من الإيمان الأعمى والوثني. وهو كذلك قد كذب وطعن وافترى عندما ذكر عبارة الإمبراطور إيمانويل الثاني بأنّ محمداً لم يأتِ إلاّ بكُل شريرٍ وسيئٍ ولا إنساني، ويشهد على ذلك نشره للإسلام بقوة السيف. ومع أن البابا صرح بعد عودته لروما أنه لم يعتقد بصحة ما ورد في كلام الإمبراطور السابق فلماذا يا ترى استشهد بقوله ذاك!!! لماذا اختار من كل الترجمات الموجودة

---

(١) عمارة، [م. س]، ص ٢١.

في الغرب لنصوص الإسلام وتاريخه وتراثه العبارات السابقة بالذات؟ لماذا؟ ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾[1]!!

غريب هذا البابا الذي أوقعته أحقاده وكراهيته للإسلام في خلطٍ ولبسٍ كبيرٍ بين مفهوم الجهاد في الإسلام وبين مفهوم الحرب المقدسة، والذي سبق وأن فصلنا القول فيه في مبحثٍ سابقٍ، بل إنه ذهب إلى أبعد من هذا الخلط فقرر وبطريقةٍ عجيبةٍ الحقيقة التالية: إنّ الإيمان بالإسلام إنما يمهد ويؤسس للعنف وممارسة الإرهاب ضد الآخرين!!! فسبحان الله المعبود!!؟؟ وأخيراً فقد قفز البابا وبكل رشاقة عن حواجز العقل والمنطق وقرر النتائج دون أدنى ذكرٍ للمقدمات فقرر أن آيات القرآن إنما هي آيات أُثْبِتت فيها أوامر اللئام!!!. وهو يقصد بذلك طبعاً محمداً ﷺ وصحابته ا اهدين رضوان الله عليهم.

إننا نقف لنقرر هنا، أنّ اقتباسات البابا لم تكن عرضيةً وغير مقصودةٍ لذا ا، بل إ ا كانت منتقاةً بعنايةٍ ودقّةٍ، لأ ا توافق هواه ومعتقده، مما يثبت عدم موضوعيته وعدم تجرده في البحث، ويشهد لعدم الموضوعية هذه، كتاب الأستاذ ثيودور خوري (الصليبي الحاقد) والمعنون (حوارات مع مسلم، المناظرة السابعة)، وهو كتاب قدمه خوري ونشره في الستينات عندما كان يعمل مدرساً بجامعة مونستر. وقد وقع اختيار البابا على هذا الكتاب ليستشهد بمضمونه متناسياً عشرات الألوف من الكتب الأخرى ومن المخطوطات التي تحتوي عليها مكتبة الفاتيكان؟!!.

وقد علق الأستاذ محمد عمارة على ذلك بقوله[2]: "وكان أخطر ما في هذه المحاضرة، ليس اقتباس البابا من الإمبراطور البيزنطي "مانويل الثاني" [١٣٩١ – ١٤٢٥م] ـ كما حسِب كثير من المعلّقين ـ وإنما تعليقات البابا على الاقتباس!. لقد استشهد البابا بكلمات الإمبراطور البيزنطي ـ في معرض ربط الجهاد الإسلامي "بالحرب المقدسة المسيحية". وأورد الكلمات التي قال فيها هذا الإمبراطور لأحد المثقفين الفرس المسلمين: "أرني ما الذي أتى به محمد من جديدٍ؟! فهنا ستجدون أشياءَ شريرةً وغير إنسانيةٍ، مثل أمره بنشر العقيدة التي دعا إليها بحد السيف". ولقد وصف البابا الإمبراطور "مانويل الثاني" بالموسوعي!... وأغفل ذكر رد المثقّف الفارسي المسلم على هذا الإمبراطور!... ثم مضى ـ معلقاً ...ومؤيداً ـ فقال: [لا بد أن الإمبراطور كان يعرف أن السورة ٢ آية ٢٥٦ تنص على أنه "لا إكراه

---

(1) سورة آل عمران، الآية ١١٨.

(2) عمارة، [م. س]، ص ٢١، ٢٢.

في الدين" وهي إحدى سور العصور الأولى من تاريخ الإسلام، عندما كان محمد لا يزال مهدداً، وتعوزه القوة. ولكن من الطبيعي كذلك، بالنسبة للإمبراطور، أن يكون قد عرف التعليمات "أوامر اللئام" بشأن الحرب المقدسة، والتي ذُكرت لاحقاً ودونت في القرآن].

من الغريب جداً في محاضرة هذا البابا، والذي كان قد عمل أستاذاً للفلسفة واللاهوت في الجامعات الألمانية فيما سبق الاستشهاد بعبارات مزيفةٍ تمّت فيها الإشارة إلى [أن إبن حزم ذهب إلى حد الإقرار بأنّ الرب الله لا يلتزم حتى بكلمته الخاصة وأنه ما من شيءٍ يلزمه بكشف الحقيقة لنا، ففيما يتعلّق بإرادة الله فإنه ينبغي علينا التعبد بشكلٍ وثنيٍّ أعمى]!!. لقد كان حرياً بهذا البابا أن يلتزم ولو أدنى آداب وأخلاق الأساتذة فيشير إلى المصدر الذي تمّ اقتباس قول ابن حزمٍ هذا منه!! هو لم يفعل، ولن يفعل ذلك لأنّ ابن حزمٍ، بصراحةٍ، لم يقل (ونكرر لم يقل) هذه الأكاذيب والافتراءات. ولو فرضنا جدلاً أنّ البابا كان صادقاً في صحة هذا الاقتباس (المزعوم) لوضح المصدر الذي تمّ منه الاقتباس في دعواته وكلماته التي ألقاها بعد عودته إلى روما وتقديمه التبريرات لما قال. وبمناسبة الحديث عن آداب وأخلاقيات الأستاذية، فإننا نشير هنا إلى أنّ مِن أخلاقيات الاستشهاد بنصٍّ معينٍ بعد صحةِ توثيقه توظيفَه في موضعه الصحيح، وتوجيهه التوجيه السليم، وشرحه شرحاً صحيحاً يناسب السياق الذي ورد فيه، أو الجو الذي تحدث عنه. ومن هنا فإنه من المرفوض ومن المغالطات قوله (إنّ آية لا إكراه في الدين) كانت إحدى سور العصور الأولى من تاريخ الإسلام عندما كان محمد لا يزال مهدداً وتعوزه القوة؟!!! حيثُ يفهم من كلامه هذا، وبصورةٍ تلقائيةٍ، أنّ محمداً، ﷺ، قد تناسى هذه الآية بل وعمل بخلافها. بعد أن اشتد عوده وانتشر دينه وتقوى جيشه!!! (وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ)(1). إننا نستطيع أن نفهم ونتصور مدى الغيظ والغضب والحقد الذي يثور في وجدان البابا بنديكتيوس كلّما يسمع اسم النبي ﷺ، ولا عجب في ذلك فقد أُشربوا كراهيته في صدروهم منذ كانوا أطفالاً صغاراً ... ولا نجد مبرراً لذلك سوى المخاوف التي يتردد صداها في جوف هذا الحبر

(1) سورة القلم: الآية ٥١.

الأعظم؛ إ ا المخاوف التي سبق وأن عبر عنها أكثر من مرةٍ في كتابة المُسمى (بلا جذور: الغرب، النسبية، الإسلام، المسيحية)[1] وقد أكد هذا الحبر الأعظم في كتابه هذا على أنّ هنالك ثلاثةَ مخاوف تسيطر عليه، وهي التالية:[٢]:

أولاً: الانقراض السكاني للأوروبيين المسيحيين بسبب العلمنة التي أشاعت الأنانية وتفكك الأسرة، فانخفضت الخصوبة والمواليد أحياناً إلى أقل من ١%. ذلك أن معدلات المواليد في غالبية الدول الأوروبية تراجعت، الشيء الذي أثر على استمرار التوازن السكاني ... وجعل عدة شعوبٍ أوروبيةٍ، خصوصاً الألمان والإيطاليين والأسبانيين، ربما لا تعود موجودةً قبل ابة القرن الحالي، أو في أحسن الأحوال والتكهنات، تصبح هذه الشعوب أقليات داخل دولها.

ثانياً: إنّ المكان الذي تتركه الأجيال الأوروبية الجديدةُ شاغراً يملؤه المهاجرون المسلمون، خصوصاً من إفريقيا والعالم العربي ... الأمر الذي يفتح الباب لاحتمال أن تصبح أوروبا مستقبلاً جزءاً من دار الإسلام!!.

ثالثاً: تراجع المسيحية من الفضاء الأوروبي ... فبسبب العلمانية أصبحت مسيحيةُ غالبية الأوروبيين تقتصر على انتماء الأسرة التقليدي للمسيحية أي أنهم مسيحيون فقط بحكم النسب والتاريخ فقط!! الأمر الذي أدى إلى افتقار أوروبا إلى القدرة والرغبة والشجاعة الأخلاقية في القتال من أجل أي شيءٍ، حتى حريتها"!!.

ولعلّ هذه المخاوف السابقة تؤكد ما كنا قد ذكرناه عن خوف الكنيسة من الإسلام، لأنه يمثلُ التحدي الأكبر لها، ولكونه البديل الأنسب عنها في الحياة المعاصرة، ويبرز لدينا الآن عنصر آخر على لسان البابا بنديكيتوس يؤكد خوفه وخوف الكنيسة من أن يكون الإسلام هو الوريث للكنيسة ومن أن يجعل أوروبا جزءاً من داره (دار الإسلام). ومن يدري فلعل ذلك يكون؟ ومن يدري فما ذلك على الله بعزيز ...إنّ الفهم الصحيح لمخاوف البابا بنديكتيوس السابقة يعيننا وبكل ثقةٍ على فهم الدوافع التي أدت به لأن يقول ما قال في محاضرته السابقة.

لقد أثارت محاضرة البابا السابقة استياء العديد من المراقبين والمتابعين لموضوع علاقـة الشرق بالغرب، وموضوع الإسلام فـي القارة الأوروبية، ومـن ذلك مجلـة (News Week) الأمريكية التي أبدت استغرا ا مما جاء في محاضرة البابا السابقة، فوضعت صورته على غلاف عددها الصادر بتاريخ ٢٠٠٦/٩/٢٦ وعنونت له

---

(1) ألف هذا الكتاب البابا بنديكتيوس السادس عشر بالاشتراك مع مارسيلو بيرا ونشرته (Basic Books) في نيويورك عام ٢٠٠٦ وقدم له جورج ويغل وترجمه إلى الإنجليزية مايكل مور.

(2) انظر جريدة الشرق الأوسط، الملحق الثقافي، منتدى الكتب، بتاريخ ٢٠٠٦/٤/٢٦م.

(بنديكتيوس السادس عشر ما الذي دهاه؟؟) وهاجمت أسلوبه وطريقته ووصفته بالأسلوب الأخرق، كما أنّ العالِم اللاهوتي الكاثوليكي السويسري الكبير "هانز كبونج" "عاب على أسلوب محاضرة البابا ومنحها درجة ضعيف قائلاً إنه إذا كان من الضروري أن يقتبس البابا عن ذلك الإمبراطور البيزنطي، فإنه كان يجب عليه أن ينقلَ رد أحد المسلمين على تلك الا امات أيضاً. وقال أن رد فعل العالم الإسلامي ليس مثيراً للدهشة. وأشار إلى أن سياقاً تاريخياً معيناً قد ظهر منذ زمن الحروب الصليبية، موضحاً أنه لا يمكن تجاهل تلك الحروب التي شنت ضد الإسلام عند الحديث عن العنف الذي يمارسه الإسلام"[1].

لقد أثارت المحاضرة السابقة العديد من الانتقادات، كما أثارت العديد من الدعوات المنادية بضرورة اعتذار البابا بنديكتيوس للمسلمين عما سبق إيراده من النصوص والاستشهادات في محاضرته، ولكن هل اعتذر البابا؟ هل اعتذر صراحةً أو ضمناً على لسانه أو على لسان أيٍّ من مستشاريه ومعاونيه؟ الإجابة هي لا. لم يعتذر، بل إنه، ومعاونيه، اتهموا المسلمين بإساءة فهم مقصوده. لم يعتذر الرجلُ المعصوم بتاتاً ولكنه أبدى أسفه لأنّ بعض مقاطع محاضرته بدت وكأنها تؤذي مشاعر المسلمين، وتم فهمها بطريقةٍ لا تعكس نواياه. جاء ذلك في البيان الذي ألقاه "تارسيزيو برتوني" وزير الدولة بالفاتيكان "... **لذا فإن البابا آسف للغاية على أن بعض المقاطع من كلمته بدت وكأ ا تؤذي مشاعر المسلمين، وتم فهمها بطريقةٍ لا تعكس نوايا البابا".** وجاء في البيان: إنّ موقف البابا حيال الإسلام يتمثل بدون أي التباسٍ في الوثيقة ا معية "في عصرنا". وتنظر الكنيسة بعين الاعتبار أيضاً إلى المسلمين الذين يعبدون الإله الواحد القيوم الرحيم، الضابط الكل، خالق السماء والأرض المكلم البشر. ويجتهدون في أن يخضعوا بكليتهم حتى لأوامر الله الخفية، كما يخضع له إبراهيم الذي **يسند إليه بطيبة خاطر الإيمان الإسلامي.** ولأ م يجلّون يسوع كنبي، وإن لم يعترفوا به كإلهٍ ويكرمون مريم أمه العذراء كما أ م يدعو ا أحيانا بتقوى، وعلاوةً على ذلك أ م ينتظرون يوم الدين عندما يثبت اللهُ كل البشر القائمين من الموت. ويعتبرون أيضاً الحياة الأخلاقية، ويؤدون العبادة لله لا سيما بالصلاة والزكاة والصوم".

---

[1] جريدة الرأي الأردنية، بتاريخ ٢٠٠٦/٩/٢٠.

كما جاء في **البيان: "إنّ البابا، إذ يؤكد احترامه وتقديره للمؤمنين** المسلمين**، يأمل بأن يتفهموا كلماته** بمعناها **الصحيح"**[١]**.**

ولمّا اشتدت الاعتراضات، وزاد عدد المتظاهرين في العالم الإسلامي الرافض لما جاء في محاضرة البابا السابقة، هب البابا لتنقيح محاضرته تلك، ونشر الموقع الرسمي للفاتيكان نص المحاضرة بعد تنقيحها، فماذا كانت التعديلات والتضحيات؟ لقد كانت إضافةَ أربعِ كلماتٍ فقط، تتعلق بالحوار الذي دار بين الإمبراطور البيزنطي "مانويل باليولوجوس الثاني" والمثقف الفارسي على الكلمات التالية: "إن باليولوجوس "خاطب محاوره بشكلٍ فظٍّ مروعٍ وهي فظاظةٌ وجدناها غير مقبولةٍ وذلك حول مسألة العلاقة بين الدين والعنف بشكل عام". ولم تكن عبارة **فظاظة وجدناها غير مقبولةٍ** موجودةً في النص الأصلي**[٢]**.

والذي نراه، تعليقاً مناسباً على ما سبق من التبريرات هو أنها محض أكاذيب، كما نرى أن البابا كان يقصد كل كلمةٍ تفوه بها، **لا بل إن سكرتيره الخاص الذي لا يفارقه الأب "جورج غانسفاين" كان يرى تلك المحاضرة** بمثابة **النبوؤة، "فقد حذر السكرتير الخاص لبابا الفاتيكان بنديكتوس السادس عشر من أسلمه الغرب، معتبراً أن خطاب البابا** في **راتيسبون الذي أثار ثائرة العالم الإسلامي كان** بمثابة **رؤيةٍ تنبؤيةٍ. وذلك** في **حديثٍ نشرته صحيفة سودوتش تسيتونغ. وقال جورج غانسفاين الذي يعد أقرب معاوني البابا،** في **حديث لملحق الصحيفة الأسبوعية ينبغي أن لا نستهين** بمحاولات **أسلمة الغرب ... وأن لا نتجاهل خطرها على هوية أوروبا بذريعة** محاملةٍ **تفهم بشكلٍ خاطئ. الكاثوليكيةُ ترى ذلك جلياً وتقوله بوضوحٍ. وأشار الأب غانسفاين إلى** المحاضرة التي **ألقاها البابا أمام** مجموعةٍ **من الطلبة** في **راتيسبون وأثارت غضب قسمٍ كبيرٍ من العالم الإسلامي وقال كانت** بمثابة **نبوءة"**[٣]**.**

إنّ أكثر ما نراه استفزازياً في المحاضرة السابقة، ليس الإساءة للإسلام فقط، فهذا أمر قد مر معنا مراراً في مباحث سابقةٍ، ما هو أسوا منه وأدهى، ولكن الأكثر استفزازاً، حسب رأينا، هو قول البابا السابق [إنّ التحاور بين الحضارات والأديان ما نحتاجه في هذه الفترة، ففي العالم الغربي تمّ إثبات أنّ استخدام العقل الإيجابي بجانب أشكال الفلسفة التي تعتمد على هذا العقل هو الطريق الأمثل، ومع ذلك نجد أنّ الدول ذات الحضارات الدينية ترفض استبعاد

---

(1) موقع الفاتيكان الرسمي: www.vatcan.va.

(2) موقع الفاتيكان الرسمي: www.vatcan.va.

(3) جريدة الرأي الأردنية، بتاريخ ٢٠٠٧/٧/٢٨.

الألوهية عن عالمية العقل وتعتبر ذلك هجوماً حاداً على اعتقادا ا]. وواضح من خلال هذه الفقرة أنه يلمز الحضارة الإسلامية والعربية، وهذا أمر متوقع منه ولكن المثير هو دعوته للتحاور بين الحضارات والأديان وتأكيده على أنّ ذلك هو ما نحتاجه الآن!! مِن المستغرب أن يقول ذلك البابا الذي ألغى لجنة حوار الأديان وسماها حوار الثقافات!! مِن المستغرب أن يقول ذلك الشخص الذي أمر بإيقاف صدور مجلة (إسلامو كريستيانا) التي حاولت التوفيق والتقريب بين أتباع المسيحية والإسلام!! من المستغرب أن يقول ذلك الرجلُ الذي لا يعترف بسماوية وشرعية الإسلام بل ينظر إليه على أنه مجرد ثقافةٍ شرقيةٍ، ويشترطُ هو وكنيسته شروطاً مجحِفةً مهينةً بحق المسلمين الذين أعربوا عن رغبتهم في محاورته ومناقشته.

إننا ومع تسليمنا بصحة نوايا هؤلاء المسلمين، واحترامنا لرغبتهم الصادقة في تعريف الفاتيكان بطبيعة وحقيقة ديننا السمح، إلاّ أننا ننصحهم بمزيدٍ من توخي الحذر، والتريث؛ فأهل الكتاب يعرفون محمداً ويجدونه مكتوباً عندهم في كتا م، ويعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ولكنهم يصرون على المكابرة والعناد.

ولكن، هل يفهم مما سبق أن البابا الحالي والفاتيكان لا يؤيدون الحوار مع المسلمين ولا يدعون إليه؟؟ الإجابة هي قطعاً لا، ولكن مؤسسة الفاتيكان الحاضرة وعلى رأسها البابا بنديكتيوس السادس عشر يضعون شروطاً (صعبةً) مطلوبةَ التنفيذ كمقدمةٍ للحوار مع المسلمين. وقد انتقد العديد من العلماء والأساتذة والمفكرين المسلمين هذه الشروط "الفاتيكانية" ووصفوها بالمُذِلّة والـ مهينة، والتي تعبر عن الروح الصليبية غير المقبولة للبابا بنديكتيوس السادس عشر. ولكن ما حكاية هذه الشروط وهل اشترطها الفاتيكان فعلاً أم أ ا مجرد إشاعاتٍ وفقاعاتٍ هوائيةٍ يطلقها الخط المعارِض دوماً للحوار مع غير المسلمين؟

نوضح في البداية، أنّ محاضرة البابا السابقة في جامعة ريجنسبورغ الألمانية قد لاقت معارضةً شديدةً وامتعاضاً واستهجاناً في الشارع المسلم، فهبت مجموعةٌ من العلماء والمفكرين وأساتذة الجامعات في العالم الإسلامي للرد على أبرز مضامين هذه المحاضرة، وقد أُطلق على هؤلاء مسمى (مجموعة الـ ١٣٨)، وقد صاغ هؤلاء العلماء والمفكّرون المسلمون ردهم في وثيقةٍ هامةٍ حملت عنوان (رسالة مفتوحة إلى قداسة البابا بندكت السادس عشر) وقد نشرت مجلة (Islamica magazine) النص الحرفيّ الكامل لهذه الوثيقة موشحة بأسماء وتواقيع مائةٍ من هؤلاء الأساتذة

والمفكرين الأفاضل، وكذلك فقد نشر موقع (كلمة سواء)(1) نص هذه الوثيقة كاملاً مرفقاً بتواقيع ثمانيةٍ وثلاثين من علماء العالم الإسلامي بمختلف طوائفه ... ونشير قبيل التعليق على مضمون الوثيقة، وموقف الفاتيكان منها إلى أننا من المؤيدين والداعين لكل حوارٍ مثمرٍ ومفيدٍ ـ يلتزم ضوابط الشرع الإسلامي في الحوار ـ وقدوتنا في إجراء الحوارات والمناظرات مع غير المسلمين هو الحبيب المصطفى ﷺ ومن جاء بعده من كبار الصحابة، الذين حاوروا أهل الكتاب وناقشوهم ودعوهم إلى الإسلام وأقاموا عليهم الحجة.

نعم نحن ندعو إلى حوارٍ ـ ونكرر مثمرٍ ومفيدٍ وملتزمٍ ـ، وذلك لما للحوار من دورٍ في تدعيم العلاقات الإنسانية ومواجهة التعصب الأعمى، وتجنب الصراعات وحل المشكلات بعيداً عن العنف والتشدد والاتهام والتشكيك في النيات،ومستندنا في ذلك قوله تعالى (قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)(٢)، وقوله تعالى (ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ)(٣).

إننا، وكما قدمنا، نؤمن بالحوار المثمر المفيد، بين طرفين يعترف كل منهما بالآخر، حوارٍ قائمٍ على الإرسال والاستقبال من الطرفين ـدف التفاعل والوصول إلى نتيجةٍ وفائدةٍ. وبالعودة للحديث عن الوثيقة السابقة (وثيقة الـ ١٣٨) أو وثيقة (كلمة سواء) فإنها كانت أشبه برسالةٍ مفتوحةٍ موقّعةٍ من مجموعةٍ من مفكري وعلماء العالم الإسلامي من أربعٍ وأربعين دولةً مسلمةً مختلفةً، وكانت موجهةً لقادة الكنائس والطوائف المسيحية في العالم كلّه، وعلى رأسهم البابا بنديكتيوس السادس عشر، وهي في أساسها تؤكد على أنّ الإسلام والمسيحية يشتركان في مرتكزا ـما الأساسية في وصيتين "ذهبيتين" بالغتي الأهمية، وهما حب الله وحب الجار، وبناءً على هذه الأرضية المشتركة فقد دعت وثيقة "كلمة سواء" إلى السلام والتآلف والانسجام بين المسلمين والمسيحيين في كل أنحاء العالم.

(1) انظر الموقع الإلكتروني لكلمة سواء للوقوف على النص الكامل للوثيقة.
(2) سورة آل عمرآن، الآية ٦٤.
(3) سورة العنكبوت، الآية ٤٦.

"ومنذ إطلاقها في تشرين الأول، استجابت أكثر من ستين شخصيةً مسيحيةً رئيسيةً للمبادرة، بشكلٍ أو بآخر، بمن فيهم البابا بنديكتيوس السادس عشر، والبطريرك أليكسي الثاني والدكتور روان وليامز رئيس أساقفة كانتربيري، والمطران مارك هانسون، رئيس الاتحاد اللوثري العالمي. وفي تشرين الثاني من عام ٢٠٠٧م قام أكثر من ثلاثمائةٍ من القادة الإنجيليين الأمريكيين البارزين بالاستجابة للمبادرة عبر رسالةٍ مفتوحةٍ نشرت في صحيفة "النيويورك تايمز"، وفي هذه الأثناء، ارتفع عدد العلماء المسلمين الموقّعين على المبادرة إلى حوالي ثلاثمائة، بينما زاد عدد المنظمات والروابط الإسلامية التي أيدت المبادرة على أربعمائةٍ وستين"[1].

وأدت المبادرة إلى ظهور عددٍ من المبادرات المجتمعية والشعبية المحلية في جميع أنحاء العالم، بالإضافة إلى عقد مؤتمراتٍ دوليةٍ في جامعتي ييل وكمبريدج وفي قصر لامبيث. وكانت المبادرةُ الأساس لعقد المنتدى الكاثوليكي الإسلامي السنوي الأول في الفاتيكان شهر تشرين الثاني. كما منحتها جمعية علماء الاجتماع المسلمين في بريطانيا جائزة بناء الجسور لعام ٢٠٠٨م. وكل ما سبق يدل على أنّ هذه الرسالة المفتوحة من هؤلاء العلماء لاقت التأييد والاستحسان بشكلٍ عامٍّ من الكثير من القيادات الدينية في العالمين الإسلامي والمسيحي.ولكن السؤال المُلح الآن هو كيف كانت استجابة الفاتيكان والبابا بنديكتيوس لهذه الرسالة؟؟

لقد أعرب البابا عن تقديره العميق لهذه اللفتة وللروح الإيجابية التي ألهمت خطاب المسلمين ... وبعد تذكيره بالخلافات العقدية بين المسيحيين والمسلمين أشار إلى أن ما يجمع هاتين العقيدتين (المسيحية والإسلام) هو: "الإيمان بالإله الواحد"، الذي "في نهاية الزمان سوف يحاكم كل إنسان وفقاً لعمله" ... وهذه العبارة ليست جديدةً؛ فقد وردت في وثيقة "في زماننا هذا" الصادرة عن مجمع الفاتيكان الثاني عام ١٩٦٥، التي سبق ذكرنا لها، كما أعرب البابا عن رضاه لأن المسلمين قد اختاروا أن يكون موضوع "محبة الله ومحبة الجار"، التي كانت محور خطابه الرسوليّ الأول، هي نفسها محور خطاب المسلمين "ثم **راح يملي شروطه من أجل إمكانية عمل حوارٍ مشتركٍ، وهي: احترام كرامةِ كلّ إنسانٍ، والمعرفة الموضوعية لديانة الآخر، وتقاسم التجربة الدينية. وبعد تطبيق ذلك، أوضح أنه يمكن التعاون**

[1] جريدة الدستور، بتاريخ ٢٠٠٨/١١/٢٣، بتصرف واختصار.

"في **ا الات الثقافية والاجتماعية من أجل دعم العدالة والسلام" موضحاً أن آفاق التعاون هي "ثقافية وإجتماعية وليست لاهوتية" أي ما معناه أنه لا نقاش** في **العقيدة، التي هي الخلاف الأساس** بين **المسيحية والإسلام!!!"**[1].

ثم أوكل البابا إلى الدكتور عارف علي النايض، الذي كان يعملُ في المعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية، اختيار وفدٍ من الموقّعين على وثيقة "كلمة سواء" للقائه، موضحاً أنّ هذا الوفد سيمكنه من الاجتماع بحوالي عشرة من الخبراء الكاثوليك، تحت قيادة ا لمس البابوي للحوار الديني، برئاسة الكاردينال جان لوي توران، والجامعة البابوية الجريجورية، والمعهد البابوي للدراسات الإسلامية والعربية.

"وفي الثلاثين من الشهر، أي في ثاني يومٍ لإعلان رد البابا، علق الكاردينال جان لوي توران، الذي سيترأس الحوار، قائلاً في حديثٍ له مع جريدة "أفنيري" (Avvenire) الإيطالية: **"لدى المسلمين** يمكننا **تقدير حجم إعلائهم** لله، **وقيمة الصلاة والصوم، وشجاعة إعلا م عن إيما م** في **الحياة العامة".** ثم **أضاف قائلاً: "ومن جانبهم** يمكنهم **أن يتعلموا مِنا قيمة العلمانية الصحيحة (!) وأنه يتعين على المسلمين أن يكتشفوا قيم عدم إجبار أو حرمان شخص من** ممارسة **دين ما ... فما هو مباح لطرفٍ** يجب **أن يكون مباحاً للطرف الآخر، ومن هذا المنطلق إن كان مِن الصواب أن يكون للمسلمين مسجد كبير وجميلٌ** في **روما، فمن الصواب أيضاً ومن الضروري أن يكون للمسيحيين كنيستهم** في **الرياض"!** ثم أشار إلى أن "مبدأ المبادلة هذا يمكن أن يتم بصورةٍ فعالةٍ عبر الحوار الدبلوماسي والكرسي الرسوليّ وحكومات البلدان ذات الأغلبية المسلمة" ... ثم أوضح الكاردينال أنه لا حوار ممكن مع "إسلام يبشر ويمارس الإرهاب، الذي هو ليس إسلاماً أصلياً وإنما تحريف للإسلام ... وكان البابا قد أعرب بأوضح الصور عن معنى الحوار الذي يريده مع الإسلام في الخطاب الذي ألقاه أمام الإدارة البابوية يوم ٢٠٠٦/١٢/٢٢، بمناسبة تقديمه التهنئة بأعياد الميلاد إلى أعضاء لجنة اللاهوت الدولية، حيث قام بشرح الوصايا العشر وأ ا تمثل "أساساً لقيم أخلاقية عالمية" ويمكن تلخيصها في أهم نقطتين هما: حب الله وحب القريب، ثم أعرب عن رأيه في الحوار مع المسلمين قائلاً: "في الحوار الذي يجب علينا تكثيفه مع الإسلام، علينا أن نضع أمام أعيننا واقع أن العالم

---

[1] عبد العزيز، زينب، رد الفاتيكان على خطاب أل ـ ١٣٨، مقالة تحليلية منشورة بتاريخ ٢٠٠٧/١٢/١٠ علـى موقـع وكالـة الأخبـار الإسـلامية (نبـأ) www.islamicnews.net

الإسلامي يجد نفسه اليوم أمام مهمةٍ شديدة الشبه بتلك التي تم فرضها على المسيحيين ابتداءً من عصر التنوير والتي أتى لها مجمع الفاتيكان الثاني بحلولٍ جذريةٍ للكنيسة الكاثوليكية بعد أبحاثٍ طويلةٍ مضنيةٍ"[1].

وفي ختام الحديث عن موقف الفاتيكان الحالي ممثّلاً بالبابا والكاردينالات وكبار الرهبان من الحوار مع الإسلام نجد أن المؤسسة البابوية قد اشترطت من أجل إمكانية عمل حوارٍ مشتركٍ مع المسلمين ما يلي:

١. احترام المسلمين لكرامة كل إنسان.

٢. المعرفة الموضوعية لديانة الآخر.

٣. تقاسم التجربة الدينية.

مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ الحوار بعد تحقيق المسلمين لهذه الشروط، يمكن أن يؤدي إلى تعاونٍ في ا الات الاجتماعية والثقافية فقط! **إذاً فالموافقة على إجراء الحوار مع المسلمين مشروطةٌ بتحقيقهم لمطالب مسبقةٍ، مطالب متعاليةٍ تطعن أكثر ما تطعن** في **فهمهم** لمعنى **كرامة الآخر وديانة الآخر وتقاسم التجربة الدينية معه!!! مع الأخذ** بعين **الاعتبار كذلك أنّ ما تقدم كلّه مندرج** تحت **مسمى الإسلام كدينٍ وضعيٍّ لا** سماويٍّ، **ودون** أدنى **اعترافٍ بنبوة الحبيب المصطفى ﷺ!!. أي أنه حوار مع طرفٍ لا يعترف بك ولا يؤمن بصدفية فرآنك ولا يظن خيراً برسولك الكريم!!** لم **يعترف البابا الحالي بخلاص**[2] **المسلمين، وهو نفسه كان المسؤول عن صياغة وثيقة الخلاص للمؤمنين التي** حملت **اسم (دومينوس يزوس) أيام كان رئيساً لمس** مجمع **العقيدة والأيمان** في **ظل البابا الراحل يوحنا بولس السادس!! ولا غرابة** في **موقفه هذا، فكيف سيعترف بخلاص المسلمين** في **ذات الوقت الذي** لم **يعترف فيه بخلاص** غير **الكاثوليك حتى ولو كانوا مسيحيين.** نعم لقد أثار هذا البابا الكثير من القلاقل والمشكلات والاحتجاجات منذ جلوسه على عرش البابوية، فبعد هجومه على الإسلام، في المحاضرة التي تحدثنا عنها، نراه قد تحولَ للهجوم على الكنائس المسيحية غير الكاثوليكية واصفاً إياها بالخاطئة وحاصراً للخلاص لكلّ المؤمنين بالمسيح في ظل الكنيسة الكاثوليكية فقط. بدأ هذا الرجل المحافظ المتشدد بمهاجمة المسيحيين غير الكاثوليك وإثارة القلاقل للمسيحيين

---

(1) المرجع السابق نفسه.

(2) الخلاص في اللاهوت هو مصطلح يدل على حالة الخروج من حالةٍ أو وضعٍ وظرفٍ غير مقبول أو غير محبب، وهو قضية أساسية ومحورية في المسيحية تـشير إلى خلاص الإنسان من خطاياه أو خلاصه من سلطانها عليه، حيث تؤمن بأنه قد تم ذلك الخلاص بعملية الفداء التي قام ا المسيح على الصليب. وقد تقررت عقيـدة= =الفداء والخلاص في مجمع نيقية المنعقد في عام ٣٢٥م، ومن تلك المقررات (الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل وتجسد وتأمل ومات) ولكن تختلـف آراء المذاهب المسيحية حول الكيفية التي يقبل أو ينال ا الإنسان هذا الخلاص.

في عام ٢٠٠٠م عندما صاغ وثيقة أو إعلان دومينوس يزوس[1]، وهذه الوثيقة تقول في فصلها الرابع تحت عنوان "مدينة ووحدة الكنيسة": إنّ المسيح لم يبنِ فقط مجتمعاً من الأتباع، ولكنه أسس كنيسة، وتجسد بنفسه فيها وتجسدت فيه، لذا لا يمكن فصلهما. وتضيف الوثيقةُ أنه للأسباب السابقة وللعلاقة الوثيقة بين عالمية وسائط الخلاص للمسيح ووحدة الكنيسة التي أسسها بنفسه فإنه يجب أن يكون هناك إيمان ويقين بأن كنيسة المسيح موجودة فعلياً وحصرياً في الكنيسة الكاثوليكية، ولأنه لا يوجد سوى مسيحٍ واحدٍ، فبالتالي لا يوجد سوى جسدٍ واحدٍ له، ولا توجد سوى كنيسةٍ رسولية واحدةٍ هي الكنيسة الكاثوليكية، وحسبما يقول الرب فإن المسيح لن يترك الكنيسة، ولكن سيرشدها بروحه وهذا يمثل، حسب العقيدة الكاثوليكية، حقيقةً واحدةً، وهي أن وحدة الكنيسة لا يمكن أن تتأثر أو تتغير. وتؤمن العقيدة الكاثوليكية، حسب وثيقة دومينوس يزوس، بأن هناك امتداداً تاريخياً مستمراً وخلافةً رسوليةً بين الكنيسة التي أسسها المسيح والكنيسة الكاثوليكية ... الكنيسة الوحيدة للمسيح التي صمدت في كل العصور كدعامةٍ رئيسيةٍ للحقيقة.

وتشير الوثيقة إلى أن ا لمس الثاني للفاتيكان يريد ترسيخ حقيقتين واضحتين، الأولى أن كنيسة المسيح برغم الانشقاقات والانقسامات الموجودة بين المسيحيين مستمرةٌ وموجودةٌ فقط في الكنيسة الكاثوليكية. والحقيقة الثانية، أنه بعيداً عن هيكل وقوام الكنائس والجماعات الكنسية الأخرى، فإن عدداً من عناصر الحقيقة والقدسية يمكن أن يوجد في هذه الكنائس، بالرغم من عدم اتساقها الكامل مع الكاثوليكية، لكن ومع الاحترام الكامل، حسب نص الإعلان، فإنه يجب الإقرار بأن هذه الكنائس فقدت فاعليتها من النعمة الإلهية والحقيقة الكلية التي تختص ا الكنيسة الكاثوليكية.

انطلاقاً من هذا، وكما تشير وثيقة "دومينوس يزوس"، فإن كنيسة المسيح موجودة فقط في الكنيسة الكاثوليكية، والتي يحكمها خليفة المسيح وأتباعه، أما باقي الكنائس، وإن كانت لا تتمتع بالحقيقة الكاملة ولا تتوحد بالكامل مع الكاثوليكية، فإ ا تظل مرتبطةً ا بصلاتٍ وثيقةٍ، وتتمثل فيها أيضاً كنيسة المسيح حتى لو لم تقبل بالعقيدة الكاثوليكية كمذهبٍ وسلطةٍ.

---

[1] انظر موقع الفاتيكان الرسمي للوقوف على نص هذه الوثيقة كاملاً www.vatican.va

وتوضح الوثيقة أنه غير مسموحٍ في العقيدة المسيحية بتصور أن كنيسة المسيح تم توزيعها على الكنائس التي ظهرت عبر الانشقاقات التي حدثت على مر التاريخ المسيحي، كما لا يمكن قبول فكرة أنه لم تكن هناك كنيسة من الأساس للمسيح. **وتؤكد أن الدين المسيحي يشدد على حقيقةٍ واحدةٍ، وهي أن جميع عناصر كنيسة المسيح موجودة متوحدة في كيان واحد هو الكنيسة الكاثوليكية، وهذه العناصر غير متوفرة في الجماعات الكنسية الأخرى. وتقول الوثيقة استناداً إلى ذلك فإنه، في ظل إيماننا الكامل بوجود عيوبٍ في الكنائس والجماعات الأخرى، فإ ا في كل الأحوال محرومةٌ من أسرار الخلاص، لأن روح المسيح عزفت عن استخدامها كوسائط للخلاص، ووضعت كل النعمة الإلهية والحقيقة ا ردة في الكنيسة الكاثوليكية.**

لقد أثار نشر هذه الوثيقة زوبعةً من الاحتجاجات في العالم المسيحي عام ٢٠٠٠م والفضل في ذلك كلّه يعود لهذا البابا بنديكتيوس الذي كان يحمل لقب كاردينال، ويشغل منصب رئيس مجمع العقيدة والإيمان. ثم عاد بعد أن أصبح بابا لروما عاد في عام ٢٠٠٧م لنشر وثيقة مشا ةٍ للوثيقة السابقة **وتؤكد على مضمون الوثيقة السابقة في تأكيدها على أفضلية الكنيسة الكاثوليكية الرومانية على غيرها من الكنائس واعتبارها كنيسة المسيح الحقيقية والطريق الحقيقي الوحيد للخلاص في حين تعتبر بقية الكنائس إما معيبةً أو غير حقيقيةٍ،** وهذه الوثيقة الجديدة حملت اسم "احتكار روح المسيح"[(١)]، وقد نشرها الفاتيكان على موقعه الرسمي بسبع لغاتٍ في شهر تموز عام ٢٠٠٧ وكانت هذه الوثيقة قد "تضمنت ١٢٠٠ كلمةٍ قويةٍ حول استئثار "الفاتيكان بالخلاص وأسرار المسيح"، وأحدثت ردود فعل عنيفةً لدى الكنائس الأخرى التي هاجمتها وأطلقت ألفاظاً ساخنةً على البابا بنديكت واعتبرت الكنائس البروتستانتية والأرثوذكسية أن وثيقة الفاتيكان تعكس رغبة البابا بنديكت السادس عشر في العودة إلى الطقوس والممارسات الكاثوليكية الرومانية في عصور الظلام حتى لو كان ذلك يسبب ألماً وإهانةً لآخرين. وقال القس "ولفانج هيوبر" راعي الكنيسة الإنجيلية في ألمانيا لصحيفة "الجارديان" البريطانية إن إعلان الفاتيكان يعد انسحاباً وارتداداً عن الفكر المنفتح الذي تبناه ا مع الفاتيكاني الثاني في الستينات، وقضى على الأمل في تحريك المياه الراكدة بين الكنائس، وأشار إلى أن

---

(١) انظر موقع الفاتيكان الرسمي للوقوف على نص الوثيقة كاملاً www.vatican.va

الوثيقة تكرر الإهانات التي سبق إصدارها ضمن إعلان "دومينوس يزوس" عام ٢٠٠٠م تحت مسؤولية البابا الحالي حينما كان رئيساً مع العقيدة والإيمان وحمل اسم الكاردينال جوزيف راتسينجر"[1].

وحسب موقع كاثوليك "أون لاين" فإن الوثيقة التي صِيغت بسبع لغات في ١٢٠٠ كلمة تؤكّد أن الكنائس والجماعات الكنسية الأخرى محرومةٌ من أسرار الخلاص، لأن روح المسيح أحجمت عن استخدامها كأدواتٍ للخلاص وخصت الكنيسة الكاثوليكية فقط ذه النعمة الإلهية.

وقال مجمع العقيدة والإيمان التابع للفاتيكان إنه من الصعب قبول استخدام كلمة كنيسة لوصف الجماعات غير الكاثوليكية والتي اعتبرها الكنيسة الوحيدة للمسيح.

"ومن جانبه، أكد الأب "أوجستين دي نويا" أحد المسؤولين البارزين في الفاتيكان أن الكنيسة الكاثوليكية لم تتراجع عن رغبتها في الحوار مع الكنائس الأخرى لكن كان من المهم للغاية أن يوضح كل طرفٍ من المشاركين في هذا الحوار موقفه.

"وفي إطار ردود الأفعال، أصدر الاتحاد العالمي للكنائس الإصلاحية بياناً مساء أمس الأول يقول فيه: إن وثيقة الفاتيكان تجعلنا نشك في إذا كنا جميعاً نصلي من أجل وحدة المسيحية أم لا. وأكد رئيس اتحاد الكنائس الإنجيلية في إيطاليا "باستور دومينيكو ماسيني" أن الفاتيكان اتخذ خطوةً واسعةً إلى الوراء وزاد من اتساع الفجوة التي تفصل الكنيسة الكاثوليكية الرومانية وا تمعات المسيحية الأخرى وحذر الاتحاد الفرنسي البروتستانتي من عواقب الإعلان الكاثوليكي"[2].

هذا الذي أحدثه وبرع فيه البابا بنديكتيوس السادس عشر، مزيد من الانقسامات والانشقاقات في العالمين الإسلامي والمسيحي، وهذا الذي تشهد له التصريحات السابقة كلّها وبلسان أبناء المسيحية أنفسهم قبل ألسنتنا. لقد هاجم البابا الإسلام واتهمه بفرياتٍ كثيرةٍ، سبق إيرادها، كما هاجم كلاً من الكنيستين البروتستانتية والآرثوذكسية (الكنيسة الأم) بكل جرأةٍ وشدةٍ لا لين فيهما، في الوقت الذي عجز فيه عجزاً كاملاً عن ذِكر اليهود ذكراً لا يرضون عنه في تاريخهم أو حاضرهم؛ فأكد من جديدٍ على براء م الكاملة من المسؤولية التاريخية عن صلب المسيح، كما أكّد على تجريم كل من يعادي السامية ووصف ذلك بالقول (أن تكون معادياً للسامية يعني أن تكون معادياً للمسسيحية).

---

[1] فودة، محمد، الفاتيكان ينشر وثيقة "إحتكار روح المسيح" مقالة منشورة في الموقع الإلكتروني www.google.com

[2] فودة، [م. س].

"فقد أعلن البابا بنديكتيوس السادس عشر أمس في اليوم الأول من زيارته إلى فرنسا خلال لقائه مع ممثلين عن المجموعة اليهودية أن المعاداة للسامية تعني ايضاً معاداةً للمسيحية. وقال بابا الفاتيكان: "إن الكنيسة تعارض أي نوعٍ من أنواع معاداة السامية التي لا يبررها أي تفسير لاهوتي، قبل أن يستشهد باللاهوتي "هنري دي لوباك" الذي قال: [أدرك أنك في حال كنت معادياً للسامية فأنت أيضاً معاد للمسيحية].وأضاف البابا "مرةً أخرى أنا حريص على توجيه تحيةٍ عميقةٍ إلى الذين قتلوا بشكلٍ ظالمٍ وإلى الذين عملوا لكي لا تدخل أسماءُ الضحايا غياهب النسيان" كما شدد البابا على "الدور الجليل" الذي قام به يهود فرنسا في تاريخ هذا البلد "ومساهمتهم العظيمة في تراثه الروحي". وقال الحاخام الأكبر لفرنسا "جوزيف سيتروك" "إنه يتصرف بتواضعٍ وهو رجلٌ بسيطٌ للغاية واستقبلنا كأصدقاء، صراحةً لقد انجذبت إليه كثيراً، وتكلم الحاخام في نهاية اللقاء عن "تقاربٍ تاريخيٍ بين اليهودية والكنيسة""[1].

وفي استمراريةٍ لمسلسل التقارب بين الفاتيكان واليهود في ظل البابا الحالي بنديكتيوس فقد أقدم هذا البابا على سابقةٍ في تاريخ الفاتيكان، فلأول مرةٍ في تاريخ الفاتيكان يوجه البابا دعوةً إلى حاخامٍ يهوديٍ لحضور مؤتمرٍ للأساقفة الكاثوليك، وكان عنوان المؤتمر كلمة الله في العهدين القديم (التوراة) والجديد (الانجيل) "وكان الحاخام المدعو إلى المؤتر هو "شيريا شوف كوهين"، حاخام مدينة حيفا. وبموجب ترتيبات المؤتمر أُعطيت الكلمة للحاخام كمشاركٍ في المؤتمر. ولكنه ما أن اعتلى المنصة حتى فاجأ الجميع بشن حملةٍ على البابا الراحل بيوس الثاني عشر، مجدداً اتهامه بأنه تواطأ مع النازية خلال حملة الإبادة التي تعرض لها اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية.

فوجئ البابا بنديكتوس السادس عشر، كما فوجئ مجلس الأساقفة الكاثوليك بالحملة التي شنها الحاخام كوهين على البابا بيوس الثاني عشر؛ ذلك أن هذه التهمة كانت في نظر الفاتيكان تهمةً باطلةً، ثم أنها وجهت في مؤتمر للأساقفة وفي وجه البابا وفي عقر دار الكنيسة الكاثوليكية، الأمر الذي أثار الاستغراب والاستهجان معاً. لم يتول أي من الأساقفة الرد المباشر على اتهامات الحاخام كوهين، ولكن البابا بنديكتيوس السادس عشر تعمد الخروج من قاعة المؤتمر وتوجه مباشرةً إلى ضريح البابا بيوس الثاني عشر ومن هناك جدد التعليمات الرسمية بتسريع إجراءات تطويبه قديساً"[2].

---

[1] جريدة الرأي الأردنية، بتاريخ ٢٠٠٨/٩/١٢.

[2] السماك، محمد، "ماذا بين الفاتيكان وإسرائيل"، مقالة منشورة في جريدة المستقبل بتاريخ ٢٠٠٨/١١/٢٨.

لقد فوجئ البابا هذه المرة ولكنه لم يتجرأ على قول كلمةٍ واحدةٍ للحاخام كوهين أو أن يوجه ولو كلمةً واحدةً للكيان العبري الذي ينتمي إليه هذا الحاخام!! فُوجئت المؤسسة البابوية بتصرف الحاخام هذا وثار استغرا ا واستهجا ا، لكنها التزمت الصمت، ووقفت مكتوفة الأيدي ... ولكنها لم تصمت بل أوقعت الحرمانَ الكنسي على الأسقف وليامسون الذي أنكر وقوع محرقة لليهود في عهد حاكم ألمانيا النازي أدولف هتلر، وكان هذا الأسقف قد أدلى بتصريحٍ للتلفاز السويدي في تشرين الثاني من عام ٢٠٠٨ قال فيه: [إنّ غُرف الغاز لم تكن موجودةً حقيقةً وإنّ المحرقة مبالَغٌ فيها] و[إنّ ثلاثمائة ألف يهودي فقط هم الذين هلكوا في المعتقلات النازية وليس ستة ملايين]. ولم يرفع البابا قرار الحرمان عن هذا الأسقف المسكين "ريتشارد وليامسون" إلاّ بعد أن قام بالاعتذار عن تصريحه السابق وطلب الصفح بطريقةٍ مذلّةٍ ومهينةٍ. "طلب الأسقف ريتشارد وليامسون "الصفح أمام الله" مِن كل من آذ م تصريحاته النافية لمحرقة اليهود، وذلك في رسالةٍ وجهها إلى الفاتيكان ونشر ا وكالة زينيث الكاثوليكية في روما ... وأعرب الأسقف في رسالته عن أسفه على "الألم" الذي تسبب به "للكنيسة أولاً، وكذلك للناجين وأهالي الضحايا الذين عانوا من الظلم تحت حكم الرايخ الثالث" وأضاف "أطلب الصفح أمام الله من كافة النفوس التي هالها ما قلت، موضحاً أنه "عبر ببساطة عن رأيٍ غير تاريخي"[1]. ولم يتم رفع قرار الحرمان عن هذا الأسقف مباشرةً بعد هذا الاعتذار، وإنما بعد سلسلةٍ من الاعتذارات المُهينة؛ حيث تم وصف هذا الاعتذار الأول بأنه مرفوض وغير كافٍ لأنه اعتذار من الدرجة الثالثة!!!.

---

(1) جريدة الدستور الأردنية، العدد ١٤٦٤٨، بتاريخ ٢٠٠٩/٢/٢٧.

الفصل الثاني

الفكر الرؤيوي وتوظيفه في الفهم الخاطئ للإسلام في العصور الوسطى

المبحث الأول: الفكر الرؤيوي وتطبيقاته

المبحث الثاني: رؤيا حزقيال

المبحث الثالث: رؤيا دانيال

المبحث الرابع: رؤيا يوحنا اللاهوتي

المبحث الأول

الفكر الرؤيوي وتطبيقاته

يكاد هذا الفصل يكون أكثر فصول هذه الدراسة غموضاً، وذلك نابع من طبيعة الموضوع الذي يتحدث عنه؛ ألا وهو الفكر الرؤيوي، أو الفكر النبوئي كما يسمى في معتقد الكثير من الطوائف المسيحية. وتشير مقدمة إنجيل يوحنا (أو بالأصح رؤيا يوحنا) إلى أنه ليس من السهل تحديد الفرق بين الرؤيا والنبوءة[١]، وتشير مقدمة هذا الإنجيل كذلك إلى أنه "كان الأنبياء الأقدمون يسمعون كلام الوحي سماعاً، ويبلّغونه الناس بأقوالهم، في حين أنّ أصحاب الرؤيا كانوا يشاهدون كشفاً إلهياً يدونونه في كتبهم، وما يشاهدونه يكاد أن يكون كله رموزاً، فالأرقام والأشياء وألوا ا وأعضاء الأجسام نفسها كلها رمزية"[٢].

"والرؤيا (Apocalypse)، هي تعبير مشتق من اللغة اليونانية، وتعني الوحي أو الكشف عن المُستقبل"[٣]. وتطلق بصورةٍ عامةٍ على الاعتقاد بنهاية العالم كما نعرفه، والتنبؤ بأحداث اية الزمان. والرؤيوية هي: "قطعة أدبية مكتوبة، تحتوي أساساً على مقولات رؤيوية؛ مقولات حول "الأشياء الأخيرة"، التي تمس المصير الأخير والنهائي للإنسان الفرد وللعالم بأسره، وفي الإغريقية، الرؤيوية هي علم الأشياء الأخيرة"[٤].

ويرى صاحب "النهايات، الهوس القيامي الألفي" أنّ هناك فرقاً بين النبوءة وبين الرؤيا، وأنّ هذا الفرق نابع من طبيعة فعل النبي واختلافه عن فعل الرؤيوي؛ فيرى أنّ الأنبياء إنما أرادوا فعل شيءٍ يدرؤون به الأخطار، ثم أعلَموا الشعب بما توصلوا إليه، ودعوه إلى الندم والرجوع عن طريق الآثام. أما الرؤيويون فلا يرون فائدةً ترتجى من هذا، لأنّ الكارثة آتيةٌ لا ريب فيها، وجهود البشر لدرئها عبثٌ لا طائلَ منه، ولأنه لم يعد هناك ما يمكنه الحيلولة دون الاندثار، الذي يرجع سببه الأعمق إلى الشر المتوطن داخل الإنسان!! ويلخص "صاحب النهايات" التعبير عما سبق من فرقٍ بين عمل النبي (صاحب النبوؤة) وبين عمل الرؤيوي (صاحب الرؤيا) بقوله: "لا ينصرف اهتمام الرؤيوي إلى تعويق

(1) بحسب قاموس الكتاب المقدس فإن كلمة رؤيا تستعملُ لمعنيين، هما: الإعلان الإلهي، والحلم في المنام، والواقع أنهما معنى واحد؛ لأنّ الله يستخدم كليهما لإعلان إرادته وحكمه، وذلك عن طريق أشخاص أتقياء تقدست حيا م وصفت من أدناس العالم.

(2) إنجيل يوحنا: المقدمة، ص ٩٥٩ من الكتاب المقدس، العهد الجديد، ط٨، ١٩٨٢ منشورات دار المشرق، بيروت.

(3) انظر:

أ. شعبان، فؤاد، من أجل صهيون، ص ٣٩٦، ط١، ٢٠٠٣، دار الفكر، دمشق.

ب. تسمرلينغ، دنتر، النهايات، الهوس القيامي الألفي، ترجمة ميشيل كيلو، ص ٣٦، ط١، ١٩٩٩، دار قدمس للنشر، بيروت.

(4) تسمرلينغ، [م. س]، ص ٣٦، بتصرف.

الكارثة، بل إلى حسا ا فقط، وفي حين تريد النبؤة جعل الإنسان يتوب، يجهل الرؤيوي أي شيءٍ عن تحوله الداخلي"[١].

ومهما يكن من أمر نتيجة التفريق السابق بين عمل الرائي وعمل النبي، فإنّ الذي يعنينا وبالدرجة الأولى، هو أنّ هذا النوع من الفكر الرؤيوي (أو النبوئي) كان سائداً في العصر الأوروبي الوسيط بدرجةٍ كبيرةٍ يصعب علينا تصورها في عصرنا هذا، نعم، قد يبدو هذا النوع من الفكر سطحياً وسخيفاً بالنسبة لنا ونحن نعيش في القرن الحادي والعشرين حيث ثبت لنا بالدليل العملي الواقعي عدم صدقيته وموثوقيته، وذلك راجع إلى أنّ أياً من نبؤاته أو رؤاه لم تتحقّق حتى يومنا هذا، إلاّ أنّ الأمر لم يكن كذلك بالنسبة لأهل ذاك العصر؛ حيث كان الفكر الرؤيوي بالنسبة لهم شغفاً، بل يقيناً لا يقبل التشكيك.

ولعل أكثر مواضيع الفكر الرؤيوي شيوعاً آنذاك كانت الرؤى التي تتحدثُ عن اية العالم، وا يء الثاني للمسيح المخلص الذي سيأتي من كل بدٍّ، ليخلص المؤمنين مما يعانونه من آلامٍ في عصور الضيق التي يعيشو ا. ومن المهم هنا التنبيه إلى أنّ العهد القديم كان الرحم الذي تولّدت فيه هذه الرؤى والنبؤات كلها، لقد كان الفكر الرؤيوي النابع من الكتاب المقدس يتوهج ويشتد كلّما دعت إليه الحاجة، وفي الأغلب الأعم، كانت هذه الحاجة وقوع ظروفٍ وأحداثٍ تفرض نفسها بقوةٍ على حياة الناس في العصر الأوروبي الوسيط، فكان الناس، كما ذكرنا، يلجؤون إلى الكتاب المقدس ليلتمسوا في نصوصه ما يعينهم على فهم أحداث ومشكلات ومستجدات الحاضر والمُستقبل؛ لأنّ الكتاب المقدس كما سبق وأن ذكرنا، وكما وصفه سوذرن، كان الأداة الفكرية الوحيدة الفعالة في أوروبا في مطلع العصور الوسطى.

ومع أنّ فكرة فهم الحاضر والمستقبل من خلال الكتاب المقدس وعبر جسر الفكر الرؤيوي قد تبدو فكرةً غير مقنعةٍ كما نراها اليوم، إلا أنها وللأسف تركت آثاراً مرعبةً لا يستهانُ ا على تطور الفهم الأوروبي للإسلام. "لقد بلغت نسبة المواد النبوئية في الكتاب المقدس ٢٧% من مجموع مواده، كما بلغت نسبة المواد النبوئية في العهد القديم ٢٨,٥% من مجموع مواده، كما بلغت نسبة المواد النبوئية في العهد الجديد ٢١,٥% من مجموع مواده، أما عن الأسفار التي تحتوي على أكبر نسبةٍ من المواد النبوئية فهي كما يلي:

---

[١] تسمرلينغ، [م. س]، ص ٣٨.

١. في **العهد القديم:** سفر حزقيال ٨٢١ عدداً.

سفر ارمياء ٨١٢ عدداً.

سفر اشعياء ٧٥٤ عدداً.

٢. في **العهد الجديد:** إنجيل متى ٢٧٨ عدداً.

إنجيل الرؤيا (يوحنا) ٢٥٦ آية.

إنجيل لوقا ٢٥٠ عدداً"[١].

وثمّة أسئلةٌ ملحةٌ تطرح نفسها في بداية هذا الفصل، وهي متعلّقةٌ بالحديث عن رؤى ونبؤات العهد القديم، وهي: لماذا كان المسيحيون يرجعون دائماً للعهد القديم ويستلهمون منه هذه الرؤى؟؟ وهل يجب على المسيحي دراسة وفهم العهد القديم؟ وما الذي يترتب على عدم قيامه بذلك؟؟ في الواقع، لقد كان الناس يرجعون وبكثرةٍ للعهد القديم ويتداولون مواده ونصوصه في عصورٍ سابقةٍ، ولكننا نرى في زماننا هذا انصرافاً كبيراً من أبناء الطوائف المسيحية عن الاهتمام بالعهد القديم، اللهم باستثناء البروتستانت، ولعلّ هذا الانصراف راجع لكون معظم المسيحيين ينظرون إليه على أنه كتاب قصصٍ وحكاياتٍ وخرافاتٍ قديمةٍ، كما ينظرون إليه على أنه كتاب خاص باليهود.

وفي محاولةٍ منها لصرف أتباعها عن مثل هذا الفهم (الخاطئ) قامت معظم الكنائس، ومن خلال بوابا ا ومواقعها الإلكترونية، بإفراد مساحاتٍ خاصةٍ للحديث عن أهمية العهد القديم وكونه مقدمةً ضروريةً وهامةً لفهم العهد الجديد، إضافةً إلى محاولة هذه المواقع التركيز على نبؤات ورؤى العهد القديم، والتي بلغ عددها المئات، والتي بشرت، على حد قولهم، بقدوم المسيح ـ عليه السلام ـ ويمكننا استخراج خلاصةٍ من هذه المواقع الكنسية الإلكترونية حول مدى وجوب وأهمية دراسة وفهم العهد القديم بالنسبة لكل مسيحيّ، وذلك على النحو التالي[٢]:

إن الكتاب المقدس هو وحي تدريجي. فإن تجاهلت قراءة الجزء الأول من أي كتابٍ جيدٍ فستجد أنه من الصعب أن تفهم كل الشخصيات الموجودة في الكتاب والقصة و ايتها، فيمكن استيعاب ما هو موجود في العهد

---

(1) شعبان، [م. س]، ص ٤٠٣، ٤٠٤ باختصار وتصرف.

(2) انظر:

أ. موقع أسئلة من الكتاب المقدس وأجوبتها www.gotquestions.org

ب. سؤال وجواب على موقع www.thirdmill.org

ج. أسئلة وأجوبة على موقع الكنيسة القبطية www.copticchurch.net

الجديد عندما نتعامل معه كتكملةٍ للأساس المبني على الأحداث والشخصيات والقوانين والأنظمة والعهود والوعود الموجودة في العهد القديم. فإن كان لدينا العهد الجديد فقط، فإننا كنا سنقرأ الأناجيل من غير أن نفهم سبب انتظار اليهود للمسيا (المخلص الملك). ولم نكن سنفهم سبب مجيء المسيا للأرض، ولن نتمكن من التعرف على يسوع الناصري كالمسيا المنتظَر من خلال النبوات العديدة التي سبقت مجيئه، والتي تناولت ميلاده وموته وقيامه وكل الأحداث المتعلقة بحياته، فإنه من غير العهد القديم، لا يمكننا أن نتعرف على العادات اليهودية، والتي تذكر بصورةٍ عابرةٍ في العهد الجديد، ولن نتمكن من تمييز العادات المُضافة لشريعة الله، والتي قام الفريسيون بخلطها مع كلمة الله. ولن نتمكن من فهم سبب غضب يسوع عند تطهير الهيكل. ولن نتمكن من فهم الحكمة التي تكلم ا يسوع للرد على معارضيه (البشر والأرواح الشريرة).

وبنفس الطريقة، فإنه بدون دراسة العهد القديم، لا يمكننا التعرف على تفاصيل النبوات المدونة والتي يعني تحققها أن الكتاب المقدس هو حقاً كلمة الله، وتتعلق هذه النبوات بنشأة وسقوط أممٍ، وما سيحدثُ إن قامت ثانيةً، والشخصيات الهامة مثل (الإسكندر الأعظم، ... الخ) وما سيحدث لممالكهم عند موت الملك. وأثارت هذه النبوات تكهناتٍ عديدةً بما يختص بتوقيت كتابة النبوات.

ويحتوي العهد القديم على تعاليم كثيرةٍ، ويمكننا أن نتعلم منها أنه من الأفضل أنْ نعترف بالخطأ بدلاً من إلقاء اللوم على الآخرين، وألاّ نتلاعب بالخطيئة، وأن نثق ونطيع إن كنا نريد أن نعاين "أرض الميعاد" بعد أن نعيش في هذه الحياة ثم ننتقل إلى سماه. كما يحتوي العهد القديم على قدرٍ عظيمٍ من الحكمة غير المدونة في العهد الجديد، وتوجد معظمها في سفر المزامير والأمثال. وتعلِن هذه الأسفار لنا تعاليم عن أهميةِ تعلمِ الحكمة، ونتائج الخطيئة بأشكالها المتنوعة. ومن غير وجود العهد القديم لن يكون لنا أساس أو قاعدةٌ نرتكز عليها، ومن غير أن ندرس العهد القديم لا يمكننا فهم الوعود الموجودة فيه، والتي تخص شعب إسرائيل، ولا أن نفهم أنه سيكون هناك سبعةُ سنين من الاضطرابات، فيها سيعمل الله على إرجاع شعب إسرائيل إليه، وهم الذين قاموا برفضه عند مجيء ابنه يسوع، وكيف أن الله سيملك لمدة ألفِ عامٍ على اليهود والأمم، ولن نتمكن من أنْ نرى كيف أنّ اية الكتاب تتفق مع بدايته حيث تكتمل الصورة ويسترد الإنسانُ علاقته مع الله ويتمتع بالشركة معه في جنته.

وأخيراً، فإن العهد القديم يعمل كمرآةٍ يمكن لنا من خلالها رؤية أنفسنا من خلال قصص الآخرين الموجودين فيها، وأن نتعلم من تجار م. ويقوم العهد القديم بإلقاء الضوء على شخص المسيح، والعجائب التي صنعها، والخلاص الممنوح للناس. ويعزي ويشجع الذين هم تحت الاضطهاد والتعذيب. ويعلن العهد القديم من خلال النبوأت الموجودة فيه، أنّ الكتاب المقدس هو كتاب منفرد، إذ أننا نرى تحقيق الوعود الموجودة فيه، ونرى أن الكتاب المقدس هو حقاً كلمة الله الموحاة".

لقد وقفنا في الفصل الأول من هذه الدراسة على النتائج التي تمخضت عن قراءة الكتاب المقدس ومحاولة الربط بين أحداثه ونصوصه وبين الدين الإسلامي، وقلنا إنّ أبرز تلك النتائج كانت:

أولاً: إن ظهور محمدٍ ودولته الإسلامية القوية وانتصارها إنما هو مقدمةٌ وتمهيد لظهور المسيح الدجال، وفي هذا إشارةٌ واضحةٌ لقرب اية الزمان.

ثانياً: إنّ محمداً ومملكته إنما هما التفسير الحقيقي لمعنى الوحش الرابع الذي ورد ذكره في سفر دانيال.

كما ذكرنا في الفصل الأول من هذه الدراسة أنّ الأوروبيين لمّا فسروا أحداث زما م طبقاً لإشاراتٍ وردت في الكتاب المقدس فإ م قد فسروا ظهور الإسلام بأنه ظهور نقيض المسيح وعدوه. وقد وجدوا ما يثبت زعمهم هذا في كتا م المقدس، وبالتحديد في (سفر دانيال، الإصحاح السابع الفقرات ١٥ – ٢٥) والتي جاء فيها: أما الحيوانُ الرابع فتكون مملكةً رابعةً على الأرض مخالفةً لسائر الممالك فتأكل الأرض كلّها وتدوسها وتسحقها. والقرون العشرة من هذه المملكة هي عشرةُ ملوكٍ يقومون، ويقوم بعدهم آخر، وهو مخالِف الأولين، ويذِل ثلاثةَ ملوك، ويتكلم بكلامٍ ضد العلي، ويبلي قديسي العلي، ويظن أنه يغير الأوقات والسنة ويسلمون ليده إلى زمانٍ وأزمنة ونصف زمان. وبموجب فكر العصر الوسيط فإن الحيوان الرابع يتمثلُ في الإمبراطورية الرومانية التي جاءت بعد إمبراطوريات: الأشوريين والفرس واليونان، وأن القرون العشرة للمملكة هم البرابرة الذين غزوا أوروبا، ومن بعدهم جاء أتباع محمدٍ ﷺ، الذين اكتسحوا اليونان والفرنجة والقوط، وأ م مختلفون عن البقية، وأ م غيروا الأوقات والقوانين. وقد ثارت في اية ذكرنا لهذه الرؤى والإشارات أسئلةٌ عديدةٌ ارتأينا الإجابة عنها في هذا المبحث، ولعل أبرز هذه الأسئلة هو: هل كان الناس في العصور الوسطى قادرين على هذا النوع من الفهم والتفسير لنصوص الكتاب المقدس من خلال قراء م المباشرة له؟؟ أو بعبارةٍ أخرى: هل كان الناس قادرين على فهم الفكر الرؤيوي؟؟ الإجابة هي لا. ولكن الذي حدثَ

أن هنالك وسطاء من الرهبان والمفكرين الكاثوليك كانوا قائمين على نشر مثل هذا الفكر الرؤيوي والترويج له. ولعل أبرز هؤلاء على الإطلاق كان بيدا المبجل، وأوغيليوس وباول ألفاروس.

ومن المستحسن قبل الخوض في تفاصيل أبرز الرؤى والنبوءات أن نتوقّف قليلاً عند هؤلاء الرجال الثلاثة؛ وذلك لخطورة الدور الذي لعبوه في تكريس مثل هذا النمط من فكر الرؤى والتنبؤات.

أولاً: بيدا المبجل: هذا الرجل هو "مؤرخ بريطانيٌ من أصول اسكتلندية، عاش في الفترة ما بين ٦٧٢م – ٧٣٥م"[(١)]. أي في الفترة الزمنية التي كانت الحضارة الإسلامية فيها تحقق أكبر إنجازا ا، وتقدم للعالم كل المبتكرات والإبداعات العلمية والأدبية والثقافية، وبالذات في الأندلس. كان هذا المؤرخ من أكبر العلماء الدارسين للكتاب المقدس في مطالع العصور الوسطى، وقد وصفه سوذرن بأنه "كان محيطاً بكل التفكير حول الكتاب المقدس حتى أيامه. وأن ما كتبه في تفسيره وشرحه والتحشية والتأريخ له، ظلّ العمدة في بابه حتى القرن الثاني عشر"[(٢)].

"وكان هذا الرجل أولَ من أدخل المسلمين في تفسير العهد القديم، وصار الأمر بمثابة (كليشية) يستعمله الجميع في القرن التاسع الميلادي"[(٣)].

كان هذا الرجل ينظر بقلقٍ وخوفٍ بالغين للفتوحات الإسلامية المتواصلة في زمانه، والتي بلغت أقصى مدى لها قبل وفاته. ولكن تراجع المد الإسلامي في معركة بلاط الشهداء أعاد له شيئاً من السكينة والاطمئنان. كان هذا الرجل يكره المسلمين كراهيةً بلا حدود "ويرى فيهم كُفاراً متبربرين، وأنّ وحشيتهم كبيرةٌ، وقد تحدث في كتابه المُسمى (التاريخ) عن هجما م وتخريبهم وعن العقوبة الإلهية التي نزلت م في معركة بواتييه"[(٤)]. وكان يرى أنّ الانتصارات التي حققها المسلمون ليست سوى عقابٍ مؤقتٍ من الله. "وفي عام ٧٢٩م وضع بيدا مؤلفاً بعنوان "تاريخ كنيسة إنكلترا" دون فيه ظهور مذنبين كان يرى فيهما علامةً على اجتياح المسلمين في ذاك الحين، الذين، كما قال،

---

(1) فلوري، جان، الحرب المقدسة، الجهاد، الحرب الصليبية، العنف والدين في المسيحية والإسلام، ترجمة غسان مايسو، ص ١١٠، ط١، ٢٠٠٤، دار المدى للثقافـة والنشر، دمشق، بيروت.

(2) سوذرن [م. س]، ص ٥٢.

(3) المرجع السابق نفسه، ص ٥٣.

(4) سوذرن، [م. س]، ص ٥٣، والمقصود بمعركة بواتييه معركة بلاط الشهداء.

كانوا ينساقون في مدينة غاليا إلى مذابح هائلةٍ"[١]. ساهم هذا المؤرخ البريطاني في تكريس تسمية السراسنة [أو السرازانيين] للمسلمين، وكانت كتاباته عن المسلمين والرسول محمد ﷺ سلبيةً جداً، ووصل به الحد أنْ "يصف محمداً ﷺ بأنه رجلٌ من الصحراء ويشبه جده إسماعيل، والذي كانت يده ضد كل إنسان، ويقول: إنّ إسماعيل لا يشمله وعد الرب، الذي وعد به إبراهيم ومن بعده إسحق ويعقوب. ويصف "السراسنة" بالوقاحة والبربرية وحب الحرب. وعلاوةً على ذلك قال: إن محمداً أمي، وأن وضعه الاجتماعي كان وضيعاً، وكان جاهلاً بالعقيدة المسيحية، ويتعطّش للسلطة المطلقة، مما ساعده ليصبح حاكماً ادعى النبوة"[٢].

أما في شروحه على الكتاب المقدس، والتي قلنا بأ ا ظلّت العمدة في هذا الباب حتى القرن الثاني عشر الميلادي، فقد بدا بيدا المبجل هذا شديد الاهتمام بأمر المسلمين، "وذكر في عدة مواطن من شروحه أنّ السرازانيين هم أعقاب هاجر، زوجة إبراهيم المصرية، التي ترد قصتها في سفر التكوين ضمن قصة إبراهيم"[٣]. وفي معرض تعليقه على ربط بيدا المبجل بين المسلمين [أو السرازانيين كما سماهم] وبين أعقاب هاجر ـ عليها السلام ـ يذكر سوذرن كلاماً هاماً وخطيراً ملخصه: "ترمز الشروح الإنجيلية القديمةُ بإسحاق للمسيح، وبأعقاب إسحاق للكنيسة، أما إسماعيل وأعقابه فهم اليهود في نظر هذه الشروح. وكان هذا هو التأويل ا ازي للأحداث المذكورة في سفر التكوين، بيد أنّ المفسرين الأوائل [يقصد بيدا المبجل ومعاصريه] هؤلاء آمنوا حرفياً بأن أعقاب إسماعيل الحقيقيين هم السرازانيون، وقد رأوا في القليل الذي عرفوه عن العرب ما يؤيد هذا التأويل لنصوص العهد القديم، فقد طُرد إسماعيل إلى الصحراء، وجاء العرب من الصحراء، وذكر العهد القديم عن إسماعيل أنه كان بدوياً شرساً رافعاً يده على الجميع. فهل هناك ما يمكن وصف السرازانيين به أدق مما وصِف به جدهم إسماعيل؟! وما كان إسماعيلُ داخل العهد، كذلك هم السرازانيون. وهكذا فإنه في ضوء العهد القديم، الذي جعل فيه المسلمون أعقاباً لإسماعيل، أمكن فهم أخلاق وسلوك هؤلاء؛ وما كان بيدا أولَ من فعل ذلك؛ كما لم يكن الأخير، بيد أنّ أهمية ما قام به تكمن في أنه أولُ من أدخل المسلمين في تفسير العهد القديم"[٤]. وفي الإجابة عن التساؤل حول مصدر معلومات هذا البيدا المبجل عن

---

[1] فلوري، [م، س]، ص ١١١، بتصرف.
[2] الفرا، [م، س]، ص ٥٥.
[3] سوذرن، [م. س]، ص ٥٣.
[4] سوذرن، [م. س]، ص ٥٣.

الإسلام، بالرغم من أنه "قد عاش في منطقةٍ م ويةٍ جداً في أقاصي اسكتلندا"[1] نقول: إن المصدر الأبرز والأهم لمعلومات بيدا عن الإسلام كان مؤلفات القديس يوحنا الدمشقي، الذي كان معاصراً لبيدا وعاش في الفترة (٦٧٦ – ٧٤٩م)، وبالذات كتاب (الهرطقات)، والذي هو جزءٌ من كتابه الضخم كتاب (ينبوع المعرفة).

ثانياً: يوحنا الدمشقي: بالرغم من أن دراستنا هذه تختص بموقف الكنيسة الغربية من الإسلام ونبوة محمدٍ، إلاّ أننا ارتأينا أنه من المستحسن التعريج، ولو في صفحاتٍ قليلةٍ جداً، على سيرة هذا القديس المسيحي، وذلك لخطورة موقفه المتعلق بالإسلام ونبوة سيدنا محمد ﷺ، ولما كان لأفكاره تلك من انعكاساتٍ وتأثيراتٍ كبيرةٍ على أفكار الرهبان الكاثوليك، والمساهمة في صياغتهم لموقفٍ معادٍ تجاه الإسلام والرسول ﷺ، وأيضاً لأقدميته في وضع مؤلفٍ كاملٍ ضد الإسلام وشخصية الرسول الكريم، "وهو كتاب (De Haere Sbius) أو الهرطقات، الذي هاجم فيه الرسول محمداً شخصياً ووصفه فيه باستغلاله الدين لمصالحه الشخصية، كما ذكر فيه أنّ الراهب النسطوري بحيرا قد قام بمساعدته في كتابة القرآن. واتهم الرسول باقتباسه بعضٍ من كتابات ورقة بن نوفل، الذي كان حسب زعم الدمشقي، قساً نسطورياً يترجم بعض الأناجيل المحرفة إلى العربية"[2].

الاسم الحقيقي ليوحنا الدمشقي هو منصور بن سرجون بن منصور، المولود في دمشق حوالي عام ٦٧٦ للميلاد، كان والده مسيحياً ذا نفوذٍ عند الأمويين، حيث كان يعمل في منصبٍ رفيعٍ في مالية الخلافة الأموية في عهد عبد الملك بن مروان. "وقام والد يوحنا الدمشقي بالبحث عن معلمٍ لابنه ليعلّمه أصول الدين المسيحي، فاختار عن طريق الصدفة أحد الأسرى الذين تمّ القبض عليهم أثناء المد الإسلامي والمعارك على سواحل أوروبا، وكان اختيار والد الدمشقي لهذا الشخص من باب الشفقة، واستطاع أن يستعمل نفوذه لإطلاق سراح هذا السجين الذي كان اسمه كوسماس Cosmas، الذي ظهر فيما بعد أنه قس مشهور من صقلية، وقام هذا القس بتعليم يوحنا الدمشقي أصول الديانة المسيحية"[3].

---

(1) فلوري، [م. س]، ص ١١١.

(2) انظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا، تحت عنوان (تاريخ الإساءة إلى شخصية محمد بن عبد الله).

(3) المرجع السابق نفسه.

بعد وفاة والده، تولّى يوحنا الدمشقي منصب والده في خزانة الدولة، وأثناء فترة توليه المنصب قام أحد البطاركة في كنيسة القسطنطينية بإصدار تعليماتٍ تمنع المسيحيين من تقديس صور المسيح أو مريم العذراء، ولم تعجب هذه الأفكار يوحنا الدمشقي الذي بدأ بكتابة رسائل ومخطوطاتٍ ضد هذا المرسوم، فقام الإمبراطور البيزنطي "ليو الثالث" بتقديم شكوى للخليفة الأموي، بدعوى أن الدمشقي يحرض على ثورةٍ ضد الإمبراطورية. فقام الخليفة بعزله وقطع يديه. [وفي روايةٍ أخرى للحادثة نفسها أن الخليفة قطع واحدةً فقط من يديه]. وبعد تلك الحادثة اعتكف يوحنا في صومعته بدير مار سابا، وانكب على الكتابة والتأليف، وكانت معظم مؤلفاته تتعلّق باللاهوت المسيحي، وكان من أشهرها وأخطرها على الإطلاق كتاب الهرطقات وهو جزءٌ وفصلٌ من كتاب (ينبوع المعرفة)، وكتاب (جدالٌ بين مسلم ومسيحي) أو (جدال بين سرازاني ومسيحي)، أما كتابه الأول (الهرطقات) والذي هو جزءٌ من كتاب (ينبوع المعرفة)، فكان "قد أفرد فيه فصلاً عن الإسلام أطلق عليه اسم (هرطقة الإسماعيليين)، ويقصد بالإسماعيلين العرب من أبناء إسماعيل بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ وهذا الفصل شديد الطعن، اتهم فيه يوحنا العرب بالهرطقة والضلال والخرافة، واعتبرهم فرقةً نصرانيةً متهرطقةً، وزعم أن محمداً كان رسولاً زائفاً ادعى النبوة زمن الإمبراطور هرقل، بعد أن قرأ العهد القديم والعهد الجديد وتعلّم من راهبٍ آريوسيّ، فتظاهر بالتقوى حتى استمال العرب إليه، وأخبرهم أنه تلقى كتاباً من السماء، وقدم فيه تلك الشرائع المضحكة ـ على حد قوله ـ التي تسمى الإسلام. ومن التلفيقات التي وضعها يوحنا في فصله هذا لتشويه صورة النبي زعمه الكاذب أن النبي دخل إلى بيت زينب بنت جحش في غياب زوجها فافتتن ا وخرج وهو يقول سبحان مقلب القلوب ... إلى آخر القصة التي تسربت إلى بعض كتب التفسير، وأدرك ابن كثير زيفها فأعرض عن ذكرها في تفسيره وأشار إلى أ ا ملفقة لا تصح"[(1)].

وكان هدف يوحنا الدمشقي من ذلك التشويه، تحصين النصارى من أهل الذمة والحيلولة بينهم في بلاد الشام وبين اعتناق الإسلام حين رأى تسامح المسلمين مع أهل الذمة، ودخول كثير من النصارى في الإسلام فلم يجد وسيلةً لتثبيت النصارى على دينهم سوى ا ام الإسلام بالهرطقة وتشويه سيرة النبي ﷺ، لتكون صورته في نظر النصارى صورةً كريهةً حتى لا يقْبلوا على اعتناق الإسلام. "وقد انتشر هذا الكتاب في بلاد الدولة البيزنطية (دولة

---

(1) عودة، علي بن محمد، العدوان الفكري الغربي على الإسلام وعلى نبيه محمد ﷺ، ص ٣، ٤، دراسة منشورة على الإنترنت على موقع نـصرة رسـول الله ﷺ. www.nosra.islammemo.com

الروم) واستخدمه الكتاب البيزنطيون في هجما م الفكرية على الإسلام، ثم ترجم إلى اللاتينية، وأسهم في صياغة العقيدة الغربية تجاه الإسلام والمسلمين طوال العصور الوسطى وحتى العصر الحاضر"[١].

أما كتابه الثاني (جدال بين مسلمٍ ومسيحيٍّ)، فكانت الفكرة الأساسية التي يقوم عليها هي الدفاع عن تجسد الرب في جسم المسيح، عليه السلام، ومهاجمة الفهم الإسلامي للقضاء والقدر.

أما عن كتابه الثالث (ينبوع الحكمة)، فقد كان موسوعةً لاهوتيةً كتبها في أواخر أيام حياته، وقد ضمن هذا الكتاب فصلاً (أو جزءاً) عن الهرطقات (أو هرطقة الإسماعيليين كما سماها)، كما ذكرنا، كما خصص الأجزاء الأخرى للحديث عن بعض التعريفات الفلسفية، وللحديث عن الإيمان المسيحي الآرثوذكسي.

وبالعودة للحديث عن (الهرطقات) فقد خصص هذا اليوحنا الدمشقي الجزء، السابق ذكره، من كتابه للرد على المسلمين ومجادلتهم، **وقد ردد جميع ا ادلين ضد الإسلام بعده بعض أو كل قوالب الدمشقي هذه.** ويمكننا تخليص رؤية يوحنا الدمشقي للإسلام ونبيه وكتابه فيما يلي[٢]:

أ. التشكيك في كون الإسلام امتداداً لحنيفية إبراهيم، لذلك نراه يصف المسلمين على نحوٍ لا يخلو من الخبث، بالسرازانيين، ويعد أول كاتبٍ مسيحيٍّ يستخدم هذا التشويه لأغراض الجدل العنيف، كذلك يصف المسلمين بـ (المفسدين) وهي التسمية التي ستكثر في الجدليات التالية ليوحنا.

ب. يعالج الإسلام على أنه هرطقة مسيحية.

ج. يقدم الإسلام على أنه مؤذنٌ بالمسيح الدجال.

د. يجعل الرسول، ﷺ، أحد أتباع آريوس، كما يجعله على عقيدة المذهب النسطوري، وذلك بسبب تأكيده على أن المسيح مخلوق وإنسان مجرد، وذلك ما قال به آريوس ونسطور.

هـ. يحصر ما جاء به النبي، ﷺ، في أمرين؛ أولهما: معرفته الضحلة بما قلّت قيمته من أسفار العهدين القديم والجديد اللذين وقع عليهما النبي، ﷺ، مصادفةً، والثاني: ما أخذه النبي، ﷺ، عن الراهب الآريوسي (بحيرا).

و. القرآن نتاج لأحلام اليقظة؛ لأن الرسول، ﷺ، تلقاه وهو نائم.

---

(1) المرجع السابق نفسه.

(2) عبد المحسن، عبد الراضي محمد، الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم، بحث من بحوث ندوة العناية بالقرآن الكريم وعلومه المنشورة علـى موقـع المفكـرة الدعوية، www.dawahmemo.com ص ٢٠، ٢١، ٢٢.

إنّ مقارنةً بسيطةً نعقدها بين ما كتبه يوحنا الدمشقي عن الإسلام، وبين ما كتبه المؤرخون مثل بيدا المبجل والرهبان الكاثوليك الغربيون عن الإسلام تكشف لنا وبسهولةٍ عن مدى التشابه الكبير والواضح في مضامين كتبِ كلٍّ منهم، وهذا يدعونا للاعتقاد بأنهم أخذوا عنه جل ما كتبوه عن الإسلام ورسوله الكريم ﷺ ... هكذا رد يوحنا الدمشقي الجميل للمسلمين الذين احتضنوه واحتضنوا والده وجده من قبله ووظّفوه في واحدةٍ من كبريات مؤسسا م وجعلوه من كبار موظفي بلاط الخلافة الأموي.

لقد دشن هذا (القديس) حملات الافتراء على الإسلام ورسوله، ليس بعد الحروب الصليبية، وإنما قبلها بمئات السنوات فكان بامتيازٍ، وبلا منازعٍ، من أوائل، إن لم يكن أولَ من، سلكوا هذا الدرب. وانتشر إرثه الثقافي، إرث الحقد والكراهية في الغرب قبل الشرق، حيث تلقف الحاقدون من أمثال بيدا المبجل إرثه وكتبه، واجتروها، وألّفوا على غرارها كتباً ساهمت وبفاعليةٍ في تشويه صورة الإسلام والمسلمين، علماً بأنّ بيدا لم ير مسلماً ولم يلتق بواحدٍ من المسلمين طيلة أيام حياته!!!.

ثالثاً: المطران أوغيليوس وتلميذه باول ألفاروس[1]: تحدثنا في الفصل الأول عن ظاهرةٍ عرفت في التاريخ المسيحي باسم (ظاهرة شهداء قرطبة)، وهم أولئك المسيحيون الذين كانوا يتطوعون للذهاب إلى المساجد أو دار القضاء أو الأماكن العامة، لتجمع المسلمين في مدينة قرطبة، ويشرعون علناً في مسبة الرسول، ﷺ، وشتمه بأقذع الألفاظ، حتى يقوم المسلمون بقتلهم فيكونون بذلك قد نالوا الشهادة في سبيل المسيح!! "وقد كان هؤلاء "الشهداء" ينتمون لشتى المستويات الاجتماعية، فكانوا من الرجال والنساء، ومن الرهبان والقسس، ومن غير رجال الدين، ومن البسطاء ومن كبار العلماء، وكان يبدو أن الكثيرين منهم يسعون لتحقيق هويةٍ غربيةٍ متميزةٍ واضحةٍ. ويبدو أنّ بعضهم كان ينتمى إلى أُسرٍ مختلطةٍ، حيث أحد الأبوين مسلم والآخر مسيحي"[٢].

ومع أنّ ذاك الحدث لم يكن ظاهرةً بالمعنى المتعارف عليه لكلمة (ظاهرة)، حيث بلغ عدد هؤلاء المُضللين ما يقارب الخمسين فقط، إلاّ أنّ المُهم في هذا الحدث، والذي لأجله ذكرناه، هو الأصابع التي كانت تحرك هؤلاء البسطاء

---

(1) تختلف كتابة اسم هذا المطران حسب اللغة التي تمت الترجمة عنها، وقد رسم اسمه بعدةِ صورٍ منها (أولوخيو) و(يولوجيو) و(أوبليغوس) و(أولوج) وكذا الحـال بالنسبة لباول الفاروس، فقد كتب اسمه بعدةِ صورٍ منها (بول الفارو) و(بول الفاروسي).

(2) آرمسترونج، سيرة النبي محمد [م. س]، ص ٣٤، ٣٥.

السذج، وتحرضهم وتدفع م إلى الموت تحت مسمى الشهادة. لقد كان أوغيليوس المحرض المحرك الأول لهؤلاء، وكان يفتيهم بأنّ الجنة وحدها هي جزاءُ عملهم البطوليّ (شتيمة محمد ﷺ)!! وكان هذا الأوغيليوس يفتي بعد قتل هؤلاء ومو م بأنّ هؤلاء (الشهداء) إنما هم من جنود الله الذين كانوا يقاتلون ببسالةٍ دفاعاً عن عقيد م، و"إنهم شنوا هجوماً معنوياً معقداً على الإسلام، عجزت السلطات الإسلامية عن رده، لأنه كان فيما يبدو، سيثبت أنها على خطأ"[1]. ولعل الحديث عن أوغيليوس هذا مرتبطٌ ارتباطاً عضوياً كاملاً بالحديث عن "باول ألفاروس"، حيث "تتشابه آراء الرجلين وتصورا ما في النقاط كلها تقريباً، ولذلك نستطيع أن نعرض آراء أحدهما باعتبارها ممثلةً للموقف كله بما فيه موقفهما هما"[2]. وقد كان أوغيليوس كاهناً يشغل منصب مطران مدينة طليطلة، واستطاع أن يجذب إليه العديد من الرهبان والناس العاديين والنبلاء وكـان من هؤلاء "بـاول الفاروس"، وهـو أحـد النبلاء "كتب عملاً جـدلياً ضد الإسـلام سماه (Indiculus Luminosus) هاجم فيه المسيحيين الذين دعوا إلى الاعتدال والتأني، وكانوا كثرةً كاثرةً بين الإسبان"[3].

"تنبع أهميةُ الحديث عن "شهداء قرطبة" من أنّ "صيحات التهجم التي **أطلقها هؤلاء ضد النبي** ﷺ، **كانت تستند** إلى **تلك السيرة القائمة على "الرؤيا".** وصور الوهم للأذهان التي سيطر عليها الرعب أن محمداً دجالٌ كاذب، نصب نفسه نبياً ليخدع العالم، وصور لها الوهم أنه فاسق يستمرئ الفسق البذيء ويدفع أتباعه إلى محاكاته، وصور لها الوهم أنه كان يجبر الناس على اعتناق عقيدته بحد السيف. وانتهت هذه الأوهام إلى القول بأن الإسلام ليس ديناً مستقلاً م َلاً، بل بدعةٌ، أو صورةٌ مشوهةٌ من صور المسيحية، وأنه دين عنفٍ يؤمن بالسيف ويمجد الحرب والقتل"[4].

وإضافةً لذلك، فقد كان هؤلاء "الشهداء" متشبعين تماماً بمضمون المقالة الإسبانية التي ظهرت في أواخر القرن الثامن الميلادي في إسبانيا في أحد الأديرة الشمالية، وهي نص هجومي بذيءٌ على النبي ﷺ، عرفت باسم المقالة الإسبانية عن محمدٍ ﷺ ولا يعرف كاتبها. ويرجح ناشرها "دياز" أ ا من عمل أحد النصارى المستعربين. "وهذه المقالة تصور النبي ﷺ بصورةٍ مجافيةٍ للذوق ومعاكسةٍ لصفاته، فتزعم زوراً و تاناً أنه كان كاذباً مبتدِعاً شهوانياً، وأنه دعا

---

(1) آرمسترونج، [م. س]، ص ٣٤.
(2) سوذرن، [م. س]، ص ٥٩.
(3) سوذرن، [م. س]، ص ٥٩.
(4) آرمسترونج، [م. س]، ص ٣٧.

عربه المتوحشين إلى أن يتخلّوا عن الوثنية، وأن يعبدوا إلها مادياً في السماء على شكل كرةٍ ماديةٍ، وتزعم هذه المقالة الزائفة أنّ إبليس ظهر لمحمدٍ ﷺ مدعياً أنه الملك جبريل، وأخبره أن الرب أرسله ليبشر العرب بما كان قد سمعه في مدارس المسيحيين ويدعوهم إلى عبادة ذلك الإله المادي في السماء وهجر عبادة الأوثان. وتزعم المقالةُ البذئية أنّ محمداً ﷺ، عندما مات تعفنت جثته فقامت الكلاب والخنازير بالتهام الجثة العفنة"[(1)].

في الواقع، لقد أكد أوغيليوس في أعماله الدفاع عن هؤلاء الشهداء، وانتقد فيها الإسلام انتقاداً جذرياً، وقد شبهه بعقيدةٍ للأبالسة، منوطةٍ بالمسيح الدجال. وقام بوصفٍ مقرفٍ لمحمد، ﷺ، قريبٍ جداً من الأوصاف السابقة في المؤلفات الشرقية: فجعله هرطوقياً، نبياً مزيفاً، شهوانياً، مفسداً، جشعاً، استقى أفكاره من الكتب المسيحية المقدسة مشوهاً أسسها بوحيه المزعوم. "لكن أولوج يؤكد أنه عثر على المعلومات حول محمد في مخطوطٍ لاتينيّ استمد عونه في دير لير، إبان سفره إلى مدينة بامبيلونة، عام ٨٥٢م تقريباً"[(2)].

وكذلك فقد رسم تلميذه ألفاروس صورةً للإسلام ونبيه محمدٍ، ﷺ، من النمط نفسه، مشدداً على السمات الكاريكاتورية ذا ا. فالتحق في العديد مما كتبه، بالوصف الذي أعطاه في الشرق يوحنا الدمشقي، فهو يندد بشهوانية المسلمين ومحمدٍ الذي يجعل منه هرطوقياً ونصيراً شريراً للمسيح الدجال. وفي هذا الشأن، قلّما قام ألفاروس بشيءٍ آخر سوى تكراره صورة الإسلام "الشائعة" في هذه الأوساط المسيحية. **"غير أن ألفارو أدخل عنصراً جديداً بالغ الأهمية: فهو الأول في الغرب الذي ربط بوضوح السيطرة العربية بنبوءة دانيال، ونسب إليها دوراً في الخطة الإلهية للتاريخ المقدس، دوراً يشتمل على مدى أخرويّ هامٍ. فرأى كما فعل العديد من المؤلفين المشرقيين، أن الاجتياح العربي يؤذن بنهاية الأزمنة، ويسبقها بقليلٍ، فلا جرم أن محمداً في نظره هو "القرن الصغير" الذي يصفه النبي دانيال و"الرؤيا"، وهو صورةٌ رمزيةٌ لسلطةٍ ذات طبيعةٍ شريرةٍ وشيطانيةٍ سوف تسيطر على العالم في " اية" الأزمنة، لكنها بدورها سوف تقهر قبل عودة المسيح الظافرة. وإن بعض الحسابات لحوادثَ تاريخيةٍ قد أفضت بألفارو إلى أن ينسب مدةً تدوم ٢٤٥ سنةً إلى هذه السيطرة الإسلامية، وإلى إعلان ايتها العتيدة عام ٨٧٠م"[(3)].**

(1) عودة، علي بن محمد، [م. س]، ص ٣، ٤.
(2) فلوري، [م. س]، ص ١١٣، بتصرف.
(3) المرجع السابق نفسه، ص ١١٣، ١١٤، بتصرف.

وحتى نضع النقاط على حروفها وتتضح لدينا الصورة بكامل تفاصيلها فإننا نلخص خلاصة معتقدات كلٍّ من هذين الرجلين (أوغيليوس وألفاروس) فيما يتعلّق بالإسلام ونبوة محمدٍ ﷺ، والتي استخرجاها من الكتاب المقدس، وقاما بصياغتها من خلال الفكر الرؤيوي، نلخصها فيما يلي[1]:

كان أوغيليوس وألفارو يعتقدان أن سطوع نجم الإسلام يبشر بقدوم المسيح الدجال، وهو الدجال العظيم الذي ورد وصفه في العهد القديم، والذي ينذر حكمه بحلول الأيام الأخيرة للبشرية. وقد أوضح مؤلف الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي أنّ المسيح لن يعود إلى الأرض حتى تقع "الردةُ الكبرى"، إذ يأتي "أثيم" ويقيم ملكه في هيكل أورشليم ليضل كثيراً من المسيحيين "بآياتٍ وعجائب كاذبةٍ" وقد ورد في سفر "رويا يوحنا اللاهوتي" أيضاً ذكر وحشٍ عظيمٍ، "سمته عجيبةٌ" وهي العدد ٦٦٦، يخرج من الهاوية ويتوج نفسه على عرش جبل المعبد، ويحكم العالم. وكان يبدو أن الإسلام يتفق اتفاقاً تاماً مع هذه الرؤى القديمة؛ إذ فتح المسلمون بيت المقدس في عام ٦٣٨م، وبنوا مسجدين عظيمين على جبل المعبد، وبدا أ م حقاً يحكمون العالم، وقيل أيضاً إن محمداً قد أتى بعد المسيح، حيث انتفت الحاجة إلى ت يلٍ جديدٍ، ولكنه نصب نفسه نبياً وارتد كثير من المسيحيين واعتنقوا الدين الجديد. وكان بحوزة أوغيليوس وألفارو سيرةٌ مختصرةٌ لحياةِ محمدٍ ﷺ تقولُ إنه توفي في عام ٦٦٦م من التاريخ الإسباني، وبذلك تسبق الحساب التقليدي بثمانيةٍ وثلاثين عاماً. وكانت تلك السيرة النبوية التي كتبت في أواخر القرن الثامن من وجهة نظرٍ غربيةٍ، قد قام بإعدادها أحد الأديرة، ويدعى "دير لير" بالقرب من بامبلونا في براغيل العالم المسيحي، الذي كان يرتعد فرقاً أمام العملاق الإسلامي الجبار.

إذاً، فقد خلُصا إلى أنّ السيطرة الإسلامية هي المقدمة الضرورية لظهور المسيح الدجال، ووجدا الأدلة على ذلك في الكتاب المقدس، ولم يكن ذلك صعباً!! ولو كانا إنسانين ذوي عقلٍ نقديّ لشككتهما في الأمر كلّه السهولةُ التي وجدا ا الإشاراتِ في العهدين لظهور الدجال، لكنهما لم يكونا ذوي عقلٍ متفحصٍ؛ كما أنّ كثيرين ممن جاؤوا بعدهما اتسموا بسرعة التصديق مثلهما. فعندما قرأ ألفاروس بعض الفقرات في سفر دانيال (بالعهد القديم) عرف ماذا تعني، ورأى فيها إيضاحاً كاملاً لما كان يجري في زمانه!!!.

---

[1] انظر:

أ. آرمسترونج [م. س]، ص ٣٦، ٣٧.

ب. سوذرن [م. س] ص ٥٩ – ٦٢ بتصرف وآختصار.

ج.، الفرا [م. س]، ص ٦٣.

ويعلّق سوذرن على ما سلف ذكره من تصورات أوغيليوس وباول ألفاروس للإسلام وربطهما له برؤى ونبؤات الكتاب المقدس بقوله[1]: "علينا أن نعترف بدايةً أنّ هذه التصورات الغربية تشكلُ أول منظومةٍ شاملةٍ ومتماسكةٍ نسبياً عن الإسلام وصورته التي بدأت تطلع في الغرب وسط متغيرات الأحداث. لقد كانت ولا شك نتاجاً للجهل المطبق بالإسلام مضامين وتاريخاً، لكنه جهلٌ ذو طبقاتٍ ومراحل بالغة التعقيد. فالصورةُ صادرةٌ عن رجالٍ كانوا يؤمنون إيماناً عميقاً بما يكتبون، وقد كان همهم الأول إقامة تآلفٍ بين ما تصوروه وما في الكتاب المقدس الذي كان مرجعهم الوحيد المعترف به لديهم".

وعلى كلٍّ، لقد انتهى الأمر، وانتهت حركة شهداء قرطبة بإعدام أوغيليوس ودفعه الثمن لكل ما قام به من تحريضٍ وتطاولٍ واستفزازٍ لمشاعر المسلمين. كان هذا الأوغيليوس يركّز على رفض الإسلام لفكرة الثالوث واعتبار الإسلام للمسيح مجرد نبيٍّ أو رسولٍ. وقام بكتابة العديد من الرسائل مشدداً فيها على أنّ محمداً هو رسولٌ كاذب وانه مدعٍ للنبوة وأنه اغلق الباب لأي نبيٍّ يأتي بعده، ووصف الرسول في كتاباته "بالذئب المختبئ بين الخرفان".

وختاماً فقد كتب هذا الأوغيليوس روايةً عن حركة شهداء قرطبة وسب فيها الرسول ﷺ، فَحكِم عليه بالإعدام عام ٨٥٩م "وكان مما أورده في روايته عن الحركة أنّ ثلاثةً من الرهبان الأسبان هم جورجيوس، وأورليوس، وناثاليا كتبوا نصاً عن آلام المسيح. وقد احتوى النص على هجومٍ متعصبٍ حاقدٍ على الإسلام ونبي الإسلام ﷺ، فوصف الإسلام بأنه العقيدة الضالّة، وخدعة الشيطان الماكرة وأن الإسماعيليين [أي العرب أبناء إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام] يجلّون نبياً كاذباً، صدقوا أنه من خلاله يكون طريق الخلاص، وأن نبي المسلمين إنما هو، بزعمهم، غادر بطبعه ومؤمن بإبليس، وهو وكيل المسيح الدجال، والمستنقع لكل الرذائل، والذي سوف يلقى به في جهنم، ومن خلال تعاليمه العقيمة كتب على أتباعه عذاب النار السرمدي، وأنّ الذي تراءى له في هيئة ملاكٍ إنما هو الشيطان"[2].

ولا شك أن هذه الحركة الحاقدة المتعصبة في قرطبة وما صاحبها من كتابات الرهبان المقيتة قد أسهمت بدورٍ كبيرٍ في صياغة العقيدة الغربية تجاه الإسلام والمسلمين في أوروبا طوال العصور الوسطى وإلى اليوم.

---

(1) سوذرن، [م. س]، ص ٦٢.

(2) عودة، [م. س]، ص ٤.

وبالرغم من كل ما تقدم من أحقاده وكراهيته ومعاداته للمسلمين، فقد "طلب القاضي إليه أن ينجو بأن يعلن رسمياً قبول الإسلام ـ إذ لن يتحقق أحد من سلوكه الديني بعد ذلك ـ وألاّ يستسلم "لتلك التصرفات المؤسفة الانتحارية المهلكة" مثل غيره من "المغفلين والبلهاء" ولكن رد يولوجيو اقتصر على أن طلب منه شحذ السيف"[١].

مات أوغيليوس، وماتت معه أحقاده وكراهيته وتعصبه الأعمى. مات وهو لا يعرف عن حقيقة الإسلام شيئاً، لا لأنه كان بعيداً عن الإسلام؛ فقد كان يعيش وسط الإسلام نفسه في الأندلس المسلمة، ولكن لأنه لم يكن يريد أن يعرف عن الإسلام شيئاً ... مات أوغيليوس شأنه شأن من سبقوه من الذين أضلهم بغير علمٍ ولا هدى، وقد تمّ اعتباره واعتبار أنصاره من "شهداء قرطبة" في الغرب "متكافئين مع الشهداء الأقدمين الذين ذبحهم الوثنيون الرومانيون بسبب إيما م، فثمة تشبيه ذهني للمسلمين بالوثنيين في العصور القديمة، وهو تشبيه بليغ الدلالة جداً لذهنية ذاك العصر الدينية. ومن جهةٍ أخرى، من المرجح بمقدارٍ أوفر أن الراهبين قد جلبا معهما من إسبانيا صورة الإسلام والمسلمين الكاريكاتورية ذا ا التي تصورها أنصار أولوج المتشيعون له: **إ ا** في **نظرهم هرطقة أثارها الشيطان، وتشير** إلى مجيء **المسيح الدجال، وليس المسلمون** في **واقع الأمر، سوى وثنيين يعبدون الأصنام"**[٢].

---

(١) آرمسترونج [م. س]، ص ٣٥.

(٢) فلوري، [م. س] ص ١١٥.

المبحث الثاني

رؤيا حزقيال [١]

ذكرنا في المبحث السابق أنّ الفكر الرؤيوي إنما نبع واستمِد من الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. كما ذكرنا أنّ العديد من الرهبان الرؤيويين، الذين قاموا بنشر هذا الفكر والترويج له ربطوا بين العديد من نبؤات الكتاب المقدس وبين ظهور الإسلام، واعتبروا ظهوره وقيام دولته مقدمةً لظهور عدو المسيح (المسيح الدجال). وأنهم قاموا بإسقاط هذه الرؤى والنبوات على الإسلام ورسوله الكريم ﷺ، في محاولةٍ (ناجحةٍ طبعاً) منهم لتشويه صورة الإسلام، وتحريض الناس ضد المسلمين، واستنهاض هممهم للقيام ومحاربتهم. وقد اخترنا عرض أبرز هذه النبؤات والرؤى والتعريف ا وبأصحا ا لنرى إن كانت تنطبق على الإسلام والحبيب المصطفى ﷺ، ولنرى قبل ذلك موقف الكنيسة الكاثوليكية من هذه النبؤات والرؤى ..

والمنهج الذي تعتمده هذه الدراسةُ في عرض كلٍّ من هذه النبؤات سهلٌ وواضح ويقوم أولاً على الترجمة لحياة وأعمال صاحب النبؤة، ومن ثمّ عرض نصوصها (أو الشاهد في نصوصها) ومن ثمّ تحليل مضمو ا والتعليق عليها.

حزقيال اسم عبري يعني (قوة الله) أو (الله يقوي) أو (تقوى بالله). اسم أبيه بوزي، وهو من عشيرةٍ كهنوتيةٍ، ولد ونشأ وكبر في فلسطين، وربما في أورشليم في بيئة الهيكل، أثناء خدمة النبي ارميا. ثم حمِل مسبياً من يهوذا مع يهوياكين[٢] في سنة (٥٧٩ ق. م.) أي بواقع ثماني سنواتٍ بعد نفي دانيال، وكان شاباً في ذلك الوقت، وعاش مع المسبيين اليهود على ر خابور أو (كبار)، وهو قناةٌ في أرض بابل.

تزوج مبكراً في السنة السادسة، أو على الأكثر في السنة التاسعة من السبي، بدأت خدمته النبويةُ في السنة الخامسة لسبي يهوياكين، أي بزمنٍ مدته سبع سنين قبل خراب الهيكل في أورشليم. وكان في السنة الثلاثين من عمره،

---

[1] انظر
أ. مقدمة نبؤة حزقيال في الكتاب المقدس نسخة المطبعة الكاثوليكية عام ١٩٦٠م، بيروت.
ب. قاموس الكتاب المقدس، النسخة الإلكترونية الموجودة في موقع www.st-takla.org التابع للكنيسة القبطية.
ج. تفسير القمص انطونيوس فكري للكتاب المقدس، النسخة الإلكترونية الموجودة في موقع www.arabchurch.com.
د. تفسير سفر حزقيال النبي المنشور في موقع كلمة الحياة www.kalematalhayat.org.

[2] يهوياكين: ابن يهوياقيم، وكان شريراً. وحاصر نبوخذ نصر أورشليم ثانيةً في أيامه، فاستسلم هو ومن معه، فسباهم نبوخذ نصر إلى بابل مع آخرين. (وكان هذا السبى الثالث) وملك متانيا عمه باسم صدقياً، وفي هذا السبى الثالث تم سبي حزقيال

صرح حزقيال بنبؤاته بحريةٍ كاملةٍ بالرغم من أنه كان في السبي، وكان شيوخ الشعب الإسرائيلي في السبي يرجعون إليه لطلب النصيحة. استمرت فترة نبوته مدةً زادت عن اثنتين وعشرين سنةً.

أما بالنسبة لوفاته فتذكر المصادر اليهودية أن المسبيين قتلوه في بابل بسبب أمانته وجرأته وتوبيخه لهم، ويقال إ م سحبوه على الأحجار وظلّوا يسحبونه حتى تحطّم رأسه. أما عن زمن كتابة نبؤته ومكا ا، فإ ا كُتبت أثناء سبي بابل حيث استعبد شعب إسرائيل. لذلك كُتبت للمسبيين هناك. ومن المعروف أن حزقيال ودانيال هما النبيان الوحيدان اللذان تنبآ خارج إسرائيل باستثناء "النبي يونان"، الذي أرسل إلى نينوى. وقد ذهب الشعب الإسرائيلي للسبي بسبب سقوطهم في العبادات الوثنية واحتقارهم للأنبياء وخطاياهم المتعددة. ولكن الله لم يتركهم بل أرسل لهم هذا النبي وسط أحزا م وآلامهم في السبي ليقنعهم بالتوبة، وليتأكدوا أن ما يحدث لهم ليس هدفه إفناءهم، بل تأديبهم. وفي السنة الخامسة من السبي (أي الخامسة من ملك صدقيا، وقبل خراب أورشليم النهائي سنة ٥٨٦ ق. م.) انفتحت السموات لأول مرةٍ أمام حزقيال ليرى رؤيا الرب والمركبة الإلهية النارية.

الأقسام التي يتكون منها سفر حزقيال

١. ديدات قبل سقوط أورشليم، وإنذارات بعقوبة الخطيئة، ودعوةٌ للتوبة. وذلك كلّه موجهٌ للشعب الإسرائيلي وهي تقع في الإصحاحات (١ – ٢٤).

٢. نبؤات ضد الأمم الذين ظَلَموا شعب إسرائيل، وهي تقع في الإصحاحات (٢٥ – ٣٢).

٣. نبؤات عن الرجوع من السبي، وفضح حالتهم الراهنة، ووصف لرجوع اليهود في المستقبل، وهلاك أعدائهم وسعاد م الروحية. وهي نبؤات تتكلم عن عودة اليهود من بابل، لكنها، كما يرى المسيحيون، تشير لزمان ملك المسيح في كنيسته، وهي تقع في الإصحاحات (٣٣ – ٣٩).

٤. حديث عن الهيكل الجديد وأورشليم، وهو يقع في الإصحاحات (٤٠ – ٤٨).

والذي يعنينا في هذه الدراسة هو الفصلُ الأول فقط من هذه الرؤيا، والذي زعم أصحاب الفكر النبوئي أنّ مضمونه يتحدث عن نبي الإسلام محمدٍ!! وسنعرض له تالياً بكامل إصحاحاته الثمانية والعشرين:

رؤيا حزقيال / الفصل الأول

(١) كَانَ ـفِي سنةِ الثلاثين، ـفِي الشهرِ الرابِعِ، ـفِي الْخامِسِ مِن الشهرِ، وأنا بين الْمسبِيين عِند نهر خابور أن السماواتِ انفتحت، فَرأيت رؤى اللهِ . (٢) ـفِي الْخامِسِ مِن الشهرِ، وهِي السنةُ الْخامِسةُ مِن سبي يوياكِين الْملِكِ. (٣) صار كَلاَم الرب ـإِلَى حِزقِيالَ الْكَاهِنِ ابن بوزِي ـفِي أرضِ الْكِلْدانِيين عِند نهر خابور. وكَانت علَيهِ هناك يد الرب . (٤) فَنظَرت وإِذَا ـبِرِيحٍ عاصِفَةٍ جاءَت مِن الشمالِ. سحابةٌ عظِيمةٌ ونار متواصِلَةٌ وحولَها لَمعانٌ ,ومِن وسطِها كَمنظَرِ النحاسِ اللامِعِ مِن وسطِ النارِ . (٥) ومِن وسطِها شِبه أربعةِ حيواناتٍ. وهذَا منظَرها: لَها شِبه ـإِنسانٍ . (٦) ولِكُلِّ واحِدٍ أربعةُ أوجهٍ، ولِكُلِّ واحِدٍ أربعةُ أجنِحةٍ. (٧) وأرجلُها أرجلٌ قَائِمةٌ، وأَقْدام أرجلِها كَقَدمِ رِجلِ الْعِجلِ، وبارِقَةٌ كَمنظَرِ النحاسِ الْمصقُولِ . (٨) وأيدِي ـإِنسانٍ تحت أجنِحتِها علَى جوانِبِها الأربعةِ. ووجوهها وأجنِحتها ـلِجوانِبِها الأربعةِ . (٩) وأجنِحتها متصِلَةٌ الْواحِد ـبِأَخِيهِ. لَم تدر عِند سيرِها .كُلُّ واحِدٍ يسِير ـإِلَى جِهةِ وجهِهِ . (١٠) أما شِبه وجوهِها فَوجه ـإِنسانٍ ووجه أسدٍ ـلِلْيمِينِ لأربعتِها، ووجه ثَورٍ مِن الشمالِ لأربعتِها، ووجه نسرٍ لأربعتِها . (١١) فَهذِهِ أوجهها. أما أجنِحتها فَمبسوطَةٌ مِن فَوق.ـلِكُلِّ واحِدٍ اثْنان متصِلاَن أحدهما ـبِأَخِيهِ، واثْنان يغطيان أجسامها . (١٢) وكُلُّ واحِدٍ كَانَ يسِير ـإِلَى جِهةِ وجهِهِ. ـإِلَى حيثُ تكُونُ الروح ـلِتسِير تسِير. لَم تدر عِند سيرِها . (١٣) أما شِبه الْحيواناتِ فَمنظَرها كَجمرِ نارٍ متقِدةٍ ,كَمنظَرِ مصابِيح هِي سالِكَةٌ بين الْحيواناتِ. ولِلنارِ لَمعانٌ، ومِن النارِ كَانَ يخرج برق . (١٤)الْحيوانات راكِضةٌ وراجِعةٌ كَمنظَرِ الْبرقِ . (١٥) فَنظَرت الْحيواناتِ وإِذَا بكَرةٌ واحِدةٌ علَى الأرضِ ـبِجانِبِ الْحيواناتِ ـبِأَوجهِها الأربعةِ . (١٦) منظَر الْبكَراتِ وصنعتها كَمنظَرِ الزبرجدِ. ولِلأربعِ شكْلٌ واحِد، ومنظَرها وصنعتها كَأَنها كَانت بكَرةً وسطَ بكَرةٍ . (١٧) لَما سارت سارت علَى جوانِبِها الأربعةِ. لَم تدر عِند سيرِها . (١٨) أما أُطُرها فَعالِيةٌ ومخِيفَةٌ. وأُطُرها ملآنةٌ عيوناً حوالَيها ـلِلأربعِ . (١٩) فَإِذَا سارتِ الْحيوانات سارتِ الْبكَرات ـبِجانِبِها، وإِذَا ارتفَعتِ الْحيوانات عنِ الأرضِ ارتفَعتِ الْبكَرات . (٢٠) ـإِلَى حيثُ تكُونُ الروح ـلِتسِير يسِيرونَ.ـإِلَى حيثُ الروح ـلِتسِير والْبكَرات ترتفِع معها .لأن روح الْحيواناتِ كَانت ـفِي الْبكَراتِ . (٢١) فَإِذَا سارت ـتِلْك سارت هذِهِ، وإِذَا وقَفَت ـتِلْك وقَفَت. وإِذَا ارتفَعت ـتِلْك عنِ الأرضِ ارتفَعتِ الْبكَرات معها، لأن روح الْحيواناتِ كَانت ـفِي الْبكَراتِ . (٢٢) وعلَى رؤوسِ الْحيواناتِ شِبه مقَببٍ كَمنظَرِ الْبلورِ الْهائِلِ منتشِراً علَى رؤوسِها مِن فَوق . (٢٣) وتحت الْمقَببِ أجنِحتها مستقِيمةٌ الْواحِد نحو أَخِيهِ.ـلِكُلِّ واحِدٍ اثْنانِ يغطيان مِن هنا، ولِكُلِّ واحِدٍ

اثْنانِ يغطيانِ مِن هناك أجسامها . (٢٤) فَلَما سارت سمِعت صوت أجنِحتِها كخريرِ مِياهٍ كثِيرةٍ، كصوتِ الْقَدِيرِ , صوت ضجةٍ كصوتِ جيشٍ. ولَما وقَفَت أرخت أجنِحتها .(٢٥) فَكَانَ صوت مِن فَوق الْمقَبِ الذِي علَى رؤوسِها. إِذَا وقَفَت أرخت أجنِحتها . (٢٦) وفَوق الْمقَبِ الذِي علَى رؤوسِها شِبه عرشٍ كمنظَرِ حجرِ الْعقِيقِ الأزرق، وعلَى شِبهِ الْعرشِ شِبه كمنظَرِ إِنسانٍ علَيهِ مِن فَوق . (٢٧) ورأيت مِثْلَ منظَرِ النحاسِ اللامِعِ كمنظَرِ نارٍ داخِلَه مِن حولِهِ، مِن منظَرِ حقَويهِ إِلَى فَوق، ومِن منظَرِ حقَويهِ إِلَى تحت .رأيت مِثْلَ منظَرِ نارٍ ولَها لَمعانٌ مِن حولِها (٢٨) كمنظَرِ الْقَوسِ الَتِي فِي السحابِ يوم مطَرٍ. هكَذَا منظَر اللمعانِ مِن حولِهِ. هذَا منظَر شِبهِ مجدِ الرب. ولَما رأيته خررت علَى وجهِي. وسمِعت صوت متكَلِمٍ.

بعد القراءة المتأملة الهادئة للفصل الأول من هذه الرؤيا، وبالاستعانة بالتفسير المسيحي[1] لها فإنه من الممكن لنا أن نستنتج الأسباب التي لأجلها من اللهُ بالرؤيا على نبيه حزقيال وهي:

١. يعطي الله لحزقيال فكرةً عظيمةً ومؤثّرةً عن نفسه، ليشعر بشرف خدمة الله، وكأنه أصبح أحد ملائكته المرسلين، وليعطي حزقيال قوةً قادرةً أن تدفعه خلال سنوات خدمته، فلا يعتذر عن هذه الخدمة الثقيلة بسبب غلظة الشعب الإسرائيلي.

٢. يستثير خوف الشعب سواءً في أورشليم أو في بابل، الشاعرين بالأمان الزائف بالرغم من خطاياهم مستهينين بتحذيرات الأنبياء من أن أورشليم ستخرب.

٣. يعزي الخائفين الذين ارتعدوا من كلامه وتواضعوا أمام يده القديرة.

٤. يعطي فكرةً كإعلانٍ مسبقٍ أن الكنيسة ستكون في كل مكانٍ ولجميع شعوب الأرض، ونؤكد في هذه النقطة على أننا إنما نقوم بعرض الفهم المسيحي لهذه الرؤيا.

يقوم التفسير المسيحي المعاصر لهذه الرؤيا العجيبة على أنّ السموات فُتحت لحزقيال ليرى أموراً سماويةً رمزيةً عجيبةً كمقدمةٍ لإرسال الله له بقوةٍ، وإعطائه دفعةً معنويةً كبيرةً وإعداده ليسمع صوت الله مباشرةً، مما يزيده

---

[1] خلاصة هذا التفسير التفاسير التي تليه لنصوص الكتاب المقدس في هذا المبحث والمبحثين التاليين مأخوذةٌ من المصادر التالية:

أ. مقدمة نبؤة حزقيال في الكتاب المقدس نسخة المطبعة الكاثوليكية عام ١٩٦٠م، بيروت.

ب. قاموس الكتاب المقدس، النسخة الإلكترونية الموجودة في موقع www.st-takla.org التابع للكنيسة القبطية.

ج. تفسير القمص انطونيوس فكري للكتاب المقدس، النسخة الإلكترونية الموجودة في موقع www.arabchurch.com.

د. تفسير سفر حزقيال النبي المنشور في موقع كلمة الحياة www.kalematalhayat.org.

امتلاءً بالقّوة في دعوته للناس ونصحهم. ولعل أسهل طريقةٍ لفهم معاني ومدلولات الكلمات الواردة في هذه الرؤيا هي عرض الكلمات والمصطلحات وشرح المقصود منها والمراد ا في مقابلها.

* **وكانت عليه هناك يد الرب:** أي أن يد الرب كانت عليه لتفتح عينيه وأذنيه فيرى ويسمع ويدخل كل هذا لقلبه فيفهم. ويد الرب كانت عليه لتحفظه فلا يهلك حين يرى مجد الرب.

* **ريح عاصفة ... نار متواصلة ... سحابة:** في الإعلان عن مجد الرب، غالباً ما تظهر هذه الأمور الثلاثة كما حدث عندما كلم الرب أيوب من العاصفة، وعندما حل مجد الرب على جبل سيناء وغطاه السحاب ... وهذه السحابة التي ظهرت مع الريح كانت لتحجب نور الله ومجده عن حزقيال فلا يموت، وهي مثلُ السحاب الذي يحجب نور وحرارة الشمس فلا نرى سوى نورٍ بسيطٍ. إذاً فقد حجبت السحابة عن حزقيال مالا يستطيع أن يراه كيلا يموت، فما رآه حزقيال كان قدر ما تحتمل بشريته، إذاً الريح العاصفة كانت لإعداد حزقيال ليرى، والسحابة كانت لتحديد ما يراه حزقيال لكي لا يهلك.

* **نار متواصلة:** هذه النار المتواصلة إشارةٌ إلى أنّ الله قادر أن يملأ قلوب شعبه بمحبةٍ ناريةٍ إن هم لم يقاوموا عمل الروح القدس فيهم، فمن لا يمتلئ قلبه بالمحبة لا يستطيع أن يعمل لحساب الله.

* **وحولها لمعانٌ:** أي حول النار، فنحن لا يمكننا في بحثنا عن الله أن نراه عياناً، كما لا يمكننا رؤية مجده، ولكن الذي نستطيع أن نراه من اء مجده هو هذا اللمعان، هذا هو ما أمكن النبي أن يراه من خلال السحابة.

* **وسط النار كمنظر النحاس اللامع:** في هذا إشارةٌ لطبيعة عمل الملائكة المزمع أن يقوموا به ضد أورشليم، وسيكون هذا بتحريك جيش بابل ضد أورشليم. فالنحاس اللامع هذا يشير للملائكة في هذه الرؤيا.

* **شبه أربعة حيوانات:** رأى حزقيال شبه أربعة مخلوقاتٍ حية، فكل ما كان يراه هو أشباه الحقائق لأنه يستحيل رؤية السماويات ونحن مازلنا في هذه الحياة. وهذه الحيوانات الأربعة هي الكاروبيم[1] كما رآهم يوحنا اللاهوتي

---

[1] الكاروبيم: حسب تعريف قاموس الكتاب المقدس هم ملائكة يرسلون من قبل الله أو يقيمون في حضرته تعالى، أقامهم الله على أبواب جنة عدن عندما طرد آدم وحواء منها، ويقال عنهم أ م ذوو جناحين. أما أشباههم فكانت من ذهب وأوقفت على غطاء تابوت العهد. وكان جناحا الكروبين يظللان التـابوت. وكانـت الكاروبيم تحت عرش الله لما ظهر لحزقيال. وربما كان المقصود بأجنحة الريح الكروبيم. وفضلاً عن شبهي الكروبيم على غطاء التابوت كان مصوراً على حجـاب خيمة الاجتماع صورة كاروبيم، وكان في هيكل سليمان كروبان كبيران مغشيان بذهب يظلل جناحاهما التابوت الذي كان بينهما وبين قدس الأقداس، وحيطـان البيت كانت أيضاً منقوشة بكروبيم مع نخيل وكذلك مصراعا الباب كانا منقوشين بكروبيم، وكان نقش أتراس الحواجب ثيران وأسود وكروبيم، والمقصود بكـل=

في رؤياه. وقيل عنهم في الرؤيا إ م مملؤون عيوناً، وذلك إشارةً لمعرفتهم غير المحدودة لله، إذاً الحيوانات الأربعة هم ملائكة، وقد رآهم حزقيال في هذا الشبه.

* **هذا منظرها لها شبه إنسان:** هذه إشارةٌ إلى أنهم، أي الكاروبيم، مخلوقات عاقلةُ مدركةٌ. وفي ظهورهم في شبه إنسانٍ كرامةٌ للإنسان، ويشير هذا أيضاً إلى أن الله يستخدمهم لتدبير أمور البشر بحسب مشيئته الإلهية.

* **أما شبه وجوهها فوجه إنسان ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر:** بالإضافة للمظهر الإنساني العام، كان للكاروبيم أربعةُ وجوهٍ تفهم على النحو التالي:

١. حين يستخدمهم الله في تنفيذ قضائه ضد أعدائه فهم أقوياء كالأسد، وهم لهم حدةُ نظرٍ في تتبع الفريسة كالنسر. وحين يستخدمهم الله لخدمة شعبه فهم كالثّور في القوة والتحمل في العمل، ولهم وعي وإدراك كالإنسان، عموماً، فمع أنّ لهم منظر إنسان، إلاّ أنّ إمكانيا م تفوق قدرة البشر بمراحل. ففي القوة هم كالأسد وفي حدّة البصر هم كالنسر ويرون الأسرار الإلهية من بعيدٍ، أي أنّ لهم حدةَ بصرٍ في الأمور السماوية يعبر عنها بالنسر ولكن مع أنّ لهم قوة الأسد وتحمِل الثور، فهم لهم رقّةُ الإنسان.

٢. يرى بعض آباء الكنيسة أنّ كلمة "كاروب" تعني معرفة، لذلك قيل عنهم إنهم مملوؤون عيوناً والمعنى أ م يعرفون الله فهم يرونه.

* **لكل واحدٍ أربعةُ أجنحة:** تصويرهم هنا بأجنحةٍ إشارةٌ إلى أنهم يطيرون صعوداً لله وي لون على البشر لتنفيذ مشيئة الله، وبعد أن ينفذوا مشيئة الله يصعدون ثانيةً ليقدموا حساباً عن عملهم لله، حيث نجد أنّ السرافيم(١) لهم ستة أجنحةٍ باثنين يغطّي أحدهم وجهه وباثنين يغطّي رجليه وباثنين يطير.

=ذلك هو الدلالة على وجود الله في الهيكل. وكان وجود الكروبيم فوق التابوت لتظليل ظهور مجد الله عن الناظرة كما غطى السحاب مجده في الجبل. وقـد رأى حزقيال الكروبيم في رؤيا عند ر كبار، ولكلٍ أربعة أوجه وأربعة أجنحة، وكانت الأوجه شبيهة بالمخلوقات التي رآها النبي قبلاً في رؤياه وهي وجه إنسان ووجـه أسد ووجه ثور ووجه نسر.

(1) السرافيم: حسب تعريف قاموس الكتاب المقدس السرافيم (السراف أو الساراف) كلمة عبرانية يغلب أن يكون معناها "كائنات مشتعلة" أو ربما كـان معناهـا "شرفاء" وهي في صيغة الجمع، ولم ترد إلا في نبوة إشعياء ٦: ٢ و٦ تسمية للأرواح التي كانت تخدم عرش الرب وظهرت لإشعياء في رؤياه. ويصف إشعياء السرافيم دون أن يذكر عددهم، فيقول أن لهم وجوهاً وأيدي وأرجلاً وأجنحة، ولكل منهم ستة أجنحة، باثنين يغطي وجهه وباثنين يغطي رجليه وباثنين يطير، وذلك لأنه لا يستحق أن يرى وجه الله، ولأنه لا يريد أن يرى الله رجليه، ولأنه يطير ليصنع مشيئة الله. وقد طار واحد منهم بجمرةٍ من على المذبح ووضع على شـفتي إشـعياء لتطهيرها.

ويبدو أن السرافيم كالكروبيم نوعان ساميان من الملائكة الذين يخدمون الله. ويقول لنا اشعيا إن السرافيم كانوا يرنمون ويرددون "قدوس ..." تمجيداً لله. وكما كان اليهود يتكلمون عن الكروبيم في حلوله على التابوت في سحاب، هكذا تكلم اشعياء عن السرافيم على أ م لامعون ساطعون.

ويتحدث سفر الرؤيا عن الحيوانات ذات الأجنحة والعيون، والتي تخدم الله ولكننا لا نجد معلومات أكثر من هذه في الكتاب المقدس عن أيّ من هذه المخلوقات. =

* **وأجنحتها متصلة الواحد بأخيه:** هذا تعبير عن الوحدة بينهم والاتفاق العام حيث أنّ هناك سلاماً كاملاً في السموات.

* **أما أجنحتها فمبسوطة:** غير مطويةٍ، وهذا إشارةٌ إلى أنهم في حالة استعدادٍ دائمٍ لتنفيذ أوامر الله فوراً.

* **أرجلها أرجل قائمة:** اي مستقيمة ثابتة، ولا تثنى بسبب صعوبة الخدمة ولا تكلّ.

* **أقدام أرجلها كقدم رجل العجل:** فالعجل مشقوق الحافر وهذا إشارة لطهارة الحيوان بحسب شريعة العهد القديم. والمقصود طهارة اتجاها م وحركا م. أي استعدادهم لتنفيذ مشيئة الله بلا أي ترددٍ.

* **أيدي إنسان تحت أجنحتها:** أي أنّ الذي يحرك أجنحة الملائكة ويعطيها القدرة هو المسيح.

* **كل واحد يسير إلى وجهة وجهه:** أي إلى حيث وجهه المسيح، الذي يده تحت أجنحتهم.

* **الحيوانات تنطلق وترجع كمنظر البرق:** فهم لا يطيقون الابتعاد عن الرب، ولا يطيقون أيضاً إلا أن ينفذوا إرادته، لذلك يذهبون للتنفيذ ويعودون كالبرق.

* **البكرات:** هي العجلات، وهذه البكرات أو العجلات تعبر عن تنفيذ المشيئة الإلهية على الأرض.

* **رآها بكرة واحدة:** هذا يعني أنّ هناك خطةً واحدةً أزلية تشملُ كل العالم في كل زمانٍ وفي كل مكانٍ، ولأ ا تشمل كل العالم قيل إن المركبة لها جوانبها الأربعة، فكما أن للملائكة أربعة وجوه، فإنّ للبكرات أربعة جوانب، وفي هذا توجيه إلى أن عناية الله هي موجهةٌ لاتجاهات الأرض الأربعة.

* **كمنظر الزبرجد:** الزبرجد هو حجر كريم لونه أخضر، واللون الأخضر يشير للحياة. وإرادة الله هي الحياة، وكون أن البكرات لو ا أخضر، فهذا يعني أن أعمال الله هي دف الحفاظ على حيا م، وليس حيا م فقط على الأرض، بل أن تكون لهم حياة أبدية.

* **منظر البكرات وصنعتها كمنظر الزبرجد:** وهي بكرة واحدة فالله له هدف واحد، ألا وهو حياةٌ للبشر هنا على الأرض وحياةٌ أبديةٌ لأولاده في السماء. وكل الأمور والبكرات تدور حول هذا المحور.

=(يكتب أيضاً: سرافيم، سارافيم، سيرافيم، ساروفيم، السارافيم، السيرافيم، الساروفيم).

* **للأربع شكل واحد:** أي عمل الله في كل أنحاء العالم هو وفق خطةٍ واحدةٍ محكمةٍ ثابتةٍ.

* لم **تدر عند سيرها:** إشارةٌ لثبات أحكام الله وعدم تغيرها.

* **أُطُرها عاليةٌ ومخيفةٌ:** أي محيطها واسع جداً، وحينما تحركت وارتفعت خاف النبي جداً، وهذا يعني أن علم الله عالٍ عن مستوانا بما لا يقاس، والوصول لمخططاته البعيدة هو فعلاً أمر مدهش يعجز عنه العقل البشري الضئيل.

* **أطرها ملآنة عيوناً:** أي أن عنايته الإلهية كلّها فهم وحكمةٌ ورؤيةٌ. وكل الأحداث تحت سيطرة وتحكم الله، لا شيء يتحرك سوى بسماحٍ منه.

* **ملاحظةٌ هامةٌ حول قوله "بكرة داخل بكرة":** قالوا إن هذه البكرات هي كلمة الله التي قُدمت في العهدين، وكُتبت لنا في لغتنا البشرية، وبكرةٌ داخل بكرةٍ تعني أنّ العهد الجديد تم التنبؤ عنه في العهد القديم، وأن العهد القديم يكشف أسرار العهد الجديد. عموماً فالكتاب المقدس هو كشف لعمل الله مع شعبه في كل زمانٍ ومكانٍ.

* **فإذا سارت الحيوانات سارت البكرات** بجانبها: أي أنّ الحيوانات هي التي تعنى بالبكرات لتوجيه حركتها، فالملائكة هم خدام الله في توجيه المسببات بغرض خدمة الأهداف الإلهية والخطة الإلهية التي يعرفو ا. والبشر يكونون كأدواتٍ في أيدي الملائكة.

* **وإذا ارتفعت تلك عن الأرض:** وحينما ترتفع المخلوقات الحية عن الأرض لعمل أي خدمةٍ فوق مستوى القوانين الطبيعية، وهذا ما نسميه معجزات مثل شق البحر ووقوف الشمس، فإن العجلات تتوافق في تناغم،وتصعد معها، أي تنفذُ مشيئتها وإنْ كان هذا ضد اتجاهها الطبيعي.

* **لأن روح الحيوانات كانت** في **البكرات:** أي أن الروح القدس هو الذي يقود الحيوانات، وهي بالتالي تحرك البكرات.

* سم**عت صوت أجنحتها كخرير مياهٍ كثيرةٍ:** تصدر الملائكةُ هذه الأصوات ِلتلقي الخشوع في قلب النبي،حتى يستطيع أن يسمع صوت الله إذا تكلم.

* **صوت القدير:** في رؤيا القديس يوحنا، سمع يوحنا صوت الله كصوت مياهٍ كثيرةٍ؛ فصوت الملائكة يشبه صوت الله.

* **صوت خرير المياه الكثيرة مخيف:** صوت ضجةٍ كصوتِ جيش: هذا الصوت كناية عن الكنيسة في قُوتها بمسيحها الذي فيها تكون للشيطان مرهبةً كجيشٍ بألويةٍ.

* **أرخت أجنحتها:** سكتت عن الصوت ليسمع النبي صوت الله لذلك نسمع بعد ذلك مباشرة فكان صوت من فوق الجلد.

* **من فوق الجلد:** أي صوت من يجلس على العرش.

ملاحظة هامة جداً:

إن كل ما سبق وتقدم من هذه الرؤيا كان مقدمةً لهذه الآيات، أي إعداد النبي ليسمع صوت كلمة الابن الجالس على العرش.

* **شبه عرشٍ عليه كمنظر إنسان:** ما يراه النبي هو أشباه الأشياء، لأنه وهو في الجسد، لا يستطيع أن يرى الحقائق. وهذا يرمز لأحد ظهورات المسيح في شكل إنسان قبل أن يتجسد، والرب جالس على عرشٍ إعلاناً لسلطته الملكية.

* **النحاس اللامع كمرأى نارٍ:** النحاس يشير لناسوت المسيح والنار تشير للاهوته وفي هذا إشارة للتجسد. واتحاد النار بالنحاس إشارةٌ لاتحاد اللاهوت بالناسوت.

* **لها لمعان من حولها:** أي مجد.

* **كمنظر قوس الغمام:** يعني قوس قزح.

وخلاصة معنى هذه الرؤيا هو:

إنّ المسيح السماوي الجالس على العرش والملائكة خاضعةٌ له، وأنه سيتخذ جسداً (نحاس) يتحد بلاهوته (النار). ويكون هذا التدبير (البكرات) ليعطي حياةً للإنسان حتى لا يهلك الإنسان بل تكون له حياةٌ أبدية ...

بعد استعراضنا لمضمون الفصل الأول من رؤيا حزقيال وبعد عرض شرح إصحاحاته كاملةً فإن من المفيد أن نسجلَ الملاحظات التالية:

أولاً: لا توجد في رؤيا حزقيال أيةُ إشارةٍ تتعلّق بالرسول محمدٍ ﷺ أو بظهور الإسلام ودولته لا من قريبٍ ولا من بعيدٍ.

ثانياً: إنّ التفسير والفهم المسيحي لنصوص هذه الرؤيا يدل بكُل صراحةٍ ووضوحٍ على أنّ المقصود (بشبه الأربعة مخلوقات حية) الواردة في هذه الرؤيا الملائكة وبالذات ما يسمونه الكاروبيم[1].

ثالثاً: ينصرف الفهم الكنسي لهذه الرؤيا على أ ا من المبشرات بالمسيح السماوي الجالس على العرش وأنّ (أيدي الإنسان تحت أجنحتها) السابق وروده في الرؤيا تدل على المسيح في أحد ظهوراته قبل التجسد، وأن (بكرة داخل بكرةٍ) السابق ورودها تعني العهد الجديد (الإنجيل) الذي تم التنبؤ عنه في العهد القديم (التوراة)، وأن العهد القديم يكشف أسرار العهد الجديد.

رابعاً: إن التفسير الكنسي لـ (روح الحيوانات) أو (شبه الأربعة مخلوقات الحية) هو الروح القُدس.

خامساً: تؤكد شروح وتفاسير الكتاب المقدس على أنّ مضمون هذه الرؤيا هو أمور سماويةٌ رمزيةٌ عجيبةٌ، فهي ليست حقيقيةً، إضافةً لتأكيد هذه التفاسير على عدم القدرة على تصور هذه الرؤيا بوضوحٍ تامٍّ، وذلك لكثرة الرمزية المستعملة فيها بالرغم من دقّة الأوصاف التي أعطاها النبي حزقيال فيها. "ويجتهد حزقيال في أن يستذكر كُلاً من هذه الرؤى من خلال صورٍ خياليةٍ مشبعة معنى روحياً، كالحيوانات الأربع في عربة يهوه. والعظام التي انتعشت من نفخة روح الله، والهيكل العتيد الذي يتدفّق منه رمزياً ر الماء الحي. فهذه القوةُ البصريةُ تجعل من حزقيال بادئ التيار الرؤوي [الرؤيوي] وتمهد للوحات سفر دانيال الرمزية العظيمة ولرؤيا يوحنا، ومن وجهةٍ أخرى إنه أجرأ الأنبياء عبارةً وأكثرهم خيالاً في إنشائه، وحيث أنه لم يكن مفكراً مثل إشيعا، فكان يحتاج إلى تصوير أفكاره تصويراً واقعياً وخيالياً، لذلك قد أتى بأعمالٍ رمزيةٍ كثيرةٍ ذكرت خاصة في الفصول ٤، ٥، ١٣"[٢].

---

(1) سبق التعريف م.

(2) انظر مقدمة رؤيا حزقيال، الكتاب المقدس، [م. س].

وبالرغم من أنّ مقدمة هذه الرؤيا تذكر "أنّ الرؤيا الافتتاحية التي يعلِن فيها الله لحزقيال رسالته هي من مشاهير الرؤى، وعلى الرغم من الوصف الدقيق الذي يعطيه النبي عنها فلا نستطيع أن نتصورها بوضوحٍ تامٍ"[1].

نقول: بالرغم من ذلك، نرى الرؤيويين في العصور الوسطى قد سمحوا لأنفسهم بفهم خاصّ وتفسير شاذٍّ لهذه الرؤيا، وصرفوا فَصلها الأول (الذي سبق إيراده وشرحه) للدلالة على رسول الله محمد ﷺ!!! وإنما هي محض أكاذيب اخترعوها ولفقوها لتنفير الناس من الإسلام ورسول الله ﷺ. نعم، لم يكن هؤلاء الرؤيويون ذوي عقولٍ متفحصةٍ، لكن المصيبةَ كانت تكمن في أنّ كثيرين من الذين جاؤوا بعدهم اتسموا بسرعة التصديق لهذه الأكاذيب والافتراءات مثلهم تماماً!!!.

(1) المصدر السابق نفسه.

المبحث الثالث

رؤيا دانيال[(١)]

تواجه معظم الدراسين لسفر دانيال إشكاليةٌ تتعلّق بحقيقة هوية الشخص الذي كتب هذا السفر؛ أهو دانيال الكاهن الذي كان من رؤوس الآباء الذين صعدوا مع عزرا من بابل؟ أم هو دانيال، الابن الثاني للملك داود والمولود في حبرون؟ أم هو دانيال الذي ذكره سفر حزقيال أكثر من مرةٍ ووصفه بأنه حكيم وبأنه لا يخفى عليه سر، والذي كان سابقاً لحزقيال من حيث الترتيب الزمني؟ أم أنه دانيال النبي صاحب السفر وهو رابع الأنبياء الأربعة (الكبار) إشعياء وإرميا وحزقيال؟؟؟ لن نخوض في موضوع الترجيح بين الاحتمالات السابقة لأنّ القطع أيها الأصح هو غايةٌ في الصعوبة، هذا إضافةً لكون الكثير من المصادر المسيحية مازالت لم تقدم إجابةً قاطعةً حول هذا الموضوع.

إنّ الذي يعنينا في هذه الدراسة الحديثُ عن مضمون رؤيا دانيال النبي الذي يحمل هذا السفر اسمه ويتحدث عنه حتى لو لم يكن هو كاتبه، حيث أنّ النبي دانيال هو الشخصية الرئيسية والمحورية في هذا السفر. ودانيال اسم عبري معناه (الله قضى). كان دانيال من عائلةٍ شريفةٍ، وأغلب الظن أنه ولد في أورشليم، كما أنه كان شريفاً من أشراف سبط يهوذا، ومن النسل الملكي ممن سبوا مع أشرافٍ كثيرين آخرين، في السنة الثالثة من مُلك يهوياقيم ملكِ يهوذا.

إنّ سفر دانيال مكتوب في الأصل بلغتين؛ حيث كُتِب جزءٌ منه بالآرامية وكُتِب جزءٌ آخر بالعبرية، ويحتوي سفر دانيال المدون في طبعة دار الكتاب المقدس على اثني عشر إصحاحاً، غير أن الكنائس الآرثوذكسية والكاثوليكية تضيف إليه تِتمةً حذفها البروتستانت رغم تصديق ا امع وآباء الكنيسة الأولى على صحتها وقانونيتها، وهذه الإضافات موجودة أصلاً في الترجمة السبعينية التي ترجِمت من خلالها التوراة إلى اليونانية في حوالي القرن الثالث قبل الميلاد.

يوضع سفر دانيال في الكتاب المقدس باللغة العربية، وكذلك في اللغات الحديثة كالإنجليزية والفرنسية والألمانية، ضمن الأنبياء الكبار، فيأتي في الترتيب بعد حزقيال، وفي هذا تتبع هذه الترجمات الترتيب الذي سارت عليه

---

(١) انظر:

أ. تفاسير وشروحات الكتاب المقدس: التفسير الكامل لسفر دانيال/ الفصل السابع (الحيوانات الحاكمة) على موقع كلمة الحياة [م. س].

ب. مقدمة سفر دانيال في الكتاب المقدس نسخة المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٠ بيروت.

ج. قاموس الكتاب المقدس [م. س].

د. تفسير القمص انطونيوس فكري للكتاب المقدس [م. س] تفسير سفر دانيال.

الترجمة السبعينية ومن بعدها ترجمة الفولجاتا اللاتينية. أما موضع السفر بحسب ترتيب الأسفار في العهد القديم كما جاء في الأصل العبري فيقع في القسم الذي يسمى "الكتوبيم" أي "الكتب"، وهو القسم الثالث من العهد القديم في اللغة الأصلية.

أقسام سفر دانيال

ينقسم السفر بالنسبة لمحتوياته إلى قسمين رئيسين وهما:

أولاً: الأجزاء التاريخية.

ثانياً: الأجزاء الرؤيوية (أو النبوئية) وهي التي منا في هذه الدراسة، وتحتوي هذه الأجزاء على أربعِ نبؤاتٍ ورؤى عظيمةٍ رآها دانيال وهي:

١. رؤيا تُمثِّلُ قوى العالم الأربع العظمى في شكل أربعة حيواناتٍ، ثم تزول هذه القوى، ومن بعدها تثبت مملكةُ الملكوت الأبدي.

٢. الرؤيا التي يرى فيها القوة التي يمثلُها تيس المَعِز تتغلّب على قوةٍ أخرى هائلةٍ يمثلها كبش، والقوة التي يمثلها تيس المعز تنقسم إلى أربعةِ أقسامٍ، وملك أحد هذه الأقسام ينجس الهيكل.

٣. أما الرؤيا الثالثة فقد جاءت استجابةً لصلاة التوبة التي قدمها دانيال، وهي عبارةٌ عن رسالةٍ حملها إليه الملاك جبرائيل تتعلق بمملكة المسيح العتيدة التي تأتي بعد سبعين أسبوعاً.

٤. في الرؤيا الرابعة تأتيه رسائل من الله تؤكد له محبة الله للمؤمنين الأمناء في شعبه، وفيها يرى صورةً للمظالم التي يرتكبها ملك الشمال.

وحتى يكون الكلام أكثر تخصيصاً وانضباطاً فإننا سنعمد إلى إيراد الفصل السابع فقط من رؤيا دانيال؛ لأنه الفصل الذي زعم أصحاب الفكر الرؤيوي أن مضمونه والوحوش التي يتحدث عنها تنطبق أوصافها على رسول الله ﷺ ودولة الإسلام، وسنعرض له تالياً بكامل إصحاحاته الثمانية والعشرين.

رؤيا دانيال / الفصل السابع

(١) ِفي السنةِ الْأولَى ِلبيلْشاصر مِلكِ باِبلَ رأى داِنيآلُ حلْماً ورؤى رأْسِهِ علَى ِفراشِهِ. حِينئِذٍ كَتب الْحلْم وأخبر ِبرأْسِ الْكَلاَمِ . (٢) قَالَ داِنيآلُ: [كُنت أَرى ِفي رؤياي لَيلاً وإِذَا ِبأَربعِ ِرياحِ السماءِ هجمت علَى الْبحرِ الْكَبِيرِ . (٣)

وصعِد مِن الْبحرِ أربعةُ حيواناتٍ عظِيمةٍ هذَا مخالِف ذَاك . (٤) الأولُ كَالأسدِ ولَه جناحا نسرٍ. وكُنت أنظُر حتى انتتف جناحاه وانتصب عنِ الأرضِ وأُوقف علَى رِجلَين كَإنسانٍ وأُعطِي قَلْب إِنسانٍ . (٥) وإِذَا بِحيوانٍ آخر ثَانٍ شبِيهٍ بِالدب فَارتفَع علَى جنبٍ واحِدٍ وفِي فَمِهِ ثَلاثُ أضلُعٍ بين أسنانِهِ فَقَالُوا لَه: [قُم كُلْ لَحماً كَثِيراً . (٦) وبعد هذَا كُنت أرى وإِذَا بِآخر مِثْل النمِرِ ولَه علَى ظَهرِهِ أربعةُ أجنِحةِ طَائِرٍ. وكَانَ لِلْحيوان أربعةُ رؤوسٍ وأُعطِي سلْطَاناً . (٧) بعد هذَا كُنت أرى فِي رؤى الليل وإِذَا بِحيوانٍ رابِعٍ هائِلٍ وقَوِي وشدِيدٍ جِداً ولَه أسنانٌ مِن حدِيدٍ كَبِيرةٌ. أكَلَ وسحق وداس الْباقِي بِرِجلَيهِ. وكَانَ مخالِفاً لِكُل الْحيواناتِ الَّذِين قَبلَه. ولَه عشرةُ قُرونٍ . (٨) كُنت متأملاً بِالْقُرون وإِذَا بِقَرنٍ آخر صغِيرٍ طَلَع بينها وقُلِعت ثَلاثَةٌ مِن الْقُرون الأولَى مِن قُدامِهِ وإِذَا بِعيونٍ كَعيون الإِنسان فِي هذَا الْقَرن وفَمٍ متكَلِّمٍ بِعظَائِم . (٩) كُنت أرى أنه وضِعت عروش وجلَس الْقَدِيم الأيامِ. لِباسه أبيض كَالثلْجِ وشعر رأْسِهِ كَالصوفِ النقِي وعرشه لَهِيب نارٍ وبكَراته نار متقِدةٌ . (١٠)نهر نارٍ جرى وخرج مِن قُدامِهِ. أُلُوف أُلُوفٍ تخدِمه وربوات ربواتٍ وقُوف قُدامه. فَجلَس الدين وفُتِحتِ الأسفَار . (١١) كُنت أنظُر حِينئِذٍ مِن أجل صوتِ الْكَلِماتِ الْعظِيمةِ الَّتِي تكَلَّم بِها الْقَرنُ. كُنت أرى إِلَى أنْ قُتِلَ الْحيوانُ وهلَك جِسمه ودفِع لِوقِيدِ النارِ . (١٢) أما باقِي الْحيواناتِ فَنزِع عنهم سلْطَانهم ولَكِن أُعطُوا طُولَ حياةٍ إِلَى زمانٍ ووقْتٍ . (١٣) كُنت أرى فِي رؤى الليل وإِذَا مع سحبِ السماءِ مِثْلُ ابنِ إِنسانٍ أتى وجاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأيامِ فَقَربوه قُدامه . (١٤) فَأُعطِي سلْطَاناً ومجداً وملَكُوتاً لِتتعبد لَه كُل الشعوبِ والأُممِ والأَلْسِنةِ .سلْطَانه سلْطَانٌ أبدِي ما لَن يزولَ وملَكُوته ما لاَ ينقَرِض . (١٥) أما أنا دانِيآلَ فَحزِنت روحِي فِي وسطِ جِسمِي وأفْزعتنِي رؤى رأْسِي . (١٦) فَاقْتربت إِلَى واحِدٍ مِن الْوقُوفِ وطَلَبت مِنه الْحقِيقَةَ فِي كُل هذَا. فَأخبرنِي وعرفَنِي تفْسِير الأُمورِ : (١٧) هؤلاَءِ الْحيوانات الْعظِيمةُ الَّتِي هِي أربعةٌ هِي أربعةُ ملُوكٍ يقُومونَ علَى الأرضِ . (١٨) أما قِديسو الْعلِي فَيأخذُونَ الْمملَكَةَ ويمتلِكُونَ الْمملَكَةَ إِلَى الأبدِ وإِلَى أبدِ الآبِدِين . (١٩) حِينئِذٍ رمت الْحقِيقَةَ مِن جِهةِ الْحيوان الرابِعِ الَّذِي كَانَ مخالِفاً لِكُلها وهائِلاً جِداً وأسنانه مِن حدِيدٍ وأظْفَاره مِن نحاسٍ وقَد أكَلَ وسحق وداس الْباقِي بِرِجلَيهِ (٢٠) وعنِ الْقُرون الْعشرةِ الَّتِي بِرأْسِهِ وعنِ الآخرِ الَّذِي طَلَع فَسقَطَت قُدامه ثَلاثَةٌ. وهذَا الْقَرنُ لَه عيونٌ وفَم متكَلِّم بِعظَائِم ومنظَره أشد مِن رفَقَائِهِ . (٢١) وكُنت أنظُر وإِذَا هذَا الْقَرنُ يحارِب الْقِديسِين فَغلَبهم (٢٢) حتى جاءَ الْقَدِيم الأيامِ وأُعطِي الدين لِقِديسِي الْعلِي وبلَغَ الْوقْت فَامتلَك الْقِديسونَ الْمملَكَةَ . (٢٣) فَقَالَ : أما الْحيوانُ الرابِع فَتكُونُ مملَكَةٌ رابِعةٌ علَى الأرضِ مخالِفَةٌ لِسائِرِ الْممالِكِ فَتأكُلُ

الأرض كُلها وتدوسها وتسحقُها . (٢٤) والْقُرونُ الْعشرةُ مِن هذِهِ الْمملَكَةِ هِي عشرةُ ملُوكٍ يقُومونَ ويقُوم بعدهم آخر وهو مخالِف الأَولين ويذِل ثَلاَثَةَ ملُوكٍ . (٢٥) ويتكلم بِكَلاَمٍ ضِد الْعلِي ويبلي قِديسِي الْعلِي ويظُن أنه يغير الأَوقَات والسنةَ ويسلمونَ لِيدِهِ إِلَى زمانٍ وأَزمِنةٍ ونصفِ زمانٍ . (٢٦) فَيجلِس الدين وينزِعونَ عنه سلْطَانه لِيفْنوا ويبيدوا إِلَى الْمنتهى . (٢٧) والْمملَكَةُ والسلْطَانُ وعظَمةُ الْمملَكَةِ تحت كُل السماءِ تعطَى لِشعبِ قِديسِي الْعلِي. ملَكُوته ملَكُوت أَبدِي وجمِيع السلاَطِينِ إِياه يعبدونَ ويطِيعونَ . (٢٨) إِلَى هنا نِهايةُ الأَمرِ. أما أنا دانِيآلَ فَأَفْكَارِي أَفْزعتنِي كَثِيراً وتغيرت علَي هيئَتِي وحفِظْت الأَمر فِي قَلْبِي.

تفسير النصوص السابقة[1]

إنّ رياح السماء المذكورة في (دانيال ٧: ٢)، والتي هجمت على البحر الكبير، ترمز إلى القوى التي يستخدمها الله لتنفيذ مقاصده سواءً في السماء أو على الأرض، وهي بغير شكٍّ قوى ملائكيةٌ؛ حيث أن هناك ملائكةٌ مكّلفون بتنفيذ مقاصد الله في السماء وعلى الأرض، وكل فريقٍ منهم يقوم بعمله بحسب الخطّة الإلهية المرسومة، أما البحر الكبير الذي ذكره دانيال فهو البحر الأبيض المتوسط، ويرمز البحر أيضاً في مواضع أخرى من الكتاب المقدس إلى القوى الأممية المعادية لله، ومن وسط الأمم المضطربة التي تسكن على شواطئ البحر الأبيض المتوسط خرجت الحيوانات الأربعة، واضطربت هذه الأمم.

يقول دانيال النبي "وصعد من البحر أربعة حيوانات عظيمة هذا مخاف ذاك. الأول كالأسد وله جناحا نسر. وكنت أنظر حتى انتتف جناحاه وانتصب عن الأرض وأوقف على رجلين كإنسان وأعطى قلب الإنسان" (دانيال ٧: ٢ - ٤)

هذا الحيوان الأول الذي رآه دانيال كالأسد له جناحا نسر، يرينا بصورته هذه الجلال الملكي والقوة العسكرية الباطشة، وفي ذلك الوقت البصر الحاد وسرعة الانقضاض التي يتميز ا النسر. **وهذا الحيوان الأول يرمز إلى الإمبراطورية البابلية** التي رمز إليها التمثال العظيم بالرأس من ذهب. وقد يرد على هذا التفسير سؤالٌ هو:

---

(1) انظر:

أ. تفاسير وشروحات الكتاب المقدس: التفسير الكامل لسفر دانيال/ الفصل السابع (الحيوانات الحاكمة) على موقع كلمة الحياة [م. س].

ب. مقدمة سفر دانيال في الكتاب المقدس نسخة المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٠ بيروت.

ج. قاموس الكتاب المقدس [م. س].

د. تفسير القمص انطونيوس فكري للكتاب المقدس [م. س] تفسير سفر دانيال.

كيف يمكن أن يكون حلم دانيال نبوياً يتحدث عن ممالك مستقبلية، بينما الحيوان الأول الذي رآه يرمز إلى الإمبراطورية البابلية التي كانت عندئذ موجودة على الأرض كما يؤكد دانيال في كلماته "في السنة الأولى لبيلشاصر ملك بابل رأى دانيال حلماً" (دانيال ٧: ١)؟!؟

والجواب على ذلك أن الإمبراطورية البابلية كانت موجودة في الوقت الذي رأى دانيال فيه حلمه النبوئي، وذلك لإعطاء القارئ أو السامع صورةً متكاملةً للإمبراطوريات التي حكمت وستحكم الأرض خلال أزمنة الأمم.

يستطرد دانيال قائلاً: "كنت أرى... وإذ بحيوان آخر ثان شبيه بالدب فارتفع على جنب واحد وفي فمه ثلاث أضلع بين أسنانه فقالوا له هكذا، قم كل لحماً كثيراً" (دانيال ٧: ٥).

هذا الحيوان الثاني كان شبيهاً بالدب، والدب أقل قوةً من الأسد، تماماً كما أنّ الفضة في التمثال العظيم الذي رآه نبوخذ نصر الملك أقل قيمةً من الذهب. وهنا نرى بداية التدهور في الحكم الأممي خلال أزمنة الأمم، هذا الحكم الذي سيصل في نهايته إلى الحديد المختلط بالطين.

هذا الحيوان الثاني الشبيه بالدب يرمز إلى مملكة مادي وفارس، ويشار إليها في التمثال بالصدر والذراعين من فضةٍ، وقد كانت هذه المملكة مكونةً من اتحاد شعبين.. المادي والفارسي، والشعب المادي من نسل "ماداي ابن يافث". أما الشعب الفارسي فهو من أصلٍ آري، قريبٍ من العنصر المادي، ولكن لم يذكر أصله في جدول الأمم في سفر التكوين. وقد أصبحت فارس هي القوة الأكثر تسلطاً؛ وهذا يظهر في النبوءة في ارتفاع الدب على جنبٍ واحدٍ وهو جنب الفارسي، أما الثلاثةُ أضلعٍ بين أسنان الدب فهي تشير إلى الممالك التي هزمها الدب المادي الفارسي.... بابل، ومصر، وليديا. وكانت ليديا واقعةً على ساحل آسيا الصغرى عاصمتها ساردس، ومن مدنها أيضاً ثياتيرا وفيلادلفيا، وقد انتصر كورش الفارسي على ملكها كريسوس وأصبحت ليديا مستعمرةً فارسيةً، ولم تسترد حريتها منذ ذلك الحين.

وبسبب استخدام الأعداد الضخمة من الجيوش الفارسية نقرأ الكلمات "قم كل لحماً كثيراً" (دانيال ٧: ٥)؛ مما يؤكد مدى فداحة الخسائر البشرية في حروب مادي وفارس.

ولقد كانت النبوءة دقيقةً كل الدقة في تصويرها مملكة مادي وفارس بالصدر والذراعين من فضة في التمثال العظيم، فمع أنها كانت مملكة واحدة إلا أنها تكونت من شعبين أشير إليهما بالذراعين. ويستطرد دانيال فيقول "وبعد

هذا كنت أرى وإذ بآخر مثل النمر، وله على ظهره أربعةُ أجنحة طائرٍ، وكان للحيوان أربعةُ رؤوسٍ وأعطي سلطاناً" (دانيال ٧: ٦)

النمر وحش مفترس يتميز بخفة الحركة والذكاء، وفي النبؤة نجد أن هذا النمر له على ظهره أربعة أجنحة طائر مما يظهر سرعته الفائقة الحدود.

هذا الحيوان الثالث يرمز إلى الإمبراطورية اليونانية التي تميزت بسرعةٍ توسعها وانقضاضها تحت قيادة الإسكندر الأكبر. ولقد هزمت الإمبراطورية اليونانية أعداءها بسرعة منقطعة النظير تحت قيادة هذا الإمبراطور الشاب.

أما أربعةُ رؤوس هذا النمر فهي تشير إلى تقسيم الإمبراطورية اليونانية بين أربعة من قادة الجيش اليوناني.... حكموا سوريا ومصر ومكدونية وآسيا الصغرى، هم بطليموس وسيلوقوس وفيليب وأنتيجونوس. ويعتقد إدوارد يونج[1] أن الأربعة رؤوس تشير إلى أطراف الأرض الأربعة، ويبنى اعتقاده على أن الملوك يشار إليهم بالقرون في سفر دانيال، ويقول أن الرؤوس الأربعة تشير إلى تسلط الإمبراطورية اليونانية على الأرض.

وقد استمرت الإمبراطورية اليونانية في الوجود حتى هزمتها الدولة الرومانية.

أما عبارة "فأعطى سلطاناً" فهي ترينا سيادة الله المطلقة، فهو الذي يعطي للملوك والرؤساء السلطة على شعو م..... إن هذا النمر الخفيف الحركة، يسير جنباً إلى جنب مع ما رآه نبوخذ نصر في التمثال العظيم "بطنه وفخذاه من نحاس" (دانيال ٢: ٣٢).

"وبعد هذا كنت أرى في رؤى الليل وإذا بحيوانٍ رابعٍ وهائلٍ وقوي وشديدٍ جداً، وله أسنان من حديدٍ كبيرة، أكل وسحق وداس الباقي برجليه، وكان مخالفاً لكل الحيوانات التي قبله، وله عشرة قرون" (دانيال ٧: ٧).

لقد سكتت النبؤة عن إظهار شخصية هذا الحيوان الرابع، وكل ما قالته أنه "قوي وشديد جداً وله أسنان من حديد كبيرة، وأنه أكل وسحق وداس الباقي برجليه، وأن له عشرة قرون" فالحيوان الموصوف هنا مخيف يأكل بأسنانه الحديدية، ويدوس من لا يأكله برجليه.

---

(1) إدوارد يونج: (١٦٨٣ – ١٧٦٥) شاعر إنجليزي، كانت قصائده الشعرية تـ ع نحو التفكه وسرعة الخاطر، مقلداً شعر عصر أوجستن الإنجليزي. اكتسب يونج سمعته بعد نشر مؤلفين ما بين بين عامي ١٧٤٢ و١٧٤٥م، هما: الشكوى أو أفكار الليل عن الحياة والموت والخلود، وهي تأملات نظمها في مسلسلٍ من تسع قصائد مرسلة، دافع فيها عن النصرانية ضد أدعياء الفكر الحر من الملحدين، وادعياء الأصالة في التأليف. ولد يونج في أو ام بالقرب من ونشستر، في هامبشاير بـ إنجلترا، ثم أصبح قسيساً في عام ١٧٣٠م في ولوين في هيرفورد شاير.

وهذا الحيوان الباطش يتفق تماماً مع ساقي التمثال العظيم "ساقاه من حديد. قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف" (دانيال ٢: ٣٣)، فالأسنان الحديدية الكبيرة تشير إلى القوة العسكرية الساحقة التي تميز ا الحيوان، وتصرفاته تعلن عن جبروته وقسوته، أما العشرةُ قرون فهي ترمز إلى عشرةِ ملوكٍ سيظهرون من الدول التي ستحكمها هذه الإمبراطورية الأخيرة في صور ا النهائية، ويلعبون دورهم المخطط لهم مع الوحش الذي تحدث عنه يوحنا في الإصحاح الثالث عشر من سفر رؤيا يوحنا، وبما أن هذا الوحش سيصعد من الهاوية (رؤيا ١١: ٧ و ١٧: ١٨)، **وهو أحد أباطرة الدولة الرومانية، إذاً يمكننا القول بأن هذا الحيوان الرابع يشير إلى الإمبراطورية الرومانية التي امتد ووجودها حتى زمن المسيح والتي منها سيخرج الحاكم العالمي القادم الذي سيحكم الأرض خلال الضيقة العظيمة**[1].

"كنت متأملاً بالقرون، وإذا بقرن آخر صغير طلع بينها، وقلعت ثلاثة من القرون الأولى من قدامه، وإذا بعيون كعيون الإنسان في هذا القرن، وفم متكلم بعظائم. كنت أرى أنه قد وضعت عروش وجلس قديم الأيام، لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقي وعرشه لهيب نار وبكراته نار متقدة. ر نار جرى وخرج من قدامه، ألوف ألوف تخدمه، وربوات ربوات وقوف قدامه. فجلس الدين وفتحت الأسفار. كنت أنظر حينئذ من اجل صوت الكلمات العظيمة التي تكلم ا القرن. كنت أرى إلى أن قتل الحيوان وهلك جسمه ودفع لوقيد النار. أما باقي الحيوانات ف ع عنهم سلطا م ولكن أعطوا طول حياة إلى زمان وقت" (دانيال ٧: ٨ - ١٢)

المنظر الذي رآه دانيال في حلمه وسجله هنا بكلماته هو منظر محكمةِ السماء، وقد انعقدت لتحكم على حكومات الأرض وتعلن مصيرها المحتوم.

والمنظر الذي رآه دانيال هو منظر الدينونة المُعدةِ للحكومات، وسيتم قبل الألف سنة، أما المنظر الذي رآه يوحنا هو منظر الدينونة الأخيرة بعد الألف سنة وهو دينونةٌ للأفراد. أما الجالس على عرش الدينونة هنا فهو القديم الأيام، "لباسه أبيض كالثلج"، اللباس الأبيض يشير إلى الجلال والوقار والطهر، "وشعر رأسه كالصوف النقي"، وهذا يعني أنه الأزلي القديم الأيام، "وعرشه لهيب نار" والنار دائماً ترتبط بحضور الله، "وبكراته نار متقدة"، وهذا يرينا أن العرش كان كأنه مركبةٌ ملكيةٌ يحيطها ا د والجلال، وتكرار ذكر النار، يرينا أن حضور الله هنا كان للدينونة. وفي

[1] يعتقد المسيحيون بقدوم ظروفٍ مؤلمةٍ ستستمر سبع سنواتٍ، وتأتي بعد الاختطاف الإلهي لجميع المؤمنين بشخص وعمل المسيح وتسبق مجيئه الثاني، وهي بحد ذا ا إدانةٌ من الله لغير المؤمنين بالمسيح كلّهم.

المنظر نفسه رأى دانيال ألوف ألوف الملائكة تخدم الله، وربوات ربوات وقوف قُدامه، أي ملايين الملائكة وقوف قُدامه، فالسماء ممتلئةٌ بالحركة التي لا نستطيع تصورها، وبأعداد من الملائكة لا يمكن حصرها.

ومن المفيد قبل أن نترك هذا النص أن نقول: إن الوصف الذي سجله دانيال عن الله الآب القديم الأيام، يقارب الوصف الذي سجله يوحنا عن المسيح في سفر الرؤيا.

ملاحظة هامة:

إن الأسفار التي فُتِحت ورآها دانيال ليست هي الأسفار التي انفتحت ورآها يوحنا، فالأسفار التي رآها دانيال كانت أسفار هذه الحيوانات الحاكمة التي ذكرها في نبؤته، والحكم الذي صدر ونفذ اختص ا وحدها، أما الأسفار التي رآها يوحنا فقد فُتِحت بعد القيامة الثانية، وكانت أسفار أولئك الذين وقفوا أمام العرش العظيم الأبيض وقد انفتح معها سفر الحياة.

وفي الاعتقاد والتفسير المسيحي المعاصر لهذه الرؤيا، أن المنظر الذي رآه دانيال هو منظر الدينونة التي تمت في السماء، وهو منظر المحكمة الإلهية هناك، والحكم الذي أصدرته ونفذّته هذه المحكمة هو حكم القضاء على الحيوان الرابع الذي هلك جسمه ودفع لوقيد النار "وهو الحكم بـ ع السلطان عن الحيوانات الثلاثة الأولى". وهكذا نرى اية الإمبراطورية الرومانية كقوةٍ سياسيةٍ وعسكريةٍ.

وقد يرد على هذا التفسير سؤالٌ هو: إذا كانت هذه الحيوانات التي رآها دانيال في حلمه وتحدثَ عنها بإيجازٍ في هذا الإصحاح تشير إلى الإمبراطوريات المتتابعة في التاريخ..... الإمبراطورية البابلية، والإمبراطورية المادية الفارسية، والإمبراطورية اليونانية، والإمبراطورية الرومانية.....، وقد قضت كل إمبراطوريةٍ على سابقتها، فكيف بقت هذه الإمبراطوريات الثلاثُ بعد القضاء على الإمبراطورية الرابعة كما يسجل دانيال بكلماته "وأما باقي الحيوانات فـ ع عنهم سلطا م ولكن أعطوا طول حياة إلى زمان ووقت"؟ (دانيال ٧: ١٢).

والجواب على ذلك: أن الإمبراطورية الرومانية وهي آخر الإمبراطوريات العالمية المذكورة، والقرنُ الصغير أحد أباطر ا وهو الذي سيقوم بالدور الأخير في المأساة العالمية القادمة خلال الضيقة العظيمة، وقد تبنتِ الحضارات السابقة والمدنيات التي تميزت ا الإمبراطوريات التي سبقتها ومع انتهاء سلطان هذه الإمبراطوريات عسكرياً، إلاّ أن

حضار ا ومدنيتها وديانتها بقت إلى زمانٍ ووقت، والكلمات "أعطوا طول حياة إلى زمان ووقت" تعبر عن التخطيط الإلهي المحدد بوقتٍ معينٍ لكل هذه الإمبراطوريات.

ويستطرد دانيال فيقول "كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن الإنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه، فأعطى سلطاناً ومجد ملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض" (دانيال : ١٣ و ١٤).

هذه الرؤيا ترينا المسيح آتياً كالملك، ونحن نراه هنا "مثل ابن إنسان" وهو ليس مجرد إنسان، "فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة".

"وأما أنا دانيال فحزنت روحي في وسط جسمي، وأفزعتني رؤى رأسي، فاقتربت إلى واحدٍ من الوقوف وطلبت منه الحقيقة في كل هذا، وعرفني تفسير الأمور، هؤلاء الحيوانات العظيمة هي أربعة ملوك يقومون على الأرض، أما قديسو العلى فيأخذون المملكة ويمتلكون الملكة إلى الأبد وإلى أبد الآبدين؟ حينئذ رمت الحقيقة من جهة الحيوان الرابع الذي كان مخالفاً لكلها وهائلاً جداً وأسنانه من حديد وأظفاره من نحاس وقد أكل وسحق وداس الباقي برجليه. وعن القرون العشرة التي برأسه وعن الآخر الذي طلع فسقطت قدامه ثلاثة وهذا القرن له عيون وفم متكلم بعظائم ومنظره أشد من رفقائه. وكنت أنظر وإذا هذا القرن يحارب القديسين فغلبهم حتى جاء قديم الأيام وأعطى الدين لقديسي العلى وبلغ الوقت فامتلك القديسون المملكة. فقال هكذا. أما الحيوان الرابع فتكون مملكة رابعة على الأرض مخالفة لسائر الممالك فتأكل الأرض كلها وتدوسها وتسحقها. والقرون العشرة من هذه المملكة هي عشرة ملوك يقومون ويقوم بعدهم آخر وهو مخالف الأولين ويذل ثلاثة ملوك. ويتكلم بكلام ضد العلى ويبلي قديسي العلى ويظن أنه يغير الأوقات والسنة ويسلمون ليده إلى زمان وأزمنة ونصف زمان. فيجلس الدين وي عون عنه سلطانه ليفنوا ويبيدوا إلى المنتهى. والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء تعطى لشعب قديسي العلى. ملكوته ملكوت أبدي وجميع السلاطين إياه يعبدون ويطيعون. إلى هنا اية الأمر" (دانيال ٧: ١٥-٢٨).

طلب دانيالُ تفسير ما رأى، وكان ما رآه سبباً في حزن روحه وفزعه.

بشعور الحزن الذي غمر دانيال، والفزع الذي ملأ كيانه، اقترب إلى واحدٍ من الوقوف، ولم تذكر التفاسير المسيحيةُ حقيقة أو وصف "أحدِ الوقوف" هذا، وقد أخبره هذا الواحد وعرفه تفسير الأمور. وكان أول ما قال: "إن

الحيوانات العظيمة هي أربعةُ ملوك يقومون على الأرض"، أو بتعبيرٍ آخر أربعة ممالك فلا ملوك بغير ممالك، وإذا عدنا إلى الإصحاح الثاني لرأينا أن الممالك والملوك مترادفان، فالحيوانات الأربعة تشير إلى أربعة ممالك تقوم على الأرض، إحدى هذه الممالك هي المملكة البابلية التي كانت موجودة وقت أن رأى دانيال الحلم.

الحيوان الرابع والقرن الصغير

وهذا أهم ما يعنينا الوقوف عنده وشرح معناه الوارد في التفاسير المسيحية، وأهمية الحديث عنه نابعةٌ من زعم وادعاء أصحاب الفكر الرؤيوي أن المقصود به محمد ﷺ.

لقد كان أهم ما شغل دانيال معرفة حقيقية الحيوان الرابع الهائل، والقرون العشرة التي برأسه، والقرن الصغير المتكلم بعظائم، وقد راعه أن هذا القرن يحارب القديسين ويغلبهم. تكلم الواحد الذي اقترب منه دانيال فقال " أما الحيوان الرابع فتكون مملكةً رابعةً على الأرض مخالفةً لسائر الممالك، فتأكل الأرض كلها وتدوسها وتسحقها." (دانيال ٧: ٢٣) **هذه المملكة هي الإمبراطورية الرومانية** التي **كانت مخالفةً لسائر الممالك** في **قو ا العسكرية، وقوانينها الصارمة، والنبؤة تتحدث** في **هذا الإصحاح، عن هذه المملكة** في **صور ا النهائية** التي **ستكون عليها** في **الأيام الأخيرة،** التي **تسبق مباشرةً عودة المسيح. وتركز النبؤة حديثها** في **القرن الآخر الصغير الذي له عيونٌ وفم متكلّم بعظائم ومنظره أشد من رفقائه،** وتقول النبؤة: "وكنت أنظر وإذا هذا القرن يحارب القديسين فغلبهم" و ذا تربنا أن هذه الحرب ستستمر إلى أن يأتي المسيح ليملك في ملكه الألفي السعيد (دانيال ٧: ٢١- ٢٢)، ومن هنا يتضح أن هذه النبؤة ترتبط بأحداث الضيقة العظيمة.

يقول الواحد الذي عرف دانيالَ تفسير الأمور: "والقرون العشرة من هذه المملكة هي عشرة ملوك يقومون، ويقوم بعدهم آخر وهو مخالف الأولين، ويذلُ ثلاثة ملوك. ويتكلم بكلامٍ ضد العلي ويظن أنه يغير الأوقات والسنة ويسلمون ليده إلى زمان وأزمنة ونصف زمان" (دانيال ٧: ٢٤- ٢٥).

القرن الصغير

الملك الآخر المُسمى بالقرن الصغير سيظهر من بين أباطرة الإمبراطورية الرومانية، ونلاحظ في ظهوره ما يلي:

[١] يقوم قبله عشرة ملوكٍ من الإمبراطورية ذا ا، ويذلّ ثلاثةً منهم، ويتحدون معه عند ظهوره، والملوك برأسه؛ وهذا يعني أنه سيكون صاحب السلطة العليا عليهم، وهو القوة المفكرةُ الموجهةُ لهم، وهؤلاء الملوك العشرة يشار إليهم أيضاً

بأصابع التمثال [٢] يتكلم بكلام ضد العلي. [٣] يظن أنه يغير الأوقات والسنة. [٤] يسلم القديسون ليده إلى زمان وأزمنة ونصف زمان.

ويؤكد التفسير المسيحي القديم والمعاصر لهذا القرن الصغير على أنه هو نفسه الوحش الذي ذكر يوحنا أوصافه في سفر الرؤيا بالكلمات: "ثم وقفت على رمل البحر. فرأيت وحشاً طالعاً من البحر له سبعة رؤوسٍ وعشرةُ قرونٍ، وعلى قرونه عشرةُ تيجانٍ، وعلى رؤوسه اسم تجديف. والوحش الذي رأيته كان شبه نمر (الإمبراطورية اليونانية)، وقوائمه كقوائم دب (الإمبراطورية الفارسية)، وفمه كفم أسد (الإمبراطورية البابلية)" (رؤيا ١: ١- ٢).

ومن هذا الوصف يرى المفسرون المسيحيون أن الحاكم العالمي القادم، القرن الصغير، سيتبنى الفلسفة اليونانية، والقوة الباطشة الفارسية، والديانة البابلية، ديانة عبادة الإنسان. ويسترعي انتباههم أن الإمبراطوريات القديمة تذكر بترتيبٍ عكسي، فتبدأ باليونان وتنتهي ببابل، مما يؤكد لديهم أن فلسفة الإنسان ستطغى خلال حكم هذا الحاكم القادم وتلعب دوراً هاماً في تضليل الجماهير.

ويؤكد يوحنا في سفر الرؤيا أن هذا الحاكم سيصعد من الهاوية فيقول: "الوحش الصاعد من الهاوية" (رؤيا ١١: ٩) "الوحش الذي رأيت كان وليس الآن، وهو عتيد أن يصعد من الهاوية" (رؤيا ١٧: ٨). ويؤكد يوحنا كذلك أن هذا الوحش هو أحد أباطرةِ الرومان السابقين "الوحش الذي رأيت كان وليس الآن.. والوحش الذي كان وليس الآن فهو ثامن، وهو من السبعة ويمضي إلى الهلاك" (رؤيا ١٧" ٨- ١١).

وما قيل عن تجديف القرن الصغير ومحاربته الحاكم العالمي القادم ومحاربته للقديسين "وأُعطِي فماً يتكلم بعظائم وتجاديف.. ففتح فمه بالتجديف على الله ليجدف على اسمه وعلى مسكنه وعلى الساكنين في السماء. وأُعطِي أن يصنع حرباً مع القديسين ويغلبهم وأعطى سلطاناً على كل قبيلة ولسان وأمة. فسيسجد له جميع الساكنين على الأرض الذين أسماؤهم مكتوبة منذ تأسس العالم في سفر حياة الخروف الذي ذبح" (رؤيا ١٣: ٥- ٨). مملكة هذا الحاكم إذاً ستشمل العالم كله بكل قبائله، ولغاته، وأممه، وسيحاول هذا الحاكم أن يغير الأوقات والسنة، أي سيحاول تغيير الأسس التي عاش ا الناس، كما سيحاول تغيير ناموس الله الأزلي الذي أعطاه للناس، ولعل المعنى يفيد تغيير الأوقات التي حددها الله لإتمام مقاصده وخططه. وزمان سيادة هذا الحاكم القادم محددةٌ بدقّةٍ من الله، "ويسلمون ليده إلى زمان وأزمنة ونصف زمان" (دانيال ٧: ٢٥) "وأُعطي سلطاناً أن يفعل اثنين وأربعين شهراً" (رؤيا ١٣: ٥)، فمدةُ

حكم هذه الطاغية، حسب التفسير المسيحي، ستكون ثلاث سنين ونصف، خلالها يعلن نفسه إلهاً ويسجد له الساكنون على الأرض. وسيستمر هذا الحاكم في استبداده، وإيذائه وتقتيله، وإذلاله للقديسين إلى أن يأتي يسوع المسيح.

"فيجلس الدين وي عون عنه سلطانه..، والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت السماء تعطى لشعب قديسي العلي. ملكوته ملكوت أبدي وجميع السلاطين إياه يعبدون ويطيعون" (دانيال ٧: ٢٦- ٢٧). هنا نرى محكمة المسيح، وقد جلس هو على كرسي القضاء، وحكم لصالح القديسين "وأعطى الدين لقديسي العلى" (دانيال ٧: ٢٢).

وبالقضاء على الوحش، وببدء مملكة من نوع جديد تتميز بالعظمة والعدل والجلال، يختم دانيال الإصحاح بكلماته: "أما أنا دانيال، فأفكاري أفزعتني كثيراً وتغيرت على هيئتي وحفظت المر في قلبي".

كانت هذه خلاصة التفاسير التي اعتمد ا الكنائس الكاثوليكية والآرثوذكسيةُ والقبطية (الآرثوذكسية) في كتبها وعلى مواقعها وبوابا ا الإلكترونية. وهذه التفاسير متشا ةٌ، وبدرجةٍ كبيرةٍ، وتكاد تكون متطابقةً، وهي كذلك لا تختلف البتة عن تفاسير الكنيسة الكاثوليكية لهذه الرؤيا، والتي كانت سائدةً في العصور الوسطى.

ولكن المروع والمُقلق هو انتشار بعض التفسيرات الشاذّة لهذه الرؤيا، وهي تفسيرات أطلقها بعض أصحاب الفكر الرؤيوي الحاقدين على الإسلام والداعين لمحاربته آنذاك. وقد ربط هؤلاء في تفاسيرهم، وبشكلٍ ليس له أدنى دليلٍ معقولٍ أو منقولٍ، بين (المَلكِ الذي يقوم بعد الملوك العشرة ويخالف الأولين ويخضِع ثلاثةَ ملوكٍ) وبين (أتباع محمدٍ ذوي الدولة المترامية الأطراف التي سادت الإغريق والفرنجة والقوط)[(1)]!!! كما ربط أصحاب الفكر الرؤيوي هؤلاء ربطاً عجيباً آخر بين هذا المَلك، (الذي يتكلّم بكلامٍ ضد العلي ويبلي قديسي العلي ويظن أنه يغير الأوقاتِ والسنة) وبين رسول الله محمدٍ ﷺ، فقالوا بأنّ محمداً والقرآن أتيا ببدعة التاريخ الإسلامي (التاريخ الهجري). ويعلّق سوذرن على ذلك بقوله[(٢)]: "شرح ألفاروس هذه الفقرة الغامضة بأ ا تعني ثلاثة أوقاتٍ (أدوار) ونصف وقتٍ (دور)؛ وكل دورٍ يمتد سبعين سنةً. هكذا يستمر الإسلام خمساً وأربعين ومائتي سنة، ولأنه كان يكتب تأويله عام ٨٥٤م، وفي اعتقاده أن التاريخ الهجري بدأ عام ٦١٨م وليس عام ٦٢٢م؛ فقد اعتقد أن ابة العالم هي على وشك الحدوث. وكأنما أثمرت الظروف لتجعل اعتقاد الفاروس أقرب للتصديق؛ إذ توفّي أمير قرطبة عبد الرحمن الثالث عام ٨٥٣م،

---

(1) سوذرن، [م. س]، ص ٦٠.

(2) المرجع السابق، ص ٦١.

وخلفه على العرش محمد الأول "لعنة زماننا" واسم صاحب قرطبة المطابق لاسم نبي الإسلام ـ المجرم الأكبر في نظر ألفاروس ـ دفع أُناساً آخرين أكثر حذراً من المؤلف للتصديق باقتراب نهاية الأشياء".

ونستطيع في نهاية استعراضنا لمضمون الفصل السابع من رؤيا النبي دانيال، وبعد عرض آياته وشرحها بالكامل أن نسجلَ الملاحظات الهامة التالية:

أولاً: ليست هناك في رؤيا النبي دانيال ـ حسب التفسير المسيحي المعتمد ـ أيةُ إشارةٍ تتعلّق بالرسول محمدٍ ﷺ أو بظهور دولة الإسلام لا من قريبٍ ولا من بعيدٍ.

ثانياً: إنّ التفسير المسيحي القديم والمعاصر الذي تعتمده الكنيسة الغربيةُ لمعنى الملك المُسمى (القرن الصغير) الوارد في رؤيا دانيال أنه رجلٌ سيظهر من بين أباطرة الإمبراطورية الرومانية، كما تؤكد هذه التفاسير نفسها على أنّ الحيوان الرابع الذي لم يسمه دانيال في هذه الرؤيا إنما هو المملكةُ الرومانية، كما تؤكد هذه التفاسير عينها أنّ القرن الصغير، السابق ذكره، هو عينه الوحش الذي ذكره يوحنا في رؤياه بكل أوصافه، وسماه الوحش الطّالع من البحر، والذي على رؤوسه اسم تجديف، وليست هناك إيةُ إشارة في هذه المصادر يفهم منها أنه رسولُ الله محمد ﷺ. وقد اختار بعض مفسريهم القول بأن المقصود به إشارةٌ للهرطقات التي تنكر ألوهية المسيح.

ثالثاً: ينصرف التفسير الكنسي لهذه الرؤيا بكاملها على أنها تسودها من أولها إلى آخرها فكرة انتظار ملكوت الله، مع أنّ هذه الفكرة، كما ذكرت مقدمة السفر، لم يعبر عنها بوضوحٍ إلاّ نادراً.

رابعاً: تؤكد مقدمة سفر دانيال على أنّ الرؤى المنسوبة إلى دانيال في الفصول ٧ – ١٢ هي أغنى بالرموز من أحلام ملوك بابل، لكن الموضوع العام لم يتغير؛ فهو دائماً إعلانُ سيادة الله على التاريخ. غير أنّ النطاق التاريخي يتسع. فلا ذكر لمصير دانيال الفردي، بل لمصير إسرائيل بأجمعه والمدينة المقدسة وهيكلها.

خامساً: تذهب بعض التفاسير المسيحية إلى أبعد من ذلك وتقول[1]: إن هذا السفر تنبأ بنبوءاتٍ تفصيليةٍ ودقيقةٍ عن السيد المسيح؛ فقد تنبأ عن تأسيس ملكوته "ملكوت السموات" وتكلّم عن كونه ملك الملوك ورب الأرباب الآتي على سحاب السماء لتتعبد له كل الخليقة، ومنه أخذَ لقب ابن الإنسان، اللقب الذي كان محبباً إلى قلب

[1] أبو الخير، عبد المسيح بسيط، إعجاز الوحي والنبوءة في سفر دانيال، المقدمة، ط١، ١٩٩٥، مطبعة المصريين، مصر.

المسيح. كما حدد سنة مجيئة بتفصيلٍ دقيقٍ. وهو السفر الوحيد في العهد القديم الذي تنبأ بنبؤاتٍ تفصيليةٍ دقيقةٍ عن ملوكٍ وممالك حدد بعضها بالاسم مثل الفرس واليونان، الذين كانت أحوالهم أبعد ما تكون عما تنبأ به دانيال النبي، كما تذهب هذه التفاسير كذلك إلى القول بأن المسيح نفسه شهد لهذا السفر وأشار إلى حتمية تحقيق نبؤته عن دمار أورشليم و اية العالم، كما استخدم المسيح نفسه صور السفر، وتشبيهاته الأخروية والمسيانية.

سادساً: لقد رأينا في ا**لبحث السابق كيف كذب الرؤيويون** في **العصور الوسطى عندما** سم**حوا لأنفسهم بالربط الكاذب** بين **نبؤة حزقيال وبين سيدنا** محم**دٍ** ﷺ **وظهور الدولة الإسلامية، وها** نحن **نراهم يكذبون مرةً أخرى ويربطون ربطاً كاذباً شاذاً** بين **نبؤة دانيال** في **فصلها السابع وبين سيدنا** محم**دٍ** ﷺ **وظهور الدولة الإسلامية الفتية** في **الأندلس آنذاك.**

المبحث الرابع

رؤيا يوحنا اللاهوتي[١]

يوحنا اسم عبري معناه "الله حنان" أو "الله يتحنن"، ويلقب بالرسول والإنجيلي والرائي، ويلقب كذلك بالحبيب، لاتكائه على صدر المسيح دون غيره من التلاميذ.

وِلد يوحنا في مدينةٍ على شاطئ بحيرة طبرية يقالُ أنها بيت صيدا مدينة القِديسين بطرس وأندراوس، وكان أبوه زبدي صياداً عنده سفينة وأُجراءُ، وكانت أمه سالومي واحدةً من النساء القديسات اللواتي تبعن المسيح وساعدنه بأموالهن وكن يخدمنه، وكان أخوه يعقوب بن زبدي (يعقوب الكبير) صديقاً حميماً للمسيح، وقد عمل يوحنا وأخوه يعقوب مع أبيهما زبدي في صيد السمك، ويقال أنهما كانا شريكَي سمعان بطرس.

تتلمذ يوحنا الحبيب أولاً على يد يوحنا المعمدان قبل أن يتتلمذ على يد المسيح، تعلّم في مدارس المدراش التي يلتحق بها أولاد الأشراف. وكان من تقاليد العائلات في ذلك الزمان أن يتعلم أولادها حرفةً ما، فاختار يوحنا حرفة صيد السمك. وكان قد بلغ الخامسة والعشرين من العمر عندما اختاره المسيح ليكون أحد تلاميذه، وكان حينها أصغر الإثني عشر رسولاً سناً.

أُلقي القبض عليه لقيامه بنشر الديانة المسيحية في فترة حكم الإمبراطور الروماني دوميتان (٨١ – ٩٦م)، وأُرسلَ مقّيداً إلى روما. ثم عاد الإمبراطور وأمر بنفيه إلى جزيرة "بطمس"، وهي إحدى جزر بحر "إيجه"، وتقع إلى الجنوب الغربي من مدينة أفسس، وتعرف الآن باسم "باتوما" أو "بالموسا" وما زال بالجزيرة، بعض معالم أثريةٍ عن سكنى القديس يوحنا بها. وقد مكثَ بالجزيرة حوالي سنةٍ ونصف، كتب أثناءها رؤياه حوالي سنة ٩٥م. ثم أُفرِج عنه في زمن الإمبراطور نرفا (٩٦ -٩٨م) الذي خلف دومتيان، حيث أصدر مجلس الشيوخ الروماني قراراً بعودة جميع المنفيين إلى أوطانهم. وبالإفراج عنه عاد إلى أفسس ليمارس نشاطه في الدعوة إلى المسيحية.

---

(١) انظر:

أ. تفاسير وشروحات الكتاب المقدس: التفسير الكامل لسفر يوحنا/ الفصل الثالث عشر.

ب. مقدمة سفر يوحنا في الكتاب المقدس نسخة المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٠ بيروت.

ج. قاموس الكتاب المقدس [م. س].

د. تفسير القمص انطونيوس فكري للكتاب المقدس [م. س] تفسير سفر يوحنا.

كتب يوحنا إنجيلاً ورؤيا وثلاثَ رسائل تحملُ اسمه، وقد ظل حياً حتى عصر الإمبراطور تراجان، ومات حوالي سنة مائة للميلاد ودفِن في مدينة أفسس.

تعتبر رؤيا يوحنا السفر الأخير من العهد الجديد. ويتضمن هذا السفر، حسب تعبير كاتبه، (إعلان يسوع المسيح الذي أعطاه إياه الله ليرى عبيده ما لابد أن يكون عن قريب). وقد أرسل المسيح هذا الإعلانَ لعبده يوحنا بيد ملاكه لينقُلَه هو بدوره إلى الكنيسة ويشهد بكل ما رآه. وقد وجه الحديثَ إلى سبع كنائس في آسيا، والغايةُ الرئيسية من هذا السفر هي تعزيةُ الكنيسة وتحذيرها وسطَ صراع العالم، وإعدادها للمجيء الثاني للمسيح.

أقسام سفر يوحنا

إذا قمنا باستثناء المقدمة والتحية فإننا نلحظُ وبكل وضوحٍ أنّ هذا السفر يشتملُ على سبعِ رؤى متسلسلةٍ على النحو التالي:

١. رؤيا المسيح المُمجدِ وسط كنيسته، ويتبعها سبع رسائلَ إلى الكنائس السبع التي في آسيا، والغاية من هذه الرسائل تعليم الكنيسة في حالتها الحاضرة وتحذيرها وتشجيعها.

٢. رؤيا الله يسيطر على مصير الأرض، ورؤيا حمل الله بيده السفر المختوم بسبعة ختوم والمتضمن الأوامر الإلهية، ويتبع ذلك فتح الختوم في سبع رؤى تعلن قصد الله من خروج المسيح ليغلب إلى يوم الدينونة العظيمة. وبين الختم السادس والختم السابع نجد رؤيا تبين سلامة شعب الله وسط الضيقة العظيمة التي تحل بالعالم.

٣. رؤيا السبعة ملائكة الذين أُعطوا سبعة أبواقٍ. وتبدأ هذه برؤيا ملاكٍ يقدم لله صلوات القديسين ويتبع كل بوق رؤيا خرابٍ يحِل بالعالم الشرير، وينتهي الكل بالدينونة الأخيرة. وبين البوق السادس والبوق السابع تتوسط رؤيا أخرى تعلن حفظ الكنيسة الشاهدة.

٤. رؤيا الكنيسة ترمز إليها بامرأةٍ تلد المسيح ويشهر عليها التنين (أي الشيطان) حرباً، ويتبع ذلك رؤيا الوحشين اللذين سيخدمهما الشيطانُ لمعاونته، ورؤيا الكنيسة ا اهدة ورؤيا الخطوات المضطردة لنصرة المسيح.

٥. رؤيا الجامات المحتوية الضربات الأخيرة، وتمثلُ الرؤيا الأولى نصرةَ القديسين، أما الجامات السبعة فتمثّلُ ضربات الله السبع على العالم الشرير.

٦. رؤيا المدينة الزانية، (بابل) ويتبعها نصرة المسيح عليها وعلى أعدائه المتحالفين معها، وتختم أيضاً بالدينونة الأخيرة.

٧. رؤيا الكنيسة المثالية، عروس المسيح، أو أورشليم الجديدة ويتبعها وصف لأمجادها.

والذي يعنينا في دراستنا هذه هو الفصل الثالث عشر فقط من هذه الرؤيا، والذي أكد أصحاب الفكر الرؤيوي انطباق أوصاف الوحش الواردة فيه على رسول الله محمدٍ ﷺ. وسنعرض لهذا الفصل تالياً بكامل آياته، ومجموعها ثماني عشرة آية.

رؤيا القديس يوحنا / الفصل الثالث عشر

(١) ورأيت وحشا خارِجا مِن البحرِ، لَه سبعةُ رؤوسٍ وعشرةُ قُرونٍ، على قُرونِهِ عشرةُ تيجانٍ، وعلى رؤوسِهِ أسماءُ التجديفِ. (٢) وهذا الوحش الذي رأيته كانَ يشبِه النمِر، ولَه قَوائِم كقَوائِمِ الدب وفَم كفَمِ الأسدِ. فأعطاه التنين قُدرته وعرشه وسلطانا واسِعا. (٣) وظهر أحد رؤوسِ الوحشِ كأنه مجروح حتى المَوتِ فشفِي مِن جرحِهِ المُميتِ، فتعجبتِ الأرض كُلها وسارت وراءَ الوحشِ. (٤) وسجد الناس ِللتنينِ لأنه أعطى الوحش سلطانه، وسجدوا ِللوحشِ وقالوا: «من مِثلُ الوحشِ؟ ومن يقدِر أنْ يحارِبه (٥) وأُعطِي الوحش فَما ينطِق ِبكلامِ الكِبرياءِ والتجديفِ، وأُعطِي سلطانا أنْ يعملَ مدةَ اثنينِ وأربعين شهرا. (٦) فأخذَ يجدف على الله، فجدف على اسمِهِ ومقامِهِ وعلى الساكِنين في السماءِ. (٧) وأُعطِي القُدرةَ على أنْ يحارِب القِديسين ويغلِبهم، كما أُعطِي سلطانا على كُل قَبيلَةٍ وشعبٍ ولسانٍ وأُمةٍ، (٨) فيسجد لَه سكانُ الأرضِ كُلهم، أولَئِك الذين أسماؤهم غَير مكتوبةٍ منذُ بدءِ العالَمِ في كِتابِ الحياةِ، كِتابِ الحَمل الذبيحِ. (٩) من كانَ لَه أُذنانِ فليسمع (١٠) من كُتِب علَيهِ أنْ يساق إلى الأسرِ، فإلى الأسرِ يساق، ومن كُتِب علَيهِ أنْ يقتلَ ِبالسيفِ، فِبالسيفِ يقتلُ. هنا صبر القِديسين وإيمانهم. (١١) ثُم رأيت وحشا آخر خارِجا مِن الأرضِ، ولَه قَرنانِ كقَرني الخَروفِ، ولكِنه ينطِق مِثلَ التنينِ. (١٢) فمارس كُلَ سلطَةِ الوحشِ الأول ِبمحضرٍ مِنه، فحملَ الأرض وسكانها على السجودِ ِللوحشِ الأول الذي شفِي مِن جرحِهِ المُميتِ، (١٣) وصنع معجِزاتٍ عظيمةً حتى إنه أنزلَ على الأرضِ نارا مِن السماءِ ِبمشهدٍ مِن الناسِ، (١٤) وخدع سكانَ الأرضِ ِبهذِهِ المُعجِزاتِ التي نالَ القُدرةَ على أنْ يصنعها ِبمشهدٍ مِن الوحشِ الأول. وأمر سكانَ الأرضِ بأنْ يصنعوا صورةً ِللوحشِ الذي جرحه السيف ومع ذِلك عاش (١٥) ونالَ القُدرةَ على أنْ ينفُخ في صورةِ الوحشِ روحا حتى تتكلم، وأنْ يقتلَ جميع الذين لا يسجدونَ ِلصورةِ الوحشِ، (١٦) وأنْ يحمِلَ جميع الناسِ، صِغارا وكِبارا، أغنياءَ وفُقَراءَ، عبيدا وأحرارا، على أنْ يضعوا سِمةً على يدِهِم اليمنى أو جبهتهم، (١٧) فلا يقدِر أحد أنْ يشتري أو يبيع إلاّ إذا كانَ علَيهِ سِمةِ

بأسمِ الوحشِ أو بِعددِ أسمِهِ. (١٨) **وهنا لا بد مِن الحِكمةِ: من كانَ ذكِيا فليحسب عدد أسمِ الوحش. هو عدد أسمِ إنسانٍ وعدده سِتمئةٍ وسِتةٍ وسِتونَ.**

بعد القراءة الهادئة المتأنية لهذا السفر المليء بالصور والتشبيهات الصعبة، والرموز ذات المدلولات والمعاني الخفية، وبعد الاستعانة بالعديد من التفاسير المسيحية[1]، فإنه من الممكن تقديم تفسيرٍ لهذه الرؤيا على النحو التالي:

آية (١) "ثم وقفت على رمل البحر فرأيت وحشاً طالعاً من البحر له سبعة رؤوسٍ وعشرة قرونٍ، وعلى قرونه عشرةُ تيجانٍ وعلى رؤوسه اسم تجديف".

إنّ هذا الوحش له نفس مواصفات التنين المذكورة في (سفر الرؤيا ١٢: ٣). والتنين هو الشيطان؛ بمعنى أن الشيطان أعطى كل قُوتِهِ لهذا الوحش، وهذا ما سيتضح من الآية الثانية. ولكن هناك اختلافاً في عدد التيجان. ففي (سفر الرؤيا ١٢: ٣) كان على رؤوسه سبعةُ تيجانٍ وهنا نجد على قرونه عشرةُ تيجانٍ. والسبب أنه في (سفر الرؤيا ١٢: ٣) كان يتكلم عن حرب إبليس ضد الكنيسة عبر العصور، مستخدماً في ذلك سبع ممالك عظيمةٍ مثل بابل والدولة الرومانية. أما هنا فنرى أن الوحش له سبعة رؤوس دون ذكر تيجانٍ، وهذا يعنى غالباً أن القوى العالمية كلّها ستؤيده، وهذا معنى رقم (٧). وأما القرون العشرة فهم عشرةُ ملوك سيظهرون في فترة ظهور الوحش. وهؤلاء الملوك سيعطون قو م أو سيكونون بقو م العسكرية تابعين للوحش. والقوة شبهها بقرنٍ والملوك العشرةُ رمزهم عشرة تيجان، وهؤلاء الملوك العشرةُ لن يكتفوا بالتأييد بل سيعطون الوحش كلّ قو م.

على رؤوسه اسم تجديف[٢] فهو لا يفكر سوى في التجديف على المسيح وإنكار لاهوته، والرأس هنا يشير للفكر؛ فهذا الوحش يخترع التجديف ضد المسيح، بوصفه إلهاً حسب الاعتقاد والتفسير المسيحي.

---

[1] انظر:

أ. تفسير القمص أنطونيوس فكري والقمص تادرس يعقوب ملطي كما هو منشور في موقع الكنيسة العربية الإلكتروني: www.arabchurch.com

ب. تفسير موقع كلمة الحياة www.kalematalhayat.com

[2] التجديف: كلمة يقصد ا في الكتاب المقدس كلام غير لائق في شأن الله، وفي شريعة موسى، كان عقاب التجديف الرجم وقد اتهم ا نابوت أليزرعيلـي زوراً واستفانوس ويسوع المسيح نفسه، ومن أنواع التجديف على الروح القدس الطعن في معجزات المسيح.

آية (٢) "والوحش الذي رأيته كان شبه نمرٍ وقوائمه كقوائم دبٍّ وفمه كفم أسدٍ وأعطاه التنين قدرته وعرشه وسلطاناً عظيماً"

شبه نمر: مواصفات هذا الوحش هي أنه نمر أُرقطُ، أي به بقع سوداء. وهذا الوحش مشوه بالرذائل، سريع الحركة كالنمر في اضطهاده للكنيسة. بلا حنان ولا رحمة. **قوائمه كقوائم دب:** إشارةٌ لعنفه في حربه ضد الكنيسة. **فمه كفم أسد:** إشارةٌ لكونه مفترساً. **والتنين أعطاه قدرته وعرشه:** الشيطان سكن في هذا الوحش ليضِل به العالم، وأعطاه كل قوته وسلطانه بعد أن أُطْلِق من سجنه، وسيستخدم الشيطان كل قوته وخداعاته ليضل الناس. **وعرشه:** إشارة إلى أنّ الشيطان يكون بمثابة رئيس العالم، ويفْهم من هذا أن وحش البحر سيكون له سلطانٌ على العالم أي أنه زعيم عالمي، وهو سيمارس كل أنواع الاضطهاد ضد الكنيسة وبوحشيةٍ ليسقط أكبر عددٍ ممكنٍ في عبادته تاركين المسيح، فيهلكوا معه في بحيرة النار. ويلاحظُ هنا أن وحشية هذا الوحش اجتمع فيها وحشية النمر والدب والأسد كلّهم.

آية (٣) "ورأيت واحداً من رؤوسه كأنه مذبوح للموت وجرحه المميت قد شفي وتعجبت كلُ الأرض وراء الوحش"

ورأيت واحداً من رؤوسه **كأنه مذبوح للموت:** هذه إشارةٌ إلى إحدى القوى السياسية أو العالمية التي قد انحدرت، ربما بسبب حربٍ أو أزمةٍ اقتصاديةٍ، ثم يساندها الوحش، مما يثير إعجاب العالم وراءه، معجبين بقوته، ويرون هذا كأنه معجزة. وقد يفهم من ذلك أن أحد الملوك الذين يتبعونه يجرح جرحاً شديداً ثم يشفى بقوةٍ غريبةٍ فيدهش الناس، وهو بهذا يحاول أن يقلد المسيح.

آية (٤) "وسجدوا للتنين الذي أعطى السلطانَ للوحش وسجدوا للوحش قائلين من هو مثل الوحش من يستطيع أن يحاربه"

يعتقد المسيحيون أنّ هذه العبارة يعجب بها إبليس ومن يتبعه من مثل الوحش، وأنها العبارة التي أسقطت إبليس قديماً حينما قال أصير مثلَ العلي، وقال الملاك ميخائيل من مثل الله؟ وبهذه الحيلة أسقط إبليس آدم وحواء إذ قال لهما إنْ أكلتما تكونان كالله.

آية (٥) "وأعطي فما يتكلم بعظائم وتجاديف وأعطي سلطاناً أن يفعل اثنين وأربعين شهراً"

الشيطان أعطى للوحش أن يجدف على الله اثنين وأربعين شهراً، وهي مدةُ دوس الأمم لأورشليم. وقد يعني هذا إهانةَ المقدسات المسيحية، وربما كان هذا ما قصده دانيال حين قال: "وتقوم منه أذرع وتنجس المقدس الحصين". وهذا ما أشار إليه المسيح في نبوته (متى ٢٤: ١٥)، "فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمةً في المكان المقدس، [ليفهم القارئ]، فحينئذٍ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال". وربما يكون المقصود بهذا أن ضد المسيح (المسيح الدجال) يفرض سيطرته على الكنائس، وهو نفس الرجس المخرب الكنائس، وتكون هذه علامةً على هروب المرأة للبرية لكي يعولها الله إلى ١٢٦٠ يوماً، مدةَ دوس الأمم لأورشليم.

آية (٦) "ففتح فمه بالتجديف على الله ليجدف على اسمه وعلى مسكنه وعلى الساكنين في السماء"

ليجدف على اسمه: حينما سأل موسى اللهَ عن اسمه، أجابه بأنه يهوه، حسبما ورد في العهد القديم. وهذا يعني "أنا هو" والمسيح دائماً كان يقول عن نفسه: أنا هو. مثلاً أنا هو النور ... أنا هو الطريق والحق والحياة. وحين قال لمن أتوا ليقبضوا عليه في بستان جثسيماني "أنا هو"، فإنه كان بهذا يعلن لاهوته وأنه يهوه العظيم. وبهذا يفَهم أن ضد المسيح حين يجدف على "اسمه" فإنه بهذا يجدف على المسيح.

وعلى مسكنه: أي على الكنيسة التي قد يحتلها وينجسها. **وعلى الساكنين في السماء:** أي الملائكة والقديسين.

آية (٧) "وأعطي أن يصنع حرباً مع القديسين ويغلبهم وأعطي سلطاناً على كل قبيلةٍ ولسانٍ وأمةٍ".

يغلبهم يقصد بذلك أنه سيغلبهم جسدياً فقط وأنه يضطهدهم ويقتلهم، بل سيتعقبهم في كلّ بلدٍ وكلّ أمةٍ. هو سيغلبهم جسدياً، ولكنهم سيغلبونه روحياً.

آية (٨) "فسيسجد له جميع الساكنين على الأرض الذين ليست أسماؤهم مكتوبةً منذ تأسيس العالم في سفر حياة الخروف الذي ذبح"

سيسجد له المخدوعون فقط أما المؤمنون فلن ينخدعوا به. ولن يحبوا حيا م حتى الموت. ويعتقد المسيحيونُ أنّ أسماءهم تكتب في سفر حياة الخروف يوم المعمودية.

آية (٩) "من له أذنٌ فليسمع"

من له أُذنٌ فليسمع. لها معنيان:

الأول: هذا تحذير للمؤمنين حتى لا يتبعوا الوحش مهما هدد حيا م.

الثاني: هناك أخبار مؤلمةٌ ولكن المؤمن حقّاً يسمع كلمات الرب ووعوده، وأن فترة الآلام مؤقتةٌ، وأن من يصبر إلى المنتهى فسوف ينال الخلاص.

آية (١٠) "إن كان أحد يجمع سبياً فإلى السبي يذهب، وإن كان أحد يقتلُ بالسيف فينبغي أن يقتلَ بالسيف، هنا صبر القديسين وإيما م"

على القديسين أنّ يؤمنوا أن اية هذا الوحش مؤلمةٌ، فمن يقْتل فلا بد أن يقْتل، ومن يقود للسبي فإنه سوف يسبى.

آية (١١، ١٢) "ثم رأيت وحشاً آخر طالعاً من الأرض، وكان له قرنان كشبه خروف، وكان يتكلم كتنين، ويعملُ بكل سلطان الوحش الأول أمامه، ويجعلُ الأرض والساكنين فيها يسجدون للوحش الأول الذي شفِي جرحه المميت".

هذا الوحش أسماه الكتاب المقدس "النبي الكذاب"، وقد ورد ذكره في سفر الرؤيا في الفصول ١٦، ١٩، ٢٠ وقد سبق لنا أن تحدثنا عن الأنبياء الكذبة في مبحثٍ سابقٍ.

شبه خروف: يحاول أن يتظاهر بالوداعة مقّلداً السيد المسيح. **لكنه يتكلم كتنين:** أي بخبثٍ ومكرٍ واقتدار.

وكان له قرنان: القرن علامةُ القوة. والقرنان هما:

١. له كل سلطان الوحش، أي أنه يضرب من يقاومه بقوةٍ ووحشيةٍ.

٢. هو قادر على عمل معجزاتٍ وآياتٍ خادعةٍ لإثبات كلامه.

وهذا النبي الكذّاب يعمل لحسابٍ ضد المسيح (المسيح الدجال) وبسلطانه، ويستحثُ الناس للإيمان به وللسجود للوحش الأول.

آيات (١٣ – ١٥) "ويصنع آياتٍ عظيمةً، حتى أنه يجعل ناراً تنزل من السماء على الأرض قُدام الناس. ويضِل الساكنين على الأرض بالآيات التي أُعطِي أن يصنعها أمام الوحش، قائلاً للساكنين على الأرض أن يصنعوا صورةً للوحش الذي كان به جرح السيف وعاش، وأُعطِي أن يعطي روحاً لصورةِ الوحش حتى تتكلم صورة الوحش ويجعلَ جميع الذين لا يسجدون لصورة الوحش يقتلون".

فهو قادر، بقوة الشيطان، أن يعمل آياتٍ بالسحر، فُينزلُ ناراً من السماء، ويجعلُ صورةَ الوحش تتكلّم.

آيات (١٦، ١٧) "ويجعلُ الجميع، الصغار والكبار والأغنياء والفقراء والأحرار والعبيد تصنع لهم سمةٌ على يدهم اليمنى أو على جبهتهم، وأن لا يقدر أحد أن يشتري أو يبيع إلاّ من له السمةُ أو اسم الوحش أو عدد اسمه".

اليد اليمنى رمز للعمل. والجبهة رمز للتفكير. أي أن من سيكون لهم السمةُ على يدهم اليمنى وعلى جبهتهم، سيكونون بنشاطهم وعملهم وخدمتهم (اليد). وبتفكيرهم وولائهم وإيمانهم (الجبهة) في خدمة ضد المسيح (المسيح الدجال). ويعتقد المسيحيون أنّ سمة أولاد الله هي ختم الروح القدس. أما سمة أولاد الشيطان فهي علامةُ أو اسم الوحش أو عدد اسمه. والنبي الكّذاب هو الذي سيعمل هذه السمةَ، ويجعل الناس يضعونها على جباههم وأيديهم، ولا يستطيع من ليس له هذه السمة أن يشتري أو يبيع أو يقضي مصالحه. وهذا يظهر لنا صعوبة هذه الأيام، لذلك قال عنها دانيال النبي "يكون زمانُ ضيقٍ لم يكن منذ كانت أمةٌ إلى ذلك الوقت".

وقبل الشروع في الحديث عن تفسير وشرح الآية الثامنة عشرة من هذا الإصحاح، فإنّ من المفيد والهام جداً التنبيه على خطورة أمرٍ قام به أصحاب الفكر الرؤيوي في العصر الوسيط ومن سار على نهجهم في وقتنا الحاضر؛ حيث قام هؤلاء باستغلال تفسير هذه الآية، واستغلال كيفية التعامل مع الحسابات التي وردت فيها، أو بالأصح

تلاعبهم بكيفية حساب أرقام الأسماء. ولكي نتجنب أي اتهامٍ بالتلاعب أو الاجتزاء أو عدم الحياد والموضوعية فقد ارتأينا ذكر التفسير المسيحي لهذه الآية بنصه الحرفي كاملاً[1].

آية (١٨) "هنا الحكمة، من له فَهم فليحسب عدد الوحش، فإنه عدد إنسانٍ وعدده ست مئةٍ وستةٌ وستون".

والتفسير المسيحي الحرفي لهذه الآية هو: "كانت الحروف الأبجديةُ لها دلالات رقميةٌ قبل اختراع الأرقام، وكان ذلك في اللغات اليونانية والرومانية والقبطية والعبرية، وكان الحرف يميز عن الرقم بوضع شرطةٍ فوقه فيصير رقماً مثال:

30 = l/ 5=e/ 4=d/ 3=g/ 2= b/ 1=a/

وكان كل إنسانٍ يقوم بحساب رقم اسمه. ولنأخذ مثالا عن إنسانٍ اسمه عادل، وهكذا يكتب اسمه بالقبطية adel فيكون رقم إسمه 40=30+5+4+1=l/+e/+d/+a/

والله يعطينا هنا دليلاً لاكتشاف شخص الوحش أو ضد المسيح. وذلك بأن نكتب اسمه باليونانية ونحسب أرقامه فسيكون عدد اسمه ٦٦٦.

ورقم ٦ هو رقم الإنسان الناقص، فالإنسان مخلوق في اليوم السادس، ولكن الإنسان بقوة الله الواحد (ورقم ١ يشير لله) يصبح كاملاً لذلك حسِب رقم ٧ = ٦ + ١ وهو رقم الكمال. أما رقم ٨ فيشير للأبدية، أي بعد أن ينتهي أسبوع هذا العالم (أي سبعة أيام الخليقة) يبدأ يوم الأبدية الثامن الذي لن ينتهي، لذلك قام المسيح في يوم الأحد وهو اليوم الثامن، لأن الأسبوع اليهودي ينتهي باليوم السابع أي يوم السبت. مبتدئاً أسبوعاً جديداً أي حياةً جديدةً في الأبدية.

وحينما نحسب اسم يسوع نجده ٨٨٨، أي هو الحياة الأبدية وكمال الحياة.

ونعود لرقم ٦٦٦ فهو كمالُ النقص والشر أو الشر مجسماً. فحينما يأتي الرقم ثلاثياً يكون تجسيماً للشيء ورقم ٦ = ٧ – ١، أي هو رقم نقص، فهو أقل من رقم الكمال.

---

[1] انظر

أ. تفسير القمص أنطونيوس فكري والقمص تادرس يعقوب ملطي لهذه الآية كما هو منشور على موقع الكنيسة العربية الإلكتروني .www.arabchurch.com

ب. تفسير موقع كلمة الحياة www.kalematalhayat.com.

هناك عدد من الأشخاص عبر التاريخ كان عدد اسمهم ٦٦٦. وليس معنى هذا أن كلاً منهم هو ضد المسيح (الوحش) بل حينما يظهر هذا الشخص (الوحش) سيكون لنا عدد اسمه ٦٦٦ علامةً مميزةً نميزه ا ...، والحكمة هنا أنّ الدارس للكتاب المقدس سيعرف العلامات التي تميز هذا الوحش ولن يسير وراءه أو ينخدع به فإنه عدد إنسانٍ، حيث أنّ الوحش سيكون إنساناً عادياً وليس قوةً معنويةً، أي دولةً أو قوةً اقتصاديةً، بل هو إنسان وله اسم. وعموماً فإنّ كلمة "أنا أدحض" باليونانية مجموعها ٦٦٦، فضد المسيح سيأتي ناكراً وداحضاً للإيمان بالمسيح منصباً نفسه إلهاً، والوحش هو ضد المسيح ANTICHRIST"[١]

إننا ولو فرضنا صحة طريقة حساب الأسماء الواردة في هذه الآية فإ ا لن تنطبق على رسول الله ﷺ بحالٍ من الأحوال؛ فهو عليه الصلاة والسلام كان قد توفّي في عام ٦٣٢م، فقام هؤلاء الرؤيويون المزورون دون أدنى موضوعيةٍ أو أخلاقٍ أو أمانةٍ علميةٍ بنشر الإشاعات والتزييفات التي تفيد بأنّ محمداً نبي الإسلام قد مات في عام ٦٦٦ للميلاد حتى ينطبق هذا الرقم على عدد الوحش السالف ذكره!!!.

مما لا شك فيه أنّ عمل هؤلاء الرؤيويين يثبت مدى إفلاسهم، ويدل على سذاجة وسطحية تفكيرهم؛ فهم قد حاولوا ربط أوصاف الرسول محمد ﷺ بأوصاف الأنبياء الكذَبة تارةً، وحاولوا ربطها بأوصاف عدو المسيح (المسيح الدجال) تارةً أخرى، ثم ربطوها بأوصاف الوحش السابق ذكره في الإصحاح السابق تارةً ثالثةً، كل تلك المحاولات كانت لجعل الناس في الغرب يكرهونه ويعرِضون عن رسالته ودينه. ولمّا فَشِلت كل محاولا م السابقة حاولوا اللجوء إلى ربط سنة وفاته بالعام ٦٦٦ للميلاد، وقد استعانوا في ذلك بتزوير وقلب الحقائق والوقائع التاريخية. وقد أجهدوا أنفسهم تمام الإجهاد في البحث عن شخصٍ يسقطون عليه هذه الأوصاف أو بعضاً منها في محاولةٍ منهم لإثبات صدقيتها وواقعيتها، مع أنها كلّها تندرج تحت مسمى النثر القصصي الرمزي.

وخلاصةُ القول في هذه الرؤيا كلها يمكن أن يستنتج من مقدمتها الموجودة في الكتاب المقدس نفسه؛ فهي وبكامل تفاصيلها تحكي عن المسيح الآتي في ماية الزمان ليقيم المملكة الألفية، ويحكم فيها بالعدالة المطلقة. نعم، هذه هي الأحلام التي كانت تراود القديس يوحنا، خصوصاً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أنه كتب هذه الرؤيا كرد فعلٍ على النفي والاضطهاد الذي كان يعيشه في ظل الحاكم الروماني الجائر آنذاك.

---

[١] المرجع السابق نفسه.

وهذا الكلام تدعمه وتؤكد صحته مقدمة هذه الرؤيا المدونة في الكتاب المقدس، والتي جاء فيها[(١)]: "كتب يوحنا رؤياه في أيامٍ اشتد فيها اضطهاد السلطة الرومانية للكنيسة، رؤسائها وأبنائها، فارأد أن يشدد عزائمهم ويثبت إيما م بالسيد المسيح ابن الإنسان وابن الله، والملك الأعظم الذي في يده مصير الناس، يسوع هو الحَملُ الذي تلقّى من أبيه كتاباً فيه قضاء العدل الإلهي على المضطهدين، أما المؤمنون بالله فإ م ينجون من المحن والهلاك حتى يأتي يوم ينالون فيه الظفر والغلبة في السماء. على أن الله عز وجلّ لا يريد هلاك الخاطئين، بل خلاصهم، ولذلك يـ ـلُ م النوازلَ لكي ينذرهم، كما أنذر فرعون والمصريين، لكن هؤلاء يقسون قلو م ويعرِضون عن التوبة، ويحاولون إفساد الأرض وحمل أهلها على عبادة الشيطان. ذلك ما فعل القياصرة، إذ أرادوا أن يلزموا الناس بالسجود لهم. إن السيد المسيح سيخرب مدينتهم بابل رمز رومة الوثنية، فيبتدئ عهداً جديداً تزدهر فيه الكنيسة، وعبثاً يحاول فيه الشيطان شن غارةٍ جديدةٍ عليها. ويتبع ذلك العهد إبادةُ العدو، وقيامةُ الأموات، ويوم الدين، وقيام الملكوت السماوي في الفرح التام والابتهاج بزوال الموت، وينتهي الكتاب بوصف ما سيكون لأورشليم الجديدة، أي الكنيسة، من الكمال والبهاء في أيام ملكها".

إنّ الذي نراه واضحاً في ـاية حديثنا عن الرؤى أنها جميعاً خرجت من رحم ظروف العذاب والاضطهاد والسبي والنفي، وأ ـا جميعاً كُتِبت في المنفى بعيداً عن الوطن، وأ ـا جميعاً تمثلُ أحلام العودة والانتصار وجلاء الظلم ولو بعد حين، فهي لم تَرِد ابتداءً، وإنما وردت كردودِ فعلٍ على أحداثٍ حزينةٍ مؤلمةٍ.

ما من شكٍّ أن القديس يوحنا كان واقعاً تحت تأثير التراث النبوئي اليهودي بدرجةٍ كبيرةٍ جداً، والدليلُ على ذلك تطابق العديد من تفاصيل رؤياه السابقة مع تفاصيل كلٍّ من رؤيا حزقيال ورؤيا دانيال السابقتين، وللتدليل على ذلك، سنعرض للمقارنات التي ذكرها شفيق مقار[(٢)] بين هذه الرؤى الثلاث.

---

(١) انظر مقدمة رؤيا القديس يوحنا في الكتاب المقدس.

(٢) انظر المسيحية والتوراة، [م. س]، ص ٢٣٩، ٢٤٠.

أولاً: المقارنة الأولى بين رؤيا يوحنا اللاهوتي وبين رؤيا حزقيال:

رؤيا اللاهوتي	**رؤيا حزقيال**
"نظرت وإذا باب مفتوح في السماء" (٤: ١)	"كان ... إن السماء انفتحت" (١: ١)
"كنت في الروح في يوم الرب" (١: ١٠)	"فرأيت رؤى الله" (١: ١)
"رأيت ... شبه ابن إنسان" (١: ١٣)	"رأيت ... شبه كمنظر إنسان" (١: ٢٦)
"وصوته كصوتِ مياهٍ كثيرة" (١: ١٥)	"كصوت مياه كثيرة صوت القدير" (١: ٢٤) "وصوته كصوت مياهٍ كثيرة" (٤٣: ٢)
"ورجلاه شبه النحاس النقي كأ ما محميتان في أتون" (١: ١٥)	"ومن منظر حقويه إلى فوق ومن منظر حقويه إلى تحت مثلُ منظرِ نارٍ ولها لمعان النحاس من حولها" (١: ٢٧)
"هوذا يأتي مع السحاب" (١: ٧)	"سحابة عظيمة ونار متواصلة" (١: ٤)
"وإذا عرش موضوع في السماء وعلى العرش جالس" (٤: ٢)	"وفوق المقبب (قبة السماء) شبه عرشٍ وعلى شبه العرش شبه كمنظر إنسان عليه من فوق" (١: ٢٦)
"وكان الجالس في المنظر شبه حجرِ اليشب والعقيق وقوس قزح حول العرش في المنظر شبه الزمرد" (٤: ٣)	"عرش كمنظر حجر العقيق الأزرق ... ومنظر كمنظر القوس التي في السحاب يوم مطر" (١: ٢٦ و٢٨)
"ومن العرش تخرج بروق ورعود وأصوات" (٤: ٥)	"لمعان ومن النار يخرج برق" (١: ١٣)
"وقدام العرش بحر زجاج شبه البللور" (٤: ٦)	"شبه مقبب كمنظر البللور الهائل" (١: ٢٢)
"وفي وسط العرش وحول العرش أربعة حيوانات" (٤: ٦)	"ومن وسط النار شبه أربعة حيوانات" (١: ٥)
"(والحيوانات) مملؤة عيوناً من قدام ومن وراء" (٤: ٦)	"ملآنة عيوناً حواليها للأربع" (١: ١٨)
"الحيوان الأول شبه أسدٍ. والحيوانُ الثاني شبه عجلٍ. والحيوان الثالث له وجه مثلُ وجه إنسان. والحيوانُ الرابع شبه نسرٍ طائرٍ" (٤: ٧)	"أما شبه وجوهها فوجه إنسانٍ ووجه أسدٍ لليمين لأربعتها، ووجه ثورٍ ووجه نسرٍ من الشمال (اليسار) لأربعتها" (١: ١٠)
"ولكل واحد منها ستةُ أجنحةٍ حولها ومِن داخلها مملوءةٌ عيوناً" (٤: ٨)	"ولكل حيوانٍ أربعةُ أجنحةٍ وأيدي إنسانٍ تحت أجنحتها على جوانبها الأربعة" (١: ٦ و٨).
"فلما رأيته سقّطت عند رجليه كميتٍ فوضع يده اليمنى علي	"ولمّا رأيته خررت على وجهي ... فقال لي يا ابن آدم قُم على

رؤيا اللاهوتي	رؤيا حزقيال
قائلاً لا تخف" (١: ١٧)	قدميك فأتكلم معك" (١: ٢٨ و٢: ١)
"فاكتب ما رأيت وما هو كائن وما هو عتيد أن يكونَ بعد هذا" (١: ١٩)	"قال لي أنا مرسِلُك إلى بني إسرائيل" (٢: ٣)

ثانياً: مقارنة بين رؤيا يوحنا اللاهوتي ورؤيا دانيال(١)

رؤيا اللاهوتي	رؤى سفر دانيال
"رأيت ... شبه ابن إنسان " (١: ١٣)	"وإذا مثل ابن إنسانٍ أتى" (٧: ١٣)
"وأما رأسه وشعره فأبيضان كالصوف الأبيض كالثلج وعيناه كلهيب نار" (١: ١٤)	"لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقي وعرشه لهيب نار" (٧: ٩)
"وإذا عرش موضوع في السماء ... وحول العرش أربعة وعشرون عرشاً" (٤: ٢ و٤)	"وكنت أرى أنه وضِعت عروش وجلس القديم الأيام" (٧: ٩)
"وإذا جمع كثير لم يستطع أحد أن يعده ... وقوفاً أمام العرش ... هم أمام عرش الله ويخدمونه ليلاً و اراً في هيكله والجالس على العرش يحلّ فوقهم" (٧: ٩ و١٥)	"(أمام العرش) الوف ألوف تخدمه وربوات ربوات وقوف قدامه" (٧: ١٠)
"أربعة حيوانات حول العرش ... الحيوان الأول شبه أسدٍ، والحيوانُ الثاني شبه عجلٍ. والحيوان الثالث له مثلُ وجهِ إنسانٍ. والحيوان الرابع شبه نسرٍ طائرٍ" (٤: ٦ و٧)	"وصعد من البحر أربعةُ حيواناتٍ عظيمةٍ هذا مخالِف ذاك. الأول كأسدٍ وله جناحا نسر .. وحيوانٌ ثانٍ شبيه بالدب ... وآخر مثلُ النمر وعلى ظهره أربعة أجنحةٍ طائر وله أربعة رؤوس وأعطي سلطاناً ... وحيوان رابع هائلٌ وقوي وشديد جداً وله أسنان من حديد كبيرة ... وله عشرة قرون". (٧: ٣ و٤ و٥ و٦و٧).

تبين لنا مما سبق زيف ادعاءات أصحاب الفكر الرؤيوي فيما يتعلق بفهمهم للإسلام وطريقة عرضهم له أمام الناس. وكما مر معنا فقد قامت طريقة عرضهم تلك على أساسٍ واحدٍ، هو الإلـصاق الكـاذب للنبـوءات المرعِبة بشخص رسول الله ﷺ، ومحاولة إسقاط تفاصيلها عليه وعلى الدولة الإسلامية، وبالذات في عهود الفـتح الإسلامي وازدهار الحضارة الإسلامية، ووصولها إلى قلب القارة الأوروبية التي كانت تسبح في عصور الظلمـات

(1) المرجع السابق نفسه ص ٢٤٦.

الوسطى آنذاك. وكان أكثر ما يقلق الكنيسة ورهبانها ويربكهم سرعة انتشار الإسلام وازدياد أعداد الداخلين فيه بشكلٍ ملفتٍ، وقد "تصاعد الارتباك إلى رعبٍ صحيحٍ بسبب سرعة انتشار الإسلام في العالم، بفضل الحملات السلمية، والفرسان الذين يمتشقون السيف، ويمتطون جياداً سريعةً كالريح، تحمل راية النبي. كان المسلمون يخوضون حرباً مقدسةً (الجهاد) إطاعةً لأوامر نبيّ وعدهم بسببه "تحت ظلال السيوف"[(١)].

وكما أسلفنا لم يقف الرهبان الكاثوليك مكتوفي الأيدي، بل شاركوا في محاربة الإسلام عسكرياً من خلال دورهم الخطير في الحروب الصليبية، كما حاربوه عقدياً وإعلامياً من خلال الحملات التشهيرية التي تزعموها ضده وضد الرسول الكريم ﷺ، وهي الحملات التي عملوا من خلالها على ربط العسكري بالعقدي، وعملوا على استنهاض الأحلام النبوئية والفكر الرؤيوي في محاولةٍ منهم لتخويف الناس من الإسلام، وتشويه صورته ولتشجيعهم على قتاله من خلال الانضمام للحملات والجيوش الصليبية. صحيح أن ربط هذه الرؤى بالإسلام كان محل رفض واستهجان الكثيرين من مفكري ومؤرخي العصور الوسطى، إلا أنه، وللأسف، اتسم بسرعة التصديق والانتشار بين الناس. كان تخويف الناس من "المحمدية" الطريقة المثلى التي اختارها هؤلاء لاستنهاض الهمم بعيد فشل كل حملةٍ صليبيةٍ.

"إن فشل الحملات الصليبية جعل "المحمدية" مخيفةً لا بل مرعِبةً بطريقةٍ جديدةٍ، نظراً إلى أنّ انتصار المسلمين قد هدد وحدة وسلامة العالم المسيحي بالذات. فكان مجرد التفكير بالإسلام يثير في النفوس فزعاً مستطيراً مِن أن يكون الرب قد تخلى عن شعبه، وتضاعف هذا الرعب عام ١٤٥٣م، عندما غزا الأتراك العثمانيون بيزنطة، حاملين معهم الإسلام إلى عقر دار أوروبا. ومن دون السور الواقي الذي كانت تؤمنه بيزنطة المسيحية، بدت شعوب العالم المسيحي أكثر عرضةً للعطب من أي وقتٍ مضى، وبدا كما لو أنّ الكابوس القروسطي القديم على وشك أن يتحقق فعلاً. الإسلام يتهيأ لابتلاع أوروبا الصغيرة المسكينة! وفي مناخٍ مِن الرعب كهذا، من المستحيل أن يقوم فهم جديد للإسلام، ومنذ ذلك الحين فصاعداً سيعرف المسلمون الأشرار للغاية بـ"الأتراك الذين لا يصح ذِكْرهم"، لقد باتت "المحمدية" تشكلُ تهديداً وتبثّ رعباً مخيفين إلى درجةٍ لا تسمح بالتحدث عنها بصوتٍ عالٍ" [(٢)].

---

(1) تسمرلينغ، [م. س]، ص ١١١

(2) آرمسترونج، الحرب المقدسة [م. س] ص ٥٤٢

وفي معرض الحديث عن الفكر الرؤيوي ومساهمته في التشجيع على الحملات الصليبية، نرى أن نتوقف قليلاً عند رؤيا "عرافات سيبيلين"[(١)]؛ فقد انبعثت حوالي العام ١٠٠٠ للميلاد أسطورةٌ قديمةٌ كانت لها أهميتها الفائقة فيمـا بعد إبانَ الحروب الصليبية، ومفاد تلك الحكاية الخرافية أن "عرافات سيبيلين" العجائز قد تنبـأنَ في أواخـر الحقبـة الرومانية بأنه قُبيلَ اية العالم، سيتوج إمبراطور من الغرب[(٢)] في أورشليم، وأنه سيحارب المسيح الدجالَ هناك. فشرع الناس يبحثون من حولهم عن إمبراطورٍ يأخذ على عاتقه هذه المهمة.

"وأخذ الناس يشعرون أنّ عليهم أن يحاولوا إنقاذ أنفسهم من خلال تحقيق تلك التنبؤات القديمة، وفي ذلـك مبادرةٌ ذاتيةٌ إلى تقرير المصير. وبعد ثلاثين سنةً على الحج الكبير إلى أورشليم عام ١٠٣٣م، حدث "خروج" ضـخم آخر من أوروبا، حين غادرها حوالي ٧٠٠٠ حاجٍّ قاصدين الأراضي المقدسة، وربما كان ذلك بـدافع مـن الرغبـة الرؤيوية ذا ا في أنْ يجبروا المسيح الدجال على إشهار نفسه"[(٣)].

لقد أصاب الفكر الرؤيوي المسيحيين بالهوس في العصور الوسطى وزمان الحروب الصليبية، حيـث كـان المسيحيون الأوروبيون على قناعةٍ راسخةٍ بأن المسيح الدجال سوف يظهر في أورشليم قبل القيامة النهائية، وينـصب نفسه في الهيكل، ويدخلُ مع المسيحيين هناك في معارك ضاريةٍ، وردت نبوءة ا في سفر الرؤيا "ولسوف تؤذن هـذه الحروب البشعة بقيام الساعة وبا يء الثاني للمسيح، بعض الناس رأى المسيح الدجال على هيئة وحشٍ شـيطانيٍّ شـبيهٍ بالبهيمة الوارد ذكرها في "سفر الرؤيا"، فيما رآه بعضهم الآخر كبشرٍ عاديٍّ، لكنه شرير إلى أقصى حدٍّ وشبيه بالعاصـي المحكي عنه في "الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي". هذا ولطالما جرت المماثلة والمطابقة مـا بـين القـادة الـسياسيين والمهرطِقين من جهةٍ، والمسيح الدجال من جهةٍ أخرى، وما يمكن لنا تسميته "رصد المسيح الدجال" بات تقليداً متبعـاً في أوروبا الغربية، وقد كان للاعتقاد بالمسيح الدجال أهميةٌ فائقة في أيديولوجية الحروب الصليبية"[(٤)].

---

(1) عرافات سيبيلين: أنتجت اليهودية الهلينستية كتباً حفظت في روما، وادعت أ ا أقوالُ كاهناتٍ أو متنبئاتٍ موحى إليهن. أما النصوص "السيبيلنية" المسيحية فبدأت تظهر في القرن الرابع، وآمن عدد كبير من المسيحيين في أوروبا بأ ا تمثل حقيقةَ الإنجيل، وقد تكهنت تلك النصوص بمجيء إمبراطورٍ سيوحد الشرق والغرب، اسمـه (الإمبراطور الأخير)، ويذبح أعداء الله، ويتوج في القدس، وعندئذٍ سيظهر المسيح الدجال، لكن الملاك ميكائيل سيقضي عليه، ويعود المسيح مكللاً با د.

(2) الإمبراطور الأخير: هو الإمبراطور الذي تنبأت بمجيئه "عرافات سيبيلين"، والذي انتظره على أحر من الجمر المسيحيون السذج والبسطاء في أوروبا خلال العصور الوسطى. كان يتوقّع من هذا الإمبراطور عندما يأتي أن يوحد الشرق والغرب، ويقضي على أعداء المسيح، ويزحف على القدس ليتوج فيها، ويستعجل ظهور "المسيح الدجال" وبذلك يؤذن بقرب قيام الساعة(الأيام الأخيرة، آخر الزمان..ألخ) تمهيدا للعهد ا يد، عهد ا يء الثاني للمسيح

(3) آرمسترونج، [م. س] ص ٩٨

(4) آرمسترونج، [م. س]، ص ٥٧.

الفصل الثالث

الاستشراق الديني ودوره في تدعيم الفهم الخاطئ للإسلام ونبوة محمدٍ ﷺ

المبحث الأول: الاستشراق الديني، جذوره، غايته، دور الكنيسة فيه

المبحث الثاني: بطرس المبجل وأولُ ترجمةٍ للقرآن الكريم

المبحث الثالث: الرسالة الإسلامية والجواب المسيحي عليها "رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحاق الكندي"

المبحث الرابع: القديس توما الأكويني

المبحث الخامس: ركلدس دي مونتي كروتشي

المبحث السادس: ريموند لول

المبحث السابع: يوحنا السيغوفي

المبحث الثامن: نيكولاس الكويسي

المبحث التاسع: خلاصةُ شبهات الاستشراق الديني

المبحث الأول

الاستشراق الديني

جذوره، غايته، دور الكنيسة فيه

تقدم الحديثُ فيما سبق عن دور الرهبان الكاثوليك في إعلان حربٍ مسلّحةٍ وأُخرى إعلاميةٍ على الإسلام، استهدفت تشويه صورته والتخويف منه والصد عنه. وذلك، كما أسلفنا، من خلال إسقاط بعض نبوءات الكتاب المقدس على الإسلام ورسوله الكريم ﷺ. ومن العدالة والأمانة القولُ: إنّ تلك المحاولات الرؤيوية كانت وبالدرجة الأولى، أعمالاً فرديةً ومحاولاتٍ غير مترابطةٍ، تظهر وتتوهج كلما دعت إليها الحاجةُ واستدعتها الظروف. ولكننا في هذا الفصل بصدد الحديث عن وجهٍ آخر من وجوه مواجهة رجال الكنيسة ورهبا ا للإسلام؛ وهي مواجهةٌ عقديةٌ وفكريةٌ بالدرجة الأولى، كما أنها نوع من المواجهات التي اتسمت بالفردية حيناً وبالمؤسسية والرسمية حيناً آخر ... وهذه المواجهة التي نحن بصدد الحديث عنها هي الاستشراق[1]. والنوع الذي يعنينا هنا هو الاستشراق الديني بالذات، دون غيره من أنواع الاستشراق، ونقصد على وجه الخصوص المحاولات الاستشراقية التي ظهرت إلى الوجود بدعمٍ رسميّ ومباشرٍ من الكنيسة أو من كبار الرهبان ورؤساء الأديرة الشهيرة آنذاك. "وقد اختلف المؤرخون في تحديد البداية الحقيقية للاستشراق زمنياً ومكانياً، فمنهم من يرى أنها كانت على أيدي طلاب العلم الأوروبيين الذين توافدوا إلى الأندلس العربية و لموا من منابع المعرفة فيها ونقلوها إلى أوروبا منذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، ومنهم من يرى أنّ البداية جاءت من بيزنطة التي قهرها العرب المسلمون، وانتزعوا منها أراضي واسعةً في بلاد الشام ومصر والمغرب العربي، والتي توقفت لاستكناه طبيعة هذا الفاتح العظيم، ومنهم من يرى أنّ بداية الاستشراق كانت وليدة الحروب الصليبية والاحتكاك المباشر بين شعوب غرب أوروبا والعرب. ويرى البعض أنّ بداية الاهتمام الفعلي الغربي بالإسلام والمسلمين كانت عند مجا ة الخطر العثماني الذي جاس خلال الأراضي الأوربية وأسقط ممالك وأزاح

---

(1) كلمة الاستشراق مأخوذة ومشتقة من كلمة الشرق، والشرق والمشرق بكسر الراء وهو الأكثر، وبالفتح وهو القياس ولكنه قليل الاستعمال - اسم الموضع، أي جهة شروق الشمس، فكلمة استشراق مشتقة من كلمة (شرق)، وهي تعني ناحية شروق الشمس. والسين في الكلمة للطلب، أي طلب ما في الشرق. والاستشراق في الإصطلاح يطلق على تلك المحاولة التي قام ا ويقوم ا بعض مفكري الغرب للوقوف على معالم الفكر الإسلامي وحضارته وثقافة الشرق وعلومه. فالاستشراق: هو علم يدرس لغات الشرق ودينه وتراثه وحضارته ومجتمعاته وماضيه وحاضره.

عروشاً، وأصبح حقيقةً من حقائق السياسة الأوروبية"[١]. ولعلّ القاسم المشترك الذي يجمع بين الآراء السابقة كلها هو انطلاق هذا النمط من الدراسة لتراث الشرق ودينه الإسلامي وحضارته من بلاد الغرب، والتأكيد علـى أنّ الـدين الإسلامي وحركة الفتوحات الإسلامية آنذاك هي السبب الأبرز والدافع المحرك لاتجاه الغربيين نحو دراسة الإسلام، ديناً وحضارةً وتاريخاً ... ومما لا شك فيه أنّ الدافع الديني كان أقوى الدوافع لقيام الاستشراق، حيث يربط كـثير مـن الباحثين المهتمين بالدراسات الاستشراقية بين نشأة الاستشراق وبداية ظهوره وبين الفشل الذريع الذي منيت به أوروبا في الحروب الصليبية؛ ذلك أن الحملات الصليبية لم تحقق للغرب طموحاته، ولم تسعفه بالسيطرة على الشعوب العربية واستخلاص بيت المقدس من أيدي المسلمين. "ولقد تغير أسلوب المواجهة بين العالم الإسلامي والغرب بعد الحـروب الصليبية، فاحتلت الكلمة والحوار واستخدام المنهج العلمي المكانةَ الأولى في دراسةٍ نفسيةٍ للشرق لمعرفـة الأسـلوب الأمثل للمواجهة، وكان ذلك بديلاً عن المواجهة بالسلاح والقوة العسكرية"[٢]. ولقد فرض هذا الأسلوب الجديد في المواجهة العكوف على دراسة أحوال الشرق؛ لغته ودينه، حضارته وتاريخه، فلسفته وعلومه، عقيدته وأصـولها، وأن توضع المناهج الدراسية المناسبة لاستكشاف عوامل هذه القوة الصلبة التي تكسرت عليها تلـك الحمـلات الـصليبية المتكررة، ومحاولة فهمها وتحليلها نفسياً لمواجهتها بأسلوبٍ يختلف تماماً عن المواجهة العسكرية. **"ولمّا كان القـائمون على أمر الحروب الصليبية والمحركون لها هم رجال الكنيسة وسدنتها، فإن ذلك جعل رجال الكنيسة في طليعـة المهتمين بأمر الشرق ودراسة أحواله، ومن هنا، فإنّ طليعة المستشرقين كانوا في معظمهم من القساوسة ورجـال الدين المسيحي"[٣].**

إذاً فقد كان الاستشراق الديني هو الحل الأمثل، والبديل الأنسب للمواجهة مع الإسلام. وهذه حقيقـةٌ أكّدها أكثر من مرةٍ المؤرخ رينشارد سوذرن؛ "وقد أدرك ألد أعداء الإسلام بين الأوروبيين أن الصراع العسكري معه لا يكفي لإسقاطه، وأنه لابد من اشتغالٍ أعمق بفهم مضامينه ومحاولة نقضها. وكانت حجتهم في إقبالهم على دراسة الإسلام ضرب إرادة المقاومة عند الخصم عن طريق تشكيكه بصحة عقيدته، ودفع الجنود الأوروبيين لمزيدٍ

---

[١] انظر:
أ. الملا جاسم، ناصر عبد الرزاق، الإسلام والغرب، دراسات في نقد الاستشراق، ص ١٤، ط١، ٢٠٠٤، دار المناهج، عمان، بتصرف.
ب. زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ١٨، بلا تاريخ نشر ولا رقم طبعة، دار المعارف، القاهرة.

[٢] الجليند، محمد السيد، الاستشراق والتبشير قراءة تاريخية موجزة، ص ١٢، ١٣، ط١، ١٩٩١، دار قباء، القاهرة.

[٣] المرجع السابق نفسه، ص ١٣.

من الضراوة والانتظام عن طريق التركيز على قوة الإسلام العسكرية. ومن نافلة القول هنا الاستنتاج أن الفريـق الذي كان يعارض العمل العسكري ضد الإسلام كان أكثر إقبالاً على التصدي للإسلام فكرياً بعد أن فقد إيمانـه بالعمل المسلح"(١).

ومن أجل تحقيق الهدف العقدي من الاستشراق فقد سلك المستشرقون الأوائل مـن الرهبـان الكاثوليـك المسالك الأربعة التالية:

المسلك الأول: الحرص الكامل على حجب حقيقة الإسلام وأهدافه النبيلة عن جمهور العوام المسيحيين في أوروبـا، وذلك من خلال قلب الحقائق وتشويهها وإبراز ما كانوا يرون أنه نقاط ضعفٍ وتناقضٍ في الإسلام، وقـد تحقّق ذلك من خلال إشاعتهم وإحيائهم للفكر الرؤيوي، الذي سبق الحديثُ عنه، ومن خـلال مؤلفـاتٍ جدليةٍ باطلةٍ وضعها الرهبان لهذه الغاية، وبالذات الترجمات الزائفة المغلوطة للقرآن الكريم، وتزويـر وقـائع وأحداث السيرة النبوية الشريفة.

المسلك الثاني: حرص الكنيسة ورهبانها الدائم على تشويه صورة المسلمين، وذلك من خلال التأكيد على وصـفهم بالعديد من الأوصاف المنفرة القبيحة المُخيفة، كوصفهم بالمقاتلين المحمديين الأشداء الذين لا يعرفون الرحمة، والسراسنة المتخلّفين الذين لا يفقهون سوى القتال وحمل السيف وقتل الآخرين، وكذلك وصفهم بأنهم غير متحضرين يسكنون الصحراء ويقتتلون فيما بينهم.

المسلك الثالث: أفنى هؤلاء المستشرقون الرهبان أعمارهم، وضيعوا أوقاتهم في دراسة الإسلام للبحث عما يطعنـون في الإسلام من خلاله؛ ومثال ذلك، إجهاد أنفسهم في البحث عن تناقضاته، أو البحث في إثبـات كـون الإسلام ديناً منحولاً من اليهودية والمسيحية والمصادر الأُخرى المليئة بالهرطقات والبدع.

المسلك الرابع: التخطيط لبدء حملاتٍ خبيثةٍ تستهدف تبشير المسلمين (أو بالأصح تنصيرهم)، وهو الأمر الذي تقرر بشكلٍ رسميٍّ وواضحٍ من خلال مؤتمراتٍ ومجامع كنسيةٍ خصصت لهذا الأمر.

---

(١) سوذرن، [م. س]، ص ٨٦.

وما من شكٍّ في أنّ هذه المسالك السابقة كلّها كانت تتحرك بدافع الكراهية للإسلام، وبدافع الخوف من انتشاره السريع في كل أرضٍ كان يطؤها المسلمون، وكان من أبرز أهداف هؤلاء المستشرقين الرهبان "منع انتشار الإسلام في أوروبا وغيرها، حفاظاً على سلطة الكنيسة ومفاهيمها ... فقد كانَ أعداء الإسلام يروون غليلهم بمنع الناس وصدهم عنه، حيث كانَ الإسلام، مِن غير شكٍّ، يشكل استفزازاً مقلقاً بطرقٍ عديدةٍ، فقد كانَ قريباً مِن المسيحية قُرباً مقلقاً جغرافياً وثقافياً، فمنذ نهاية القرن السابع عشر كانَ الإسلام في شكله العربي العثماني، أو في الشمال الإفريقي الإسباني، قد هدد المسيحية الأوروبية تهديداً فعالاً، ولم يكُن ممكناً أن يغيب عن ذهن أي أوروبيٍّ ماضياً أو حاضراً كون الإسلام قد فاق روما إشعاعاً وسما عليها"[١].

تبين لنا مما سبق أنّ نشأة الاستشراق كانت دينيةَ الدافع، وكانت الكنيسةُ الكاثوليكيةُ ورهبانها المحرك والداعم له، وذلك في واحدٍ من فصول حربها المُعلَنة ضد الإسلام والمُسلمين؛ تلكُم هي الحرب الإعلامية التضليلية التي اختارتها الكنيسة ولجأ إليها رجالاتها بعد العجز المُبين لهم ولجيوشهم الصليبية أمام الآلة العسكرية الإسلامية في العصور الوسطى. إنّ القول بدينية الدافع وصليبية المحرك للاستشراق ليس إلقاءً للكلام على عواهله، ولا هو من باب الجُزاف، إنما هو قولٌ يتبعه الدليلُ الذي يدعمه ويشهد لصحته؛ والذي يشهد لصحة هذا الكلام جغرافيةُ المكان الذي انطلقت منه الدعوة الاستشراقية، وتشهد له الحقائق التاريخية التالية:

أولاً: إنّ البداية الحقيقية للاستشراق على المستوى الفردي كانت على يد الراهب الكاثوليكي الفرنسي جربير دي أولياك[٢] الذي انتخِب لاحقاً حبراً أعظم لكنيسة روما، وحمل لقب سلفستر الثاني في العام ٩٩٩م. كان هذا الراهب أولَ المشتغلين بعلوم الشرق، وارتبطت باسمه بداية حركة الاستشراق؛ حيث رحل من فرنسا إلى إسبانيا، مهد الحضارة الإسلامية في حينه، فتعلم اللغة العربية، ووقف على علوم المسلمين في الرياضيات والطب والفلك والكيمياء والفلسفة، كما قرأ بعض العلوم الدينية، حتى قِيلَ عنه إنه كانَ أوسع علماء عصره معرفةً بعلوم المسلمين، وبخاصةٍ في الرياضيات والفلك. ثم ارتحل إلى روما مقر البابوية، حيث اشتهر هناك بين

---

(١) سعيد، إدوارد، الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، ص ١٠١، ط١، ١٩٨١م، من منشورات مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت.

(٢) انظر:

أ. عريبي، محمد ياسين، الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي، ص ١٣٧، ط١، ١٩٩١م، من منشورات المجلس القومي للثقافة العربية.

ب. الجليند، [م. س]، ص ١١.

ج. زقزوق، [م. س]، ص ٢٠.

د. العقيقي، نجيب، المستشرقون، الجزء ١٢ الصفحة ١ فما بعدها، ط٣، ١٩٦٤م، دار المعارف، القاهرة.

أقرانه بمعرفته الواسعة باللغة العربية وعلوم المسلمين، فانتخِب حبراً أعظم تحت لقب سلفستر الثـاني (٩٩٩م – ١٠٠٣م) فكان بذلك أول بابا فرنسيٍ يعتلي كرسي البابوية.

واستطاع من خلال منصبه الجديد أن ينشئ مدرستين لتدريس اللغة العربية وعلومها، وكانت الأولى منهما في روما مقر البابوية، والثانية في موطنه الأصلي (دايمس)، ثم أنشأ مدرسةً ثالثةً باسم (شارتر). وقد قام هذا الراهـب بترجمة بعض الكتب العربية في الرياضيات والفلك، وإليه يرجع الفضل في انتشار الأعداد العربية في أوروبا التي كـان ينقصها الرقم صفر، ولم تكن أوروبا تعرفه حتى نقله إليها (جربر) من العربية إلى اللاتينية، هذا الرقم الذي تم به حـل كثيرٍ من المشاكل الحسابية هناك بعد نقله.

ثانياً: انتقل الاستشراق من الفردية إلى العمل الجماعي والمؤسسي على يد الراهب الفرنسي بطرس المبجل الذي كـان رئيساً لدير كلوني الشهير في جنوب فرنسا، حيث أمر هذا الراهب بتنفيذ أول ترجمةٍ لاتينيةٍ للقرآن الكـريم، وأشرف على العاملين عليها بنفسه وكان يدفع لهم أجورهم منه، وكان هدفه من هذه الترجمة دراسة القرآن للطعن فيه، وبيان نقاط ضعفه وتناقضاته!!. وكان يؤمن بحتميه الصراع والصدام مع الإسلام، ولكن لـيس بالسيف، وإنما بالكلمة والإقناع والحجة "وفي نظرته للمسلمين كهراطقةٍ، اعتقد بطرس المبجـل بإمكـان إعاد م إلى فلك الكنيسة، وذلك إذا تمكن اللاهوتيون والمبشرون المسيحيون من أن يظهروا لهم بشكلٍ مقنعٍ، أين تكمن انحرافا م وضلالا م. وحول نوايا بطرس المبجل هذا تشهد رسالته الـتي وجههـا إلى العـرب، ويقول فيها: "من بطرس الفرنسي الجنسية، المسيحي العقيدة، الآباتي في الخدمة الكنسية، من أولئك النـاس الذين يطلق عليهم الرهبان ... إلى العرب، أبناء إسماعيل، الذين يتبعون قانون الرجل، الذي يـدعى محمـداً ..."[1].

وقد سبق إيراد نص رسالته للمسلمين في الفصل الأول من هذه الدراسة. ويصف "جورافـسكي" بطـرس المبجلَ هذا بقوله: "فيمكن من دون أي مبالغةٍ تسميته مؤسس الدراسـات الإسـلامية لـدى مـسيحيي القـرون الوسطى"[2]. ولن نقف مطولاً عند بطرس هذا، حيث سيتم تخصيص مبحثٍ كاملٍ قادمٍ باسمه.

---

(1) جورافسكي، [م. س]، ص ٧٩.

(2) المرجع السابق نفسه، ص ٧٩.

ثالثاً: انتقل الاستشراق إلى المرحلة الرسمية بعد صدور قرار مجمع فينا الكنسي عام ١٣١٢م "ولد الاستشراق بقرارٍ كنسيّ، ونشأ وترعرع في أحضان الكنائس الأوروبية، واستمد منها قوته ومقومات بقائه. وفي الغرب المسيحي يؤرخ لبدء وجود الاستشراق الرسمي بصدور قرار مجمع فينا الكنسي عام ١٣١٢م، بتأسيس عددٍ من كراسي الأستاذية في (اللغات) العربية واليونانية والعبرية والسريانية في جامعات باريس وأكسفورد وبولونا وأفينيون وسلامانكا، وتأسس كرسي اللغة العربية في روما على نفقة الفاتيكان،وفي باريس على نفقة ملك فرنسا، وفي أكُسفورد على نفقة ملك إنجلترا، ويعتبر كثير من المؤرخين لحركة الاستشراق أن هذا المؤتمر هو البداية المنظمةَ وشبه الرسمية للاستشراق، وما كان قبل ذلك إنما كان بمثابة الإرهاص لميلاد هذه الحركة، وتبع ذلك انتشار المدارس والمعاهد الاستشراقية المعنية بدراسة الشرق وعلومه الإسلامية بصفةٍ خاصةٍ"(١).

ولم تتردد الكنيسةُ الكاثوليكية يوماً في الإفصاح عن أهدافها من إنشاء المؤسسة الاستشراقية وكونها تمهيداً لارتداد العرب إلى المسيحية؛ ولذلك فقد نص قرار إنشاء كرسي اللغة العربية في جامعة كامبردج عام ١٦٣٦م على أنّ الكرسي أُنشئ بهدف توسيع حدود الكنيسة ونشر المسيحية بين المسلمين الذين يعيشون في الظلمات. ولم تقتصر جوانب التنصير في المؤسسة الاستشراقية على الهدف وسلطة الإنشاء، بل تعدتها إلى الممارسة والتنظيم، فقد كان الرهبان في طليعة المستشرقين"(٢).

ومما سبق يتوضح لدينا مدى التداخل الكبير في مهمة كلٍّ من المستشرِق والمبشر، ولعل هذا التداخل يدعم صحة ما ذهبنا إليه من القول بالطبيعة الدينية والدافع العقدي للاستشراق. ولعلّ هذا التداخل في الوقت ذاته أكبر دليلٍ على عدم موضوعية وحيادية الاستشراق الديني، خصوصاً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أنّ البابوات كانوا يرصدون انتشار العقيدة والفكر الإسلامي في أوروبا، وينظرون إليهما بكل الخوف والقلق والترقب، ولعل هذه الأسباب ذاتها هي التي كانت على الدوام تدفع المستشرقين للتحيز والغضب والتعصب عندما يتعلق الأمر بالإسلام والمسلمين!! وإلا

---

(1) انظر:
أ. سعيد، [م. س]، ص ٨٠.
ب. زقزوق، [م. س]، ص ١٨.
ج. عبد المحسن، [م. س]، ص ٤١.
(2) عبد المحسن، [م. س]، ص ٤١.

فبماذا نعللُ عدم غضب المستشرقين وتعصبهم عندما تتعلق الدراسة بموضوع دينٍ آخر غير الإسلام كالبوذية أو الشنتوية أو الهندوسية مثلاً؟؟ نعم، لقد أنشأت الكنيسةُ المؤسساتِ الاستشراقية وقدمت لها الدعم الكامل، وما ذلك إلاّ لتحارب الإسلام من خلالها وتطعن فيه على لسا ا. "إن الدراسات الاستشراقية الإسلامية ما قامت أولَ ما قامت إلا بوحيٍ من الكنيسة الكاثوليكية خاصةً للانتقاص من تعاليم الإسلام، وإهدار قيمه حرصاً على مذهب (الكثلكة) من جانبٍ، وتعويضاً عن الهزائم الصليبية المتلاحقة في تحرير بيت المقدس من جانبٍ آخر، ثم تبنى الاستعمار الغربي هذه الدراسات في الجامعات الغربية نفسها"[(١)].

ولعل هذا الكلام لا يقع بعيداً عن رأي "بنت الشاطئ" التي أجابت عن الأسئلة حول نشأة الاستشراق بقولها: "فحين نسألُ التاريخ عن حركة الاستشراق وكيف نشأت؟ يلقانا جوابه الصريح بأنها أولَ ما قامت في رعاية الكنيسة الكاثوليكية، وخضعت لإشرافٍ مباشرٍ من كبار أحبارها"[(٢)].

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو إن كان المستشرقون من الرهبان الكاثوليك الأوائل قد تعمدوا مهاجمة الإسلام والطّعن فيه والبحث عن (عيوبه) و(نقائصه) و(تناقضاته)، فعلى أي شيءٍ في أُسس الإسلام وأركانه تم الهجوم؟؟؟ والجواب على هذا السؤال طويلٌ ومعقّد، وهذا يتناسب تماماً مع طول وكثرة التفريعات والتعقيدات التي تفرعت عنه، ولكنها في العموم تنضوي تحت الكلمات التالية: لقد تركز هجوم الاستشراق الديني الكاثوليكي في الإسلام على مصدريته المتمثّلة في القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ وشخصه الكريم. ولم يكن تركيز الهجوم على هذه النواحي عبثاً بل لقد جاء عن دراسةٍ وعنايةٍ ودقّةِ اختيارٍ:

١. فالهجوم على رسول الله ﷺ كان دف هدم الصورة المثالية لشخصه وأفعاله في نفس وقلب كل مسلمٍ وزعزعة الثقة به، كيف لا وهو القدوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر؟؟ وسنأتي على بعض الشبهات المتعلّقة ذا الصدد عند الحديث عن المقارنة بين محمدٍ وعيسى، عليهما الصلاة والسلام.

٢. أما الهجوم على القرآن الكريم، فقد كان دف نزع مصدريته الإلهية وذلك من خلال الزعم (السخيف) بأنه ذو مصادر بشريةٍ متنوعةٍ ومتضاربةٍ، وأنّ عقائده وتشريعاته كلّها إنما هي منحولةٌ من الأديان والمذاهب والملل التي

---

(١) البهي محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص ٩، ١٠، ط٣، مكتبة وهبة.

(٢) انظر: تراثنا بين ماضٍ وحاضر ص ٥٢، طبعة عام ١٩٦٨، من منشورات معهد البحوث والدراسات العربية.

كانت متواجدةً في شبه جزيرة العرب وبالذات المذاهب المسيحية المندثرة كالأبيونية[1] المُهرطِقة التي كانت تنكر ألوهية المسيح ولا تعترف ا. ويصر هؤلاء المستشرقون الرهبان على أنّ واسطة الاتصال بين محمدٍ والأبيونيين كان الراهب الأبيونيّ المعتقَدِ ورقة بن نوفل!! كما يذهب هؤلاء المستشرقون الرهبانّ إلى القول بأنّ إنكار محمدٍ لصلب المسيح إنما أخذه محمد عن بعض أتباع الفرق الدوسيتية الغنوصية[٢] الذين كانوا يتواجدون في بعض بقاع شبه الجزيرة العربية.

ومن الجدير ذكره في اية الحديث عن استهداف المستشرقين الرهبان للقرآن الكريم العبارة الشهيرة للمشترق المبشر (جون تاكلي)، وهي: **"يجب أن نستخدم كتا م وهو أمضى سلاح** في **الإسلام ضد الإسلام نفسه، لنقضي عليه** تماماً. **يجب أن ترى الناس أن الصحيح** في **القرآن ليس جديداً وأن الجديد فيه ليس صحيحا"[٣].**

ويمكننا في ختام الحديث عن هجوم المستشرقين الرهبان على مصدرية الإسلام أن نستنتج أنّ المستشرقين إنما كانوا يستهدفون فك التلازم الضروري في الإسلام بين القرآن والرسول الكريم والوحي في محاولةٍ منهم "للإضعاف التدريجي للاعتقاد بالفكرة الإسلامية، وما يتبع هذا الإضعاف من الانتقاص والاضمحلال الملازم له، وأنه سوف يفضي بعد انتشاره في كلّ الجهات إلى انحلال الروح الدينية من أساسها"[٤].

كانت تلك الجذور الأولى للاستشراق. وقد رأينا كم لعب الدين دوراً محورياً فيها، بدأ الاستشراق بمحاولة صد المسيحيين عن الدخول في الإسلام والحد من انتشاره في القارة الأوروبية، ثم تطور ودخل مرحلة تشكيك

---

(1) الأبيونيون: طائفة مسيحية قريبة الشبه باليهودية من حيث استمساكها بدرجات متفاوتة بالتعاليم الموسوية، تتميز عقيد م بتمسكهم بالتوحيد ا رد، وإنكـارهم دعوى تأليه المسيح، واعتباره مجرد إنسانٍ، والتزامهم بكتب موسى والأنبياء وما تقضي به من شعائر وفروض. يتحدثون الآرامية وبالرغم من أن معظم أتباعها مـن اليهود اتخذوا لهم لقب الناصريين فقد اتبعها عدد من الأمم (أي من غير اليهود). ظهرت الأبيونية في أيام المسيحية الأولى، لكنها لم تصبح مذهباً له اتباعه ومريدوه إلا في أيام الإمبراطور تراجان (٥٢ – ١١٧م). انكروا أن يكون بولس رسولاً وكان لهم إنجيلهم الخاص وهو إنجيل متى (بصورة مختلفة عما هو معروف الآن). وكـان رأيهم أن المسيح رجل عادي حِلَّ به بالشكل العادي ولم يتميز سوى ببره وعطية الروح القدس السامية.

(2) الدوسيتية Docetism: مشتقّةٌ من فعل يوناني يعني (يظهر أو يبدو)، فهي تعني "الظاهرية" أي المذهب القائل أن يسوع كان له جسد ظاهري (وهمي) ولـيس جسداً حقيقياً، وأن الذين قتلوه وصلبوه لم يقتلوه ولم يصلبوه لأ م كانوا واهمين (شبه لهم) وأ م لم يقتلوه حقيقةً. والدوسيتيون الغنوصيون هم أول مـن قـالوا أن المسيح لم يقتل أو يصلب، وإنما شبه لأعدائه من اليهود والرومان أ م صلبوه= =وقتلوه،وذلك لأ م أنكروا مجيء الله في الجسد، أي أنكروا أن يكون يسوع هو الله أو ابن الله. وهذه الفكرة ترجع إلى القرن الأول المسيحي، وبالرغم من أن العهد الجديد قد أشار إلى فرقة الدوسيتية، فإن عقائدهم لم تتبلور وتكتمل حتى القرنين الثاني والثالث. ولقد واجهت معارضة قوية من الكتاب المسيحيين الأوائل بدءاً من أغناطيوس الإنطاكي وإيرانيوس في القرن الثاني. ولقد أدينت الدوسيتية رسمياً في مجمـع خلقدونية سنة ٤٥١م.

(3) عبد المحسن، [م. س]، ص ١٨

(4) المرجع السابق، ص ١٨

المسلمين بدينهم ومصدرية قرآ م الكريم والسنة الشريفة ورسمِ علامات الاستفهام حول شخصية وأخلاق وأعمال الحبيب المُصطفى، وتشويه صورته في عيون العالمين.

ثم تولّدت عن الاستشراق الدعوة إلى تبشير (أو تنصير) المسلمين وتلازمت الدعوتان (الاستشراقية والتبشيرية) حتى غدا الفصلُ بينهما صعباً جداً في كثيرٍ من الأحيان؛ إذ أنّ هدفهما واحد وسياسا ما متشا ةٌ ...

ويمكننا في اية هذا المبحث تلخيص موقف المستشرقين الرهبان من رسالةِ محمدٍ ﷺ فيما يلي: إن الصورة المتولّدة في التصور الغربي عن الإسلام والمسلمين وكتا م ونبيهم هي نفسها الصورة التي لم تزدها الدراسات المقبلة إلا رسوخاً وتأكيداً، والتي جهد المُستشرقون من المبشرين في تعميقها، وذلك عن طريق إعادة الأباطيل في صِيغٍ تبدو عليها مسحةٌ كاذبةٌ من ادعاء العلم والموضوعية، كما تشهد بذلك دراسات أكابر المُستشرقين من المبشرين الذين حصروا همهم في ما يأتي:

١. إثبات القول ببشرية القرآن، وأنه من صنع محمدٍ ﷺ، وامتلاء القرآن بالتناقض والاختلاف.

٢. إنّ القرآن كتاب ملّفق، جمِع وركب من مواد مستقاةٍ من اليهودية والمسيحية، وقد وقعت فيه الزيادة والنقصان والتحريف والتشويه.

أمّا عن محمدٍ ﷺ، فهو عند بعضهم أحد العباقرة وعند بعضٍ آخر أحد الأبطال العظام، وعند آخرين منهم أنه ناقلٌ ذكي من الكتب القديمة، أو متعلم من رهبان النصارى، وقد أجاد في تعلمِه منهم.

المبحث الثاني

بطرس المبجل ... وأولُ ترجمةٍ للقرآن الكريم

تقدم فيما سبق الحديثُ عن نشأة الاستشراق، وعن الطبيعة الدينية التي اتصف ا. كما تقدم الحديثُ على أنّ الكنيسة إنما أنشأت المؤسسة الاستشراقية، وقامت بتقديم الدعم الكامل لها، لتكونّ واحدةً من أدوا ا في محاربة الإسلام عقدياً وفكرياً، دف الصد عنه والحد من انتشاره في القارة الأوروبية. وقد تسنى للكنيسة تحقيق هذا الهدف، من خلال رجالا ا ورهبا ا الذين عكفوا على دراسة الإسلام ومصادره، وعلى رأسها القرآن الكريم وذلك في محاولةٍ منهم للبحث عن تناقضاتٍ وعيوبٍ ونقائص تثبت بشرية وضعه وتبطلُ القول بإلهية مصدره. وقد كان أبرز من تصدى لذلك الراهب بيبرموريس دي مونتبوسيير، الذي اشتهر في التاريخ باسم بطرس المبجل (أو المحترم / المكرم)؛ حيث قدم للعالم المسيحي الغربي آنذاك مشروعين هامين جداً، كان لهما كبير الأثر في خلق الجدل العدواني العنيف ضد الإسلام، وتشويه صورة القرآن الكريم والمعتقدات الإسلامية في عيون الدارسين لها من الأجيال اللاحقة. وهذان المشروعان هما:

١. الترجمة الأولى للقرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية.

٢. ترجمة الرسالة الإسلامية والجواب المسيحي عليها.

وقد شرع بطرس المبجل في تنفيذ هذين المشروعين (أو بالأصح الإشراف عليهما بنفسه) بعد تولّيه رئاسة دير كلوني[1] الذي كان واحداً من أشهر الأديرة وأكثرها نفوذاً على الإطلاق ....

كانت فكرة عقد مناقشةٍ فكريةٍ مع الإسلام تتردد في عقل بطرس المبجل بين الفينة والأخرى، ولكنها اختمرت واكتملت عندما كان في إحدى جولاته التفقدية للأديرة البندكتية التابعة لديركلوني في إسبانيا عام ١١٤٢م. والذي شجعه على المضي قدماً في هذه الفكرة أنه التقى ببعض الرهبان الكاثوليك الذي يعرفون اللغة العربية (لغة

---

(1) كلوني: أطلق الدير البندكتي في كلوني، من مقاطعة بورغونديا في جنوب فرنسا، حركةً إصلاحيةً هدفت إلى "تنصير" أوروبا، وتلقين الناس فيها القيم المـسيحية الحقيقية. وفي اية القرن العاشر، وعلى امتداد القرن الحادي عشـر، شكّلت كلـوني والأديرة البندكتية الأخرى، التي انضوت تحت لواء تلك الحركة الإصلاحية، أقوى مؤسسة وأوسعها نفوذاً في طول أوروبا وعرضها. وقد نال ديركلوني م لة الحصانة تحت الحماية المباشرة للبابا في روما، والحق المُطلق في أن ينشئ أديرةً أخرى تابعةً له، وخلال القرنين التاليين من تأسيسه، نال ديركلوني تأثيراً كبيراً وثروةً ضخمةً، وأصبح في الواقع عاصمةً للإمبراطورية الديرية حيث كان يتبعه أكثر= =مـن ستمائة دير، والألوف من الرهبان في أوروبا. وأصبح رهبان ديركلوني بابوات وكرادلةً، وكثير من رؤسائه كانوا مستشارين للأباطرة والملوك. ومن أشـهر رهبـان ديركلوني الذين وصلوا إلى منصب البابوية، البابا جريجوري السابع، وتلميذه البابا أوربان الثاني الذي أطلق الحروب الصليبية ضد المسلمين.

القرآن ومحمد ﷺ)" مما يسهلُ عملية محاججة الإسلام والمسلمين في حال تمّت ترجمة قرآ م وتشريعا م إلى اللغة التي يجيدها الرهبان ويتكلّمون ا.

إنّ الرسالة التي بعث ا هذا البطرس المبجل للمسلمين، والتي سبق إيرادها في الفصل الأول من هذه الدراسة، تدل وبشكلٍ واضحٍ على مدى الكراهية التي كان يحملها هذا البطرس للإسلام والمسلمين، وما كانت رغبته في ترجمة القرآن مندرجةً إلاّ تحت هذه المشاعر التي تعتملُ في قلبه تجاه المسلمين. ولكنه، وعلى خلاف الكثيرين من الرهبان آنذاك، كان يدعو للمواجهة الفكرية العقدية السلمية القائمة على الحوار في مواجهة الإسلام وبعيداً عن المواجهات العسكرية الحربية المُسلّحة (بعد أن أثبتت التجربةُ فشلها طبعاً)، وقد كان يدعو على الدوام لمواجهة الإسلام بوصفه هرطقةً يجب دحضها، ولكن الذي يختلف عنده عن غيره هو الشكل الذي اختاره لهذه المواجهة؛ فقد نادى بأن تكون غير عسكريةٍ. ولكن هذه الفكرة (ترجمة القرآن لبيان كذبه وتناقضاته) لم ترق للكنيسة الكاثوليكية، ولم ترق للرهبان الفرنسيين والإسبان آنذاك، مما اضطر بطرس المبجل لتقديم المبررات والدوافع التي أدت به إلى الإقدام على مثل هذا النوع من الأعمال فقال: "إذا بدا أن العمل الذي أدعو له غير ضروري الآن، لأن العدو لن يتأثر ذا السلاح، أجيب أن بعض الأعمال التي تجري في مجال سلطة الملك الأفخم إنما تتم من أجل ضرورات الدفاع، أما بعضها الآخر فليس له غير مهمةٍ تزيينيةٍ، والباقي يجري للمستقبل لا للحاضر. فسليمانُ المحب للسلام كان يصنع سلاحاً لم يستغلْ في أيامه، وداود أمر بصنع زخارف للهيكل رغم عدم تبين مِعاصريه فائدةَ مثل هذا العمل. وهذا هو الشأن في العمل الذي أقوم به هنا، فإذا لم يمكن ذه الطريقة إعادة المسلمين إلى المسيحية الصحيحة، فلا أقل مِن أن يستفيد العلماءُ المسيحيون من عملنا في مجال دعم إيمان المسيحيين السذّج الذين يمكن أن تضير هذه الصغائر عقيد م"(١).

لقد كان بطرس يرى في الإسلام "هرطقةً مسيحيةً" هي آخر الهرطقات وأشدها ضرراً. ويعتقد أن التحدي الإسلامي لم يجد إجابةً مسيحيةً مناسبةً حتى أيامه، ولهذا رأى أنه من الضروري مواجهة هذه الهرطقة التي شكّلت، بزعمه، الأصلَ والمنبع لكل الهرطقات التي كانت تغزو المسيحية الأوروبية التقليدية آنذاك، فإذا كان الإسلام لا يشكلُ خطراً عسكرياً مباشراً، فلا شك أنه شديد الخطورة فكرياً، لذا لا بد من التعرف عليه لِتمكِن مكافحته. وواضح من كلامه السابق أنه إنما كان يطمع في إعادة المسلمين (الهراطقة) إلى المسيحية الصحيحة، كما كان يرى في هذه الترجمة

---

(١) سوذرن، [م. س]، ص ٨١، ٨٢.

دفاعاً عن المسيحية ضد العقائد الإسلامية المُضِرة التي لربما تؤثر على معتقدات بعض المسيحيين السذج غير المتمكّنين من دينهم كما ينبغي. وعلى كلٍّ فقد مضى هذا الراهب بطرس في تنفيذ فكرته وإخراجها إلى حيز الوجود، متجاهلاً كل اعتراضات الرهبان على وجود مثل هذا النوع من الترجمة، فالتقى في إسبانيا "براهبين زائرين هما: روبرت ألكتوني الإنكليزي، وهرمان دلماتا. وكان الراهبان المذكوران ينقّبان عن نصوص في الرياضيات وعلم الفلك، لكن بطرس أقنعهما بالتعاون معه في مشروعٍ لترجمة أهم المخطوطات الإسلامية. وهكذا عمل روبرت وهرمان سويةً مع مسيحيٍّ إسبانيٍّ يدعى بطرس الطليطلي، وشخص مسلمٍ يدعى محمد السراساني، وأنتج هؤلاء مجتمعين سلسلةً من الوثائق التي ظلّت على درجةٍ كبيرةٍ من الأهمية على صعيد فهم الغرب للإسلام حتى القرن السادس عشر. فكانت هناك ترجمةٌ للقرآن، وتاريخ للعالم من وجهة النظر الإسلامية، وعرض لتعاليم محمد، ومجموعةٌ من الحكايا الشعبية والخرافية الإسلامية، وعملٌ مبكر من أعمال اللاهوت الجدلي ضد الإسلام بعنوان "اعتذار الكندي"[(1)]. والذي يهمنا ويعنينا في هذه الأعمال هو ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية، وترجمة الرسالة الإسلامية والجواب المسيحي عليها والتي سمتها آرمسترونج (اعتذار الكندي) في النص السابق. "وقد عَلِم روبرت ألكيتوني من بطرس المبجل أنّ هدفه تعريف الغرب النصرانيّ بالإسلام الذي يعتبره هرطقةً من الهرطقات الكبرى التي هددت النصرانية، وأن بطرس ينوي الرد على الإسلام، لذلك قام روبرت ألكيتوني بترجمةٍ خاطئةٍ مغرضةٍ لمعاني القرآن الكريم، كان لها تأثير سيءٌ في صياغة تلك العقيدة الغربية الحاقدة تجاه الإسلام ونبيه محمد"[(2)].

ومن الأمانة القول: لقد أثارت ترجمة روبرت ألكيتوني للقرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية بأمرٍ من بطرس المبجل استياء معظم المؤرخين المسيحيين المعاصرين الذين كتبوا عن أوروبا وتاريخها في العصور الوسطى، فأفردوا صفحاتٍ من كتبهم للحديث عنها وعن مساوئها والمآخذ عليها، وتكاد المعلومات والملاحظات التي ذكروها تتطابق، بالرغم من تعدد المصادر القديمة التي أخذوا منها ونقلوا عنها، مما يؤكد صحة القول بتعمد بطرس المبجل وروبرت ألكتوني إخراج

---

(1) انظر:

أ. آرمسترونج، [م. س]، ص ٢٨٣.

ب. فوك، يوهان، تاريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، ترجمة عمر لطفي العالم، ص ١٥، ١٦، ط١، ١٩٩٦، دار قتيبة، دمشق.

ج. جورافسكي، [م. س]، ص ٨٠، ٨١.

د. عربي، [م. س]، ص ١٤٤، ١٤٥.

(2) عودة، [م. س]، ص ٦.

ترجمةٍ مشوهةٍ مقصودةٍ للقرآن الكريم. ومما يؤكد كذلك على أنّ هؤلاء المتأخرين كانوا محقين في توجيههم الانتقادات لتلك الترجمة ولتشويهات روبرت ألكيتوني فيها، ومن ذلك[1]:

١. أنّ المترجِم روبرت الكيتوني قد غير ترتيب السور القرآنية، وجاء بترتيبٍ جديدٍ لها، وقام بتقسيم بعض السور القرآنية الطويلة إلى مجموعةٍ من السور القصيرة، وبذلك وصلَ عدد السور القرآنية في ترجمته إلى مائةٍ وثلاثٍ عشرين سورةً بدلاً من مائةٍ وأربع عشرة سورة؟!!.

٢. لم يدخل سورةَ الفاتحة في إحصائه للسور القرآنية، حيث اعتبرها مجرد دعاءٍ تمهيديّ يتلى قبل الشروع في تلاوة القرآن، وهو بذلك قد قاسها على الدعاء المسيحي (أبانا الذي في السموات...).

٣. الترجمة الخاطئة لكلمة (وجيهاً) التي وردت في الآية ٤٥ من سورة آل عمران (إذا قالت الملائكةُ يا مريم إنّ الله يبشركِ بكلمةٍ منه آسمه المسيح عيسى ابن مريم، وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين) فقد قرأ الكيتوني كلمة وجيهاً على أ ا وجه، وبناءً على ذلك عبر عنها بكلمة (Facies).

٤. في ترجمته لبعض الآيات تعبير عن مدى الانحطاط والدونية، وغياب لأدنى درجات الأمانة العلمية؛ ويشهد على ذلك ترجمته للآية ١٤ من سورة آل عمرآن (زين للناسِ حب الشهوات من النساءِ والبنين ... الآية) فقد ترجمها بمعنى مجامعة الأبناء ومعانقتهم!!!.

٥. في ترجمته لسورة الهُمزة، ترجم قوله تعالى (يحسب أنّ ماله أخلده) بمعنى إنّ الذي يخلده هو ماله!!! والسبب في ذلك أنه في ترجمته قد حذف كلمة (يحسب) فأعطتِ الترجمةُ عكس المعنى المراد من الآية الكريمة!!!.

٦. حين ترجم روبرت ألكتوني كلمات سورة الغاشية: "فذكر إنما أنت مذكر. لست عليهم بمسيطر)، انتقل الشارح هنا على حين غرةٍ إلى الهجوم على النبي محمدٍ على نحوٍ يدعو للاستغراب، فقال: فلم تعلّم إذن أنّ هدي الناس إلى

---

[1] انظر:

أ. هاغمان، [م. س]، ص ٦٤ – ٦٩.

ب. آرمسترونج، [م. س]، ص ٢٨٥ – ٢٨٦.

ج. عودة، [م. س]، ص ٦، ٧.

د. جورافسكي، [م. س]، ص ٨١، ٨٢.

هـ. عبد المحسن، [م. س]، ص ٤٨ – ٥٠.

و. فوك، [م. س]، ص ١٧، ١٨.

دينك يجب أن يتم بحد السيف؟ إذا كُنت مذكراً ولست بمسيطرٍ، فلِم تخضِع الناس بالقوة لكأ ا الحيوانات أو الوحوش الضارية، وليس بالحجة مثل الآدميين؟ إنك مثل الكذّاب، تناقض الحقيقةَ بنفسك في كل شي!!.

٧. أعطى معنى غامضاً لخطاب (يا أهل الكتاب)، وجعله يبدو في معظم الأحيان وكأنه موجه إلى المسلمين.

٨. أضفى على كل الآيات المتعلقة بأحكام الزواج والطلاق معاني جنسيةً داعرةً بحيث تبدو للقارى الغربي، لا سيما الرهبان، مثيرةً للاشمئزاز والنفور، مثل:

أ. الآية ٢٣٠ من سورة البقرة (فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره) ترجمها "فلا تحل له حتى يطأها رجلٌ غيره"!!.

ب. الآية ٢٢٠ من سورة البقرة (.... ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير، وإن تخالطوهم فإخوانكم في الدين) ترجم تخالطوهم بمعنى تمارسوا معهم اللواط!!.

ج. الآية ٢٢٣ من سورة البقرة (نساؤكم حرثٌ لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) ترجمها بمعنى "فأتوهن في أدبارهن"!!.

د. الآية ٥٠ من سورة الأحزاب (يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك ... الآية) ترجمها هكذا "نحن نجيز لك أزواجك اللائي آتيتهن مهورهن، وجميع إمائك اللائي أعطاكهن اللهُ، وبنات عمك، وبنات عماتك، وبنات خالك وبنات خالاتك، اللائي اتبعنك، وكل امرأةٍ مؤمنةٍ إذا هي ترغب أن تقدم جسدها أو نفسها للرسول، وإذا الرسول يرغب أن يضطجع معها فليفعل، وهذا خاص لك وليس للمؤمنين الآخرين"!!.

إذاً، لم يكن روبرت الكيتوني يتمتع ولو بأدنى درجات الإحساس أو الأمانة العلميين؛ حيث أغفل ترجمة العديد من المفردات ولم يتقيد بأصل السياق ولم يقم وزناً لخصوصيات الأسلوب القرآني، بل بذل مجهوده (المنثور هباءً) على استشفاف مضمون مقصود أو فكرة كل آيةٍ من كل سورةٍ ثم ترجمها حسبما يلائم فهمه وهواه!!! وقد كان قدوته في ذلك الراهب بطرس المبجل، الذي دفع له أجراً مجزياً ليقوم بمثل هذا النوع من الترجمة، فقد كان بطرس المبجل عند مهاجمته للقرآن الكريم أمام الرهبان والعوام من المسيحيين يقوم بانتزاع آياتٍ من بعض السور القرآنية ويعزلها عن سياقها ويفسرها على هواه؛ ومن ذلك تعليقه على قوله تعالى في الآية العشرين من سورة آل عمران (فإن حاجوك فقُلْ أسلمت وجهي لله ومن اتبعنِ) بقوله: "ثم ما هذا؟ إذا شاء أحدهم أن يحاججك، تقولُ إنك تسلّم وجهك ووجوه التابعين لك إلى رب العالمين. أيا محمد ... إذا أبيت الرد فيما خلا أنك توجه وجهك ووجوه أتباعك

لله، فهل أصدق أن ما تقوله صحيح؟ هل أصدق أنك نبي الله حقاً؟ وهل أصدق أن الدين الذي نقلته إلى قومك سلم إليك من رب السماء؟ سأكون بالحقيقة أكثر من حمارٍ لو وافقتك؛ وسأكون حتماً أكثر من سائمةٍ لو سلّمت معك"(١).

ولعل ما نراه فاجعةً وطامةً كبرى فيما يتعلق ـذه الترجمة، إضافةً لمضمو ا وأهدافها، هو أنها ظلّت طوال خمسة قرونٍ الأكثر استعمالاً، وعليها تقوم أقدم ترجمات القرآن الكريم إلى اللغات الإيطالية والألمانية والهولندية. "ولم تجرِ إزاحة ترجمة القرآن اللاتينية لروبرت ألكيتوني بسبب ترجمة الإيطالي لودفيكو مراتشي إزاحةً ائيةً إلاّ في عام ١٦٩٨م، إذ كانت هذه أفضلَ وأكثر دقّةً بما لا يقاس"(٢) والعجيب المضحك في موضوع هذه الترجمة المشوهة المليئة بالأغلاط، أنّ الكنيسة الكاثوليكية رأت أنّ هذا النوع من الترجمات "قد أدى إلى التعرف على بعض حقائق الإسلام، مما دفع البابا الإسكندر السابع لأن يصدر قراراً بتحريم ترجمة القرآن ونشره بل وإحراق نسخه"(٣). وبناءً على تحريمات الكنيسة السابقة "بقيت ترجمة بطرس المبجل حبيسةَ محفوظات دير كلوني ولم يفرج عنها إلاّ بعد أربعة قرون"(٤).

وبالعودة للحديث عن هذه الترجمة المشوهة التي خرجت بأمرٍ ودعمٍ من بطرس المبجل نقول: إنّ دور المترجم الآخر المساعد لروبرت ألكيتوني وهو الراهب هرمان دلماتا اقتصر على ترجمة بعض المقالات المناهضة للإسلام وضمها إلى كتاب الترجمة ألكيتوني، هذا إضافةً لقيام دلماتا بكتابة ما يزيد عن خمسٍ وأربعين صفحةً "تطعن كلها في مبادئ الإسلام وحياة النبي محمدٍ ﷺ وتاريخ الإسلام، وتصفه بـ "التاريخ المُضحك". وكان مرجعه في ذلك كلّه القصص والمحاورات المدسوسة الملفّقة المزعومة بين أحبار اليهود والنبي ﷺ، والمنشورة في الغرب تحت عنوان (Doctrina Mahumet). وهي ذا ا الإسرائيليات المشهورة عند المسلمين باسم "مسائل عبد الله بن سلام". وكانت خلاصة ما كتبه هذا الراهب هرمان دلماتا عن الإسلام ما يلي:

١. مبادئ محمد (أو "تعاليم محمد" حسب بعض الترجمات).

٢. التاريخ الوهمي والمضحك للمسلمين.

---

(١) آرمسترونج، [م. س]، ص ٢٨٧.
(٢) هاغمان، [م. س]، ص ٦٩.
(٣) عربـبي، [م. س]، ص ١٤٥.
(٤) فوك، [م. س]، ص ٩٨.

٣.أمةُ محمدٍ ونشوزها"[1].

وعلى أساس هذه الأعمال والترجمات، إضافةً للرسالة الإسلامية والجواب المسيحي عليها، والتي سيأتي ذكرها تفصيلاً فيما سيأتي، صنف بطرس المبجل الأعمال الجدلية التي هاجم فيها الإسلام، وأبرزها كتاب دحض العقيدة الإسلامية (Liber Contra Sectam Sive Haeresim Saracenorum). وقد انبرى الأستاذ علي بن محمد عودة لتحليل هذا الكتاب، ولعرض أبرز ما ورد في فصوله، وعرض مقتطفاتٍ مختصرةً منه، وقبل عرض هذه المقتطفات نذكر بأنّ الكتاب المذكور كان يتكون من ستةِ فصولٍ هي:

أ. الرب، المسيح، ويوم الحساب. ب. النبي محمد.

ج. القرآن ومصادره. د. الجنة والنار، والتعاليم الأخلاقية.

هـ. انتشار الإسلام. و. الإسلام بوصفه هرطقةً مسيحيةً.

وكان مِما جاء في عرض الأستاذ عودة للكتاب ما يلي: "بعد أن عرض بتهكمٍ مشاهد يوم القيامة التي انفرد ا القرآنُ ولا توجد عندهم في كتبهم المقدسة قال [بطرس المبجل]: "إلى هذا الحد الفعلي Mahumet (محمد) القذر الشرير علم أتباعه إنكار جميع أسرار الدين المسيحي، وحكّم تقريباً على ثلث الجنس البشري بعدم معرفة يوم الدينونة للرب، بواسطة حكاياتٍ مجنونةٍ يهذي بما لم يسمع بمثلها استجابةً لإبليس والهلاك السرمدي"[2].

ثم يقدم في مجمله مختصراً مشوهاً لسيرة النبي (ﷺ) إلى أن يقول [بطرس المبجل]: "هكذا كان Mahumet (محمد) ناشطاً جداً في الشؤون العالمية، وذكياً إلى أبعد حدٍّ، هو انبثق من الأصل الوضيع، والفقر إلى الغِنى والشهرة، و ض بنفسه إلى أعلى شيئاً فشيئاً، وتكراراً هاجم كل أولئك الذين كانوا بجواره، وكان بشكلٍ بارزٍ يضم إليه الأقرباء بالخداع والسلب، والغزوات، قاتلاً أي شخصٍ غيلةً إن استطاع. هو ازداد رعباً بواسطة اسمه، وفي الوقت المناسب وصل إلى القمة باا اعات. ثم بدأ يطمح إلى منصب الملك على شعبه، ولمّا كان يدرك أنه لا يستطيع أن يحقق هذا الرغبة بسبب أصله الوضيع. قرر أن يصبح ملكاً عن طريق السيف، وتحت قناع الدين وبواسطة الاسم [رسول

---

(1) انظر:
أ. جورافسكي، [م. س]، ص ٨١.
ب. عربي، [م. س]، ص ١٤٥.
ج. عبد المحسن، [م. س]، ص ٥٢.

(2) انظر: عودة، [م. س]، ص ١٠ فما فوق.

الله]"[١]. ثم يتناول في مجمله القرآن ويرفض بشدةٍ نبوةَ محمدٍ (ﷺ) ويزعم أن القرآن له مصادر هي: إبليس، وسرجيوس (نسطوريوس) وبحيرا ... إلى أن يقول [بطرس المبجل] ما نصه: "هكذا علم محمد من جانب أحسن علماء اللاهوت البارزين، والمتهرطقين، فأنتجوا قرآنه، ونسجوا معاً، في ذلك الشكل غير الفصيح، له كتاباً مقدساً شيطانياً، صنف على حدٍّ سواءٍ من الخرافات اليهودية والأغاني العابثة للهراطقة، [مدعياً] كاذباً أن هذه ا موعة جلبت إليه سورةً وراء سورةٍ بواسطة جبريل، الذي عرف اسمه من الكتاب المقدس في ذلك الوقت، هو [محمد ﷺ] أفسد ـبسمٍّ مهلكٍ ذلك الشعب الذي لم يعرف الرب. وفي سلوك هذا المفُسدِ أن جعل في حواف القدح المملوء بالعسل السم المهلك الذي يتسرب معه، هو (محمد) حطم، واحسرتاه، الأرواح والأجساد لذلك الشعب البائس، ذلك الرجل، أثنى على الشريعة المسيحية واليهودية، والشرير مع ذلك يقتبس منها ويرفضها في الوقت نفسه"[٢].

وبعد ذلك يتناول بطرس المكرم، الجنة والنار، والتعاليم الأخلاقية، ويهاجم التصوير القرآني للجنة والنار فيقول: "محمد يصف عذاب جهنم كأ ا تسره حتى يصفها، وكأنه كان ملائماً لرسولٍ زائفٍ كبيرٍ أن يخترع تلك الأوصاف. وهو يصور جنةً ليست من مجتمعٍ ملائكيّ، ولا من تجلّي الرب، ولا من ذلك الخير الأعلى، الذي لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ...، بل في هذه الطريقة هو وصفَها مثلما هو رغبها أن تكون معدةً لنفسه، هو يعِد أتباعه هناك بالأكل من اللحم، وكل أنواع الثمرات، هناك أ ار من اللبن والعسل والمياه المتدفقة. هناك العناق والإشباع الشهواني من النساء العذارى الأجمل، فيها أشياء كثيرة، جنته كلها حسيةٌ. ثم يتناول بطرس المكرم تعدد الزوجات في الإسلام باعتباره عملاً من أعمال الزنى وفق المنظور الرهباني"[٣].

ثم يعود بطرس المبجل للهجوم البذيء على النبي (ﷺ) فيقول: "وبالإضافة إلى كل هذه الأشياء، هو استطاع أن يجتذب إليه الرغبات الشهوانية للرجال، حيث أطلق لهم الأعنة للنهم والتلوث. هو نفسه كان له في ذات الوقت ستةَ عشر زوجةً ... مقترفاً الزنى كأنه شرطٌ بواسطة الأمر الإلهي، وبذلك أضاف إلى نفسه عدداً ضخماً من الناس المحكوم عليهم بالهلاك السرمدي"[٤].

---

(1) المرجع السابق نفسه ص ١٠ فما فوق

(2) عودة، [م. س] ص ١٢.

(3) المرجع السابق نفسه، ص ١٣.

(4) المرجع السابق نفسه، ص ١٤.

ونرى في اية ذكرنا لكلمات هذا الراهب الحاقد بطرس المبجل أنّ هذا البطرس لم يكن مبجلاً البتة، بل على العكس من ذلك، فمن الواضح أنّ مجموعته من الرهبان المترجمين كانوا يعانون من أزماتٍ أخلاقيةٍ ونفسيةٍ نجمت عن الضغط والقلق والرعب الذي كان الإسلام يسببه لهم وللكنيسة الكاثوليكية التي كانت ترعاهم، فما كان منهم إلاّ أن قاموا بتجميع تلفيقا م وتزويرا م وترجما م المغلوطة المشوهة المكذوبة فيما سمي بـ (ا موعة الطليطلية) أو (فيلق كلوني) وهي ا موعة، لعظيم الأسف التي صارت المصدر الرئيسي للأوروبيين في استقائهم المعلومات والمعطيات عن الدين الإسلامي على مدى خمسمئة عامٍ تقريباً!!!.

وحتى تكتمل الصورة عن العمل الجماعي المنظم في تشويه هذه ا موعة الاستشراقية الرهبانية لصورة الإسلام وعقيدته وتشريعاته، فلا بد لنا من الوقوف عند عملٍ خطيرٍ آخر من الأعمال التي قاموا بترجمتها ألا وهي الرسالة الإسلامية والجواب المسيحي عليها.

المبحث الثالث

الرسالة الإسلامية والجواب المسيحي عليها

(رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن اسحاق الكِندي)

تكاد هذه الرسالة تكون أهم أساسٍ من الأُسس التي قامت عليها الدراسات الاستشراقية الدينية في غرب القارة الأوروبية، والتي هدفت في أساسها للطعن في عقائد الإسلام وتشريعاته، وتتبع خطور ا من كو ا قدمت للعالم المسيحي الغربي عرضاً ونقداً صريحاً ومباشراً للدين الإسلامي، خصوصاً في عصر الجهالة الأوروبي الذي كان فيه الرهبان يهاجمون الإسلام ويشوهون صورته رد أنه دين آخر غير المسيحية، ولكونه لا يعترف بالصلب ولا يقر ألوهية المسيح ابن مريم عليهما السلام.

حصل بطرس المبجل على مخطوط هذه الرسالة عام ١١٤٢م في إسبانيا أثناء جولته التفقدية للأديرة البندكية، التي سبق الحديث عنها، وأدهشته الكلمات البليغة الملفّقة ضد الإسلام التي اشتملت عليها، ووجد فيها ضالته المنشودة، ورأى فيها عملاً جدلياً فلسفياً متكاملاً ينقض ـ كما توهم ـ العقائد والتشريعات الإسلامية من أساسها!!!. وقد شجعته نصوصها على المضي قدماً في فكرة عقد مناقشةٍ فكريةٍ مع الإسلام، حتى أنّ بعض المؤلّفين ذكر أنّ هذه الرسالة هي الأساس الذي بنى عليه بطرس المبجل كتاباته السابق ذكرها ضد الإسلام.

وسبب كتابة هذه الرسالة هو أنه كان في زمن عبد الله المأمون أحد نبلاء الهاشميين، قريب القرابة من الخليفة، معروف بالنسك والورع والتمسك بدين الإسلام وشدة الإغراق فيه والقيام بفرائضه وسننه، وكان له صديق من الفُضلاء ذو أدبٍ وعلمٍ، كِندي الأصل مشهور بالتمسك بالمسيحية، وكان في خدمة الخليفة وقريباً منه مكاناً. فكانا يتوادان ويتحابان ويثق كلٌ منهما بصاحبه وبالإخلاص له. وهما عبد الله بن إسماعيل الهاشمي، وعبد المسيح بن إسحق الكندي. فكتب الهاشمي إلى الكندي رسالةً يدعوه فيها إلى الإسلام، ثم رد عليه الكندي برسالةٍ جوابيةٍ يدعوه فيها إلى ترك الإسلام واعتناق المسيحية.

وكان ذلك في اية القرن التاسع الميلادي وأوائل القرن العاشر. ومن المثير للدهشة في الرسالة الجوابية التي كتبها الكندي أنها حوت الكثير من القدح في النبي ﷺ والقرآن، "ولهذا تـمت ترجمتها من العربية، وضمها إلى

مجموعة دير كلوني الشهيرة، التي تشمل بضعة مؤلفات في الجدل مع المسلمين، بأمرٍ من بطرس المحترم في القرن الثاني عشر الميلادي حتى يتعلم منها الرهبانُ أساليب الرد على المسلمين والطعن في الإسلام.

وقد تلقف كُتاب القرون الوسطى هذه الرسالة بلهفةٍ، وأدرجوها في مؤلّفا م ضد الإسلام، وصار ما تحويه من تشويهٍ مفاهيم ثابتةً في الفكر الأوروبي. وقد جرى نشر هذه الرسالة مرتين في لندن عامي ١٨٨٠م و١٨٨٥م لاستعمال المنصرين"[١].

لقد رجح معظم العلماء والدارسين المسلمين زيف هذه الرسالة وشكّكوا في وجود طرفيها أصلاً، وترجح لديهم أنّ الاسمين المذكورين فيها (عبد الله الهاشمي، وعبد المسيح الكندي) اسمان مستعاران. ورجح الدكتور علي بن محمد عودة أنّ كاتب نص الرسالتين هو الطبيب والفيلسوف النصراني يحيى بن عدي الذي عاش في العراق، وتوفّي سنة ٩٧٥ للميلاد، وأعقب ترجيحه هذا بقوله: "ولا نجد لهذه المُصنفة ذكراً في المصادر الإسلامية إلاّ عند البيروني المتوفى سنة ١٠٤٨ للميلاد الذي اقتبس منها نصاً في حديثه عن الصابئة"[٢]. ومما يجدر ذكره هنا هو أنّ العلماء المسلمين بالرغم من تشكيكهم في وجود شخصين كانا يسميان (عبد الله الهاشمي وعبد المسيح الكندي)، إلاّ أ م قاموا بالتصدي لمضمون هذه الرسالة وردوا عليها في كل تفصيلا ا، ويشهد لذلك كتاب (الجواب الفسيح لما لفقَه عبد المسيح)، الذي خطّه العلامةُ نعمان بن محمد الألوسي البغدادي المتوفّي سنة ١٣١٧هـ ـ وهو ابن العالم الألوسي المفسر المشهور ـ وهو كتاب يقع في جزأين، حققه الدكتور أحمد حجازي السقا، ونشرت دار البيان العربي بالقاهرة طبعته الأولى بتاريخ ١٩٨٧/٩/١٣م. كما قامت بنشر نص رسالة عبد المسيح هذه مجموعةٌ من المكتبات ودور النشر المسيحية وغير المسيحية[٣]. وقد ذكرها عدد كبير من المؤرخين المسيحيين في كتبهم ومؤلّفا م[٤]. ولا يكاد موقع إلكتروني مسيحي من مواقع شبكة الإنترنت يخلو من ذكر مقاطع من رسالة عبد المسيح هذه، وذلك ضمن مجهود هذه المواقع الدؤوبة في مهاجمتها للإسلام وتشكيكها في صحة عقيدته وصدق نبوة محمدٍ ﷺ.

(1) غراب، أحمد عبد الحميد، رؤية إسلامية للاستشراق، ص ٥٥ – ٥٦، ط١، ١٩٩٠، من منشورات المنتدى الإسلامي للنشر، لندن.

(2) عودة، [م. س]، ص ٨.

(3) منها على سبيل المثال مكتبة التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، ومكتبة ومجلة صوت الكرازة على موقعها الإلكتروني www.vopg.org .

(4) منهم على سبيل المثال آرنولد توماس في (الدعوة إلى الإسلام) ، ص ١٠٤ فما فوق، ط٢، دار النهضة المصرية، وشاتليه في (الغارة على العالم الإسلامي)، ص ٩ فما فوق، نشر محب الدين الخطيب، بيروت.

وسنورد تالياً معظم نص الرسالة التي بعث ا المُسمى (الهاشمي) ومقتطفاتٍ من رسالة (الكندي) الجوابية عليها؛ والسبب في ذلك راجع إلى كون رسالة الهاشمي قصيرةً لا تبلغ في مساحتها وحجمها سدس رسالة الكندي الجوابية التي تبلغ حوالي مائةٍ وأربعين صحفةً!!! ولعل حجم رسالة الكندي الجوابية كان سبباً مباشراً في إثارة تساؤلاتٍ كثيرةٍ حول حقيقة هذه الرسالة وكو ا مبعوثةً جواباً من صديقٍ إلى صديقه، "وقد أجاب يحيى بن عدي على رسالته التي جعلها على لسان الهاشمي، بجوابه الذي جعله على لسان الكندي في ١٤٠ صفحةً، أي أكبر بسبع مرات من رسالة الهاشمي، بحيث يترك جوابه الانطباع لدى القارئ النصرانيّ أنه نال الغلَبةَ والقهر بالحجة والبرهان. ومن الواضح أن يحيى بن عدي كتب هذا الكتاب حين ازداد دخولُ النصارى في الإسلام في القرن الرابع الهجري، وكان هدفه منه تحصين أهل الذّمة من النصارى، لمنعهم من اعتناق الإسلام، وإقناعهم بأنّ دينهم هو الدين الصحيح"[(١)].

ومختصر نص الرسالة كما يلي**(٢)**:

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتحت كتابي إليك بالسلام عليك والرحمة، تشبهاً بسيدي وسيد الأنبياء محمد رسول الله (ص)، فإن ثقاتنا رووا لنا عنه أن هذه كانت عادته، وأنه كان إذا افتتح كلامه مع الناس يبادئهم بالسلام والرحمة في مخاطبته إياهم، ولا يفرق بين الذمي منهم والأمي، ولا بين المؤمن والمشرك. وكان يقول إني بعثت بحسن الخلق إلى الناس كافة، ولم أُبعث بالغِلظة والفظاظة. ويستشهد الله على ذلك إذ يقول ﴿بِالْمؤمِنين رؤوف رحِيم﴾ (سورة التوبة ٩:١٢٨). وكذلك رأيت من حضرته من أئمتنا الخلفاء الراشدين يتتبعون أثر نبيهم ولا يفرقون في ذلك ولا يفضلون فيه أحداً. فسلكت ذلك المنهج. والذي حملني إليك وحثني على ذلك محبتي لك، إذ كان سيدي ونبيي محمد يقول: محبة القريب ديانة وإيمان . فكتبت طاعةً له، ولِما أوجبه لك عندنا حق خدمتك لنا ونصحك إيانا، وما أنت عليه من محبتنا، وما أرى أيضاً من إكرام سيدي وابن عمي أمير المؤمنين لك وتقريبه إياك وثقته بك وحسن قوله فيك، فرأيت أن أرضى لك ما قد رضيته لنفسي وأهلي ووالدي، مخلصاً لك النصيحة وباذلها، كاشفاً عما نحن عليه من ديانتنا هذه التي ارتضاها الله لنا ولجميع خلقه، ووعدنا عليها حسن الثواب في المعاد والأمن من العقاب في المآب ..... فلست أجادلك إلا بالجميل من الكلام

---

(1) عودة، [م. س]، ص ٩.

(2) لقراءة النص الكامل لهذه الرسالة وللرسالة الجوابية عليها، انظر كتاب (رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحاق الكندي يـدعوه فيهـا إلى الإسلام ورسالة الكِندي إلى الهاشمي يرد ا عليه ويدعوه إلى النصرانية) ط١، سنة ٢٠٠٤، من منشورات دار التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا.

والحسن من القول واللين من اللفظ، لعلك تنتبه وترجع إلى الحق وترغب في ما أتلوه عليك من كلام الله جل جلاله الذي أنزله على خاتم الأنبياء وسيد ولد آدم نبينا محمد. ولم أيئس من ذلك، بل رجوته لك من الله الذي يهدي من يشاء، وسألته أن يجعلني سبباً في ذلك، ووجدت الله يقول في كتابه ﴿إن الدين عِند اللهِ الْإِسلَام﴾ ..... وأنت تعلم أني رجل أتت علي سنون كثيرة وقد تبحرت في عامة الأديان وامتحنتها، وقرأت كثيراً من كتب أهلها وخاصة كتبكم معشر النصارى، فإني عنيت بقراءة الكتب العتيقة والحديثة التي أنزلها الله على موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام. فأما الكتب العتيقة التي هي التوراة، وكتاب يشوع بن نون، وسفر القضاة، وسفر صموئيل النبي، وسفر الملوك، وزبور داود النبي، وحكمة سليمان بن داود، وكتاب أيوب الصديق، وكتاب إشعياء النبي، وكتاب الإثني عشر نبياً، وكتاب إرميا النبي، وكتاب حزقيال النبي، وكتاب دانيال النبي فهذه هي الكتب العتيقة.

فأما الكتب الحديثة فأولها الإنجيل وهو أربعة أجزاء، الأول منها بشارة متى العشار، والثاني بشارة مرقس ابن أخت سمعان المعروف بالصفا، والثالث بشارة لوقا المطبب، والرابع بشارة يوحنا بن زبدي. فهذه أربعة أجزاء، منها بشارة رجلين من الحواريين الإثني عشر الذين كانوا ملازمين المسيح، هما متى ويوحنا، وبشارة رجلين من الحواريين السبعين الذين كانوا للمسيح، وبعثهم إلى الأمم دعاةً له وهما مرقس ولوقا. ثم كتاب قصص الحواريين وأحاديثهم وأخبارهم من بعد ارتفاع المسيح إلى السماء الذي كتبه لوقا، ورسائل بولس الأربع عشرة. فهذه كلها قد قرأ ا ودرستها وناظرت فيها تيموثاوس الجاثليق، الذي له فيكم فضل الرئاسة والعلم والعقل. وناظرت فيها من أهل فِرقَكم هذه الثلاث التي هي ظاهرة، أعني الملكية القابلين مركيانوس الملك على عهد الشقاق الواقع بين نسطوريوس وكيرلس، وهم الروم. واليعقوبية القائلين بمقالة كيرلس الإسكندري ويعقوب البردعاني وساويرس صاحب كرسي أنطاكية. والنسطورية أصحابك، وهم أقرب وأشبه بأقاويل المنصفين من أهل الكلام والنظر وأكثرهم ميلاً إلى قولنا معشر المسلمين، وهم الذين حمد نبينا (صلى الله عليه وسلم (؟!)) أمرهم ومدحهم وأعطاهم العهود والمواثيق، وجعل لهم من الذمة في عنقه وأعناق أصحابه ما جعل وكتب لهم في ذلك الكتب وسجل لهم السجلات، وأكد أمرهم عندما صاروا إليه حين أُفضي الأمر إليه واستوثق له، فأتوه وتحرموا بحرمته وذكّروه بمعونتهم إياه على إعلان أمره وإظهار دعوته. وذلك أن الرهبان كانوا يبشرونه ويخبرونه قبل نزول الوحي عليه بما مكن الله له وصار إليه. فلذلك كان يكثر تواده لهم وإطالة محادثتهم، ويرى كثيراً عندهم مخاطباً لهم في تردده إلى الشام وغيرها. وكان الرهبان وأصحاب الأديرة

يكرمونه ويجلّونه طوعاً ويخبرون أصحا م بما يريد الله أن يرفع من أمره ويعلن من ذكره، وكانت النصارى تميل إليه وتخبره بمكيدة اليهود ومشركي قريش وما يبتغونه له من الشر، مع مود م له وإجلالهم إياه وأصحابه. فعند ذلك نزل الوحي على نبينا عليه السلام، وشهد الله لهم في القرآن قائلاً: لَتجِدن أَشد الناسِ عداوةً لِلذِين آمنوا الْيهود والذِين أَشركُوا (يعني مشركي قريش) ولَتجِدن أَقْربهم مودةً لِلذِين آمنوا الذِين قَالُوا إِنا نصارى ذَلِك بِأَن مِنهم قِسيسِين ورهباناً وأَنهم لا يستكْبِرونَ (سورة المائدة ٥:٨٢). وعرف النبي عليه السلام بما أُنزل عليه من الوحي صحة ضمائرهم ونيا م، وأ م أصحاب المسيح حقاً السائرون بسيرته الآخذون بسننه، إذ كانوا لا يقبلون القتال ولا يستحلّون المال ولا يغشون أحداً ولا يريدون بالناس سوءاً ولا مكروهاً، وأ م طالبو السلامة ولا يصرون على حقدٍ ولا عداوة. فأعطاهم نبينا لذلك ما أعطاهم من العهود والمواثيق، وجعل لهم من الذمة في رقبته ورقاب أصحابه، ووصى م تلك الوصية عندما أطلعه الله على ما أطلعه عليه من أمرهم وبراءة ساحتهم. فنحن مقرون بذلك غير جاحدين ولا منكرين، وناظرون لهذا الفعل وآخذون ذه السنة وقابلون لهذه الوصية وموجبون هذا الحق على أنفسنا.

ولقيت جماعةً من الرهبان المعروفين بشدة الزهد وكثرة العلم، ودخلت كنائس وأديرة كثيرة وحضرت صلوا م تلك الطوال السبع التي يسمو ا صلوات الأوقات، وهي صلاة الليل، وصلاة الغداة، وصلاة الثالثة التي هي صلاة السحر، وصلاة نصف النهار أعني صلاة الظهر، وصلاة التاسعة التي هي قريبة من وقت العصر والعِشاء، وصلاة الشفع وهي صلاة العِشاء المفروضة، وصلاة النوم التي يصلّو ا قبل أخذهم مضاجعهم. ورأيت ذلك الاجتهاد العجيب والركوع والسجود بإلصاق الخدود بالأرض وضرب الجبهة والتكتف إلى انقضاء صلوا م، خاصة في ليالي الآحاد وليالي الجُمع وليالي الأعياد التي يسهرون فيها منتصبي الأرجل بالتسبيح والتقديس والتهليل الليل كله، ويصلّون ذلك بالقيام ارهم أجمع، ويكثرون في صلوا م ذكر الآب والابن والروح القدس، وأيام الاعتكاف التي يسمو ا أيام البواعيث (صلوات الاستمطار) وقيامهم فيها حفاةً على المسوح والرماد باكين بكاءً كثيراً متواتراً با مال دموع من الأعين والجفون منتحبين بسحق عجيب. ورأيت عملهم القربان، كيف يحفظونه بالنظافة في خبزهم إياه ودعائهم عند عمله الدعاء الطويل مع التضرع الشديد عند إصعاده على المذبح في البيت المعروف ببيت المقدس مع تلك الكؤوس المملوءة خمراً. ورأيت أيضاً ما يتدبر به الرهبان في قلاليهم أيام صيامهم الستة، أعني الأربعة الكبار والاثنين الصغيرين، وغير ذلك. فهذا كله كنت له حاضراً ولأهله مشاهداً وبه عارفاً عالماً.

ورأيت أيضاً مطارنةً وأساقفةً مذكورين بحسن المعرفة وكثرة العلم، مشهورين بشدة الإغراق في الديانة النصرانية، مظهرين غاية الزهد في الدنيا. فناظرتهم مناظرةً نصفة طالباً للحق، مسقِطاً بيني وبينهم اللجاج والمكابرة والصلف بالحسب، وأوسعتهم أمناً أن يقوموا بحجتهم ويتكلموا بجميع ما يريدونه، غير مؤاخذٍ لهم بذلك ولا متعنت عليهم في شيء كمناظرة الرعاع والجهال والسفهاء من أهل ديانتنا، الذين لا أصل لهم ينتهون إليه ولا عقل فيهم يعولون عليه، ولا دين ولا أخلاق تحجبهم عن سوء الأدب، وإنما كلامهم العنت والمكابرة والمغالبة بسلطان الدولة بغير علم ولا حجة. وكانوا إذا أنا ناظرتهم وسألتهم مسألة بحثٍ فاحصاً عن قولهم، وكانوا لشدة ورعهم ودعتهم واعتقادهم يصدقونني عن أمرهم ولا يكذبونني في شيءٍ مما كنت أسائلهم عنه وأجادلهم فيه. وكنت قد عرفت من بواطنهم مثلَ الذي قد عرفته من ظاهرهم، فكتبت إليك ذا الشرح بعد الاستقصاء والبحث، ليعلم من وقع في يده كتابي هذا أني عالم بالقضية.

فأنا الآن أدعوك ذه المعرفة كلها مِني بدينك الذي أنت عليه إلى هذا الدين الذي ارتضاه الله لي وارتضيته لنفسي، ضامناً لك به الجنة ضماناً صحيحاً والأمن من النار. وهو أن تعبد الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يتخذ صاحبةً ولا ولداً ولم يكن له كفؤاً أحد..... وأدعوك إلى الصلوات الخمس التي من صلاّها لم يخب ولم يخسر بل يربح ويكون في الدنيا والآخرة من الفائزين، وهي الفرض فيها فرضان: فرض من الله وفرض من رسوله مثل الوتر، وهي ثلاث ركعات بعد العِشاء الأخيرة، وركعتان في الفجر، وركعتان بعد الظهر، وركعتان بعد المغرب. فمن ترك شيئاً من هذه فليس بجائزٍ له. ويجب على من تركها أياماً الأدب ويستتاب منه. فأما الفرض فهو سبع عشرة ركعة في اليوم والليل: ركعتا الفجر، وأربع ركعات الظهر، وأربع ركعات العصر، وثلاث ركعات المغرب وهي العِشاء الأولى، وأربع ركعات العِشاء الآخرة وهي العتمة. وقد ى رسول الله أن يقال العتمة، وقال هي عتمة الليل، وإنما سميت عتمة لتأخرها في العِشاء وإبطائها.

وأدعوك إلى صوم شهر رمضان الذي فرضه الديان ونزل فيه الفرقان، شهر يشهد فيه الله أن فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، تصوم فيه ارك كله عن جميع المطاعم والمشارب والمناكح إلى أن يسقط قرص الشمس ويدخل حد الليل، ثم تأكل وتشرب وتنكح في ليلك كله حتى يتبين لك الخيط الأسود من الخيط الأبيض حلالاً مطلقاً هنيئاً طيباً من الله. فإن أنت لحقت ليلة القدر بإخلاص نيتك كنت قد فُزت في دنياك وآخرتك.

ثم أدعوك إلى الحج إلى بيت الله الحرام الذي بمكة، والنظر إلى حرم رسول الله وآثاره ومواضعه المباركة وتلك المشاعر العجيبة.

ثم أدعوك إلى الجهاد في سبيل الله بغزو المنافقين وقتال الكفرة والمشركين ضرباً بالسيف وسبياً وسلباً حتى يدخلوا في دين الله ويشهدوا أن الله لا إله إلا هو، وأن محمداً عبده ورسوله، أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

وأدعوك إلى الإقرار بأن الله يبعث من القبور، وأنه ديا م بالعدل فيكافي الحسنى بالحسنى ويجزي المسيء بإسائته، وأنه يدخل أولياءه وأهل طاعته الذين أقروا بوحدانيته وشهدوا بأن محمداً عبده ورسوله وآمنوا بما نزل عليه من القرآن، الجنة التي أعد لهم فيها الطيبات.... فهذه صفة الجنة التي أعدها الله للمؤمنين به وبرسوله، وأعد لهم فيها الطيبات من الطعام والشراب وأنواع الفواكه والرياحين، ونكاح الحور العِين اللائي هن كأمثال اللؤلؤ المكنون بلا اية ولا انقطاع. يأخذون كل ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، ولهم فيها الكرامة والحياة والجلوس على الأسرة، متكئين على الأرائك، عليهم ثياب الحرير اللين مستورين بالأسرة المكللة باللؤلؤ، تعرف في وجوههم نضرة النعيم. يدور عليهم الولدان والوصائف والوصفاء الذين هم في جنسهم كاللؤلؤ المكنون، يسقون من كأسات فيها الرحيق المختوم الذي ختامه مسك ومزاجه من تسنيم عيناً يشرب منها المقربون، يحيون ا بأحسن التحية وأطيبها، ويقولون لهم: كلوا واشربوا وتنعموا، هنيئاً لكم بما كنتم تعملون، لا يسمعون فيها لغواً ولا يمسهم جوع ولا لغوب، فهم في هذا النعيم آمنون واثقون خالدون أبداً. وأما الكفار الذين أشركوا بالله واتخذوا معه الأنداد ولم يؤمنوا برسله وكذبوا بآياته وحرموا حدوده وحاربوه، فهم أهل النار يلقو ا كفاحاً في جهنم لابثين في نار لا تطفأ وزمهرير لا يوصف وهم فيها خالدون، كلما احترقت جلودهم جددت لهم جلود أخرى، مقامهم في الجحيم وشرا م المهل، وطعامهم من شجرة الزقوم، رفقاء لإبليس وجنود له وبئس المصير..... وتنكح من النساء ما أحببت، لا جناح عليك في ذلك ولا لوم ولا إثم ولا عيب، إذا أنت تزوجتها بولي وشاهدين وآتيتها من المهر ما طابت به نفسك ونفسها مما تيسر. ولك أن تجمع بين أربع نساء، وتطلّق من شئت إذا كرهتها أو مللتها أو شبعت منها. ولك أن تراجع بعد الاستحلال من أحببت منهن أيتهن تبعتها نفسك. .... فقد تلوت عليك من قول الله فيما سلف من كتابي هذا ما في أقله كفاية، فدع ما أنت عليه من الكفر والضلال والشقاوة والبلاء، وقولك بذلك التخليط الذي تعرفه ولا تنكره، وهو قولكم بالآب والابن والروح القدس، وعبادة الصليب التي تضر ولا تنفع، فإني أرتابك عنه وأجل فيه علمك وشرف حسبك عن

خساسته .... فدع ما أنت فيه من تلك الضلالة وتلك الحمية الشديدة الطويلة المتعبة، وجهد ذلك الصوم الصعب والشقاء الدائم الذي أنت منغمس فيه، الذي لا يجدي عليك نفعاً إلا إتعابك بدنك وتعذيبك نفسك، وأقْبِل داخلاً في هذا الدين القيم السهل المنهج الصحيح الاعتقاد الحسن الشرائع الواسع السبيل، الذي ارتضاه الله لأوليائه من عباده، ودعا جميع خلقه إليه من بين الأديان كلها تفضلاً منه عليهم به، وإحساناً إليهم بهدايته إياهم، ليتم بذلك نعماه عندهم. فقد نصحت لك يا هذا وأديت إليك حق المودة وخالص المحبة، إذ أحببت أن أخلطك بنفسي، وأن أكون أنا وأنت على رأي واحد وديانة واحدة .... وأشفقت عليك أن تكون من أهل النار الذين هم شر البرية، ورجوت أن تكون بتوفيق الله إياك من المؤمنين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه وهم خير البرية، ورجوت أن تكون من هذه الأمة التي هي خير أمة أُخرجت للناس. فإن أبيت إلا جهلاً وتمادياً في كفرك وطغيانك الذي أنت فيه، ورددت علينا قولنا ولم تقبل ما بذلناه لك من نصيحتنا، حيث لم نرِد منك على ذلك جزاءً ولا شكراً، فاكتب بما عندك من أمر دينك، والذي صح في يدك منه وما قامت به الحجة عندك، آمناً مطمئناً غير مقصر في حجتك ولا مكاتم لما تعتقده. ولا فَرَق ولا وجل، فليس عندي إلا الاستماع للحجة منك، والصبر والإذعان والإقرار بما يلزمني منه طائعاً غير منكر ولا جاحد ولا هائب، حتى نقيس ما تأتينا به وتتلوه علينا ونجمعه إلى ما في أيدينا، ثم نخيرك بعد ذلك على أن تشرح لنا عليه، وتدع الاعتلال علينا بقولك إن الفزع حجبك وقطعك عن بلوغ الحجة، واحتجت أن تقبض لسانك ولا تبسطه لنا ببيان الحجة، فقد أطلقناك وحجتك لئلا تنسبنا إلى الكبرياء وتدعي علينا الجور والحيف، فإن ذلك غير شبيهٍ بنا. فاحتج عافاك الله بما شئت، وقل كيف شئت، وتكلم بما أحببت وانبسط في كل ما تظن أنه يؤديك إلى وثيق حجتك، فإنك في أوسع الأمان، ولنا عليك إذ قد أطلقناك هذا الإطلاق وبسطنا لسانك هذا البسط، أن تجعل بيننا وبينك حكماً عادلاً لا يجور في حكمه وقضائه، ولا يميل إلى غير الحق إذا ما تجنب دولة الهواء، وهو العقل الذي يأخذ به الله عز وجل ويعطي. فإننا قد أنصفناك في القول، وأوسعناك في الأمان، ونحن راضون بما حكم به العقل لنا وعلينا، إذ كان لا إكراه في الدين. وما دعوناك إلا طوعاً وترغيباً في ما عندنا، وعرفناك شناعة ما أنت عليه. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.[1]

[1] لقراءة النص الكامل لهذه الرسالة وللرسالة الجوابية عليها، انظر كتاب (رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحاق الكندي يـدعوه فيهـا إلى الإسلام ورسالة الكِندي إلى الهاشمي يرد بها عليه ويدعوه إلى النصرانية) ط١، سنة ٢٠٠٤، من منشورات دار التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا.

بعد استعراضنا لمعظم نصوص هذه الرسالة (المفتراة) وأبرز خطوطها العريضة نرى أننا في حاجةٍ لأن ندونَ الملاحظات التالية التي تراكمت بعد قراءتنا لها، مع الإشارة قبل البدء في ذلك إلى أننا لم نذكر مئات الآيات القرآنية التي كانت مبثوثةً في ثنايا الرسالة، حرصاً على عدم الإطالة.

الملاحظة الأولى: إن كان هذا المرسِلُ (المزعوم طبعاً) والمُسمى عبد الله بن إسماعيل الهاشمي، شخصيةً حقيقيةً، فلماذا لا نجد له ذكراً في كتب التاريخ الإسلامي ومصادر التراث الإسلامي، سواءٌ أكانت من الكتب المشهورة المتداولة أم من غيرها؟؟ خصوصاً وأنّ هذا الشخص (المرسِلَ) قد وصِف بأنه أحد نبلاء الهاشميين وأنه كان قريب القرابة من الخليفة المأمون، بل وصف نفسه في الرسالة بأنه ابن عم أمير المؤمنين!!!.

الملاحظة الثانية: إن كان هذا المرسِلُ المزعوم شخصيةً حقيقيةً، وأنه كان عالماً بالأديان ومتبحراً فيها، وأنه قد ناظر الكثيرين من الرهبان والمطارنة والأساقفة، وأنه قد دخل كنائسهم وحضر صلوا م وأكثر من مجادلتهم طالباً للحق، فلماذا لا نجد له ذكراً ولو في واحدٍ من كتب العقائد والأديان والملل؟؟.

الملاحظة الثالثة: إن كانت هذه الرسالة التي بعث ا هذا الهاشمي المزعوم حقيقيةً، فكيف خفيت على علماء المسلمين في ذلك العصر، ولماذا لم تأتِ كتب التاريخ أو الأديان أو العقائد على ذكرها وعلى ذكر الرسالة الجوابية لعبد المسيح (المزعوم) عليها؟؟ إنّ رسالتين من هذا النوع و ذا الحجم والمضمون كانتا لتشكّلان وثيقةً تاريخيةً ومستنداً هاماً عند علمائنا المسلمين في ذلك العصر، هذا لو وجدتا فِعلاً!!.

الملاحظة الرابعة: لو كانت هذه الرسالة، فعلاً، مبعوثةً من صديقٍ لصديقهِ يدعوه فيها إلى الإسلام، فبماذا نعلل امتلاءها الكبير بآيات القرآن الكريم؛ حيث نلحظ فيها استخدام عبد الله الهاشمي (المزعوم) لآيات القرآن الكريم في تسعةٍ وأربعين موضعاً مختلفاً، ومن اثنتين وعشرين سورةً قرآنيةً مختلفةً. وبما يزيد على مئات الآيات القرآنية كشواهد، زادت مساحا ا أحياناً على مساحات كلمات الرسالة نفسها، مع توثيقٍ دقيقٍ وصحيحٍ لكلّ الآيات الكريمة التي تمّ توظيفها كشواهد؟؟ مما يثبت دون أدنى شكٍّ أن كاتبها كان يكتب وبين يديه نسخةٌ من القرآن الكريم.

الملاحظة الخامسة: ليس هذا نمط رسائل الدعوة ولم يكن يوماً كذلك، ولكن الذي حدث أنّ كاتب هذه الرسالة (الحقيقي) قد اختلق شخصيةً تسمى (عبد الله الهاشمي)، ثم أجرى على لسا ا هذه الرسالة ومضمو ا لكي

تعطي القارئ (أو بالأصح القُراء فيما بعد) انطباعاً بأنها مبعوثةٌ من مسلمٍ ضليعٍ شديد الصلة بالقرآن إلى المسيحي (المُفترض) يدعوه فيها إلى الإسلام!!!.

الملاحظة السادسة: أسلوب صياغة الرسالتين يكاد يكون متطابقاً في صياغة المضمون وعرضه، وفي مستوى الرسالتين ما يدل على أن كاتبهما شخص واحد.

الملاحظة السابعة: يقول الهاشمي: (وكذلك رأيت من حضرته من أئمتنا الخلفاء الراشدين يتتبعون أثر نبيهم). ومن المستغرب هنا ذِكر لفظ الخلفاء الراشدين في اية القرن التاسع وبداية القرن العاشر الميلادي (يعني القرن الثالث الهجري)، وفقد انتهى زمنهم في القرن الأول الهجري!!!.

الملاحظة الثامنة: هنالك العشرات من علامات الاستفهام حول أسلوب وطريقة (الهاشمي) في الدعوة إلى الله والإسلام؛ فقد كانت طريقته حسب نص الرسالة ساذجةً جداً؛ إذ يفترض في من يدعو غير المسلمين إلى الإسلام أن يبدأ معهم بإيراد البراهين على صحة الإسلام وعلى صحة نبوةِ محمد ﷺ، فهذا المقام يتطلب إيرادها، لا أن يكلمه عن الصلاة والزكاة والصوم والحج وهو لم يؤمن بعد، ولكن الهاشمي هذا بدل أن يقَدم برهانه على صدق الدعوة الإسلامية نراه وكأنه يحدثُ مسلماً ويشرح له مسائل في الفقه، فيقوم بدعوة عبد المسيح الكِندي وبشرحٍ مفصلٍ إلى الصلوات الخمس وغيرها!!!.

ويدعوه إلى صوم رمضان وترك المطاعم والمشارب والمناكح في اره وإباحتها له في ليله إلى مطلع الفجر!!! ويدعوه إلى حج البيت، والنظر إلى حرمِ رسول الله ﷺ وآثاره ومواضعه!!! ويدعوه إلى الجهاد وقتال الكفرة والمشركين ضرباً بالسيف وسبياً وسلباً، ويدعوه إلى نكاح النساء وتطليقهن إذا شبع منهن!! يا لها من طريقةٍ لدعوة غير المسلمين للإسلام!!.

فهذا الأسلوب لا يمكن أن يقوم به من له أدنى خبرةٍ في حوار غير المسلمين، فكيف وهو معروف بكثرة المناظرة، كما يذكر عن نفسه فيقول: "فهذه كلها قد قرأتها ودرستها وناظرت فيها تيموثاوس الجاثليق ... وناظرت ُفيها من أهل فرقكم هذه الثلاث التي هي ظاهرة، أعني الملكية ... وهم الروم. واليعقوبية ... والنسطورية أصحابك..."!! ويقول: "ورأيت أيضاً مطارنةً وأساقفةً مذكورين بحسن المعرفة وكثرة العلم ... فناظر م مناظرةً طالباً

للحق". فالدعوة في هذه الحالة تكون أولاً إلى الإيمان بالله ورسوله، ثم إذا آمن من ندعوه إلى الإسلام شرحنا له كيفية العبادات وما عليه من واجبات.

الملاحظة التاسعة: لقد افتتح الهاشمي رسالته بقوله: "افتتحت كتابي إليك بالسلام عليك والرحمة، تشبهاً بسيدي وسيد الأنبياء محمد رسول الله ﷺ فإن ثقاتنا رووا لنا عنه أن هذه كانت عادته، وأنه كان إذا افتتح كلامه مع الناس يبدؤهم بالسلام والرحمة في مخاطبته إياهم، ولا يفرق بين الذمي منهم والأمي، ولا بين المؤمن والمشرك".

وهذا بالطبع كذب واضح على النبي ﷺ، فالنبي ﷺ لم يكن يفتتح رسائله لغير المسلمين ـذه الصيغة (السلام عليكم والرحمة)، ففي البخاري في رسالة النبي عليه السلام إلى هرقل (سلام على من اتبع الهدى).

ثم إن قول: "هذه عادته" كذب بحت، بل ثبت عنه النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، فكيف يزعم أن هذه عادته؟

الملاحظة العاشرة: قد تكون الملاحظات السابقة كلها قابلةً للنقاش والأخذ والرد وقد يلتمس البعض الأعذار للهاشمي عليها، ولكن الذي لا نفهمه ولا نجد له عذراً، هو هذا المدح المُبطن من الهاشمي للرهبان المسيحيين ألد أعداء ديننا، فقد ذكر الهاشمي عبادات الرهبان، مظهراً نفسه أنه يعرف عنهم الكثير، ولكنه في الحقيقة يمدحهم مدحاً شديداً، فيقول عن الرهبان: "ورأيت ذلك الاجتهاد العجيب والركوع والسجود بإلصاق الخدود بالأرض وضرب الجبهة" ويقول: "وليالي الأعياد التي يسهرون فيها منتصبي الأرجل بالتسبيح والتقديس والتهليل الليل كله" وكذلك: "وأيام الاعتكاف ... وقيامهم فيها حفاةً على المسوح والرماد باكين بكاءً كثيراً متواتراً با ـمال دموع من الأعين والجفوف منتحبين بسحق عجيب". وأيضاً: "ورأيت عملهم القربان، كيف يحفظونه بالنظافة في خبزهم إياه ودعائهم عند عمله الدعاء الطويل مع التضرع الشديد).

ولم يكتف الهاشمي (المزعوم) ـذا المدح للرهبان، بل إنّ الأمر تجاوز الحد إلى مرحلة الانزلاق الخطير المتمثّل في قوله: إنّ الرهبان والنصارى قد أعانوا رسول الله ﷺ على إعلان أمره وإظهار دعوته ويخبرونه قبل نزول الوحي عليه بما مكن الله له وصار إليه. وأن الرسول ﷺ كان يرى كثيراً عندهم في تردده إلى الشام وغيرها، وأن الرهبان أصحاب الأديرة كانوا يكرمونه ويجلّونه طوعاً، ويخبرون أصحا ـم بما يريد الله أن يرفع من أمره ويعلي من ذكره. فإنّ ذلك الكلام كلّه كان مقدمةً، بل وأساساً استند عليه القائلون بأنّ محمداً أخذ الدين الإسلامي عن الراهب بحيرا وورقة بن

نوفل، وأضاف عليه مِن عنده فأخرج ديناً جديداً يسمى الإسلام. ولعمري ما كانت تلك إلا كلمات الرهبان والقسيسيين التي يرددها الغربيون حتى يومنا هذا.

الملاحظة الحادية عشرة: في م لقٍ خطيرٍ آخر يقول الهاشمي (المزعوم) داعياً الكِندي إلى الإسلام وإلى الجهاد في سبيل الله بغزو المنافقين وقتال الكفرة والمشركين ضرباً بالسيف وسبياً وسلباً حتى يدخلوا في دين الله. ولا يخفى أنّ في هذا الكلام ترديداً خطيراً لشبهة المستشرقين التي تقوم على أن الإسلام انتشر بقوة السيف والسلاح دون إقناعٍ للناس، وهي شبهةٌ لا زالت دوائر الكيد للإسلام في الغرب ترددها حتى الساعة.

الملاحظة الثانية عشرة: عن قصدٍ وعمدٍ يردد هذا الخبيث شبهة أنّ المسلمين مولعون بالجنس "... وتنكح من النساء ما أحببت، لا جناح عليك في ذلك ولا لوم ولا إثمَ ولا عيب إذا أنت تزوجتها بوليٍ وشاهدين ..."، وكأن تعدد الزوجات هو ما علق في ذهن هذا وأمثاله في تشريعات الإسلام، خصوصاً عندما يعرض تعدد الزوجات ذه الصورة السطحية القبيحة دون قيودٍ أو ضوابط أو دواعٍ كما عرضت هذه الرسالة!!!.

وخلاصة القول في هذه الرسالة: إنّ القول الذي نعتمده ونقول به في أمرها أنها مصطنعةٌ على لسان شخصيةٍ وهميةٍ لا ذكر لها في أيٍّ من المصادر الإسلامية التي تناولت أسماء الرجال أو تاريخ العباسيين أو علم العقائد والأديان والملل ... غير أننا نقر في الوقت ذاته بتمكنِ كاتبها (المسيحي طبعاً) من اللغة العربية، ومعرفته بالقرآن الكريم وقراءته له وحيازته على نسخةٍ منه، وبترديده وبأسلوبٍ خبيثٍ ماكرٍ للشبهات ذا ا حول القرآن الكريم وتشريعات الإسلام التي ما فتئ الرهبان الكاثوليك وغيرهم يرددو ا حتى يومنا هذا.

أما عن الرسالة الأخرى؛ وهي الرسالة الجوابية التي كتبتها (أو بالأصح التي أجريت على لسا ا) الشخصية الوهمية الأخرى المُسماة عبد المسيح بن إسحاق الكِندي، فهي من الطول بما لا يسمح بعرض الكثير منها، ولكننا سنقتصر رغبةً في عدم الإطالة على مقتطفاتٍ منها.

الرسالة الجوابية من عبد المسيح الكِندي إلى عبد الله الهاشمي

يدعوه فيها إلى ترك الإسلام واعتناق المسيحية[1].

رب يسر ولا تعسر. تمم بالخير.

إلى عبد الله بن إسماعيل الهاشمي،

من عبد المسيح بن إسحق الكِندي أصغر عبيد المسيح.

سلامةٌ ورحمةٌ ورأفةٌ وتحيات تحل عليك خاصةً، وعلى جميع أهل العالم عامةً بجوده وكرمه آمين.

أما بعد، فقد قرأت رسالتك وحمدت الله على ما وهب لي من رأي سيدي أمير المؤمنين، ودعوت الله الذي لا يخيب داعيه، إذا دعاه بنيةٍ صادقةٍ، أن يطيل بقاء سيدنا أمير المؤمنين في أسبغ النعم برحمته. وشكرت ما ظهر لي من فضلِك، وما كشفته من لطيف محبتك، فقد كان العهد قبلاً عندي على هذا قديماً، وقد زاده تأكيداً ما تبين لي من شفقتك. وشكري يقصر عما فعلته، ولم تتعد ما يشبه كرم طباعك وشرف سلفك. وأنا أرغب إلى الله الذي بيده الخير كله أن يتولى مكافأتك عني بما هو واسع له. إذ لم تأت بما أتيت به إلا على الإخلاص من المودة، وكان الذي حملك على ذلك فرط المحبة. وفهمت ما اقتصصته في كتابك وتعمقت فيه من الدعوة وشرحته من أمر ديانتك هذه التي أنت عليها، وما دعوتني إلى الدخول إليه ورغبتني فيه منها. وقد علمت أنّ الذي دعاك إلى ذلك ما يوجبه لنا تفضلك من حق حرمتنا بك لما يظهر من رأي سيدنا وسيدك وابن عمك أمير المؤمنين فينا، فهذا ما لا قوة لنا على شكرك عليه، ولا عون لنا على ذلك إلا الله تبارك وتعالى، فإننا نستعينه ونسأله مبتهلين طالبين إليه أن يشكرك عنا، فإنه أهلٌ لذلك والقادر عليه. فأما ما دعوتني إليه من أمر دينك، وأنك على ملّة أبينا إبراهيم، وما قلت فيه إنه كان حنيفاً

---

(1) انظر:

أ. كتاب رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحق الكندي [م. س] من منشورات مكتبة التكوين.

ب. دراسة الدكتور محمد حمدي البكري: "رسالة الهاشمي إلى الكندي ورد الكندي عليها" المنشورة في مجلة كلية الآداب (جامعة فؤاد الأول) العدد التاسع ـ ا لمـد الأول ـ شهر أيار ١٩٤٧م ـ الصفحات: ٢٩- ٤٩.

ج. دائرة المعارف الإسلامية بالفرنسية: مقال "الكندي، عبد المسيح بن إسحق" كتبه الفرنسي:
G. troupeau Encylcopedie de l'Islam Nouvelle edition Tome V KHE – MAHI Leiden E. J. Brill Paris, 1986, pp: 123 – 124.

د.ا لمة الإيطالية "الشرق المسيحي" مقال: "جواب الكندي ومكانه في الجدل الإسلامي ـ المـسيحي" كتبـه الفرنـسي: Armand Abel عنـوان المقـال L'apologie d'al-Kindi et sa place dans. La polemique islamo-chretienne نـشر في مجلـة: L'Oriente Cristiano Nella storia della civilta مكان وتاريخ صدورها والصفحات: Accadimia onale dei lincei, Anno (1964), Quaderno n° 62, pp 501 – 523.

هـ. الألوسي، نعمان بن محمد، الجواب الفسيح لما لفّقه عبد المسيح، تحقيق د. أحمد حجازي السقّا، ط١، ١٩٨٧، دار البيان العربي، القاهرة.

مسلماً... فأقولُ مجيباً لك: إن إبراهيم كان يعبد الصنم حنيفاً مع آبائه وأجداده وأهل بلده، كما أقررت أنت أيها الحنيف وشهدت بذلك عليه، إلى أن تجلّى الله له فآمن بالرب فحسبه له براً (تكوين ٦: ١٥).... فما لك وطلبٍ ما لم يجعله الله لك حقاً؟ فأنت دائماً تنسب ذاتك إلى العدل، وصاحبك [محمد] يقر في كتابه: قُلْ إني أُمِرت أنْ أكُونَ أولَ من أسلَم ولَا تكُونن مِن الْمشرِكِين (سورة الأنعام ٦: ١٤) أفلا ترى أنه أولُ من أظهر الإسلام، وأن قبله إبراهيم وغيره لم يكونوا مسلمين، لأن صاحبك قد أقر بأنه هو أول من أسلم؟

فهل ندع كلام الله والسر الذي أودعه موسى، وبرهان موسى على صحة ذلك بالعلامات العجيبة، ونقبل قول صاحبك بلا حجةٍ ولا آيةٍ ولا أعجوبةٍ ولا دليلٍ، حيث يقول إن الله فرد صمد، ثم يرجع فيناقض قوله ويقول إن له روحاً وكلمةً. فهو قد وحد وثلث من حيث لم يعلم!...

ولقد فهمت ما دعوتني إليه من الشهادة لصاحبك [محمد] والإقرار بنبوته ورسالته، وما عظمت من أمره. فأما تعظيمك إياه فلسنا نجادلك فيه، وليس عندنا فيه إلا تسليمه لك، إذ كنت أولى الناس بقرابتك، وقرابتك أولى الناس بك. وإنما نحن مناظروك في ما دعوتنا إليه من الإقرار بنبوته بأن ذلك حق واجب، فإن كان ذلك حقاً واجباً فليس ينبغي لنا، ولا لأحدٍ ذي عقلٍ أن يمتنع أو يمتعض من قبوله، فإنه لا يمتنع عن الإقرار بالحق إلا ظالمٌ معتدٍ، أو جاهل بمعرفة قدر الحق. وإن كان ذلك غير الحق فلا ينبغي لك أن تقيم على غير الحق، فكيف تدعونا إليه؟ فإنك إذا فعلت هذا كنت ظالماً لنفسك أولاً، ثم متعدياً على من تدعوه إلى غير الحق.

كان هذا الرجل يتيماً في حِجر عمه عبد مناف المعروف بأبي طالب، الذي كفله عند موت أبيه وكان يعوله ويدافع عنه، وكان يعبد أصنام اللات والعزى مع عمومته وأهل بيته بمكة على ما حكى هو في كتابه وأقره على نفسه حيث قال: ألَم يجِدك يتِيماً فَآوى ووجدك ضالّاً فَهدى ووجدك عائِلاً فَأغْنى (سورة الضحى ٩٣: ٦-٨)، ثم نشأ في ذلك الأمر حتى صار في خدمة عِيرٍ لخديجة بنت خويلد، يعمل فيها بأجرةٍ ويتردد ا إلى الشام وغيرها، إلى أن كان ما كان من أمره وأمر خديجة، وتزوجه إياها للسبب الذي تعرفُه. فلما قوته بمالها نازعته نفسه إلى أن يدعي المُلك والترؤس على عشيرته وأهل بلده، فلم يتبعه عليه إلا قليل مِن الناس، فعندما يئس مما سولت له نفسه ادعى النبوة وأنه رسولٌ مبعوثٌ من رب العالمين، فدخل عليهم من بابٍ لطيفٍ لا يعرفون عاقبته ما هي، ولا يفهمون كيف امتحان مثله ولا ما يعود عليهم مِن ضررٍ منه، وإنما هم قوم عرب أصحاب بدوٍ لم يفهموا شروط الرسالة ولم يعرفوا علامات

النبوة، لأنه لم يبعث فيهم نبي قط. وكان ذلك من تعليم الرجل الملقن له، الذي سنذكر اسمه وقصته في غير هذا الموضع من كتابنا، وكيف كان سببه. ثم إنه استصحب قوماً أصحاب غاراتٍ ممن يصيب الطريق على سنة البلد وعادة أهله الجارية عندهم إلى هذه الغاية، فانضم إليه هذا النوع، وأقبل يبثّ الطلائع، ويدس العيون ويبعث إلى المواضع التي تَرِد القوافل إليها من الشام بالتجارات فيصيبو ا قبل وصولها، فيغيرون عليها ويأخذون العِير والتجارات ويقتلون الرجال. وكان أول خروجه من مكة إلى المدينة ـذا السبب، وهو حينئذ ابن ٥٣ سنة بعد أن ادعى ما ادعاه من النبوة بمكة ١٣ سنة، ومعه من أصحابه ٤٠ رجلاً، وقد لقي كل أذى من أهل مكة لأ ـم كانوا به عارفين، فأظهروا أن طرده لادعائه النبوة.

ثم أعجب من هذا في قُبح الأحدوثة، والشناعة في الفعل والفظاظة، توجيهه إلى واحدٍ واحداً يقتله بالغِيلة، كتوجيهه عبد الله بن رواحة لقتل أسير بن دارم اليهودي بخيبر فقتله غيلةً، وكبعثه سالم بن عمير العمري وحده إلى أبي عفك اليهودي، وهو شيخ كبير ما به حراك، فقتله بالغيلة ليلاً وهو نائم على فراشه آمناً مطمئناً، واحتج بأنه كان يهجوه. ففي أي كتابٍ قرأت هذا، وأي وحيٍ نزل عليه به، ومن أي حكمٍ حكم على من هجاه أن يقتل؟ فقد كان في تأديب هذا الشيخ على ذنبه شيءٌ دون القتل، وخاصةً ليلاً وهو نائم مطمئن آمن على فراشه، فإن كان هجاه بما كان فيه، فقد صدق ولا يجب على من صدق قَتل. وإن كان كذب عليه في قوله، فلا يجب على من كذب القتل، بل يؤدب لئلا يعود. فأين قولك إنه بعِثَ بالرحمة والرأفة للناس كافةً؟

وكذلك ما فعل في يهود قينقاع، حيث صار إليهم بغير ذنبٍ ولا علةٍ إلا الرغبة في أموالهم، فحاصرهم حتى نزلوا على حكمه، واستوهبهم منه عبد الله بن أبي بن سلول فوهبهم له، وأخرجهم إلى أذرعات بعد أن أخذ أموالهم فقسمها بين أصحابه، وأخذ هو الخُمس قائلاً: هذا ما أفاء الله على نبيه . فكيف طاب له هذا، وبماذا استحل أن يأخذ أموال قومٍ لم يؤذوه ولم يكن بينه وبينهم غل، وإنما استضعفهم وكانوا كثيري الأموال! فما هكذا تفعل الأنبياء ولا من يؤمن بالله واليوم الآخر.

فأما ما كان بينه وبين زينب بنت جحش امرأة زيد، فإني أكره ذكر شيءٍ منها إجلالاً لقدر كتابي هذا عن ذكرها، غير أني آتي بشيءٍ مما حكاه في كتابه الذي يقول إنه نزل عليه من السماء إذ يقول: وإِذْ تقُولُ ِللذِي أنعم الله علَيهِ وأنعمت علَيهِ أمسِك علَيك زوجك واتقِ الله وتخفِي ِفِي نفْسِك ما الله مبدِيهِ وتخشى الناس والله أحق أنْ

تخشاه فَلَما قَضى زيد مِنها وطَرا زّوجناكَها لِكَي لاَ يكُونَ علَى الْمؤمِنِين حرج فِي أَزواجِ أَدعِيائِهِم إِذَا قَضوا مِنهن وطَراً وكَانَ أَمر الله مفْعولاً ما كَانَ علَى النبِي مِن حرجٍ فِيما فَرض الله لَه سنةَ اللهِ فِي الَذِين خلَوا مِن قَبلُ وكَانَ أَمر اللهِ قَدراً مقْدوراً (سورة الأحزاب ٣٣: ٣٧، ٣٨).

وكذلك هناته مع عائشة وما كان من أمرها مع صفوان بن المعطّل السلمي في رجوعهم من غزوة المصطلق، بتخلفها عن العسكر معه وقدومه ا من الغد نحو الظهيرة راكبةً على راحلته يقودها، وما قذفها به عبد الله بن أبي بن سلول وحسان بن ثابت ومسطَح بن أثاثة، ابن خالة أبي بكر، وزيد بن رفاعة وحمنة بنت جحش، أخت زينب، وتبليغ علي بن أبي طالب إليه كلام المتكلمين وعيب العائبين، قائلاً: "يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثيرة"، فلم يلتفت صاحبك إلى ذلك كله لشدة إعجابه ا، لأنه لم يكن في من نكح مِن نسائه بِكْر غيرها ولا أحدث سناً منها، فكان لها من قلبه مكان، فرضي بما كان من ذلك الأمر كله، وهذا كان سبب انعقاد تلك العداوة بين عائشة وبين عليّ إلى آخر حيا ما. ثم قال صاحبك ب ول براء ا في سورة النور من قوله: "إن الذين جاءوا بالإفك عصبةٌ منكم" الخ... الأقاصيص، ومارية أم إبراهيم ابنه، وريحانة بنت شمعون القريظية اليهودية، فهؤلاء نساؤه اللواتي كن له، وأمتان!

فإذا كان صعباً على الرجل أن يخدم امرأة واحدة ويرضيها ولا يسخِط خالقه، فكيف يكون حال من يريد أن يصرف عنايته إلى رضى خمس عشرة امرأةٍ وأمتين، مع ما أنت عارف من شغله من تدبير الحروب وتوجيه الطلائع لشن الغارات؟ فمتى يتفرغ للصوم والصلاة والعبادة وجمع الفكر وصرفه إلى أمور الآخرة، وما شاكل ذلك من أعمال الأنبياء؟ ولست أشك في أنه لا نبي قبله ابتدع مثل هذا! والآن ما الدليل على دعوى صاحبك؟ إن قلت أنه أخبرنا بأقاصيص الأنبياء الذين كانوا قبله في الزمان السالف كنوحٍ وإبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى والمسيح وسائر الأولين الذين ذكرهم في كتابه، فجوابنا أنه أخبرنا بما سبقت معرفتنا به، ودرسته صبياننا وأطفالنا في المكاتب. فإن ذكرت قصة عاد وثمود والناقة وأصحاب الفيل ونظائر هذه القصص، قلنا لك: هذه أخبار وخرافات عجائز الحي، وليس ذكرها دليلاً على نبوته، فقد سقط شرط من شرطي النبوة. فإن قلت أنه أخبر بأمرٍ قبل حدوثه، ألزمناك توضيح ذلك، لأنه قد مضت أكثر من مائتي سنةٍ منذ موت محمدٍ، وكان يجب أن يتحقق عندك شيء مما أخبرك أنه سيكون. ولكنك

تعلم أنه لم يأتِ في هذا الباب شيء ولا نطق فيه بكلمة ولا تفوه بحرفٍ واحدٍ، فسقط عنه الشرط الثاني من شروط النبوة.

وإذ قد خلا من الشرطين اللذين يوجبان الإيمان بالنبوة، نسأل: هل أجرى محمد معجزات باهرات؟ فنسمعه يقول: وما منعنا أنْ نرسِلَ بِالْآياتِ إلا أنْ كَذب بِها الْأولُونَ (سورة الإسراء ١٧: ٥٩). أي: لولا أن يكذبوا بآياتك كما كذبوا بالآيات التي جاءهم ا الأولون من قبلك، لأعطيناك الآيات! وأنت تعلم أن هذا جواب مرفوض، لا يقنع أحداً!

أما كتاب صاحبك الذي ادعى أنه م ل عليه من عند الله فليس فيه شيء من ذكر المعجزات، فقد قال إن الله لم يجعله صاحب معجزة لأن السابقين كذبوا بآيات الأنبياء الأولين، فكره الله أن يؤتيه بشيء منها فيكذبون به. نعم، إن الأولين من اليهود كذبوا بآيات الأنبياء وردوها، وأما الأعراب فبآيات من كّذبوا، ولم يبعث فيهم نبي قط، ولا وجه إليهم رسولٌ لا بآية ولا بغير آية؟ ولعله لو كان جاءهم بشيء من الآيات لكانوا صدقوه ولم يكذبوه! ألم نر أن كثيرين منهم أجابوا دعوته ولم يروا منه آية ولا سمعوا عنه أعجوبة؟ أما غير الكتاب، فقد وجدنا لكم أخباراً وقصصاً هي كخرافات العجائز... وكذلك السم الذي سمته به زينب بنت الحارث اليهودية (زوجة سلام بن مشكم اليهودي) في شاة مشوية فكلمته الذراع. وأكل معه بِشر بن البراء بن معرور فمات، وأن السم الذي لم يزل يدب في بدن محمد كان سبب موته. فهل سمع الكلام من الذراع وحده، أم سمعه من كانوا بحضرته؟ فإن كان سمعه هو وحده فِلم لم يمنع ابن البراء من أكل طعامٍ مسمومٍ حتى لا يموت، وهو رجل من أصحابه اختصه بالأكل معه؟ وكيف استحل ذلك واستجاز كتمان قول الذراع له إ ا مسمومة؟ وإن كان جميع الحاضرين سمعوا كلام الذراع، فكيف لم يمتنع ابن البراء من الأكل وهو يسمع الذراع تقول: لا تأكل مني فإني مسمومة؟ فليس يخلو هذا من أحد وجهين، إما أن يكون سمعه هو وحده وكتم ذلك غدراً، وإما أن تكون الجماعة سمعوه فلم يمتنع ابن البراء من ذلك الأكل حيث سمع ولا يموت. ولعل ابن البراء أكل السم ثقةً منه بأنه يأكل مع نبي مستجاب الدعوة ورسول رب العالمين، مشفع عند ربه في جميع ما سأله، فلماذا لم يدع محمد ربه فيجيبه كعهدنا بالأنبياء المشفعين في إحياء الموتى؟ .... وكيف لم يأكل محمد منها أيضاً ولم يصبه شيء، فيكون ذلك آية له وشاهداً على صحة ما يدعي من النبوة إن كان نبياً؟ لأن الأنبياء معصومون بالوقاية الإلهية من الآفات التي يحتال الكفرة ا عليهم وعلى أولياء الله.

ثم أعظم من هذا وأشنع أنه كان يقول لهم في حياته ويوصي إليهم إذا مات ألاّ يدفنوه، فإنه سيرفع إلى السماء كما ارتفع المسيح، وأنه أكرم على الله أن يتركه على الأرض أكثر من ثلاثة أيام. ولم يزل ذلك عندهم متمكناً في قلوبهم. فلما مات يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول سنة ٦٣ لمولده، وقد مرض ١٤ يوماً، تركوه ميتاً، يظنون أنه سيرفع إلى السماء كقوله، فلما أتت عليه ثلاثة أيام وانقطع رجاؤهم من ذلك ويئسوا من تلك المواعيد الباطلة، دفنوه يوم الأربعاء. وحكى بعضهم أنه مرض سبعة أيام بذات الجنب، وأنه غرب عقله وخلط في كلامه تخليطاً شنيعاً، فغضب لذلك علي بن أبي طالب وأنكره، فلما أفاق أخبره بما كان فقال: لا يبقين في البيت أحد إلا العباس بن عبد المطلب، فلما كان اليوم السابع من مرضه مات، فارتفع بطنه وانعكست إصبعه الشمال وهي الخنصر. وذكر ضمران أنه كان تحته في مرضه شملة حمراء وعليها مات وفيها أُدرج بعد موته ووُوري في التراب بغير غسل ولا أكفان. وروى عمران بن خضير الخزاعي أنه غُسل وأُدرج في ثلاثة أثواب بيض يمانية، وأن الذي تولى ذلك منه علي بن أبي طالب والفضل بن العباس بن عبد المطلب عمه. فلم يبق أحد ممن كان تبعه إلا ارتد ورجع عما كان عليه، غير نفرٍ يسير من أخص أهله وأقربهم نسباً إليه، طمعاً بما كان فيه من تلك الرئاسة .... إلى آخر الرسالة[*].

قبل البدء في مناقشة مضمون ما تقدم من تلخيص هذه الرسالة تجدر الإشارة إلى أنّ التلخيص كان ضرورياً، لأنّ حجمها زاد عن مائة وأربعين صفحةً في بعض الطبعات القديمة، وقد تمّ التلخيص رغبةً في عدم الإطالة مما يوقع في الملل، وكذلك لأنّ طبيعة هذا النوع من الدراسات لا تسمح بالكثير من طويل النقول. وإنما ذكرنا هذه النصوص لأنها موضع الشاهد على الكثير مما تقدم معنا ولحاجتنا الملحة للوقوف على بعضه ومحاكمته. ولسنا في معرض الرد على هذه الرسالة في هذا الموضع وذلك لأمرين:

أولهما أنّ العلامة الألوسي ـ رحمه الله ـ قد نقدها ونقضها كلمةً كلمةً وفند كل المزاعم والادعاءات والافتراءات المشتملة عليها في كتابه الجواب الفسيح لما لفّقه عبد المسيح[1]. **وثاني الأمرين** أنّ هناك مبحثاً مستقلاً كاملاً قد خصص في هذه الدراسة لعرض الشبهات التي حملها الرهبان والقساوسة والمستشرقون تجاه الإسلام، وسيأتي تفنيد ذلك والرد عليه إجمالاً وتفصيلاً بعونه تعالى.

---

[*] هنا ينتهي تلخيصنا لأبرز نصوص هذه الرسالة الجوابية.

[1] سبق ذكره والتعريف به.

وبالعودة للحديث عن هذه الرسالة الجوابية التي صِيغت على لسان الشخصية الوهمية المزعومة المسماة (عبد المسيح الكِندي)، فإنما هي استمرار لمسرحية اختلاق الأشخاص، وإجراء الكلام على ألسنتهم بغاية عرض معتقدات الإسلام وتشريعاته للرد عليها ونقضها في هذا المؤلف الذي ترجح لدينا وضعه على يد الراهب يحيى بن عدي. ومن الواضح بعد دراسة نصوص هذه الرسالة الجوابية أ ا إنما خطت لتحقيق الأهداف والمقاصد غير الحسنةِ التالية:

أولاً: صياغة كل ما كان يعتملُ في صدور الرهبان آنذاك تجاه الإسلام ونبوة محمد ﷺ صياغةً هجوميةً، تقوم على إنكار نبوته وتفنيد الادعاء الإسلامي بصحتها وبسماوية مصدرها.

ثانياً: مهاجمة التصور الإسلامي والتصوير القرآني لقضية التثليث، والزعم بأنّ الأقانيم الثلاثة إنما هي تعبير في صورٍ مختلفةٍ عن إلهٍ واحدٍ، والرد على الآية الكريمة (لقد كفر الذين قالوا إنّ الله ثالثُ ثلاثةٍ).

ثالثاً: التركيز على ألوهية المسيح، وكونه أسمى م لةً من أن يكون نبياً.

رابعاً: مهاجمة الفهم الإسلامي لحنيفية إبراهيم ـ عليه السلام ـ ووصفها بأنها تعني عبادة الأصنامِ، حسب التفسير الكتابي لها، والزعم بأنّ إبراهيم، عليه السلام، عبد الأصنام سنواتٍ عديدةً، وأنه اتجه بعد ذلك للتوحيد وعبادة الله.

خامساً: اتهام الرسول ﷺ بالتناقض؛ والقول بأنه في حين كان يدعو لعبادة الله الفرد الصمد، كان يرجع فيناقض نفسه ويقول إنّ لله روحاً وكلمةً، وبالتالي يكون محمد قد وحد وثلثَ من حيث لم يعلم.

سادساً: الطّعن الصريح والمباشر في سيرة الحبيب المصطفى ﷺ، والقول باستغلاله لزوجته الثرية ولأموالها، وباستغلاله لبساطة من حوله من أهل قريشٍ، وإعلانه للنبوة في وسطهم حيث كانوا عرباً أصحاب بداوةٍ لم يفهموا شروط الرسالة ولم يعرفوا علامات النبوة؛ لأنه لم يبعث فيهم نبي قطّ، والقول باستعماله العنف والإغارة على قوافل التجارة للسلب والنهب.

سابعاً: القول بشهوانية النبي محمدٍ ﷺ، وعشقه للنساء، والاستدلال على ذلك بعدم تطليقه لعائشة ـ رضي الله عنها ـ بالرغم من فعلها للفاحشة (حاشاها رضي الله عنها) وتغاضيه عن حادثة الإفك، وأنّ ذلك كلّه كان لشدة إعجابه ا؛ لأنه لم يكن في من تزوج من نسائهِ بكر غيرها!!!.

ثامناً: التركيز على إبطال القول بنبوة محمدٍ، وذلك بحجة عدم انطباق شروط النبوة عليه، والاستدلال على ذلك بأنّ محمداً مات مسموماً بعدما أكل من لحم الشاة المسمومة المشوية التي قدمتها له زينب بن الحارث اليهودية، والقول بأنّ محمداً لو كان نبياً حقّاً لعصمته الوقايةُ الإلهيةُ من الآفات التي تحتال ا الكفرةُ على الأنبياء وعلى أولياء الله ومن ذلك تقديم السم لهم في الأكل، وعضد القول بإبطال نبوة محمدٍ بأنّ محمداً لم يأتِ بمعجزاتٍ باهراتٍ ولم يخبر قومه بأمورٍ قادمةٍ ستحدث وبالتالي هو ليس نبياً.

ومن الواضح تماماً أن المرجعية التي كان يحتكم إليها هذا الكِندي (المزعوم) وينطلق منها في إصداره لأحكام التخطيء بحق الإسلام ونبيه ﷺ كانت حكايات التوراة والإنجيل، وما ورد فيهما من قصص الرسل والملائكة والنبؤات، فما وافقها كان صحيحاً، وما خالفها لم يكن كذلك!!!

لقد صيغت هذه الرسالة الجوابية صياغةً محكمةً متقنةً، حتى لكأن واضعها فذ عبقري، أو مجموعةٌ من الدراسين للقرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة الذين أجادوا العرض والنقد، ولكنه للأسف، كان نقداً مليئاً بالسموم والأباطيل التي لاقت هوى وقبولاً واستحساناً لدى أصحاب ا موعة الطليطلية وفيلق ديركلوني، فترجموها إلى اللاتينية، واتخذوا من أباطيلها مستنداً ووثيقةً تاريخيةً، رددها معظم المستشرقين الحاقدين على الإسلام في غرب أوروبا حتى يومنا هذا.

ويستفاد في اية الحديث عن الرسالة الإسلامية والجواب المسيحي عليها أنّ نشأة الدراسات الاستشراقية الدينية التي استهدفت دراسة الإسلام لنقده ومحاربته وتحصين المسيحيين ضده، إنما كانت في الشرق، وفي أرضه نبتت بواكيرها. ثمّ انتقلت هذه الدراسات والنصوص المكتوبة في هذا ا ال إلى الغرب الأوروبي وبالذات إلى إسبانيا. ولعل أسبقية الشرق في ذلك راجعةٌ إلى سببين؛ **أولهما**: قرب المسيحيين في الشرق من البيئة الإسلامية، لا بل محياهم في وسطها، وبالتالي كان من المفترض أن يعرفوا عن الإسلام وعقائده وتشريعاته أكثر. **أما السبب الثاني** فكان معرفتهم باللغة العربية، وكيف لا وهي لغتهم الأم و ا ينطِق لسا م!! وعلى ما يبدو فإنّ الأديرة والكنائس الإسبانية قد تلقّفت هذه الأعمال الاستشراقية الدينية القادمة من الشرق واحتضنتها ببالغ اللهفة والسرور لسببين رئيسيين؛ **أولهما** وقوعها تحت الحكم الإسلامي خلال حركة الفتوحات الإسلامية لمدةٍ طويلةٍ، **وثانيهما** انشغال الرهبان بمحاربة انتشار الإسلام

واللغة العربية بين الشباب الإسبان (المستعربين حسبما مر وصفهم معنا)، وقد كانت هذه المحاربةُ عقديةً فكريةً قبل أن تكون تحريضيةً للقيام بأعمالٍ صداميةٍ على نحو ما رأينا في ظاهرة شهداء قرطبة.

ونعيد هنا التأكيد على أن هذه الدراسات الاستشراقية الدينية التي نشأت في الشرق إنما كانت الأساس والأرضية التي بنيت عليها الآراء والدراسات الاستشراقية الغربية فيما بعد. ويشهد لصحة هذا الكلام بناء بيدا المبجل وأوغيليوس وباول ألفاروس لكتابا م ضد الإسلام على أعمال ومؤلّفات يوحنا الدمشقي، كما يشهد لصحة هذا الكلام بناءُ بطرس المبجل لأعماله ومؤلّفاته ضد الإسلام على الرسالة الإسلامية والجواب المسيحي عليها، ويشهد لصحة هذا الكلام كذلك أنّ الشبهات والأباطيل المتعلّقة بالإسلام ونبوة محمدٍ ﷺ، التي وردت في هذه الدراسات الناشئة في الشرق، هي عينها الشبهات والأباطيل حول الإسلام ونبوة محمدٍ التي وردت في الدراسات الغربية للإسلام ونبوة محمدٍ ﷺ، والتي لا زالت تتردد على مسامعنا بين الفينة والأخرى حتى يومنا هذا. وما الأزمة التي أثار ا الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول ﷺ في الصحف الدانماركية عنا ببعيدةٍ.

ولعل ما تقدم من هذه الدراسات والأعمال شاهد على أنّ رهبان الكنيسة والأديرة كانوا يعملون بروح الفريق الذي يكملُ بعض أعماله بعضها الآخر، ويا ليته كان فريق خيرٍ أو محبةٍ أو فائدةٍ ... لقد تضافرت جهود هؤلاء للكيد لهذا الدين ليلاً و اراً ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1]. ولقد تحققّت الآيةُ؛ فها هو ذكر محمدٍ والدين الذي أُوحي به إليه يتردد في مشارق الأرض ومغار ا ويجذب إليه المزيد من الداخلين الجُدِدِ والمدافعين عنه حتى من غير بني جلدته، ولا زالت دعوة الحق الذي جاء به تزداد ألقاً وتوهجاً، وتثبت قدرةً عجيبةً غريبةً على امتصاص الضربات والمؤامرات والقدرة على النهوض من جديد. ورب ضارةٍ نافعة؛ فقد أيقظت هذه الدراسات الاستشراقية الدينية وما شا ها من الدراسات روح الغيرة على هذا الدين في نفوس أتباعه، فهبوا للذود عنه ولتبصير الناس بحقيقته، واجتهدوا في ابتكار وسائل جديدةٍ بغرض عرضه على الناس في الشرق والغرب، بروحٍ عصريةٍ متطورةٍ تراعي نفسيات الناس، وتلائم أنماط حيا م ومستويات تفكيرهم، ذلك كلّه دون المضي بعيداً عن حاجات العصر.

---

[1] سورة التوبة: الآية ٣٢.

المبحث الرابع

القديس توما الأكويني[١]

انتهت حقبةُ بطرس المبجل ومجموعته الطليطلية وفيلق كولوني وما رافقها من مؤلفاتٍ جدليةٍ كبرى ضد الإسلام والرسول محمدٍ ﷺ، وبزغ بعدها نجم راهبٍ جديدٍ حمل رسالة سابقيه، وتصدى بكل عزمه لمحاربة الإسلام وللدفاع عن العقائد المسيحية في وجه كل المخالفين لها، وبالذات المسلمين الذين كان الأكويني يعتبرهم وثنيين وليس مجرد هراطقةٍ مجدفين.

كان هذا الراهب كثير القراءة والتأليف وقد اشتهر بموسوعته اللاهوتية الكبيرة التي قسم فيها أبحاثه إلى أقسامٍ ثلاثةٍ، خصص قسمها الأول للإلهيات، وقسمها الثاني للبحث حول الإنسان، أما القسم الثالثُ فكان موضوعه شخص السيد المسيح كإنسانٍ وإلهٍ معاً.

ففي الجزء الأول فصلَ القول في وجود الله فالله عنده هو المحرك الأعظم أو العلةُ الأولى لجميع الأشياء، فهو البداية والنهاية والمنتهى لكل شيءٍ في الوجود.

وفي الجزء الثاني، تحدث عن الإنسان كمخلوقٍ ساقطٍ (حسب تعبيره)، لكنه رغم ذلك في وسعه أنْ يتمتع بالفداء[٢]، ثم تطرق لبحث السلوك الإنساني بفضائله ورذائله، ثم توسع في موضوع الناموس والنعمة.

---

(1) ولد توما الأكويني في حوالي العام ١٢٢٥م قرب قلعة الكونت لاندولف من روكاسكا في مملكة صقلية (لاتسيو اليوم). ويرتبط بسلالة هوهنـستوفن إحـدى سلالات إمبراطور روما المقدس عن طريق والدته ثيودورا كونتيسة تيات. كان سينيبالد شقيق لاندولف رئيس دير الرهبان البندكتيين الأصلي في مونـت كاسـينو، وبينما كان جميع إخوة توما في مهنٍ عسكريةٍ، قررت العائلة أن يسلك توما طريق عمه في الرهبانية، بدأ توما الأكويني تعليمه المبكر في سن الخامسة في دير مونـت كاسينو، غير أنه بعد اندلاع الصراع العسكري بين الإمبراطور فريدريك الثاني والبابا غريغوري التاسع ووصوله إلى الدير في بداية ١٢٣٩م، قرر لاندولف وثيودورا إرسال ابنهما إلى الجامعة التي أنشاها فريدريك حديثاً في نابولي. وعلى الأرجح، فإن توما قد تعرف هناك على أعمال أرسطو وابن رشد وموسى بن ميمون، وأثـر هؤلاء الفلاسفة على فلسفته اللاهوتية. وخلال سني دراسته في نابولي تأثر توما بالمبشر الدومينيكاني يوحنا من سانت جوليان الذي كان جزءاً من ا هودات المستمرة للرهبانية الدومينيكانية من أجل تجنيد أتباعٍ مخلصين. يعد من الشخصيات المؤثرة في مذهب اللاهوت الطبيعي، وهو أبو المدارس التوماوية في الفلسفة واللاهوت، تأثيره واسع على الفلسفة الغربية، وكثير من أفكار الفلسفة الغربية الحديثة إما ثورة ضد أفكاره أو اتفاق معها، خصوصاً في مسائل الأخلاق والقانون الطبيعـي ونظريـة السياسة. ويعتبر الأكويني المدرس المثالي لمن يدرسون ليكونوا قسيسين في الكنيسة الكاثوليكية، ويعرف بعملية خلاصة اللاهوت والخلق والخالق، يعتبره العديد مـن المسيحيين فيلسوف الكنيسة الأعظم لذلك تسمى باسمه العديد من المؤسسات التعليمية.

(2) سبق التعريف به.

بينما تحدث في الجزء الثالث عن المسيح الفادي الذي فتح للإنسان طريق العودة إلى الله. وقد استخدم الأكويني اتساع معرفته بالكتب المقدسة في إثبات صحة العقائد الكنسية، كما كتب شرحاً لبشائر الإنجيل ورسائل بولس الرسول استند فيه إلى أقوال آباء الكنيسة.

والذي يعنينا الوقوف عنده من مؤلفات هذا الراهب هو كتاب (منطق الإيمان) الذي خصصه للإجابة على اعتراضات المسلمين الواردة على العقائد المسيحية، وكان الشعار الذي يرفعه دوماً في عرض العقائد المسيحية والدفاع عنها قول بطرس (وكونوا أبداً مستعدين لأن تردوا على من يطلب منكم دليل ما أنتم عليه من الرجاء)[1]. وواضح من خلال هذا الشعار الخلفية العقَدية التي كان هذا الراهب ينطلق منها في محاججته ودفاعه عن المسيحية. وتجدر الإشارة قبل البدء في الحديث عن مضمون كتاب (منطق الإيمان) إلى أنّ هذا الكتاب جاء بعد فروغ الأكويني من تأليف كتاب (الخلاصة ضد الأُميين) أو (خلاصة الرد على الأمم الخارجة عن المسيحية).

"وما من شك في أن توما الأكويني ألف كتاب (الخلاصة ضد الأميين) بإيعازٍ من رمند دي بينافور، وهو من كبار الشخصيات في نظام رهبانية الدمِنيكان الذي كان يعمل في تبشير المسلمين في إسبانيا، وإلى مبادرته أيضاً ندين بإدخال دراسة اللغة العربية في إسبانيا. وتشير كل المظاهر إلى أن كتاب (الخلاصة ضد الأميين) كان يقْصد به أن يكون كتاباً تعليمياً للكليات التي أنشأها نظام رهبانية الدمِنيكان لتدريب مبشري المستقبل"[2].

وقد جاء كتاب (منطق الإيمان) بمثابة رسالةٍ جوابيةٍ عن العديد من تساؤلات واعتراضات المسلمين أوردها شخص يسمى كنتر الإيطالي، وتوجه ا إلى توماس الأكويني راجياً منه الإجابة عليها، فما كان من الأكويني إلاّ أن قام بوضع هذا المؤلف، وذلك في شعورٍ منه بوجوب تلبية نداء الواجب الذي ينص على وجوب أن يكون على استعدادٍ دائمٍ لتحمل المسؤولية الدينية العقدية "تجاه الاعتراضات والصعوبات والمشكلات الموجودة في المواقف التاريخية الاجتماعية المحسوسة"[3].

وفي بداية الفصل الثاني من هذا الكتاب يوجه الأكويني السائلَ كنتر الإيطالي إلى مسألةٍ هامةٍ في محاججة غير المسيحيين، وهي تتمثّل في أنه لا يجوز للمدافع عن العقيدة المسيحية أن يتوجه للبرهنة على صحة هذه العقيدة، بل يجب

(1) رسالة القديس بطرس الأولى: ٣: ١٥
(2) هاغمان، [م. س]، ص ٧٨.
(3) هاغمان، [م. س]، ص ٨٠.

عليه التوجه للدفاع عنها فقط، وحجته في ذلك أن هذه العقيدة المسيحية إنما هي مكفولةٌ بكفالةٍ إلهيةٍ، ولا يمكن بحالٍ أن تتناقض مع الحقائق العقلية؛ لأنّ ما ليس بخاطئٍ لا يمكن أن يكون خاطئاً!!.

"أريد بادئ ذي بدء أن أذكر أنه لا يجوز لك أن دف في الخلافات مع الكفار حول أركان الإيمان إلى البرهنة على صحة العقيدة عن طريق الأسباب القاهرة، إذ أنّ هذا خليق أن ينال من جلال العقيدة وتساميها، وهي التي لا تتجاوز صِحتها مجالَ الفكر البشري فقط، بل تتجاوز حتى مجال فكر الملائكة؛ بل نحن نعد (مضامين العقيدة) كأنها هي أمور موحى ا من الرب نفسه. ولكن لمّا كان ما يصدر عن الحقيقة العليا لا يمكن أن يكون خاطئاً، ولا يمكن البرهنة عليها بالأسباب القاهرة أيضاً، مثل تلك المضامين (المذكورة آنفاً) لأ ا تتجاوز مجال العقل البشري. غير أ ا لا يمكن دحضها أيضاً بالأسباب القاهرة بسبب صحتها"[1].

وقد نبه الأكويني إلى أنه عند مواجهة ومحاجة المسلمين، فليس من الصواب اللجوء إلى الكتاب المقدس أو الاستشهاد بآياته وكلماته، والسبب في ذلك أنّ المسلمين لا يعترفون بالكتاب المقدس ولا يؤمنون به، حسب قوله، ولا يرون أنه كلمةٌ لها حجيتها، وبالتالي، فإنّ العقل وحده هو السبيل والأساس المشترك للنقاش مع المسلمين.

ويلفت هاغمان[2] النظر إلى معلومةٍ هامةٍ تتعلق بمقدار كفاية معرفة الأكويني بالإسلام ومصدر هذه المعرفة فيقول: "وذلك أن توماس نفسه يعترف صراحةً بعدم كفاية معرفته [عن الإسلام]، وليس ثمة سبب يحملُ على افتراض أنه قرأ القرآن في أي يومٍ من الأيام مع توافر ترجماتٍ لاتينيةٍ له بلا ريب. ومن المعروف أنّ الترجمة اللاتينية الأولى للقرآن ترجع إلى مبادرة بطرس المبجل، أما ما يوجد حول محمدٍ وتعاليمه لدى توما، فهو الراويات المعروفة في تلك الأيام في الأوساط الفكرية في كل مكانٍ من الغرب. ولا تتجاوز معلومات توما عن الإسلام مقدار معرفةٍ متخلفةٍ، كما يثبت ذلك كتاب (منطق الإيمان)[3].

إذاً فقد كانت معرفة الأكويني بالإسلام معرفةً محدودةً وفقيرةً. وكل ما كتبه عن نبوة محمدٍ ﷺ كان مصدره الترجمات المشوهة المغلوطة التي تقدم الحديث عنها في المبحث السابق!!.

---

(1) المرجع السابق، ص ٨٠.

(2) انظر المرجع السابق، ص ٨٢، ٨٣.

(3) المرجع السابق، ص ٨٢، ٨٣.

وبالرغم من هذا الفقر المعرفي المتعلّق بالإسلام، والذي كان يعاني منه الأكويني، نراه في كتابه (منطق الإيمان) يتصدى للفهم الإسلامي لموضوع التوحيد، فيثبت بطلانه، كما رأى، وصحة الاعتقاد المسيحي بـ (الله الواحد مثلّث الأقانيم)، كما يتهم المسلمين بالتهكم على المسيحيين في موضوع صلب المسيح عليه السلام، "وهم يتهكمون على أننا ندعي أن المسيح ابن الله، قد صلب من أجل تخليص الجنس البشري، لأنه إذا كان الله قادراً على كل شيء فهو يستطيع أن يخلص الجنس البشري من دون أن يعاني ولده الآلام، وقد كان في وسعه أيضاً أن يخلق البشر في الأصل حيث لا يمكن أن يرتكبوا الخطيئة"(١). ويقوم بالرد على هذا التهكم الإسلامي!!.

كما يخلص في النهاية إلى اتهام المسلمين بالجبرية والاعتقاد بعدم حرية الإرادة البشرية!!! "ثم تروي لي بعد ذلك أنه فيما يتعلّق بالثواب الذي يتوقف على حرية الإرادة، يفرض المسلمون، مثلما تفعل شعوب أخرى، قسراً على التصرفات البشرية بسبب المعرفة الإلهية المسبقة، وبسبب النظام الإلهي، إذ يقولون: إن الإنسان لا يمكن أن يموت ولا أن يخطئ أيضاً إذا لم يكن ذلك قد رسمه الله للإنسان فيما يشبه التدبير: ولكل أمرئ قدره المكتوب على جبينه"(٢).

ثم يعقّب على مسألة الجبر والاختيار بترجيحه للقول بأنها لم تحسم في الإسلام، لا على لسان محمدٍ ﷺ، ولا في نصوص القرآن الكريم نفسه، "بل يبدو أن محمداً نفسه كان غير حاسمٍ في الإجابة عن سؤال هل يعد الإنسان حراً في تصرفه أم مجبراً، وعلى كل حالٍ فهذا هو حال القرآن، فثمة سلسلة من آيات القرآن تتحدث عن الجبر. وفي مقابل ذلك يرد الحديث في آياتٍ أخرى عن حرية إرادة البشر، وحتى علماء اللاهوت المسلمون لا يتفقون على هذا الرأي، فتفسيرهم يراوح بين الجبر من ناحيةٍ، ونظرية حرية الإرادة البشرية من ناحيةٍ أخرى"(٣).

وواضح من هذه الكلمات ضحالة معرفة هذا الأكويني بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ومع ذلك فقد سمح لنفسه بكتابة المؤلفات التي يتحدث فيها عن الإسلام ويهاجمه، نعم، لقد كان القديس توما الأكويني من أهم الشخصيات المسيحية الكاثوليكية التي هاجمت الإسلام في العصور الوسطى، وعلى الرغم من اطّلاعه على أعمال الفلاسفة المسلمين، وبخاصةٍ كتابات ابن سينا والغزالي وابن رشد، إلاّ أنه عد المسلمين وثنيين، "ولهذا قرر الأكويني حتمية عقد المناظرات والمحاورات الجدلية مع الوثنيين بناءً على البراهين العقلية، وليس وفق مفاهيم الكتاب المقدس

---

(1) المرجع السابق، ص ٨٤.

(2) المرجع السابق، ص ٨٦.

(3) المرجع السابق نفسه، ص ٨٧.

وشهرته فقط. إضافةً إلى ذلك، فإن توما الأكويني يرى أنه لا يجوز تحويل الوثنيين هؤلاء إلى المسيحية بالقوة نظراً إلى أن الإنسان لا يمكن إجباره على الاعتراف بوجود شيءٍ أسمى من الخير والسعادة، ولهذا، فإنه يتوجب على الحكام المسيحيين ـ كما يقول الأكويني ـ الذين يقع المسلمون تحت سلطتهم أن يتصرفوا بصبرٍ إزاء مفهومهم لعبادة الرب"[1].

لم يستطع الأكويني، على ألْمعِيتِهِ وطاقته الذهنية الفذّة الكبيرة، أن يحرر نفسه من القوالب الذهنية السلبية والصور المُشوهة السيئة التي رسمها سابقوه للإسلام، فبقي أسيراً لمضامين الرسالة الإسلامية والرد المسيحي عليها، ولترجمات بطرس المبجل المشوهة للقرآن الكريم وما شا ها من الكتابات المُغرضة اللاموضوعية؛ ومن ذلك أنه وضع الانتشار السلمي للمسيحية في مقابل ما أسماه (بالانتشار الإكراهي) للإسلام. وقام تفسيره لظاهرة انتشار الإسلام على نظريةٍ تنص على أنّ محمداً آمن بدعوته في بادئ الأمر الناس الجهلةُ البدائيون فقط، أولئك الذين يعيشون في الصحراء، ولم يسبق لهم أن عرفوا أي تعليمٍ أو عقيدةٍ إلهيةٍ. وعن طريق هؤلاء [البدو الصعاليك كما يصفهم]، أجبر محمد بقوة السيف بقيةَ الناس في المنطقة على الامتثال إلى شريعته. "ويؤكد توما الأكويني المزاعم القائلة: إن محمداً أغوى كثيراً من الشعوب للدخول في عقيدته، من خلال تشجيعه إياها على الحصول على الملذّات والشهوات الحسية، وعن طريق الوعود التي قطعها لها ضمن هذا التوجيه الغريزي. ويتابع الأكويني السير في هذا المنحى المتحيز مؤكداً أن محمداً أسس ((قواعده)) و((أحكامه)) التشريعية، التي تتناسب مع قدرات وإمكانات العقل المتوسط وحسب. ثم يصل من كل هذه الأطروحات المتسرعة إلى القول: إنه لكي لا يكتشف أتباعه زيف شريعته، فإنّ محمداً منعهم من قراءة كتب العهدين القديم والجديد"[2].

ونشير هنا إلى أن توما الأكويني لا يستخدم كلمة (القرآن)، وإنما يحِل محلها عبارة (قوانين محمد). وفي مؤلفه الصغير: "براهين الإيمان ضد المسلمين (الساراتيين كما يسميهم)، والإغريق والأرمن، يقدم توما الأكويني النصائح اللازمة لأخيه في الرهبانيات الدومينيكانية، وللهيئة الكنسية في أنطاكية، حول كيفية الرد على أسئلة المسلمين وتفنيد حججهم"[3].

---

(1) جورافسكي، [م. س]، ص ٨٣، بتصرف.

(2) جورافسكي، [م. س]، ص ٨٣، ٨٤ بتصرف.

(3) المرجع السابق ، ص ٨٤.

المبحث الخامس

ركلدس دي مونتي كروتشي

في استمراريةٍ لاستعراضنا للرهبان الكاثوليك الذين مارسوا الاستشراق الديني وكتبوا ضد الإسلام وشرائعه، وفي امتدادٍ للعقلية المسيحية المضادة للإسلام في العصور الوسطى، نتحدث في هذا المبحث عن راهبٍ وافق توما الأكويني في الكثير من كتاباته وتصوراته عن الإسلام؛ ألا وهو الراهب الدومينيكاني ركلدس دي مونتي كروتشي أو (ريكالدو أوف مونت كروس) الذي عاش في الفترة ما بين (١٢٤٣ – ١٣٢٠) للميلاد، وترجع أصوله إلى مدينة فلورنسا الإيطالية. ومن خلال نظرةٍ سريعةٍ على ميلاده ومماته، ندرك أنه عاصر القديس توما الأكويني. وإن كان الأكويني قد هاجم الإسلام ونبوة محمدٍ دون أن يدرس اللغة العربية أو يلتقي ولو بمسلمٍ واحدٍ، فإنّ ركلدس كروتشي هذا قد سافر إلى بلاد العرب والمسلمين، وقضى فيها فترةً من الزمان تعلّم فيها اللغة العربية ودرس الإسلام في ديار الإسلام، "وفي مقدمة كتابه المُسمى "كتاب الغرباء" نجد ملاحظةً تفيد أنه قام برحلاتٍ طويلةٍ شاقّةٍ، ليكون لنفسه ثقافةً شاملةً. فطاف في أرجاء إسبانيا وفلسطين وأرمينيا وبلاد الرافدين، وعاش زمناً طويلاً في بغداد، وهناك درس الإسلام واطّلع على تاريخه. ويتحدث ركُلدس مراراً في كتبه عن أنشطته التبشيرية، وفي كتابه "يوميات عن الأمم الشرقية" وضع الخطوات التوجيهية لسلوك المبشرين تجاه المسلمين والمسيحيين الهراطقة"[(١)].

والغريب في أمر هذا الراهب ركلدس، أنه لمّا أقام بين المسلمين وسكن في بلادهم، أعرب عن انبهاره بمستوى التقوى والورع الذي صادفه، فكتب يقول: "إنّ على المسيحيين أن يخجلوا من ورع المسلمين"[(٢)]. ولكنه عندما عاد إلى وطنه كتب عن "إقامة الحجة على المسلمين والقرآن"! فكان أول ما وضعه من مؤلفاته المتعلّقة بالإسلام كتابه المُسمى "جدلٌ ضد السراسنة والقرآن"!! كرر فيه كل الخرافات والسخافات القديمة المنتشرة في الغرب، والتي ما وضِعت إلاّ لتشويه صورة الإسلام في عيون أهل الغرب المسيحي، ويبدو أنّ هذه الصورة كانت قويةً ومترسخة الجذور بحيث "كانت تتغلّب بسهولةٍ على أي اتصالٍ موضوعيٍّ بالمسلمين الحقيقيين، ورواية ريكولدو هذه، المتحاملة، على نحوٍ سخيفٍ، وغير الدقيقة عن الإسلام، بقيت تستخدم وتعتنق ضمنياً مِن قِبل الدارسين والبحاثة الغربيين حتى أواخر

---

(1) هاغمان، [م. س]، ص ٩٨.

(2) آرمسترونج، [م. س]، ص ٥١٠.

القرن السابع عشر"[١]. ولعل ما خطه هذا الراهب شاهد آخر من شواهد انحباس الرهبان والمستشرقين داخل سجن الصورة النمطية السلبية السائدة عن الإسلام، بالرغم من أنه عاش بين المسلمين وتعامل معهم مباشرةً، وذلك في تجربةٍ فريدةٍ يندر أن تتوفّر لمثله من الرهبان الذين كانوا يتحدثون عن الإسلام والمسلمين وهم لم يدرسوا كتبهم ولم يخالطوهم البتة!!

ولكنه، وكما هو مستنتج من مؤلفاته بعد العودة لدياره، ما عاش تلك التجربة بتجردٍ وحياديةٍ ليحكم على الإسلام بعدها، لا ولكنه عاشها وفي ذهنه قرارات وقناعات خاطئةٌ مسبقةٌ عن الإسلام عز عليه فراقها أو التنازل عنها!! "ومن هنا فلا يستبعد بالتأكيد أنه كان يمتح من مصادر ترجع إلى التراث الغربي المعادي للإسلام إلى درجةٍ بعيدةٍ"[٢]. وقد صاغ ركلدس كل ما كان يعتملُ في صدره وعقله عن الإسلام والقرآن ونبوة محمدٍ ﷺ في كتابه السابق ذكره "جدلٌ ضد السراسنة والقرآن" والذي اشتهر بأسماءٍ متعددةٍ، كان أبرزها "ضد شريعة المسلمين". ويتكونُ هذا الكتاب من ستة عشر فصلاً، وكان الهدف الأول والرئيس من كتابته، حسبما جاء في مقدمته، دحض الأخطاء الرئيسية للإسلام، وذلك بهدف إتاحة الفرصة أمام الرهبان والمبشرين ليحملوا المُسلمين على التحول إلى الدين المسيحي، وذلك من خلال الإيمان بالرب الحقيقي. ومن المفيد هنا تسجيل الملاحظات التالية:

١. إنّ ركلدس كان يرى أن المسلمين يعبدون إلهاً غير حقيقيٍّ، وهو الإله الذي دعاهم محمد إلى عبادته.

٢. لم يكن الكتاب موجهاً إلى المسلمين، بل إلى الرهبان المسيحيين المشتغلين في التبشير (التنصير) ومحاججة المسلمين من خلال الكتب والمؤلّفات.

٣. اتفقت آراءُ ركلدس كثيراً مع آراء توما الأكويني فيما يتعلق بالدعوة إلى مناظرة المسلمين، واتفقت كذلك في أنّ موضوع المناظرات يجب أن يتعلق بالدفاع عن العقائد المسيحية وليس بإثبات صحتها، ويشهد على ذلك قولُه عندما تحدث عن التثليث والتجسد: "ولما كان كلا السرين يتعاليان على العقل البشري، ولا نستطيع أن نسوق أسباباً عقلانيةً للبرهنة عليهما، بل نسوق مجرد أسبابٍ إيمانيةٍ، فإنه لا يبقى لنا سوى اللجوء إلى مرجعية رسالة الإنجيل التي يأتي القرآن على ذكرها أيضاً، وإلى معجزاتٍ مشهودٍ لها في الكتاب المقدس"[٣].

---

(1) المرجع السابق نفسه، ص ٥١٠.
(2) هاغمان، [م. س]، ص ٩٢، بتصرف.
(3) هاغمان، [م. س]، ص ٩٩.

وقبل الشروع في ذكر أبرز اعتراضات هذا الراهب ركلدس على القرآن الكريم، فمن المفيد الإشارةُ إلى أنّ العنوان الأبرز والأكثر وروداً في هذا الكتاب إنما كان يتعلّق بمن هو الصواب والصحيح والحق؟ أهو الكتاب المقدس أم القرآن؟؟؟ ومن الواضح أن ركلدس لم ينتظر الوصول إلى الفصل السادس عشر ليقرر النتيجة بناءً على المقدمات والأسباب؛ فقد قرر هذه النتيجة مسبقاً في الفصل الأول عندما اجتهد فيه على إثبات أن القرآن خليطٌ متنافر من الهرطقات المسيحية القديمة المدحوضة منذ عهدٍ بعيدٍ، وأنه مزيج من آراء تعليميةٍ ذات أصولٍ هي في منتهى التباين والاختلاف!!. وهذا الكلام لا يقع بعيداً عن خلاصة رأي هذا الراهب في الإسلام؛ حيث كان يرى "أنّ الإسلام مجرد خدعةٍ شيطانيةٍ ابتدعها الشيطانُ كي يمهد الطريق لمجيء المسيح الدجال، وذلك حين شعر الشيطانُ بعدم قدرته على إيقاف انتشار المسيحية، وأنّ الوثنيات بدأت تتهاوى أمام المسيحية، وأنه ليس في مقدوره دحض شريعة موسى وإنجيل عيسى، فابتدع الشيطانُ ذلك الدين ليكون وسطاً بين المسيحية واليهودية ... والقرآن ليس قانون الله، نظراً لأن أسلوبه لا يطابق الأسلوب الإلهي، الذي لا يوجد فيه سجع ولا عبارات موزونةٌ كتلك التي جاءت في الكتب المقدسة"[1].

ويمكننا تلخيص وحصر مآخذ ركلدس دي مونتي كروتشي على القرآن الكريم فيما يلي:

١. خلو القرآن من ذِكر المعجزات المعقولة؛ حيث كان ركلدس يعتقد أنّ محمداً لم يأتِ بمعجزاتٍ، وذلك خلافاً للمسيح الذي جاء بالعديد منها.

٢. إمتلاء القرآن بالمتناقضات الكثيرة، إضافةً لتناقض القرآن نفسه مع العقل. وقد ذكر ركلدس أنّ هذه التناقضات القرآنية تتوضح في النقاط الأربع التالية[2]:

أ. في مؤلفه محمدٍ، وذلك في الحقيقة على أساس أطوار حياته المنافية للأخلاق. وهذا مأخذٌ يظل يرد المرةَ بعد الأخرى في الجدل المذهبي المعادي للإسلام.

ب. في القرآن ذاته، على قدر ما يتضمن من أقوالٍ لا تفيد شيئاً، لأنها أقوالٌ مسهبةٌ مكررةٌ، وليس هذا فقط، بل توجد فيه أيضاً صياغات بذيئةٌ فاحشةٌ.

---

[1] عودة [م. س]، ص ١٣.
[2] هاغمان، [م. س]، ص ١٠٠، ١٠١.

ج. في الممارسة العقدية للمسلمين، كما في عمليات الوضوء الطقسية قبل الصلاة اليومية، وكذلك في فهمهم الزواج وممارستهم الطلاق.

د. في التصورات القرآنية الخاصة بالجنة، وهي التصورات التي كانت تمثلُ منذ العصور الأولى مساحةَ هجومِ الكُتاب المسيحيين على الإسلام.

٣. أما ثالث مآخذ ركلدس على القرآن فيتجلّى في مقارنته برسالة الإنجيل؛ حيث يرى ركلدس أن القرآن المقدس لدى المسلمين إنما هو تجسيد لشريعة الموت، بعكس رسالة الإنجيل الرحيمة الموافقة للعقل والتقاليد الفلسفية، كما أ ا مكملةٌ للكتب السماوية السابقة ومحقّقةٌ لرسالتها، ومؤدى ذلك كلّه هو أنّ الإنجيل وحده هو شرع الله الحق.

ولِئن كان هذا الراهب قد سجل العديد من المآخذ على القرآن الكريم، وهي كلّها مآخذ متهافتةٌ مثله تماماً، فإن من المفيد بالمقابل أن نسجل بعض المآخذ عليه هو الآخر، ومن ذلك:

١. لما سئل هذا الراهب عن سر الإقبال المُدهش والسريع للمغول على الإسلام قال: إنّ السبب في ذلك هو "أنّ الإسلام أسهلُ في التصديق والتطبيق"[1]. فكيف يصح أن تفهم إجابته هذه مع ما سبق مِن مآخذه على القرآن الكريم؟؟ إ ا تفهم على وجهٍ واحدٍ ألا وهو تناقض هذا الراهب في فهمه لطبيعة القرآن والإسلام.

٢. إنّ المقياس الوحيد للعثور على الحقيقة عند ركلدس كان اعتقاده الخاص وقناعته الخاصة ولاهوته الخاص!! ولذلك لم يكن من المُستغربِ أن يصرح بامتلاء القرآن بالمتناقضات ومواطن الضعف وبالأخطاء الجلية الظاهرة للعيان بحيث يدركها كلُ إنسانٍ، ومن هذه الأخطاء، حسب زعمه، ادعاءُ محمدٍ بأنه خاتم الأنبياء، ونفي كون عيسى ابناً لله، ونفي موته على الصليب وا امه لليهود والمسيحيين بأنهم يجعلون لله أنداداً!!!.

---

[1] سوذرن، [م. س]، ص ١١٧.

المبحث السادس

ريموند لول

ذكرنا فيما سبق أنّ الاستشراق الديني امتزج في بعض مراحله بالتبشير لدرجةٍ أصبح الفصل بينهما من الصعوبة بمكان. ولئن كان هذا الكلام ينطبق على من سبق ذكرهم من المستشرقين الرهبان (كبطرس المبجل وتوما الأكويني وركلدس دي مونتي كروتشي)، فإنه يتضِح في أبرز صوره في الراهب المستشرق المبشر "ريموند لول (ريمون لولوس)"[(١)]؛ ففي هذا الراهب كانت تتوفر كل مقومات الاستشراق الديني؛ فهو قد درس اللغة العربية وتمكن منها، ودرس القرآن الكريم وترجمته ودرس أبرز أعمال الفيلسوفين ابن رشد وابن سينا، وسخر كل إمكانياته واتصالاته وعلاقاته مع الشخصيات الهامة في محيطه، حتى أنشأ مدرسةً لتعليم اللغة العربية من أجل التدريب على التبشير باللغة العربية بين المسلمين، إضافةً لتمكين الدارسين فيها من الاطلاع على أساليب الحوار و المناظرة والنقاش، كل ذلك جنباً إلى جنبٍ مع دراسة اللاهوت المسيحي. "وقد كان هذا الراهب أعظم المبشرين بين المسلمين في القرون الوسطى، سواءٌ من الوجهة العملية، أم من الوجهة النظرية، ومما يشهد على جهوده التبشيرية المتعددة الجوانب أيضاً كتاباته الهائلة"[(٢)]. كان ريموند من كبار الداعين إلى دراسة الإسلام واللغة العربية، وذلك لمناظرة المسلمين وتبيين الأخطاء في دينهم ودعوتهم بالتالي لاعتناق العقيدة المسيحية. وكان على الدوام يدعو إلى وحدةٍ بين البشر، ولكن في ظل العقيدة المسيحية، وقد كان هذا منطلقه في دعوة المسلمين. "لمّا كنا نحن جميعاً، مهما يبلغ من كثرتنا، لا نؤمن إلا بربٍّ وإلهٍ واحدٍ ... فمن الواجب أن يكون لنا نحن جميعاً أيضاً، معتقَد واحد فقط، وديانةٌ واحدةٌ هي العقيدة المسيحية المقدسة"[(٣)].

كسابقيه من الرهبان المستشرقين الأكويني وركلدس كروتشي، كان هذا الراهب يدعو إلى مناقشة المسلمين ومناظرتهم استناداً إلى أساسٍ واحدٍ فقط هو العقل؛ لأنه كان يرى أن العقل وحده هو المبدأ المقبول لدى كلٍّ من الجانبين الإسلامي والمسيحي للحوار. ومن هنا يمكننا أن نفهم سبب تخلّيه عن الإحالات للكتاب المقدس أو القرآن،

[(1)] ريموند لول: ولد في جزيرة مالاقا سنة ١٢٣٢م قبل أن يحكمها الموحدون بست سنين، كان والده نبيلاً شارك مع يعقوب الأول الأراجوني في حربه ضد المسلمين المغاربة، وكوفئ بإقطاعية في مالاقا بعد احتلال الباليار، وهكذا فقد نشأ الصبي في محيط كانت فيه روح القتال الإسبانية ضد المسلمين على أشدها، توفي في ١٣١٦/١/٢٩م.

[(2)] هاغمان، [م. س]،ص ١٠٢.

[(3)] المرجع السابق، ص ١٠٣.

وعدم الاعتماد على الاستشهاد بها (بشكلٍ عام). وفي تعليله لعدم الاعتماد على شواهد وأدلّة الكتاب المقدس في مناظرة المسلمين نراه يقول: "الكفار [المسلمون طبعاً] لا يحفلون بأقوال المؤمنين، بل يهتمون، على سبيل الحصر، بالأسباب العقلانية"[١]. وكان ريموند يعتقد أنه وبالعقل وحده يمكنه أن يحصلَ الحجج الأفضل الدالّة على صحة العقيدة المسيحية وبطلان غيرها من العقائد، ويرى "أنّ هذه الأدلّة والحجج العقلية، والتي كان يسميها (العقلانيات الضرورية القاهرة)، يجب أن تلقى الاعتراف والاحترام من قبل شركاء حواره المسلمين"[٢]. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الريموند كان من المطّلعين على القرآن الكريم الدارسين له، وذلك بعد أن تعلّم اللغة العربية على يد أحد الرقيق من المسلمين المغاربة الذين كانوا يعيشون في إسبانيا آنذاك، وقد استمر ذلك ما يقارب التسع سنوات.

كان ريموند لول يعرف من تجربته الشخصية بشكل خاصّ، أن المُسلمين لن يقدموا له أي تنازلٍ يتناول معتقدا تهم، فقد كان لزاماً على من يريد إقناعهم بصواب العقيدة المسيحية أن يدخل معهم في حوارٍ ومناقشاتٍ حاميةٍ. ومن أجل ذلك كان لابد من إتقان لغتهم إتقاناً كاملاً. إن مثل هذه الموازنات حملت لول على تعلمِ اللغة العربية. "وقد قضى تسع سنوات وهـو عاكف على الدرس والتلقّـي، فكانـت محصلةُ ذلك كتابه (Ars major) (الفن الكبير)، الذي احتوى على أسس فن الحوار وسوق الأدلة في صورة تصنيفٍ لأضراب المعاني وطرق الاستدلال المنطقي. ثم أقنع يعقوب الأول بإنشاء مؤسسةٍ لتثقيف مبشرين للعمل في مجال التبشير ضد الإسلام [كلية الثالوث المقدس] وافتتحها لول بوصفه عضواً من الدرجة الثالثة، وبثلاثة عشر تلميذاً من طائفة الفرنسيسكان في سنة ١٢٧٦ في بلدة ميرمار. فإلى جانب الثقافة اللاهوتية، كان نزلاء الدير يتلقون بشكلٍ خاصٍ دروساً في العربية بكل مستلزماتها"[٣]. وكان من الوسائل المـتبعةِ في هذه المدرسة ومـا شابهها من المدارس التبشيرية ـ بإشراف ريموند لول ـ التدريب على الخطابة وأساليب الإقناع في الحوار والسيطرة على الخصم في المناظرة، "وقام في هذا الإتجاه بمحاولاتٍ متعددةٍ لإقناع البابا نيكولاس الثالث بروما (سنة ١٢٧٧م) بتعليم اللغات الشرقية وخاصة العربية من أجل

---

(1) المرجع السابق، ص ١٠٤.

(2) المرجع السابق، ص ١٠٤.

(3) انظر:

أ. فوك، [م. س]، ص ٢٧، بتصرف.

ب. عربي، [م. س]، ص ١٥٢.

ج. جورافسكي، [م. س]، ص ٨٧.

إنجاح حركة التبشير بين المسلمين. وكان في كل لقاءاته مع السلطات الكنسية والرسمية العليا يشدد على تعليم اللغة العربية، مع ضرورة الاستفادة من مسيحيي الشرق وخاصة الموارنة في هذا الميدان"[1].

كان طموح هذا الراهب لا يعرف الحدود فيما يتعلّق بضرورة تعلم وتعليم اللغة العربية، لغة القرآن، لتوظيفها في مجادلة المسلمين ومحاججتهم، للبرهنة على الحقائق المسيحية، ودحض ما جاء به القرآن، وكان يرى في الإسلام العدو اللدود والأكبر للكنيسة الكاثوليكية.

ما من شكٍّ أن سنة (١٣١١م) كانت أسعد سنةٍ في حياة هذا الراهب ريموند، "ففيها استطاع أن يقنع المَجمع الكَنسي العام بإصدار القانون رقم (١١)، والذي يقضي بتدريس اللغات الشرقية في خمس جامعات أوروبية هي: جامعات باريس بفرنسا وأكسفورد بإنجلترا وبولونيا بإيطاليا وسلمنكا بإسبانيا وجامعة كوريا، وقد صدر هذا القانون المشهور متضمناً بتخصيص مدرسين كاثوليكيين لكل جامعةٍ من هذه الجامعات الخمس يقومان بتدريس اللغة العربية والكلدانية والعبرية واليونانية، وبسبب هذا المنطلق ظهرت مدارس الاستشراق المتعددة، واستمرت إلى يومنا هذا تغذي الحضارة الغربية بمظاهرها الفكرية والاستعمارية والتبشيرية"[2].

وبالعودة للحديث عن رغبة ريموند لول في محاججة المسلمين ومناقشتهم ومناظر م دف إثبات زيف دينهم وبطلانه وإثبات صحة العقيدة المسيحية ودعو م لاعتناقها، فإن أحاديثه ونظرياته عن محاورة المسلمين قد مرت بمرحلتين هامتين:

المرحلة الأولى: وهي مرحلة المحاورات، والدعوة لها على أساس العقل، واستخدام أساليب المنطق في الجدل والحوار.

وقد عاش ريموند هذه المرحلة بتجار ا وزار فيها بعض البلاد العربية مثل تونس والمغرب والجزائر، وخلال هذه المرحلة كان يؤمن بفشل أية محاولةٍ لإكراه الإنسان على ترك دينه وتغييره بالقوة.

---

(1) جورافسكي، [م. س]، ص ٨٧.

(2) انظر:

أ. جورافسكي [م. س]، ص ، ٨٨، بتصرف.

ب. عربي [م. س]، ص ١٥٤.

ج. عبد المحسن، [م. س]، ص ٣٦.

د. فوك، [م. س]، ص ٣١.

هـ. هاغمان، [م. س]، ص ١٠٦.

المرحلة الثانية: وهي المرحلة التي أعاد فيها ريموند التفكير، وراجع أفكاره حول الكيفية التي تجب مواجهة الإسلام والمسلمين ا، حيث انتقل فيها إلى المناداة بالمواجهة المسلّحة والعمل العسكري ضد المسلمين. وقد كان سقوط مدينة عكا بوصفها آخر نقطةٍ لارتكاز المسيحية في ساحل فلسطين عام ١٢٩١م سبباً مباشراً في تحّول آراء ريموند حول كيفية التعامل مع الإسلام والمسلمين؛ فأخذ ينادي بالحرب والقتال، وبحملةٍ صليبيةٍ جديدةٍ لاستعادة الأرض المقدسة. ولعلّه بذلك كان قد وقع أسير روح العصر الصليبية التي سادت أوروبا آنذاك، "وبدءاً من عام (١٢٩٢م) تمحور تفكيره على نحوٍ مطرِد الزيادة حول فكرة الحملة الصليبية، فيبدو رِيموند وقد استحوذت عليه فكرة استعادة الأرض المقدسة، وفي سبيل ذلك يكتب على نحوٍ لا ينقطع، مذكراتٍ والتماساتٍ وخططاً لحملةٍ صليبيةٍ، في محاولةٍ يائسةٍ لتعبئة المسيحية من أجل الرسالة الكبيرة، ولئن كان نذر نفسه مِن قبل، بكل طاقته، لفكرة التبشير، وحاول أن يحقق الشروط الأولية لانتشارها في أوربا"[(١)].

إذاً فقد استجدت في ذهنه فكرة الحرب والحملة الصليبية كوسيلةٍ جديدةٍ لنشر المسيحية بين المسلمين، إضافةً لفكرة التبشير عن طريق الدعوة وإقامة الحجج والأدلّة والبراهين العقلية، تلك الدعوة العقيمة التي كانت سبباً في مقتله في التاسع والعشرين من شهر كانون الثاني عام ١٣١٦ للميلاد، حيث عاد بالرغم من كبر سنه لتونس، وراح ينادي علناً بدعوة الناس المسلمين لاعتناق المسيحية، فهاجمه جمهور مِن الذين أصا م الذهول والغضب من وقاحته، وضربوه ضرباً مبرحاً، فمات متأثراً بجراحه إثر تلك الحادثة؛ أي أنه دفع حياته ثمناً لحماقته وسوء تقديره للأمور ... كان ريموند قد كتب في عام ١٣١١م كلاماً يصف فيه مآلَ حاله وما انتهى إليه أمره: "لقد كنت متزوجاً، ولي أطفال، وكنت موسراً، ولقد استمتعت بالحياة، وتخلّيت عن كل شيءٍ لكي أعمل في سبيل مجد الرب والصالح العام، وأزيد في انتشار العقيدة المقدسة. تعلمت العربية، وانفتحت من وجوهٍ عديدةٍ على المسلمين لكي أعظهم بالإنجيل. وبسبب عقيدتي أُسِرت وزج بي في السجن وجرحت، ولبثت أعمل خمسةً وأربعين عاماً لكي أحثّ الكنيسة المسيحية والحكام

---

(١) هاغمان، [م. س]، ص ١٠٦.

المسيحيين على خدمة الصالح العام، وقد صِرت الآن طاعناً في السن، وفوق ذلك أيضاً فقيراً، وبقي لدي اهتمامي ودأبي، وسأظل على هذا إلى أن أقضي نحبي، هذه مشيئة الرب"[1].

لقد طُويت صفحة ريموند هذا، وتحققت رؤياه وصدقت توقّعاته فيما كان يتعلّق بنهايته؛ حيث ظلّ على دأبه ذاك حتى قضى نحبه. ولكنه ما كان ليحلم بنهايةٍ على هذه الدرجة من المأساوية؛ ايةٍ على يد جموع الذين حاول تسفيه دينهم وإبدالهم إياه بدينه، كانت ايته على يد جموعٍ من البسطاء الذين وصف لغتهم يوماً بأ ا تشبه أصوات ولغات الحيوانات ... "لقد كان ريموند لول الصورة الثابتة للاستشراق قديماً وحديثاً، على الرغم من وجود أفرادٍ متباعدين زماناً ومكاناً أمكن لهم النجاة من هذه الجمالية المرعبة المُسخرة لخدمة الحقد والكراهية والاستغلال والاحتلال وكلّ ما يتعلّق بذلك من موبقات"[2].

---

[1] هاغمان، [م. س]، ص ١٠٧.

[2] العجلوني، إبراهيم، صورة ثابتة ووسائل متجددةٌ، مقالة منشورة في جريدة الرأي الأردنية بتاريخ ٢٠٠٨/٩/٢٢م.

المبحث السابع

يوحنا السيغوفي

تحدثنا سابقاً عن الراهب يوحنا السيغوفي ودعوته الشهيرة لعقدِ مؤتمرٍ عامٍ لمحاورة المسلمين ومواجهتهم فكرياً وعقدياً، واستبداله لفكرة المواجهة المسلّحة مع المسلمين بالمواجهة الفكرية العقلية، وذلك كمساهمةٍ منه في حل (المشكلة الإسلامية) التي كانت تؤرق الغرب المسيحي كله آنذاك. وقد راودته هذه الفكرة "بعد اعتزاله لمنصب الكاردينال الذي ناله في عام ١٤٤٠ للميلاد، واعتزاله في دير أيتون في سافويا بفرنسا، حيث ثبت له بالدليل العملي عدم قدرة أوروبا على مقاومة الإسلام بالسلاح، لأنّ الدولة العثمانية كانت في أوج قو ا و دد أوروبا كلها"[(١)].

وقد شرع السيغوفي في التنفيذ العملي الواقعي لفكرته تلك بأنْ دعا إلى ترجمةٍ جديدةٍ للقرآن الكريم أملاً منه في إثبات تضمن القرآن لتناقضاتٍ وأخطاءٍ وآثار مؤلفين مختلفين، ليثبت بالتالي أنه ليس كتاباً موحى به من عند الله.

ونستطيع أن نرصد عدة اتفاقاتٍ واختلافاتٍ بين الترجمة السيغوفية للقرآن الكريم إلى اللاتينية وبين الترجمة الأولى التي كانت بإشراف بطرس المبجل من حيث الظروف والأهداف، ومن ذلك:

١. كان المطلوب من هذه الترجمة أن تتصف بالأمانة والدقّة، بعكس الترجمة الأولى التي أخبر فيها بطرس المبجل المترجم روبرت الكيتوني برغبته في تشويه صورة الإسلام والقرآن من خلالها، فكان ذلك برنامج عمله ومنطلقه فيه!!!.

٢. كان هدفه من الترجمة واضحاً منذ البداية وهو منحصر في الإجابة على سؤال واحدٍ هو "هل القرآن كلمة الله أم لا؟ بعكس الترجمة السابقة التي تشتت للإجابة عن أسئلةٍ كان السيغوفي يراها جانبيةً مثل، أخلاقيات محمدٍ، والرد المنطقي على دعوته..."[(٢)].

٣. تصميمه على إيصال نسخةٍ من هذه الترجمة بعد الانتهاء منها إلى المُسلمين لأنه كان يرى أنّ هذه الترجمة ستبقى بلا فائدةٍ إن لم تصل للطرف الآخر المعني ا وهو أهل الإسلام، بعكس الترجمة الأولى التي هدف بطرس المبجل

---

(1) بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ص ٢٦، ط١، ١٩٨٤، دار العلم للملايين، بيروت.

(2) سوذرن، [م. س]، ص ١٣٤.

من خلالها إلى تشويه الإسلام والقرآن عن قصدٍ وعمدٍ، وكذلك سعى إلى نشر هذه الترجمة في الوسط المسيحي لا الإسلامي وذلك، كما أسلفنا، بهدف تنفير الناس منه وصدهم عنه.

٤. كانت إمكانيات السيغوفي المادية محدودةً، وقد كتب إلى رفاقه وبعض ذوي النفوذ محاولاً إقناعهم والحصول على دعمهم في التنفيذ، بعكس بطرس المبجل الذي كان رئيساً لأقوى ديرٍ مسيحيّ وأكثرها نفوذاً وغنى في أوروبا كُلها.

٥. عاش السيغوفي في دير أيتون البعيد المعزول، بعكس بطرس المبجل الذي كان يتجول في أوروبا ويتفقّد أدير ا البنديكتية على الدوام، وكان مشروعه بعد انتهائه بمثابة الأساس لكل الترجمات الأوروبية للقرآن الكريم حتى بعد مرور خمسمائةِ سنةٍ على إنجازه.

٦. التقت الترجمتان على عدم الإيمان بسماوية القرآن الكريم وعدم صدق نبوة محمدٍ، ولكنهما اختلفتا في كيفية التعبير عن ذلك.

٧. لئن كان الشخصان اللذان قاما بتنفيذ ترجمة بطرس المبجل معروفين؛ وهما الراهبان روبرت ألكيتوني وهيرمان دلماتا اللذان كان متقِنين للغة العربية، فإنّ هنالك العديد من علامات الاستفهام حول هوية المترجم الحقيقي، الذي استعان به يوحنا السيغوفي لإنجاز هذه الترجمة الثانية للقرآن الكريم، ويدعم صحة هذا الكلام خلو المصادر التاريخية التي تحدثت عن تاريخ أوروبا في تلك الفترة من ذكر اسم هذا المترجم؛ حيثُ اكتفت بوصفه بأنه "فقيه مسلم وعالِم عربي من سلمنكا الإسبانية"[(١)]. ويرى الدكتور عبد الرحمن بدوي أنّ هذا الشخص قد وصِف زعماً بأنه فقيه مسلم يعرف اللغة العربية والإسبانية؛ "لذلك رأى ترجمة القرآن إلى اللاتينية؛ ولمّا كانَ لا يعرف العربية فقد استقدم من إسبانيا "فقيهاً" مسلماً يعرف الإسبانيةَ والعربية طبعاً، وكان هذا "الفقيه" المسلم ـ المزعوم في رأينا ـ يتولى ترجمة الآيات القرآنية فيصوغها يوحنا الأشقوبي باللغة اللاتينية!"[(٢)].

وعلاوةً على ما سبق مِن جهالة اسم وحال هذا المترجم العربي، فقد ذكر سوذرن أنه قرر العودة إلى زوجته الشابة التي خلّفها وراءه بعد أن عمل مع يوحنا السيغوفي عدة أشهرٍ طويلةٍ وقاسيةٍ في إنجاز الترجمة، وحينها "كان

---

(1) انظر:
أ. آرمسترونج، سيرة النبي محمد، [م. س]، ص ٥٤.
ب. سوذرن، [م. س]، ص ١٣٤.
(2) بدوي، [م. س]، ص ٢٦.

العمل الأساسي قد أُنجز؛ لكن يوحنا أَمِلَ أن يجد من يعينه في تدقيق بعض المواطن، والقيام بمراجعةٍ شاملةٍ وأخيرةٍ. لهذا طلب من رئيسه مقدم الآباء الفرنسيسكان أن يساعده في العثور على عالِمٍ عربي أو أوروبي يحسن العربية. وبحثَ هو بنفسه في أوروبا طولاً وعرضاً؛ لكنه لم يعثر على أحدٍ يعرف لغة القرآن وهكذا بقيت الترجمة دون مراجعةٍ أخيرةٍ"(١).

إذاً فقد بقيت الترجمةُ دون تدقيقٍ ودون مراجعةٍ شاملةٍ أخيرةٍ، وهذا مأخذٌ عليها يضاف إلى مأخذ جهالة شخص وحال المترجِم. ومما يزيد في عدد علامات الاستفهام المضروبة حولها هو ضياع هذه الترجمة وعدم استشهاد المصادر التاريخية بها!!.

كان الإسلام، في رأي يوحنا السيغوفي يتضمن روحاً مقاتلةً فاتحةً، بعكس المسيحية التي لا تقر ذلك، وكان يرى أنّ المسيحية إن أرادت الحفاظ على جوهرها فإنها ستجد نفسها دائماً في الجانب الخاسر إنْ هي لجأت للحرب، كما كان يرى "أنّ المسيحية الغربية لن تكسب في الصراع [ضد الإسلام طبعاً] إلاّ إذا لجأت للوسائل السلمية؛ لأنها بالسلم تكونُ قد بقيت أمينةً لروحها هي"(٢). وكان يرى خطأ القول بإمكان هداية المسلمين بالقوة، وبإمكان فرض الحجج المسيحية عليهم، ولعل رؤيته هذه هي التي دفعت بسوذرن لأن يصفه بأنه "داعية السلام الأوروبي الأول مع الإسلام الذي اقتنع بأنّ المسيحية لن تنتصر عن طريق التبشير، وقد كانت القضية الملحةُ بالنسبة له التفكير بطرائق جديدةٍ للاتصال بالمسلمين"(٣).

ولكننا لا نوافق سوذرن على ما ذهب إليه من وصف هذا الراهب السيغوفي بأنه داعية سلام؛ وذلك لأنّ هذا السيغوفي بعد ترجمته للقرآن "قد شرع في تأليف كتاب "طعن المسلمين بروح السيف"، وهو بمثابة أبرز ما كتبه في الرد على الإسلام"(٤). لقد علّمتنا المواقف السابقة لهؤلاء الرهبان المستشرقين أنهم، في موقفهم من الإسلام ونبوة محمدٍ، دائماً يكونون خلف آلةٍ من اثنتين؛ أما الأولى فهي آلةُ الحرب الفكرية والعقدية وأما الثانية فهي الآلة العسكرية الحربية، وقد دأبوا على جعل الأولى مقدمةً للثانية ومفتاحاً لها، فإن فشلت هذه وانهزمت عادوا إلى آلة الحرب الفكرية، وتترسوا خلفها يشنون على الإسلام ونبيه المصطفى حرب اللسان والكلام، ويديرون عليه دوائر الطّعن والشبهات والتشكيك والهمز واللمز .. ولذلك، نرى أنّ كل دعوات الرهبان المستشرقين للجدل ضد الإسلام إنما جاءت في

---

(1) سوذرن، [م. س]، ص ١٣٤.
(2) سوذرن، [م. س]، ص ١٣٦.
(3) المرجع السابق، ص ١٣٦، ١٣٧.
(4) بدوي، [م. س]، ص ٢٦.

عهدٍ وزمنٍ ومناسباتٍ كانت القوة العسكريةُ للإسلام تتمتع فيها بتمام الصحة والعافية، ومن هنا جاءت دعوة يوحنا السيغوفي لحماية المسيحية وعدم احتكاكها عسكرياً مع الإسلام بعد أن سقطت قلاع القسطنطينية تحت رايات الإسلام ووطئت أقدام الفاتحين ترا ا في عام ١٤٥٣ للميلاد، فهي مهادنةُ الضعيف الذي يخشى على تراثه ودينه، للقوي الفاتح المنتصِر، ولا نرى دعوة السيغوفي وغيره من الرهبان المستشرقين إلا ضمن هذا الإطار.

المبحث الثامن

نيكولاس الكويسي

يعتبر الكاردينال الألماني نيكولاس الكويسي (أو نيقولاس فون كيس) الصديق الأفضل ليوحنا السيغوفي بالرغم من تباعد المسافات بينهما، وهو الوحيد مِن بين الذين كان السيغوفي يراسلهم، للدعوة لمؤتمرٍ لمحاورة المسلمين الذي رد عليه رداً إيجابياً، وشجعه على المضي قُدماً في فكرة المؤتمر وكتابة المؤلفات الجدلية التي تناقش الإسلام والقرآن. وكان مما جاء في رسالته الجوابية التي بعثها للسيغوفي في شهر كانون الأول من عام ١٤٥٤ للميلاد: "يجب علينا أن نحاول دائماً أن نجعل ذلك الكتاب الذي يتمتع بالمرجعية عندهم [يقصد القرآن الكريم]. معتمداً عندنا، ذلك لأننا نجد فيه مواضع تعد مفيدةً، والمواضع الأُخرى التي تناقضنا نستطيع تأويلها عن طريق تلك المواضع"(١). ويعتبر كتابه "نظرة في القرآن" أشهر الكتب التي ألفها على الإطلاق. ثم يليه في الشهرة كتابه "نقد الإسلام وتفنيده" وهو الكتاب الذي "قام بتأليفه بتوجيهٍ من البابا بيوس الثاني"(٢).

وكسابقيه من الرهبان المستشرقين، لم يكتب الكويسي كتاب "نظرة في القرآن" ليصلَ في النهاية إلى نتيجةٍ مبنيةٍ على مقدماتٍ سبق ذكرها في بداية الكتاب، بل إنه كان على قناعاتٍ مسبقةٍ فيما يتعلّق بالقرآن، ثمّ خط هذا الكتاب ليدافع عن قناعاته تلك ويثبتها. وتتلخص أبرز قناعاته تلك في أن القرآن إنما هو خليطٌ من عناصر شديدة التباين ذاتِ أصولٍ يهوديةٍ ومسيحيةٍ هرطقيةٍ!!!. لقد وضع الكويسي مؤلفه هذا بين عامي ١٤٦٠ و١٤٦١ للميلاد، وجاء في ثلاثة أقسامٍ، وقام بحشوه بالمناقشات اللاهوتية الجدلية مع الإسلام، ويعتبر الكتاب بحد ذاته تأويلاً للقرآن من وجهةِ نظرٍ إنجيليةٍ، ودفاعاً مستميتاً عن العقيدة المسيحية في وجه الإسلام. ولعل عنوان هذا الكتاب واضح تماماً في الدلالة على مقصوده والمراد منه؛ فهو يريد أن ينظر في القرآن ويغربله! فيأخذ الثمين الذي فيه وهو، برأيه، كلّ ما يوافق مضمون الكتاب المقدس، ويطرح الغثّ الزائد وهو، برأيه، الذي لا يوافق مضمون الكتاب المقدس! فتكون النتيجة أنّ القرآن منحولٌ عن الكتاب المقدس، بدلالة هذه الموافقات التي فيه للكتاب المقدس!!! وفي تحليله لمضمون

(١) هاغمان، [م. س]، ص ١١٠، بتصرف.

(٢) عبد المحسن، [م. س]، ص ٣٧.

هذا الكتاب، يذكر هاغمان أنّ هنالك ثلاثة شواهد فيه تدل بوضوح على ما سماه (اللاهوت الكويسي)، وهي التأويل الصحيح للقرآن، ومن ثمّ توجيه المسلمين، وأخيراً إثبات عقلانية ما ورد في العقيدة المسيحية.

أما عن التأويل الصحيح للقرآن، فلم يرد به الكويسي التفسير الصحيح المبني على الضمير والوجدان، بل يقصد به تأويل القرآن من زاوية النظر المسيحية تأويلاً حسن المقاصد طيب السريرة، واسع الصدر!! كما أنه يقصد بالتوجيه الأخذ بيد المسلمين ليقودهم إلى فهم العقيدة المسيحية، ويوجههم نحو فهم التثليث المسيحي!! أما العقلانية، فأراد ا أن يثبت للذين يستخدمون عقولهم أنّ الإيمان بالتثليث إنما كان لدوافع عقلانية!!!.

ولعل المحاولة السابقة التي قام ا الكويسي هذا لغربلة القرآن وتمحيص النظر فيه لأخذ الثمين وطرح الغثّ إنما كانت نابعةً، وبالدرجة الأولى، من اعتقاده بأنّ الإسلام في أصله إنما هو هرطقةٌ مسيحيةٌ مشتقّةٌ من الهرطقة النسطورية. وهو في قوله هذا لم يأتِ بجديدٍ وإنما يكرر ما كان سائداً في محيطه العام، ويردد هذه الفرية التي سبقه إليها عشرات الرهبان الذين كانوا يبحثون عن أكاذيب يلصقو ا بالإسلام لصد الناس عنه؛ حتى إنه في محاولته لإثبات صحة قوله هذا (الإسلام هرطقة نسطورية)، إنما كان يردد وبالحرف مزاعم أسلافه وسابقيه من الرهبان في هذا الصدد، فنراه يجتر حكاية تتلمذِ محمد ﷺ على يد بحيرا الراهب النسطوري، "ولا يستبعد إمكانية التأثير النسطوري على محمدٍ ومحيطه الفكري ما دامت النسطوريةُ في ذلك الوقت واسعة الانتشار في مجال الشرق الأدنى"[(١)].

والذي نسجله موقفاً في صالح نيكولاس الكويسي هذا، صراحته وصدقه في الإخبار عن المصادر التي أخذ منها معلوماته عن الإسلام ورسول الله محمد ﷺ، وتوثيقه لها في بداية كتابه "نظرة في القرآن"، وهي كتب كنا قد عرضنا لمعظمها ووقفنا عليها بالنقد والتحليل وهي[(٢)]:

١. ترجمة القرآن إلى اللاتينية بتكليف من بطرس المبجل، التي أنجزها روبرت ألكيتوني.

٢. الرسالة التي يشار إليها بالعربية باسم "رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن اسحق الكندي، ورسالة الكندي إلى الهاشمي"، وهي من أشهر الدفاعات المسيحية باللغة العربية.

---

(١) هاغمان، [م. س]، ص ١١٣.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ١١٤، ١١٥ بتصرف.

٣. "كتاب السيرة المحمدية Liber generationis Mahumet"، الذي يتضمن عدداً من حكايات الخلق اليهودية الإسلامية، وكذلك عرضاً لنسب محمدٍﷺ، وقد يكون الأصل العربي كتاب "نسب رسول الله" لسعيد بن عمر.

٤. "الحكايات الإسلامية / Fabulae Saracenorum"، وهو أحاديثُ إسلاميةٌ ذات تلاوين دينيةٍ، وفيه تاريخ محمدٍ، ولمحات من سير الخلفاء السبعة الأوائل.

٥. "مذهب محمد / Doctrina Mahumet" باللاتينية، وهو خليطٌ من الحكايات الإسلامية واليهودية في صورة تمثيليةٍ من سؤالٍ وجوابٍ بأسلوب تعليم أصول الدين، أما الأصل العربي فهو: "مسائل عبد الله بن سلام".

٦. "الخلاصة الجامعة لهرطقات المسلمين / Summa totius haeresis Saracenorum" بقلم بطرس المبجل.

٧. رسالة بطرس المبجل إلى برنارد فون كليرفو.

وإضافةً لهذه المراجع السبعة الهامة يخص نيكولاس الكويسي أربعةً من الكتب بالذكر، مشيراً إلى مدى أهميتها وخصوصيتها بالنسبة له، وهي:

أ. كتاب ركُلدس دي مونتي كروتشي "ضد شريعة المسلمين".

ب. الرسالة المستفيضة، ورسالة "ضد إلحاد محمد"، وهما من تأليف ديونيسيوس كارتو سيانوس.

ج. "المقالة الوجيزة حول عقلانية الإيمان العائدة لكنتر الإيطالي"، وهي من تأليف توما الأكويني.

د. رسالة "ضد المبادئ الخاطئة في عقيدة محمد"، وهي من تأليف خوان دي توركمادا.

لم يكن مستغرباً إذاً أن يتشابه موقف نيكولاس الكويسي من الإسلام ونبوة محمدٍ ﷺ مع مواقف سابقيه من الرهبان المستشرقين، ولم يكن مستغرباً كذلك أن تتطابق مواقف هؤلاء الرهبان مع بعضها البعض فيما يتعلّق بالإسلام ونبوة محمدٍ ﷺ؛ وذلك لأنهم كانوا ينهلون من معينٍ واحدٍ، ويستقون من المصادر الملوثة ذا ا؛ وهي المصادر التي سبق وأن وضعنا على مصداقيتها عشراتٍ من علامات الاستفهام والتعجب. والمؤلمُ في الأمر أنّ كُتب ومصادر التراث الإسلامي ومخطوطاته كانت في متناولهم ومتوافرةً بكثرةٍ، بالذات في الأندلس، لكنهم أبوا إلاّ أن ينهلوا من المصادر التي

توافق رأيهم وتدعم موقفهم، يجمعهم في ذلك هم واحد هو الدفاع عن العقائد المسيحية في وجه الإسلام، حتى ولو أدى م الأمر إلى تشويه حقائق الإسلام وقلبها وتزويرها، فالغاية عندهم تبرر الوسيلة!!.

خلاصة شبهات الاستشراق الديني

ذكرنا فيما سبق مجموعةً من الرهبان الكاثوليك الذين عملوا في الاستشراق الديني وأسسوا للدراسات الاستشراقية، وعكفوا على دراسة الإسلام دف تفنيده والرد عليه والدفاع عن العقائد المسيحية في مواجهتها له.

ومن الجدير ذكره هنا أنّ قائمة الرهبان المستشرقين طويلةٌ تكاد لا تنتهي، وإنما وقع الاختيار على هؤلاء السابق ذكرهم لشدة خطور م على الإسلام، ولاشتهار مؤلفا م الجدلية التي وضعوها، وذلك ضمن حلقات الحرب الفكرية والعقدية التي أعلنتها الكنيسة الغربية على الإسلام منذ زمنٍ بعيدٍ. ومن المفيد هنا حصر وتلخيص أبرز النقاط المشتركة والشبهات التي خرج ا هؤلاء الرهبان المستشرقون، لأ ا في مجموعها وتراكمها ساهمت في ترسيخ صورةٍ سلبيةٍ مرعبةٍ عن الإسلام، وقد استمرت هذه الصورة حتى يومنا هذا ولكن مع تعديلٍ طفيفٍ وتغيراتٍ شكليةٍ لم تمس جوهرها.

ولعل أبرز ما استقر لديهم عن الإسلام ونبوةِ محمدٍ ﷺ ما يلي:

أولاً: الإسلام هرطقةٌ مسيحيةٌ شديدة الخطورة يجب التصدي لها ومواجهتها بكُل ما هو ممكن ومتاح.

ثانياً: المسلمون هراطقةٌ تجب محاربتهم، أو على الأقلّ إعاد م إلى المسيحية الصحيحة.

ثالثاً: تاريخ المسلمين مضحِك، وهو مليءٌ بالأكاذيب والقصص المعيبة.

رابعاً: يعبد المسلمون إلهاً غير حقيقيّ، وهو الإله الذي دعاهم محمد إلى عبادته.

خامساً: المسلمون جبريون، يقولون بعدم حرية الإرادة البشرية.

سادساً: محمد شرير وقذر، وقد قام بتعليم أتباعه إنكار الدين المسيحي.

سابعاً: مارس محمد السلب والنهب، وكان دائم الاعتداء على جيرانه من القبائل العربية واليهودية تحت مسمى الغزو والجهاد.

ثامناً: اتسع ملك محمدٍ وتوسعت رقعة إمبراطوريته وانتشر دينه عن طريق السيف وقوة السلاح والإكراه والإجبار.

تاسعاً: أخذ محمد تعليمات الإسلام عن طريق بعض الرهبان المهرطقين، مثل بحيرا النسطوري وورقة بن نوفل.

عاشراً: ادعى محمد النبوة وسط مجموعاتٍ من البدو الذين لم يفهموا شروط النبوة ولم يعرفوا علاما ا، فلما عرفوا كذبه طردوه من مكّة.

حادي عشر: عرف محمد اسم (جبريل) من الكتاب المقدس.

ثاني عشر: قدم محمد الجنة في القرآن الذي جاء به لأتباعه في صورةٍ حسيةٍ مليئةٍ بالشهوات.

ثالث عشر: اتخّذ محمد لنفسه العديد من الزوجات الصغيرات السن والكبيرات، وكان مفرطاً في الزنى.

رابع عشر: مارس محمد عمليات القتل الجماعي وخطّط للعديد من الاغتيالات لأبرز أعدائه وخصومه.

خامس عشر: ضيق محمد على القبائل اليهودية وسلب أموالها وقسمها بين أصحابه بعد أن أخذ الخُمس منها.

سادس عشر: تميز محمد بشهوانيةٍ مفرطةٍ منافيةٍ للأخلاق، ورغبةٍ شديدةٍ في النساء حتى أنه لم يتردد في أمرِ خادمه زيد بن حارثة بأن يطلّق زوجته الجميلة ليقوم هو بالزواج منها بعد ذلك.

سابع عشر: كانت صنعةُ محمدٍ التي أبدع فيها تدبير الحروب وتوجيه الطّلائع لشن الغارات.

ثامن عشر: سرق محمد قصص الأنبياء من التوراة والإنجيل بعد اطّلاعه عليهما، فحكاها لأصحابه وأتباعه زاعماً أنّ وحياً من السماء نزل ا عليه.

تاسع عشر: حرصاً منه على إيجاد أتباعٍ يتسمون بضيقِ الأفق ولا يسعون لاكتشاف زيف شريعته، منع محمد أتباعه من قراءة التوراة والإنجيل.

عشرون: لو كان محمد رسولاً لما مات بسبب الأكل من شاةٍ مسمومةٍ.

الحادي والعشرون: لم يأتِ محمد بالمعجزات، وكل ما جاء به إنما هو كتاب مليءٌ بالمتناقضات المنافية للعقل سماه القرآن.

الثاني والعشرون: كل ما وافق الكتاب المقدس من كتاب محمدٍ (القرآن) إنما هو صحيح، سرقه محمد ونحلَه من الكتاب المقدس، وكل ما خالف الكتاب المقدس والعقائد المسيحية من آيات كتاب محمدٍ فهو مكذوب وباطلٌ من افتراءات محمدٍ واختلاقه.

الثالث والعشرون: محمد رجلٌ فاقت سيئاته كل حدٍّ معقول، عاش حياةً غير حميدةٍ وكان غارقاً في حمأة الدنيا وشهوا ا.

الرابع والعشرون: كان محمد واسع الحيلة، وكان يمارس السحر، وعن طريق ذلك ثبت دينه وأغرى الناس باتباعه.

الخامس والعشرون: ينكر المسلمون ألوهية المسيح وينكرون واقعة صلبه ويرون أنه رسولٌ فقط.

السادس والعشرون: محمد مهرطق مسيحي تزوج أرملةً ثريةً استغل أموالها، وكان مصاباً بنوباتٍ متتاليةٍ من الصرع.

نعم، هذه هي خلاصةُ ما ترسخ في عقول هؤلاء عن الإسلام وعن الرسول الكريم ﷺ، وهذا لم يكن ناتجاً عن قلّة المصادر المُنصفة المُعرفة بالإسلام بين أيديهم،لا ولكنه كان ناتجاً وبالدرجة الأولى عن كراهيتهم لهذا الدين وأهله ورفضهم له، بغض النظر عن كل الذي فيه من سعادةٍ للبشرية وخيرٍ للخلق أجميعن. (قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِى صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ)[1]. ولئن كانت الكراهية الناجمة عن الجهل بالشيء مؤلمةً فإنّ الكراهية الناجمة عن العلم بالشيء لهي أشد إيلاماً وأمر وأدهى. يقول الأب الكاثوليكي "روبير كاسبلر": "إنّ الغرب لم يفهم الإسلام على حقيقته أبداً، ولم يحاول ذلك مطّلقاً. وحتى خيرة المسيحيين القلائل الذين كانوا يعيشون على مقربةٍ من الإسلام ... لم يتمكّنوا من إدراك جوهر الإسلام وعظمته، وهي: التصعيد إلى الله الواحد الأحد. ولعل ذلك يرجع أساساً إلى أنّ الغرب المسيحي اكتفى قروناً طويلةً بتلطيخ الإسلام ونبيه بأسخف الأقوال، من دون أن يكلف نفسه عناء دراسة هذه العقيدة"[2].

ومما يلاحظُ في ختام هذا المبحث، أنّ معظم الذين عملوا في الاستشراق الديني من الرهبان الكاثوليك قديماً وحديثاً قد عملوا على ترجمة القرآن الكريم أو بالأصح قاموا بمحاولات خبيثةٍ فاشلةٍ لترجمة القرآن الكريم، وأنهم قد استندوا في مؤلفا م ضد الإسلام على ترجمات أسلافهم مثل: بطرس المبجل وروبرت ألكيتوني وهيرمان دلماتا ويوحنا السيغوفي ونيكولاس الكويسي لكتاب الله العزيز، وقد تقدم ذكر أبرز سلبيات هذه الترجمات ومدى انحرافها عن جادة الحق والصواب. والغريب في الأمر أنّ المستشرقين المتأخرين في القرنين الماضيين إنما تأثروا ذه الترجمات المغلوطة المشوهة السابقة، واتخذوها قواعد ينطلقون منها في فهمهم للإسلام والتعريف به. ومسألة تشويه هؤلاء لتفسير القرآن الكريم وترجماته مسألة ينبغي التوقّف عندها مطولاً؛ ذلك أنها لم تكن مسألةً عشوائيةً أو محض صدفةٍ، لا، وإنما كانت تلك مسالةً ناتجةً عن دراساتٍ معمقةٍ وتخطيطٍ مسبقٍ يستهدف ضرب القرآن الكريم بوصفه أبرز مصادر التشريع

---

[1] سورة آل عمران: الآية ١١٨.

[2] عبد العزيز زينب، محاصرة وإبادة، موقف الغرب من الإسلام، ص ٤٠، ط ١، ١٩٩٣، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت.

الإسلامي، ولقد قامت هذه المسألة على منهجيةٍ محسوبةٍ، وتمّ تنفيذها وفق آلياتٍ نستطيع أن نلتمس أبرز معالمهما فيما يلي[١]:

- إخضاع النصوص للفكرة التي يفرضو ا حسب أهوائهم.
- التحكم فيما يرفضونه أو يقبلونه من النصوص.
- تحريف النص تحريفاً مقصوداً.
- حرصهم على تجاوز كل ما من شأنه أن يثبت أن القرآن كلام الله.
- تصيد النصوص الملائمة والموافقة لهواهم.
- الخلط بين شيءٍ قليلٍ مما هو مبثوث في المصادر وبين ما كانت تمليه تخيلات وتكهنات المستشرقين.
- اندفاعهم نحو الترجمة الكيفية لا الصحيحة والعلمية، أو حتى النسبية إلى حد ما، إمعاناً منهم في التحريف والتضليل.
- اهتمامهم بنشر الترجمات التي تنطوي على الأضاليل والأخطاء الفنية والشطحات بدافع الحقد والتعصب.

وعلاوةً على ما سبق فقد اتسموا جميعاً، ولكن بتفاوتٍ، في الجهل بأسرار اللغة العربية، والفهم المقتصر على جانبٍ واحدٍ من المعنى، والخلط بين معاني الكلمات العربية المختلفة، والجهل بالتورية القرآنية، والانحراف بالنص عن قصده الحقيقي، والجهل بالمعاني الدقيقة للكلمات العربية. "كما أ م كانوا يمهدونَ لعملهم هذا بكتابة دراساتٍ ومقّدماتٍ لا تحصى عن القرآن [توضع في بداية الترجمة]، وهي غالباً ما تتضمن التشهير بالإسلام والنبي ﷺ، لكي يترسخ في ذهن القارئ الغربي بالدرجة الأولى زيف الإسلام وكراهيته"[٢].

---

[1] التمسماني، محمد حمادي الفقير، تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن الكريم من قِبل المستشرقين ودوافعها وخطرها، ص ١٤ – ١٨ بتصرف واختـصار. دراسـة مطولة منشورة على شبكة الانترنت، في موقع شبكة التفسير والدراسات القرآنية www.tafsir.org.

[2] المرجع السابق، نقلاً عن محمد صالح البنداق في كتابه "المستشرقون وترجمة القرآن الكريم" ص ١٠٨، ط٢، ١٩٨٣، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

الفصل الرابع

تطور الاستشراق الديني إلى استشراقٍ إعلاميٍّ معاصرٍ واستمرارية استهداف الإسلام

المبحث الأول

هل انتهى الاستشراق الديني؟

ها نحن نحيا في صدر القرن الحادي والعشرين للميلاد. وقد مرت أزمانٌ بعيدةٌ وسنون طويلةٌ، على ما سبق ذكره من الاستشراق الديني ومؤلفات رهبان العصور الوسطى التي كرسوها لمحاربة الإسلام وتشويه صورة رسول الله ﷺ. وقد زاد التقارب ما بين الشرق والغرب بشكلٍ ملحوظٍ في السنوات القريبة السابقة، وظهرت مجموعات سكانيةٌ ودينيةٌ مسلمةٌ كثيرةٌ في الغرب في القرن الماضي، فهل انتهى الاستشراق الديني وطويت صفحاته السوداء المؤلمةُ بكلّ ما احتملته واجترحته من سوءٍ وحروبٍ ثقافيةٍ وعقديةٍ ضد الإسلام؟؟ وهل بقيت المؤلفات الجدليةُ اللاهوتيةُ السابقة حبيسة رفوف المكتبات القديمة في أوروبا ولم تر النور في عصرنا هذا، عصر الحوار والتقارب مع الآخر والدعوات المتكررة للتعايش معه وفهمه واحتوائه دون مزيدٍ من الحروب؟ وبعبارةٍ أخرى، هل بات الاستشراق الديني مسألةً تاريخيةً من تراث العصور السالفات، وفقدت مضامينه تأثيرها في عقول وأنفس الغرب المسيحي؟؟

لقد أجاب بعض دعاة التقارب مع الغرب والمستميتين في سبيل التودد إليه ومحاكاته ومحاورته، دون أدنى قيدٍ أو شرطٍ أو حتى مطلبٍ عادلٍ، أجابوا عن هذا السؤال بقولهم: إنّ الاستشراق (وبالذات الديني منه) قد انتهى وولّى إلى غير رجعةٍ. وإنّ كلمة الاستشراق آخذةٌ في الاندثار بعد أن خبا بريقها وفقدت تأثيرها وحساسيتها. ويستشهد هؤلاء بقول المستشرق الشهير برنارد لويس "لقد أصبحت كلمة "مستشرق" منذ الآن فصاعداً ملوثةً هي الأخرى أيضاً، وليس هناك أملٌ في الخلاص، ولكن الضرر هنا أقل لأنّ الكلمات قد فقدت قيمتها، وحتى أولئك الذين تدل عليهم [يقصد المستشرقين] تخلّوا عنها"[١]. كما يستشهد هؤلاء القائلون بانتهاء الاستشراق بالدعوات التي صدرت في مؤتمر المستشرقين العالمي، الذي عقد في العاصمة الفرنسية باريس عام ١٩٧٣م، حيث كان هناك إلحاح عام، من المستشرقين المشاركين في المؤتمر على إعادة النظر في طبيعة هذا المؤتمر ووظائفه وضرورة التخلّي عن تسمية الاستشراق[٢]. وما من شك في أنّ الراحل إدوارد سعيد[١]، كان له فضلٌ عظيم وأسبقيةٌ واضحةٌ في الكشف عن

---

(1) مطبقاني مازن، حقيقة اية الاستشراق، ص١، دراسة منشورة في الموقع الإلكتروني لمركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق. وقد أورد المطبقاني عبارة برنارد لويس السابقة نقلاً عن كتاب الاستشراق بين دعاته ومعارضيه لمؤلفه هاشم صالح، والذي أخذ هذه العبارة من مقالة لـويس المنـشورة في New york Review of Books.

(2) تعود قضية اية الاستشراق إلى آخر مؤتمرٍ للمستشرقين عقد تحت رعاية المنظمة الدولية للمستشرقين في مدينة باريس بفرنسا عام ١٩٧٣م، وكان هـذا المـؤتمر الاستشراقي بمناسبة مرور مائة عام على بداية عقد المستشرقين. وفي هذا المؤتمر دار نقاش وتصويت بين المستشرقين على تغيير الاسم وتسمية الجمعية باسم جديد هو=

مساوئ الاستشراق والنوايا والأهداف الخبيثة للعاملين في حقله، وكان كتابه "الاستشراق" بمثابة كشفٍ لزيوف الدراسات الاستشراقية ومواجهةٍ صريحةٍ معها، لا بل كان بمثابة إعلانٍ لإطلاق النار على التراث الاستشراقي الحاقد، الذي كان يستهدف أكثر ما يستهدف عقيدة المسلمين وتراثهم وبلدا م. مع أنّ الرجل كان مسيحياً ومات على مسيحيته. لقد عاش إدوارد سعيد في بلادهم وحمل جنسيتهم وكان يتحدث بلُغتهم ويعلم كيف يفكّرون تماماً، فأجبرهم على مراجعة حسابا م والوقوف مطولاً لمراجعة أنفسهم ولمراجعة الطريقة والأسلوب الذي كانوا يعاملون به تراثنا وديننا وحضارتنا وقيمنا، ويكفي لإثبات صدقية ذلك أن نقول: إن عبارات المستشرق الشهير برنارد لويس في كتابه الشهير "مسألة الاستشراق"[٢] إنما جاءت بعد إصدار الراحل إدوارد سعيد لكتابه السابق بأربعة أعوامٍ فقط. والذي نراه ونميلُ إليه أنّ وصفه لكلمة "مستشرِق" بأ ا (ملوثة) إنما جاء نتيجةً لتأثره بما خطّه إدوارد سعيد في كتابه السابق. لم يأتِ وصف برنارد لويس واستعماله لكلمة (ملوثة) من فَراغٍ لا، وإنما جاء ليشخص الحالة الحقيقية التي عاشها الاستشراق منذ ولادته في حضن الكنيسة والأديرة الغربية حتى يومنا هذا. كان الاستشراق وبكل مدلولاته ومضامينه مهنةً ملوثةً، لأ ا قامت من بدايتها على قلب الحقائق وتشويه الوقائع واستخدام كل وسيلةٍ ممكنةٍ لمحاربة القرآن الكريم والحبيب المصطفى ﷺ وللقضاء على كل ما جاء به هذا الإسلام العظيم. كان الاستشراق صنعةً ملوثةً وصفها بذلك كبير الملوثين الطاعنين في الإسلام برنارد لويس.

والذي نميلُ إليه بوصفه إجابةً معتمدةً ثابتةً على عنوان هذا المبحث أنّ الاستشراق لم ينته، وأنّ شمسه لم تغرب بعد؛ والسبب في ذلك راجع لكون الاستشراق صنعة ونتاج الحاقدين على الإسلام الكارهين لرسوله، ولكون الاستشراق المتنفس الذي يعبر هؤلاء من خلاله عما يعتملُ في صدورهم تجاه الإسلام ورسوله الكريم محمد ﷺ، ولطالما

="المؤتمر العالمي للدراسات الإنسانية حول آسيا وشمال أفريقيا" وعقد تحت هذا الاسم مؤتمران ثم تغير الاسم إلى "المؤتمر العالمي للدراسات الآسيوية والشمال أفريقية" وقد عقد المؤتمر مؤخراً في مدينة بودابست با ر، وحضره أكثر من ألف باحث معظمهم من أوروبا وأمريكا وروسيا في ١٧ – ١٢ تموز ١٩٩٨م وحدد موعد المؤتمر القادم في مونتريال بكندا عام ٢٠٠٠م.

[1] ولد ادوارد سعيد في القدس ١٩٣٥/١١/١ لعائلة مسيحية. بدأ دراسته في كلية فيكتوريا في الاسكندرية في مصر، ثم سافر سعيد إلى الولايات المتحدة كطالبٍ، وحصل على درجة البكالوريوس من جامعة برنستون عام ١٩٥٧م ثم الماجستير عام ١٩٦٠ والدكتوراه من جامعة هارفارد عام ١٩٦٤م. قضى سعيد معظم حياتـه الاكاديمية في جامعة كولومبيا في نيويورك، لكنه كان يتجول كأستاذٍ زائرٍ في عدد من كبريات المؤسسات الاكاديمية مثل جامعة يايل وهارفرد وجون هوب . تحـدث سعيد العربية والإنجليزية والفرنسية بطلاقة، وألم بالإسبانية والألمانية والايطالية واللاتينية. إدوارد سعيد هو من اتباع الكنيسة البروتستانتية الإنجيلية. توفي في احـدى مستشفيات نيويورك ٢٠٠٣/٩/٢٥ عن ٦٧ عاماً نتيجة إصابته بمرض اللوكيميا (سرطان الدم).

[2] انظر:

أ. لويس، برنارد، مسألة الاستشراق، ص ١٥٩ – ١٨٢ بتصرف واختصار.

ب. لويس، برنارد، الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، ترجمة هاشم صالح، ص ٢٦١، ط٢، ٢٠٠٠، دار الساقي، بيروت.

بقي هؤلاء فإنّ الاستشراق باقٍ لا يغيب حتى يأذن اللهُ أن تغلّق نوافذ الباطل التي يطلّون منها برؤوسهم، رؤوس الفتنة ليساهموا في المزيد من تأجيج الفتن والشحن ضد الإسلام وأهله. "وقد يقول بنهاية الاستشراق من ليس له إطّلاع على أقسام الدراسات العربية، وأقسام دراسات الشرق الأدنى، والشرق الأوسط أو مراكز البحوث والمعاهد المتخصصة، أو معاهد البحوث الاستراتيجية أو معاهد البحوث حول الشؤون الدولية. ذلك أنّ النشاط الاستشراقي في هذه المراكز والأقسام مستمر ومتواصلٌ. وأنّ القوم لم تنقطع صلتهم بالحركة الاستشراقية بل هناك من الدلائل على أ م ينطلقون في دراسا م للعالم الإسلامي عقيدةً وشريعةً وأخلاقاً واجتماعاً وغير ذلك من ا الات، مستندين إلى الجهود الاستشراقية لسابقيهم"[١].

فحاصلُ القول إذاً، إن الاستشراق الديني لم ينته البتة، ولكنه اتخذ لنفسه ثياباً جديدةً وقوالب أخرى، اضطرته إليها العلاقات الجديدة التي فرضت نفسها في موضوع علاقة الإسلام بالغرب أحياناً، وضغوطُ الواقع المعاصر وزيوف حوار الحضارات أحياناً أخرى ... فأخذ ينتشر انتشار السرطان الخبيث القاتل الذي يزحف ويعمل بصمتٍ مطبقٍ حتى يودي بجسد الأمة إلى مصيرٍ هو بئس المصير، واتخذَ لنفسه قنواتٍ جديدةً أوسع من أروقة الكنيسة الغربية ودهاليز أديرا ا ورهبا ا؛ حيث دخل القنوات الأكاديمية الجامعية وقنوات الاتصال والإعلام بشتى أدواته ووسائله. **"فما زال الباحثون الغربيون ينهلون من الكتابات الاستشراقية وما زالت بعض كتابا م تحتوي على التشوهات نفسها التي ظهرت حتى في كتابا م في القرون الوسطى الأوروبية. وقد أصبحت كتابات المستشرقين مصادر لكثيرٍ من الإعلاميين فانتقلت التشوهات والأخطاء والمفتريات الاستشراقية من ا ال الأكاديمي إلى ا ال الإعلامي فازدادت انتشاراً، وذلك لسيطرة وسائل الإعلام في مجال نشر الفكر والثقافة في العصر الحاضر.** ويؤخذ على الإعلاميين أ م يأخذون أبحاث المستشرقين الغربيين على أ ا مسلمات ثابتةٌ وليست أفكاراً قابلةً للخطأ والصواب، وقابلةً للتحيز والإنصاف"[٢]. ويدعم صحة هذا الكلام ما ذكره الباحث برايان تيرنر صاحب كتاب الإسلام والاستشراق **"إن الاستشراق ما زال يحتفظ بدعمٍ فكري ومؤسساتي؛ فالاستشراق يملك مقوماتٍ ذاتيةً تدعم وجوده"[٣]**. وعبارة تيرنر هذه واضحةٌ وصريحةٌ في الدلالة على استمرار الوجود الاستشراقي، ولكنها لم تكن

---

(1) مطبقاني [م. س]، ص ١.

(2) مطبقاني [م. س]، ص ٢، بتصرف.

(3) المرجع السابق نقلاً عن كتاب Islam and orientalism لمؤلفه الباحث Bryan S. Turner.

واضحةً ولا صريحةً في الدلالة (أو حتى الإشارة) على طبيعة أو أوصاف أو مسميات هذه المؤسسات التي تقدم الدعم الفكري (والمالي طبعاً) للاستشراق، والتي كان على رأسها الكنيسةُ الغربية وكل ما يتبع لها من جامعاتٍ كاثوليكية وكلياتٍ لاهوتيةٍ ومؤسساتٍ دينيةٍ وجمعياتٍ حملت مسمى "خيرية"!!.

المبحث الثاني

مسميات الاستشراق الديني الجديدة وقنواته الأكاديمية والإعلامية

تقدم القولُ في استمرارية الاستشراق وبقائه، كما تقدمت الإشارةُ إلى أنّ الاستشراق الديني اتخذ لنفسه ثياباً وقنواتٍ جديدةً يصل من خلالها إلى العقلية الغربية ليكرس مِن خلالها الصورة المؤلمة السابقة التي رسمها عن الإسلام والرسول الكريم ﷺ. وقد تطلب الواقع المعاصر وجود هذه القنوات الجديدة بعد أن ضعف سلطانُ الكنيسة في النفوس، وبعد أن تحرر الغرب من مركزيتها وسلطتها واتخذ العلمانية درباً وحيداً للنهضة والتقّدم. وهذه القنوات كثيرةٌ متعددةٌ أبرزها قناتان؛ أولاهما القناة الأكاديمية الجامعية وثانيهما قناة وسائل الاتصال والإعلام.

أما عن القناة الأكاديمية الجامعية فقد توضحت معالمها في المجمع الكنسي المنعقد بين عامي ١٣١١ و١٣١٢ للميلاد والذي نص قانونه رقم (١١) على تدريس اللغات الشرقية في أكبر خمس جامعاتٍ أوروبيةٍ آنذاك، كما نص على تخصيص مدرسين كاثوليكيين لكل واحدةٍ من هذه الجامعات الكبرى ليقوما بتدريس اللغة العربية[١]. ونشير هنا إلى أنّ الكنيسة الغربية حرصت تمام الحرص على وجود بعض المستشرقين، أو على الأقل حملةِ الفكر الاستشراقي الديني كمدرسين في كبريات الجامعات في القارتين الأوروبية والأمريكية الشمالية. كما حرصت على بقاء روابط وعلاقاتٍ طيبةٍ تربطها بهؤلاء، حتى ولو كانوا يهوداً أو مسيحيين غير كاثوليك. كيف لا، وقد كانت معاداتهم للإسلام ومحاربتهم لرسوله والتحريض عليه أكبر الروابط التي تجمع بينها وبينهم؟؟ ومن الأمثلة المشهورة لهؤلاء في القرن الماضي والحاضر برنارد لويس، وصموئيل هنتنغتون ودانيال بايبس؛ فمنهم من كان يعمل مدرساً في الجامعة ومنهم من يمتلك بعض مراكز الدراسات ومعاهد البحث والكليات العليا، ومنهم من يعمل في الإعلام الجامعي والأكاديمي[٢].

ولقد وقع الاختيار على الترجمة لهؤلاء ودراسة أبرز أعمالهم ـ كما سيأتي ـ وذلك نظراً للخدمات الجليلة التي قدموها للكنسية الغربية، وكان من أدنى هذه الخدمات أن حملوا بكل حرفيةٍ وأمانةٍ، ما خطّه رهبانها المستشرقون من تراثٍ مشوهٍ للإسلام، ورسوله الكريم ﷺ ونقلوا مضامينه لتلاميذهم في الجامعات، فكانوا بحقٍ ، منابر للتضليل

---

(1) سبق ذكر تفاصيله في الفصل السابق.

(2) سيأتي تفصيل القول في كلٍّ منهم في مباحث لاحقة.

ونشر الأباطيل. لقد حمل الكثيرون من الأكاديميين الغربيين على الإسلام ورسوله الكريم، وحاربوا قيمه وتشريعاته وعقيدته، ولكنهم لم يبلغوا الحد الذي بلغه هؤلاء الثلاثة، ولم ينالوا الشهرة التي نالها هؤلاء الثلاثة؛ ولعلّ شهر م هذه راجعةٌ إلى ما دونوه من كتاباتٍ وما قدموه من مساهماتٍ فكريةٍ في صناعة الكراهية بين ثقافة الإسلام والثقافات الغربية، وتركيزهم على أنّ صداماً حتمياً ووشيكاً لا بد أن يتم بين حضارة الإسلام وحضارة الغرب، وأنّ الإسلام، بعد ا يار الشيوعية، هو الخصم الألد والأوحد للغرب، وهو الخطر الأكبر الذي يهدد منظومة القيم الغربية ودينها المسيحي. وفوق كل ما سبق، فقد ساهم هؤلاء في صناعة ظاهرة الخوف من الإسلام في الغرب (الإسلام فوبيا) كما ساهموا في خلق ظاهرة الاستشراق الإعلامي المعاصر والاستشراق المعولم، الذي حمل رسالة الكنيسة قديماً وحديثاً في حجب المعلومة الصحيحة عن الإسلام ورسول الله ﷺ.

وبالعودة للحديث عن القنوات الجديدة التي سلكتها الكنيسة الغربية لنشر الاستشراق فقد كانت قناة وسائل الاتصال والإعلام ثاني أبرز هذه القنوات. ولوسائل الاتصال والإعلام دور هام وخطير في حياة الإنسان. وهي خير وسيلةٍ يستعملها من يريد أن يجمل أو يشوه صورة دينٍ أو حضارةٍ أو ثقافةٍ أو شخصٍ ونقصد هنا شخصاً بمكانة الأنبياء أو الرسل أو من دو م من الزعماء أو القادة أو دعاة الإصلاح ...

لقد ركزت الكنيسةُ الغربية اهتمامها على وسائل الإعلام، واتخذت منها وسيلةً لنشر معتقدا ا وثقافتها وبثّ الصورة المشوهة المرعبة للإسلام التي رسمها رهبا ا المستشرقون عبر العصور، إدراكاً منها لأهمية وخطورة هذه الوسائل الإعلامية في تكوين صورةٍ سلبيةٍ عن الإسلام والمسلمين، وأخرى إيجابيةٍ عن المسيحية وأتباعها في العالم كله.

ولوسائل الإعلام أهميةٌ كبرى في تكوين الصور الذهنية تتوضح في نقاطٍ كثيرةٍ من أبرزها ما يلي[1]:

أولاً: إن نطاق تجربة معظم الناس محدود بطبيعته، ولذلك فإن الإنسان يستقي معلوماته مما تنشره وتذيعه وتعرضه وسائل الإعلام واسعةُ الانتشار. واتضح أن (٧٠%) من الصور التي يبنيها الفرد لعالمه مستمدةٌ من وسائل الإعلام المختلفة. وتختلف هذه النسبة باختلاف تقَدمِ الدول تكنولوجياً، فإن ما يقرب من (٩٥%) من الأمريكيين مثلاً يحصلون على معلوما م من وسائل الاعلام.

(١) الزعبي، سلافة فاروق، صورة العرب في الإعلام الأمريكي، ص ٥٤، ٥٥، بتصرف، ط١، ٢٠٠٦، دار ورد للنشر والتوزيع، الأردن.

ثانياً: الانتشار الواسع لوسائل الإعلام، وامتداده الأفقي والعمودي، فهي تحاصر الإنسان في كلّ مكانٍ، وبسبب هذا الانتشار الكبير لا يمكن للفرد الهرب من رسائلها.

ثالثاً: قدرة وسائل الإعلام على تفسير الأحداث والحقائق التي تجري في العالم يومياً، وبلورتها في صورةٍ معينةٍ، وهذا ما يوفر على الفرد جهداً في التحليل والتفكير، فيلجأ إلى الاعتماد على هذه الوسائل في معرفته للعالم المحيط به. لا سيما ما يخص أولئك الذين ليس لديهم المقدرة على اختبارٍ تحليليّ واضحٍ لكل الأمور.

نعم، لقد أدركت الكنيسةُ الغربيةُ هذا الكلام مبكّراً وأسست العديد من الوسائط الإعلامية وشبكات البث المتلفز والإذاعي والإلكتروني، وهذا أمر يجب على المسلمين اليوم عدم تجاهله؛ حيث يعتمد على المعرفة بأحوال الناس وثقافاتهم ودينهم في البلدان المختلفة على الصورة الإعلامية.

وما من شكٍّ في أنّ "المستشرقين الإعلاميين" أو الأكاديميين الجامعيين الذين سبقت الإشارة إليهم قد لعبوا،ومن خلال استغلالهم لوسائل الإعلام، دوراً كبيراً في تنميط صورة المسلمين في الذهنية الغربية، وهو الأمر الذي أدى فيما بعد إلى تشكيل رأي عامٍ ضاغطٍ في الغرب يتخِذُ مواقف معاديةً للمسلمين في كل الأحداث والمناسبات. ولمزيدٍ من التفصيل في الحديث عن إدراك الكنيسة الغربية المبكّر لأهمية دور الإعلام الواسع نقول: إنّ اهتمام الكنيسة بوسائل الإعلام "بدأ منذ سنة ١٧٦٦م بنصٍّ للبابا كليمونص الثالث عشر حول طباعة الكتب ودورِ الكنيسة في التوعية. وفي سنة ١٨٤٩م صدر للبابا بيوس التاسع وثيقة Nostis et Nobiscum. وتتالت الوثائق حتى سنة ١٨٨٢م مروراً بسنة ١٩١٨م حتى كان إصدار رسالة البابا بيوس الحادي عشر Vigilanti Cura سنة ١٩٣٦م إلى أساقفة نيويورك، وتبلور هذا الاهتمام في منتصف الستينات"[1]. وقد عبر البيانُ Inter Mirifica، الصادر عن المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني عام ١٩٦٣، عن أهمية ما أسماه "وسائل الإعلام الاجتماعي"، أي الصحافة والسينما والراديو والتلفاز وما شابهها، فاعتبرها من "الاكتشافات ... التي استلتها عبقرية الإنسان ... بعضدٍ من الله، ومن الوسائل التي تؤدي للجنس البشري خدمات جلّى، ... وتسهم في الترويح عن النفس وتثقيفها، وفي امتداد ملكوت الله وترسيخه"[2]. وألزم البيانُ المجمعي السلطات العامة بواجب الدفاع عن الحرية الإعلامية الحقيقية والصحيحة

[1] خضره، طوني، الكنيسة والإعلام، أي علاقةٍ، أي دور؟ دراسة مطولةٌ منشورة في الموقع الإلكتروني للإتحاد الكاثوليكي العالمي للصحافة www.ucipliban.org.

[2] المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، البيان المجمعي Inter Mirifica العدد (١).

وحمايتها، "وأمر بأعداد كهنةٍ ورهبان وعلمانيين لاكتساب مهارةٍ حقيقيةٍ في استعمال هذه الوسائل لغاياتٍ رسوليةٍ، وبنشر المعاهد والمؤسسات لتنشئة الصحافيين وصانعي الأفلام ومعدي البرامج الإذاعية المتلفزة تنشئةً مناسبةً مشبعةً بالروح المسيحية، وبتأسيس مراكز وطنية كاثوليكية لوسائل الإعلام الاجتماعي وأخيراً أوصى ا مع جميع أبرشيات العالم بتكريس يومٍ سنويّ عالمي لدعم الإعلام الاجتماعي"(1).

"وعلى الصعيد التنظيمي، أعلن البابا بيوس الثاني عشر، قُبيلَ ا مع الفاتيكاني الثاني، إنشاء لجنةٍ بابويةٍ خاصةٍ بالسينما والراديو والتلفزيون، ثم ثَبتها البابا يوحنا الثالث والعشرون عام ١٩٥٩م كلجنةٍ دائمةٍ، وحولّها البابا بولس السادس عام ١٩٦٤م إلى لجنةٍ حبريةٍ للإعلام الإجتماعي، مضيفاً إلى دائرة صلاحيا ا الإعلام المكتوب، وأخيراً رفعها البابا بولس الثاني إلى مصاف مجلسٍ حبريّ للإعلام الاجتماعي عام ١٩٨٩"(2). ومنذ العام ١٩٦٧م درج البابوات على إصدار رسائل حبريةٍ سنويةٍ في مناسبة اليوم العالمي للإعلام الاجتماعي. والجدير بالذكر هو "أن الكنيسة قدأعلنت القديسة كلارا، عذراء أسيزي، شفيعةً لأهل الإعلام التلفزيوني، والقديس فرنسيس الساليزياني شفيعاً لأهل الصحافة، والملاك جبرائيل شفيعاً لأهل الإعلام الإذاعي"(3).

وأصدرت الكنيسة سلسلةً من الوثائق التوجيهية في كيفية التعامل مع وسائل الإعلام الاجتماعي، أولها وأهمها وثيقة التعليمات الراعوية "اتحاد وتقدم"، التي صدرت عام ١٩٧١م استجابةً لتفويضٍ خاصٍّ من ا مع الفاتيكاني الثاني" ومن أهم ما جاء في الوثيقة **أن الكنيسةَ تعد وسائل الإعلام الاجتماعي عطايا من الله. وقد أهابت بكل مسيحيةٍ ومسيحي ألاّ يحسب نفسه وفياً لوصية المسيح إنْ هو أهملَ الاستعانة ذه الوسائل لإيصال العقيدة والتعاليم الإنجيلية إلى أكبر عددٍ ممكن من الناس،** مشددةً على أن جودة البرامج الدينية وإتقا ا يجب أن يعادلا مثيليهما في البرامج الزمنية"(4). وأصدر ا لس الحبري للإعلام الإجتماعي وثائق عديدةً في أخلاقيات وسائل الإعلام، وآداب الإعلان، وأخلاقيات الإنترنت.

---

(1) المرجع السابق نفسه الأعداد ١٥، ٢١، ١٨.

(2) الإرادة الرسولية Infructibus multis، للبابا بولس السادس، بتاريخ ١٩٦٤/٤/٢، راجع موقع الفاتيكان الرسمي.

(3) الدستور الرسولي، Pastor Bonus، للبابا يوحنا بولس الثاني بتاريخ ١٩٨٨/٦/٢٨.

(4) وثيقة التعليمات الراعوية اتحاد وتقدم بتاريخ ١٩٧١/٥/٢٣م، المنشورة بتفويض خاص من البيان ا معي Inter mirifica عدد ٢٣ موقع الفاتيكان الرسمي.

ومن المفيد ذكره هنا أنّ البابا يوحنا بولس السادس قد لاحظ أنّ الكنيسة "تشعر بالذنب أمام سيدها إذا هي لم تستعمل هذه الوسائل [الإعلامية] الفعالة"[1]. وأكد على أن الكنيسة مدعوةٌ لاستعمال وسائل الإعلام، لا لنشر البشارة فحسب، بل لإدخال رسالة الخلاص في "الثقافة الحديثة" التي تخلقها وتوسعها وسائل الاتصال القوية، وأكّد على أنّ الكنيسة تقر بأنّ استعمال تقنيات الاتصال المعاصرة هي جزءٌ لا يتجزأ من رسالتها المميزة في الألفية الثالثة، وأشار إلى أنّ الجماعة المسيحية، وقد نبهها هذا الوعي، قامت بخطواتٍ مرموقةٍ في سبيل استعمال وسائل الاتصال في حقل الإعلام الديني والتبشير والكرازة.

تجد الكنيسة في **وسائل الاتصال عوناً قوياً لها لنشر الإنجيل والقيم الدينية المسيحية ولتوسيع وسائل التبشير (التنصير) وهي تعتقد أنّ** في **ذلك استجابةً لوصية المسيح "اذهبوا إلى العالم أجمع، واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها"[٢].**

ومن الممكن تلخيص جل اهتمامات الكنيسة الغربية بالإعلام واستخلاصها من رسالة البابا يوحنا بولس الثاني بمناسبة اليوم العالمي لوسائل الإعلام للعام ٢٠٠٥م، وقد حملت هذه الرسالة عنوان "لاتخافوا من وسائل الإعلام"، وكان أبرز ما فيها ما يلي[٣]:

١. إنّ تحدياتِ التبشير الجديد كبيرةٌ في عالمٍ كعالمنا، غنيٍّ بوسائل الإعلام. وقد قلت [البابا يوحنا بولس الثاني] مشيراً إلى ذلك في رسالتي "رسالة المخلص" **إن مكان التبشير** في **عالم اليوم هو عالم وسائل الإعلام الذي وحد العالم وجعل منه "قريةً كونيةً"**. وقد بلغت أهميةُ وسائل الإعلام حداً أصبحت فيه، بالنسبة للكثيرين الوسيلة الأساسية التي تلهمهم في تصرفا م الشخصية والعائلية والاجتماعية. وهذا أمر معقّد لأنّ ثقافةً جديدةً ولدت بفضل وجود وسائل اتصالٍ تستخدم تقنياتٍ ولغةً لم تكن معروفةً. عالمنا هو عالم الاتصال الكوني، عالم تمر فيه الكثير من لحظات حياتنا عبر وسائل الإعلام، أو على الأقل تواجه هذه الوسائل.

٢. **يحتاج عالم وسائل الإعلام إلى خلاص المسيح. وكي نحللَ بعيون الإيمان مسيرة وسائل الإعلام وقيمتها، لابد من الرجوع إلى نظرةٍ متعمقةٍ للكتاب المقدس، لأنه يشكلُ "الشيفرة"** في **إيصال رسالةٍ أساسيةٍ بسبب**

---

(1) راجع أعمال الكرسي الرسولي ٦٨ (١٩٧٦) ٣٥، إرشاد رسولي، واجب التبشير بالإنجيل المنشور بتاريخ ١٩٧٥/١٢/٨.

(2) إنجيل مرقص، ١٦: ١٥.

(3) انظر النص الكامل لهذه الرسالة المنشورة بتاريخ ٢٠٠٥/١/٢٤م، في موقع كنيسة القديسة تيريز www.terezia.org، قسم الملفات الوثائقية، المنـ ـشورات الفاتيكانية.

مضمو ا الخلاصي، لا رسالةً سطحيةً وعابرةً، فتاريخ الخلاص يسرد كيف اتصلَ الله بالبشر، اتصالاً استعمل في سبيله جميع الطرق المناسبة وقد خلق الإنسان على صورة الله ومثاله كي يستقبل الوحي الإلهي ويباشر مع الله حوار محبةٍ.

٣. **إن الإتصال عنصر جوهري** في **الكنيسة المدعوة** إلى **التبشير برسالة الخلاص لذا تعتبر الكنيسةُ أن وسائل الاتصال الحديثة نعمةٌ من الله** في **أيامنا، لتعميق الشراكة وجعل البشارة أكثر فعاليةً. فوسائل الإعلام تسمح بإظهار البعد الشامل لشعب الله، وتسمح بالاتصال المباشر والكثيف** بين **مختلف الكنائس المحلّية، كما أ ا تغذّي المعرفة المتبادلة.** لنشكر الله إذن على هذه الوسائل القوية التي، متى استعملها المؤمنون في نور الإيمان والطاعة لهداية الروح القدس، استطاعت أن تساهم مساهمةً كبيرةً في نشر الإنجيل، وأن توحد الكنائس فيما بينها بشكلٍ فعالٍ.

٤. **توجد** في **وسائل الاتصال الحديثة إمكانيةٌ كبيرةٌ جداً لنشر الإنجيل والقيم المسيحية وللحوار والتعاون المسكوني بين مختلف الكنائس**، ولبناء مجتمعٍ سليمٍ يحترم كرامة الشخص البشري وينتبه إلى الخير العام. وتستعمل الكنيسة هذه الوسائل بطيبة خاطرٍ لتنشر معلوماتٍ عن نفسها ولتوسيع وسائل التبشير والتربية الدينية، لا بل تعتبر أن استعمالها لهذه الوسائل هو طاعةٌ لأمر يسوع المسيح: "اذهبوا إلى العالم أجمع، واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها" (مرقص ١٦، ١٥).

٥. الأمر ليس سهلاً في عالم اليوم الذي غالباً ما يعتبر أن وقت الحقائق الثابتة ولى. فالإنسان اليوم ينبغي أن يتعلّم كيف يعيش في آفاقٍ تتميز بانعدام المعنى، وبطابع النسبية والتغير الدائم. من هنا يمكن أن يكون استعمال هذه الوسائل دف نشر الإنجيل أو إسكانه في قلوب البشر. وهذا أمر يشكلُ تحدياً كبيراً للمؤمنين، وبالخصوص للوالدين والعائلات والمسؤولين عن تربية الأطفال والشباب. لذا يجب تشجيع جميع من يشعر بميلٍ إلى العمل في مجال وسائل الاتصال الحديثة أن يتخصص فيه، ليصبح قادراً على الحوار والتعامل مع هذا العالم الواسع.

٦. إعطاء الأهمية لوسائل الإعلام أمر مطلوب ليس فقط من المتخصصين بل من الجماعة الكنسِية بأسرها. فإذا كان موضوع وسائل الإعلام يهم أكثر من مجالٍ من مجالات العمل الكنسي، فينبغي على المسيحيين أن يكونوا واعين لثقافة وسائل الإعلام التي يعيشون في وسطها.

٧. من الضروري أن نعطي لتبشيرنا بالمسيح طابعاً فعالاً يسمح بسماع البشارة وقبولها. وهنا تقع المسؤولية بنوعٍ خاصٍّ على الجمعيات الرهبانية التي تأسست لهذا الغرض والتي تحمل هذه الروح.

٨. الكنيسة قويةٌ برسالة الخلاص التي تسلمتها من المعلمِ الإلهي، وهي خبيرةٌ في البشرية. وتشعر أن واجبها يدعوها إلى تدلو دلوها في عالم المسؤوليات بخصوص تطور وسائل الإعلام الحديثة.

٩. **التفكير** في **دور "الرأي العام** في **الكنيسة" و"الكنيسة** في **الرأي العام" أمر** مثير **للاهتمام. التقى سلفي البابا بيوس الثاني عشر صحفيين فقال** لهم: **"لو** لم **يكن هناك رأي عام لنقص أمر ما للكنيسة". وقد تكرر هذا القول أكثر من مرةٍ.**

وبعد حديثه عن ضرورة مساهمة الكنيسة في الرأي العام، اختتم البابا المذكور رسالته بعباراتٍ توافق عنوا ا (لا تخافوا من وسائل الإعلام) فقال[1]:

لا تخافوا من التكنولوجيات الحديثة فهي جزء من العظائم التي وضعها الله في تصرفّنا لكي نكشف الحقيقة ونستعملها وننشرها وبخاصة حقيقة كرامتنا ومصيرنا كأبناء لله وورثة ملكوته الأبدي. لا تخافوا من معارضة العالم لكم! فالمسيح قد طمأننا: "قد غلبت العالم!" (يو ٣١/١٦). لا تخافوا أيضاً من ضعفكم وعدم مقدرتكم! فالمعلّم الإلهي قال: "أنا معكم كلّ الأيام حتى انتهاء الدهر" (متى ٢٠/٢٨).

---

(1) المرجع السابق نفسه، ص ٢٠.

المبحث الثالث

الكنيسة الغربية والانترنت

لم يفوت البابا الراحل يوحنا بولس الثاني في رسالته السالفة الذكر (لا تخافوا من وسائل الإعلام) ذكر وسيلةٍ هامةٍ وخطيرةٍ، إن لم تكن الأهم والأخطر، من وسائل الإعلام ألا وهي "الإنترنت"، فقال[١]: "منذ خمسة عشر عاماً، اقترحت ألا يترك موضوع التعامل مع وسائل الإعلام بين يدي أفرادٍ مستقلّين، بل طلبت أن يصبح جزءاً من التخطيط الرعوي. فالوسائل الحديثة مناسبةٌ لتقديم العمل الرعوي المتعدد الأشكال على أنه خدمةٌ. يكفي أن نفكر كيف يسمح "الانترنت" بتبادل المعلومات، وبسرعة الاتصال. وقد دخل الكثير من المؤمنين هذا ا ال وأخذوا يستعملونه في التبشير والتعليم والإدارة. ومع الانترنت يجب المحافظة أيضاً على وسائل الاتصال الأخرى مثل الجرائد وا لات والنشر والتلفزيون والراديو ... كلها وسائلُ إيجابيةٌ وفعالةٌ". وقد أصدر ا لس الحبري لوسائل الإعلام والاتصال الاجتماعية في الفاتكيان في عام ٢٠٠٢م نشرةً مطولةً حملت عنوان "الكنيسة والإنترنت" عبر فيها عن موقف الفاتيكان المشجع والداعم لاستخدام الإنترنت، **وتحدث عن كون الانترنت أصبح واقعاً ملموساً** في **بعض الأبرشيات ودور العبادة، وأنه سبب** في **اعتناق الكثيرين من أبناء الديانات الأخرى للمسيحية.** ويمكننا من خلال دراسة وتحليل هذه النشرة أن نحصر تصورات الفاتيكان لاستعمال الإنترنت في خدمة المسيحية فيما يلي[٢]:

١. إن وسائل الإعلام توفّر فوائد جمةً من الناحية الدينية بما تنقله من أنباء بشأن الأحداث والأفكار والشخصيات الدينية. إ ا محاور للبشارة والكرازة، تقدم كل يومٍ موضوع استلهامٍ وتشجيعٍ ومناسباتِ صلاةٍ للأشخاص المرغَمين على ملازمة أماكنهم.

٢. وإلى هذه الفوائد هناك فوائد أخرى لا تقل خاصيتها ارتباطاً بالإنترنت. فالإنترنت يقدم للأشخاص وسيلة اتصالٍ مباشرٍ وحيٍّ بمصادر دينيةٍ وروحيةٍ ذات شأن، منها المكتبات والمتاحف وأماكن العبادة ووثائق الكنيسة التعليمية وكتابات الآباء والحكمة الدينية في مختلف العصور.

---

(1) رسالة لا تخافوا من وسائل الإعلام [م. س].

(2) انظر النص الكامل لهذه النشرة المكونة من ٣٢ صفحة على موقع الفاتيكان، وهي منشورة بتاريخ ٢٠٠٢/٢/٢٢م في عيد كرسي مار بطرس الرسول وقد حملت توقيع رئيس ا لس الحبري المطران جون ب. فولي وأمين سر ا لس بيرفرانكو باستوري.

٣. يمتلك الانترنت قدرةً ميزةً على تجاوز المسافات والعزلة، وذلك بإتاحة الاتصال للأشخاص بآخرين من ذوي الإرادة الحسنة، ومن تحركهم المشاعر ذا ا، وينتمون إلى جماعاتٍ إيمانيةٍ افتراضيةٍ.

٤. **يتلاءم الانترنت وأعمالٍ وبرامج كنسيةٍ عديدةٍ، منها البشارة وإعادة البشارة، والبشارة الجديدة والعمل الرسالي التقليدي "إلى الأمم"، والكرازة وسواها من أنماط التربية والإعلام والدفاع عن العقيدة والإدارة وبعض أشكال التوجيه الراعوي والروحي.**

٥. هناك عدد لا يستهان به من الرعايا والأبرشيات والجمعيات الرهبانية والمؤسسات والمنظمات والبرامج الكنسية المتنوعة يقبِلُ اليوم على استعمال الإنترنت استعمالاً فاعلاً لهذه الغايات وغيرها.

٦. من الأهمية بمكانٍ أن يستعملَ الانترنت، على جميع مستويات الكنيسة، استعمالاً خلاقاً تلبيةً للمسؤوليات الخاصة، وانجازاً لعمل الكنيسة، فالتخلّف عن المواكبة، حياءً وخشيةً من التكنولوجيا أو لأسبابٍ أخرى، ليس بالأمر المقبول، نظراً للإمكانيات الإيجابية العديدة التي يعرضها الإنترنت. كما أن السبل التي تسهل الاتصال والحوار بين أعضاء الجماعة الواحدة من شأنه أن يعزز روابط الوحدة في ما بينهم. إن الوصول المباشر إلى الإعلام يتيح للكنيسة تعميق حوارها مع العالم المعاصر.

٧. يجب على المسؤولين الكنسيين والمنشطين الراعويين في جميع قطاعات الكنيسة أن يتعلّموا كيفية التعرف على وسائل الإعلام وتطبيق هذه المعرفة في خططٍ راعويةٍ إعلاميةٍ، وبرامج حسيةٍ في هذا ا ال، والاستعمال الملائم لهذه الوسائل الإعلامية. وعليهم هم أنفسهم، إذ دعت الضرورة، أن يتلقّوا التنشئة الخاصة بمادة الإعلام.

٨. تمتلك الكنيسة إمكانية إعلامِ العالم إعلاماً مباشراً حول معتقدا ا وشرح مواقفها وأسبا ا حول أي موضوعٍ أو حدثٍ. وبوسعها أن تسمع بصورةٍ أوضح صوت الرأي العام، وأن تخاطب العالم الذي يحيط ا مخاطبةً متواصلةً، وأن تخوض بصورةٍ أكثر مباشرةً في البحث المشترك، إيجاداً لحل العديد من معضلات البشرية الملحة.

٩. إنّ المسيح هو "الإعلامي الكامل"، أي القاعدة والمثال للمقارنة التي تقوم ا الكنيسة بشأن الإعلام، فضلاً عن المضمون الذي ينبغي على الكنيسة أن تبلغه للعالم.

لم تترك الكنيسة الغربيةُ الرسائل والمنشورات السابقة المتعلّقة بأهمية الانترنت لتكون مسائل نظريةً مجردةً أو لتظل حبراً على ورقٍ، بل أخذت بتنفيذها الفعلي على أرض الواقع؛ ومن ذلك أن الكرسي الرسوليّ[١] دعا إلى لقاءٍ في الفاتيكان يشترك فيه اثنان وثمانون أسقفاً وكاهناً لدراسة التحديات وفرص التبشير على شبكات التواصل على الإنترنت، وقد درس المشاركون في هذا المؤتمر، الذي انعقد في الثلث الثاني من شهر آذار لعام ٢٠٠٩م للميلاد، وجوب حضور الكنيسة الحي والمباشر على الإنترنت "وطُبق ذلك عملياً عبر حضور الكرسي الرسولي على الـ (Youtube)[2] بشكلٍ رسمي من خلال تدشين موقع (http://www.youtube.com/vatican)، كما تمّ خلال هذا المؤتمر تدارس احتمالية حضور الكنسية والبابا على الـ (Face book) [٣] وغيره من شبكات الاتصال الأخرى على الإنترنت[٤]. لقد أثارت هذه الخطوة التي قام ا الفاتيكان تساؤلاتٍ كثيرةً في الوسط الإعلامي مما حدا بأحد الصحيفيين ليسأل الكاردينال كلاوديو ماريا تشلّلي[5]: كيف يستطيع البابا أن يتنازل لكي يكونَ حاضراً في واقع مثل هذا، يضم كل أنواع الفيديو؟ فأجابه الكاردنيال تشللي بقوله: "إنّ المسيح تنازل آخذاً طبيعتنا البشرية، وأن البابا يجب أن يكون حيث يلتقي الناس"[٦].

ومن الواضح أنّ خطوة الفاتيكان هذه، والمتعلّقة بتدشين مواقع لها على الـ (Youtube) والـ (Facebook) إنما تأتي تطبيقاً لما عبر عنه البابا في رسالته السابقة والذي أطلق عليه مسمى (الثقافة الحديثة) أو (الثقافة الجديدة) والتي كان يقصِد ا الثقافة الإلكترونية. وفي إشارةٍ منها لنجاح فكرة موقع الفاتيكان الإلكتروني على

---

[1] الكرسي الرسولي أو الكرسي البابوي هو كيان سياسي قانوني معترف به دولياً يرأسه "أسقف روما" أو رأس الكنيسة الكاثوليكية، المعروف عموماً باسـم بابـا الفاتيكان. وتمثلُ الإدارة البابوية الرومانية الحكومية المركزية في الكرسي الرسولي وهي تمثلُ مجموعةً من الإدارات والهيئات الكنسية والتي يرأسها البابا. ويعتبر الكرسي الرسولي المتحدث باسم الكنيسة الكاثوليكية كما يخضع الكرسي الرسولي لكافة القوانين والاتفاقيات الدولية المعمول ا.

[2] Youtube أكبر موقع على شبكةٍ الإنترنت يسمح للمستخدمين برفع ومشاهدة ومشاركة مقاطع الفيديو بشكلٍ مجاني. خلال صيف ٢٠٠٦ كـان موقـع يوتيوب واحداً من أسرع المواقع تطوراً على شبكة الإنترنت وخلال سنةٍ واحدةٍ تقريباً كان ترتيبه العالمي في اليكسا (5)! وفي فترة (صيف ٢٠٠٦) كان الموقع يحصل على ١٠٠ مليون مشاهدة يومياً! وكان يضاف إليه ٦٥ ألف مقطع فيديو كل ٢٤ ساعة. وعدد زواره كان ٢٠ مليون زائر في الشهر، وحوالي ٧٠٠ ألـف زائـر يومياً.

[3] Facebook هو موقع اجتماعي أطلق في الرابع من شباط ٢٠٠٤. والموقع يتبع نفس شركة فيس بوك الخاصة وسمح هذا الموقع للمستخدمين بالإنـضمام إلى عدة شبكات فرعية من نفس الموقع تصب في فئةٍ معينةٍ مثل منطقةٍ جغرافيةٍ معينةٍ ـ مدرسة معينة وغيرهامن الأماكن التي تساعد على اكتشاف المزيد من الأشخاص الذين يتواجدون في نفس فئة الشبكة.

الاسم فيس بوك (Facebook) يشير إلى دفترٍ ورقي يحمل صوراً ومعلومات لأفراد في جامعةٍ معينةٍ أو مجموعةٍ ومن هنا جاءت تسمية الموقع. وتعتبر هذه الطريقة شائعة لتعريف الأشخاص خصوصاً في الجامعات الأجنبية ببعضهم حيث يتصفح المنتسبون في الجامعة هذه الدفاتر لمعرفة المزيد عن الطلبة المتواجدين في نفس الكليـة. الموقع يحوي ٦٤ مليون مشترك من أيلول ٢٠٠٦ إلى أيلول ٢٠٠٧، وارتفع ترتيب الموقع من حيث الحركة من الترتيب رقم ٦٠ إلى المركز السابع حـسب موقـع اليكسا، ويعتبر موقعاً كبيراً أيضاً في تحميل الصور الشخصية حيث يتم تحميل أكثر من ٤١ مليون صورة يومياً.

[4] انظر تفاصيل الخبر على موقع وكالة زينت الإعلامية التابعة للفاتيكان على موقعها الإلكتروني www.zenit.org بتاريخ ٢٠٠٩/٣/١١.

[5] هو رئيس الأساقفة ورئيس ا لس الحبري لوسائل الإعلام والاتصالات الاجتماعية.

[6] المرجع السابق نفسه.

أ‌ـ (Youtube) فقد "ذكرت إذاعةُ الفاتيكان الرسميةُ أنّ عدد الزيارات لهذه القناة والموقع قد بلغ ستمائة وثلاثين ألفاً بعد أربعة أيام فقط من افتتاحها، أي بمعدل ست آلاف وثلاثمائة زيارة في الساعة"[1].

وانطلاقاً من توجيهات البابا في الرسالة ذا ا نشطت الكنائس والأبرشيات والجمعيات والجماعات المسيحية في العالم كلّه في تأسيس مواقع إلكترونيةٍ دينيةٍ خاصةٍ ا على الإنترنت "حتى بلغ عدد هذه المواقع المسيحية (٢٩٥٠٦) مواقع في الإحصائية أُجريت عام ٢٠٠٤م"[2]. لقد تنوعت هذه المواقع الإلكترونية في مسميات كنائسها فمنها الآرثوذكسية ومنها الكاثوليكية منها القبطية ومنها المارونية وما إلى ذلك من مسميات الطوائف المسيحية وكنائسها. ودون أية مبالغةٍ نقول: لقد رصدت هذه الدراسة وتتبعت عشرين من هذه المواقع الالكترونية على مدار ثمانية أشهرٍ فقط ابتدأت من شهر شباط وانتهت في شهر تشرين الأول من عام ٢٠٠٩م، وقفنا من خلالها على مئات الإساءات التي حملتها هذه المواقع تجاه الإسلام والرسول الكريم ﷺ.[3]

لا نقول إنّ الكنيسة الغربية هي التي أمرت القائمين على هذه المواقع وأوحت إليهم بمحاربة الإسلام وتشويه صورة محمد ﷺ لا، ولكننا نقول إنّ العاملين في هذه المواقع الإلكترونية والمشاركين فيها والداعمين لها، إنما أقدموا على هذه الأعمال القبيحة والإساءات المُستهجنة بحق الإسلام والمسلمين والحبيب المصطفى (ﷺ) اعتقاداً منهم بأنّ ذلك يساهم في خدمة المسيحية والذّود عن عقائدها وحمايتها من "خطر الإسلام" بوصفه الخصم والعدو الذي كان

---

[1] موقع إذاعة الفاتيكان www.radiovatican.org بتاريخ ٢٠٠٩/١/٢٨

[2] ماير، جان فرانسوا، الإنترنت والدين، ط١، ٢٠٠٨، دار أنفوليو للنشر، سويسرا. عرض الحسن السرات على موقع www.aljazeera.net.

[3] ومن هذه المواقع على سبيل المثال وليس الحصر:

١. موقع مجلة صوت الكرازة بالإنجيل www.vopg.org
٢. موقع الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل arabicbible.com.
٣. موقع كلام الحق في الرد على الإسلام www.geocities.com.
٤. موقع الحقيقة لصاحبه (المزعوم) الشيخ أحمد www.shikh-ahmad.com.
٥. موقع زلزال مكّة لفضح العقيدة الإسلامية.
٦. موقع الكلمة www.alkalema.net.
٧. موقع www.thequran.com.
٨. موقع www.answersaboutfaithcom.
٩. موقع www.islamexplained.com .
١٠. موقع www.islam-christianity.net.
١١. موقع www.muhammadanism.org.
١٢. موقع www.answering-islam.org.
١٣. موقع www.house-of-god.org.
١٤. موقع www.public.netc/search-thescripturesarabic.com .
١٥. موقع www.Light-of-Life.com وهو من أخطر هذه المواقع المسيئة.

ولا زال يتهدد المسيحية وينافسها في ريادة العالم. ولعلّ هذه الأسباب والتصورات الخاطئة عن الإسلام التي يحملها هؤلاء هي عينها الأسباب التي أدت إلى انطلاق الاستشراق الديني ومن قبله الحروب الصليبية. كل ذلك يجري تحت مرأى ومسمع الكنيسة الغربية، التي نراها لا تحرك ساكناً للجم هؤلاء أو إسكا م أو حتى لتوجيههم إلى أخلاقيات التعامل مع الآخر (المسلم)!! ولا عجب فقد كانت هي، ومنذ نعومة أظفار الإسلام، السباقة إلى ذلك.

وحتى لا يكون الكلام ا امات مجردةً عن الدليل فإننا نرى من الضروري أن نسوق بعض الأمثلة على إساءات هذه المواقع الإلكترونية الدينية إلى الإسلام.

الإساءة الأولى: وقد كانت هذه الإساءة قاسماً مشتركاً موجوداً في كلّ المواقع الإلكترونية التي رصدتها هذه الدراسة. وهذه الإساءة حملت عنوان (من الأعظم محمد أم المسيح؟) أو (أيهما أعظم المسيح أم محمد؟)، وهي في ظاهرها قد تبدو مقارنةً مقبولةً في طرحها، بريئةً في هدفها ولكنها في واقع الحال ليست كذلك. وسنقتصر في عرضنا هذا على أبرز النقاط الواردة فيها، مع إيرادنا لردودٍ إجماليةٍ عليها، مع تذكيرنا للقارئ الكريم بأنّ هذه المقارنات كلّها سترد عليها ردود تفصيليةٌ شافيةٌ في الفصل الأخير من هذه الدراسة، ومن أبرز هذه الإساءات ما يلي:

١. المسيح هو الحياة وأتباعه أيضاً سيحيون "أنا هو القيامة والحياة من آمن بي ولو مات فسيحيا" (يوحنا ١١: ٢٥) وقال أيضاً لأتباعه "إني أنا حي فأنتم ستحيون" (يوحنا ١٤: ١٩) **أما محمد فهو ميت وأتباعه ميتون "إنك ميت وإنهم ميتون"** (سورة الزمر ٣٩: ٣٠).

ـ يعتقد المسيحيون ذا لأنهم لا يعترفون ببشرية المسيح فهو في نظرهم رب وإله، وهم في الوقت نفسه يعتقدون بموته على الصليب وبأنّ ذلك كان لتكفير خطايا البشر!! أما عن رسول الله ﷺ فهو لم يدعِ الخلود لأحدٍ في هذه الحياة الدنيا التي سيفنى كل من فيها على نحو ما ذكر القرآن الكريم، ولكن الخلود إنما هو في الحياة الآخرة فلا موت لأهل الجنة ولا موت لأهل النار.

٢. المسيح منع أتباعه من استعمال السيف "رد سيفك إلى مكانه كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون" (متى ٢٦: ٥٢) **بينما محمد حث أتباعه على استعمال السيف** "يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال" (سورة الأنفال ٨: ٦٥).

ـ إن لم يسمح المسيح، عليه السلام، لتلاميذه وأتباعه باستعمال السيف فلماذا إذاً سمح لهم بحمله؟؟ وهذا الكلام ليس من عندنا، فذكر السياق كاملاً هو الذي يثبت صحة ذلك؛ حيث أنّ الكهنة اليهود لمّا جاؤوا للقبض على المسيح، عليه السلام، وأمسكوه "وإذا واحد من الذين مع يسوع مد يده واستل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه"[1]. أما عن استعمال أتباع محمدٍ ﷺ للسيف فما كان يوماً إلا للدفاع عن الحق ولرد الظلم والعدوان، وهو ما سيأتي تفصيل القول فيه في الفصل الأخير من هذه الدراسة بعونه تعالى.

٣. المسيح نادى بالغفران "سمعتم أنه قيلَ عين بعينٍ وسن بسنٍّ، وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فَحول له الآخر أيضاً". (متى ٥: ٣٨ – ٣٩) بينما **محمد نادى بالانتقام** "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم" (سورة البقرة ٢: ١٩٤).

ـ ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قطّ. والآية الكريمة المذكورة إنما تقرر مبدأ القصاص الذي يقوم على معاقبة الجاني والمعتدي بمثل ما فعل، وهذه قمة العدل والانصاف في ردع الجُناة والمعتدين على الناس. ولا ينس النصارى قبل ذلك أنّ العهد القديم قد كان السباق في إقرار مبدأ القصاص، والدليل على ذلك هو "وإن حصلت أذيةٌ تعطي نفساً بنفْسس وعيناً بعينٍ وسِناً ـبِسِنّ ويداً بيدٍ ورجلاً برِجلٍ وكيّاً بكيٍّ وجرحاً بجرحٍ ورضاً برضٍّ"[2].

٤. المسيح كان بلا خطيّةٍ "لم يفعل خطيةً ولا وجد في فمه مكر" (١ بطرس ٢: ٢٢) "من منكم يبكّتني على خطية: (يوحنا ٨: ٤٦) "وتعلمون أن ذاك أظهر لكي يرفع خطايانا وليس فيه خطية" (رسالة يوحنا الرسول الأولى ٣: ٥) ـ وكذلك فإنّ القرآن لم يذكر أي خطيةٍ لعيسى ـ **بينما محمد كان خاطئاً** "واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات" (سورة محمد ٤٧: ١٩).

ـ لقد أجرى النصارى هذه الآية الكريمة على ظاهرها وفهموها فهماً خاطئاً. والمعنى الظاهر هنا يعارض عصمةَ الله تعالى لأنبيائه ورسله عن الوقوع في المعاصي والآثام والذنوب. إذ لا يصلُح مذنب وآثمٌ وعاصٍ لأن يكون قدوةً للناس يأخذ بيدهم إلى الخير والفلاح ويقودهم لتطبيق تعاليم شرع الله تعالى "فذنب الرسول ﷺ ليس ذنباً حقيقياً، قائماً على فعل المعصية، وإنما هو ذنب معنوي يقوم على نوعٍ من تركِ الأولى، والسهو والغفلة والنسيان، الذي لا يؤدي إلى ترك واجبٍ أو فعل محرمٍ. وقد يفعل الرسول ﷺ خلاف الأولى، فيعاتبه الله، وقد يمر بحالةٍ من

---

[1] متى: ٢٦: ٥١

[2] الخروج: ٢١: ٢٣ – ٢٥.

السهو اليسير أو الغفلة البسيطة، فيتداركه الله، وهذا نوع من التقصير، يستدعي أن يستغفر اللهَ منه، ليبقى ﷺ في كامل تألقه وارتقائه. وقديماً قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين. إن استغفار الرسول ﷺ وتوبته نوع من أنواع ذكره الله، وعلى هذا قوله ﷺ: "إنه ليغانُ على قلبي فأتوب إلى الله واستغفره في اليوم مئة مرة" فاستغفاره لله صورةٌ من صور ذكره وشكره له"[1].

وعلى ذلك يكون الأمر بالاستغفار أن يستغفر النبي ﷺ من الأمور التي اجتهد فيها، من غير وحيٍ إليه فيها، فترك الأولى (الأحسن) وأخذ بالحَسنِ.

٥. كلام السيد المسيح لم يتبدلْ "السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول" (متى ٢٤: ٣٥) **بينما كلام القرآن ومحمدٍ قد تبدل** "وإذا بدلنا آيةً مكان آيةٍ والله أعلم بما ينزل" (سورة النحل ١٦: ١٠١).

ـ لقد تبدل قول المسيح، عليه السلام، وزال في الإنجيل والدليل على ذلك ما يلي: "أجاب يسوع: وإنْ كُنت أشهد لِنفْسِي فَشهادتي حق"[2]. فقد تبدل قوله هذا إلى ما يلي: "إنْ كُنت أشهد لِنفْسِي فَشهادتي لَيست حقّاً"[3]. أما عن قوله تعالى " بدلنا آيةً مكان آيةٍ" ففيه اقرار لمبدأ الناسخ والمنسوخ و"إن نسخ الله تعالى لحُكمٍ من أحكامه، أساسه حِكمةٌ ظاهرةٌ، ومعلومةٌ لله تعالى، ويستحيلُ أن تخفَى عليه. وغايةُ الأمر أنّ الله تعالى عندما ينسخ حكماً بحكْمٍ آخر، فإنّ الحُكم الناسخ يأتي بحكمةٍ غير الحِكمة التي أتى بها الحكم الأولُ المنسوخ. وعلى اعتبار أنّ هناك مصلحةً جديدةً للعباد اقتضتها عمليةُ النسخ، وجاء بها الحكم الناسخ. فمصالحُ العباد تتجدد بتجددِ الأزمان، وتختلف باختلاف الأشخاص، والأحوال. ولذا فإنّ النسخ يعني أن هناك مصلحةً جديدةً فيأتي الله بحكمٍ جديدٍ يتضمنها، وينسخ به الحكم السابق الذي يتضمن المصلحةَ السابقة. والله تعالى أحاطَ بكُل شيءٍ علماً، فلا يستلزم النسخ إذن الجهلَ، أو العبثَ على الله تعالى"[4]. ونشير هنا إلى أنّ النسخ لا يكون إلاّ في الأحكام، أما العقائد فلأنها حقائق صحيحةٌ لا تقبلُ التغيير والتبديلَ فبدهي ألاّ يتعلق بها نسخ.

[1] الخالدي، صلاح عبد الفتاح، القرآن ونقض مطاعن الرهبان، ص ٦٩٠، ط ١، ٢٠٠٧، دار القلم، دمشق.
[2] يوحنا: ٨: ١٤
[3] يوحنا: ٥: ٣١.
[4] عناية، غازي، هدى الفرقان في علوم القرآن، ج٢، ص ١٨٧، ط١، ١٩٩٦، عالم الكتب للنشر والتوزيع، بيروت.

٦. المسيح طرد الشيطان بعيداً "قال له يسوع اذهب يا شيطان" (متى ٤: ١٠) بينما **محمد كان يجالِس الجن** "وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قُضي ولوا إلى قومهم منذرين" (سورة الأحقاف ٤٦: ٢٩).

ـ إن كان المسيح، عليه السلام، قد طرد الشيطان وقال له إذهب يا شيطان، فإنّ رسول الله ﷺ كاد أن يخنق الشيطان حتى وجد برد لعابه بين أصابعه الشريفة ﷺ. فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله ﷺ قام فصلّى صلاة الصبح وهو خلفه، فقرأ فالتبست عليه القراءةُ فلما فرغ من صلاته قال: "لو رأيتموني وإبليس فأهويت بيدي فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لُعابه بين أصبعي هاتين الإ ام والتي تليها ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيانُ المدينة فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القِبلة أحد فليفعل"[1].

أما عن مجالسة رسول الله ﷺ للجن فقد كانت امتثالاً لأمر الله تعالى، لأنّ رسالة الإسلام جاءت عالميةً وعامةً للإنس والجن على السواء. وهنا نذكر النصارى بأنّ أنجيلهم يذكر أنّ المسيح، عليه السلام، كان قد أخرج الشياطين من رجلٍ فدخلت في قطيعٍ من الخنازير. وليرجع من شاءَ إلى القصة كاملةً في إنجيل مرقص في الإصحاح الخامس في الآيات ١ – ١١.

٧. الشيطان لم يكن له سلطانٌ على يسوع "رئيس هذا العالم (الشيطان) يأتي وليس لِهِ في شيءٌ" (يوحنا ١٤: ٣٠) **بينما الشيطان كان له سلطانٌ على محمد** "وإما ي غنك من الشيطان نزغٌ فاستعذ بالله إنه سميع عليم" (سورة الأعراف ٧: ٢٠٠).

ـ يقرر القرآن الكريم أنّ الشيطان ليس له سلطان على المؤمنين، قال تعالى: " إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ "[2] فكيف يكون له سلطان على سيد الخلق ﷺ؟ وأما المقصود ب غ الشيطان في الآية السابقة فهو الغضب. وعلى هذا يكون

[1] انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، الحديث رقم ١١٣٥٤، وسلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني، الحديث رقم ٣٢٥١.
[2] سورة النحل: الآيتان ٩٩، ١٠٠.

معنى الآية وإما يغضبنك من الشيطان غضب يصدك عن الإعراض عن الجاهل ويحملك على مجازاته فاستجر بالله من نزغه، إنه سميع لجهل الجاهل عليك.

٨. المسيح شفى الأعمى "كان أعمى جالساً على الطريق يستعطي ... فأخبروه أن يسوع الناصري مجتاز، فصرخ قائلاً يا يسوع ابن داود ارحمني ... فوقف يسوع وأمر أن يقدم إليه ولما اقترب سأله قائلاً: ماذا تريد أن أفعل بك؟ فقال يا سيد أنْ أُبصِر. فقال له يسوع: أبصِر. إيمانك قد شفاك. وفي الحال أبصر وتبعه وهو يمجد الله. وجميع الشعب إذ رأوا سبحوا الله" (لوقا ١٨: ٣٥ – ٤٣) **بينما محمد حول وجهه عن الأعمى** "عبس وتولى أن جاءه الأعمى. وما يدريك لعله يزكّى أو يذكّر فتنفعه الذكرى، أما من استغنى. فأنت له تصدى. وما عليك ألا يزكّى. وأما من جاءك يسعى. وهو يخشى. فأنت عنه تلهى" (سورة عبس ٨٠: ١ – ١٠).

ـ حاشا لرسول الله ﷺ وهو الذي بعثه الله تعالى لتتميم مكارم الأخلاق، أن يشيح بوجهه عن صاحبه وحبيبه عبد الله بن أم مكتوم، فما كان بينهما من محبةٍ وأخوةٍ أكبر من أن يفهمه هؤلاء الطاعنون في الإسلام. ولكن الذي حدث وكما هو واضح من خلال الجمع بين الروايات التي ذكرت سبب نزول الآية الكريمة السابقة أنّ النبي ﷺ كان عنده بعض صناديد قريش، وكان النبي ﷺ حريصاً على هدايتهم، فبينما هو يدعوهم إلى الله، لأ م لو أسلموا لأسلم بإسلامهم خلق كثير؛ فإذا بعبد الله بن أم مكتوم يأتي إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: "أقرئني وعلّمني مما علّمك الله تعالى". وكرر ذلك وهو لا يعلم بانشغال النبي ﷺ بالقوم، فكره رسول الله ﷺ قطعه لكلامه، وأعرض عنه عابساً، مع العلم أنّ عبد الله بن أم مكتوم كان أعمى ولم ير عبوس النبي ﷺ. ف لت الآيات: "عبسى وتولّى ..." وعليه فليس في القصة ما يفيد احتقاره ﷺ للأعمى، فإنه لمُ يعرض عن ابن أم مكتوم قاصداً احتقاره وإنما فعل ذلك حرصاً منه على أن يتفرغَ لما هو فيه من دعوة أولئك الصناديد الذين يقفون ضد دعوته.

و ذه المناسبة لا يفوتنا أن نذكر النصارى بأنّ انجيلهم المقدس ينسب إلى المسيح، عليه السلام، أنه احتقر المرأة الكنعانية التي جاءت تطلب إليه شفاء ابنتها، واخبرها أنها من الكلاب!! وللتأكد من ذلك فليرجع من شاء إلى إنجيل متى في إصحاحه الخامس عشر في الآيات ٢١ – ٢٨.

٩. المسيح نادي بشريعة الزوجة الواحدة "من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً .... فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان" (مت ١٩: ٥ و٦) بينما **محمد نادى بتعدد الزوجات** "وإن خفتم

ألاّ تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع. فإن خفتم ألاّ تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم" (سورة النساء ٤: ٣).

ـ لتعددِ الزوجات حِكَم وفوائد يدركها كل عاقلٍ ذي فهمٍ سليمٍ مستقيمٍ. كما أنّ للتعدد في الوقت ذاته شروطاً إذا لم تتوفر لدى الراغب في التعدد فإنه لا يجوز له الإقدام عليه. وسيأتي تفصيل القول في تعدد زوجات الرسول ﷺ في الفصل الأخير من هذه الدراسة. ثمّ إنّ الآية التي استشهدوا ا من إنجيل متى إنما تدلّ على عدم جواز الطلاق في المسيحية ولا تدلّ على عدم جواز تعدد الزوجات.

١٠. جاء المسيح حتى يخلص الناس "لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناسِ بل ليخلص" (لوقا ٩: ٥٦) **بينما محمد دعا لقتل الناس** "قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قومٍ أولي بأسٍ شديدٍ تقاتلو م أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً وإن تتولوا كما تولّيتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً" (سورة الفتح ٤٨: ١٦).

ـ بعث الله محمداً رحمةً للعالمين، وليخرج الناس من الظلمات إلى النور من جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة. والمقصود بـ (يسلمون) في الآية السابقة يستسلمون وينقادون، لأنّ الروم نصارى والفرس مجوس يقبلُ منهم إعطاء الجزية. وقيل: هم بنو حنيفة قوم مسيلمة وأهل الردة، فالمرتدون لا يقبلُ منهم إلاّ الإسلام أو السيف. وقيل: يسلمون: يدخلون الإسلام بلا قتالٍ بل بكامل إراد م واختيارهم.

١١. المسيح هو ابن الله "فالذي قدسه الأب وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تجدف لأني قلت إني ابن الله" (يوحنا ١٠: ٣٦) **بينما محمد كان بشراً من الناس** "إنما أنا بشر مثلكم" (سورة الكهف ١٨: ١١٠).

ـ لم يقُلْ رسول الله ﷺ يوماً إنه من غير البشر. فبشريته ﷺ هي التي مكّنتنا من الاقتداء به واتباعه واتباع هديه وسنته لنفوز بجنةٍ عرضها السماوات والأرض. أما النصارى فقد زعموا ألوهية المسيح، عليه السلام، وما زالت عبارات الإنجيل مضطربةً في ذلك، فتارةً تصفه بابن الله وتارةً تصفه بابن الإنسان.

١٢. المسيح أجرى المعجزات "... عمل كل شيءٍ حسناً. جعل الصم يسمعون والخرس يتكلمون" (مرقس ٧: ٣٧) **بينما محمد** لم **يجر معجزات** "وما منعنا أن نرسلَ بالآيات إلاّ أنْ كذب ا الأولون" (سورة الإسراء ١٧: ٥٩).

ـ يبدو أنّ هؤلاء الطاعنين لا يدركون حقيقةً مفادها أنّ الله تعالى هو الذي يؤيد الرسل بالمعجزات، وأن الرسلَ عليهم السلام لا يقدرون على الإتيان بالمعجزات من تلقاء أنفسهم، ويشهد لهذه الحقيقة قوله تعالى: " وَمَا كَانَ

لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ "[١]. واستشهادهم بالآية السابقة من سورة الاسراء "وما منعنا أن نرسِلَ بِالآياتِ إِلا أن كذب بِها الأولُونَ" باطلٌ تماماً، فهذه الآية الكريمة لا تلغى الآيات المعجزات ولا تنفي فائد ا على الإطلاق "وإنما تنفي استجابة الله لطلب المشركين إنزال الآيات. فلم يستجب الله لهم، ولم ي ل الآياتِ التي طلبوها؛ لأنه يعلم أنه لو أنزلها كما طلبوا فإ م لن يؤمنوا ا، وبعد ذلك سيعذّبهم ويهلكهم، ولذلك لم يستجب الله لهم رحمةً م، لئلا يعذّ م ... وليس معنى هذا أن الله لم ي ل الآيات على النبي ﷺ ولا على غيره من الأنبياء السابقين"[٢]. وسيأتي لاحقاً تفصيل وتعداد عشرات المعجزات التي أجراها الله على يد رسوله ﷺ.

١٣. عرف المسيح ما بداخل قلوب الناس "فستعرف جميع الكنائس أني أنا الفاحص الكُلى والقلوب وسأعطي كل واحدٍ منكم بحسب أعماله" (رؤيا ٢: ٢٣) **بينما محمد** لم **يعرف ما بداخل قلوب الناس** "ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك" (سورة هود ١١: ٣١).

- لم يدعِ رسول الله ﷺ يوماً أنه يعلم الغيب أو ما في قلوب الناس. وهذه الآية الكريمة جاءت على لسان نوحٍ، عليه السلام، في دعوته لقومه ولم تجرِ على لسان محمدٍ ﷺ.

١٤. المسيح أعطى الناس الحرية أن يقبلوا رسالته أو يرفضوها "وأية مدينةٍ دخلتموها ولم يقبلوكم فاخرجوا إلى شوارعها وقولوا حتى الغبار الذي لصق بنا من مدينتكم ننفضه لكم، ولكن اعلموا هذا إنه قد اقترب منكم ملكوت الله" (لوقا ١٠: ١٠ و١١) **بينما محمد أجبر الناس على قبول رسالته** "قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون" (سورة التوبة ٩: ٢٩).

- ليس في الإسلام إجبار أو إكراه على الدخول فيه، وهذا واضح تماماً في قوله تعالى: " لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ "[٣]. أما عن الجزية وفرضها وسببه فسيأتي تفصيل القول فيه لاحقاً في آخر فصول هذه الدراسة بعونه تعالى.

---

[١] سورة الرعد: الآية ٣٨.
[٢] الخالدي، [م. س]، ص ٦٩٧.
[٣] سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

١٥. المسيح يعلم العطاء "أعطوا تعطوا. كيلاً جيداً ملبداً مهزوزاً فائضاً يعطون في أحضانكم. لأنه بنفس الكيل الذي به تكيلون يكالُ لكم" (لوقا ٦: ٣٨) **بينما محمد يعلم الأخذ** "خذ من أموالهم صدقةً تطهرهم وتزكيهم ا" (التوبة: ١٠٣).

ـ كان رسول الله ﷺ يأخذ من أموالهم صدقةً لا لنفسه ﷺ وإنما ليعطيها لفقرائهم وللمساكين منهم وفي ذلك تطهير لأنفسهم وتزكيةٌ وزيادةٌ لأموالهم. فهذه الآية الكريمةُ شاهد لمحمدٍ ﷺ وليست شاهداً عليه كما فهم هولاء الذين استشهدوا ا.

١٦. رسالة السيد المسيح **الرحيمة** "روح الرب علي لأنه مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأشفي منكسري القلوب لأنادي للمأسورين بالاطلاق، وللعمي بالبصر، وأرسل المنسحقين في الحرية، وأكرز بسنة الرب المقبولة" (لوقا ٤: ١٨ – ١٩) **بينما رسالةُ محمدٍ رسول الإسلام الدموية** يقول محمد: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاّ بحق الإسلام وحسا م على الله" "قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق، مِن الذين أُوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون" (سورة التوبة ٩: ٢٩).

ـ بل رسالة محمدٍ عنوا ا "وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ "[١]. أما عن فرض الإسلام بقوة السيف والسلاح وفرض الجزية بعد ذلك فنرد عليه إجمالاً بقوله تعالى: "لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ "[٢]. وسنرد عليه تفصيلاً في الفصل الأخير من هذه الدراسة بعونه تعالى.

١٧. قال السيد المسيح "السارق لا يأتي إلاّ ليسرق ويذبح ويهلك وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياةٌ وليكون لهم أفضل" (يوحنا ١٠: ١٠) **بينما محمد** رسول الإسلام قال: **"بعثت** بين يدي الساعة **بالسيف** حتى يعبد اللهُ وحده لا شريك له، **وجعلَ رزقي تحت ظل رمحي** وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقومٍ فهو منهم".

---

[١] سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

[٢] سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

ـ هذه الفرية تكرار لسابقا ا ولكن بتعبيرٍ آخر. وسيأتي الرد عليها وعلى سابقا ا من شبهات سيف الإسلام والإكراه والإجبار بالتفصيل لاحقاً بعونه تعالى.

١٨. قال السيد المسيح "إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع البار، وهو كفّارةٌ لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً" رسالة يوحنا الرسول الأولى (٢: ١ – ٢) بينما **دعا محمد رسول الإسلام** إلى "إستغفر لهم أو **لا تستغفر لهم**، إنْ تستغفر لهم سبعين مرةً فلن يغفر الله لهم" (سورة التوبة ٩: ٨٠).

تتحدث هذه الآية الكريمة عن المنافقين، وفيها يخبر الله تعالى نبيه محمداً أنّ هؤلاء المنافقين ليسوا أهلاً للاستغفار. وقد قيل: إنّ السبعين إنما ذُكرت حسماً لمادة الاستغفار لهم، لأنّ العرب في أساليب كلامها تذكر السبعين في مبالغة كلامها ولا تريد التحديد ا ولا أن يكون مازاد عليها بخلافها.

١٩. السيد المسيح ينهانا عن الحلفان "أيضاً سمعتم أنه قيل للقدماء لا تحنثْ، بل أوفِ للرب إقسامك. وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة لا بالسماء لأ ا كرسي الله. ولا بالأرض لأ ا موطئ قدميه ولا بأورشليم لأ ا مدينةُ الملك العظيم. ولا تحلف برأسك لأنك لا تقدر أن تجعلَ شعرةً واحدةً بيضاء أو سوداء. بل ليكن كلامكم نعم نعم، لا لا. وما زاد على ذلك فهو من الشرير" (متى ٥: ٣٣ – ٣٧) **بينما محمد رسول الإسلام** يحلف "وهذا البلد الأمين" (سورة التين ٩٥/٣).

ـ يبدو أنّ هؤلاء الطاعنين لا يميزون بين كلام الله تعالى وبين كلام رسوله الكريم ﷺ، فهذه الآية الكريمة في مطلع سورة التين قَسم من الله تعالى لا من رسوله الكريم ﷺ.

٢٠. السيد المسيح **ورسالة السلام** "طوبى لصانعي السلام لأ م أبناء الله يدعون" (متى ٥: ٩) **محمد رسول الإسلام ورسالة القتال** "يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال" (سورة الانفال ٨: ٦٥).

ـ حثّت رسالة الإسلام على السلام، وخير دليلٍ على ذلك أنّ تحية الإسلام هي السلام عليكم. ومما يدل على كراهية القتال في الإسلام قوله تعالى " كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡ "[1]. وقوله تعالى " وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ "[2].

---

[1] سورة البقرة: الآية ٢١٦

[2] سورة الأنفال: الآية ٦١

أما بالنسبة لقوله تعالى في الآية السابقة "حرض المؤمنين على القتال" فمن واجبات القائد في المعركة أن يحدث جنده ويشجعهم على قتال العدو وأن يبث فيهم الروح المعنوية العالية عند صفهم لمواجهته ويبشرهم بالنصر أو الجنة.

مما لا شك فيه أن هذه الإساءات الواردة في المقارنة السخيفة السابقة إنما هي لُب ماتضمنته كتب الاستشراق الديني التي خطّها رهبانُ العصور الوسطى والتي تعرضت للبعث وإعادة الإحياء ولرؤية النور من جديد على صفحات هذه المواقع الإلكترونية!!! فهل كان مجرد صدفةٍ أن تتطابق هذه الإساءات مع إساءات وشبهات وافتراءات رهبان الكنيسة الغربية في العصور الوسطى؟؟؟ وهل كان صدفةً نشرها حصرياً على المواقع الدينية المسيحية؟؟؟ وهل كان صدفةً أن تتكرر بعينها في المواقع العشرين التي رصدناها؟؟؟ لا، لم يكن مجرد صدفةٍ ولكن ملّة الكفُر واحدةٌ. وهنا نعيد تذكير القارئ الكريم بأنّ ردوداً شافيةً كافيةً سترد على هذه الإساءات والمقارنات كلّها في الفصل الأخير من هذه الدراسة.

الإساءة الثانية: نشط الكثير من المواقع الإلكترونية في نشر كتبٍ على الإنترنت تهاجم الإسلام وتشوه صورة الحبيب المصطفى ﷺ، وتدعم ما سبق ذكره من مضمون المقارنات (السخيفة) بين الحبيب المصطفى ﷺ وأخيه عيسى ابن مريم عليه السلام وهذه الكتب موجودةٌ في معظم المواقع الإلكترونية التي رصدتها هذه الدراسة، ولكنها موجودةٌ دون ذكر الاسم الحقيقي للكاتب؛ حيث اكتفت بذكر أسماءٍ مستعارةٍ لهم. ونخص بالذكر من هذه المواقع موقع مجلّة صوت الكرازة بالإنجيل الإلكتروني (The Voice of Preaching the Gospel) ورابطه الإلكتروني هو (www.vopg.org)، وفي عجالةٍ هامةٍ نذكر بعض عناوين ومضامين هذه الكتب،والتي منها:

١. كتاب (قس ونبي) لكاتبه (المزعوم) أبي موسى الحريري، وهو يقع في ٢٥٦ صفحةً ويهدف لإثبات أنّ محمداً تلقى كلّ تعاليم دينه من القس بحيرا الراهب.

٢. كتاب (رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحاق الكندي يدعوه فيها إلى الإسلام، ورسالة الكندي إلى الهاشمي يرد بها عليه ويدعوه إلى النصرانية). وقد سبق لنا ذكره وتفصيل القول فيه.

٣. كتاب (من هو الأعظم) لكاتبه (المزعوم) دانيال فراس كمال، وهو يهدف لإثبات تفوق المسيح على محمدٍ في كل شيءٍ.

٤. كتاب (سؤالٌ لابد من جوابه) لكاتبه (المزعوم) عبد المسيح، وهو يهدف للإجابة عن السؤال: من هو أعظم، المسيح أم محمد؟ ويقارن بين حياة المسيح ومحمد، من قَبل الولادة حتى الموت والقيامة والبعث.

٥. كتاب (صلاة الضالّين) لكاتبه (المزعوم) عبد المسيح، وهو يقوم على المقارنة بين صلاة المسيحيين (الصلاة الربانية) وصلاة المسلمين (الفاتحة).

هذا عدا عن مئات الأشرطة السمعية والأقراص المدمجة (C.D) التي يقدمها هذا الموقع وما شا ه من المواقع التي تعرف على نفسها بأ ا مواقع دف إلى تقديم رسالة المسيح إلى كل ناطقٍ بالضادِ، وأنّ نفقا ا تغطّى بواسطة تبرعات المؤمنين لكي توزع مجاناً.

ولربما يحاول أتباع الكنيسة الغربية أن يدفعوا عنها شبهة الضلوع في إثارة الكراهية ضد الإسلام والضلوع في تشويه صورة الحبيب المصطفى ﷺ بالقول: إنّ الكنيسة تنأى بنفسها عن ذلك، بدليل إصدارها في عام ٢٠٠٢م لوثيقتين متتابعتين حملت الأولى عنوان "الكنيسة والإنترنت" وحملت الثانية عنوان "الأخلاق والإنترنت" وإن الهدف من إصدارها كان رغبة الكنيسة في تشجيع أتباعها على الإفادة من الإنترنت ولكن ضمن ضوابط أخلاقيةٍ أشارت إليها في الوثيقتين، وإنّ الوثيقتين تضمنتا توجيه انتقاداتٍ لمن يسيئون استخدام الإنترنت.

ونقول في ردنا على هؤلاء: إنّ الظاهر بل والواضح أ م لم يقرؤا الوثيقتين المذكورتين جيداً بل إ م لم يقرؤهما كاملتين؛ وتوضيح ذلك أنّ الانتقادات التي ذكر ا الوثيقتان إنما كانت موجهةً على وجه الخصوص للمواقع الالكترونية المسيحية الكاثوليكية التي تقدم تفسيراتٍ جديدةً لبعض العقائد المسيحية، وهي تفسيرات لا تعجب الكنيسة ولا ترضى عنها ولا عن نشرها على عامة الناس في مثل هذه المواقع. كما كانت الانتقادات موجهةً لبعض المواقع المسيحية الآرثوذكسية والقبطية التي توجه النقد العلني للفاتيكان ولكنيسة روما بسبب الكثير من مواقفها أو تشريعا ا أو تصريحات البابا بنديكتيوس السادس عشر التي كان يصفها دوماً بالكنائس الخاطئة. وللتدليل على صحة هذا الكلام نسوق المقتطفات التالية من إحدى رسالتي ا لس الحبري للإعلام المذكورتين آنفاً، ومنها[1]:

---

(1) انظر رسالة ا لس الحبري للإعلام، الكنيسة والانترنت [م. س].

أولاً: من بين المسائل الخاصة التي يثيرها الإنترنت وجود مواقع تشحن النفوس بالبغضاء وتمعن في تشويه صورة ا موعات الدينية والإثنية،والتهجم عليها. ومن بين تلك المواقع ما يستهدف الكنيسة الكاثوليكية ... فإن المواقع التي تحثّ على البغضاء تعبر عن "البعد القاتم جداً للطبيعة البشرية التي شوهتها الخطيئة".

ثانياً: وجه خاص من وجوه الإنترنت، يتعلق بالانتشار المضلل أحياناً في بعض المواقع غير الرسمية التي تحمل عنواناً "كاثوليكياً" قد يكون من المفيد، في ما يختص بالمواد ذات الطابع العقائدي أو الكرازي الخاص، أن يوضع نظام لتأكيد هوية الموقع تأكيداً إرادياً على المستوى المحلي والوطني، وتحت مراقبة ممثلين عن السلطة التعليمية الكنسية. لا ترمي الفكرة إلى فرض رقابةٍ، بل تقديم توجيهاتٍ موثوقةٍ إلى رواد الإنترنت حول موقف الكنيسة الحقيقي.

ثالثاً: إنّ انتشار مواقع الإنترنت التي تنسب لنفسها (الهوية) الكاثوليكية تثير مسألةً ذات طابعٍ مختلفٍ. وكما قلنا، على ا موعات الكنسية أن تكون حاضرةً بصورة خلاّقةٍ على الإنترنت، ويحق لأشـخاصٍ ذوي نوايـا حـسنةٍ ومتنبهين، و موعاتٍ غير رسميةٍ تعمل بمبادرةٍ ذاتيةٍ، أن تكون حاضرةً أيضاً. وأقل ما يقال أنـه مـن بـاب التضليل عدم إمكانية التمييز بين التفسيرات العقائدية النابـذة والممارسـات التقَويـة الخاصـة والـدافعات الآيديولوجية التي تحمل عنواناً "كاثوليكياً"، (من جهة) والمواقف الكنسية الأصيلة، (من جهة أخرى).

ولعل هذه النصوص الثلاثة السابق ذكرها من وثائق ا لس الحبري واضحةٌ تمام الوضوح، وليس فيها أدنى إشارةٍ لما يتعلّق بموضوع مواقع الإنترنت المسيحية التي لا تكف عن الإساءة للإسلام وللرسول ﷺ، ولو كانت الكنيسةُ جادةً في هذا الموضوع ولا تعجبها إساءات المواقع المسيحية للإسلام لكن من السهل على البابا أو على ا لس الحبري للإعلام إصدار ولو وثيقةٍ واحدةٍ فقط تخاطب فيها أصحاب هذه المواقع والقائمين عليها وتدعوهم فيها إلى التزام الأدب والموضوعية والتحلّي بالأخلاق عند الحديث عن (الآخر غير المسيحي) والكف عن نشر الافتراءات والأباطيل والا امات للإسلام ولرسوله الكريم ﷺ.

إنّ التزام الكنيسة الغربية الصمت تجاه هذه المواقع ليؤكد رضاها عنها وقبولها بما ينشر فيها من أذى وإساءةٍ للإسلام. ولو افترضنا حسن نية الكنيسة وعدم رضاها عن الإساءات السابقة للإسلام الموجودة على هذه المواقع فبماذا

نعللُ وجود إساءاتٍ مماثلةٍ ضد الإسلام موجودةٍ على الموقع الرسمي للفاتيكان؟!! وبيان ذلك يبرز في إيرادنا للإساءة الثالثة.

الإساءة الثالثة: أعلن الموقع الرسمي للفاتيكان[1] بتاريخ ٢٠٠٨/١/٢٤ وعلى لسان الكاردينال جان لوي توران عن الاستعدادات التي كانت تجري لعقد منتدى إسلامي كاثوليكي يلتقي فيه البابا مع مجموعةٍ صغيرةٍ من المفكّرين المُسلمين[٢] الذين سبق لهم التوقيع على وثيقة (كلمة سواء) في اليومين الرابع والخامس من شهر آذار لعام ٢٠٠٩.ولم ينتهِ هذا الإعلانُ المنشور باسم الكاردينال توران عند هذا الحد، ولكنه كان مذيلاً مباشرةً بعبارة (مقال تكميلي)، وهذا المقال التكميلي هو عبارةٌ عن استشهادين من مقالين مختلفين، ويعنينا هنا الوقوف على الاستشهاد الأول منهما، **وهو** بمثابة **ردٍّ على سؤال هو:** لماذا سمح **الله بوجود الدين الإسلامي؟؟ ويقول الرد الموجود على هذا (الموقع الرسمي للفاتيكان)** في **الإجابة عن السؤال ما يلي[٣]:**

لنقرأ ونقارن الآيات القرآنية من الفترة المكية وآيات من الفترة المدنية، وعندئذٍ ربما يمكننا **فهم العقليتين** المتناقضتين **عند النبي** محمدٍ، **وربما يمكن لخلاصةٍ ما أن تفرض نفسها هنا، وهي كالآتي: إنّ الله قد اختار** محمداً **فعلاً لكي يعلم العقيدة الإنجيلية إلى القُريشيين. وقد استجاب** محمد **إلى هذا النداء. لكن، ابتداءً من معركة بدر،** التي لم **يطلب منه اللهُ أن يقوم** ا**، قام** محمد **بفرض رأيه الشخصي** محلّ **كلمة الله، فكان فكره هو، فكر قائدٍ حربيٍّ، منظمٍ، ومشرعٍ، لكنه** لم **يعد** نبي **الله! ... "إلا أن مثل هذه الخلاصة يرفضها إخواننا المسلمون، إذ أنّ القرآن، بالنسبة لهم واحد، ولا** يمكن **لشخصٍ أن يدعي إمتلاك حق تقرير إن كانت هذه الآيات** ت **يلاً إلهياً وآيات أخرى ليست** م **لةً!... "وهناك خلاصةٌ أخرى وهي** التي أفضلُها؛ **إ** ا **مقولةٌ لأحد** المتصوفة **الكاثوليك** المستشرقين، **هو "لويس ماسينيون"، القائل بأن الت** يل **القرآ**ني **بكامله** يمكن **أن يكون قريباً من الت** يل **الإ**نجيلي **إذا ما** تم **تفسيره بصورةٍ**

---

[1] موقع الفاتيكان الرسمي، www.vatican.va

[2] كان الوفد "المسلم" يتكون من سمو الأمير غازي بن محمد بن طلال وعبد الحكيم مراد وينتر من المملكة المتحدة؛ وعارف على النايض، الليبي الذي يشغل منصب "عميد المعهد البباوي للدراسات العربية والإسلامية"، وفقاً لما هو وارد في هذا الخبر المعلن من الفاتيكان؛ وسيرجيو يحيى بللافيتشيني، نائب رئيس "جمعيـة مـسلمي إيطاليا"؛ وإبراهيم كالين، وهو تركي ويشغل منصب أستاذ مساعد للدراسات الإسلامية في "كلية الـصليب المقـدس" إضـافة إلى إدارة مؤسـسة سـيتا Seta Foundation؛ وسهيل نخودة مدية "ا لة الإسلامية" Islamica وهو هندي الأصل ويقيم في الأردن.

[3] عبد العزيز، زينب، مقالة (أفيقوا أيها المسلمون) المنشورة على موقعها الإلكتروني، بتصرف واختصار.

رمزيةٍ وليس بصورةٍ أصوليةٍ .. وهناك حلٌ ثالثٌ أكثر قرباً من النبؤات (من قبيل السلالتين اللتين اعطاهما اللهُ لإبراهيم في **سفر التكوين ١٦ وما بعده)** وما يمكن **لمسيحيٍ أن يؤمن به، هو:**

أولاً: الإسلام (كما نراه من تقديم مولد إسماعيل، الإبن البكر لإبراهيم)، لا يمكن **أن يكون** بمبادرةٍ **من الله وإنما هو مبادرةٌ إنسانيةٌ** تماماً.

ثانياً: لكن الله باركه وأعطاه ذُريةً كبيرةً، لإيمان إبراهيم وأنه بتقسيم العالم إلى عدة دياناتٍ، وبالتالي فإن الغرور الإنساني وجده قد انحَط. وها هو أحد النصوص: "التكوين ١٢: ٢١ لكن الله قال لإبراهيم: "لا يقبح في **عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك،** في **كل ما تقول لك سارة، اسمع لقولها لأنه بإسحاق يدعى لك نسل. وابن الجارية أيضاً سأجعله أُمةً لأنه من نسلك". "أما عن كون الإسلام ديانةً حربيةً، فالله قد قالها لإبراهيم** في **سفر التكوين ٢١: ٢٠، "وكان الله مع الغلام فكبر وسكن** في **البرية وكان ينمو رامي قوسٍ".**

إنّ هذه الكلمات الموجودة على الموقع الرسمي للفاتيكان بتاريخ ٢٠٠٨/١/٢٤ إنما هي تجسيد واضح وصريح لطبيعة التصور الفاتيكاني عن الإسلام، وهي تكرار ممجوج لما سبق ذكره في مباحث سابقةٍ عن تصور الكنيسة الكاثوليكية للإسلام في القرون الوسطى دون تغييرٍ يذكر. وإلاّ فبماذا نعللُ وجودها ونشرها على هذا الموقع؟ وبماذا نعللُ التصاقها بتصريحات الكاردينال توران السابقة؟؟

لم يكتف الموقع الرسمي للفاتيكان بذكر هذه الحماقات المكررة، بل إنه وجه انتقاداتٍ حادةً (لوثيقة كلمة سواء)، وهذه الانتقادات ذكرها "ساندرو ماجيستر"[1] نقلاً عن الأب "ترول الجزويتي" بقوله: "هناك فارق سحيق بين الله الواحد بالنسبة للمسلمين والله الثالوث للمسيحيين، فيما يتعلق بالابن الذي جعل نفسه بشراً. إنّ "الكلمة السواء" الحقيقية يجب أن نبحث عنها في مكانٍ آخر هو: أن نقوم بتطبيق هذه الوصايا في الواقع الفعلي للمجتمعات المتعددة العقائد، الآن وفوراً. يجب البحثُ عنها في حماية حقوق الإنسان، وفي الحرية الدينية، وفي المساواة بين الرجل والمرأة، وفي الفصل بين السلطة الدينية والسلطة السياسية. ثم **يتساءل كاتب هذا الاستشهاد قائلاً: هل هناك فرصةٌ لنرى حرية العقيدة مطبقةً ومحترمةً** في **مجمل المناطق ذات الأغلبية المسلمة؟!"** "في **رأيي إن الوقت مبكر جداً. إذ أن الإسلام حالياً (من خلال أتباعه المتحمسين) يقوم بعملية جمودٍ حيال قِيم الغرب، على الرغم من أنّ أغلبيةً من**

---

[1] ساندرو ماجيستر: خبير شؤون الفاتيكان في جريدة "الاسبريسو" الأسبوعية الإيطالية.

المسلمين في **علاقةٍ معتدلةٍ مع القيم الغربية، ويتطلّعون إلى العيش** في **سلامٍ "لكن ذلك سوف** يحدثُ **ذات يومٍ، خاصةً عندما يتم خفض الغرور القومي** الحاليّ **للحضارة الإسلامية (كحرب** تخسرها **أو عملية ارتدادٍ** جماعية؟)!![1].

الإساءة الرابعة: تخصص موقع نور الحياة المسيحي (light of life) في الإساءة إلى الإسلام ورسول الله محمدٍ ﷺ. والصفحة الرئيسية لهذا الموقع عنوا ا نور الحياة، افحص الإسلام من وجهة نظرٍ مسيحيةٍ! ويستطيع المرء بمجرد دخوله ا ّانيّ لهذا الموقع الإلكتروني ـ الذي يتخذُ من النمسا مقراً لبثّه ـ أن يلحظ في الصفحة الرئيسية وجود تسع نوافذ وعناوين خطيرةٍ صممت للطعن في الإسلام وحملت العناوين والمسميات التالية:

١. النافذة الأولى: الإسلام والإنجيل. وهي تحتوي على النص الكامل لكتاب "هل صلب المسيح حقّاً".

٢. النافذة الثانية: القرآن والكتاب المقدس.

٣. النافذة الثالثة: المصادر الإسلامية. وهي تحتوي على كتاب "مصادر الإسلام" لمؤلفه الدكتور سنكلير تسدل، وفي هذا الكتاب يتناول المؤلف تأثيرات كلٍّ من عرب الجاهلية والصابئين واليهود والفرق النصرانية الضالّة على القرآن والحديث النبوي كما يتناول تأثيرات الزرادشتية والحنفاء على الإسلام!!.

٤. النافذة الرابعة: التاريخ والجغرافيا.

٥. النافذة الخامسة: كشف خفايا الإسلام.وهي تشتمل على النص الكامل لكتاب "مكانة المرأة في الإسلام" لمؤلفه حمدون داغر، وفي هذا الكتاب من الطعن في تشريعات الإسلام الخاصة بالمرأة ما فيه.

٦. النافذة السادسة: الشريعة الإسلامية.

٧. النافذة السابعة: الإسلام اليوم.

٨. النافذة الثامنة: الرد على الإسلام. وهي تحتوي على النص الكامل لكتاب "من هو الأعظم" لمؤلفه دانيال فراس كمال، وهو مليءٌ بالمقارنات بين محمدٍ والمسيح عليهما السلام، وفيه من التسفيه لرسول الله محمدٍ ﷺ والحطّ من قدرِه الشيء الكثير.

---

[1] عبد العزيز، زينب [م. س].

٩. النافذة التاسعة: استنطاق الإسلام. وهي تشتمل على كتاب "دوافع للإيمان الإنجيلي، صراع أدى إلى الاهتداء" لمؤلفه أمين ريشاوي، وهو كتاب يقوم في أصله على إنكار إمكانية تطبيق الشريعة الإسلامية اليوم والقول بأنها لم تطبق من قبل، ناهيك عن القول القبيح المكرر بتحريف القرآن الكريم.

إنّ معظم الكتب المنشورة في هذا الموقع قصيرةٌ نسبياً، وذلك بالطبع راجع إلى افتها وافتقارها إلى مادةٍ دسمةٍ حقيقيةٍ تستحق العرض والمناقشة، إلاّ كتاباً واحداً يعتبر غايةً في التضليل والكذب المبرمج المدروس على القرآن الكريم ورسول الله ﷺ ألا وهو كتاب "هل القرآن معصوم؟" لمؤلفه "عبد الله الفادي" أو "عبد الفادي"، وهو كتاب طويلٌ يقع في ٢٥٩ صفحةً ويتكون من أجزاءٍ عشرةٍ، جاءت على النحو التالي:

١. الجزء الأول: أسئلةٌ جغرافية، قال فيه المؤلف بوجود اثني عشر خطأً جغرافياً في القرآن.

٢. الجزء الثاني: أسئلةٌ تاريخية، قال فيه بوجود خمسةٍ وخمسين خطأً تاريخياً في القرآن.

٣. الجزء الثالث: أسئلةٌ أخلاقية، قال فيه بوجود تسعة أخطاء أخلاقية في القرآن.

٤. الجزء الرابع: أسئلةٌ لاهوتيةٌ، قال فيه بوجود تسعةٍ وعشرين خطأً لاهوتياً في القرآن.

٥. الجزء الخامس: أسئلةٌ لغويةٌ، قال فيه بوجود خمسةٍ وعشرين خطأً لغوياً في القرآن.

٦. الجزءُ السادس: أسئلةٌ تشريعيةٌ، قال فيه بوجود ستةٍ وعشرين خطأً تشريعياً في القرآن.

٧. الجزء السابع: أسئلةٌ اجتماعيةٌ، قال فيه بوجود واحدٍ وعشرين خطأً اجتماعياً في القرآن.

٨. الجزء الثامن: أسئلةٌ علميةٌ، قال فيه بوجود اثنين وعشرين خطأً علمياً في القرآن.

٩. الجزء التاسع: أسئلةٌ فنيةٌ، قال فيه بوجود أحد عشر خطأً فنياً في القرآن.

١٠. الجزء العاشر: أسئلةٌ خاصةٌ عن محمد ﷺ، قال فيه بوجود ثلاثةٍ وثلاثين خطأً يتعلق بحياة الرسول ﷺ في القرآن.

وخلاصة ما يذهب إليه المؤلف في هذا الكتاب أنّ في القرآن ٢٤٣ خطأً، وذلك كافٍ لإثبات أنه ليس من كلام الله، لأنه لو كان كلام الله لما وجد فيه خطأٌ واحد!! وبالتالي فإن محمداً ليس رسولاً من عند الله، وإنما هو مدعٍ للنبوة وكذّاب والإسلام ليس ديناً من عند الله، بل هو من صنع محمدٍ واختلاقه!!

وما هو واضح أنّ كل ما سلف ذكره من هذه الافتراءات إنما هو تكرار مجوج لشبهات ومطاعن رهبان العصور الوسطى ولكن في قوليةٍ جديدةٍ، وسيأتي الكلام على هذا الكتاب تفصيلاً في المبحث الخاص بالردود على الشبهات والمطاعن لاحقاً إن شاء الله.

ومن المثير للسخرية والضحك في موضوع هذا الكتاب والموقع الإلكتروني المسيحي "نور الحياة" الذي نشره، أنّ القائمين على الموقع وضعوا في ﻧﻬاية كلٍّ من الكتب الطاعنة في الإسلام التي نشروها مسابقةً تتمثل في مجموعةٍ من الأسئلة التي يحصل أصحاب الإجابات الصحيحة عليها على جوائز قيمةٍ، وطلبوا إلى زوار الموقع وقُراء الكتب المنشورة إرسال أجوبتهم على العنوان التالي:

Light of life
P. O. Box 13
9503 villach
Austria

أو مراسلتهم على العنوان الإلكتروني التالي:

Webmaster2@light-of-life.com

كانت هذه أربعةً من ألوف النماذج التي تخصصت في الإساءة إلى الإسلام والرسول المصطفى ﷺ والطّعن فيهما. ولعلّها شواهد حيةٌ على طبيعة الدور الذي تلعبه المواقع الإلكترونيةُ المسيحيةُ ـ الكاثوليكية وغيرها ـ في الحرب المعلنة على الإسلام. ولعلّه من نافلة القول التذكير بأنّ مضامين هذه الإساءات السابقة وما شاﻬﻬا لا يقع بعيداً، البتة، عما كان رهبان العصور الوسطى الكاثوليك قد خطّوه بيمينهم من كتاباتٍ تجسد عملياً وواقعياً حقيقة موقف كنيستهم من الإسلام ونبوة محمد ﷺ. وسنعمد في المباحث التالية من هذا الفصل إلى الترجمة لأبرز وجوه الذين عملوا في حقل الاستشراق الـمعولَمِ والإعلامي المعاصِر (الاستشراق الديني قديماً) والذي يعد من أحدث القنوات التي استخدمتها الكنيسةُ الغربيةُ لتكرس من خلالها الصورة التي تحملها عن الإسلام. ونؤكد قبل الشروع في ذلك على أنّ إدراجنا لأسماء هؤلاء في هذه الدراسة إنما هو بسبب كوﻧﻬم تجسيداً معاصراً لاستمرار وجود أولئك الذين يعتنقون القناعات الكنسية للعصور الوسطى في كل ما يتعلّق بموضوع الإسلام والمسلمين، ولكوﻧﻬم كذلك شاهداً على أنّ الفكر الكنسي الغربي الرافض لنبوة محمدٍ ﷺ لم ينتهِ، بل هو آخذٌ في الازدياد والنمو.

وهؤلاء الذين سنأتي عليهم تالياً ليسوا من الكاثوليك ولا من أتباع كنيسة روما؛ فمنهم اليهودي ومنهم البروتستانتي ومنهم غير ذلك، ولكن القاسم المشترك بينهم، إن لم نقل القواسم، تبنيهم لشبهات ومواقف رهبان العصور الوسطى المعادية للإسلام والرافضة لنبوة محمدٍ ﷺ. والمؤلم في موضوع هؤلاء الأعداء الجُدد أنّ الأمر لم يقف م عند تكرار شبهات الرهبان السابقة بل إ م عملوا على تعديلها وتطويرها وبثّها بأسلوبٍ حديثٍ يلائم روح العصر ومتطلّباته، وقد كان لهم تلاميذ وأتباع كثيرون حملوا فكرهم وعداءهم للإسلام، وعملوا آناء الليل والنهار على زراعة الخوف من الإسلام في عقول الشعوب الغربية وذلك من خلال ما اخترعوه من نظريات مثل "صراع الحضارات" و" اية التاريخ" و"الفاشية الإسلامية" و"ظاهرة الإسلام الأخضر".

المبحث الرابع

برنارد لويس

لقد ارتأينا البدء بالحديث عن برنارد لويس[1]، وذلك لأمرين، أولهما مراعاة التسلسل الزمني التاريخي، حيث كان لويس أقدم الرجال الأربعة الذين اخترنا الترجمة لهم من حيثُ الميلاد. وثانيهما لأنه كان بمثابة المعلم والموجه الأكبر لهم، حيث حملوا آراءه ونظرياته وعملوا على نشرها واستوحوا أصول معظم نظريا م وأفكارهم من معتقداته وأفكاره عندما كان يعمل مدرساً في جامعة لندن لمدةٍ زادت على الخمسة عشر عاماً، ومن بعدها في جامعة برنستون بولاية نيوجرسي الأمريكية لمدةٍ تزيد على العشر سنوات.

قضى لويس حياته الأكاديمية يدرس ويتحدث عن التاريخ الإسلامي والحركات الإسلامية والعالم الإسلامي وواقع المسلمين، وألّف في ذلك ما يزيد على العشرين مؤلفاً، مما حدا بالكثير من الكُتاب والمؤرخين المعاصرين ليطلقوا عليه ألقاباً متعددةً مثل كبير المستشرقين، وعميد الاستشراق، وشيخ دراسات الشرق الأوسط ... ولهذا الرجل صولات وجولات كثيرةٌ مع حاضر المسلمين وتاريخهم وله دور هام وخطير تمثّل في لفت أنظار العالم الغربي وبالذات الولايات المتحدة الأمريكية إلى أنّ الإسلام هو الخطر الأكبر والأوحد الذي يتهدد الحضارة الغربية وقيمها بعد ا يار الشيوعية في الإتحاد السوفياتي عام ١٩٩١. وكان برنارد لويس أولَ من أطلق على الإسلام مسمى **"الخطر الأخضر"**[٢].

---

(1) ولد لويس في ١٩١٦/٥/٣١م وتلقى تعليمه الأول في كلية ولسون والمدرسة المهنية حيث أكمل دراسته الثانوية. التحق بجامعة لندن لدراسة التاريخ ثم انتقل إلى فرنسا للحصول على دبلوم الدراسات السامية سنة ١٩٣٧م متتلمذاً على يد المستشرق الفرنسي ماسنيون وغيره. ثم عاد إلى جامعة لندن، كلية الدراسات الـشرقية والأفريقية وحصل على الدكتوراه عام ١٩٣٩م عن رسالته القصيرة حول أصول الإسماعيلية.

استدعي في أثناء الحرب العالمية الثانية لأداء الخدمة العسكرية وأعيرت خدماته لوزارة الخارجية من سنة ١٩٤١م حتى ١٩٤٥م، عاد بعد الحرب إلى كلية الدراسـات الشرقية والإفريقية لتدريس التاريخ الإسلامي وأصبح أستاذ كرسي التاريخ الإسلامي عام ١٩٤٩م ثم أصبح رئيساً لقسم التاريخ عام ١٩٥٧م، وظل رئيساً لهذا القسم حتى انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٤م.

دعي للعمل استاذاً زائراً في العديد من الجامعات الأمريكية والأوروبية منها جامعة كولمبيا وجامعة انديانا وجامعة كاليفورنيا بلوس انجلوس وجامعة اكلاهوما وجامعة برنستون التي انتقل إليها وبدأ العمل فيها من ١٩٧٤م حتى تقاعده عام ١٩٨٦م. وهنا عين مديراً مشاركاً لمعهد أنانبرج اليهودي للدراسات اليهودية والشرق أوسطية في مدينة فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا.

قدم خدماته واستشاراته لكل من الحكومة البريطانية التي كلفته القيام برحلة إلى العديد من الجامعات الأمريكية وإلقاء الأحاديث الإذاعية والمتلفزة عام ١٩٥٤م، كما قدم استشاراته للكونجرس الأمريكي أكثر من مرة. وفي إحدى المرات (في ٨ مارس ١٩٧٤م) ألقى محاضرة في أعضاء لجنة الشؤون الخارجية بالكونجرس الأمريكـي حول قضية الشرق الأوسط ولأهمية هذه المحاضرة نشر ا وزارة الخارجية الإسرائيلية بعد أسبوعين من إلقائها.

(2) الفرا [م. س]، ص ٩٧.

كتب برنارد لويس الكثير من المؤلفات المتعلّقة بالإسلام والمسلمين والعرب والحضارة الإسلامية قديماً وحديثاً، ومن أبرز هذه المؤلّفات وأهمّها ما يلي:

١. "العرب في التاريخ" (The Arabs in History).

٢. "ظهور تركيا الحديثة" (The Emergence of Modern Turkey).

٣. "الحشاشون: فرقة متطرفة في الإسلام"

(TheAssassins: Radical Sect in Islam).

٤. "المسلمون يكتشفون أوروبا" (The Muslim Discovery of Europe).

٥. "يهود الإسلام" (The Jews of Islam).

٦. "الإسلام: من النبي محمد وحتى فتح القسطنطينية" (Islam: From the Prophet Muhammad to the Capture of Constantinople).

٧. "لغة السياسة في الإسلام" (The Political Language of Islam).

٨. "عالم الإسلام: إيمان وشعوب وثقافة"

(The World of Islam: Faith, People, Culture).

٩. "الإسلام والغرب" (Islam and the West).

١٠. "الإسلام في التاريخ: أفكار وشعوب وأحداث في الشرق الأوسط"

(Islam in History Ideas, People and Events in the Middle East)

١١. "ما الخطأ"؟ (What went worng?)

١٢. "أزمة الإسلام: الحرب المقدسة والإرهاب غير المقدس"

(The Crisis of Islam: Holy War and Unholy Terror).

وهذه الكتب جميعها مترجمةٌ إلى اللغة العربية وهي متوفّرةٌ في الأسواق وفي الكثير من مكتبات الجامعات. لقد لعبت كتابات لويس دوراً هاماً وخطيراً في إثارة خوف الغربيين من الإسلام وحضارته ونظمه وتشريعاته، و"كانت بحوثه في مجملها صيحاتٍ تحذيريةً هدفها تذكير ا تمعات الأمريكية والأوروبية أنه ما مِن يومٍ في التاريخ واجهت فيه

المقاومةَ إذا غزت، والهزائم إذا غُلِبت في مواجهتها مع سكان غرب آسيا وشمال أفريقيا إلاّ وكان الإسلام هو القوة التي تـِلُ هذه النكبات والهزائم. وخلال ذلك يبين أنه ابتداءً من الماضي حتى الوقت الحاضر كان الإسلام هو القوة التي جاءت بسكّان شمال أفريقيا إلى إسبانيا لتحتلها ثمانية قرون، وأنه هو الذي قاد العثمانيين إلى أبواب فينا وإلى وسط مصر، وأنه هو القوة التي حاول السلطان عبد الحميد الثاني أن يستعملها ضد أوروبا"[١].

لقد وجهت انتقادات عديدةٌ للمنهج الذي كان يتبعه لويس في كتاباته السابقة، ويمكن تلخيص أبرز الانتقادات الموجهة إليه فيما يلي[٢]:

أولاً: الانتقائية؛ حيث يختار من الحقائق، ومن السياقات التاريخية فقط ما يؤيد رؤاه.

ثانياً: التعميم في غير محلّه؛ حيث يعتبر الجزئية أساساً ويلغي الكلية، ويعتبر الفرد ويترك الجماعة، ويعتبر الفرق ويضرِب عن الأصل.

ثالثاً: وهو يجيد توظيف الحقائق الصغيرة على نحوٍ يجعلك تعجب ببراعته وقدرته على الإقناع، ببداهاتٍ ومعلوماتٍ تنتزع من سياقا ا لتوظف في سياقاتٍ أخرى.

رابعاً: وكصاحب قضيةٍ، دخل برنارد دائماً بآراء مسبقةٍ، حاول أن يجد لها في عالم الإسلام والمسلمين شواهدها.

خامساً: يركز برنارد لويس في كتاباته عن الإسلام والمسلمين والعرب والعالم العربي على مجموعةٍ من الآليات الخطيرة، مثل آليات التهويل، والبتر والتقطيع، وآلية التهوين (الإهمال). فهو يهول ما كان هامشياً أو عفوياً أو قليل الحضور في التاريخ الإسلامي والثقافة والحضارة الإسلامية ويهون (يهمل) ما كان غالباً مهيمناً في الحاضرة والفكر الإسلامي وفي الثقافة الإسلامية.

سادساً: كما أنه يمارس بتراً وتقطيعاً لكثيرٍ من الحقائق، ويقوم بتغييبها ويعمل على تجاهل أو عزل الأحداث والأفكار عن سياقها الطبيعي، فالقارئ لما كتبه ويكتبه برنارد لويس يجد وكأن الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي لا

---

(1) الكيلاني، ماجد، الهجوم على الإسلام والمسلمين، صيحة برنارد لويس أو حيي بن أخطـب الجديـد. مقالـة منـشورة علـى موقـع دهـشة الإلكتـروني www.dahsha.com.

(2) انظر: أ. بدران بن الحسن، برنارد لويس وصهينة الدراسات الاستشراقية. دراسة منشورة بتاريخ ٢٠٠٥/٣/٦ علـى الموقـع الإلكتـروني "الإسـلام اليـوم" www.islamtoday.com.

ب. خليل الصغير، برنارد لويس بطريرك الاستشراق: ليتذكر المسلمون نعمة الاستعمار. دراسة منشورة بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٢٦ في الموقع الإلكتروني لة بنت جبيل www.bintjbeil.com.

ج. أنس حسن، برنارد لويس ... تسامح ماكر ومعرفة موجهةٌ. دراسة منشورة على الإنترنت بتاريخ ٢٠٠٨/١١/٤ في الموقع الإلكتـروني لـة لـواء الـشريعة www.shareah.com.

يوجد به غير الحشاشين والإسماعيلية والقرامطة، وبعض الفرق المنحرفة الأخرى التي بادت أو انحصرت عن التيار العام للإسلام والثقافة والحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي.

سابعاً: ومما يلاحظ على كتاباته عن التاريخ الإسلامي أنه يبرز كل الفرق المنحرفة والانحرافات الفكرية التي لا يمكن بحالٍ أن تطغى على الخط العام المعتدل في التاريخ الإسلامي.

ثامناً: أما أكثر نقاط النقد لأفكار برنارد لويس إثارةً للجدل فهي تلك التي تتصل بأسلوب التنميط والتعميم الذي يمارسه لويس في حق العرب والمسلمين، فهو ينتقي مواده بشكلٍ يصعب على النقّاد محاججته أو التشكيك بصحتها. وهو يستشهد، إضافةً إلى آياتٍ من القرآن الكريم وأحاديث الرسول، بوقائع تاريخيةٍ، قديمةٍ وحديثةٍ، تنتمي إلى حقبةٍ معينةٍ وتتصل بفئةٍ أو مجموعةٍ أو مجتمعٍ إسلاميٍ بعينه، ثم يقوم بتحليلها وإسقاط نتائج ذلك ومدلولاته، بشكل تعميميٍّ سافرٍ، على العرب والمسلمين جميعا وعلى امتداد تاريخهم، أو على حقبةٍ كاملةٍ منه.

تاسعاً: يلاحظُ على كتاباته الخاصة بالتاريخ الإسلامي أنه يبرز الشوائب والأعشاب الضارةَ التي ظهرت طوال التاريخ الإسلامي ويحاول أن يقنع ا من يتابع مؤلفاته أ ا أصلٌ وجذر لهذا التاريخ.

عاشراً: كان يتبسطُ في كثيرٍ من المسائل والقضايا، ويتجاهل قضايا ومسائل أُخرى كثيرةً، ويقوم عن عمدٍ بتشويه صورة الإسلام وتحريف تاريخ المسلمين وتشويهه.

لن نخوض في كتب برنارد لويس للوقوف من خلالها على حقيقة موقفه المعادي للإسلام الكاره لأهله فذاك أمر يطول، لكننا سنقتصر على ذكر مقتطفاتٍ من مقابلاتٍ صحفيةٍ وأخرى متلفزةٍ أُجريت معه وضح فيها بما لا يدع مجالاً للشك رأيه في المسلمين، ومن ذلك ما يلي[1]:

في مقابلةٍ أجر ا بعض وكالات الإعلام مع برنارد لويس في ٢٠٠٥/٥/٢٠ قال الآتي: "إن مفهوم الحرية عند العرب والمسلمين ليس مفهوماً سياسياً وإنما هو حكم قضائي، فأنت في هذا المفهوم تصبح حراً إذا كنت قبل ذلك رقيقاً؛ فالحرية بمفهومها السياسي بضاعةٌ غريبةٌ عن العرب والمسلمين، استوردوها وما زالوا يستوردو ا من الغرب ابتداءً من حملة نابليون على مصر حتى الوقت الحاضر ... **إن العرب والمسلمين قوم فاسدون، مفسدون، فوضويون لا يمكن تحضيرهم، وإذا تركوا لأنفسهم فسوف يفاجئون العالم المتحضر بموجاتٍ بشريةٍ إرهابيةٍ تدمر الحضارات**

---

[1] لقراءة نص المقابلة كاملة أنظر Bernard Lewis "Bring them or they destroy us" على موقـع www.realclear.politics في شهر ٢٠٠٦/٩.

وتقوض ا تمعات، ولذلك فإن **الحل السليم للتعامل معهم هو إعادة احتلالهم واستعمارهم وتدمير ثقافا م الدينية وتطبيقا ا الاجتماعية،**وفي **حال** قيام **أمريكا ذا الدور** فإن **عليها أن تستفيد من التجربة البريطانية والتجربة الفرنسية** في **استعمار** المنطقة **لتجنب الأخطاء** والمواقف **السلبية التـي اقترفتها الدولتان** ... إنه من الضروري إعادة تقسيم الأقطار العربية والإسلامية إلى وحداتٍ عشائريةٍ وطائفيةٍ، ولا داعي لمراعاة خواطرهم أو التأثر بانفعالا م وردود الأفعال عندهم، إما أن نضعهم تحت سيادتنا، أو ندعهم ليدمروا حضارتنا ... **يجب تضييق الخناق على هذه الشعوب ومحاصر ا واستثمار التناقضات العرقية والعصبيات القبلية والطائفية فيها قبل أن تغزو أمريكا وأوربا لتدمر الحضارة فيهما.**

وفي مقابلة أخرى قال برنارد لويس[1]:

"إني أرى المسلمين وهم يكتسحون أوروبا ويعملون على فرض الهيمنة الإسلامية فيها، والمطلوب ـ إذن ـ أن يحدث العكس تماماً، **وأي اون** في **هذا سوف يؤدي** إلى **نجاح الاستعمار الإسلامي** في **القارة، وسوف يكون المستقبل إما أن ينجح المسلمون** في **الاستيلاء على أوروبا، أو ينجح الأوروبيون الأصليون** في حماية **القارة وابتلاع الجاليات الإسلامية المقيمة على أراضيها".**

ولعلّ ما سبق ذكره من نصوص هذه المقابلات الصحفية والمتلفزة أكبر دليلٍ على مدى الحقد والكراهية التي يكنها هذا المُستشرق للعرب والمسلمين، كيف لا وهو القائل: **"إنّ الإسلام لا يمكن أنّ يتطور وإن حضارته هي حضارةُ بدوٍ أجلافٍ** تختلف **عن الحضارة الغربية"[٢] والقائل: "إنّ سبب فشل المسلمين** في **مواجهة** تحديات **الحداثة هو** تمسكهم **الطوطمي بأمجاد تاريخهم وموروثهم من هذا التاريخ، وهو ما يؤدي إلى انسداد الأفق أمام المُحدثين** في **نظر م الموضوعية** إلى **ما تعاني مجتمعا م من تخلّف"[٣].** ما من شكٍّ في أنّ برنارد لويس ومن خلال عباراته وتصريحاته قد ساهم في ترسيخ نظرةٍ دونيةٍ لدى الغربيين تجاه الإسلام والمسلمين، وكان حريصاً تمام الحرص على انتقاء عباراتٍ تذكي روح العداء الغربي للإسلام والكراهية الناجمة عن التخويف منه، ومن ذلك عبارته الشهيرة **"إذا كان المقاتلون**

---

[1] لقراءة نص المقابلة كاملةً أنظر "Muslims about to take over Europe" في موقع www.Jihadwatch.org بتاريخ ٢٠٠٧/١/٢٩.

[2] الشمعة، خلدون، خطاب أبلسة الآخر .. برنارد لويس واكتشاف الإسلام لأوروبا، بحث مشارك في ندوة الرحالة العرب والمسلمين "اكتشاف الذات والآخر"، المنعقدة في الرباط في أواخر شهر أيار ٢٠٠٩.

[3] الصغير [م. س]، ص ٥.

في سبيل الإسلام ـ الحرب المقدسة في سبيل الله ـ يقاتلون من أجل الله، فإنّ ذلك يستتبع القول إنّ خصومهم يقاتلون ضد الله، وبما أن الله هو المهيمن ومصدر السلطات من حيث المبدأ، وهو أيضاً القائد العلوي للدولة الإسلامية،والنبي وخلفاؤه من بعده وكلاء مباشرون عنه، فإن الله إذاً هو راعي الجيش وقائده، الجيش هو جيش الله، والأعداء هم أعداء الله، فواجب جنود الله إذاً هو إرسال أعداء الله بأقصى سرعةٍ ممكنةٍ، إلى حيث سيتولّى الله بنفسه معاقبتهم وتأديبهم، أي إلى الآخرة"[١].

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: هل تلقّى الغرب عبارات لويس السابقة وتحليلاته وا اماته للإسلام والمسلمين بالقبول؟ أم أنه رفَضها؟ أم أنه حاول فحصها وتمحيصها وتدقيقها للتأكّد من مدى صحتها ومصداقيتها؟؟ والإجابة، للأسف، أنّ الغرب في معظم دوائر صنع القرار فيه، قد أخذَ عبارات لويس تلك على أنها مسلّمات وحقائق تكاد لا تقبل النقاش ، بل كان الأمر أبعد من ذلك وأخطر حيث أثارت عباراته وأفكاره إعجاب الكثيرين من الأكاديميين والإعلاميين والساسة في الغرب، ونستذكر في هذا الصدد عبارة نائب الرئيس الأمريكي السابق ديك تشيني "... وكما كافح الذين سبقونا من أجل الحرية والمساواة ... **فنحن اليوم نقوم بمسؤولية الكفاح ضد الإرهاب الإسلامي وسوف نستمر في اللجوء إلى فكر برنارد لويس القوي، الصلب؛ ليمدنا بالتفاؤل والقرارات السليمة ... لذلك هو إنسانٌ موهوب، مخلِص، ويستحق طول العمر، ونحن نشعر بالامتنان لأعماله، ونعترف بجميله**[٢].

وواضح من عبارات نائب الرئيس الأمريكي السابق هذه مدى تأثّر صناع القرار في الغرب بآراء لويس ونظرياته حتى إنّ نائب الرئيس هذا قد اقتبس من أقوال برنارد لويس في حديثٍ متلفزٍ على الهواء عشية شن الحرب على العراق قول لويس: **"إنّ المسلمين لا يستجيبون سوى للقوة وحدها ومن ثمّ ينبغي التعامل معهم بكلّ حزمٍ وصرامة"**[٣].

---

(1) أنس حسن، [م. س]، ص ٣.

(2) الكيلاني، [م. س]، ص ٤.

(3) انظر عرض محمد الخولي لكتاب (الإسلام في زمن العولمة لمؤلفه البروفسور أكبر أحمد) ـ الحلقة الثالثة ـ المنشور في الموقع الإلكتروني لجريدة البيـان الاماراتيـة بتاريخ ٢٠٠٨/٢/٢٩.

لقد أمعن هذا الرجل في طعنه الظاهر والمبطن بالإسلام والمسلمين مما دفع الأستاذ جلال أمين[1] ليخصه بمقالةٍ جريئةٍ لاذعةٍ نشرت في جريدة الحياة اللندنية بتاريخ ٢٦ – ٢٠٠٣/٧/٢٧ فند فيها أبرز العناوين التي أوردها لويس في كتابه الأخير (أزمة الإسلام، حرب مقدسةٌ وإرهاب غير مقدس).

وقال: إنّ من الممكن للقارئ أن يستخلص من الكتاب بسهولةٍ مجموعةً من المبادئ العامة تصلح دليلاً ممتازاً لأي شخصٍ يستهدف تشويه الإسلام والمسلمين. هذه المبادئ تصلح لأن تنشر في كتابٍ مستقلٍ بعنوانٍ مثل "دليل الرجل الذكي إلى التشهير بالإسلام والمسلمين". ثُم قام الأستاذ جلال أمين بشرح ما استخلصه من كتاب لويس السابق من مبادئ ولـخصها آملاً أن يكتشف القارئ لهذا الكتاب حقيقته ويفهم طبيعته ... وقد كان أبرز هذه المبادئ ما يلي[٢]:

المبدأ الأول: وهو أبسط المبادئ وأوضحها، لا تدخر أي جهدٍ في الحاق أي وصمة عارٍ (وعلى الأخص ما يعتبره الأميركيون الآن وصمة عار) بالإسلام والمسلمين. الصورة الإجمالية التي يخرج ا القارئ عن المسلمين لا بد أن تكونَ قبيحةً للغاية،ومن مختلف الجوانب والزوايا.

المبدأ الثاني: يتعلق بالكراهية، إذ لا يكفي أن يكون هذا العدو (العربي والمسلم) حافلاً بمختلف النقائص والعيوب، بل يجب أن يحمل أيضاً قدراً كبيراً من الكراهية العمياء لأصدقائك ، وعلى الأخص للأميركيين.

المبدأ الثالث: لا يكفي أن يكون عدوك مليئاً بالعيوب، ويحمل لك فائق الكراهية، بل لابد أيضاً أن يكون قوياً وقادراً على الإضرار بك. فما الذي يخيف من عدوٍ مهما كان متخلفاً وكارهاً لك، إذا كان ضعيفاً لا يستطيع إيذاءك؟

المبدأ الرابع: وهو على قدرٍ كبيرٍ من الأهمية، أن تحاولَ قدر الإمكان ألا تظهر هذا العدو على أنه مجرد حفنةٍ قليلةٍ من الأشخاص، أو نسبةٍ صغيرةٍ من المسلمين، بعبارةٍ أوضح، يجب أن تبذلَ كل جهدك للقضاء على أي تمييزٍ قد يوجد في ذهن القارئ (والموجود في الحقيقة) بين المسلمين المستعدين للقيام بأعمال

---

[1] جلال الدين أحمد أمين: عالم اقتصاد وأكاديمي مصري، تخرج من كلية الحقوق جامعة القاهرة عام ١٩٥٥، حصل على الماجستير والدكتوراه من جامعة لنـدن. شغل منصب أستاذ الاقتصاد بكلية الحقوق بجامعة عين شمس من ١٩٦٥ – ١٩٧٤ وعمل مستشاراً اقتصادياً للصندوق الكويتي للتنمية من ١٩٧٤ – ١٩٧٨ كمـا عمل أستاذاً زائراً للاقتصاد في جامعة كاليفورنيا من ١٩٧٨ – ١٩٧٩ وأستاذا للاقتصاد بالجامعة الأميركية بالقاهرة من ١٩٧٩ وحتى الآن. ومن أهم مؤلفاته عولمة القهر، وعصر التشهير بالعرب والمسلمين، وخرافة التقدم والتأخر.

[2] للمزيد، انظر صحيفة الحياة الصادرة من لندن في العددين السابقين المنشورين بتاريخ ٢٦ و٢٠٠٣/٧/٢٧.

العنف، وغيرهم من المسلمين، أو بين من يسمون بالمتطرفين والمعتدلين، أو بين الأصوليين وغير الأصوليين.. إلخ" مثل هذا التمييز يضر بقضيتك بالغ الضرر. فالمطلوب أن يخرج القارئ بانطباعٍ سيئٍ عن المسلمين بوجه عام، حتى يمكن ضر م بوجهٍ عامٍ.

المبدأ الخامس: لا تنس أنّ للمسلمين حججاً مضادةً لحججك وبعضها لا يخلو من قوةٍ جعلت الكثيرين يشكّون في سلامة موقفنا، وكسبت للمسلمين والعرب أنصاراً في مختلف البلاد، بما فيها الولايات المتحدة نفسها، إلى درجة أنّ بعض الرجال والنساء الأميركيين والأوروبيين ذهبوا إلى فلسطين لشد أزر المقاومة والدفاع عنهم، بل ودفع بعضهم حياته ثمناً لهذه المؤازرة. فما هي طريقة التعامل المثلى مع هذه الحجج؟ لا تظن أنّ من الأفضل تجاهلها وكأ ا غير موجودةٍ، إذ سيظل البعض يعيدها ويكررها وسيضر هذا بموقفك. الأفضل أن تذكر هذه الحجج وترد عليها، ولكن الأثر النهائي سيتوقّف على طريقة عرضك لهذا الحجج وطريقتك في الرد عليها.

ولعلنا نستطيع بعد كل ما سبق ذكره أن نفهم سبب وصف الأستاذ محمد علي الفرا لبرنارد لويس بأنه **"المستشرق الذي** يحمل **الكثير من الحقد والكره للعرب والمسلمين"[١]**. كيف لا وقد صدر عنه كل ما صدر من حقدٍ وكراهيةٍ وتشويهٍ وتزييفٍ لتاريخ أمتنا وحاضرها ومن طعنٍ في ديننا واتهامه بالتخلّف؟ ومن ذلك قوله **"الإسلام لا يتطور والمسلمون لا يتطورون!!"[٢]** وكان ولا زال يعتقد بأنّ الإسلام مجرد عقيدةٍ لا ساميةٍ وانه مجرد ظاهرةٍ جماهيريةٍ لا سامية!! كان هذا البرنارد من أبرز دعاة الكراهية الغربيين للإسلام والمسلمين وكان يحملُ رسالة أجداده رهبان العصور الوسطى في التحريض على الإسلام وحثّ الغربيين للنهوض لمحاربة أهله وغزو بلادهم والحرص على علاقةٍ صداميةٍ سيئةٍ معهم، حتى قال فيه أكبر أحمد[٣] **"إنّ مفكّراً عرف بعدائه الشديد للإسلام مثل برنارد لويس ظلّ على مدار ثلاثين عاماً يؤثر** في **سياسة أمريكا إزاء الإسلام"[٤]**.

---

(1) الفرا، [م. س]، ص ٩٧.

(2) الفرا [م. س]، ص ٩٨.

(3) مفكر أمريكي مسلم من أصول باكستانية، يعمل مدرساً في كلية الدراسات الإسلامية في الجامعة الامريكية بواشنطن، ويعملُ أستاذاً زائراً في مؤسسة بروكنغـز للبحوث والدراسات الاستراتيجية.أبرز مؤلفاته كتاب "الإسلام في زمن العولمة".

(4) الخولي [م. س].

إنه حيي بن أخطب هذا العصر، اليهودي الذي ما فتئ يثير القيادات العسكرية الغربية ضد الخطر الإسلامي (الأخضر) المزعوم سالكاً درب جده حيي الذي ترأس وفد يهود المدينة المنورة آنذاك إلى مكّة والقبائل العربية، ليحرض قريشاً وأخوا ا على قتال المؤمنين واستئصال شوكتهم من الأرض حتى أفلحوا في جمع القبائل لحرب المسلمين في غزوة الأحزاب (الخندق). "نفس الأمر قام ـ ولم يزل يقم به ـ البروفيسور برنارد لويس وفريقه، إذ لم تكد المؤتمرات الصهيونية التي عقدت في تل أبيب خلال الأعوام ١٩٧٠، ١٩٧٣ تنتهي من مناقشا ا عن طبيعة المواجهة القادمة مع الجبهة الإسلامية حتى أخذ لويس يطلق الصيحات من مكتبه في جامعة لندن في بريطانيا وفي جامعة برنستون في أمريكا، وكانت أولى هذه الصيحات مقالة الشهير بعنوان: "عودة الإسلام The Return of Islam" والذي نشره في مجلة ـ "كومنتري Commentary" التي تصدر في نيويورك ثم أعاد نشره في مجلة "ميدل إيست رفيو" ثم نشره مرةً ثالثةً في مجموعة الأبحاث التي حررها البروفيسور "مايكل كيرتس" في مجلد واحد عنوانه: "الدين والسياسة في الشرق الأوسط" واستمر ـ برنارد لويس ـ منذ ذلك الوقت ينفث في العقل الأمريكي والأوروبي بنفس الصيحات التحذيرية في كتبه التي تطبع أو مقالاته التي تنشر في ا لات والصحف وفي مواقع الإنترنت"[(١)].

ولعلّ هذا الدور الخطير في التحذير من الإسلام وخطره على الغربيين واستنهاض هممهم لمحاربته والقضاء عليه قد لعبه من قبله الرهبان (بطرس الناسك وبرنارد كليرفو وتوما الأكويني، وركلدس دي مونتي كروتشي وريموند لول ونيكولاس الكويسي) ولكن الذي اختلف عند برنارد لويس هو التسمية فقط؛ فبينما كان رهبان العصور الوسطى يستخدمون مصطلحاتٍ مثل "الخطر الإسلامي" و"المسألة الإسلامية" و"التهديد الإسلامي" نرى أن برنارد لويس يستخدم مصطلحاتٍ مثل "الإرهاب الإسلامي" و"التشدد الإسلامي" و"الخطر الإسلامي الأخضر"، (كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ)[(٢)]. وبالعودة للحديث عن مقالة الأستاذ جلال أمين التي شرح وفند فيها كتاب لويس (أزمة الإسلام) نقتبس عبارةً هامةً جرت على لسان لويس قال فيها: "**مشكلةُ المسلمين تنبع من موقفهم من التاريخ؛ إذ بينما يعيش سائر شعوب العالم عدا المسلمين،** في **الحاضر، وينظرون إلى المستقبل، يعيش المسلمون** في **الماضي ... المسلمون لا ينظرون إلى الأمة الواحدة على أنها**

---

(1) الكيلاني [م. س]، ص ٢، بتصرف.
(2) سورة البقرة: الآية ١١٨.

كيانٌ يتكونُ من أديانٍ عدةٍ، بل يرون الدين على أنه ينقسم إلى أممٍ عدةٍ. ترتب على ذلك أن نظرة المسلم إلى غير المسلمين هي أ م "كُفّار"، وطريقة التعامل معهم هي "الجهاد"، أي محاربتهم حتى يتحولوا إلى مسلمين، ومن ثم فالبلاد التي يسكنها غير المسلمين هي في نظر المسلمين "دار حربٍ"، وعلى رأس البلاد التي يجب على المسلمين الجهاد ضدها هي الولايات المتحدة[(١)].

هكذا إذاً فَهم أستاذُ الدراسات الإسلامية وعميد المستشرقين وشيخ دراسات الشرق الأوسط الإسلام هكذا فَهم الإسلام وكانت هذه خلاصة فهمه له بعد أن قام بتدريسه كمادةٍ لطلبة الجامعات لمدةٍ زادت على الخمسة وعشرين عاماً!! ولعمري فإن الظاهر أنّ لويس قد أحاطَ بكُلّ علوم الدراسات الدينية إلاّ الإسلامية منها، وهذا ليس مستغرباً، فإنه من الجلي تماماً أنه قد درس الإسلام بنفس الطريقة التي درسه ا رهبان العصور الوسطى؛ درسه ليبحث فيه عن تناقضاتٍ ومساوئ وسقطات!!! فكانت النتيجة الطبيعية لمثل هذا النوع من الدراسة ما نراه من مؤلفاته الكثيرة التي تخصصت في الطعن في الإسلام والعمل على التخويف والتنفير منه، والصد عنه، وهي ذا ا الأسباب التي لأجلها خط رهبان العصور الوسطى مؤلّفا م!!

نسي لويس، بل تناسى، أنّ الإسلام يؤسس علاقاته مع الدول غير المسلمة على ثوابت منها السلم والأمان وعدم اللجوء إلى الحرب إلا عند الضرورة القصوى، ووجوب الوفاء بالمعاهدات واحترام المواثيق!! نسي لويس أنّ الإسلام إنما جعل الحرب علاجاً لشذوذٍ لم ينفع معه علاج!! وهو عندما ذكر أنّ المسلمين ينعتون غيرهم بـ "الكفّار" فقد تناسى بل غابت عنه الذاكرةُ في أنّ كلّ رهبان وقساوسة وبابوات وحكام العصور الوسطى أطلقوا على المسلمين لفظ ووصف "كفّار"[(٢)]!!!.

يبدو أنّ مرض فقدان الذاكرة المؤقت قد سلط على الرهبان والمُستشرقين فلا يصيب إلاّ هم ولا يؤثر على سواهم حتى أضحى مرضاً دائماً يستدعي اجتماع الخبراء والأطباء للعلاج، نسأل الله العفو والعافية!!!.

لم يختلف برنارد لويس في آرائه المتعلّقة بالإسلام ونبوة محمدٍ ﷺ عن رهبان العصور الوسطى، فقد دأب هذا البرنارد على مهاجمة القرآن الكريم وانتقاده والزعم بأنه "نص مقتبس من الكتاب المقدس وخصوصاً من التوراة. ففي طرحه لمقولة الوحي المزور الكاذب يقول: إنّ بعض العلماء السوفيت يقولون بأنّ القرآن كُتِب في عهد الخلفاء، وقطعاً

---

(1) جلال أمين [م. س]، نقلاً عن كتاب (أزمة الإسلام، حرب مقدسةٌ وإرهاب غير مقدس) لمؤلفه برنارد لويس.
(2) راجع الفصل الأول، المباحث ٥ – ٨، والفصل الثالث، المباحث ٢ - ٨.

هناك علماء آخرون غربيون يعتقدون أيضاً أنّ القرآن كتبه شخص ما وليس منـزلاً عن طريق الوحي"(١). كما يرى لويس "أن القرآن قد اعترف رسمياً بالعصبية القبلية والعنصرية، وبالتفرقة على أساس العرق، واعترف رسمياً بالثأر والقصاص وبنظام العبودية، وأن الإسلام يعترف بالعبودية كنظامٍ اجتماعيٍ ويعلن صراحةً أنّ حقوق السيد لا تتساوى مع حقوق العبد. وفي تحليله لقضية مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان [رضي الله عنه] كتب لويس: "إنّ ادعاء معاوية فيما يتعلق بالأخذ بثأر عثمان كان على أساس عادةٍ عربيةٍ قديمةٍ وهي العادة التي أيدها القرآن الكريم وأكّدها..."(٢)!! **أما بالنسبة لرسول الله ﷺ فيرى لويس "أن الرسول لم يكن مطلقاً بصدد الإقدام على تأسيس دينٍ جديدٍ بل كان يريد فقط أن يكون له كتاب باللغة العربية كوحيٍّ منـزل؛ لأنُ الأمم الأخرى كان لها مثل هذه الكتب طوال التاريخ(٣).**

لقد نصب لويس نفسه مفسراً للكثير من آيات القرآن الكريم وشارحاً للكثير من المصطلحات والمفاهيم الإسلامية، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر فهمه وشرحه للجهاد؛ حيث يشرحه على النحو التالي: **الجهاد هو الحرب المقدسةُ للإسلام،** وهو فريضةٌ دينيةٌ، وهو واجب اجتماعي للجماعة ككُلٍّ، لكنه يصبح واجب كل مسلمٍ في مناطق الحدود وساحات المعارك، أو حيثما يقرر الحاكم أو السلطان أن الوقت قد حان للقيام به، **وهو أيضاً واجب دائم لا يسقط إلاّ حين يدخل العالم كله في الإسلام ... إذن يوجد بين المسلمين وبقية العالم، حسب رأي الفقهاء التقليديين حالةٌ من الحرب تفرضها اعتبارات دينيةٌ وقانونيةٌ، ولا تنتهي حالة الحرب هذه إلاّ عندما يدخل جميع العالم في الإسلام أو يخضع له،** لذا فإن معاهدة سلامٍ بين الدولة الإسلامية ودولةٍ غير إسلاميةٍ كانت مستحيلةً من الناحية الشرعية، فالحرب لا يمكن إ لغاؤها، وإنما يمكن إيقافها لأسباب الضرورة، ولأسبابٍ ذرائعيةٍ فقط، عن طريق الهدنة. وهذا الإجراء في رأي الفقهاء، لا يمكن إلا أن يكون مؤقتاً، ويجب ألا تزيد مدته على عشر سنوات. **ويستطيع المسلمون في أي وقتٍ التنصلُ منه من طرفٍ واحدٍ،** وإن كانت الشريعة تفرض عليهم أن يحيطوا الطرف الآخر علماً قبل استئنافهم للأعمال الحربية"(٤)!!!.

---

(1) مهاجراني، السيد عطاء الله، الإسلام والغرب، ترجمة عادل سويلم، ص ١٣٩، ط١، ٢٠٠٦، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.

(2) المطبقاني، مازن بن صلاح، الاستشراق والاتجاهات الفكريّة في التاريخ الإسلامي ص ١٤٤، ط١، ١٩٩٥ من منشورات مؤسسة الملك فهد الوطنية.

(3) المرجع السابق نفسه، ص ٢٦٣.

(4) لويس، برنارد، السياسة والحرب في تراث الإسلام، ترجمة إحسان العمد وحسين مؤنس ومحمد السمهوري، ص ٢٣٤، ٢٣٥ بتصرف الجزء الأول، ط٣، مـن منشورات عالم المعرفة.

إنّ مكمن الخطورة، حسبما نراه في **برنارد لويس يتمثّل** في **النقاط التالية:**

أولاً: كان أول من أسس ونظر لمقولة "صدام الحضارات"، والدليل على ذلك أنه استخدم هذا المصطلح في عام ١٩٥٧م في دراسةٍ له قدمها إلى المؤتمر الذي نظّمته جامعة جون هوبكنز الأمريكية، والذي عقد تحت عنوان "التوتر في الشرق الأوسط"(١)، حيث أشار لويس إلى أن صدام الحضارات يفسر أسباب الكراهية من قبل دول المنطقة للولايات المتحدة رغم عدم وجود ماضٍ سلبيّ لها مع المنطقة، مؤكداً أنه يمكن استيعاب هذا الفهم حسب كلماته [إذا نظرنا إلى الموقف على أنه ليس صراعاً بين دولٍ أو أممٍ وإنما صدام بين حضارات]. ويعيد لويس في دراسته المشار إليها التأكيد على طرحه مضيفاً أنه في تحليله للأوضاع في المنطقة ومحاولة استيعاب أبعاد الكراهية للسياسة الأميركية إنما حاول أن يرتقي بمستوى النقاش بشأن تناول النزاعات في الشرق الأوسط من مستوى نزاعٍ بين دولٍ إلى مستوى صدامٍ بين حضارات، وهو بالطبع يقصد الصدام بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية. وقد عزز لويس مفهومه هذا من خلال عملين تاليين له هما مقالته الشهيرة حول **جذور الغضب الإسلامي** التي نشرها في "Atlantic Monthly" عام ١٩٩٠ والتي يرى الكثيرون أنها تعد المقدمة الأساسية التي بنى عليها هنتنغتون نظريته في صدام الحضارات، ثم كتاب حول "ثقافات في صراع cultures in conflict" الذي صدر في العام ١٩٩٣.

وفي معرض تقديمه للمفهوم بشأن صدام الحضارات في **"جذور الغضب الإسلامي"** يقول لويس: إنّ زعماء الأصوليين لا يخطئون عندما يرون أن الحضارة الغربية هي أكبر تحدٍّ يواجه أسلوب الحياة الذي يرغبون في انتهاجه أو استعادته لشعبهم ... ويجب أن يكون واضحاً الآن أننا في مواجهة حالةٍ وحركةٍ تتجاوز بكثيرٍ مستوى القضايا والسياسات والحكومات التي تتابعها .. إن هذا ليس أقل من صدامٍ بين الحضارات .. ربما يكون غير عقلانيّ ولكنه بالتأكيد رد فعل طبيعي لمنافسةٍ قديمةٍ ضد تراثنا اليهودي المسيحي وحاضرنا العلماني والامتداد العالمي لكليهما.

---

(١) انظر:

أ. النملة، علي بن إبراهيم، صناعة الكراهية بين الثقافات وأثر الاستشراق في افتعالها، ص ١٣٨، ط١، ٢٠٠٨، دار الفكر، دمشق.

ب. عبد الرزاق، مصطفى، قراءة في التطور التاريخي لنظرية صدام الحضارات، دراسة منشورة في الموقع الإلكتروني لصحيفة البيان الإماراتية، بتاريخ ٢٠٠٨/٧/٥.=

=ج. خليل الصغير [م. س].

د. أنس حسن [م. س].

هـ. بدران بن الحسن [م. س].

و. جلال أمين [م. س].

ويرتب لويس على ذلك نتائج خطيرةً **بقوله: إنه من المُستبعدِ أن تخف حدةُ الكراهية التي يكنها المسلمون إزاء الولايات المتحدة إلا إذا تغير الإسلام نفسه** وهو ما يعني أنه على الولايات المتحدة أن تتخلّى عن التفاهم أو التقرب من المسلمين وإلاّ أسيءَ فهمها إذ قد يفسرون هذا السلوك على أنه علامات ضعفٍ وخشيةٌ تساور أميركا وليس علامات صداقةٍ أوحسن نوايا ... وسيأتي تفصيل القول في نظرية صدام الحضارات في المبحث التالي.

ثانياً: قدم لويس نتائج الاستشراق الديني في صيغٍ عمليةٍ تطبيقيةٍ، وقد تمثلَ ذلك في حمل الكثيرين من الغربيين لآرائه ومعتقداته وتنفيذها على أرض الواقع، حيث ساهمت آراؤه في خلق موجاتٍ متتاليةٍ من الكراهية وأعمال العنف ضد المسلمين، بالذات أولئك الذين يعيشون في الغرب، وما نرى حادثة قتل شهيدة الحجاب المصرية الشابة مروة الشربيني في قاعة محكمة درسدن الألمانية على يد الهمجي الألماني الروسي مندرجةً إلاّ تحت ذلك "فالهمجي الألماني، الروسي الأصل، قاتل المواطنة المصرية الشابة مروة الشربيني في قاعة محكمة، في مدينة درسدن الكبيرة والعريقة،تحت أنظار الشرطة الألمانية، على مرأى من زوج الفقيدة وطفلها ابن السنوات الثلاث لم يطعنها بالسكّين مرةً واحدةً أو خمساً، بل ثماني عشرة مرة، لأنّ مشكلته معها كانت أبعد من مبلغ الـ ٧٥٠ يورو الذي فرضته المحكمة غرامةً ماليةً جراء سلوكه العنصري ضد الشربيني. الأحرى القول إنّ الطعنات الثماني عشرة لم تكن تعبر عن الغيظ من الحكم القضائي، بل كانت تصفي حساباً عتيقاً ضارب الجذور، ضد حجاب السيدة المصرية من حيث الشكل والمظهر؛ وضد ما يسمى تارةً "الإسلام الأوروبي"، وطوراً "الإرهاب المسلم" من حيث المحتوى النطاق الأعرض"[(١)].

إننا نرى في الغرب اليوم مئات بل ألوف المتشنجين والموتورين الذين يعادون الإسلام ويعتدون على المسلمين بعد أن حشت وسائلُ الاعلام الغربية الموجهة كَنسياً واستشراقياً وسياسياً عقولهم بمواد كراهية الإسلام والخوف منه وذلك بوصفه الخطر القادم الجديد الذي يتهددهم وسيسيطر على أوروبا وأمريكا مع ابة القرن الحادي والعشرين!!! وما من شكٍّ في أنّ وسائل الإعلام هذه تستمد مواد الكراهية تلك من الأساتذة المستشرقين في الجامعات، أي بالمختصر المفيد من برنارد لويس وأمثاله. "انظروا، في المثال الأبرز، ما يقوله المستشرق برنارد لويس، في حوار مع صحيفة "دي فيلت" الألمانية [أوروبا سوف تكون جزءاً من المغرب العربي، وليس العكس. لماذا؟ لأنّ التوجهات الحالية

---

(١) صبحي حديدي، الصلة بين مروة الشربيني وبرنارد لويس: صناعة الخطر الأخضر، مقالة منشورة في الموقع الإلكتروني لمة صفحات سورية الإلكترونية بتـاريخ ٢٠٠٩/٧/١٢ بتصرف.

تظهر أنّ أوروبا ستشهد أغلبيةً مسلمةً في اية القرن الحادي والعشرين على أقصى تقدير، وإلى جانب الأعداد المتزايدة من المهاجرين العرب والمسلمين، فإن الأوروبيين يتأخرون في سن الزواج ولا ينجبون سوى عدد قليل من الأطفال، بعكس مسلمي أوروبا الذين يتزوجون في سنٍّ مبكّرةٍ وينجبون عدداً أكبر من الأطفال]. ثم تمعنوا في ما قاله لصحيفة "جيروزاليم بوست" الإسرائيلية اليمينية [يوشك الإسلام على التحول إلى القوة المهيمنة في أوروبا، هذه التي باسم الانضباط السياسي، تنازلت عن خوض معركة الرقابة الثقافية والدينية](1).

ثالثاً: لم يكتفِ برنارد لويس بما سبق، وبما افتعله من الشحن ضد المسلمين بل إنه تمادى وصرح أكثر من مرةٍ بمباركته للحروب الصليبية ودفاعه عنها لأنها حسب رأيه، تقليد ناجح للقضاء على الجهاد. وآخر تصريحاته تلك نشر ا صحيفة "Wall Street Journal" في شهر نيسان من عام ٢٠٠٧، حيث قالت الصحيفة "إنّ "لويس" وصف هجرة المسلمين إلى أوروبا بأ ا هجوم إسلامي على الغرب، ودافع عن الحملات الصليبية معتبراً أ ا تقليد متأخر ومحدود وناجح للقضاء على الجهاد، أدت إلى منع نشر الإسلام في كثيرٍ من مناطق العالم. وأضافت الصحيفة: **إنّ لويس قدم تأييداً واضحاً للحملات الصليبية الفاشلة وأوضح أنّ الحملات الصليبية، على بشاعتها، كانت رداً مفهوماً على الهجوم الإسلامي خلال القرون السابقة، وأنه من السخف الاعتذار عنها.** لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يشير فيها "لويس" إلى الحملات الصليبية باعتبارها ضرورةً، بل محاولةً ناجحةً للحد من نفوذ الحضارة الإسلامية. فبعد وقتٍ قصيرٍ من هجمات ١١سبتمبر كتب "لويس" يقول: إن الحملات الصليبية يمكن وصفها بشكلٍ أكثر دقةً باعتبارها رداً محدوداً ومتأخراً، وفي التحليل الأخير غير فعالٍ، للرد على الجهاد"(٢).

ويكفينا في الختام أن نستذكر قوله "إنّ هدف الإسلام في هذا العصر هو إبادة القوى المركزية في العالم ... لقد شهد المسلمون كيف دمر الرايخ الألماني الثالث [النظام النازي في ألمانيا] إبان الحرب العالمية الثانية ثم شهدوا ا يار الاتحاد السوفياتي، والآن يسعون إلى ا يار الولايات المتحدة الأميركية"(٣)!!.

(1) المرجع السابق نفسه بتصرف.

(2) انظر الموقع الإلكتروني لوكالة الأخبار الإسلامية نبأ www.islamicnews.net بتاريخ ٢٠٠٧/٤/٩ نقلاً عن صحيفة wall street journal.

(3) جريدة الشرق الأوسط، العدد ١٠٣٠٩ بتاريخ ٢٠٠٧/٢/١٨.

ها قد جاوز برنارد لويس الثالثة والتسعين ودخل في خريف العمر منتظراً سقوط ورقته، والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: أرأينا إن كان هذا البرنارد قد مات أو قُتِل فهل ستنتهي موجات الكراهية التي أثارها؟ وهل ستعود العلاقات طيبةً بين الشرق المسلم والغربي المسيحي من جديد؟؟ الجواب هو قطعاً لا، والدليل على ذلك أنّ موجات الكراهية التي أثارها أسلافُه وأجداده السالفون من المُستشرقين الرهبان لم تمت بموتهم ولم تنتهِ برحيلهم بل إنّ "إعادة عزف تلك الأسطوانة المكرورة ذاتها، حول انقلاب الإسلام إلى عدوٍّ أولٍ، أو أوحدٍ، للغرب، وأنه اليوم الخطر الأخضر الذي حلّ محلّ الخطر الأحمر في أحقاب الحرب الباردة. ورغم تكرارها وإعادة عزفها، فإن هذه الأسطوانة لا تبدو وكأنها صارت مملّةً في أسماع قطاعاتٍ واسعةٍ من أبناء الغرب، بل على العكس: تزداد جاذبيةً، وقدرةً على التحريض، كُلّما تكرر عزفها"[1].

نعم، لم ينته الاستشراق الديني الذي بدأته الكنيسة الغربية ورهبانها قبل مئات السنوات ولم يمت، ولكنه لبس أثواب العولمة وأختبأ في قولباتٍ سياسيةٍ اجتماعيةٍ وأخذ يجري في عروقٍ جديدةٍ وبدماء جديدةٍ، التقت بشتى منابتها وأصولها على محاربة الإسلام والطّعن في نبوةِ محمدٍ ﷺ، وما كان برنارد لويس يوماً إلا عينةً من هذه العروق والدماء...

---

(1) حديدي [م. س].

المبحث الخامس

صامويل هنتنغتون

لم يكن صامويل هنتنغتون[1] شخصيةً معروفةً أو مشهورةً في ا تمع الأمريكي بالرغم من أنه كان يدرس العلوم السياسية والعلاقات الدولية في جامعة هارفارد ويشغل منصب مدير معهد جون ألين.

ولكن شهرته بدأت تظهر، وصيته يذيع بعد أن ذكر نظرية صدام الحضارات التي عبر عن فكر ا الرئيسية في "محاضرة له في مؤسسة بروك في واشنطن في أوائل التسعينات، ثم نشر مقالته في عام ١٩٩٣ في الدورية الذائعة الصيت للشؤون الخارجية (Foreign Affairs) [٢] التي تعبر عن ا لمس الأمريكي للشؤون الخارجية، وعلى الرغم من أنّ الأخير يعد منظمةً غير حكومية، إلا أنّ تأثيره (المباشر وغير المباشر) في توجيه السياسة الخارجية الأمريكية، وحتى في تشكيل أفكار بعض أعضاء الصفوة العالمية معروفة للجميع. ثم أردف هنتنغتون نشر المقالة بإصدار كتابٍ كاملٍ حول الموضوع نفسه بعد ثلاث سنوات"[٣].

يتكون كتاب هنتنغتون "صدام الحضارات[٤]، إعادة صنع النظام العالمي الجديد" من خمسة أجزاءٍ تحتوي على إثنى عشر فصلاً؛

ففي الجزء الأول: يرى المؤلف بأنه ولأول مرةٍ في التاريخ فإنّ السياسة العالمية هي في آنٍ واحدٍ متعددة الأقطاب ومتعددة الحضارات وأنّ التحديث مختلف عن الغربنة.

وفي الجزء الثاني: يتحدث عن توازن القوى بين الحضارات الآخذ في التغير؛ فالغرب يتقهقر في نفوذه النسبي، والحضارات الآسيوية تقوم بتوسيع قواها الاقتصادية والعسكرية والسياسية، والإسلام يتفجر سكانياً تفجراً مصحوباً

---

(1) صامويل فيليبس هنتنغتون (ولد ١٩٢٧/٤/١٨ وتوفي في ٢٠٠٨/١٢/٢٤) استاذ علوم سياسية اشتهر بتحليله للعلاقة بين العسكر والحكومة المدنية، وبحوثـه في انقلابات الدول، ثم أطروحته بأن اللاعبين السياسيين المركزيين في القرن الحادي والعشرين سيكونون الحضارات وليس الدول القومية. كما استحوذ علـى الانتبـاه لتحليله للمخاطر على الولايات المتحدة التي تشكلها الهجرة المعاصرة. درس في جامعة يال، وهو استاذ بجامعة هارفارد.
عاش هنتنغتون ٨١ عاما منها ٥٨ عاماً يدرس لطلبته العلوم السياسية والعلاقات الدولية بجامعة هارفارد منذ أن كان عمره ٢٣ عاماً، حيث تخرج من جامعـة يـال العريقة وعمره ١٨ عاماً، وألّف وشارك في تأليف ١٧ كتاباً و٩٠ مقالاً علمياً. ورغم علمه الغزير لم تأت شهرته إلا من كتابه "صدام الحضارات" الذي تـرجم إلى الكثير من اللغات.

(2) للمزيد انظر النص الكامل للمقالة في موقـع ا لـة المـذكورة الإلكتـروني www.Foreign Affairs.com تحـت عنـوان The Clash of civilizations.

(3) قرني، جت، العلاقة بين الفكر والسياسة كما تظهر في نظرية صدام الحضارات، وهذه الدراسة هي الفصل الرابع من كتاب "صناعة الكراهية في العلاقات العربية الأمريكية"، الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية ط٣، شهر أيار لعام ٢٠٠٧، بيروت.

(4) هنتنغتون، صامويل فيليبس، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي الجديد، ترجمة طلعت الشايب، ط١، ١٩٩٨، دار سطور للنشر، القاهرة.

بنتائج عدم الاستقرار للدول الإسلامية وجارا ا والحضارات غير الغربية بشكل عام، وهي الآن تؤكّد مرةً أخرى قيمة ثقافا ا.

وفي الجزء الثالث: تحدث هنتنغتون عن انبثاق النطاق العالمي الذي أساسه التنوع الحضاري. فهناك مجتمعات تتقاسم روابط ثقافية تتعاون مع بعضها البعض، والدول تجمع نفسها حول الدول الأساسية أو الرائدة أو الكبرى من نفس حضار ا.

ويؤكد المؤلف في الجزء الرابع: على دعاوى العالمية والإنسانية التي يطرحها الغرب والتي تضعه بشكلٍ متزايدٍ في صراعٍ مع الحضارات الأخرى، وبشكلٍ أكثر خطورةً مع الإسلام والصين، وعلى المستوى الإقليمي حروب خطوط الصدع والتي تقع بشكلٍ رئيسي بين المسلمين وغير المسلمين.

وفي الجزء الخامس والأخير: يؤكد هنتنغتون على أن استمرار حياة الغرب تعتمد على الأمريكيين، وهم يعيدون تأكيد هويتهم الغربية، وعلى سكان العالم الغربي وقد هيؤوا حضارا م على أ ا متميزةٌ وليست عالميةً، وقد اتحدوا لغرض تجديدها وصيانتها ضد التحديات من ا تمعات غير الغربية.

هذا "وقد شغل كتاب "صدام الحضارات" الجماهير والمثقّفين منذ أكثر من عشر سنوات، فكتبت تعليقات ضد صاحب أطروحة صدام الحضارات برفضها، ومنها ما يؤيدها بصورةٍ صريحةٍ أو ضمنيةٍ، ومنها من يقترح بديلاً عنها حوار الحضارات، بما أن العرب من أكثر المستهدفين في هذا العالم الجديد، ولنشر الوعي ذه الأطروحة الخطيرة التي باتت تؤثر على مسار الأحداث في العالم وخاصةً منطقة الشرق الأوسط"[1].

وحتى لا يضيع الكلام في التعريفات والتقسيمات فمن المستحسن البدء في عرض مضمون هذه النظرية "الخبيثة" وما تضمنته من تصوراتٍ وتنبؤاتٍ.

---

(1) عبد العاطي، صلاح، قراءة نقديةٌ في كتاب صدام الحضارات، دراسة مطولة منشورةٌ على الموقع الإلكتروني لمجلة الحوار المتمدن الإلكترونية العدد ٢٠٢٣ بتاريخ ٢٠٠٧/٨/٣٠ وعنوا ا www.ahewar.org.

يفترض هنتنغتون[1] أن البعد الرئيسي والأكثر خطورةً في السياسة الكونية، سيكون الصدام بين جماعاتٍ من حضاراتٍ مختلفةٍ، وأن نظاماً عالمياً يقوم على الحضارات هو الضمان الأكيد ضد حربٍ عالميةٍ، وأن الثقافة، والهويات الثقافية، هي التي تشكّل أنماط التماسك والتفسخ والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة، ويرجح "هنتنغتون" أن العلاقات بين الدول والجماعات غالباً ستكون علاقاتٍ عدائيةً، وهناك أخرى أكثر عرضةً للصراع من غيرها. ويرى أنه على المستوى الأصغر، ستكون أشد خطوط التقسيم الحضاري عنفاً، هي تلك الموجودة بين الإسلام وجيرانه الأرثوذكس، والهندوس، والأفارقة، والمسيحيين الغربيين. أما على المستوى الأكبر، فإن التقسيم السائد هو بين الغرب والآخرين، **وأن أشد الصراعات القائمة هي بين المجتمعات الإسلامية وبعضها من جهةٍ، وبين المجتمعات الإسلامية والغرب من جهةٍ أخرى،** ومن المحتمل أن تنشأ أخطر الصراعات في المستقبل، نتيجة تفاعل (الغطرسة الغربية، والتعصب الإسلامي،والتوكيد الصيني). **ويضع هنتنغتون احتمالية نشوب حربٍ مجتمعيةٍ باردةٍ بين الغرب والإسلام تقف فيها أوروبا على خط المواجهة. وهذا التطور له علاقة بالعلمانية، وقيم العلمانية، مقابل القِيم الدينية، وله علاقةُ الخصوصية التاريخية بين المسيحية الغربية، والإسلام، وبالغيرة أيضاً من القوة الغربية، والاستياء من السيطرة الغربية الناجمة عن بنية الشرق الأوسط السياسية، بعد زوال الاستعمار، والشعور بالمرارة والامتهان نتيجة المقارنة البغيضة بين إنجاز الحضارتين الغربية والإسلامية، في القرنين الأخيرين. كما أنّ حرباً مجتمعيةً باردةً على الإسلام، سوف تساعد على تقوية الهوية الأوروبية بشكلٍ عامٍ، في وقتٍ حاسمٍ بالنسبة للوحدة الأوروبية،** ومن هنا قد يكون هناك مجتمع في الغرب مستعِد، ليس لدعم حربٍ مجتمعيةٍ باردة على الإسلام فقط، بل لتبني سياسةٍ تشجع على هذا الحرب!!!

ومن الواضح أنّ أبرز ما تضمنته هذه النظرية فيما يتعلّق بالإسلام والحضارة الإسلامية ما يلي[2]:

---

[1] انظر:

أ. النص الكامل للمقالة منشور على الموقع التالي

www.foreignaffairs.com/articles/48950/samulephuntington/theclashofcivilizations

ب. خضر، لطيفة إبراهيم، الإسلام في الفكر الغربي، ص ٧١، ٧٢ بتصرف، ط١، ٢٠٠٢، دار علا للنشر والتوزيع.

ج. الدباغ، مصطفى، الإسلام فوبيا عقدة الخوف من الإسلام، ص ١٠٥، ١٠٦ بتصرف، ط١، ١٩٩٩، دار الفرقان، عمان.

د. قرني، بهجت، [م. س]، ١٨١ – ١٩٥ بتصرف واختصار.

هـ. عبد العاطي صلاح، [م. س].

و. الموسوعة الحرة ويكيبيديا، أنظر مادة صامويل هنتنغتون.

ز. محمد يحيى، صراع الحضارات أم هيمنة الحضارة الغربية، مقال منشور على موقع الموسوعة الشاملة الإلكتروني www.islamport.com.

[2] الدباغ [م. س] ص ١٠٧.

أولاً: إن للحضارة الإسلامية حدوداً دموية (Islam has bloody borders) فهي في صراعٍ مع كلّ من يجاورها من الحضارات في آسيا وأفريقيا وأوروبا، كالصراع الإسلامي مع الصرب الأرثوذكس في البلقان ومع الهندوس في الهند ومع اليهود في إسرائيل(!!).

ثانياً: إن الإسلام والمسلمين هم الأعداء حيث ستنفجر معارك المستقبل على الخطوط التي تفصلهم عن الغرب. والبؤرة المركزية للصراع في المستقبل القريب سوف تكون بين الغرب وبين تحالف الحضارتين الإسلامية والكونفوشية وهو التحالف الذي بدأ يظهر كرد فعلٍ لهيمنة الغرب وليجابِه مصالحَ الغرب وقيمه ونفوذه.

واضحةٌ تماماً خطورة الدور الذي لعبه صاحب هذه النظرية في تحريض الغرب على الإسلام والمسلمين، ولعلّ خطورة هذا الرجل (زميل برنارد لويس في التدريس) تكمن" في تقديمه لفكرة التحريض على الإسلام على شكل نظريةٍ فكريةٍ متكاملةٍ وفق منهج التاريخ السياسي والعلاقات الدولية؛ حيث نراه يحلل الماضي ذه النظرية ويفسر ا الحاضر ويتنبأ ا لمُستقبلٍ يقرره ويتأكّد من قوعه"!!![1] وحتى لا يكون وصفنا لهنتنغتون بالحرص على الإسلام مجرد ا امٍ باطلٍ لا دليل له، فإننا سنسوق هنا ملخصاً لما وصفه بـ (الحقائق عن الحضارة الإسلامية) التي ضمنها في كتابه السابق، وسنجملها في ست عشرةَ نقطةً هي[٢]:

١. تنتشر المسيحيةُ أساساً عن طريق التحول، أما والإسلام فينتشر عن طريق التحول والتناسل .. وعلى المدى الطويل سينتصر محمد ديموغرافياً.

٢. الأصوليون الإسلاميون في العالم كلّه هم وحدهم الذين يرفضون التحديث والتغريب معاً.

٣. النمو السكاني في الدول الإسلامية يقدم مجندين جدداً للأصولية والإرهاب والتمردِ والهجرة.

٤. الإسلام لا يقدم بديلاً للحداثة الغربية.

٥. المشكلة المهمة بالنسبة للغرب ليست الأصولية الإسلامية بل الإسلام، فهو حضارةٌ مختلفةٌ وشعبها مقتنع بتفوق ثقافته، وهاجسه هو ضآلة قُوتِهِ.

---

(1) المرجع السابق نفسه ص ١٠٤، بتصرف.

(2) انظر:

أ. قرني [م. س] ص ١٧٩ – ١٩٤ بتصرف.

ب. الدباغ [م. س] ص ١٠٥، ١٠٦.

ج. عبد العاطي [م. س] ص ٢ – ٥ بتصرف.

٦. رفض المسلمون كل شيءٍ يظنون أنه ضد الإسلام حتى ولو كان التحديث، وهم يفضلون تخلفاً مع إسلامٍ قويّ على تحديثٍ يظنون إنه يضعِف الإسلام.

٧. لم يعد الهدف تحديثَ الإسلام بل أسلمة الحداثة عبر الصحوة الإسلامية.

٨. الدين يتسلّم زمام الآيدولوجية، والقومية الدينية تحل محل القومية العلمانية.

٩. كانت العلاقات دائماً عدائيةً بين المسلمين وشعوب الحضارات الأخرى.

١٠. صراع القرن العشرين بين الديموقراطية الغربية والماركسية ليس سوى ظاهرةٍ سطحيةٍ زائلةٍ إذا ما قورن بعلاقة الصراع العميق بين الإسلام والمسيحية.

١١. مِن المرجح أن تكون علاقات الغرب بالإسلام والصين متوترةً على نحوٍ ثابتٍ وعدائيةً جداً في معظم الأحيان.

١٢. الصحوة الإسلامية تيار عام وليست تطرفاً، متغلغلةٌ وليست منعزلةً. وقد أثّرت الصحوة على المسلمين في كلّ دولةٍ، وعلى معظم جوانب ا تمع والسياسة في معظم الدول الإسلامية.

١٣. الإسلام هو الحضارة الوحيدة التي جعلت بقاء الغرب موضع شكٍّ، وقد فعل ذلك مرتين على الأقل.

١٤. لمدة ما يقرب من ألف سنةٍ، منذ دخول العرب إسبانيا وحتى الحصار التركي لفينا، كانت أوروبا تحت ديدٍ مستمرٍ من الحضارة الإسلامية.

١٥. المسلمون في كل انحاء العالم يشعرون بالإحساس المُسكِر بالقوة.

١٦. في أمريكا جرى استطلاع واسع للرأي تناول ٣٥٠٠٠ مثقّفٍ امريكيّ لديهم إلمام بالشؤون الخارجية وكان السؤال: هل الصحوة الإسلامية خطر على الغرب؟ وجاءت الإجابة بنعم من ٦١% ممن شاركوا في هذا الاستطلاع.

من الواضح أن هذا الهنتنغتون لا يرى المسلمين داخل أطر الحضارة ولا حتى داخل الأطر الإنسانية، فهم دون البشر، في نظره، وما ذلك إلاّ لأنهم كما يراهم، أعماه الله، عدوانيون إلى درجة الإرهاب ومتخلّفون إلى درجة البربرية، وللتدليل على ذلك نراه في كتابه السابق يسوق العديد من الإحصائيات والأرقام منها:

أولاً: خمسون بالمائة من الحروب بين ثنائياتٍ من الدول ذاتِ أديانٍ بين عامي ١٨٢٠م و١٩٢٩م كانت حروباً بين مسلمين ومسيحيين، وفي منتصف التسعينات كان نصف عدد الصراعات العرقية في العالم بين المسلمين ممن يحاربون بعضهم البعض أو يحاربون غير المسلمين.

ثانياً: في منتصف التسعينات كان هناك تسعة عشر صراعاً بين المسلمين والمسيحيين من مجمل ثمانيةٍ وعشرين صراعاً بين المسلمين وغيرهم عبر حروب خطوط التقسيم الحضاري.

ثالثاً: في كل العالم على امتداد حدود الإسلام نجد أن المسلمين لهم مشكلات في العيش مع جيرا م بسلام.

رابعاً: شارك المسلمون في ستةٍ وعشرين صراعاً من إجمالي خمسين صراعاً عرقياً سياسياً في الفترة ما بين ١٩٩٣م و١٩٩٤.

خامساً: كانت هناك صراعات بين مسلمين وأطرافٍ أُخرى من حضاراتٍ أخرى ثلاثة أمثال ما كان بين كلّ الحضارات غير الإسلامية، كما كانت الصراعات داخل الإسلام نفسه كثيرةً وأكثر مما يدور داخل أيةِ حضارةٍ أخرى.

سادساً: الصراعات التي كان المسلمون طرفاً فيها كانت دائماً كثيرة الضحايا، والصراعات الستةُ الكبرى التي زاد ضحاياها عن مائتي ألف قتيلٍ كان ثلاثةٌ منها بين مسلمين وغير مسلمين.

سابعاً: حددت صحيفة نيويورك تايمز ثمانيةً وأربعين موقعاً كان يدور ا تسعةٌ وخمسون صراعاً عرقياً عام ١٩٩٣م، وقد كانت نصف هذه الصراعات بين مسلمين وغير مسلمين أو بين المسلمين أنفسهم.

ثامناً: حسب المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية، فإنّ اثنين وعشرين صراعاً مسلّحاً وقعت عام ٢٠٠٠م، وقد كان المسلمون طرفاً في أكثر من ثلث هذا العدد رغم إ م يشكّلون خمس سكان العالم فقط.

تاسعاً: في تقريرٍ مسحي لة "الإيكونومست" كان المسلمون مسؤولين عن ١٢ من أصل ١٦ من حوادث الإرهاب الدولية الرئيسية في الفترة من ١٩٨٣ حتى ٢٠٠٠.

إنّ نظرةً سريعةً تلقى على الإحصائيات (المشكوك في صحتها) التي ذكرها هذا الصامويل لكفيلةٌ بأن يخرج قارئُها بخلاصةٍ واحدةٍ وهي أنّ الإسلام يرعى العنف ويشجعه وأنه انتشر بقّوة السيف والسلاح، وأنّ المسلمين إرهابيون عنيفون لا يعترفون بحق الحياة لغير المسلم، وذلك لكونه كافراً!!! ولعلّ هذه الخلاصة لا تقع بعيداً عما كان

برنارد لويس قد قاله واتهم الإسلام والمسلمين به من قبل!!! لقد تناسى هذا الصامويل أنّ حكومة الولايات المتحدة الأمريكية راعية الحرية والإنسانية في العالم. قد قتلت خلال أربعة أيامٍ ما مجموعه ٢١٠ ألاف شخص في اليابان وحدها عندما وافقت على إلقاء قنبلتين نوويتين على مدينتي ناغازاكي وهيروشيما!! كما تناسى أن الحرب العالمية الثانية التي شنتها دول الغرب (الديموقراطي المتحضر) قد حصدت أرواح ستين مليون شخصاً!! كما تناسى أنّ الدول المتحضرة الأمريكية والأوروبية قد أبادت ما يزيد على خمسمائة قبيلةٍ من قبائل الهنود الحمر السكّان الأصليين للبلاد الأمريكية وزاد مجموع القتلى خلال تلك الفترة عن ١١٢ مليوناً من الهنود!!. كما تناسى وهو يتحدثُ عن قتال المسلمين لبعضهم البعض عشرات الألوف من القتلى البروتستانت الذين سقطوا على يد الكنيسة الكاثوليكية في باريس في القرن الرابع عشر!! وأخيراً فيبدو أن هذا الصامويل قد تناسى عشرات الألوف من القتلى المسلمين الأبرياء العزل ا ردين من السلاح في الأندلس على يد محاكم التفتيش الكنسية لأنهم رفضوا الدخول القسري في المسيحية!!!.

لسنا في معرض الرد على هنتنغتون ومناقشته في هذه الدراسة ولكن وقاحته وتزييفه وتحامله على الإسلام وتحريضه على المسلمين قد تجاوز كل الحدود، نقول هذا ونحن نعلم أنّ الرجل كان صاحب حجةٍ ودرايةٍ وعلمٍ ولكنه، وللأسف، كان من الذين يحبون تغييب الحقيقة عندما يتعلّق الأمر بالإسلام، الخطر القادم، والعدو الأوحد والخطر الأخضر الذي يتهدد حياة الحضارة الغربية!!!

لم يتوقّف هنتنغتون عند ذكر الإحصائيات السابقة التي تتعلّق بالعنف الإسلامي بل إنه ذكر في الصفحات التالية من كتابه السابق ما سماه "أسباب العنف الإسلامي" والتي يراها هنتنغتون نابعةً من العناصر السبعة التالية:

أولاً: يمجد الإسلام القتالَ وقد انتشر بالسيف، ونبي الإسلام محمد كان مقاتلاً وقائداً عسكرياً ماهراً.

ثانياً: تعاليم الإسلام تنادي بقتال غير المؤمنين، كما أنّ مفهوم اللاعنف غائب عن الفكر والممارسة الإسلامية.

ثالثاً: وضع انتشار الإسلام المسلمين في احتكاكٍ مباشرٍ مع شعوبٍ مختلفةٍ، ولا زال ميراث هذه الاحتكاكات موجوداً.

رابعاً: عند المسلمين عدم قابليةٍ لهضم غير المسلمين، ويتجلّى ذلك في وجهين؛ فالدول الإسلامية لها مشكلات مع الأقلّيات غير المسلمة، والأقليات المسلمة في الدول غير الإسلامية، لها مشكلات مع تلك الدول.

خامساً: الإسلام عقيدةٌ مستبدةٌ أكثر من المسيحية، وهو يمزج بين الدين والسياسة ويضع حداً فاصلاً بين دار الإسلام ودار الحرب.

سادساً: الانفجار السكانيّ والفقر والفساد والاستبداد في الدول الإسلامية.

سابعاً: عبر العالم الإسلامي، خاصةً فيما بين العرب يوجد إحساس قوي بالحزن والاستياء والحسد والعدوانية تجاه الغرب وثروته وقوته وثقافته.

ليس من قبيل المبالغة القول إنّ كتاب صامويل هنتنغتون يكاد يكون أخطر كتابٍ يشوه صورة الإسلام ويحرض عليه في القرن الماضي كلّه، خصوصاً إذا ما علمنا أنه "وحتى نهاية التسعينات ترجم الكتاب إلى ستٍ وعشرين لغةً، وبيعت منه ملايين النسخ، وعقدت الندوات والمؤتمرات في مختلف أنحاء العالم لمناقشة موضوع "صراع الحضارات"، وأدلت المنظمات الدولية بدلوها في الموضوع نفسه"[(١)].

نعم لقد أمعن هذا الصامويل في **الترويج لفكرة السيف والعنف** في **الإسلام، وذلك بهدف** تخويف **الناس منه وصدهم عنه، وهي ذات الفكرة** التي **انطلق منها رهبان العصور الوسطى** في **كل دراساتهم للإسلام، "هناك محاجةٌ أن الإسلام كان ديناً للسيف منذ البداية، وأنه** يمجد **فضائله القتالية. الإسلام نشأ** بين **قبائل بدويةٍ رحلٍ متأخرة، هذه النشأة العنيفة مطبوعةٌ** في **أساس الإسلام، يذكر عن** محمدٍ **[عليه الصلاة والسلام] نفسه أنه مقاتلاً عنيفاً وقائداً عسكرياً ماهراً (لا أحد يستطيع أن يقول ذلك عن** المسيح **أو بوذا). تعاليم الإسلام كما يقال تنادي بقتال** غير المؤمنين **به، وعندما تراجع التوسع الأول للإسلام كانت** الجماعات **الإسلامية** على **عكس ما تقول به التعاليم،** تحارب **بعضها البعض. نسبةُ "الفتنة" أو الصراعات الداخلية** إلى **"**الجهاد**" تحولت** إلى **حد** كبيرٍ **لصالح** **الأولى. القرآن وغيره من الإفادات** في **المعتقدات الإسلامية** يحوي **القليل** مما يحض **على** تحريم **العنف، كما أن مفهوم اللاعنف غائب عن الفكر والممارسة الإسلامية"[(٢)].**

لقد أمضى هنتنغتون حياته ينفخ في عقول الغربيين أنّ الإسلام هو دين العنف والحرب وأنّ صداماً وشيكاً بينه وبين الحضارة الغربية سيقع، وقد شاء الله تعالى لهذا الهنتنغتون أن يموت في قطاع غزة المحاصر بتاريخ ٢٠٠٨/١٢/٢٤، ومن العجيب في الموضوع "أنّ بيان جامعة هارفارد الذي نعى هنتنغتون جاء فيه أنه مات في ملجأٍ للمسنين دون ذكر اسم هذا الملجأ، وهو الأمر الذي الذي نفاه الناطق باسم الجيش الإسرائيلي باللغة العربية في تبريره

(1) قرني [م. س] ص ١٩٥.
(2) هنتنغتون [م. س]، ص ٤٢٦.

للقصف العسكري الإسرائيلي لمدينة غزة بذريعة الحرب على الإرهاب آنذاك"[1]. مات هنتنغتون ورحل، وبقيت خلفه نظريته، نظرية الكراهية والتحريض، تحثّ الغربيين على مزيدٍ من الكراهية للإسلام وتبثّ فيهم هواجس الخوف منه كل حين.....

(1) الطويسي، باسم، موت هنتنغتون في غزة، مقال منشور في جريدة الغد الأردنية بتاريخ ٢٠٠٨/١٢/٣١.

المبحث السادس

دانيال بايبس

يعتبر دانيال بايبس[1] من أبرز الذين وظّفوا الاستشراق الديني في صنع الكراهية بين الشرق والغرب،وعلى وجه الخصوص بين ثقافة الإسلام والثقافة الغربية.ولا عجب في ذلك فهو من أكثر تلاميذ برنارد لويس إخلاصاً له ولآرائه ولمعتقداته "وقد عده فاضل الربيعي من المستشرقين الإستعماريين"[٢]. يعتبر بايبس مؤسس نظرية "الرعب الإسلامي". وقد برع في الكتابة والتأليف، كما برع في التحدث والمحاورة وإلقاء الخطب الحماسية، وقد كتب ونشر آلاف المقالات في الصحف الأمريكية والأوروبية والإسرائيلية. كما قام بتأليف ونشر إثني عشر كتاباً كان أبرزها أربعة تتعلّق بالإسلام والمسلمين وهي:

١. الإسلام الجهادي العسكري [المتطرف] يصلُ أمريكا Militant Islam Reaches America وقد نشِر في عام ٢٠٠٢.

٢. قضية رشدي The Rushdie Affair وقد نشر في عام ١٩٩٠.

٣. في الطريق إلى الرب: الإسلام والقوة السياسية In the path of God: Islam and Political Power وقد نشر عام ١٩٨٣.

٤. الجنود العبيد والإسلام Slave Soldiers and Islam وقد نشر في عام ١٩٨١.

ولئن كانت مقولةُ "قد يتفوّق التلميذ على أستاذه أحياناً" تتسم بالطابع النظري في الأغلب الأعم إلا أ ا تجسدت في دانيال بايبس عملياً حيث تفوق على أستاذه برنارد لويس في إثارة الكراهية ضد الإسلام والمسلمين، ولعل

---

(1) دانيال بايبس: ولد في ولاية بوسطن الأمريكية في ١٩٤٩/٩/٩. وهو مؤلف ومؤرخ أمريكي، نشر له إثنا عشر كتاباً. حصل على شهادة البكـالوريوس (عـام ١٩٧١) وشهادة الدكتوراه (عام ١٩٧٨) من جامعة هارفارد، والاثنتان في التاريخ. قضى ست سنوات في الدراسة خارج الولايات المتحدة، منها ثـلاث سـنوات بمصر. بايبس يتحدث الفرنسية ويقرأ العربية والألمانية. قام بالتدريس في جامعة شيكاغو وجامعة هارفارد وكلية الحرب التابعة لبحرية الولايات المتحدة.عمل في خدمة حكومة الولايات المتحدة بصور عديدة مختلفة، شغل منصب نائب رئيس هيئة فولبرايت للمنح الدراسية للطلاب الأجانب وعضو مجلس إدارة معهد الولايات المتحدة للسلام. كان مديراً لمعهد السياسة الخارجية في الفترة من ١٩٨٦ إلى ١٩٩٣. وتقول سيرته الذاتية المنشورة على موقعة الإلكتروني: كان السيد بايبس واحـداً مـن المحللين القلائل الذين أدركوا ما يمثله الإسلام الجهادي العسكري من ديد "وهو الأمر الذي أغفله معظم الغربيون" وهو كتب في ١٩٩٥، "لقد تم إعلان الحرب من طرف واحد على أوروبا والولايات المتحدة" وذكرت صحيفة البوسطن جلوب: لو أن تحذيرات بايبس كان قد تم الانتباه لها ربما ما وقعت هجمات الحادي عشر من سبتمبر.

(2) النملة [م. س] ص ١٣٢، نقلاً عن فاضل الربيعي في كتابه "ما بعد الاستشراق: الغزو الأمريكي للعراق وعودة الكولونيات البيضاء"، ص ١٣.

مضامين ومحتويات موقعه الإلكتروني[١] خير شاهدٍ على ذلك. لقد رصدت هذه الدراسةُ مائتين وخمسين مقالةً من بين تلك التي نشرها بايبس على موقعه الإلكتروني ما بين الأعوام ٢٠٠١ – ٢٠٠٩ كما رصدت كل ما يبثه هذا الموقع من مقابلاتٍ متلفزةٍ وإذاعيةٍ وصحفيةٍ كان بايبس طرفاً فيها. وهذا الموقع يغطّي كل ما قدمه بايبس وأنتجه من أعمالٍ من نهاية السبعينات من القرن الماضي حتى عام ٢٠٠٩، ويشتمل الموقع على تصنيفاتٍ للمقالات المعروضة أبرزها التصنيفات التالية:

١. الإسلام الجهادي العسكري.

٢. الإسلام في الغرب.

٣. الإسلام في أمريكا.

٤. الإرهاب: أ. الحرب على الإرهاب. ب. هل نوقف الإرهاب.

"يعتبر بايبس من أخبث الشخصيات المعادية للعرب والمسلمين في أمريكا. ويحظى دائماً بتغطيةٍ إعلاميةٍ وديةٍ واسعةٍ. وقد كافأ "جورج بوش" بايبس على جهوده في إشاعة الكراهية ضد العرب والمسلمين بتعيينه في المعهد الأمريكي للسلام، ووجود بايبس في ذلك المعهد يجعل من تسمية ذلك المعهد من المفارقات العجيبة في هذا الزمان"[٢].

ولعلّ الوصف الذي أُطلِق على بايبس بأنه من أخبث الشخصيات المعادية للعرب والمسلمين يعبر تمام التعبير عن واقع بايبس وماضيه وحقيقة موقفه المعادي دوماً للإسلام والمسلمين، وهو يردد شبهات رهبان العصور الوسطى حول الإسلام ويحاول أن يلصق به تهمة الإرهاب والعنف والتطرف وعدم احترام رأي الآخر، وما ذلك إلاّ للتخويف منه والصد عنه. وسنعرض تالياً مجموعةٍ من مقالاته ودراساته التي تثبت وبكلّ صراحةٍ ووضوحٍ طبيعة التيار الحاقد المعادي للإسلام الذي يتزعمه هذا البايبس كما تبرز حقيقة الدور الذي يلعبه في التخويف من الإسلام والصد عنه ....

أولاً: في مقالته الطويلة **"الإسلام الراديكالي[٣] المتطرف ضد الحضارة"**[٤] والتي هي في أصلها نص لحواره مع عمدة لندن "كين لفنجستون" في ٢٠٠٧/١/٢٠ يوضح بايبس موقفه من نظرية صدام الحضارات قائلاً: دعني أبدأ

---

(1) www.danielpipes.org

(2) بايبر، مايكل كولينز، كهنة الحرب الكبار، ترجمة عبد اللطيف أبو البصل، ص ٢٥٣، ط١، ٢٠٠٦، مكتبة العبيكان، الرياض.

(3) يقصد بذلك الإسلام المتطرف المتشدد. **والراديكالية** هي النزعة إلى إحداث تغيراتٍ متطرفةٍ في الفكر والعادات السائدة.

(4) لقراءة النص الكامل للمقالة "Radical Islam vs. civilization" بقلم "Daniel Pipes" انظر موقع Frontpagemagazine.com أو موقع www.danielpipes.org مقالة رقم ٤٩٩٥.

بموقفي من سؤال أو مسألة الحضارة العالمية أو صراع وصدام الحضارات. واحد: أنا مع الحضارة العالمية وأنا أرفض مقولة أو أطروحة "اشتباك أو صدام الحضارات" إثنان: المشكلة ليست في المقام الأول صراع حضارات، وإنما هي صراع واشتباك الحضارة والهمجية، لذلك يكون السؤال: هل يمكن أن توجد مثل هذه الحالة الحضارية على مستوى عالمي؟ يمكِن أنْ توجد، بقدر ما يواجِه أولئك المُتحضرون غير المتحضرين. إن أساس وجود الحضارة العالمية هو اتحاد العناصر المُتحضرة في كلّ ثقافةٍ من الثقافات مع نظائرها في الثقافات الأخرى من أجل حماية الأخلاق، والحرية، والاحترام المتبادل. إنّ الاشتباك أو الصراع أو الصدام الحقيقي هو بين الحضارة العالمية والهمجيين ... أقصد بالهمجيين الآيديولوجيين أو العقائديين. ولقد ظهرت الهمجية الأيديولوجية في الثورة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر. والأمثلة الضخمة للهمجية الأيديولوجية هي الفاشية واللينينية الماركسية ـ اللتان في مساريهما التاريخيين، قامتا بقتل العشرات من ملايين الناس. **لكننا اليوم نرى الثالثة، الحركة الشمولية الاستبدادية الثالثة، الحركة الهمجية الثالثة، وبالتحديد الإسلام الراديكا**لي المتطرف**، وهو نسخةٌ أو صورة طوباويةٌ متطرفةٌ من الإسلام. أوقعت بؤساً وعملياتٍ إرهابيةً انتحاريةً، وحكومات استبدادية طاغية ووحشية، وهناك قمع وظلم للنساء ولغير ا**لمسلمين **... إن السؤالَ العظيم** في **عصرنا هذا هو كيف** نمْنع **هذه الحركة، الشبيهة بالفاشية الشيوعية، من أن تصبح أكثر قوةً ... إنّ جوهر الإسلام الراديكا**لي المتطرف **هو التمسك الكاملُ بالشريعة،، بقانون الإسلام وهو يدفع بالشريعة إلى** المناطق **ومجالات** الحياة التي **ما وجدت فيها من قبل ...**

ينشأ الإسلام المتطرف **الراديكا**لي **عن الإسلام لكنه نسخةٌ أو صورةٌ منه معاديةٌ للحداثة، مؤمنةٌ** بالرؤى **والأساطير والتنبؤات الألفية، كارهةٌ للبشر وللإنساني**ّ**، كارهةٌ للمرأة، ومعاديةٌ للمسيحية، ومعاديةٌ للسامية، تتعالى على الأديان والحضارات الأخرى وترى نفسها أفضل وأصح منها ويجب أن تسود عليها، مؤمنةٌ بالجهاد والحرب الدينية، إرهابية وانتحارية. إنه شموليةٌ استبداديةٌ ذات نكهةٍ وطبيعةٍ إسلامية.**

مثل الفاشية والشيوعية، الإسلام الراديكالي هو رؤية للعالم تتصِف بالإرغام والقهر...

ويسعى الإسلام الراديكالي **للسيطرة على الدول والبلدان، وهو يستعمل الدولة لأغراض قهريةٍ،** يحاول **السيطرة على كلّ جوانب الحياة. وهو يعتدي على الجيران، وأخيراً هو يسعى نحو مواجهةٍ كونيةٍ مع الغرب...**

أنا أُجادلكم، ايها السيدات والسادة، وأقول إنّ الإسلام الراديكالي يجب أن يقَاتلَ ويجب أن يهزم مثلما حدث في ١٩٤٥م و١٩٩١م عندما تمت هزيمة التهديدات الألمانية والتهديدات السوفيتية. هدفنا يجب أن يكون، في حالتنا هذه، ظهور الإسلام الذي هو إسلام حديث ومعاصر،معتدل، ديمقراطي، إنساني، ليبرالي، وودي يؤمن بحسن الجوار. إسلام يحترم النساء، وأصحاب الجنسية المثلية، والمُلحدين،وغيرهم إسلام يؤمن لغير المسلمين نفس حقوق المسلمين ... إلى **الدرجة** التي **نعمل ا معاً، ضد همجية الإسلام الراديكا**لي **المتطرف،** **يمكن أن توجد بالفعل حضارةٌ عالميةٌ، حضارةٌ تتجاوز وتتعالى على لون البشرة، والفقر، والجغرافية، والسياسة، والدين.**

ثانياً: يكرر بايبس تحذيرات البابا بنديكتيوس والمستشرق برنارد لويس من أسلمة أوروبا بنهاية القرن الحادي والعشرين فيقول في مقالته **"أوروبا المسلمة"**[1]:

هناك قوتان تساهمان في هذا التغيير الذي قد يهز العالم.

أولاً: تفريغ المسيحية من قيمها التاريخية وتقاليدها. إذ أنّ عدد المسيحيين الملتزمين يتناقص في الجيلين الماضيين لدرجةٍ أنه بدأ يطلق عليه اسم "القارة المظلمة" ويقول المحللون إنّ مساجد بريطانيا يعمرها عدد من المسلمين هو أكبر من عدد الذين يذهبون إلى الكنيسة الانجليكانية.

ثانياً: تدني نسبة الولادات في أوروبا (من قِبل أهل البلاد الأصليين) إذ أنّ سكان أوروبا الأصليين يتضاءل عددهم يوماً بعد يوم. **لذلك فإنّ الإسلام والمسلمين يأتون لملء هذا الفراغ ففي حين تتداعى المسيحية يزداد الإسلام قوةً، ويؤكّد وجوده ويعمل على تحقيق طموحاته. وفي حين يتناقص عدد الأوروبيين بسبب الشيخوخة، يتكاثر المسلمون الذين يتزوجون في أعمارٍ مبكّرةٍ.**

إنّ نسبة خمسةٍ في المئة من الاتحاد الأوروبي، أو عشرين مليون نسمة يعتبرون أنفسهم مسلمين، وإن استمرت الأمور على ما هي عليه ستصل النسبة إلى عشرةٍ في المئة في عام ٢٠٢٠. وان تركتِ العناصر غير الإسلامية أوروبا فستصبح غالبية السكان من المسلمين في عقودٍ قليلةٍ.

---

[1] لقراءة النص الكامل لهذه المقالة (Muslim Europe) بقلم Daniel pipes انظر موقعه(www.danielpipes.org) المقالة رقم ١٨١٠.

ثالثاً: في مقالته الخبيثة **"مسألة الإكراه** في **الدين: الإسلام هو ما يصنعه أتباعه منه"**[1] يصف بايبس الآية الكريمة رقم ٢٥٦ من سورة البقرة (لا إكراه في الدين) بأنها عبارةٌ بسيطةٌ بصورةٍ مخادعةٍ وأنها ليست كما يوحي ظاهرها، ويذهب بايبس إلى أن هناك خلافاً كبيراً قد دار بين المسلمين في تفسيرها وتوضيح معناها، وذلك على النحو التالي:

١. الآية ملغاةً (منسوخة): حيث نسخت الآيات القرآنية التالية آية "لا إكراه في الدين" (مثل الآية التاسعة من سورة التوبة "يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم").

٢. الآية رمزيةٌ خالصةٌ: فالعبارة أو الآية مجرد وصف وليست أمراً. فحقيقة الإسلام واضحة جداً لدرجة أنّ إجبار شخصٍ ما على أن يكون مسلماً لا يصل إلى "الإكراه"، أو أن دفع الشخص إلى اعتناق الإسلام بعد الهزيمة في الحرب لا ينظر إليه على أنه "إكراه".

٣. الآية روحيةٌ وليست عمليةً: فالحكومات قد تفرض الطاعةَ الخارجية الظاهرة إلاّ أ ا بالطبع لا يمكن أن تفرض وتملي على المسلمين كيف يفكرون.

٤. الآية محدودةٌ في الزمان والمكان: أي أ ا تنطبق فقط على اليهود في المدينة في القرن السابع.

٥. الآية مقصورةٌ على غير المسلمين الذين يعيشون تحت حكم المسلمين ويقبلون به: يقول بعض الفقهاء إنّ الآية تطّبق فقط على "أهل الكتاب" (المسيحين واليهود والزرادشتيين)، ويقول البعض الآخر إنها تطبق على كُل من هو غير مسلم.

٦. الآية تستبعد بعض غير المسلمين: فالمرتدون والنساء والأطفال وأسرى الحرب وغيرهم يمكن بالفعل إجبارهم. [هذا هو التفسير الشائع الذي كان يطّبق في معظم الأزمنة والأماكن كما يقول بايبس].

٧. الآية مقصورة على غير المسلمين بكافّة صورهم: فالمسلمون يجب أن يلتزموا ويخضعوا للمبادئ والعقيدة الإسلامية وليس مسموحاً لهم الارتداد عن الإسلام.

٨. الآية مقصورة على المسلمين: حيث يحق للمسلمين أن ينتقلوا من تفسيرٍ وتأويلٍ لإيما م إلى آخر (من السني إلى الشيعي على سبيل المثال) ولكن لا يحق لهم ترك الإسلام.

---

[1] لقراءة النص الكامل لمقالـة: The Issue of compulsion in Religion: Islam is what followers make of بقلـم Daniel pipes انظر موقعه www.danielpipes.org المقالة رقم ٣٠٠٢ Newyork sun بتاريخ ٢٠٠٤/٩/٢٨.

٩. الآية تطّبق على كلّ الناس: حيث ينبغي أن يصل المرء إلى الإيمان الحقيقي من خلال المحاولة والاختبار، والإكراه يفسد هذه العملية.

ويستند بايبس في نقله لهذه التفسيرات (المختلفة المتناقضة طبعاً) إلى كتابين لمؤلفين مسيحيين هما:

١. كتاب باتريشيا كرون (حكم الله: الحكومة والإسلام).

٢. كتاب يوهانان فريدمان (التسامح والإكراه في الإسلام).

رابعاً: في مقالتين تحملان عنوانين متقاربين عن الجهاد ينصب بايبس نفسه عالماً ـذا المفهوم الإسلامي وشارحاً له ولتاريخه ولتطوره، فيقول في المقالة الأولى التي حملت عنوان **"ما هو الجهاد"**(1):

الجهاد بمعنى **التوسع كان دائماً السمةَ المركزية لحياة المسلمين. وهذا هو الأمر الذي أفضى** إلى **حكم المسلمين** في **معظم مناطق شبه الجزيرة العربية عند وفاة الرسول** محمدٍ في **عام ٦٣٢، وهو أيضاً الأمر الذي أفضى بعد قرنٍ من هذا التاريخ إلى غزو المسلمين** لمنطقةٍ **تمتد من أفغانستان حتى إسبانيا. وقد اكتسب الجهاد لاحقاً مكانةً جعلته** يبرر **غزوات المسلمين** لمناطق **مثل الهند والسودان والأناضول والبلقان.**

إنّ المصدر الرئيسي الأول للإرهاب في العالم اليوم هو الجهاد، إذ يلهم لحَملةِ عنفٍ على نطاق العالم مِن قِبل مجموعاتٍ تعتبر نفسها جهاديةً. ويواصل بايبس في مقالته بالقول: إن التواجد الأكثر ترويعاً للجهاد حقيقةً في الوقت الحاضر هو في السودان، حيث أن الحزب الحاكم كان يحمل حتى الفترة الأخيرة شعار "الجهاد والنصر والشهادة" لمدة عقدين وتحت رعاية الحكومة هاجم الجهاديون غير المسلمين وسلبوا ممتلكا ـم وقتلوا ذكورهم.

وقد استعبد الجهاديون عشرات الآلاف من الإناث والأطفال وأجبروهم على اعتناق الإسلام، وأرسلوهم في **مسيراتٍ قسريةٍ وا الوا عليهم ضرباً وزجوهم** في **الأشغال الشاقة. وقد عانت النساء والفتيات من اغتصابٍ طقوسيٍّ** جمعيٍّ**، وعانت كذلك من القيام بتشويه أعضائهن التناسلية واستعبادهن جنسياً.**

---

(1) لقراءة النص الكامل للمقالة (WHAT IS Jihad?) بقلم Daniel pipes انظر:

أ. New york post بتاريخ ٢٠٠٢/١٢/٣١

ب. www.danielpipes.org المقالة رقم ٢٨٣٠.

وفي مقالته الثانية التي حملت عنوان **"الجهاد عبر التاريخ"**[1] يتصدى بايبس للثناء على كتاب ديفيد كوك "فهم الجهاد" ويستخلص من خلال قراءته لهذا الكتاب مخطّطاً موجزاً يوضح من خلاله مسار الجهاد عبر التاريخ جاء فيه ما يلي:

- يدعو القرآن المسلمين لتقديم حيوا م مقابل دخولهم الحتمي إلى الجنة.
- يشرح الحديثُ النبوي القرآنَ معطياً إياه توصياتٍ خاصةً بالمعاهدات والدفع والغنائم والسجناء والوسائل التكتيكية وأشياء أخرى كثيرةٍ، بعد ذلك صاغ فقهاء الإسلام هذه الوصايا على هيئة تشريع.
- انشغل الرسول خلال سنين حكمه بحروبٍ عسكريةٍ وصلت بمعدلها إلى التسع في السنة، أو حربٍ واحدةٍ كل ستة أسابيع؛ **وهكذا فإن الجهاد ساعد** في **تعريف الإسلام منذ فجره الباكر. فقد كان غزو وإذلال غير المسلمين السمة الرئيسية** في **جهاد الرسول.**
- "كان الجهاد يترجم بوضوحٍ على شكلٍ عدوانيٍّ وتوسعيٍّ خلال القرون الأولى للإسلام. وبعد أن خمدت الفتوحات لم يعد ثمّة ديد لغير المسلمين، إذ تبلورت مفاهيم صوفية عن الجهاد مضفيةً عليه معنى روحياً يكمل المعنى المادي له.
- أعطت الحملات الصليبية، التي حاول ا الأوروبيون طيلة قرون السيطرة على الأرض المقدسة، الجهاد من جديدٍ صفةَ الإلحاح ودفعت إلى ما يسميه كوك نظرية الجهاد "الكلاسيكية"، ونظراً لإيجاد المسلمين أنفسهم في مواقع دفاعيةٍ فقد تصلبت مواقفهم.
- لقد أخضعت الحملات المغولية في القرن الثالث عشر معظم أجزاء العالم الإسلامي،وتلك كانت الكارثة التي خفت جزئياً إزاء اعتناق المغول الصوري للإسلام. بعض مفكري الإسلام، وابن تيمية على وجه التحديد، ميز بين المسلمين الحقيقيين والزائفين، وبحسب ابن تيمية فإنّ إيمان المرء يقترن بمدى استعداده لشن الحرب (الجهاد).

---

[1] لقراءة النص الكامل للمقالة (Jihad through history) بقلم Daniel pipes انظر:
أ. Newyork sun بتاريخ ٢٠٠٥/٥/٣١.
ب. www.danielpipes.org المقالة رقم ٢٦٨٦.

- شن مسلمون "حملاتِ جهادٍ تطهيريةً" في القرن التاسع عشر في بقاعٍ عدةٍ ضد أقرا م من المسلمين ومن أكثرهم تطرفاً كان الجهاد الوهابي وعواقبه في الجزيرة العربية، واستناداً إلى تعاليم ابن تيمية فقد وسم الوهابيون كل مسلمٍ غير وهابي بميسم الإلحاد (الكفر) وأعلنوا الجهاد عليه!!!.

خامساً: في مقالته **"كيف نقضي على الإرهاب"**[1] يقول بايبس: **ينبغي أن تركز الاستراتيجية الفعالة** في **مكافحة الإرهاب على حقيقة أن الإرهاب الذي يقوم به المسلمون باسم الإسلام إنما يمثلُ التهديد الاستراتيجي الذي تتعرض له اليوم الشعوب المتحضرةُ المسلمة منها وغير المسلمة.**

بعد تراجع القانون الإسلامي (الشريعة) وانسحابه خلال القرنين الماضيين، عاد مرةً أخرى محدِثاً الكثير من الجلبة وعاد معه الجهاد أو الحرب المقدسة. لقد أصبحت الخلافةُ، التي كانت في **حكم المنتهية طوال ألف عام، حلما لا يتوقّف مليئاً بالحياة والحيوية.**

سادساً: في مقالته **(مشكلة صورة الإسلام)**[٢] يواصل بايبس حمل رسالته في التخويف من الإسلام وتشويه صورة المسلمين فيقول:

يوماً بعد يوم، تتغير نظرة الأمريكيين إلى الإسلام والمسلمين لتصبح أكثر سلبيةً، هذا ما جاء في استطلاعٍ مهم نشره "مركز بيو للأبحاث" في الأسبوع الماضي ... **ربما كان التطور الأكثر إثارةً** في **الاستطلاع، هو ازدياد عدد الأمريكيين الذين يجـدون بأن الإسـلام – على الأرجح – دين "يشجع أتباعه على العنف" أكثر من الأديان الأخرى ففي شهر آذار من سنة ٢٠٠٢ كان هناك خمسةٌ وعشرون بالمائة من الذين استطِلعت آراؤهم يؤيدون هذه النظرة أما الآن، فقد ارتفعت هذه النسبة إلى ٤٤ بالمائة.**

ترى ما هو تفسير هذا القلق المتزايد في **نظرة الأمريكيين؟ إنه لواضح بأنّ أكثر هذا القلق، هو نتيجةٌ لواقع الإرهاب الذي يعيشونه باستمرارٍ، وما يسمعونه من تصريحاتٍ ممتلئةٍ بالكراهية، إضافةً إلى المشاكل المرتبطة**

---

[1] لقراءة النص الكامل للمقالة (How to end terrorism: with moderate Islam) بقلم daniel pipes أنظر

أ. Newyork Sun بتاريخ ٢٠٠٦/١٢/٥.

ب. www.danielpipes.org المقالة رقم ٤٥٦٩.

[2] لقراءة النص الكامل لمقالة (Islam's Image Problem) لكاتبه (Daniel pipes) انظر:

أ. New your post بتاريخ ٢٠٠٣/٧/٢٩.

ب. www.danielpipes.org المقالة رقم ١١٩.

بالإسلام المتطرف والتي يعاني منها العالمُ كله. لكن بعض هذا القلق ناتج أيضاً عن المشاكل المتعلقة بسيطرة الإسلام المتطرف على النواحي الحياتية للمجتمع الإسلامي الأمريكي.

سابعاً: في مقالته **"الولايات الأمريكية الإسلامية"**[1] يواصل بايبس التحريض والتخويف قائلاً: إن أكثر شيءٍ يصعب على الغربيين فهمه ليس أنّ هناك حرباً قائمةً مع الإسلام المتطرف الجهادي وإنما طبيعة الهدف النهائي للعدو. هدف العدو هو تطبيق القانون الإسلامي (الشريعة) على العالم بأسره. في الولايات المتحدة الهدف هو إحلال القرآن محل الدستور. إن طبيعة المسلمين في هذا البلد ليست مثل طبيعة أي جماعةٍ أخرى، لأ ا تضم داخلها عدداً كبيراً من الناس ممن يشاركون المختطِفين الانتحاريين العداء للولايات المتحدة والرغبة في تحويلها إلى أمةٍ تعيش تحت قيود الإسلام المتطرف الجهادي في اية المطاف.

ثامناً: في مقالته التحريضية البشعة **"الفاتيكان يواجه الإسلام"**[2] يواصل بايبس مشواره في التحريض ويذكّر الفاتيكان والمسيحيين الكاثوليك بالظروف الصعبة التي تعاني منها الأقليات المسيحية التي تعيش مهمشةً مضطَهدةً مهضومة الحقوق في العالم الإسلامي الذي يعاملهم على أنهم مواطنون من الدرجة الثانية، لافتاً إلى أنّ هذا النوع من التمييز والاضطهاد لا تشعر به الجاليات والأقليات المسلمة التي تعيش في الغرب، ويقول بايبس في هذه المقالة:

يلاحظ باتريك سوكدو، المدير الدولي لصندوق برناباس، أن حوالي أربعين مليون مسيحيٍّ في دار الإسلام يجدون أنفسهم، وفي تزايدٍ، أقليةً محاربةً (تشن عليها الحرب) تواجه ا ياراً اقتصادياً، وحقوقاً تتناقص وتتصاغر، وأخطاراً ماديةً. ويستمر قائلاً، إنّ معظمهم مواطنون من الدرجة الثانية يتعرضون للاحتقار ولا يوثَق م، يواجهون التمييز العنصري في التعليم والوظائف والمحاكم. وتدفع هذه الظروف القاسية المسيحيين إلى هجرة أراضي أسلافهم إلى بيئة الغرب الأفضل ضيافةً لهم والأكثر ترحيباً م. نتيجةً لذلك، يتناقص عدد السكان المسيحيين في العالم الإسلامي وبسرعة ... واقع القهر والتدهور هذا يقف في تناقض شديدٍ ودراميٍّ مع صعود

---

[1] لقراءة النص الكامل لمقالة (The Islamic States of America) لكاتبه (Daniel Pipes) أنظر:

أ. www.frontpagemagazine.come بتاريخ ٢٠٠٤/٩/٢٣.

ب. www.danielpipes.org المقالة رقم ٣٠٤٢.

[2] لقراءة النص الكامل لمقالة (The Vatican confronts Islam) لكاتبه (Daniel pipes) انظر:

أ. jerusalem post بتاريخ ٢٠٠٦/٧/٥

ب. www.danielpipes.org المقالة رقم ٣٧٦٦.

الأقلية المُسلمة في الغرب. بالرغم من أن تعدادها يقل عن عشرين مليون معظمهم من المهاجرين وأبنائهم (ذريتهم) إلاّ أنها أقليةٌ تتزايد قوتها ويعلو صو ا، وحصلت على الكثير من الحقوق وتتمتع بقدرٍ كبيرٍ من الحماية خاصةً مع فوزها بامتيازاتٍ تشريعيةٍ قانونيةٍ وثقافيةٍ وسياسيةٍ جديدةٍ. إنّ الإسلام الراديكالي المتطرف هو السبب الرئيسي للخروج المسيحي.

تاسعاً: في مقالته **"ترهيب الغرب وإكراهه بالتهديد من رشدي إلى بيندكت"**[1] يتعمد بايبس إظهار المسلمين بمظهر المشاغبين الميالين للعنف الذين لا يسمحون بتعدد وجهات النظر ولا يطيقون سماع أي صوتٍ مخالفٍ لهم، ولا يلتمسون له عذراً ويتجاهلون أو يجهلون الأمور الدقيقة التي يتطلّب فهمها الكثير من الهدوء والحكمة وحدة الذهن ويقول:

إنّ العنف الذي اتسمت به ردود فعل المسلمين على تعليقات البابا إنما يتفق ونمطٍ يتطور وفي تسارع منذ ١٩٨٩م. لقد تكرر هذا النمط ست مراتٍ منذ ذلك التاريخ: لا يلبث أن يفعل أو يقول الغربيون شيئاً حتى يندلع العنف وتتردد عبارات التهديدات بالقتل والثأر في العالم الإسلامي. إنّ تأمل هذه الأحداث معاً يمنحنا فهماً وبصيرةً في غاية النفع:

- ١٩٨٩م - رواية سلمان رشدي، "الآيات الشيطانية" دفعت آية الله خميني إلى إصدار حكم الإعدام عليه وعلى الناشرين، على أساس أنّ ذلك الكتاب هو "عدوان على الإسلام وعلى الرسول وعلى القرآن" وأدت أعمالُ الشغب التي أعقبت ذلك إلى مقتل ما يزيد عن عشرين شخصاً معظمهم في الهند.
- ١٩٩٧م ـ عندما رفضت المحكمة الدستورية العليا للولايات المتحدة أن تزيل إطار عمودٍ يزين قاعة المحكمة الرئيسية مرسوم عليه صورةٌ لمحمد بوصفه أحد مشرعي القوانين؛ جعل مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية من هذا الأمر قضيةً، مما أدى إلى أحداث شغبٍ وسقوط جرحى في الهند.
- ٢٠٠٢م – وصف جيري فالويل، الزعيم البروتستانتي الإنجيلي الأمريكي الجنسية، محمداً "بالإرهابي،" مما أدى إلى إحراق الكنائس ومقتل ما لا يقل عن عشرة أشخاص في الهند.

---

(1) لقراءة النص الكامل لمقالة (Intimidating the west, from rushdie to benedict) لكاتبه (daniel pipes) انظر:

أ. New york sun بتاريخ ٢٠٠٦/٩/٢٦.

ب. www.danielpipes.org المقالة رقم ٤٠١٦.

- ٢٠٠٥م ـ استغل لاعب الكريكت الباكستاني الشهير، عمران خان، قصةً غير صحيحةٍ نشر ا مجلة النيوزويك، تتحدث عن أنّ محقّقين أمريكيين في معتقل خليج جوانتانامو، كانوا قد قاموا بإلقاء القرآن في المرحاض من أجل إزعاج ومضايقة المعتقلين المشتبه م، ودعا خان إلى الاحتجاج والتظاهر عبر أرجاء العالم الإسلامي، مما أدى إلى مقتل خمسة عشر شخصاً على الأقل.
- شباط ٢٠٠٦م ـ نشرت الصحيفة الدنماركية يولانس ـ بوستن إثني عشر رسماً كرتونياً (كاريكاتورياً) لمحمدٍ مما دعا أحمد عبد الرحمن أبو لبن، وهو إمام مسجد فلسطيني في كوبنهاجن، إلى ييج الرأي العام الإسلامي ضد الحكومة الدنماركية. ولقد حقق نجاحاً كبيراً في ذلك حيث قُتِلَ المئات، معظمهم في نيجيريا.
- سبتمبر ٢٠٠٦م ـ استشهد البابا بينديكت السادس عشر بوجهات نظر إمبراطورٍ بيزنطيّ ترى أن ما هو جديد في الإسلام إنما هو "شرير ولا إنساني"، مما أدى إلى رمي الكنائس بالقنابل وقُتِلَ العديد من المسيحيين.

ويعلّق بايبس على هذه الأحداث بقوله إ ا تلقي الضوء على الغياب الكامل لمبدأ المعاملة بالمثل عند المسلمين ويقول في اية هذه المقالة:

لا توجد مؤامرةٌ خلف هذه الجولات الست من الغضب والعنف والعدوان، لكن فحصها وتأملها يكشف عن تلاحمها واندماجها معاً لتخلق حملةً واحدةً ممتدةً للترهيب والتخويف والإكراه بالتهديد، ولاشك أننا سوف نشهد المزيد منها. **والرسالةُ الأساسيةُ "أنتم أيها الغربيون ما عد**تم ت**ملكون الحق** في **قول ما تودون عن الإسلام والن**بي **والقرآن، فالقانون الإسلامي (الشريعة)** ي**حكمكم أنتم أيضاً، سوف نعود مرةً عقب أخرى** حتى ي**خضع الغربيون ويستسلموا أو يدرك ال**م**سلمون أنّ جهودهم قد باءت بالفشل".**

وتعليقاً على ما ذكره هذا البايبس عن سلمان رشدي صاحب رواية "الآيات الشيطانية" نشير إلى أنه كتب مقالةً يمدح فيها منح ملكة بريطانيا لقب (فارس) لرشدي ويصف تصرفها ذاك بأنه "تعبير عن القوة والصلابة البريطانية"[1]!!.

---

[1] لقراءة النص الكامل لمقالة (Salman Rushdie and british backbone) لكاتبها (daniel pipes) انظر:

أ. Newyork sun بتاريخ ٢٠٠٧/٧/٢٦.

ب. www.danielpipes.org المقالة رقم ٤٩٦٤.

عاشراً: في نهاية ذكرنا لبعض مقالات دانيال بايبس نتوقف عند هذه المقالة العاشرة والتي تناولت موضوع الرسوم الكرتونية المُسيئة لرسول الله ﷺ التي نشرتها بعض الصحف الدانماركية، وقد حملت مقالة بايبس هذه المرة عنوان **(رسوم الكرتون والإمبريالية الإسلامية)**[1] وجاء فيها ما يلي:

المسألة الأساسية التي نخشى ضياعها في المعركة الدائرة حول رسوم الكارتون الدانماركية الإثني عشر التي تناولت رسول المسلمين محمداً هي: هل يقف الغرب مدافعاً عن عاداته وتقاليده وقيمه، بما فيها حرية التعبير، أم أنّ المسلمين سوف يفرضون طريقتهم في الحياة على الغرب؟ في النهاية، لا يوجد حلٌ وسطٌ: إما أن يتمسك الغربيون بمدنيتهم وحضارتهم، بما فيها حق السب والإهانة وحق الكفر والتجديف في حق الأديان وفي حق مفهومها عن الرب أو الإله، أو لا يتمسكوا.

بتحديدٍ أكثر، هل يقبل الغربيون بمعيارٍ مزدوجٍ يكون بموجبه المسلمون أحراراً في إهانة اليهودية والمسيحية والهندوسية والبوذية، بينما محمد والإسلام والمسلمون يتمتعون بحصانةٍ ضد الإهانات والسب؟ بصورةٍ روتينيةٍ ينشر المسلمون رسوم كارتون أكثر عدوانيةً وجرحاً للمشاعر من الرسوم الدانماركية. هل هم يملكون الحق في قول وعمل ما يشاؤون دون تفكيرٍ وتدبرٍ بينما يشعرون بالإهانة من أقوالٍ وأعمالٍ مشابهة؟

وفي نهاية هذه المقالة يمدح بايبس بعض حكومات الدول التي رفضت الاعتذار عن إعادة نشر صحفها لهذه الرسوم المُسيئة، ويحتج بشدةٍ على حكومات بعض الدول الأخرى التي اعتذرت للمسلمين عن قيام صحفها بإعادة نشر هذه الرسوم، وكان على رأس هذه الدول بولندا وبريطانيا ونيوزيلاند والولايات المتحدة الأمريكية ويتهم هذه الدول وبالذات الولايات المتحدة بالخضوع للتهديد الإسلامي والإمبريالية الإسلامية ويقول في ختام مقالته:

يا للغرابة بينما "أوروبا القديمة" تستجمع قوّتها وعزيمتها، ترتجف المملكة المتحدة والولايات المتحدة لقد كان رد فعل الحكومة الأمريكية سيئاً جداً ... ينبغي على الحكومات الغربية أن تأخذ مقرراً دراسياً مكثّفاً يعلّمها الحقائق الأساسية التي تتعلق بالشريعة الإسلامية (القانون الإسلامي) والأمر الإسلامي الذي التزم به المسلمون عبر التاريخ والمتمثل في إخضاع واستعباد الشعوب غير المسلمة ...

---

[1] لقراءة النص الكامل لمقالة (Cartoons and Islamic Imperialism) لكاتبها (Daniel pipes) انظر:
أ. Newyork sun بتاريخ ٢٠٠٦/٢/٧م.
ب. www.danielpipes.org المقالة رقم ٣٨٦٦.

ليست مقالات دانيال بايبس ودراساته عن الإسلام بحاجةٍ إلى كثير تعليق، فالرجل كان من خلالها يعبر عن ألمه وهمّه من هذا الدين الذي يحملُ اسم الإسلام، ويمارس هوايته في نفث السموم في عقَد ا تمع الغربي عموماً والأمريكي على وجه الخُصوص. لقد وسم بايبس الإسلام بأنه متطرف وعنيف وأصولي، ونسي في الوقت ذاته بل تناسى انتماءه للتيار المسيحي الصهيونيّ والذي يعتبر الوجه الأوضح للتطرف المسيحي المعاصر!!

رسالة هذا الرجل واضحةٌ وعلنيةٌ وصريحةٌ، فهو يختصر الإسلام ومنجزاته الحضارية كلّها في خمسة عشر مصطلحاً نراه يكرر بعضها في كلّ مقالاته ودراساته وكتبه وهي (العنف الإسلامي، الرعب الإسلامي، التهديد الإسلامي، الترهيب الإسلامي للغرب، مواجهة الإسلام، الإرهاب الإسلامي، الجهاد، الإسلام الراديكالي، الإسلام المتطرف، الإكراه الإسلامي، إحساس المسلمين المتنامي بالقوة، طبيعة المسلمين، الإمبريالية الإسلامية، منظومة العصور الوسطى الإسلامية، الإسلام المعادي للحداثة).

ويبدو أنّ هناك علاقةً روحيةً حميمةً تربط بايبس ذه الأوصاف والمصطلحات فنراها تكاد لا تفارق كتاباته وندواته، ولعمري ما اشتق هذا البايبس هذه المصطلحات إلاّ ممن سبقوه من رهبان العصور الوسطى الذين ابتدعوا الاستشراق الديني، وممن سار على جهم من المعاصرين من برنارد لويس إلى صامويل هنتنغتون ... كان بايبس ولا يزال مدفوعاً واجس الخوف من الإسلام والخشية من انتشاره (على حساب المسيحية طبعاً) فلم يجد وسيلةً للقضاء على هذه الهواجس سوى مهاجمة الإسلام والعمل على تشويه صورته في أعين المسيحيين، سالكاً بذلك درب أجداده رهبان العصور الوسطى. ويبدو أنّ هذا البايبس لم يفهم الحكمة الإلهية من انكسار شوكة صليبيي العصور الوسطى وصليبيي القرن الحادي والعشرين في حر م على الإسلام، وهذه الحكمة تتمثل في قوله تعالى "يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ "(١). قضى هذا الرجل حياته في محاربة الإسلام وتشويه صورته ولم يكلف نفسه ولو لمرةٍ واحدةٍ عناء استضافة مسلمٍ في برامجه وأعماله المتلفزة وندواته وحواراته. كل أعماله كانت تتحدث عن الإسلام ولم يظهر فيها مسلم واحد ليشرح أو يبين أو يوضح لبايبس وجمهوره حقيقة المفاهيم الشائكة المُبهمة التي يحملو ا عن الإسلام والسبب في ذلك، كما

---

(1) سورة التوبة: الآية ٣٢.

نرى، يرجع إلى أنّ هذا البايبس لا يريد أن يعرف عن الإسلام غير الأوهام والخزعبلات التي يعرفها والتي تربى عليها ونشأ!!!.

والمصيبةُ الكبرى أنّ بعض الموسوعات المعاصرة تصنفه على أنه من العلماء المختصين بالإسلاميات!!! مظلومةٌ هذه "الإسلاميات"، فالكل يزعم وصلاً ا مع أنّ بينها وبينهم بعد المشرقين!!.

يستفاد مما سبق خطورة الدور الذي لعبه هؤلاء الرجال الثلاثة في الصد عن الإسلام والترويج له كعدوٍّ يتهدد الحضارة الغربية المسيحية بكُلّ منجزا ا وقيمها، وقد نجحوا، إلى حد بعيدٍ، في إستثارة الفزع الغربي من الإسلام وساهموا بشكلٍ فعالٍ في إستثارة القلق الأوروبي تجاه الإسلام والذي كان قد انتهى، تقريباً، بنهاية الحروب الصليبية.

ولعلّ هذا القلق والخوف يتمثّل في وجهين بارزين، أولهما هو الخوف من انتشار الإسلام في القارتين الأوروبية والأمريكية، وثانيهما هو الخوف على المسيحية من الاندثار في هاتين القارتين الحاميتين لها على امتداد التاريخ والحاضر، ويدعم صحة هذا الاستنتاج الإشارات المتكررة إلى (أوروبا مسلمة بنهاية هذا القرن) بسبب ازدياد عدد المهاجرين المسلمين إليها وازدياد نسب مواليدهم مقارنة بانخفاض نسب مواليد المسيحيين. ونعيد التذكير هنا بأنّ هذه الإشارات إلى (أوروبا مسلمة) قد تكررت حرفياً في كلٍّ من خطَب وتصريحات البابا بنديكت السادس عشر وبرنارد لويس وصامويل هنتنغتون ودانيال بايبس مما يثبت تطابق مواقفهم ووجهات نظرهم إزاء الإسلام. ولا ينبغي لأحدٍ التخفيف من مدى الخوف الغربي من الإسلام الذي أضحى على حد تعبير الكثير من الكتاب والنقّاد مرض الغرب المعاصر.

"الخوف من الإسلام مرض بريطانيا الجديد" هكذا نشرت صحيفة "ذي إندبندنت" اللندنية مقالاً على صفحتين كاملتين في الرابع من تموز عام ٢٠٠٨م ويقول كاتب المقال "بيتر أوبورن": "إنّ نظرة الشك تجاه المسلمين البريطانيين قد وجدت طريقها إلى ا تمع الواسع ولا يبدو أنّ أحداً ما يكترث لذلك"، مشيراً إلى أنّ الفجوة تتسع أكثر فأكثر بين المسلمين وباقي ا تمع في بريطانيا. ويضيف: "في بريطانيا اليوم، ثمة تعميق لعدم الثقة بين التيار الرئيس للمجتمع وا تمعات الإسلامية الأكثر عزلةً من أي وقتٍ مضى، وبدأت ثقافةُ العنف والاحتقار تظهر في شوارعنا. في مطلع شهر تموز من عام ٢٠٠٨م حكم بالسجن لمدة ستة عشر عاماً على "مارتن جيلارد"، أحد المتعاطفين مع النازية

في شرق "يوركشر"، وقد عثرت الشرطة في م له على أربع قنابل مسامير، ورصاص، وسيوف وفؤوس وسكاكين. وقال "جيلارد": "إنه كان يستعد لحرب ضد المسلمين". كما عُثِر على مذكرةٍ كَتب فيها: "لقد سئمت من الاستماع إلى كلام القوميين عن قتال المسلمين، وتفجير المساجد، ورد العدوان، ولكنني رأيت فشل هذا النوع من المقاومة، لقد حان الوقت للتوقف عن الكلام والبدء في العمل". ومضت القضية دون ضجةٍ، ولو كان الذي عُثِر في م له على بعض هذه الأسلحة، والتخطيط لاعتداءاتٍ عنيفةٍ هو أحد المسلمين، لكانت القصة أكبر من ذلك بكثير"[١].

"وقامت القناة الرابعة البريطانية بتكليف باحثين في كلية الصحافة والإعلام بجامعة "كاردف" للنظر فيما تبثه وسائل الإعلام عن الإسلام والمسلمين في بريطانيا، ودرسوا عينةً من ألف مقالٍ (من جملة ٢٣ ألف مقال) منذ عام ٢٠٠٠م، فوجدوا أنّ ٦٩% من مقالات الصحف تصور المسلمين على أنهم مصدر المشكلات [المشكلات وليس الإرهاب فحسب]، وأنّ ٢٦% من المقالات تصور الإسلام على أنه دين خطير ورجعي وغير منطقي، وأنّ ٢% فقط مما نشر يقول: إنّ المسلمين يؤيدون القيم البريطانية. كما وجد أنّ الصحف تربط بين المسلمين والتهديد بالإرهاب في ٣٤% من المقالات، وأنّ الإسلام يهدد طريقة الحياة البريطانية في ٩%، واستخدِم تعبير "صراع الحضارات بين الإسلام والغرب" في ١٤% من الكتابات. وتتكرر الصور في الصحافة البريطانية في وصف المسلمين بالإرهاب والتطرف ومعادا م للثقافة البريطانية، و دف الصحافة من التكرار إلى غسيل مخ الجمهور وتثبيت العداء للمسلمين كل المسلمين، وللإسلام كل الإسلام.وفي هذا العام زاد معدلُ الكتابة عن الإسلام والثقافة والحضارة والحياة الاجتماعية أكثر من الحديث عن الإرهاب (٣٢% مقابل ٢٧%) وهو تطور خطير قال عنه البروفيسور "جوستين لويس" الأستاذ بجامعة "كاردف": "إنه تحولٌ خطير؛ لأنّ ا ام كل المسلمين بالإرهاب قد لا يجد آذاناً صاغيةً، ولكن ا ام المسلمين بكراهية طريقة الحياة الغربية سيجد نسبةً كبيرةً من المصدقين،وهو يضع جبالاً من الأعباء على أكتاف المسلمين"[٢].

لقد كان من الجدير بدانيال بايبس وأمثاله من المروجين لأكذوبة الرعب والتطرف الإسلامي الانشغال بالترويج للمسيحية وقيمها والحضارة التي نشأت في ظلها في الغرب، أو بالأصح الحضارة التي نشأت بعد عزل الكنيسة

---

[1] أحمد عيسى، الخوف من الإسلام .. مرض بريطانيا الجديد، دراسةٌ منشورةٌ في الموقع الإلكتروني لة ا تمع بتاريخ ٢٠٠٨/١٠/٦. وأصل عنوان هذه المقالة هو "The enemy within? Fear from Islam: Britain's new disease" للكاتب "Peter Oborne" وهو منشور في صـحيفة "The Independent" البريطانية بتاريخ ٤/ تموز/ ٢٠٠٨م.

[2] المرجع السابق نفسه.

ومنعها من التدخل في الحياة العامة والخاصة لأهل الغرب، عوضاً عن الانشغال بمهاجمة الإسلام واصطناع موجات التزوير والكذب والافتراء عليه وعلى رسول الله ﷺ وتشويه صور ما الحقيقية المشرقة. ولكن يبدو أنّ الأمر لا يعدو كونه توزيعاً للأدوار في معركتهم الحضارية العقدية الفكرية مع الإسلام.

والسؤال المُلح الذي يطرح نفسه بقوةٍ، هل كان هؤلاء محقّين في خوفهم هذا من الإسلام؟ وهل كان خوفهم مبرراً وله ما يسوغه؟؟ وفي الإجابة على هذا السؤال نقول: إنّ خوفهم من الإسلام غير مقبولٍ أبداً، ولكننا نعترف في الوقت ذاته أنّ خوفهم كان ولازال وسيبقى له ما يبرره في ظل الامتداد المذهل والانتشار السريع للإسلام في الغرب بالرغم من كلّ ما يتعرض له المسلمون اليوم من مضايقاتٍ وا اماتٍ ومحارباتٍ. إنّ سرعة انتشار الإسلام تكاد تكون الخَاصية الأبرز فيه، وهي الخاصية التي يتفوق ا على بقية الأديان، وما ذلك إلاّ لسهولته وبساطته وموافقة معتقداته وتعاليمه للفطرة والعقل البشري في الوقت ذاته. نقول هذا عن سرعة انتشار الإسلام في ظلّ ظروفٍ يرافقُها تراجع مخِيف للمسيحية في الغرب، وبالذات في بريطانيا، "فهناك صعوبات مستمرة تواجه النصرانية في بريطانيا، أدت إلى هجر الكنائس إلا من العجائز؛ وبالتالي قلّةَ التبرعات والموارد المالية، و ذا تتعرض المباني للإغلاق أو البيع .. بالإضافة إلى التخوف الرقمي من أعداد المسلمين "الملتزمين"؛ خاصة الشباب منهم، وهو ما عبر عنه بابا الفاتيكان أثناء زيارته لـ "النمسا"، مخاطباً الأوروبيين بقوله: [إنّ مستقبل أوروبا المسيحية كئيب وينذر بالخطر، خاصةً إذا لم تنجبوا الأولاد وتقيموا شريعة الرب]، محذّراً من انحسار الهوية النصرانية في ظل انخفاض معدل المواليد وزيادة عدد المهاجرين المسلمين ... وقد أشارت الدراسة التي أصدر ا مؤخراً مؤسسة Christian Research إلى أنه بحلول عام ٢٠٥٠م سيتدنى عدد المُرتادين للكنائس باختلاف عقائدهم في بريطانيا أيام الآحاد إلى أقل من مليون و٩٠٠ ألف، وستتعرض أربع آلاف كنيسة بحلول عام ٢٠٢٠م للإغلاق إذا استمر معدلُ الغلق الحالي. وتتوقع الدراسة أن ينمو ويتضاعف عدد المسلمين "الملتزمين"، حسب تعبير الدراسة، إلى ٢,٩٦ مليون وهو ثلاثةُ أضعاف العدد المتوقع لعدد النصارى الذين يحضرون "قُداس الأحد". والصورة قاتمةٌ للكنيسة الإنجليكانية الرسمية، فالتقرير يتنبأ أنه في عام ٢٠٤٠م، سيكون وضع رئيس الكنيسة "معدماً تماماً"؛ حيث سيرعى مائةً وثمانين ألف مصلٍّ فقط في ست آلاف كنيسة فحسب، أي بمتوسط ثلاثين مصلّياً لكلّ كنيسةٍ. وقالت دراسةٌ نشر ا صحيفةُ "صنداي تليجراف" البريطانية: أنه من المتوقع أن يتراجع عدد الكنائس في بريطانيا بحلول عام ٢٠٣٠م من ثماني وأربعين ألف كنيسةٍ إلى تسعٍ وثلاثين ألفاً،

أي ما يعادل خمس كنائس إنجلترا. وأشارت الدراسة إلى أن كنيستين يتم إغلاقهما أسبوعياً، فيما تحتاج إعادةُ ترميم الكنائس على مدار السنوات الخمس القادمة إلى مليار جنيه استرليني، أي بمعدل مائتي مليون جنيه سنوياً، في حين لا تقدم الحكومة سوى خمسة وعشرين مليون جنيه سنوياً لهذا الغرض ...[1].

وقد بادرت الصحيفة بإطلاق حملةٍ بعنوان "أنقذوا الكنائس"، تهدف إلى حماية آلاف الكنائس من الاختفاء للأبد، وأظهرت الدراسة تراجعاً ملحوظاً في عدد الحضور بالكنائس، ونقلت عن قساوسةٍ قولهم: [إن هناك آلافاً من الكنائس لا يدخلها سوى العشرات كل يوم أحدٍ، في حين يندر التردد عليها في باقي أيام الأسبوع].

وفي تعليقٍ له على الوضع السابق المتمثّل في إعراض الشباب المسيحي في الغرب وازدياد إقبال الشباب المسلم على المساجد يقول: البروفيسور "دافيد فوياس"، أستاذ الدراسات السكانية بجامعة "مانشستر": [إن المشكلة هي عدم حضور الشباب للكنائس لأنهم يستهزئون بمن يذهب، ويوجد تصور اجتماعي بينهم يسِم من يحضر بالعار والاحتقار]. ويضيف: [إن شباب المسلمين مختلفون، فهم يعتبرون الدين ميراثاً يعتز به، وهو مسألة هوية تتأكد عندهم بالتزامهم أكثر من آبائهم][2].

وقد يقولُ قائلٌ: إنّ هذا الوضع قائم في بريطانيا فقط، وإنه وضع استثنائي ولا يجيز لنا أن ننطلق لتعميم القول بتراجع المسيحية وعدد مرتادي الكنائس في أوروبا. ونورد الرد على هذا الاعتراض بذكرنا لكُلٍّ من الحقائق التالية:

أولاً: إن الإسلام خلال الخمسين عاماً الماضية تقدم بخطى حثيثةٍ، فقد ازدادت أعداد المسلمين في أوروبا وأمريكا في العقود الخمسة المنصرمة زيادةً ملحوظةً، لم تعد تقدر بالآلاف بل تقدر بالملايين العديدة، فتذكر الدراسات "أن الإسلام تنامى في أوروبا بنسبة ٢٣٥ في المائة خلال النصف الثاني من القرن العشرين، مقابل ٤٧ في المائة للمسيحية، ومن خلال الأماكن التي يلتقي بها المسلمون، فبعدما كانت في فترة الستينات بضع عشرات، ثم بضع مئات في بداية الثمانينات وصل تعدادها الآن ٧٥٠٠ بين مساجد وقاعات للقاء المسلمين"، الأمر الذي اضطر عدداً من بلدان العالم الغربي إلى الاعتراف بالواقع الجديد، وذلك بالاعتراف القانوني بالإسلام[3].

---

(1) أحمد عيسى، المسيحية تنقرض في بريطانيا، دراسة منشورة في موقع نسيج الإلكتروني www.naseej.com بتاريخ ٢٠٠٨/٩/٢٧.

(2) المرجع السابق نفسه.

(3) خلف أحمد محمود، شمس الإسلام هل تسطع من الغرب، مقالة منشورة في موقع الألوكة الإلكتروني www.alukah.net بتاريخ ٢٠٠٩/٩/٢٨م.

ثانياً: أشارت عمليةُ مسحٍ حديثةٌ صادرة عن مركز الأبحاث الاجتماعية في "جامعة جورجيا" الأميركية، إلى أن الإسلام أسرع الأديان انتشاراً في "الولايات المتحدة" اليوم، ويبلغ عدد المساجد في أمريكا ـ بحسب المسح ـ ما يزيد على ١٢٠٩ مساجد، بني أكثر من نصفها خلال السنوات العشرين الماضية، وتتراوح نسبة الذين تحولوا إلى الديانة الإسلامية ما بين ١٧ و٣٠ بالمائة[1].

ومن العجيب أنّ أعداد المهتدين للإسلام في الولايات المتحدة الأمريكية تضاعف أربع مراتٍ بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، "حيث تشير الأرقام المنشورة إلى أنّ ثلاثين ألف أمريكي اشهروا إسلامهم بعد حادث سبتمبر،وذلك رقم قياسي في أمريكا، كما أظهرت دراسةٌ إحصائيةٌ جديدةٌ أعدها مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية "كير" عن المساجد بالولايات المتحدة: أنّ عدد المساجد بالولايات المتحدة قد ارتفع بنسبةٍ كبيرةٍ، حيث أكد الدكتور إحسان يابقى ـ من جامعة كنتاكي الذي قام بإعداد الدراسة ـ أنّ ازدياد عدد المساجد يؤكد انتشار الإسلام وازدياد عدد معتنقية بالولايات المتحدة"[2].

ثالثاً: أصبحت بعض الكنائس الدانماركية معروضةً للبيع، بعد أن باتت فارغةً لا يدخلها إلاّ الأشباح، حسب تعبير بعض رجال الدين، فقد قررت إدارة الكنائس في الدانمارك عرض عشر كنائس للبيع قابلةٍ للزيادة، خاصةً في العاصمة "كوبنهاجن" حيث أدار الناس ظهورهم للكنيسة ... ورغم أنّ نسبةَ المسجلين في الكنائس حوالي ٨٢% إلاّ أنّ عدد الذين يدخلو ا لا يتعدى ٨%. ويقول الأمين العام للكنائس في الدنمارك "كاي بولمان" تعليقاً على قرار البيع: "إذا لم تستعمل الكنيسة للعبادة، فالأحرى أن تستعمل كإسطبل"!.

ووضع عدد من رجال الدين حظْراً على بيع الكنائس للمسلمين لتحويلها إلى مساجد، بحجةِ أن هناك طوائف مسيحيةً من خارج الدانمارك ترغب في شرائها أو استئجارها كالطوائف الروسية والصربية،وخاصةً في العاصمة كوبنهاجن حيث التجمع الكبير للمسلمين وقد يتحول معظمها لمقاهٍ ومنتدياتٍ ومراكز لشركاتٍ سينمائيةٍ ومراكز لعرض اللوحات الفنية. وتقول إدارة الكنائس: "إنّ الكنائس التي بنيت في القرون الوسطى، والتي تنتشر في القرى

---

[1] انظر الموقع الإلكتروني لوكالة الأنباء الإسلامية الدولية (إينا) بتاريخ ٢٠٠٨/٩/٩.
[2] خلف أحمد محمود [م. س]

وخارج المدن الكبيرة لن تصبح مطروحةً للبيع، ولكن فكرةَ بيعها للمسلمين مرفوضةٌ من كل الجهات الرسمية والشعبية"[1].

رابعاً: كشفت نتائج الإحصاء السكّاني الكندي عن تزايد أعداد المسلمين في كندا بشكلٍ ملحوظ، مما جعل الإسلام أسرع الأديان انتشاراً في كندا، وتشير صحيفة "مونتريال جازيت" الكندية في مقالٍ نشر في الرابع عشر من أيار عام ٢٠٠٣ إلى أنّ المسلمين قد أصبحوا أكبر الأقليات في مقاطعة توبيك ـ إحدى أكبر المقاطعات الكندية ـ حيث قفز عددهم في المقاطعة من ١٠٨ ألف نسمة في أوائل العقد الماضي، إلى ١٤١ ألف نسمة في اية القرن العشرين، وقالت الصحيفة: إنّ الفترة نفسها شهدت انخفاض أعداد أقلياتٍ أخرى، مثل اليهود الذين تناقص عددهم بنسبة ٨%،حيث وصلوا إلى ٩٠ ألف نسمة"[2].

خامساً: تتوقع جهات إحصائيةٌ رسميةٌ في فرنسا أن يصل عدد المسلمين الفرنسيين إلى عشرين مليوناً بحلول عام ٢٠٢٠، نتيجةَ إرتفاع عدد المواليد وسط المسلمين وانتشار الدين الإسلامي بين الفرنسيين، كما تتوقع تقارير أخرى أن يعتنق الإسلام حوالي خمسين ألف فرنسي سنوياً، الأمر الذي سوف يجعل من الإسلام أكبر الديانات في فرنسا في المستقبل القريب[3].

سادساً: أثبتت الإحصاءات في ألمانيا أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يتزايد عدد أتباعه باستمرارٍ، وأن المسلمين الجدد هم من طبقة المثقفين والأكاديميين الألمان"، ويؤكد "عمر فندر بروك" ـ مستشار المركز الثقافي الإسلامي في بروكسل ـ أنّ المستقبل لصالح الإسلام في القارة الأوروبية؛ حيث إنّ عدد المسلمين في دول الاتحاد الأوروبي في زيادةٍ مستمرةٍ ويتوقّع أن يرتفع عدد المسلمين في غضون نصف القرن القادم إلى خمسين مليون نسمة، وفقاً لمعظم التقديرات، وهذا العدد يداني حجم أكبر دول الاتحاد الأوروبي، ويضاهي حجم الغالبية الساحقة منها[4].

سابعاً: ذكرت صحيفة الفاتيكان "أوسرفاتوري رومانو" في عددها الصادر يوم الأحد الماضي "نقلاً عن الدليل السنوي الحبري للفاتيكان طبعة عام ٢٠٠٨م" أنّ عدد المسلمين في العالم تجاوز عدد النصارى الكاثوليك، حيث بلغت

---

(1) مجلة ا تمع العدد ١٧٩٦ بتاريخ ٢٠٠٨/٤/٥م.
(2) خلف أحمد محمود [م. س].
(3) المرجع السابق نفسه.
(4) المرجع السابق نفسه.

نسبةُ المسلمين في العالم ١٩,٢% فيما تقدر نسبة الكاثوليك بـ ـ ١٧,٤%. وتستند هذه الأرقام إلى معلوماتٍ صادرةٍ عن الأمم المتحدة في عام ٢٠٠٦م، حسبما أوضح لصحيفة "الفاتيكان" مدير الدليل السنوي المونسنيور "فيتوريو فورمنتي" المسؤولُ عن هذه النشرة منذ ١٩٩٦م. وقال "فورمنتي": "إن نسبة الطوائف المسيحية مجتمعةً، والتي تضم الكاثوليك والأرثوذكس والإنجليكان والبروتستانت، تبلغ ٣٣% من تعداد سكان العالم، وأن التزايد في تعداد المسلمين يرجع إلى ارتفاع نسبة الإنجاب في عائلا م، فيما تميل العائلات المسيحية في المقابل إلى إنجاب عددٍ أقلّ من الأطفال"[١].

ولعلّ الحقائق السبع الماضية وغيرها لتؤكد بما لا يدع مجالاً للشك في تقدم الإسلام في الغرب وتراجع المسيحية الكاثوليكية التي يزداد على مدار الساعة عدد المعتنقين من أبنائها للإسلام ازدياداً كبيراً متنامياً، ولعلّ هذا الازدياد يعتبر المفتاح الرئيسي لفهمنا لما سبق من تعليقاتٍ وحملاتٍ ومحارباتٍ يتعرض لها الإسلام بين الحين والآخر، نعم لقد عاد الإسلام ليتألق من جديدٍ وليكون سبباً في إثارة قلقهم ومخاوفهم، هذه المخاوف التي عبر عنها الكاردينال "جان لوي توران" مسؤول الفاتيكان المعني بشؤون العلاقات مع الأديان الأخرى حين قال: إنّ العالم مهووس بالإسلام ... لا نريد أن يتنامى الانطباع بأنّ الأديان ذات وضع طبقي، أو أن هناك ديناً أفضل من آخر ... إن الإسلام مهم للغاية، ولكن هناك أيضاً ديانات آسيويةٌ عظيمةٌ أخرى، والإسلام دين واحد... بالفعل إن الناس مهووسون بالإسلام][٢]**.**

---

[1] مجلة ا تمع العدد ١٧٩٦ بتاريخ ٢٠٠٨/٤/٥.

[2] المرجع السابق نفسه.

الفصل الخامس
دور علماءِ الأمة في مواجهة التحديات القديمة والمعاصرة

المبحث الأول: أبرز جهود العلماء المبذولة قديماً في رد الشبهات عن الإسلام ونبوة محمد ﷺ والتصدي للمطاعن فيهما

المبحث الثاني: أبرز جهود العلماء المعاصرين في رد الشبهات عن الإسلام ونبوة محمدٍ ﷺ والتصدي للمطاعن فيهما

المبحث الثالث: أبرز الجهود الجماعية المؤسسية المعاصرة في رد الشبهات عن الإسلام ونبوة محمدٍ والتصدي للمطاعن فيها

المبحث الرابع: الردود الشافية الكافية على ما تقدم من شبهاتٍ ومطاعن ونقضها تفصيلاً

المبحث الخامس: وشهد شاهد من أهله

تمهيد

تقَدم الحديث سابقاً عن عددٍ كبيرٍ من المؤلفات الجدلية اللاهوتية التي خطّها رهبان وقساوسة العصور الوسطى، والتي طعنت في الإسلام ونبوة محمدٍ ﷺ، وأثارت حولهما العديد من الشبهات. كما تقدم الحديث كذلك عن بعض المناسبات التي دعا المسيحيون المسلمين فيها لمحاور م ومجادلتهم ومواجهتهم فكرياً، عوضاً عن المواجهة العسكرية المسلّحة. وما من شكٍ في أنّ الجهود المسيحية المتعلقة بالتأليف الجدليّ اللاهوتيّ الطاعن في الإسلام ونبوته ﷺ، التي بدأت في تلك العصور توالت واستمرت حتى وصلت يومنا هذا مع زياداتٍ عليها تتعلّق بالمضمون والشكل ووسائل الاتصال. فماذا كان موقف علماء الأمة المُسلمة من هذه المطاعن والحملات الموصولة من التشكيك في الإسلام وإثارة الشبهات حول نبوته ﷺ؟؟

في الواقع لقد ض علماء الأمة للرد على هذه الشبهات والأباطيل وتصدوا لكل ما وقعت عليه أيديهم من كتاباتٍ ومخطوطاتٍ ذا الشأن... وقد قامت هذه الدراسة برصد وتحليل أبرز الكتابات التي خطّها علماؤنا وأساتذتنا فيما يتعلق ذا الموضوع قديماً وحديثاً. نعم، لقد سخر الله تعالى لهذا الدين رجالاً ضوا لنصرته والذود عن حياضه، رجالاً كانوا من أهل الاختصاص والاستعداد الخاص الذي لا يوهب إلا لخاصةٍ مِن الخَلق أصحاب العقول العاملة الفاعلة المؤثّرة التي حملت هم الدعوة إلى هذا الدين قديماً وحديثاً، فبقيت كلما م ومؤلفا م مناراتٍ تنير الطرق المظلمة على امتداد العصور. ولقد حظيت الأندلس بنصيب الأسد من كتابات هؤلاء العلماء الذين جادلوا النصارى وأفحموهم وردوا على تساؤلا م أو شبها م وأباطيلهم. وهذا لا يعني انحصار الجهود في الأرض الأندلسية وحدها، فقد ضت الشام هي الأخرى لتأخذ نصيبها من هذه الجهود، كذلك ض علماء أرض الحجاز وأرض الكنانة ليقوموا بواجبهم في هذا الموضوع. ولكن الأندلس تبقى صاحبة الأسبقية والأهمية في هذا الشأن، وذلك راجع لوقوعها على الحدود المباشرة مع القارة الأوروبية المسيحية، كما أنه راجع إلى ترؤس الكنيسة الإسبانية ورهبا ا للحرب العقدية والفكرية ضد الإسلام وذلك بعد وقوع إسبانيا في ظل الفتح الإسلامي آنذاك.

ولعل من المفيد في **التمهيد لهذا الفصل الإشارة** إلى **أنّ هذه الدراسة ليست بصدد رصد جهود العلماء** في **موضوع مقارنة الأديان، بل إ ا بصدد رصد جهودهم** في **الرد على مطاعن الكنيسة الغربية ورهبا ا** في **الإسلام ونبوة محمدٍ ﷺ. ومع أن هذين الموضوعين متقاربان** إلى **حدٍّ بعيدٍ إلاّ أننا نرى أ ما ليسا موضوعاً واحداً**، فنحن

على سبيل المثال، لسنا في معرض الرد على زعم النصارى بألوهية المسيح، ولسنا في معرض الرد على عقيدة التثليث ونقضها، وكذلك، فلسنا في معرض إثبات تحريف نصوص الكتاب المقدس، فهذه المسائل مجالها مقارنة الأديان وليس مجالها حديثنا المتعلّق برد الشبهات والمطاعن المتعلقة بالإسلام ونبوة محمدٍ ﷺ والتزييفات التي طرأت على صور ـا الحقيقية بما كسبته أيدي الرهبان والقساوسة. ومن المفيد هنا أن نشير إلى وجود قدرٍ، ولو كان يسيراً، من القواسم المشتركة مع علم مقارنة الأديان وجهود بعض العلماء الذين برزوا فيه وكتبوا في نقض عقائد النصارى وردوا في الوقت ذاته على الشبهات والمطاعن في الإسلام ونبوة محمدٍّ ﷺ.

ولذلك فإننا سنرى في ثنايا هذا المبحث حديثاً عن الباجي و القرافيّ وابن تيمية مثلاً بينما لن نرى حديثاً عن أعلامٍ آخرين برزوا في الكتابة عن الأديان والفِرق، كالشهرستاني وابن حزمٍ الأندلسي، ومرد ذلك إلى أنّ هذين العلمين رحمهما الله، مثلاً، قد كتبا في الأديان السماوية والوضعية وبينما اكتفى الشهرستاني بعرض عقائد أهل الأديان والفِرق كما هي عند أصحا ا ولم يتصد لنقد أو رد أو مناقشة أيٍّ منها، نرى ابن حزمٍ قد تصدى لها بالعرض والتفنيد والنقد وبيان أوجه التناقض والانحراف والتحريف، لكن أياً من هذين العلمين، رحمهما الله، لم يدون في كتبه المتعلقة بالأديان ما يخدم موضوع دراستنا هذه، ولم يتصد للرد على الشبهات والمطاعن التي وجهتها الكنيسة الغربية ورهبا ا للإسلام ونبوةِ محمدٍ ﷺ على ما نعلم، والله أعلم.

وسنراعي في ذكرنا واستعراضنا لجهود هؤلاء العلماء التسلسل التاريخي قدر الامكان مقتصرين في كل محطّةِ عالِمٍ نقف عندها على استعراض أبرز ما كتبه في موضوع رد الشبهات والمطاعن عن الإسلام ونبوة محمدٍّ ﷺ.

وبالعودة للحديث عن الأندلس، فإنها قد عاشت سنواتٍ طويلةً من الجدل الديني بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الأديان السماوية، وبالذات أتباع الكنيسة الكاثوليكية من الرهبان والقساوسة الذين أخذوا على عاتقهم إعلان الحرب العقدية والفكرية ضد الإسلام، وذلك من خلال ما خطوه في أديرـ ـم من مؤلفاتٍ كثيرةِ العدد اشتركت كلها في قاسمٍ واحدٍ هو تكذيب كل ما جاء به محمد من القرآن والعقائد والشرائع. وكانت مؤلفات الرهبان هذه، في كثيرٍ من الأحيان، تكتب في الخفاء وتحفظُ في الأديرة أو مكتبات الكنائس في ظلّ الحرية الكبيرة التي منحتها الدولةُ الإسلامية لغير المسلمين آنذاك. وفي أحيانٍ أخرى كان أصحاب هذه الكتابات يجاهرون ـا ويتحدون المسلمين

ويدعو م للحوار والمناظرة، وفي أحيانٍ أخرى كانت هذه الكتابات تتخِذُ شكل رسائل تبعثُ لمن يراد مناقشته وعرض المسيحية عليه لاعتناقها وترك الإسلام.

وتكاد القرون الهجريةُ الرابع والخامس والسادس والسابع تكون العصور الذهبية لمثل هذه المدونات المسيحية، ولما ورد عليها من ردودٍ واعتراضاتٍ إسلاميةٍ، وهي قرونٌ ازدادت فيها معرفة الإسبان باللغة العربية وتوضحت في كتابا م وترجما م للقرآن الكريم، بعد أن كان إتقان اللغة العربية وفهمها السبيل الأبرز للتعرف على القرآن الكريم وتفاسيره، والسيرة النبوية الشريفة، والحديث النبوي الشريف، فقاموا بالطّعن والتشويه والتزييف وإثارة الشبهات والشكوك مستغلّين بذلك علو سقف الحرية والتسامح الذي تعامل به المسلمون معهم.

"لقد تعامل المسلمون مع نصارى الأندلس بتسامحٍ كبيرٍ، ولقد تمتع رجال الدين المسيحي بحريةٍ دينيةٍ، وسمِح لأساقفة النصارى بعقد مؤتمرا م الدينية (وأغلبها مخصص للتبشير) في المدن الأندلسية الكبيرة مثل: المؤتمر الديني الذي عقد في قرطبة عام ٥٨٢م ومؤتمر أشبيلية عام ٨٧٢م. وغني عن القول أن الحكومة الإسلامية سمحت للنصارى بتشييد العديد من الكنائس. وكان بعض فقهاء المسلمين في الأندلس يتخذون من النصارى مساعدين لقضاء حوائجهم ولا يجدون في ذلك غضاضةً، فقد ذكر الطرطوشي أن الفقيه ابن الحصار استعمل جاره النصرانيّ على قضاء حوائجه ومنافعه .. بل وصل بعض النصارى إلى مناصب عاليةٍ في الحكومة الإسلامية، فقد استوزر المقتدر بن هود (ت:٤٧٤ هـ) ملك سرقسطة أبا عامرٍ بن غند شلب النصرانيّ. وفعل مثله محمد بن عبد الرحمن الأوسط (ت: ٢٧٣هـ) الذي صار كبير الكَتبةِ عنده قومس ابن أنتنيان النصراني"[(١)].

[(1)] العسكر، عبد الله بن إبراهيم، الجدل الديني في الأندلس، ص٢، دراسةٌ مطولةٌ نشرها قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض بتاريخ ٢٠٠٨/٣/٢٣.

المبحث الأول

أبرز جهود العلماء المبذولة قديماً في رد الشبهات عن الإسلام ونبوة محمدٍ ﷺ والتصدي للمطاعن فيهما

أولاً: أبو الوليد الباجي

عاصر أبو الوليد الباجي(١) ابن حزمٍ الأندلسي، رحمهما الله، وقد جرت بينهما جلسات ومناظرات عديدةٌ. كان هذا الرجل من أهل العلم المتمكّنين وبالذات في علوم التوحيد والفقه وأصول الفقه، وقد زادت مصنفاته على ثمانية عشر، كان من أبرزها (المُنتقى في الفقه) و(التسديد إلى معرفة التوحيد) و(إحكام الفصول في أحكام الأصول). وفي هذا الرجل وفي أبي بكر الطرطوشي قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله، "... ولهم في الإسلام مساعٍ مشكورةٌ، وحسنات مبرورةٌ ولهم في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع، والانتصار لكثيرٍ من أهل السنة والدين، مالا يخفى على من عرف أحوالهم، وتكلم فيهم بعلمٍ وصدقٍ وعدلٍ وإنصاف"(٢).

وقد استدعى الأمير المقتدر بالله حاكم سرقسطة(٣) آنذاك، أبا الوليد للرد على الرسالة التي بعثها الراهب الفرنسي الشهير القديس "هيو"، الذي كان قائماً على دير كلوني، الذي سبق الحديث عنه. والرسالة التي نحن بصدد الحديث عنها هي مثالٌ واضح على جهود علمائنا الأقدمين في الرد على شبهات النصارى ومطاعنهم في الإسلام ونبوةِ محمدٍ ﷺ. ولكن هذه رسالةٌ طويلةٌ(٤) لا يسعنا إيرادها في هذا المقام، لكننا سنذكر أبرز ما اشتملت عليه من نقاطٍ تخدم موضوع دراستنا هذه، فقد أشار الباجي في رسالته إلى أنّ المسلمين يعرفون المسيحية تماماً وأنّ لهم اطّلاعاً واسعاً على كُتبها ومعرفةً بما فيها من التناقض والتضاد، كما فَند وبالتفصيل ادعاء المسيحيين بألوهية المسيح، عليه السلام، ثم

---

(1) هو الإمام العلامة، الحافظ، القاضي أبو الوليد، سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي، الأندلسي، القرطبي، الباجي، الذهبي المالكي صاحب التصانيف. وأصله من مدينة بطليوس فتحول جده إلى باجة - بليدة بقرب إشبيلية - فنسب إليها، وما هو من باجة المدينة التي بإفريقية تونس التي ينسب إليها الحافظ أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي الباجي، وابنه الحافظ الأوحد أبو عمر أحمد بن عبد الله بن الباجي، وهما من علماء الأندلس أيضاً. ولد أبو الوليد في سنة ثلاثٍ وأربع مائة. مات أبو الوليد بالمرية في التاسع عشر من رجب، سنة أربعٍ وسبعين وأربع مائة، فعمره إحدى وسبعون سنة سوى أشهر، فإن مولده في ذي الحجة من سنة ثلاثة وأربع مائة.

(2) ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، ج١ ص ٢٤٤، ٢٤٥، ج٢ ص ١٠١، ١٠٢، تحقيق الأستاذ / الدكتور محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(3) كانت سرقسطة عاصمة الثغر الأعلى إبان عهد الخلافة في قرطبة، زمن حكم ملوك الطوائف، وقد أصبحت بعد استيلاء النصارى عليها عاصمةً لإقليم أرجون. والمقتدر بالله هو أحد الحُكّام من بني هودٍ، وقد حكم سرقسطة من سنة ٤٣٨ هـ - ٤٧٤ هـ / ١٠٤٦م – ١٠٨١م.

(4) للوقوف على النص الكامل لهذه الرسالة الجوابية ورسالة الراهب التي سبقتها، انظر: الشرقاوي، محمد عبد الله، رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها. ص ٤٢ فما فوق، ط١، ١٩٨٦، مكتبة دار الصحوة، القاهرة.

عرض وبالتفصيل ما في الإسلام مِن محاسن وفوائد وخيرٍ في العقيدة والشريعة والنظم الأخلاقية والاجتماعية ... وطلب إلى راهب فرنسا أن يحضر بنفسه إلى بلاد المسلمين ليتعرف عن قربٍ على الإسلام ويسمع آيات القرآن الكريم من أفواه المسلمين أنفسهم. ولم يكتفِ الباجي، رحمه الله، بذلك بل دعا هذا الراهب للتفكير في اعتناق الإسلام وأن يكون سبباً في إسلام من حوله من الناس ...

لقد لقيت هذه الرسالة اهتماماً كبيراً لدى الكثيرين من المستشرقين المتأخرين وتّمت ترجمتها إلى العديد من اللغات الأجنبية وكان من أبرز من اهتم ا (Salo baron) و(Allen cutler) ومن قَبلهما المستشرق البريطاني الشهير دانلوب. وقد ذكر الأستاذ محمد الشرقاوي كلاماً طيباً في تقييمه لهذه الرسالة الجوابية الهامة للباجي، فقال[1]: إنّ رسالةَ الباجي تظهر ـ في تقديري ـ رؤية إسلاميةً صحيحةً وعميقةً، لما عليه العقيدة النصرانية من اضطرابٍ وتناقضٍ ووهاءٍ، كما أ ا تبرز مسئولية القاضي الباجي في الدعوة إلى الله تعالى بين غير المسلمين، ووعيه بالطريق الأرشد إلى ذلك فالقضية ـ عنده ـ لم تكن مجرد تدبيج جوابٍ على رسالة راهبٍ فرنسي بعث ا ـ مع رسولين ـ إلى المقتدر بالله حاكم سرقسطة، أقصى ما يؤمله الباجي من ورائه، أن يرضى المقتدر بالله عنه؛ لكن طموحه السديد كان أبعد من ذلك وأعظم؛ إذ كان يروم تعريف راهب فرنسا وكبير رجالات الكنيسة فيها بمحاسن الإسلام، وما عليه النصرانية ـ بعد التحريف ـ من مجافاةٍ للعقل والمنطق، فضلاً عن مصادمتها للفطرة السليمة، بأسلوبٍ قويمٍ حكيمٍ، وإن كل فقرةٍ في الرسالة لتؤكد هذا المعنى وتعمقه.

ثانياً: أحمد بن عبد الصمد الخزرجي

إن كان الباجي قد رد على راهب فرنسا القديس "هيو" برسالةٍ جوابيةٍ شهيرةٍ وقفنا على مضمو ا في الصفحات السابقة، فإنّ أحمد بن عبد الصمد الخزرجي[2]، هو الآخر، قد بعثّ برسالةٍ جوابيةٍ إلى قسيسٍ كبيرٍ في مدينة طُليطلة بعد وقوعها الأول "المؤقّت" تحت حكمٍ تحالفٍ عربيٍ مسيحيٍّ إبان التنازع على الحكم في ظل الحكم

---

(1) الشرقاوي [م. س] ص ٣٠، ٣١.

(2) هو أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة، بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الحق الأنصاري الخزرجي الساعدي، نسبة إلى سعد بن عبادة الصحابي. ولد بقرطبة سنة ٥١٩هـ في أسرةٍ عربيةٍ وكان أحد أجداده، أحمد بن عبد الرحمن، (ت ٥١١ هـ) من كبار المقرئين وجلّة المتقنين للأداء ا ودين. وكان الخزرجي معتنيا بالحديث وروايته في جامع القرويين مما جلب له إعجاب "خطاب رئيس أهل المعدن" فرتب له جرايةً بأربعمائة دينار "عدا ما يحتاج اليه مـن كسوةٍ ومؤن مواسم لم يقطعها عنه مدة تسعة أعوامٍ بعد أن كانت مؤونته من تفقد الأخوان واحسا م إلى أن توفي بفاس عقب ذي الحجة من سنة ٥٨٢ هـ.

الإسلامي للأندلس آنذاك. وقد تحولت هذه الرسالة الجوابية فيما بعد إلى كتابٍ هامٍّ حمل عنوان **(مقامع الصلبان ومراتع رياض الإيمان) أو (مقامع هامات الصلبان وروائع رياض الإيمان)**[١].

وحسب مقدمة الكتاب[٢] فقد كان سقوط قرطبة في ذي الحجة من عام خمسمائةٍ وأربعين للهجرة الموافق لعام ١١٤٥ للميلاد، على يد ابن حمدين الذي استعان بالنصارى على منافسيه من المسلمين، فأعاث النصارى في شرق قرطبة فساداً كبيراً وأسروا بعض المسلمين وكان من هؤلاء المأسورين أحمد الخزرجي الذي بقي أسيراً في طليطلة من عام ٥٤٠ هـ / ١١٤٥م إلى عام ٥٤٢ هـ / ١١٤٧م، وقد كان عمره آنذاك اثنتين وعشرين أو ثلاثاً وعشرين سنةً. وقبل الحديث عن مضمون هاتين الرسالتين، الجوابية من الخزرجي والأولى من القس الطليطلي فإنه من المهم جداً أنْ نعلم أنّ السنة التي ألف فيها الخزرجي "مقامع الصلبان" هي ذات السنة التي أ ى فيها روبرت الكيتوني ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية بطلبٍ ودعمٍ من بطرس المبجل، مما يعطينا فكرةً واضحةً عن مدى الاهتمام الكاثوليكي بالإسلام في تلك الأيام ومدى حرص القساوسة والرهبان على محاربته والطعن في عقائده وفي القرآن الكريم ونبوة الحبيب المصطفى ﷺ. ومن ضمن هذا الاهتمام جاءت رسالةُ القس الطليطلي إلى الخزرجي يعرض فيها عليه ترك الإسلام واعتناق المسيحية ويحاول تشكيكه في دينه من خلال شبهاتٍ كثيرةٍ أثارها حول تشريعات الإسلام في الزواج والطلاق وفي الجهاد واعتراضٍ على وصف القرآن لمريم بأنها أخت هارون وقدحٍ في الوصف الحسي الذي حمله القرآن للجنة لما فيها من طعامٍ وشرابٍ ونكاح ...

ويمكننا بعد قراءة رسالة هذا القِس الطليطلي أن نرصد بعض الموضوعات التي أوردها ومنها العشرة التالية:

١. الدعوة إلى الإيمان بالمسيح ابن الله.

٢. إقرار القرآن بأنّ المسيح روح الله وكلمته وأنه أحيا الموتى، وأنّ سلوك المسيح يدل على ألوهيته.

٣. الصلب رحمةٌ ببني آدم ودليلٌ على ألوهية المسيح.

٤. عدم الفائدة في شريعة الإسلام وأنّ الزواج والطلاق في الإسلام دليلٌ على أنه ليس حقاً.

٥. القرآن ينسب إلى التوارة والإنجيل ما ليس فيهما (كالقتال مثلاً).

٦. سخرية من القول بالنسخ في القرآن.

---

[١] اشتهر هذا الكتاب بعدة اسماء منها، قامع هامات الصلبان وروائع رياض الإيمان، ومقاطع الصلبان ومراتع ... ومنها مقاطع الصلبان في الرد على عبدة الأوثان.

[٢] الخزرجي، أحمد بن عبد الصمد، مقامع الصلبان، تحقيق وتقديم عبد ا يد الشرفي ط١، ١٩٧٥، من منشورات الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس.

٧. إنكار ما يذكر القرآنُ من إسقاط إبليس من السماء.

٨. القول بتحريف التوارة والإنجيل والزبور لا يقوم عليه دليل.

٩. فشو الإسلام بالسيف والقهر على عكس المسيحية.

١٠. دعوة المسلم إلى الاعتبار والتدبر.

"ولمّا وقف الشاب الألمعي [أحمد الخزرجي] على هذه الرسالة: زجر موصليها وامتنع عن مراجعةِ القسيس تخوفاً منه، لكونه يومئذٍ بين ظهرانيهم وفي كُنه ديانتهم، فألح الناس عليه في الجواب فكتب هذا الجواب المُسمى "مقامع هامات الصلبان، ورواتع روضات الإيمان".. واستفتح رسالته بالبسملة والحمدلة والصلاة والسلام على سيدنا محمّدٍ ثم قال: فصل: في تقديم الاعتذار عن الـ ول إلى إجابتك للاعتراف بأن الالتفات إلى ما لديكم يخل بعقل الإنسان ودينه.. وأخذ يناقش دعاوى النصارى واحدةً واحدةً ويرد عليها ويبطلها، وبدأ بإبطال دعوى ألوهية المسيح عليه السلام، وتعجب من دعوة القسيس له إلى الدخول في النصرانية ... وناقش المؤلف مزاعم النصارى حول معجزات المسيح التي رفعه ا إلهاً، وهي في الحقيقة دلائل نبوته ومعالم رسالته ووقع مثلها للأنبياء على مدى تاريخ الرسالات ..."[1]. ثم تكلم المؤلف عن اضطراب الأناجيل وتناقضها وساق نماذج متعددةً لذلك ثم شرع في الرد على كل الشبهات والمطاعن التي أوردها القسيس حول الإسلام وتشريعاته ونبوة رسول الله ﷺ.

لقد حملت هذه الرسالةُ الجوابيةُ الرائعةُ التي بعث ا الخزرجي إلى هذا القس ردوداً شافيةً وافيةً على ما كان القس قد أثاره من شبهاتٍ ومطاعن. والرسالة يطول ذكرها في هذا المقام، وهي موجودةٌ بالنص الكامل في الكتاب السابق ذكره، وهو متوفّر في المكتبات العامة ومكتبات الجامعات ولله الحمد. وقد احتوت الرسالة، إضافةً لنقض شعائر وعقائد النصارى ونقد حججهم وأدلتهم، احتوت العديد من الردود على شبها م ومطاعنهم وهي ردود نراها تتكرر عند الكثيرين من المتأخرين عن الخزرجي الذين أفادوا منها في محاجتهم للنصارى.

ويمكننا بعد قراءة هذه الرسالة الجوابية أن نرصد بعض الشبهات والمطاعن التي ردها ونقضها ومن أبرزها ما يلي:

١. الرد على طعن أساقفة النصارى في الإسلام ونبيهِ.

---

[1] المسير، محمد سيد أحمد، المدخل لدراسة الأديان، ص ١٥٦ بتصرف، ط١، ٢٠٠١، دار الندى، مصر.

٢. شواهد من التوارة في التبشير بمحمدٍ.

٣. افتراء المُضِلّين من النصارى على محمدٍّ واستدراك مجامعهم.

٤. عرض أكاذيب النصارى في شأن محمد والقرآن والرد على هذه الأكاذيب.

٥. نفي قول الرسول أنه لا يموت.

٦. الاستهزاء من مسيلمة وكتابه.

٧. الرد على إنكار النصارى لفصاحة القرآن وإعجازه.

٨. الرد على إنكار النصارى لمعجزات محمدٍّ.

٩. الرد على إنكار النصارى لإخبار القرآن عن الغيب.

١٠. ذكر معجزات محمدٍّ ومقارنتها بمعجزات غيره من الأنبياء.

١١. مدى دلالة الآيات على ثبوت النبوة.

١٢. بشارات التوارة والزبور والإنجيل والنبوات بمحمدٍّ.

١٣. فضائل محمد وصفاته.

١٤. الرد على القس في شأن التذاذ الأجسام في الجنة والاستشهاد على ذلك بما جاء في الإنجيل والتوراة والقرآن.

١٥. الرد على القس في أمر انتشار الإسلام بالقهر والسيف.

ثالثاً: أحمد بن إدريس القرافي

ذكر الإمام القرافي(١) في مقدمة كتابه **(الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة)** السبب الذي دعاه إلى تأليف هذا الكتاب فقال(٢): "إن بعض النصارى قد أنشأ رسالةً على لسان النصارى مشيراً أنّ غيره هو القائل، وأنه هو السائل. مشتملةً على الاحتجاج بالقرآن الكريم على صحة مذهب النصرانية، فوجدته قد التبس عليه المنقول.وأظلمت

---

(1) هو أحمد بن ادريس بن عبد الرحمن المُلقب بشهاب الدين القرافي. والقرافي اما نسبةٌ إلى قبيلةٍ أصلها مغربي سكنت مصر وعرفت المنطقة باسمها. وأما نـسبة إلى القرافة (المحلة ا اورة لقبر الأمام الشافعي الآن بالقاهرة) حيث كان شهاب الدين يمر ا أثناء خروجه لطلب العلم. وقد تأخر مرةً ولم يتذكر كاتب الأسماء اسمه فكتبه القرافي نسبةً إلى جهة الحضور فصارت لقباً له.
كان من أشهر شيوخه العز بن عبد السلام الملقّب بسلطان العلماء وقد لازمه من سنة ٦٣٩ هـ وحتى سنة ٦٦٠ هـ. له من المصنفات ما يزيـد علـى الخمـسة والعشرين، ومن أشهرها الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة، وأدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، والانتقاد في الاعتقاد، والذخيرة في الفقـه المـالكي، وتنقيح الفصول في علم الأصول وهو مقدمة الذخير، وتوفي في جمادى الآخرة عام ٦٨٤ هـ ودفن بالقرافة.

(2) القرافي، أحمد بن أدريس، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور بكر زكي عـوض، ص ٤٧، ط١، ١٩٨٦، الناشـر [المحقـق]، القاهرة.

لديه قضايا العقول. فإنّ كتابنا العزيز وكتبهم دالةٌ على صحة مذهبنا وإبطال مذهبهم. وأنا أبين ذلك إن شاء الله تعالى في أربعة أبواب.

يتكون كتاب "الأجوبة الفاخرة" من أربعةِ أبواب. رد فيه المؤلف في بابه الأول على خمس عشرة شبهةً من أبرز الشبهات التي أثارها النصارى على المسلمين وكان من أبرز هذه الشبهات وأشهرها شبهة خصوصية رسالة الإسلام بالعرب فقط، وشبهة المسيح روح الله وشبهة ودعوى إعلاء م لة النصارى في القرآن الكريم، وشبهة مدح القرآن لعقيدة القربان وشبهة احتجاجهم ببعض آيات القرآن الكريم لصالحهم، وشبهة دعوى الاستغناء عن شريعة محمدٍ عليه السلام. وفي الباب الثاني أجاب القرافي ـ رحمة الله ـ عن أسئلةٍ عبث ا النصارى ضد المسلمين، جمعها في خمسة عشر سؤالاً وفّندها ورد عليها بالتفصيل. وكان من أبرز هذه الأسئلة الخبيثة دعوى انتشار الإسلام بالسيف ودعوى أنّ المسلمين على ضلال، ودعوى جواز الاتحاد والحلول بنص القرآن، ودعوى خلاف المسلمين في القرآن!!.

أما في الباب الثالث من هذا الكتاب فنرى القرافيّ، يرحمه الله، قد تحول من موقع المُجِيب إلى موقع السائل، ومن موقع المُدافِع إلى موقع المهاجِم فألقى على اليهود والنصارى مائةً وسبعةَ أسئلةٍ تتعلّق في صميم معتقدا م وكُتبهم المقدسة وشعائرهم. كما طرح عليهم أسئلةً صعبةً محرِجةً لهم تتعلّق بثبوت المعجزة لمحمّدٍ، ﷺ، وعن الفرق بينها وبين معجزات السابقين وعن موقف العقلاء من نبوة محمد، ﷺ، وعن موقفهم من عدم الأكل والشرب في الجنة. وفي الباب الرابع والأخير أورد القرافي ـ يرحمه الله ـ إحدى وخمسين بشارةً من كتبهم كلّها تبشر بالنبي محمد ﷺ.

رحم الله الإمام القرافي وجيله من العلماء الذين أناروا لنا الدرب وأشعلوا مشاعل العلم والمعرفة وتصدوا للذود عن هذا الدين ونبيه الكريم ودستوره الخالد.

رابعاً: الإمام ابن تيمية

إنّ أبرز مؤلفات ابن تيمية[1]، رحمه الله، فيما يتعلّق بموضوع دراستنا هو كتاب **"الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح"**. وقد ذكر في مقدمة هذا الكتاب السبب المباشر الذي دعاه لتأليفه فقال[٢]: إنّ كتاباً ورد من قبرص فيه الاحتجاج لدين النصارى، بما يحتج به علماء دينهم وفضلاءُ ملّتهم قديماً وحديثاً، من الحجج السمعية والعقلية، فاقتضى ذلك أن نذكر مِن الجواب ما يحصلُ به فصل الخطاب، وبيان الخطأ من الصواب، لينتفع بذلك أولو الألباب، ويظهر ما بعث الله به رسله من الميزان والكتاب، وأنا أذكر ما ذكروه بألفاظهم بأعيا ا فصلاً فصلاً، وأُتبِع كل فصلٍ بما يناسبه من الجواب فرعاً وأصلاً، وعقداً وحلا. وما ذكروه في هذا الكتاب هو عمد م التي يعتمد عليها علماؤهم في مثل هذا الزمان، وقبل هذا الزمان، وإن كان قد يزيد بعضهم على بعضٍ بحسب الأحوال، فإنّ هذه الرسالة وجدناهم يعتمدون عليها قبل ذلك، ويتناقلها علماؤهم بينهم، والنسخ ا موجودةٌ قديمةٌ، وهي مضافةٌ إلى "بولص" الراهب أسقف صيدا الأنطاكي كتبها إلى بعض أصدقائه وله مصنفات في نصر النصرانية، وذكر أنه لمّا سافر إلى بلاد الروم والقسطنطينية وبلاد الملافطة، وبعض أعمال الافرنج ورومية،واجتمع بأجلاء أهل تلك الناحية، وفاوض أفضالهم وعلماءهم، وقد عظم هذه الرسالة، وسماها: "الكتاب المنطيقي الدولة خانى المبرهن عن الاعتقاد الصحيح والرأي المستقيم".

---

[1] أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، تقي الدين أبو العباس، الملقب بشيخ الإسلام ولد في ٦٦١ هـ هو أحد علماء المسلمين. ولد في حران وهي بلدة تقع حالياً في تركيا في جزيرة ابن عمرو بين دجلة والفرات.وحين استولى المغول على بلاد حران وجاروا على أهلها، انتقل مع والده وأهله إلى دمشق سنة ٦٦٧هـ فنشأ فيها وتلقّى على أبيه وعلماء عصره العلوم المعروفة في تلك الأيام. كانت جدته لوالده تسمى تيمية وعرف ا. وقدم مع والده إلى دمشق وهو صغير قرأ الحديث والتفسير واللغة. وشرع في التأليف من ذلك الحين. بعد صيته في تفسير القرآن وانتهت إليه الإمامة في العلم والعمل وكان من مذهبه التوفيق بين المعقول والمنقـول. يقال عنه إنه كان مقترحاً متحمساً للجهاد والحكم الشرعي، وقد كان أيضاً شخصاً مؤثراً في نمو حركة الإسلام كان ابن تيمية حنبلي المذهب، سلفي ال عة.
كثر مناظروه ومنافسوه وانتقدوا عليه أموراً خالفهم فيها، منها إن زيارة الأنبياء من الشركيات، و يه عن شد الرحال لزيارة القبور والتوسل بأصـحا ا فنـازعهم ونازعوه وأبلغوا أمره إلى حكام السلطنة في مصر فَطُلِب إلى مصر وعقِد مجلس لمناظرته ومحاكمته حضره القضاة وأكابر رجال الدولة فحكموا عليه وحبسوه في قلعة الجبل سنة ونصفاً مع أخويه. وعاد إلى دمشق ثم أُعيد إلى مصر وحبس في برج الإسكندرية ثمانية أشهر وأخرج بعدها واجتمع بالسلطان في مجلس حافـل بالقـضاة والأعيان والأمراء وتقررت براءته وأقام في القاهرة مدة ثم عاد إلى دمشق وعاد فقهاء دمشق إلى مناظرته في ما يخالفهم فيه وتقرر حبسه في قلعة دمشق ثم أفرج عنـه بأمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون واستمر في التدريس والتأليف إلى أن توفي عن ٦٧ عاماً.
صنف كثيراً من الكتب منها ما كان أثناء اعتقاله. من تصانيفه: (فتاوى ابن تيمية) و(الجمع بين العقل والنقل) و(منهاج السنة النبوية في نقـض الـشيعة القدريـة) و(الفرقان بين أولياء الله والشيطان). حض على جهاد المغول وحرض الأمراء على قتالهم. وكان له دور بارز في انتصار المسلمين في معركة شقحب.
دخل السجن في شهر شعبان سنة ٧٢٦ هـ ومكث في السجن إلى أن مات في ٢٦ من ذي القعدة سنة ٧٢٨ هـ، حيث مرض بضعةً وعشرين يوماً، ولم يعلم أكثر الناس بمرضه وفوجئوا بموته. ذكر خبر وفاته مؤذن القلعة على منارة الجامع وتكلم به الحرس على الأبراج فتسامع الناس بذلك واجتمعوا حول القلعة حتى أهل الغوطة والمرج وفتح باب القلعة فامتلأت بالرجال والنساء، وكانت جنازته عظيمة جداً وأقل ما قيل في عددهم خمسون الفاً.

[2] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق وتقديم محمد حسن إسماعيل، ص ٢٣، ط١، ٢٠٠٣، المكتبة العلمية، بيروت.

لقد استشعر شيخ الإسلام ابن تيمية خطورة مضامين هذه الرسالة وما انطوت عليه من مبالغاتٍ في مدح عقائد النصارى ومحاولاتٍ لإثبات صحتها وللطعن في نبوة محمدٍ ﷺ وعدم الحاجة إليها، فقرأ هذه الرسالة وذكر في مقدمة كتابه أنها تتكون من ستة فصول هي التالية:

الفصل الأول: دعواهم أن محمداً ﷺ لم يبعث إليهم، بل إلى أهل الجاهلية من العرب، ودعواهم أن في القرآن ما يدل على ذلك والعقل يدلُ على ذلك.

الفصل الثاني: دعواهم أن محمداً ﷺ أثنى في القرآن على دينهم الذي هم عليه، ومدحه بما أوجب لهم أن يثْبتوا عليه.

الفصل الثالث: دعواهم أن نبوات الأنبياء المتقدمين كالتوراة والزبور والإنجيل وغير ذلك من النبوات تشهد لدينهم الذي هم عليه من الأقانيم، والتثليث، والاتحاد، وغير ذلك، بأنه حق وصواب، فيجب التمسك به، ولايجوز العدول عنه إذا لم يعارضه شرع يرفعه ولا عقلٌ يدفعه.

الفصل الرابع: فيه تقرير ذلك بالمعقول، وأن ما هم عليه من التثليث ثابت بالنظر المعقول، والشرع المنقول، موافق للأصول.

الفصل الخامس: دعواهم أنهم موحدون، والاعتذار عما يقولونه من ألفاظٍ يظهر منها تعدد الآلهة، كألفاظ الأقانيم، فإنّ ذلك مِن جنس ما عند المسلمين من النصوص التي يظهر منها التشبيه والتجسيم.

الفصل السادس: أن المسيح، عليه السلام، جاء بعد موسى، عليه السلام، بغاية الكمال، فلا حاجة بعد النهاية إلى شرعٍ يزيد على الغاية، بل يكون بعد ذلك شرعاً غير مقبول.

وقد بين ابن تيمية في المقدمة ذاتها المنهج الذي سيعتمده في رد دعوى النصارى الباطلة هذه فقال[1]: ونحن ولله الحمد والمنةُ نبين أن كلّ ما احتجوا به من حجةٍ سمعيةٍ من القرآن، أو من الكتب المتقدمة على القرآن، أو عقليةٍ فلا حجة لهم في شيءٍ منها، بل الكتب كلّها مع القرآن، والعقل حجة عليهم لا لهم، بل عامة ما يحتجون به من نصوص الأنبياء ومن المعقول، فهو نفسه حجةٌ عليهم، ويظهر منه فساد قولهم، مع ما يفسده من سائر النصوص النبوية، والموازين التي هي مقاييس عقلية.

---

[1] ابن تيمية [م.س] ص٢٤.

يعد كتاب "الجواب الصحيح" أضخم ما كتبه ابن تيمية في الرد على النصرانية ونقد عقائدها وشبها ا حول الإسلام والقرآن الكريم ونبوة محمدٍ ﷺ، وقد زادت فصوله على مائةٍ وخمسةٍ وتسعين فصلاً في النـسخة الـتي بـين أيدينا[(١)] في هذه الدراسة. ومن أبرز الفصول التي خطها ابن تيمية، رحمه الله، فيما يخدم موضوع دراستنا هذه مايلي:

١. شبهات النصارى على رسالة محمّدٍ ﷺ وردها.

٢. معجزات محمد ﷺ.

٣. رد احتجاجا م ببعض الآيات على خصوصية الرسالة.

٤. رد دعوى خصوصية الإسلام لكون القرآن أنزِلَ بلسانٍ عربي.

٥. الرد على زعمهم الاستغناء برسل الله إليهم عن رسالة محمد ﷺ.

٦. رد زعمهم بأن عدل الله يقتضي أن لا يطالَبوا باتباع إنسانٍ لم يأت إليهم.

٧. الرد على النصارى في احتجاجهم بأنّ الله مدحهم.

٨. الرد على دعواهم بتعظيم الإسلام لمعابدهم.

٩. رفض دعواهم وجوب التمسك بدينهم بعد بعثة محمد ﷺ.

١٠. رد دعوى النصارى في أن القرآن أقرهم على ما هم عليه.

١١. نقض دعواهم أنّ القرآن أثبت في المسيح اللاهوت والناسوت.

١٢. إثبات الفضل والكمال لرسول الله ﷺ ولشريعته ولأمته.

١٣. فصلٌ في دلائل النبوة.

خامساً: الشيخ عبد العزيز بن حمد آل معمر

قد لا يكون هذا الشيخ[(٢)] من الأعلام المشهورة في بلادنا ولكنه، رحمه الله، قد ترك لنا مؤلفاً هاماً نسأل الله تعالى أن يكتبه له صدقةً جاريةً تبقى إلى يوم القيامة. وهذا المؤلف يأتي في صميم هذه الرسـالة ويخـدم موضـوعها

---

(1) هذه النسخة تتكون من جزأين زادت صفحا ا عن ألف وستين صفحة، وهي بتحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل وهي طبعة كاملةٌ محقّقةٌ علـى النـسخة الخطية لدار الكتب المصرية تحت رقم (٣٧٨) ومقابلة على طبعة العاصمة، وقد نشر ا المكتبة العلمية ببيروت عام ٢٠٠٣م.

(2) هو الشيخ عبد العزيز بن حمد بن ناصر بن معمر رحمه الله (١٢٠٣هـ -١٢٤٤هـ) ولد في الدرعية، وتعلم فيها على أئمة الدعوة، وكان أبوه من كبارهم. ذهب إلى (البحرين) بعد سقوط الدرعية على يد الباشا، ومات فيها، له قصائد متبادلة مع الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله، وله مرثية للدرعية مشهورة يسميها علماء نجد الطّنانة.

بوضوح، هذا المؤلف هو **"منحة القريب ا يب** في **الرد على عباد الصليب"**[1]. وقد حكى الأستاذ محمد سيد المسير سبب إقدام الشيخ عبد العزيز آل معمر على وضع هذا الكتاب فقال[2]:

قد واجه به المؤلف كتاباً في التنصير خطه المندوب الإنجليزي في البحرين بعنوان "مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن" يشتمل على طعونٍ في الرسالة الإسلامية والرسول محمدٍّ ﷺ، ويشيد بالنصرانية، وبعث المندوب الإنجليزي بكتابه هذا إلى حاكم البحرين الشيخ عبد الله بن خليفه ليعرضه على العلماء المسلمين فانبرى له الشيخ عبد العزيز بن حمد آل معمر وسجلَ الرد في فترةٍ وجيزةٍ وسلمه لحاكم البحرين.

ومن المفيد قبل الشروع في الحديث عن أهم محتويات هذا الكتاب التنبيه إلى عدم الخلط بينه وبين كتاب **"تحفة الأريب** في **الرد على أهل الصليب"** وهو من وضع عبد الله الترجمان الأندلسي الذي هداه الله إلى الإسلام بعد أن كان في السابق قسيساً إسبانياً يحمل اسم "إنسليم تورميدا".

في بداية كتابه عرض الشيخ عبد العزيز، رحمه الله، النص الكامل لما كتبه المندوب الإنجليزي في البحرين، آنذاك، ثم أتبعه بالردود الشافية الوافية على ما ذكر. ويتكونُ هذا الكتاب من خمسةِ مقاماتٍ (ما يعادل الأبواب) طويلةٍ تندرج تحتها مجموعةٌ من الفصول، وناقش في هذا الكتاب مجموعةً من المواضيع أبرزها ما يلي:

١. تحريف النصارى للدين الذي جاء به عيسى ابن مريم، عليه السلام، ودور ا امع الكنسية في ذلك.

٢. تحريف كتب النصارى واختلافا ا وتناقضا ا مع بعضها البعض.

٣. تحريف النصارى لصفات الرسول محمد ﷺ الواردة في كتبهم المقدسة.

٤. المناقشة التفصيلية لمقارنة المندوب الإنجليزي بين محمدٍّ وعيسى، عليهما السلام، وفيها رد على أسباب ترجيح المقارنة لصالح المسيح عليه السلام، وختم بأنّ الترجيح بين الأنبياء والرسل لا يعود لنا نحن البشر بل لله تعالى.

٥. أفاض المؤلف في ذكر فضائل وشمائل الحبيب المصطفى ﷺ.

٦. الردود على شبهات النصارى حول بعض آيات القرآن الكريم التي تصف المسيح بأنه روح من الله تعالى، وبيان التفسير الصحيح لهذه الآيات والفهم الذي يجب أن تندرج تحته.

٧. الإفاضة في تعداد وشرح معجزات الرسول ﷺ ووجوهها.

---

[1] منحة القريب ا يب في الرد على عباد الصليب. الطبعة الأولى كانت عام ١٩٧٨م وقد نشر ا دار ثقيف للنشر والتأليف، الطائف، المملكة العربية السعودية.

[2] المسير [م.س] ص١٦١.

٨. الرد على شبهة انتشار الإسلام بالسيف وبيان الحكمة من تشريع الجهاد.

٩. توضيح الحكمة من تشريع الطلاق وتشريع تعدد الزوجات.

سادساً: الشيخ رحمت الله الهندي

ليس من قبيل المبالغة القول إن الكتاب الذي ألّفه الشيخ رحمت الله الهندي[(1)]، رحمه الله، والذي يحمل عنوان **"إظهار الحق"**[(٢)] هو أثمن وأهم الكتب التي رصد ا هذه الدراسة فيما يتعلق بالرد على عقائد المسيحية ودفع شـبهات ومطاعن الرهبان عن الإسلام ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك لأمرين:

أما الأمر الأول: فيرجع إلى الظروف التي دفعت الشيخ الهندي لعقد مناظرته الشهيرة مع القسيس فندر، والتي تعتـبر مادةُ هذا الكتاب تدويناً لنصوصها وأحداثها وتوثيقاً لها، فقد حدث أن المنصرين في الهند في الخمسينات من القرن الثامن عشر قد جعلوا من الشوارع والأماكن العامة والأسواق في القارة الهندية منابر لنـشر الكفـر البواح، يتحدون المعتقدات الإسلامية، ويهاجمون العلماء، ويصفو م بالخور والجبن وضعف الحجة، وأ ـم ليسوا بقادرين على إثبات صحة هذا الدين، وعلى رأسه هذا القرآن، ورسالة محمد ﷺ، ليصلوا إلى هـدفهم من إثبات ألوهية عيسى عليه السلام، وأحقية دين المسيح المخلص للعالم بزعمهم إلى غير ذلك. وشنوا حملةً لا هوادة فيها على طبقات الشعب المسلم، يوردون عليه شبهاتٍ وأوهاماً وتفـسيراتٍ حـسب أهـوائهم، يقتطعو ا من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يلبسو ا ثوب الحق ويدعون أحقيتها زوراً و تاناً، وعاش المسلمون فترةً قاسيةً ومحنةً أطاشت عقولهم، وشلت نشاطهم، فنهض رحمت الله الهندي ليعلِن التحدي ويـذود عـن الإسلام وقرآنه الكريم ونبوة الحبيب المصطفى ﷺ في هذا الوقت القاتل والموقف الصعب.

---

(1) هو محمد رحمت الله (بالتاء المفتوحة) بن خليل الرحمن الكيرانوي الهندي الحنفي، ونسبه ينتهي إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، عند الجد الرابع والثلاثين. ولد الشيخ رحمت الله بحي (دربار كلان) أي الحي الكبير في كيرانه، التابعة لمحافظة (مظفر ناجار) من توابع دلهي عاصمة الهند –في جمادى الأولى سنة ١٢٣٣هـ الموافق: التاسع من مارس سنة ١٨١٨م. في عهد السلطنة المغولية. وقد اشتهر أفراد أسرته بالعلم والطب والمناصب العليا. اشتهر بمناظرته للقس فندر حيث كانت الغلبة للشيخ رحمت الله، وقد كان له دور كبير في الثورة الهندية عام (١٢٧٤هـ، ١٨٥٧م) مما اضطره إلى مغادرة الهند تحت ملاحقة الدولة البريطانية وحكمها عليه بالإعـدام، فغادر بعد مصادرة أمواله وممتلكاته إلى مكة المكرمة، و ا أسس أول مدرسةٍ في الجزيرة العربية وهي التي تعرف الآن باسم المدرسة الصولتية نسبة إلى المُحسنة "صولة النساء" التي تبرعت بمالها لإنشاء المدرسة. زادت مؤلفاته عن ستة عشر كتاباً، من أشهرها: إظهار الحق، إزالة الشكوك، تقليب المطاعن، أحسن الأحاديث في إبطـال التثليث، معيار التحقيق، إعجاز عيسوي. توفي رحمت الله الهندي في مكة المكرمة ليلة الجمعة ٢٢ من شهر رمضان المبارك عام ١٣٠٨هـ ودفن في المعـلاة مكـة المكرمة بالقرب من أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها، عن عمر يقارب خمساً وسبعين سنة، رحمه الله تعالى.

(2) الهندي، محمد رحمت الله الكيرانوي، إظهار الحق، ط١، ١٩٨٣، طبعة إدارة إحياء التراث الإسلامي، الدوحة، قطر.

أما الأمر الثاني: فيرجع لعبقريته، رحمه الله، في عقد المناظرة وتمكنه منها حيث كان يناقش كل قضيةٍ يأتي عليها مـن كل زاويةٍ بدقةٍ تامةٍ وتجردٍ نزيهٍ، ثم يتناولها بالتفنيد والنقد من المصادر نفسها التي يعتمد عليها الخصم، ومن أقوال علمائهم حتى يتضح الحق، ويبرهن على عبودية المسيح عليه السلام، وعلى وجود التحريف والتناقض في الإنجيل والتوراة بعرض النصوص ومقابلة بعضها البعض، وعلى تـ يه ساحة النبوة والأنبياء من كل نقيصةٍ ومذمةٍ، وعلى أن القرآن الكريم لا تناقض فيه ولا اختلاف. ثم كان لا يفوته رحمه الله أن يدعم الحق بالأدلة من كتاب الله وسنة رسوله، ليجمع بين الحُجتين.

ومن المفيد أن نقف عند هذه المناظرة قليلاً لأ ا، كما أسلفنا، مادةُ الكتاب الذي نحن بصدد الحديث عنـه وأصله[1]، وسببها المباشر أن قسيساً شهيراً اسمه "فندر" قد قَدِم من إنجلترا قام بنشاطٍ كبيرٍ وحماسٍ زائـدٍ، في منـاظرة علماء الهند، وقد تحداهم تحدياً سافراً، وقام بجولةٍ في مديريات الهند، يخطب في ا امع، ويدعو إلى النـصرانية. وقـد استفحل أمر "فندر" ورأى أن الجّو قد خلا له، فازداد جرأةً وتحدياً .. رأى الشيخ، رحمه الله، أنه لا سبيل إلى الحد من نشاط هؤلاء القسيسين ومقاومتهم، وفي مقدمتهم وعلى رأسهم القس "فندر" وإعادة الثقة إلى نفوس المـسلمين، إلاّ مناظرة "فندر" في جمعٍ حافلٍ يحضره المسلمون والمواطنون، والحكّام الأوربيون، والنصارى المتنصرون.

وكان "فندر" كثير الاستدلال بكتابه **"ميزان الحق"** فخوراً متبجحاً به، ويرى أنه ليس من السهل معارضته، ونقضه من علماء المسلمين.

حرص الشيخ، رحمه الله، على مناظرة القس "فندر" كل الحرص، فراسله في هذا الموضوع، وأ ـ ح عليـه بالظهور أمام الجمهور وعلماء المسلمين، واستعان في ذلك بكل من يرى فيه غناءً أو تأثيراً، ولمّا رأى القـس أنـه لا مناص له من هذه المناظرة، قبلها وتقرر عقد مجلس المناظرة في ١١ من رجب سـنة ١٢٧٠هـ ـ (١٠ مـن إبريـل ١٨٥٤م) في "أكبر أباد –أكر" إحدى مديريات الولاية الشمالية الرئيسية والتي كانت ساحةً للنـشاط التنـصيري في الهند، وفي حيٍّ من أحيائها المعروفة بحارة "عبد المسيح".

بدأ الحفل في اليوم المُعين، والساعة المحددة وقد حضر ولاةُ المديرية من حكّامٍ وقضاة، وبعض كبار مـوظفي الثكنة الإنجليزية من الإنجليز، وحضر القس الشهير (فندر) والقس (وليم كلين) وعدد كبير من أعيان البلد ووجهائـه،

[1] الهندي [م.س]، المقدمة، ص٩-١٠-١١، باختصار وتصرف.

ومن أبناء البلد المسلمين والمسيحيين والسيخ، وكان الدكتور محمد وزير خان بجوار الشيخ رحمت الله يساعده ويتعاون معه، وكان موضوع البحث والمناظرة خمس قضايا هي:

١. التحريف في الكتاب المقدس (العهد القديم والجديد).

٢. وقوع النسخ.

٣. التثليث.

٤. نبوة محمدٍ ﷺ.

٥. صدق القرآن وصحته.

وقد تقرر أنه إذا انتصر الشيخ رحمت الله في هذه المناظرة يدخل "فندر" في الإسلام، وإنْ كان العكس يتنصر الشيخ... أسفرت هذه المناظرة التي لفتت أنظار المعنيين بالقضية في داخل البلد وخارجه، وكانت حديث النـوادي، والشغل الشاغل، والمقيم في البلد، عن اعتراف القس "فندر" بوقوع التحريف في ثمانيةِ مواضع من الإنجيل، فقال الشيخ رحمت الله الهندي: (إنك ما دمت قد اعترفت بوقوع التحريف في الإنجيل، فقد أصبح هذا الكتاب مـشكوكاً فيـه برمته)[1] وانتهى البحث على ذلك. ولم يرجع القس إلى البحث والمناظرة في اليوم الثالث، وكان من الواضـح أنـه انسحب عن ميدان المناظرة، وكان انتصاراً رائعاً للجانب الإسلامي، قَويت به معنويةُ المـسلمين، وتـشجعوا علـى مواجهة القسيسين ورد دعاواهم، وفقدت الدعوة التنصيرية الكثير من اعتبارها وقيمتها. وبالطبع فإن القس "فندر" قد نكث بوعده ولم يدخل في الإسلام.

أما عن السبب الذي دعا الشيخ رحمت الله الهندي إلى تدوين هذا الكتاب فهو كذلك مـذكور في مقدمتـه[2]، حيث طلب منه السلطان التركي عبد العزيز ورئيس الوزراء خير الدين باشا تأليف كتابٍ بالعربية يشمل المسائل الجوهرية، والمواضيع الأساسية، والمباحث الحقيقية بين الإسلام والديانة المسيحية، والتي تبطـلُ مـزاعم اليهـود والنصارى مع إيراد كل ما حصل في المناظرة بالهند، وطلبوا من الشيخ البقاء في تركيا لإكمـال هـذه الخدمـة الإسلامية الدينية المحضة، فرأى من الواجب عليه تأليف كتابٍ يكون بمثابة حصنٍ منيعٍ بين الإسـلام والمـذاهب الباطلة، فشرع في تأليف هذا الكتاب الجليل في شهر رجب عام ١٢٨٠هـ، وأكمله في ستة أشهر. وطُبـع في

[1] الهندي [م. س]، ص ٢٣.

[2] الهندي [م.س]، المقدمة، ص٢٥.

تركيا تحت الرعاية السلطانية، ووزع في البلدان العربية والإسلامية، كما ترجم إلى اللغة الإنجليزية والألمانية والفرنسية، كما اهتم السلطان بترجمته إلى اللغة التركية باسم "إبراز الحق" **وقد علقت جريدة "لندن تايمز"** في **ذلك الوقت بعبارة: "لو داوم الناس على مطالعة وقراءة هذا الكتاب لتوقف انتشار الدين المسيحي كلياً، وتأبى النفوس من قبوله ويرجعون إلى الإسلام".**

وقد طبع هذا الكتاب عشرات المرات في تركيا ومصر وسورية ولبنان، وقام القسيسون ورجال الهيئات التنصيرية بمصادرة نسخِهِ وإتلافها حتى لا تصل إلى أيدي الناس في البلدان العربية. والجدير بالذكر أيضاً أنّ الهيئات المختصة بالهند في عهد الحكومة البريطانية منعت طبع وتداول مؤلفات الشيخ رحمت الله، ومجازاة كلّ من يقوم بطبع ونشر مؤلفاته، ولكن مع ذلك ظلت كتبه، رحمه الله، محفوظةً مصونةً في البيوت والمكتبات القديمة، وفي صدور العلماء ورجال التاريخ.

ويرى العلامةُ الشيخ أبو الحسن الندوي، رحمه الله، أن كتاب "إظهار الحق" الذي بين أيدينا، يمتاز على غيره بعدة ميزات من أهمها(١):

أولاً: أنّ المؤلف آثر خطّة الهجوم على خطّة الدفاع التي لا تزال أقوى وأكثر تأثيراً في النفس، فإنها تلجئ الخصم إلى أن يتخذ موقف الدفاع، وأن يقف في قفص الاتهام، ويدافع عن نفسه وينفي التهمة.

ثانياً: أنّ المؤلف تجنب البحوث الدقيقة التي يتسع فيها مجال الجدال، ويكثر فيها القيل والقال، بل اعتمد في الكتاب على التناقضات الواضحة، والبديهيات الجلية، التي لا تقبل التأويل، واستخرج منها نتائج، كنتائج رياضيةٍ لا يختلف فيها اثنان، فقد أثبت أنّ التوراة والإنجيل مليئةٌ بالاختلافات والتناقضات، وقد وقعت فيها أخطاء فاحشة عد منها مائةً وثمانية أخطاء، وبرهن بذلك على أنها كلّها ليست إلهاماً من الله، وأنّ التحريف قد وقع في "الكتاب المقدس" لا محالة.

ثالثاً: تعرض المؤلف فيه لمغالطات النصارى وتمويههم، ورد عليها في أسلوبٍ سائغ مقنع، وتعرض لإثبات النسخ ووقوعه في الديانتين السابقتين وصحفهما.

---

(1) الهندي [م.س]، المقدمة، ص١٤-١٥ بتصرف.

رابعاً: وضع المؤلف العلامةُ حقيقةَ عقيدة التثليث النصرانية على محك العقل، ونقدها نقداً علمياً يستسيغه كل من رزق العقل السليم والذوق الصحيح.

خامساً: لم يكتف المؤلف بنقد المسيحية وعقائدها وصحفها، بل أضاف إلى ذلك الحديث عن القرآن الكريم وإثبات أنه كلام الله، لا شك في ذلك، وأجاب في هذا الصدد على كلّ ما عارضه به النصارى، واعترضوا على القرآن، وذكر في ذلك نبذةً عن سيرة الرسول ﷺ ومعجزاته والبشارات التي وردت في شأنه. وقد ذكر ثماني عشرة بشارةً، وحقق صحة الأحاديث، لذلك كان الإقبال على هذا الكتاب كبيراً والعناية به عظيمةً.

ويمكننا بعد قراءة هذا الكتاب القيم الضخم أن نقف فيه على الكثير من المواضيع التي تهم وتخدم موضوع دراستنا هذه، والتي تأتي في البابين الخامس والسادس منه، وذلك بعد الانتهاء من الأبواب الثلاثة الأولى من نقدِ ونقض وتفنيدِ كتب العهد القديم والعهد الجديد وإثبات تحريفهما وإبطال التثليث. ومن أبرز ما يهمنا فيه حديثه، رحمه الله، عما يلي:

١. إثبات كون القرآن الكريم كلام الله ومعجزاً ودفع شبهات القسيسين على القرآن وقولهم بأنه ليس في الدرجة القصوى من البلاغة، وأنه مخالِف لكتب العهد العتيق والجديد في مواضع وبالتالي فهو ليس من كلام الله. وقد أفرد لذلك مائةً وسبع صفحات.

٢. دفع شبهات القسيسين الواردة على الأحاديث النبوية الشريفة. وقد أفرد لذلك خمساً وثلاثين صفحةً.

٣. إثبات نبوةِ محمد ﷺ ودفع مطاعن القسيسين فيها ودفع شبهات علماء النصرانية والرد عليها، وقد أفرد لذلك مائةً وتسعاً وستين صفحةً.

٤. دفع مطاعن القسيسين المتعلّقة بالجهاد، وعدم ظهور المعجزات على يد رسول الله ﷺ وبيان كذب ذلك، ودفع الشبهات المتعلقة بزوجات الرسول ﷺ، ثم دفع شبهة أنه ﷺ كان مذنباً. وقد أفرد، رحمه الله، لهذه الردود والدفوع أربعاً وخمسين صفحةً.

رحم الله الشيخ الهندي الكيرانوي وجعل هذا العمل الجبار في ميزان حسناته إلى يوم الدين، فله أجره وأجر من قرأه وأفاد منه في الذّود عن هذا الدين والحبيب المصطفى إن شاء الله تعالى.

سابعاً: نعمان بن محمود الألوسي

يعتبر الإمام الألوسي[1]، رحمه الله، مؤلف كتاب **"الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح"**[٢] خير من رد رداً شافياً وافياً على "الرسالة الإسلامية والجواب المسيحي عليها" أو "رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحاق الكندي". وهي الرسالة التي أوردنا نصها وبعضاً من نص الرسالة الجوابية عليها في المبحث الثالث من الفصل الرابع السابق. وقد مر معنا التشكيك في صحة وجود طرفيها وأنّ أسماءهما إنما هي لشخصين وهميين. وقد تصدى الألوسي، رحمه الله، لموضوع هاتين الرسالتين كاملاً، وكتب فيه باستفاضةٍ مفيدةٍ، وخلُص إلى نتيجةٍ مفادها عدم وجود أصلٍ قديمٍ لهما يعود لعصر الخليفة المأمون، وبل وعدم ذكرٍ أي مصدرٍ تاريخي معتمدٍ لأيّ من نصيهما أو الترجمة لصاحبهما. والذي ترجح لديه، رحمه الله، أنّ جماعةً من النصارى المتأخرين (من طائفة البروتستنانت) هم الذين قاموا باختلاق ووضع هاتين الرسالتين المزيفتين وكتبوا لهما تاريخاً قديماً مزوراً يعود لزمان حكم المأمون في القرن الهجري الثالث. وقد استدل على صحة استنتاجه هذا بقوله: "ومما يدل على التزوير والافتراء: أن المؤلف إذا ذكر آيةً من آيات التوراة أو الإنجيل يذكر بجوارها اسم السفر ورقم الإصحاح. والرقم الذي يذكره هو مطابق للرقم المذكور الآن في طبعات البروتستانت للكتاب المقدس. وهذا يدلُ على أنّ المؤلف من البروتستانت، وأنه من العلماء"[٣].

وقد اتبع الألوسي، رحمه الله، منهجاً سهلاً وسِلساً في رده على رسالة عبد المسيح حيث كان يضع عبارات المسمى (عبد المسيح) بنصها ثم يتبعها بالرد والتفنيد والنقد. كما صرح، رحمه الله، في مقدمة الكتاب بأنه استفاد من خبرات علمائنا السابقين في الرد على النصارى واستعان بكتبهم مثل كتاب "هداية الحيارى في أجوبة اليهود

---

(1) هو نعمان بن محمود بن عبد الله أبو البركات خير الدين الألوسي، وهو ابن الألوسي المفسر صاحب "روح المعاني". ولد في بغـداد في ١٢ مـن المحـرم سـنة ١٢٥٢هـ. ولمّا أتمّ علومه التحق بوظائف الحكومة، وتولّى القضاءَ في الحلة وغيرها، ثم ترك المناصب، واشتغل بالعلم والتأليف والوعظ والإرشاد. وفي سـنة ١٢٩٥ هـ سافر إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج، وزار مصر. وفي سنة ١٣٠٠ هـ سافر إلى الآستانة،وأنعم عليه السلطانُ عبد الحميد الثاني بمراتب عاليةٍ، وأصدر أمره بإعادة مدرسة مرجان إليه. ولمّا عاد إلى بغداد تصدى للتدريس وكان رئيس المدرسين. وكان منذ صباه شغوفاً بالمطالعة، ميالاً إلى جمع الكتب النادرة فُوفّق لجمـع مكتبـةٍ حافلةٍ، ثم وقفها على مدرسته. وكان عالماً ضليعاً، وأديباً جليلاً، عف النفس، واسع الحلم، شديد التحري للحق. توفي في صبيحة الأربعاء السابع من المحـرم سـنة ١٣١٧ هـ الموافق ١٨٩٩م في بغداد.

من مؤلفاته:

١. جلاء العينين في محاكمة الأحمدين: ابن تيمية وأحمد بن حجر الهيتمي.
٢. الآيات البينات في عدم سماع الأموات.
٣. الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح، رد به على الرسالة المنسوبة لعبد المسيح ابن إسحاق الكندي، في مجلدين.
٤. غالية المواعظ في الوعظ.
٥. الأجوبة العقلية لأشرفية الشريعة المحمدية.

(2) الألوسي، نعمان بن محمود، الجواب الفسيح لما لفّقه عبد المسيح، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا، ط١، ١٩٩٢، دار الجيل، بيروت.

(3) الألوسي [م. س]، ص ٥.

والنصارى" للإمام ابن قيم الجوزية، وكتاب "إظهار الحق" للشيخ رحمت الله الهندي الكيرانوي. وقام منهجه على استخدام الحجج النقلية والعقلية على السواء. وقد كان وقوفه على نص الرسالة السابق ذكرها السبب المباشر الذي دعاه لتأليف هذا الكتاب الضخم[1] النافع فقال: "رأيت في السنة الرابعة بعد الثلاثمائة وألفٍ من هجرة النبي الأشرف أوراقاً مطبوعةً في لندن سنة ١٨٨٠م بالضلال والبهتان مشتملةً على تقديم دين النصارى على سائر الأديان، طاعنةً دين الإسلام بكل قصير رمحٍ وكليل سنانٍ، مزخرفةً بالأكاذيب على الله تعالى ورسوله مما لم تسمعها الآذان منسوبةً إلى "عبد المسيح بن اسحق الكندي" مجيباً ا في زمن "المأمون العباسي" رسالة "عبد الله بن إسماعيل الهاشمي" حينما دعاه فيها إلى دين الإسلام القوي الدعام .. وأنّ الصائغ لهما عصري، أو زنديق متقدم العصر أراد ترويج الغي، وأن ينسخ نور الشمس بالفيء. ولعمرى أنّ باطلها لا يخفى على ذي عينين .. ولقد قدمت رِجلاً وأخرت أخرى عن رد باطلها، وبيان عاطلها، واستعظمت أن أنطلق ولو على طريقةِ النقل بكلما ا، أو أحرر بقلمي على سبيل الرد قبيحها، لأن ما فيها يحكي العواءَ على بدر السماء، غير أن جهلةَ النصارى ربما يختلج في أذها م عجز المسلمين عن رد هذيا م فأسرعت لرد الجواب، واقتديت بمن قبلي من الأجلّة الداخلين في هذا الباب، الذين أتوا بالحكمة وفصل الخطاب، فشرعت فيه طالباً للتوفيق والإمداد، متكلاً على من ت ّه عن الصاحبة والأولاد، سائلاً منه جل وعز الهدايةَ والتيسير والحفظَ من كيد الأعداء والحُساد، مسمياً له بـ **الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح**"[2].

وقد لا يكون هذا الكتاب الذي بين أيدينا شهيراً، وهو قليلُ التداول، قليل الوجود في المكتبات لكنه هام تصدى فيه المؤلف لنقد معتقدات اليهود والنصارى كما تصدى للرد على كلّ الشبهات التي ذُكرت في الرسالة السابقة ردوداً شافية، خصوصاً إذاما تذكّرنا أنّ الشبهات الواردة فيها هي الجذر الأساس للكثير من الشبهات المُغرِضة الموجودة اليوم على بعض مواقع الإنترنت المسيحية التي تخصصت في الإساءة للإسلام والحبيب المصطفى ﷺ. وقد كان من أبرز هذه الشبهات التي أجاب عليها الألوسي، رحمه الله:

١. شبهة مرض موت النبي ﷺ.

٢. شبهة إنتشار الإسلام بالسيف.

٣. شبهة كتابة القرآن بعد موت النبي ﷺ.

---

(1) يقع الكتاب المذكور في مجلدين وهو يتكون من ١٥٥١ صفحةً شاملةً للمقدمة والفهارس.

(2) الألوسي، [م. س]، ص ٣٤، ٣٤، بتصرف.

٤. شبهة اللحن والتحريف الموجودين في اللغة العربية.

٥. شبهة خداع النبي للعرب بالنبوة وأنه لم يكن نبياً.

٦. شبهة وجود التناقض في القرآن.

٧. شبهة ظهور المعجزات والخوارق على يد أي إنسانٍ.

٨. شبهة أنّ المسلمين الذين يقتلون في سبيل الله ليسوا شهداء.

٩. شبهة أنّ القرآن يدعو إلى الملذّات والشهوات.

١٠. شبهة أنّ المسلمين ضالّون.

رحم اللهُ الإمام الألوسي، العلاّمة الذي سخر جهده ووقته وإمكانياته للذود عن دين الله تعالى وحبيبه المصطفى، ورد السهام إلى نحور أصحا ا المُبغضين الكارهين ....

ثامناً: الشيخ عبد الرحمن الجُزيري

في معرض حديثنا عن الرد على مؤلفٍ بعينه، وكما استعرضنا في الصفحات الماضية "الرد على الرسالة الإسلامية والجواب المسيحي عليها" نستعرض فيما هو آتٍ الرد على كتاب القس فندر المُسمى "ميزان الحق". وهو الكتاب الذي كان هذا القس يكثر الاستشهاد به في مناظرته للشيخ رحمت الله الهندي، رحمه الله، ويرى أن المسلمين لا طاقة لهم به، ولا يقدرون على معارضته والرد عليه. وقد انبرى الشيخ عبد الرحمن الجزيري[1]، رحمه الله، للرد على هذا الكتاب في كتابٍ سماه **"أدلة اليقين** في **الرد على كتاب ميزان الحق"**[٢]. ومع أنّ الشيخ رحمت الله الهندي قد تصدى في كتابه "إظهار الحق" للرد على كتاب القس فندر وبذل مجهوداً عظيماً في الرد على فرضياته ونظرياته، إلاّ أنّ الشيخ الجزيري قد ألف "أدلة اليقين" للرد على الكتاب المذكور ذاته وقد عَلَلَ ذلك بقوله: "نعم أنّ الأستاذ الجليل المرحوم الشيخ رحمت الله الهندي، أكرم اللهُ مثواه، قد بذل مجهوداً كبيراً في الرد على بعض نظريات هذا الكتاب وأقام الدلائل القاطعة على تحريف التوارة والإنجيل في كتابه "إظهار الحق" ولكن قد جاء بعد ذلك قسيس آخر اسمه

---

(1) هو عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري: فقيه، من علماء الأزهر. ولد بجزيرة شندويل (مركز سوهاج) بمصر (عام ١٢٩٩ هـ - ١٨٨٢م) وتعلّم في الأزهـر من سنة ١٣١٣ إلى ١٣٢٦ هـ، ودرس فيه. وعين مفتشاً لقسم المساجد بوزارة الأوقاف سنة ١٣٣٠ هـ، فكبيراً للمفتشين، فأستاذاً في كلية أصول الدين. ثم كان من أعضاء هيئة كبار العلماء. وتوفي بحلوان. له كتب، منها الفقه على المذاهب الأربعة - أربعة أجزاء، شاركته في في تأليف الجزء الأول منه لجنة من العلماء، وانفرد في تأليف بقيته، وتوضيح العقائد في علم التوحيد، والأخلاق الدينية والحكم الشرعية، وأدلة اليقين في الرد على بعض المبشرين توفي، رحمه الله، سنة ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١م.

(2) الجزيري عبد الرحمن، أدلّة اليقين في الرد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشرين المسيحيين في الإسلام، ط١، ١٩٣٤، مطبعة الإرشاد، مصر.

"الدكتور تسدل" فأضاف إلى هذا الكتاب مطاعن كثيرةً وحذف منه عباراتٍ جمةً ليرد بذلك على الأستاذ الشيخ رحمت الله. وقد زعم أن زيادته هذه بناها على الكشف العلمي. فمن أجل ذلك كلّه رأيت أن أرد على كتاب ميزان الحق في جميع ما جاء به وبذلك يتم الرد على جميع المبشرين"[١].

ولعلّ تصدي اثنين من أبرز علماء المُسلمين في القرن الثامن عشر للرد على كتابٍ بعينه أكبر دليلٍ على مدى خطورة هذا الكتاب على الإسلام والمسلمين. فما الذي احتواه هذا الكتاب الخطير يا ترى؟؟ في الواقع لقد حلّل الشيخ الجزيري، رحمه الله، في مقدمة "أدلة اليقين" أقسام هذا الكتاب وأبرز ما اشتمل عليه على النحو التالي[٢]:

لقد قسم المؤلف كتابه إلى ثلاثة أقسام: **القسم الأول** ادعى فيه عدم تحريف التوراة والإنجيل وعدم نسخ شيءٍ منهما فلا الانجيلُ ناسخ للتوارة ولا القرآنُ ناسخ لشيءٍ من التوارة والانجيل، وكل ما فيهما وحي من الله تعالى مهما كان مضاداً للعقل ومنافياً لما يقتضيه نظام الله في خلقه. ومها كان مشتملاً على نقائص في الأنبياء مِن أحطّ ما يوصف به السفلُة الأدنياء ومهما كان مشتملاً على أغاليطَ علميةٍ وتاريخيةٍ صريحةٍ لا يمكن تأويلها. وقد استدل على دعواه هذه بشهادة القرآن للتوارة والإنجيل، وبأن كلام الله لا يصح تبديله ولا نسخه كما قال المسيح (تزول السموات والأرض ولا يزول كلامي) وكما قال تعالى: (لا تبديل لكلمات الله).

أما القسم الثاني فقد أدعى فيه أنّ التعاليم الصحيحة النافعة هي تعاليم الإنجيل التي من بينها مسألة التثليث وصلب الإله لتخليص العالم من الخطيئة.

أما القسم الثالث فزعم فيه أنّ الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) لم يرد فيه شيءٌ يدل على نبوة سيدنا محمد ﷺ بل الإشارات التي فيه عن النبوة إنما هي تنطبق على عيسى عليه السلام. وقد هجم في هذا القسم على كتاب الله الكريم وعلى رسوله الصادق الأمين هجوماً جريئاً يدل على جهالةٍ وسوءِ أدبٍ لا حد لهما.

ومع أنّ كتاب القس الدكتور فندر يفيض بقلة الأدب والتطاول على القرآن الكريم والإسلام والرسول الكريم ﷺ إلا أنّ الجزيري، رحمه الله، يقرر وبكل علوٍّ ونزاهةٍ وأدبٍ ألا ي لق كما انزلقوا وكانوا بوراً فيقول[٣]: "وإنني أعاهد القراء وأشهد اللهَ على أنني لا أحيد عن البراهين العلمية قيد شعرةٍ، ولا أخرج في كتابتي عن الأدب إلاّ

---

(١) الجزيري [م. س]، ص ٩.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ١٠، بتصرف.

(٣) الجزيري [م. س]، ص ١٠.

حيث يخرجون على الله ورسوله، ومع ذلك سأغضي عن كثيرٍ من سفاهتهم وأكِلُ أمرهم إلى البراهين العقلية الجازمة التي تظهرهم للناس في مظهرهم الصحيح".

وبما أنّ كتاب القس فندر كان يتكونُ من ثلاثةِ أقسامٍ فقد وقع الرد عليه في كتابٍ يتكون من ثلاثة أقسامٍ كذلك، حيث ناقش الجزيري، رحمه الله، في قسمهِ الأول أدلّة "ميزان الحق" على عدم تحريف التوراة والإنجيل ونقدها ونقضها دليلاً دليلاً. ثم استعرض الفهم الخاطئ والتفسير المغلوط الذي استدل به فندر من القرآن على صحة التوراة والإنجيل، وساق ثلاثةَ أدلةٍ دامغةٍ على تحريف الإنجيل وساق عشرةَ اعترافاتٍ على تحريف الإنجيل وخمسةً أُخرى على تحريف التوارة، مستنبطاً إياها من كتاب فندر نفسه. وفي القسم الثاني من هذا الكتاب أورد الجزيري، رحمه الله، أدلّة فندر العشرة على إثبات صحة عقيدة الثالوث ثم ناقشها ونقدها واحداً تلو الآخر. ولعلّ القسم الثالث من كتاب الجزيري، رحمه الله، هو أكثر ما يهمنا في هذه الدراسة ألا وهو التصدي لمطاعن "ميزان الحق" في الإسلام ونبوة محمدٍ ﷺ، حيث رد على المطاعن كلّها وأقام الأدلّة على صدق رسالته عليه الصلاة والسلام، من نبؤات التوراة والإنجيل، ومن معجزات رسول الله ﷺ نفسها، ورد على شبهات فندر حول القرآن الكريم وحسية الجنة ونعيمها وقام بتصويب سوء الفهم لبعض الآيات التي استشهد ا فندر على ذنب وأوزار سيدنا محمدٍ ﷺ مثل آية "ووضعنا عنك وزرك" وآية "واستغفر لذنبك" كما تصدى الجزيري، رحمه الله، للرد على مطاعن المستشرقين في الجهاد وفي الفهم الإسلامي للقضاء والقدر، وشبهاتٍ أُخرى تتعلّق بزوجات النبي ﷺ وخيالات المبشرين حول عفّته ونزاهته، عليه السلام، وما يتخيلونه من أخطاء نحويةٍ في القرآن الكريم وامتلائه بالأخطاء التاريخية!!!

تاسعاً: الشيخ أحمد ديدات

لكل فعلٍ رد فعلٍ مساوٍ له في المقدار ومعاكس له في الاتجاه. هذه وباختصارٍ، كانت حكاية بداية سير الشيخ ديدات[1]، في طريق دراسة المسيحية والكتاب المقدس ونقد عقائدها وإسكات المبشرين والرهبان، الذين دأبوا على

---

(1) ولد أحمد حسين ديدات في بلدة (تادكيشنار) بولاية (سوارات) الهندية. هاجر أبوه، وكان يعمل خياطاً، إلى جنوب أفريقيا بعد مولد ابنه مباشرة. لحـق أحمـد ديدات بأبيه عام ١٩٢٧م لتعثر وصعوبة فرص الدراسة في الهند، وتوفيت والدته بعد فراقه بشهورٍ قليلةٍ. واجه الطفل أحمد ديدات آنذاك صعوباتٍ جمةً لكنه اجتهـد بفطرته وبما وهبه الله له من ذكاءٍ فتعلم الإنجليزية وتفوق في دراسته وتوقف عند الصف السادس بسبب الظروف المادية الصعبة. في السادسة عشرة من عمره بدأ أولَ عمل له كبائع في متجر ثم عمل في متاجر كثيرة. ثمّ عمل ديدات في عام ١٩٣٦م في متجر يملكه مسلم، وكان بالقرب من معهد تعليمٍ نصرانيٍ على سـاحل نات ـال الشمالي، وقد ازدادت الإهانات المستمرة ضد الإسلام من قبل المنصِّرين المتمرنين بالمعهد في نفسه الرغبة في إبطال ادعاءا م الباطلة.

في بداية الخمسينيات أصدر كتيبه الأول: "ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد ﷺ؟، ثم نشر بعد ذلك أحد أبرز كتيباته: "هل الكتاب المقدس كلام الله؟" =

الطعن في الإسلام ونبوة الحبيب المصطفى ﷺ. وقد حكى الشيخ ديدات، رحمه الله، وابنه يوسف هذه القصة للدكتور عبد الله قادري الأهدل[1] عند زيارته لهما عام ١٩٩٩ للميلاد في فترة مرضه، رحمه الله تعالى، وقد روى الدكتور الأهدل بدوره هذه الحكاية في مؤلفه الضخم "سلسلة المشارق والمغارب" على لسان الداعية ديدات فقال: يقول الداعية: إنه بعد أن انتهى من المدرسة، عمِلَ في أحد المحلات لبيع السكر والملح والدقيق والأرز، وكان المكان يبعد عن مدينة دربن مائةً وخمسةً وعشرين ميلاً. وكانت توجد في الجانب الآخر من موقع الدكان إرساليةٌ مسيحيةٌ جامعيةٌ تسمى: (آدمز مشين) وهي تقوم بتدريس الطلاب المسيحية وتدر م على مواجهة الإسلام والمسلمين بالشبهِ والتشكيك في دينهم. وكان بجانب هذه الكلية مئات المنازل الصغيرة التي يسكن فيها السود. وكان الطلاب المتدربون يزورون أحمد ديدات والعاملين معه في الدكّان، ويلقون عليه أسئلةً وشبهاتٍ يهاجمون ا الإسلام، ولم يكن يعرف هو وزملاؤه شيئاً عن ذلك. ومن ضمن تلك الأسئلة والشبهات ما يأتي:

هل تعلمون أنّ محمد ﷺ كانُ يكثر من الزوجات؟

وهل تعلمون أنه أخذ القرآن عن اليهود والنصارى؟

وهل تعلمون أنه نشر الإسلام بحد السيف وأكره الناس على ذلك؟

قال الداعية: وقد أحال هذا الهجوم على الإسلام حياتنا إلى بؤسٍ وعذابٍ وشقاءٍ، وأحدثَ عندنا حيرةً وقلقاً بسبب عدم معرفتنا شيئاً نرد به عليهم. وكنت أرغب في ترك المحلّ والهرب إلى مكانٍ آخر، ولكن ذلك كان مستحيلاً، لصعوبة وجود مكانٍ آخر. وأخذت أتساءل: كيف أتصرف؟ ويسر اللهُ الحلّ! فقد كنت أقلب رزماً من

=في عام ١٩٥٩م، توقف أحمد ديدات عن مواصلة أعماله حتى يتسنى له التفرغ للمهمة التي نذر لها حياته فيما بعد، وهي الدعوة إلى الإسلام مـن خـلال إقامـة المناظرات وعقد الندوات والمحاضرات. وفي سعيه الحثيث لأداء هذا الدور العظيم زار العديد من دول العالم، واشتهر بمناظراته التي عقدها مع كبـار رجـال الـدين المسيحي أمثال: كلارك ـ جيمي سواجارت ـ انيس شروش.

كان أحمد ديدات العضو المؤسس الأول للمركز الدولي لنشر الإسلام "معهد السلام لتخريج الدعاة" "IPCI" بمدينة (ديربن) بجنوب أفريقيا وأصبح رئيساً له.

نشر أحمد ديدات ما يزيد على عشرين كتاباً، ووزع ملايين النسخ منها مجاناً، كما ألقى الآلاف من المحاضرات، فضلاً عن نجاحه في المناظرات مع القساوسة حـول الإنجيل، والتي كان من أبرز نتائجها إسلام آلاف البشر في مختلف دول العالم.

منح أحمد ديدات جائز الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٩٨٦ وأعطى درجة "أستاذ". يعتبر الداعية أحمد ديدات أحد أكثر المتعمقين في نـصوص الأناجيـل المختلفة، فهو عالمٌ مسلم في الإنجيل المسيحي. أطُلقت العديد من الألقاب على أحمد، منها: "قاهر المنصرين"، و"الرجل ذو المهمة". كما علم ديدات العديـد مـن التلاميذ الذين ساروا على دربه، ومضوا في طريق الجهاد في سبيل الله ضد المنصرين والقساوسة، من أبرزهم الدكتور زاكر نايك، والذي قال عنه ديدات: "ما قمت به في أربعين سنةً، قام به زاكر في= =أربع سنوات!" بعد مرضٍ عضالٍ اقعده شليلاً منذ عام ١٩٩٥ توفي في ٨ أغسطس عام ٢٠٠٥ وفقد المسلمون بموتـه داعيـة ومحاوراً ومناظراً يشار إليه بالبنان.

[1] ولد بمنطقة (عبس) شمال غرب اليمن سنة ١٣٥٦ هـ. حصل على شهادة البكالوريوس في الشريعة من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ومن ثم حـصل علـى الماجستير من كلية الشريعة والقانون ومن ثم شهادة الدكتواره من كلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. له عشرون كتاباً مطبوعـاً مـن ضمنها سلسلة المشارق والمغارب التي ضمنها مذكراته في رحلاته لبلدان العالم، ومنها لقاؤه هذا مع الشيخ أحمد ديدات عام ١٩٩٩م.

الجرائد وا ّلات القديمة في مخزنٍ رئيسيٍ في العمل، وهي مليئةٌ بالغبار، فوجدت كتاباً بين تلك الجرائد تنتشر عليه الحشرات، وفتحته من باب الفضول .. فإذا هو باللغة العربية بعنوان (إظهار الحق) .. وقرأت الكتاب فوجدته يتناول هجمة النصارى على الإسلام في موطني الأصلي (الهند) ووجدت أنّ الكتاب طُبِع قبل ولادتي بثلاث سنوات، فقد كانت طباعته في سنة: (١٩١٥م) وأنا ولدت في سنة (١٩١٨)م.

وقرأت الكتاب ـ إظهار الحق ـ فوجدت فيه من المعلومات والمناظرات ما كان له أكبر الأثر في حياتي، وجعلني أعزم على مواجهة المسيحيين، لأنّ في الكتاب ما يجعلني مسلحاً قوياً في مواجهتهم، ووجدت موقف النصارى هو نفس موقفهم في جنوب أفريقيا. وشعرت بعد قراءتي هذا الكتاب أنني أستطيع الآن أن أدفع عن نفسي وعن الإسلام. وبدأت أتصدى للمسيحيين بالمعلومات التي تعلّمتها من الكتاب، وأزورهم في بيو م كل يوم أحدٍ وأناقشهم، وكنت أقابلهم بعد خروجهم من الكلية لأحاورهم. ومن خلال تلك المناقشة تعلّمت كيف أجادل وأناقش ...

ويستفاد من هذه القصة التي رواها الشيخ ديدات ـ رحمه الله **ـ أمران هامان:**

الأمر الأول: مدى مساهمة الاستفزازات التي يقوم ا الرهبان والمبشرون، ومحاولا م الطعن في الإسلام ونبوة محمدٍ ﷺ، في الكشف عن العديد من المواهب الـ مسلمة وتقديمها لنا دون قصدٍ منهم لذلك، وعلى سبيل المثال فقد ساهمت استفزازات القس الدكتور "فندر" لمُسلمي الهند في ظهور العلاّمة رحمت الله الهندي، كما ساهمت استفزازات رجالات إرسالية (آدمز مشين) لمُسلمي جنوب أفريقيا في ظهور العلاّمة أحمد ديدات، رحمه الله تعالى.

الأمر الثاني: أهمية تأليف مثل هذا النوع من الكتب، التي سخر الله تعالى وسهل لمؤلفيها الرد على أهل الكتاب وما يعتملُ في صدورهم من شبهاتٍ وأضاليل قديماً وحديثاً، ولنذكر على سبيل المثال، لا الحصر، الأثر العظيم الذي تركته قراءةُ كتاب "إظهار الحق" للشيخ رحمت الله الهندي في حياة الشاب أحمد ديدات، حيث ساهمت في استثارة طاقاته الكامنة وصنعت منه علَم المسلمين الأبرز في مبارزة ومناظرة أهل الكتاب في القرن الماضي دون منازعٍ. ولعلّ أكثر ما يفيد موضوع دراستنا هذه من حياة الشيخ ديدات، رحمه الله، هو ا هود الجّبار الذي بذله في الرد على مطاعن الرهبان والقسيسين في الإسلام ونبوة محمدٍ ﷺ حيث أن هذه المطاعن، كما أسلفنا، هي التي أوقدت في قلبه شعلة التحدي والرغبة في الرد على التشكيك والطّعن. وقد توضح ذلك

من خلال مناظراته العديدة ومؤلّفاته التي زادت على العشرين والتي خصصها كلّها لنقد عقائد النصارى ورد شبها ـم ومطاعنهم في الإسلام والقرآن الكريم ونبوةِ محمدٍ ﷺ.

أولاً: أبرز مناظراته[1]

ما مِن شك في أنّ أبرز وأول مناظرةٍ سلّطت الضوء على الشيخ ديدات ـ رحمه الله ـ كانت تلك التي عقدت في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٦م. فطيلة أكثر من خمسين سنةً قضاها ديدات في المحاضرة والمناظرة لم يكن يعرفه إلا بعض المختصين في الأديان، حتى كان العام ١٩٨٦م، حين لجأ إليه بعض الطلاب المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية ليناظر القس الأمريكي التلفزيوني الشهير "جيمي سواجارت". كانت شهرة سواجارت طاغيةً، فقد وصلت إلى مائةٍ وأربعين دولةً، حيث كان الناس في هذه البلدان يستمعون إلى حديثه الأسبوعي مترجماً إلى عددٍ من اللغات، واستطاع أن يحصل على أكثر من مائةٍ وأربعين مليون دولار سنوياً، وكان يعتبر أكثر المنصرين نفوذاً في العالم. "وقد حظي سواجارت بسمعةٍ غير طيبةٍ لدى المسلمين؛ فقد كان دائم الهجوم والتطاول على القرآن الكريم والرسول، ﷺ، حتى قال في أحد أحاديثه [إن الخطر الذي يهدد الحضارة الغربية الآن ليس هو الشيوعية والاتحاد السوفيتي إنما الإسلام الذي يغزو بلاد الغرب بصورةٍ مذهلةٍ]، وذَكر المشاهدين بأن لندن عاصمة فيكتوريا التي كانت تحكم العالم الإسلامي كله، أصبحت تأوي أنشطَ مركزٍ إسلامي في العالم.

أما عن مناظرة سواجارت مع ديدات، فقد أعادت كثيراً من الراحة إلى نفوس المسلمين في أمريكا، بعد الحنق والغيظ الذي اعتمل في نفوسهم من جراء تطاول هذا القس الذي بدا في مناظرته مع ديدات وديعاً لطيفاً هادئاً على غير ما يعرفه الناس؛ إذا اختفت حركاته التليفزيونية أمام الهيبة التي أحاطت بالشيخ أحمد ديدات. وحينئذٍ انتبه العالم لهذا الرجل المتواضع الذي جاء من جنوب أفريقيا ليتحدى أشهر مبشرٍ تليفزيوني، وليقف سواجارت مكتوف الأيدي أمام طلاقة هذا الرجل وحججِه العقلية، لتكون بدايةَ النهاية لهذا القس الذي بدأ يخبو سراجه مع هذه المناظرة، حتى

[1] قام الأستاذ علي الجوهري مشكوراً بترجمة كلّ مناظرات الشيخ ديدات يرحمه الله بنصوصها الحرفية وأودع كلاً منها في كتابٍ خاص يحمـل عنوا ـا واسمـاء طرفيها.

انطفأ السراج تماماً حين عرف عن سواجارت تورطه في قضايا أخلاقيةٍ واعترافه ا، فانتهت بذلك أسطورةُ المبشر الفذّ وسقط ائياً أمام الملايين من مشاهديه"[١].

بعد الدوي الكبير الذي أحدثته مناظرته مع سواجارت، كان المنصرون الكبار هم الهدف الأول للشيخ أحمد ديدات، فقد دعاهم للمناظرات التي كانت محط انظار العالم، وكان من أشهر خصومه في هذه المناظرات "ستانلي شوبرج" راعي الكنيسة الإنجيلية في السويد، والمنصر الأمريكي "ديفيد كلارك". وفي بعض الأحيان كان المنصر هو الذي يتحدى ديدات ويطلب مناظرته؛ مثل القس "أنيس شوروش"، الذي رأى في نفسه من القوة والشجاعة والعلم أن يتحدى ديدات، حيث شوروش كان يرى أن سواجارت وغيره لم يكونوا مؤهلين لمناظرة ديدات، أما هو فكفؤ له؛ فهو حاصلٌ على الدكتوراه في اللاهوت، ومتخصص في نقد الدين الإسلامي وإبراز معايبه ومثالبه!.

وفي إحدى المناظرات كان الدكتور أنيس شوروش بين الحاضرين ووجه تحدياً لديدات، ودعاه لمناظرته فلبى ديدات دعوته بكل سرورٍ، وعقِدت مناظرتان كبيرتان استغرقت إحداهما أكثر من خمس ساعاتٍ، وساهمت هي الأخرى في رفع أسهم ديدات شعبياً وإعلامياً وقد اشتهر ديدات في موطنه بتلك المناظرات المكثّفة التي كانت تقام في مدينة "كيب تاون". "وكيب تاون" مدينة ذات طبيعةٍ خاصة، فهي تتميز بكثافة سكانيةٍ إسلاميةٍ عاليةٍ، لكن أوضاع المسلمين فيها ليست على ما يرام وبالمقابل تتميز بأغلبيةٍ قويةٍ ومنظمةٍ جداً من المسيحيين، بالإضافة إلى أ ا ذات موقعٍ مهمٍّ، ولها ثقلها التجاري والسياسي. وقد كانت مناظراته مع الأسقف "جوسيه ماكدويل" في ديربان عام ١٩٨١م من أشهر مناظراته داخل جنوب افريقيا، وكان عنوا ا "هل صلب المسيح؟".

ولم يكتف الشيخ ديدات، رحمه الله، بمناظرة الرهبان والقساوسة، فقد بعث برسالةٍ إلى البابا يوحنا بولس الثاني الراحل، يدعوه فيها للحوار العلني، وقد تقدم معنا القول في دعوة هذا البابا الراحل للحوار مع المسلمين، أكثر من مرةٍ، وفي أكثر من مناسبةٍ واستجابةً لدعوات البابا المتكررة أرسل الشيخ أحمد ديدات إليه رسالةً أعرب فيها عن قبوله لإجراء مثل هذا الحوار في لقاء علنيٍّ في ميدان القديس بطرس في روما مقر البابوية، وفي الوقت والزمان المناسب الذي يختاره البابا.

---

[١] ناديا سعد، أحمد ديدات فـارس الـدعوة وقـاهر المنـصرين، ص ٥، دراسـة منـشورة علـى الإنترنـت في موقـع www.bnyaan.net وموقـع www.defensearab.com.

ولمّا لم يرد البابا على تلك الرسالة، عاود الشيخ ديدات الكرة، وأرسل ثلاثةَ خطاباتٍ أخرى وبرقيةً، وهنا رد بابا الفاتيكان مقترحاً إجراء هذا الحوار في سكرتارية الفاتيكان وليس في مكانٍ علنيّ. حينئذٍ رد الشيخ ديدات على بابا الفاتيكان برسالةٍ جاء فيها:

"يسعدنا أنكم تسعون للترتيب لإجراء لقاءٍ معنا، ولكننا نتمسك بأنْ يكون هذا اللقاء علنياً،كما كان خطابنا المفتوح إليكم، والذي اقترحنا فيه مثل هذا اللقاء، وذلك من أجل البلايين المؤمنة بالمسيحية والإسلام، من أجل الحقيقة وإرضاء الرب، ومع هذا فإنه من الممكن اللقاء معكم حسب رغبتكم في السكرتارية، ولكن هناك العديد من المسلمين في جنوب أفريقيا والذين يصرون على حضور هذا اللقاء، لذلك نرجو إفادتنا عن الإمكانيات المتاحة في سكرتارية الفاتيكان والخاصة بإسكان هؤلاء، ونظراً لوجود آلافٍ آخرين ممن يرغبون في حضور هذا الحوار، فإننا نطلب أيضاً تصريحاً بتصوير اللقاء بأجهزة الفيديو حتى تصل مناقشتنا إلى الملايين الذين يودون الاستفادة من الحوار"[1].

وبعد أكثر من شهرين من الانتظار تم إرسالُ برقيتين أُخريين، إحداهما إلى سكرتارية الفاتيكان والأخرى إلى البابا ذاته، وبعد شهرٍ آخر، تم إرسال برقيتين أُخريين دون جدوى!!.

ثانياً: أبرز مؤلفاته

زادت مؤلفات الشيخ ديدات، رحمه الله، على العشرين. تخصص معظمها في نقد معتقدات النصارى وبيان التناقضات في الكتاب المقدس. ويعنينا في هذه الدراسة، وبالدرجة الأولى، الوقوف على أبرز مؤلّفاته التي رد فيها على مطاعنهم في الإسلام ونبوةِ محمد ﷺ.

فقد خطّ الشيخ، رحمه الله، كتاب **"محمد ﷺ أعظم عظماء العالم"** وكان قد افتتحه بكلام الأستاذ مايكل هارت صاحب كتاب "The 100: A ranking of the most influential persons in history" والذي ترجم إلى العربية تحت عنوان المئة الأوائل، حيث صنف فيه المؤلف هارت رسولَ الله ﷺ على أنه أكثر الأشخاص تأثيراً في العالم وقال[2]:

---

(1) المرجع السابق نفسه، ص ٦.

(2) أحمد ديدات ومايكل هارت، محمد ﷺأعظم عظماء العالم، ترجمة علي الجوهري، ص ٥، مكتبة القرآن.

"يجوز أن يدهش اختياري محمداً ﷺ ليكون على رأس قائمةِ أكثر الأشخاص تأثيراً في العالم بعض القُراء، وربما كان ذلك عرضةً للاستفسار من آخرين، ولكنه ﷺ كان هو الرجل الوحيد في التاريخ الذي تحقق له النجاح الكامل ـ كل الكمال ـ على المستوى الديني وعلى المستوى الدنيوي. لقد وضع محمد ﷺ أسس واحدٍ من أعظم الأديان في العالم، وقام بنشرها استناداً إلى مصادر جد ضئيلةٍ، وأصبح أيضاً قائداً سياسياً عظيم التأثير. واليوم، بعد أكثر من ثلاثة عشر قرناً بعد وفاته لا يزال تأثيره قوياً واسع الانتشار".

لقد تقصد ديدات، رحمه الله، أن يبدأ كتابه هذا بعبارة مايكل هارت السابقة وهو يدرك تماماً أن كتابه هذا موجهٌ لأهل الغرب المسيحي بالدرجة الأولى، ثم أتبع ذلك بذكر أهم أحداث ووقائع السيرة النبوية الشريفة واقفاً عندها وقفةَ المحلل الواعي الذي يدرك أن كتابه هذا سيكون باباً من أبواب تعرفِ الغربيين عن قربٍ على شخصية وسيرة الحبيب المصطفى ﷺ فركز على أبراز الجوانب الأخلاقية والإنسانية الكريمة في حياته، عليه الصلاة والسلام، واختتم كتابه بالتركيز على حقيقة كون الإسلام أسرع الأديان نمواً وانتشاراً في واقعنا المعاصر، ليفهم القارئ أن أخلاقه وإنسانيته ومعاملته، عليه السلام، إنما كانت مقدمةً هامةً وسبباً رئيسياً لهذا النمو والانتشار للإسلام اليوم.

أما في كتابه **"ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد ﷺ"** فقد ظهرت عبقرية ديدات، يرحمه الله، وهو يسوق النص تلو النص من الكتاب المقدس ويفصل القول في شرحها وبشارا ا بمحمدٍ ﷺ ليخدم بذلك عنوان الكتاب والتعليق الصغير الذي وضعه تحته على الغلاف فقال (محمد ﷺ مذكور بالاسم في نسخ الكتاب المقدس الذي بين أيدينا).

ولئن كان مجهود الشيخ ديدات، رحمه الله، واضحاً في هذين الكتابين في التعريف بنبوته عليه السلام إلاّ أنّ مجهوده الأبرز والأوضح في هذا ا ال كان الرد على كتاب "الآيات الشيطانية"[1]، لمؤلفه المرتد سلمان رشدي. وهذا الكتاب ومؤلّفه يستحقان من دراستنا وقفةً غير ذاتِ عجالةٍ، وذلك لخطورة مضمونه وللآثار التي نجمت عن نشره في العالم وقد أورد ديدات، رحمه الله، الرد الشافي على مضمون كتاب سلمان رشدي في كتابٍ سماه **"كيف خدع**

---

(1) آيات شيطانية كتاب من تأليف الكاتب البريطاني من أصلٍ هنديٍ سلمان رشدي. صدر في لندن في ٢٦ سبتمبر ١٩٨٨. بعد تسعة أيامٍ من إصدار هذا الكتاب منعت الهند سلمان رشدي من دخول بلادها وتلقّت دار النشر التي طبعت الكتاب الآلاف من رسائل التهديد والاتصالات التلفونية المطالبة بسحب الكتاب من دور بيع الكتب. قامت بنغلاديش والسودان وجنوب أفريقيا وكينيا وسريلانكاوتايلاند وجمهورية ت انيا المتحدة وإندونيسيا وف ويلا وسنغافورة بمنع الكتاب وخرجـت مظاهرات تنديدٍ بالكتاب في إسلام آباد ولندن وطهران وبومبي ودكا واسطنبول والخرطوم ونيويورك. حصلت خلال عمليات الاحتجاج هذه حادثتان لفتتا أنظـار العالم وهي حادثة حرق اعدادٍ كبيرة من الكتاب في برادفورد في المملكة المتحدة في ١٤ يناير ١٩٨٩ والحادثة الثانية هي صدور فتوى من الخمـيني في ١٤ فبرايـر ١٩٨٩ بإباحة دم سلمان رشدي. وهاتان الحادثتان لفتتا نظر وسائل الأعلام الغربية بشدة.

سلمان رشدي الغرب". وهو الكتاب الذي ترجمه إلى العربية الأستاذ علي الجوهري وأضاف على عنوانه عبارة "شيطانية الآيات الشيطانية". وسنورد في مبحث الردود على شبهات ومطاعن الرهبان والمستشرقين الرد الكامل على قصة الغرانيق والتي تعتبر واحدةً من أبرز القصص المتهالكة التي استند عليها سلمان رشدي في كتابه السابق ... وتتلخص قصة الآيات الشيطانية[1] في الحوارات التي كانت تنعقد دوماً بين الشخصيتين الرئيسيتين في الرواية وهما صلاح الدين جمجة، الذي هو هندي عاش منذ صغره في المملكة المتحدة وانسجم مع ا تمع الغربي وتنكّر لأصوله الهندية، وجبرائيل فريشته الذي هو ممثّلٌ هندي متخصص بالأفلام الدينية وقد فقد إيمانه بالدين بعد إصابته بمرضٍ خطيرٍ حيث لم تنفعه دعواته شيئاً للشفاء، حيث يجلس الاثنان على مقعدين متجاورين في الطائرة المسافرة من بومباي إلى لندن، ولكن الطائرة تنفجر وتسقط نتيجةَ عملٍ تخريبيٍّ مِن قِبل جماعاتٍ متطرفةٍ، وأثناء سقوط هذين الشخصين تحصلُ تغييرات في هيئتهما؛ فيتحول صلاح الدين جمجمة إلى مخلوقٍ شبيهٍ بالشيطان، وجبرائيل فريشته إلى مخلوقٍ شبيهٍ بالملاك. وفي أحد أحلام جبرائيل فريشته يرجع بنا سلمان رشدي إلى فترة صلح الحديبية ويبدأ فصلاً جديداً من الرواية بعنوان (ماهوند)، وهذا الفصل من الرواية جرحت فيه مشاعر المسلمين بصورةٍ عميقةٍ؛ حيث مر معنا في الفصل الأول من هذه الدراسة المدلولات التي كانت تحملها تسمية رسول الله ﷺ بـ (ماهوند) بدلاً من محمدٍ ﷺ. وإضافةً لهذه الإساءة القبيحة لشخصه، عليه السلام، نرى أن هذا المرتد رشدي قد ذكر في هذا الفصل من هذه الرواية قصةً قذرةً تتحدثُ عن وجود دارٍ للدعارة في مدينةٍ جاهليةٍ، كانَ يقصد ا مكّة المكرمة، وأن دار الدعارة تلك قد ضمت بين جنبا ا وغرفها اثنتي عشرةَ عاهرةً، وكانت الأسماء التي سماهن ا تتطابق مع أسماء زوجات رسول الله ﷺ!!! إضافةً لاحتواء هذا الفصل من هذه الرواية على وصف تفاصيل الممارسة الجنسية التي كان ماهوند يقوم ا معهن!!!! لقد أثارت هذه الروايةُ القذر كل ما فيها حفيظة المسلمين في العالم كلّه وأدت إلى خروج المظاهرات ووقوع المصادمات التي أودت بحياة أربعين مسلماً آنذاك، مما استدعى علماء الأمة للنهوض والرد، وكان أبرز الناهضين على الإطلاق الشيخ أحمد ديدات، رحمه الله، الذي توجه في خريف عام ١٩٨٩م إلى لندن وألقى محاضرةً ذا الخصوص في أكبر

---

[1] انظر:

أ. عصام بن أحمد، هل مارس رشدي الجنس مع ملكة بريطانيا، مقالة منشورة على شبكة الإنترنت على موقع www.dedaatwordparess.com

ب. عقيل عبد الله الإزرقي، تكريم الغرب لرشدي مكافأةٌ له أم احتقار للمسلمين؟ مقالة منشورة على شبكة النبأ المعلوماتيـة www.annabaa.org بتـاريخ ٢٠٠٧/٦/٢٥م.

ج. الموسوعة الحرةّ ويكيبيديا، مادة سلمان رشدي.

قاعة ا للمحاضرات، (قاعة ألبرت الملكية) واستأجر الصالة لمدّة خمسِ ساعاتٍ على نفقة المركز الإسلامي العالمي للدعوة الذي أسسه وكان يديره.

"لكن الحكومة البريطانية لم تسمح للشيخ ديدات سوى بأربع ساعات، وكذلك لم توافق الحكومة البريطانية على أن يكون موضوع المحاضرة (كيف خدع سلمان رشدي الغرب How Rushdie Fooled the West) مما اضطر الشيخ ديدات إلى تغيير الموضوع في الإعلانات إلى (تحدٍّ لعمالقة الأدب البريطاني) وقد حضر هذه المحاضرة أكثر من ستةِ آلاف شخصٍ من جميع الجنسيات العربية والأوروبية والآسيوية، إلاّ أنه قد تم منع الأطفال من الدخول مع تحذير النساء من الحضور مسبقاً أنّ في المحاضرة ما سيخدش الحياءَ الذي يسببه استدلال المحاضرة مباشرة من رواية (آيات شيطانية) التي استعمل فيها سلمان رشدي أقذر الألفاظ، إذ لا توجد أيةُ صفحةٍ من روايته لا تخلو من الألفاظ البذيئة المقززة والقذرة. وليس ذلك فقط بل تكلم رشدي عن السود بشكل مقززٍ وعنصريٍ يدل على أفكاره التي تدافع عنها دور النشر التي نشرت روايته"[1].

رحم الله الشيخ أحمد ديدات، فقد تكاملت في شخصيته كل العوامل التي نرجو الله وجودها في العلماء والأساتذة الذين يتخصصون في ا ال الذي برع وتخصص فيه. لقد استفاد، رحمه الله، من وسائل الاتصال المعاصرة في نشر الدعوة وإيصال الأفكار والمعتقدات وكان يسافر إلى دول الغرب والقارة الأمريكية ويناظر فيها كبار القساوسة والرهبان على اختلاف مِلَلِهم وطوائفهم، فنقل المعركة إلى أرض الغرب وحار م بسلاحهم وناظرهم بلغتهم الإنجليزية التي كان متقناً لها تمام الإتقان، بعكس حال الكثيرين من العلماء القدماء والمعاصرين الذين ردوا على مؤلفات الرهبان ومطاعنهم بعد ترجمة أعمالهم إلى العربية، وبطبيعة الحال فإنّ هذا لا يقلل مِن قدرهم ومقدار جهودهم لا، ولكن محاججة الخصم بلُغته أوقع في النفسِ وأكثر جاذبيةً وتأثيراً في المستمعين. ينبغي أن لا يغفلَ علماء المسلمين اليوم عن أهمية إتقان اللغة الإنجليزية والتي هي اللغة الأولى في عالمنا اليوم، لا لأ ا لغة الأعداء كما يقال أحياناً، ولكن لأ ا وسيلةٌ من أبرز وسائل التخاطب والتواصل بين أهل الحضارات والأديان المختلفة، ولأن الكثيرين من الذين يعتنقون الإسلام من أبناء الغرب لا يعرفون لغةً سواها.

---

(1) عصام بن أحمد [م. س].

المبحث الثاني

أبرز جهود العلماء المعاصرين في رد الشبهات عن الإسلام ونبوة محمد ﷺ والتصدي للمطاعن فيهما

أولاً: الأستاذ الدكتور محمد عمارة

لا يحتاج محمد عمارة[1] إلى مقدمةٍ لنعرف فيها بشخصيته ومؤلّفاته؛ فهو من العلماء الأفذاذ ذوي الوزن العلمي الثقيل المُعتبر في المشرق والمغرب. وقد كانت له صولات وجولات مع الكنيسة الغربية وأتباعها ورجالها، وذلك من خلال عشرات المؤتمرات والندوات التي أُقيمت تحت مسمى "حوار الأديان" و"حوار الحضارات" و"ندوات التقريب بين الأديان"، إلى أن اعتزل ذلك أخيراً، في أواخر القرن الماضي وسجل تجربته في هذا الموضوع في المقدمة التي خطّها لكتاب "مأزق المسيحية والعلمانية في أوروبا، تجربةٌ ألمانيةٌ"[2] الذي ألّفه القس الدكتور "جوتفرايد كونزلن". ومن المعروف أنّ عمارة من المؤلّفين ذوي القلم السيال، ويشهد لذلك مؤلّفاته الغزيرة التي زادت عن مائة وأربعٍ وثمانين. وأكثر ما يهمنا في مؤلفات الأستاذ عمارة كتابه الأخير عن الفاتيكان والذي حمل عنوان **"الفاتيكان والإسلام، أهي حماقةٌ؟ ... أم عداءٌ له تاريخ؟؟"** والذي جاء رداً صريحاً وواضحاً وجريئاً على محاضرة البابا بنديكتيوس السادس عشر التي ألقاها في جامعة ريجنسبورغ بألمانيا بتاريخ ٢٠٠٦/٩/١٢ وقد تقدم معنا إيراد النص الكامل لهذه المحاضرة وتعليقات الأستاذ عمارة عليها في كتابه السابق، والذي تمّ الاستشهاد به مراتٍ عديدةً في المبحث العاشر من الفصل الأول في هذه الدراسة..

---

[1] محمد عمارة مصطفى عمارة، مفكر إسلامي، مؤلف ومحقق وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، القاهرة. ولد بريف مصر مركز قلين - كفر الشيخ - في مصر في ١٩٣١/١٢/٨، حفظ القرآن وجوده وهو في كُتاب القرية. بدأت تتفتح وتنمو اهتماماته الوطنية والعربية وهو صغير. وكان أول مقال نشرته له صحيفة (مصر الفتاة) بعنوان (جهاد عن فلسطين). درس الدكتوراه في العلوم الإسلامية تخصص فلسفة إسلامية - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة عام ١٩٧٥م والماجستير في العلوم الإسلامية تخصص فلسفة إسلامية - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة عام ١٩٧٠م والبكالوريوس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة عام ١٩٦٥م.

حصل على العديد من الجوائز والأوسمة والشهادات التقديرية والدروع، منها "جائزة جمعية أصدقاء الكتاب، بلبنان سنة ١٩٧٢م"، وجائزة الدولة التشجيعية بمصر سنة ١٩٧٦ ووسام التيار الفكري الإسلامي القائد المؤسس سنة ١٩٩٨م.

اسهم في العديد من الدوريات الفكرية المتخصصة، وشارك في العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية، ونال عضوية عدد من المؤسسات الفكرية والبحثية منها ا لمس الأعلى للشئون الإسلامية، والمعهد العالي للفكر الإسلامي. وقد اتسمت كتابات الدكتور عمارة وأبحاثه التي أثرى ا المكتبة العربية والتي وصلت إلى مـا يقـارب (٢٠٠) مؤلفا بوجهات نظرٍ تجديديةٍ وإحيائيةٍ، وبالإسهام في المشكلات الفكرية، ومحاولة تقديم مشروع حضاري ضوي للأمة العربية والإسلامية في المرحلة الـتي تعيش فيها.

[2] كونزلن، جوتفرايد، مأزق المسيحية والعلمانية في أوروبا، تجربة المانية، المقدمة، ط١، ١٩٩٩، دار ضة مصر، القاهرة. وأصل هذا الكتاب محاضـرةٌ ألقّاهـا في الفترة ٧ – ١٩٩٧/٤/٩م في عمان، وقد كان المؤلف آنذاك يعمل مدرساً لمادة اللاهوت والأخلاقيات الاجتماعية في جامعة القوات المسلحة الألمانية بمدينة ميونخ.

يتكون كتاب الأستاذ عمارة السابق من مائةٍ وثلاثٍ وأربعين صفحةً شاملةً للفهارس. وقد قام فيه بالتحليل الكامل والرد الشافي على محاضرة البابا بنديكتيوس السالف ذكرها وتناول فيه خمسة محاور رئيسية هي:

١. افتراء البابا على رب العالمين سبحانه وتعالى، والرد على ذلك.

٢. ثمّ افتراءه على رسول الله ﷺ، والرد على ذلك.

٣. ثم خلطه بين الجهاد وبين الحرب المقدسة والرد على ذلك.

٤. ثم افتراءه على القرآن الكريم والرد على ذلك.

وكان المحور الأول الذي انطلق منه الاستاذ عمارة إيراده لبعض الافتراءات والتحريضات التي قام ا بعض البابوات السابقين تجاه الإسلام وأهله. أثبت عمارةُ في هذا الكتاب بالوثيقة والدليل أنّ إساءة بابا الفاتيكان بنديكتيوس للإسلام لم تكن حماقةً ولا صدفةً ولا خطأً غير مقصودٍ، بل إنها كانت حلقةً ضمن سلسلةٍ من الإساءات الفاتيكانية للإسلام وأهله. صحيح أنّ الكثير من الردود صِيغت للرد على محاضرة البابا بنديكتيوس السابقة، إلاّ أنّ أياً منها لم يرق للمستوى الذي قدمه الأستاذ عمارة في هذا الكتاب. لم يكن مؤلفه السابق عن الفاتيكان والإسلام أول كتابٍ يدافع به عن هذا الدين ويدرأُ عنه الشبهات والمطاعن، فقد كتب قبل ذلك كتاب "في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام" وكان قد ضمنه موقفه من حوار الأديان بعد تجربته المريرة فيه وأفرد له مبحثاً سماه "حوار الأديان ... هل هو هوار الطرشان؟!"[1] وفي هذا الكتاب تصدى الأستاذ عمارة لتفنيد وتوضيح والرد على كثير من القضايا التي شكّلت قنواتٍ معاصرةً للهجوم الحضاري والثقافي على الإسلام ورسوله الكريم ﷺ ومنها "نظرية صدام الحضارات" ومنها "الحرب الثقافية على الإسلام" ومنها "صورة الإسلام في التراث الغربي".

ثانياً: الأستاذة الدكتورة زينب عبد العزيز

على خلاف كل العلماء والأعلام والأساتذة القدماء والمعاصرين الذين عرفت م هذه الدراسةُ لم تكن زينب عبد العزيز[٢] من المتخصصين في الشريعة أو علوم الدين، ولم تكن من الذين درسوا الفلسفة الإسلامية أو الذين

---

(1) عمارة، محمد، في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام، ص ١٥٦ – ١٦٧، ط٢، ٢٠٠٧، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.

(2) زينب مصطفى عبد العزيز، ولدت في مدينة الإسكندرية في التاسع عشر من شهر كانون الثاني عام ١٩٣٥م حصلت على درجة البكالوريوس في الأدب الفرنسي وعلى شهادتي الماجستير والدكتوراه في الحضارة وتاريخ الفن من كلية الآداب بجامعة القاهرة في الأعوام ١٩٦٢، ١٩٦٧، ١٩٧٤. لهـا فيمـا يتعلـق بالإسـلام والدراسات الإسلامية ثمانية عشر مؤلفاً أبرزها سلسلة في صليبية الغرب وحضارته، وترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية. =

برعوا في علم الكلام. فهي بالرغم من تخصصها في اللغة الفرنسية ومن ثمّ في الحضارة وتاريخ الفن، وبالرغم من عملها كأستاذةٍ للأدب الفرنسي في الجامعات المصرية إلاّ أنها قدمت فيما يتعلّق بموضوع الكنيسة والإسلام مؤلفاتٍ على درجةٍ عاليةٍ من الأهمية والإبداع، وقد كان زوجها لطفي الطنبولي، رحمه الله تعالى، وراء تشجيعها لدراسة كل ما كُتب عن الإسلام باللغة الفرنسية.

برزت الأستاذة زينب عبد العزيز في العديد من المؤتمرات والمحافل الدولية. وكان لها فيما يتعلّق بتاريخ الكنيسة وحاضرها وبتعاملها مع الإسلام والمسلمين صولات وجولات لا يقدر عليها إلاّ الشديد المتمكن من الفرسان، الذين نذروا أنفسهم للذود عن هذا الدين وسمعة الحبيب المصطفى ﷺ. ولو ذكرنا من مآثر الأستاذة زينب فقط كو ا صاحبة أحدث ترجمةٍ لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية لكفاها ذلك فخراً، كيف لا وهي الترجمة التي كانت ثمرة تفرغٍ تامٍّ وجهدٍ متواصلٍ "دام ثماني سنواتٍ، بواقع خمسة عشر ساعة عملٍ يومياً حتى تمّت"[(١)]، فشفت بذلك صدر شيخ الأزهر السابق جاد الحق علي جاد الحق، رحمه الله، ومن بعده صدور كلّ المسلمين مما كان يتلجلج في صدروهم تجاه دراسة المستشرق الفرنسي "جاك بيرك" حول القرآن الكريم وما ألحقه ا من ترجمةٍ لمعاني القرآن الكريم للغة الفرنسية. لقد استدعت اللجنةُ التي ألّفها جاد الحق، رحمه الله، لحصر الأخطاء الواردة في ترجمة جاك بيرك ووضع بيانٍ ا مع التصويب، استدعت اللجنةُ الأستاذةَ زينب التي كانت خير سندٍ وعونٍ،وخرج الجميع بنتجةٍ مفادها: "إنّ بيرك جاهلٌ باللغة العربية ومغزاها ويتعمد الإساءة إلى الإسلام والمسلمين، وأنه يفتقد إلى الأمانة العلمية التي يجب أن يتحلّى ا عند تناول نص القرآن الكريم بالبحث والدراسة"[(٢)]. وقد كان ذلك حافزاً لوضعها فيما بعد لترجمتها التي حملت اسمها[(٣)]. نقول: لو كانت هذه الترجمةُ الجديدة عملَها الوحيد لكفاها ذلك فخراً وعزاً ورفعةً، ولكنها أرادت المزيد فاجتهدت في الدراسة والبحث والتأليف وأبدعت في رد شبهات خصوم الإسلام عنه وعن الرسول الكريم ﷺ، فأخرجت سلسلة "صليبية الغرب وحضارته". وكان من أبرز أجزاء هذه السلسلة كتاب (تنصير العالم، مناقشة لخطاب البابا يوحنا بولس الثاني "روعة الحقيقية"). وكتاب (حرب صليبيةٌ بكُل المقاييس) وكتاب (محاصرةٌ وإبادة، موقف

=قامت بترجمة عشرات المؤلفات من الفرنسية إلى العربية ولها ثمانية أبحاث مطبوعة ومنشورة باللغة الفرنسية، شاركت في عشرات المؤتمرات التي قدمت خلالها أبحاثـاً متنوعة كان من أبرزها مؤتمر التعريف بالإسلام عام ٢٠٠٣م في باريس والمؤتمر العام السابع للدعوة الإسلامية في روما عام ٢٠٠٤م.

(1) زينب عبد العزيز وحوار حول ترجمات القرآن، حوار منشور على موقع الشبكة الإسلامية بالقاهرة www.islamweb.net بتاريخ ٢٠٠٢/٩/٨.

(2) المرجع السابق نفسه.

(3) قامت جميعة الدعوة الإسلامية العالمية، ومقرها طرابلس في ليبيا بطباعتها تحت عنوان (القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الفرنسية).

الغرب من الإسلام). وقد هدفت هذه السلسلة إلى توضيح أبعاد التعصبِ الكنسي وحربه ضد الإسلام والمسلمين في عصورٍ متواليةٍ، مع ذكر المؤلفة للشواهد على ذلك بالوثيقة والدليل، قديماً وحديثاً. كما هدفت إلى نقد الكثير من العقائد الكنسيةّ كالتثليث والأسرار السبعة، وهدفت إلى إبراز التناقضات العديدة بين الأناجيل، كما أفردت صفحاتٍ كثيرةً لتوضيح حقيقة النظرة الغربية للإسلام وللرسول محمد ﷺ. ومع أنّ الأستاذة زينب أخرجت ما يزيد على ثمانية عشر مؤلفاً يتعلق بالإسلام إلاّ أنّ جديد إنتاجها من دراساتٍ وبحوثٍ ومقالاتٍ متوافر فقط على شبكة الإنترنت وبالذات على موقعها الخاص(١).

يعتبر موقع الأستاذة زينب من أهم المواقع الإلكترونية الموجودة على شبكة الإنترنت في العالم الإسلامي، وذلك راجع إلى أهمية المواد والموضوعات المعروضة فيه، وهو يحتوي على العديد من النوافذ منها نافذة "المؤسسة الكنسية" ونافذة "الأناجيل" ونافذة "مخطوطات قمران" ونافذة "الفاتيكان" ونافذة "الحوار بين الأديان". وإنّ ابرز وأهم الدراسات والمقالات الجديدة في هذا الموقع، فيما يتعلّق بموضوع دراستنا هذه ما يلي:

- وثيقة هبة قسطنطين.
- البابوات والإسلام من يوحنا العاشر إلى بنديكتيوس.
- شفرة دافنشي ومحاكم التفتيش والمؤسسة الكنسية.
- حوار الأديان في هيئة الأمم.
- خطاب مفتوح إلى البابا بنديكتيوس السادس عشر حول محاضرة راتسبون.
- المتناقضات في الأناجيل.
- طوفان قادم.
- التبشير إجباري بأمر البابا.
- رسالة الفادي.
- وثيقة "في زماننا هذا" وعلاقات الكنيسة بالإسلام.
- توجيهات من أجل حوارٍ بين المسيحيين والمسلمين، للكاردينال موريللا.

(١) موقع الدكتورة زينب عبد العزيز www.dr-z-abdelaziz.com.

- اعترافات القس جيروم بتحريف الكتاب المقدس.
- التنصير عالمٌ خطير لا نرى منه إلا القليل.
- المسلمون ومستنقع الفاتيكان.
- أفيقوا أيها المسلمون.
- خطاب أل ١٣٨ والفاتيكان.

إنّ كل قارئٍ لهذه الدراسة لمنصوح له أن يقرأ هذه المقالات والدراسات، ففيها من المفاجآت ما فيها، وفيها من الردود الشافية لصدور المؤمنين ما فيها. جزى اللهُ، الأستاذة زينب خير الجزاء وأكرمها، فإننا نرى فيها برهاناً على أنموذج المرأة المسلمة، الزوجة والأم والأستاذة والداعية والمفكرة وا اهدة بقلمها ولسا ا، التي لا تنفك تدعو أبناء الأمة للنهوض وللتعريف الصحيح ذا الدين، وللذود عن الرسول المصطفى ﷺ وتدعو المؤسسات والمعاهد والجامعات المسلمة للقيام بدورها في هذا ا ال دون تردد وتقول[1]:

والأمر ليس مرفوعاً إلى الإمام الأكبر للأزهر الشريف، وإلى خادم الحرمين الشريفين، وإلى كافّة علماء المسلمين فحسب، بل إلى أمةِ محمدٍ، صلوات الله عليه، لذلك أكّرر الصيحة: أفيقوا أيها المسلمون، أينما كنتم وأياً كان مستواكم العلمي أو المعرفيّ، أفيقوا للدفاع عن الدين قبل أن تتفاقم الأحداث!. فالهجمة الشرسةُ على الإسلام باتت من القحة والغطرسة المُعلنة، بوضوحٍ لا ريب فيه، بحيث يقتضي الرد عليها أن يكون قاطعاً حاسماً في الدفاع عنه، ليضع هؤلاء القوم بتعصبهم البغيض، والقائم بنيا م على تلٍّ مِن الأكاذيب والنصوص المزورة، المنسوجة عبر القرون، في المكان الذي يستحقّونه".

ولكي يقف القارئ على مدى حدة وقوة عبارات الأستاذة زينب وعدم خشيتها في الحق لومة لائمٍ، فإننا نقتطف المقطع الختامي من مقالتها الشهيرة المعنونة "خطاب أل ١٣٨ والفاتيكان"[2] والتي ردت فيها على الكثير مما قاله البابا بنديكتيوس السادس عشر عن الإسلام ورسوله الكريم ﷺ ومن ذلك:

وسؤالٌ أتوجه به إلى علماء الأزهر ومؤسساته وإلى كل المؤسسات الإسلامية في العالم الإسلامي: أين أنتم مِن كلّ ذلك الذي يدور في حق الإسلام؟ أين أنتم حتى مِن الذين ينتمون إليكم اسماً ويشاركون في مثل هذه المحافل

---

[1] زينب عبد العزيز، أفيقوا أيها المسلمون، مقالة منشورةٌ على موقعها www.dr-z-abdelaziz.com بتاريخ ٢٠٠٩/٧/١٧م.

[2] زينب عبد العزيز، خطاب أل ١٣٨ والفاتيكان، مقالة منشورةٌ على موقعها www.dr-z-abdelaziz.com بتاريخ ٢٠٠٨/١٠/٢٧.

الإجرامية في حق الدين؟! ألم يحن الوقت أن تنفضوا عن كاهلكم ذلك الدور السلبي غير الكريم و بوا للدفاع عن الإسلام؟... أليس من الأكرم أنْ تشرحوا للعالم الغربي المسيحي المتعصبِ أسباب نزول آيات الجهاد الحربي في القرآن، بكل اللغات، بدلاً من ذلك الصمت الغريب؟!. وكلمةٌ أخيرةٌ أتوجه ا للبابا بنديكت السادس عشر، باسمي وباسم كل الأمناء في أمة محمدٍ، عليه صلوات الله، الذين أعرف يقيناً أ م لن يرضوا بذلك الهوان: إنّ القرآن الكريم، الذي تسعى كل تلك المحاولات الحثيثة لتغييره وتبديله، هو النص الديني اله لُ الوحيد الذي لم يعرفِ التحريف، وكلّها حقائق تعرفو ا أكثر مني، فبدلاً من القيام بمزيدٍ من الإسقاطات على الإسلام، وإشعال الفتن والضغائن بين الشعوب بالإصرار على تنصير العالم، أعيدوا النظر في موقفكم من التسامح، الذي طالبكم به عصر التنوير، وأوضح لكم في العديد من النصوص أن الإسلام لا يعرف الأسرار والغياهب، وقائم على الاستقامة وأمانة علاقة الإنسان بربه.

... لا يا سيادةَ البابا المبجل: نحن لا نعبد نفس الإله، وهذا الخطاب المشبوه لا يمثل إجماع المسلمين، والإرهاب ليس من الإسلام وإنما من الضغوط التي تمارس على المسلمين لاقتلاعهم من دينهم الذي أتى مصوباً لكل ما قامت به مؤسستكم على مر التاريخ: نحن نعبد اللهَ الذي ليس كمثله شيءٌ، الله خالق السموات والأرض والكون بأبعاده وكل ما فيه، ونؤمن بالرسالتين التوحيديتين قبل تحريفهما والحيادِ عن تعاليمهما، ونؤمن بجميع الرسل والأنبياء ومنهم عيسى عليه السلام، ونشهد بأنّ لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، ونؤمن إيماناً يقينياً وقاطعاً بكامل سورة الإخلاص القائلة: " قُلْ هو الله أحد (١) الله الصمد (٢) لَم يلِد ولَم يولَد (٣) ولَم يكُن له كُفُواً أحد(٤)".

جزى اللهُ، هذه الخنساء المعاصرة خير الجزاء فقد أجادت العرض والنقد،وكانت كلما ا الحرةُ الصريحة انعكاساً واضحاً لاعتزازها ذا الدين العظيم وبحضارته التي غيرت وجه العالم. لم تقبل زينب على نفسها أن تخط كتاباً أو رسالةً تفيض بالخوف من جرح مشاعر رجالات الفاتيكان أو تمتلئ بالتذلل لهم بغيةَ الحصول على فتات الرضا كما فعل بعض الذين صاغوا ردوداً وتعليقاتٍ خجلةً على محاضرة البابا، وكأ م كتبوها على عجالةٍ أو استحياءٍ خشيةَ أن يحلّ م الغضب والسخطُ!!! قالت زينب ما عجزت بعض الهيئات المسلمة عن قوله، وهي واحدةٌ وهم عشرات!!!.

ثالثاً: الدكتور إبراهيم عوض

لقد سخر اللهُ تعالى هذا الرجلَ الموسوعي المتبصر واسع القراءة والاطّلاع ليكون درعاً من الدروع التي تكسو صدر الإسلام وترد عنه رماح وسهام الطاعنين المُغرضين. وقد قدم الدكتور إبراهيم[1]، جزاه الله كل خيرٍ، مجموعةً من الكتب الهامة جداً التي تخصصت في الرد على المطاعن الكنسية الغربية والاستشراقية في الإسلام ونبوة محمدٍ ﷺ، وكان من أكثر العلماء الذي وافقت أفكار هذه الدراسة أفكارهم، والتقت معهم في العديد من النقاط.

لقد خطّ هذا الأستاذ الكبير مجموعةً من الكتب والبحوث التي ذاد فيها عن الإسلام ونبوة الحبيب المصطفى ﷺ فقد كتب كتاباً بعنوان "هل أسس محمد دينه على الوثنية؟؟! رد فيه على شبهات وسخافات المدعو "سام شمعون". كما ألّف كتاباً بعنوان "لكن محمداً لابواكي له" رد فيه على شبهات المدعو خليل عبد الكريم صاحب كتاب "فترة التكوين في حياة الصادق الأمين". كما ألف كتاباً هاماً تصدى فيه لبعض المستشرقين الذين سبق وأن ذكرناهم في دراستنا هذه مثل برنارد لويس وصاموئيل هنتنغتون ودانيال بايبس وعنون هذا الكتاب بـ "المستشرقون الجدد، دانيال بايبس وبقية أفراد العصابة". عرض فيه أبرز أفكارهم تجاه الإسلام ثمّ قام بتفنيدها والرد عليها بالتفصيل. ولعلّ أبرز ما يخدم دراستنا هذه من مؤلفات هذا الأستاذ الكبير ثلاثٌ هي التالية:

أولاً: كتاب "مصدر القرآن، دراسة لشبهات المستشرقين والمبشرين حول الوحي المحمدي"[٢].

وهو كتاب يبين بالأسلوب العلمي أن الدراسة المدقّقة لشخصية الرسول وشخصية القرآن لا بد أن تؤدي إلى الإيمان الجازم بأنّ ذلك الكتاب يستحيل أن يكون من نتاج عقل محمدٍ ومشاعره أو أي إنسانٍ آخر، وإنما هو وحي إلهي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن الرجل الذي جاء به لا يمكن أن يكون إلا نبياً رسولاً.

---

(1) ولد الدكتور إبراهيم عوض في قرية كتامة الغابة مركز بسيون بمحافظة الغربية في مصر عام ١٩٤٨م في أسرةٍ تشتغل بالتجارة. تعلّم في كتاب القرية حيـث أتم حفظ القرآن في الثامنة من عمره، ثم التحق في الثانية عشرة تقريباً بالمعهد الأحمدي الأزهري في طنطا. حصل على درجة البكالوريوس اللغة العربية وأدا ا من كليـة الآداب بجامعة القاهرة التي تخرج منها عام ١٩٧٠م، وكان ترتيبه الأول على الدفعة، إذ كان الوحيد الذي حصل على تقدير "جيد جداً مع مرتبة الشرف الثانية".
وحيث أعلنت آداب عين شمس عن حاجتها إلى معيد في قسم اللغة العربية وآدا ا تقدم لشغل هذه الوظيفة ضمن المتقدمين، فكانت من نصيبه. وبعدها حصل علـى درجة الماجستير من تلك الكلية في الأدب العربي الحديث عام ١٩٧٤م، ثم سافر في بعثةٍ إلى بريطانيا عام ١٩٧٦م لمواصلة دراساته العليا في جامعة أوكسفورد، وعاد سنة ١٩٨٢م بعد أن حصل على درجة الدكتوراه في النقد الأدبي. وهو الآن أستاذ في نفس الكلية، ويدرس للطلاب مقررات الأدب العربي والنقد الأدبي والدراسات الإسلامية والترجمة من الإنجليزية، ويشرف على طلاب الماجستير والدكتوراه. وهو متزوج ولديه ابن وبنتان، وقدنشأ يتيم الأبوين، إذ ماتت أمه وهو في الـسادسة، ولحق ا أبوه بعد ذلك بثلاثة أعوام. وله من الكتب أكثر من مائةِ كتابٍ ما بين كتبٍ ورقيةٍ وكتبٍ إلكترونية منشورة على الإنترنت.

(2) نشرت هذا الكتاب مكتبة زهراء الشرق بالقاهرة عام ١٩٩٧م، وهو يقع في ثلاثمائة وثلاثٍ وأربعين صفحة من القطع المتوسط.

ويتكونُ هذا الكتاب من بابين **أما الباب الأول** فقد خصص لدراسة شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام، **وأما الباب الثاني** فقد خصص لدراسة المحتوى القرآني وروحه. وقد قُسم الباب الأول بدوره إلى ثلاثةٍ فصولٍ نوقشت فيها الشبهات التي يفسر ا المستشرقون والمبشرون المصدر الذي جاء منه القرآن. وقد رتبت هذه الشبهات ترتيباً منطقياً بحيث أنه عندما يفرغ الدارس من مناقشة أولاها ويتبين أ ا غير قائمةٍ على أساسٍ تاريخيٍّ أو علميٍّ يجد أ ا تسلمه تلقائياً إلى الشبهة التالية ... وهكذا. وهذه الشبهات تتلخص في أن محمداً عليه السلام كان كذاباً مخادعاً، أو أنه كان واهماً مخدوعاً، أو أنه كان مريضاً بمرضٍ عصبيٍّ. وقد فند المؤلف هذه الشبهات واحدةً واحدةً ودرسها دراسةً متأنيةً طرح فيها كل لون من ألوان التحرج بغية الوصول إلى الحق الذي من شأنه أن يريح النفوس المتطلعةَ إليه والتي لا تألو في البحث عنه أي جهد، وقد اعتمد المؤلف في ذلك كلّه على الروايات التاريخية الموثقة بعد أن مررها بما سماه (مصفاة المنطق الإنساني العام، والدراسات النفسية والطبية، وبخاصةٍ تلك التي تتعلق بمكنونات اللاّوعي والأمراض النفسية والعصبية). **أما الباب الثاني** فقد قسمه المؤلف إلى ثلاثة فصولٍ، درس فيها شخصية القرآن ومحتواه، ووجد أنه لا يمكن أن يكون قد استقِي من أي مصدرٍ بشريٍّ أو اقْتبِس من أيةِ ديانةٍ أخرى، وذلك بعد مقارنته بغيره من أديان عصره التي اتهم الرسول بأنه قد أخذ عنها أفكاره عن وعيٍ أو عن غير وعي.

ثانياً: بحث "ماذا تقول الموسوعة الكاثوليكيةُ عن الإسلام ورسوله؟"

وهو بحث قيم تناول فيه المؤلّف الكاتب إبراهيم عوض اللمز المقصود والمغالطات المتعلقة بالإسلام ونبوته ﷺ ورد عليها ردوداً شافيةً كافيةً. وكان من أبرز هذه المغالطات التي اشتملت عليها هذه الموسوعة الكاثوليكية ما يلي:

١. إنّ عنوان المقال الموجود في هذه الموسوعة عن الإسلام ليس كلمة إسلام كما كان يجب أن يكون بل هو محمد والمحمدية!!.

٢. الغمز في أنّ محمداً قد تلقّى الإسلام من اليهود والنصارى الذين التقى م في رحلاته إلى الشام، مع قوافل قومه حيث حصل معرفته الناقصة بدين هاتين الطّائفتين!!.

٣. إنّ محمداً كان عرضةً للإصابة بالصرع بين الحين والحين.

٤. إنّ كتب السيرة النبوية ليست أهلاً للثقة، إذ تمتلئ بالخرافات والروايات المصنوعة!!.

٥. إنّ كُتب السيرة لم تدون إلاّ بعد نحو قرنٍ ونصفٍ من وفاة محمدٍ!!

٦. إنّ محمداً كان انفعالياً ويخشى الألم الجسدي لدرجةٍ غير معقولةٍ!!.

٧. كان محمد شديد القسوة مع اليهود!!.

ثالثاً: كتاب "عصمة القرآن وجهالات المُبشرين".[١]

وهذا الكتاب مخصص للرد على كتاب "هل القرآن معصوم؟" لمؤلّفه المُسمى عبد الله الفادي أو عبد المسيح الفادي. وقد سبق لنا التعريف بكتاب الفادي هذا في المبحث الثالث من الفصل الرابع من دراستنا. ويقع كتاب الرد "عصمة القرآن" في فصلين اثنين، تصدى الأستاذ إبراهيم عوض في فصله الأول للرد على الشبهات اللغوية، وهي التي كان عبد الله الفادي قد سماها بـ "الأسئلة اللغوية"، وهي خمسةٌ وعشرون سؤالاً، عقد لها فصلاً مستقلاً غطى صفحات الكتاب من ١٠٧ إلى ١١٢، وكان الفادي يهدف من وراء ذلك إلى إيهام القُراء بأنّ القرآن الكريم مليءٌ بالأخطاء اللغوية!!.

أما في الفصل الثاني من كتاب الرد "عصمة القرآن" فقد تصدى الأستاذ إبراهيم عوض للرد على الشبهات الخاصة بمضمون ومحتوى القرآن الكريم، ورد فيه على شبهات وأوهام وأباطيل عبد الله الفادي وفندها بالتفصيل.

لقد أثبت الأستاذ إبراهيم من خلال مؤلّفه السابق حقيقةً مفادها أنّ عبد الله الفادي وأمثاله من المبشرين على جهلٍ تامٍّ ومطبقٍ بالقرآن الكريم وأنّ اعتراضاتهم كلّها ليست محل اعتبارٍ ولا نظرٍ،ولكنهم يحاولون الطعن وإثارة الشبهات حول القرآن الكريم فقط لأنه يخالف معتقداتهم ودينهم. ونحن بدورنا لا نرى في عبد الله وأمثاله إلاّ تكراراً ممجوجاً لأخلاق وأفكار رهبان العصور الوسطى، مع تغيرٍ في الشكل واللّغة والزمان والمكان فقط ...

لقد توفرت في الدكتور إبراهيم عوض مواهب متعددةٌ أبرزها أربع هي التالية:

الأولى: موهبة إتقان اللغة الإنجليزية التي مكنته من الاطّلاع على الكتب المسيحية والتراث المسيحي، وهي اللغة التي كان استاذنا قد أتقنها عند دراسته في بريطانيا لنيل شهادة الدكتوراة من جامعة أكسفورد.

الثانية: موهبة نقد النصوص، التي يحمل درجة الدكتوراة فيه.

الثالثة: موهبة كثرة القراءة وسعة الاطّلاع، التي تدلّنا عليها كتاباته في مواضيع متعددةٍ.

---

[١] نشرت هذا الكتاب مكتبة زهراء الشرق بالقاهرة، سنة ٢٠٠٥، وهو يقع في مائةٍ وسبعٍ وستين صفحة، من القطع المتوسط.

الرابعة: موهبة القلم السيال التي تدلّ عليها مؤلّفاته التي زادت عن المائة.

كل هذه المواهب سخرها هذا الرجل لخدمة دين الله والذّود عنه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

رابعاً: الأستاذ الدكتور صلاح الخالدي

يعد الأستاذ الخالدي[1] من أشهر أساتذة تفسير القرآن الكريم في الكليات الشرعية والجامعات في المملكة الأردنية الهاشمية، وهو من أبرز الذين عرفوا بالكتابات المُدافعة عن القرآن الكريم والمبينة لمحاولات تشويهه والطّعن فيه. والخالدي من العلماء المشهود لهم بكثرة الاطلاع والكتابة، وتشهد لذلك مؤلّفاته التي زادت عن الأربعة والأربعين، وهو كذلك من العلماء المشهورين بعفّة اللسان وتقبل وجهات النظر المخالفة والحرص الكامل على نقل علمه وتجربته وما تربى عليه إلى طلبة العلم من خلال لقاءاته الكثيرة م أو من خلال مؤلّفاته. وهذا ليس مستغرباً من رجلٍ تخصص في "سيد قطب" ونحى منحاه في الكتابة والدعوة والثبات على الحق.

ولعلّ أبرز ما يهمنا في مؤلفات أستاذنا وشيخنا الخالدي آخر كتبه ومؤلّفاته والذي حمل عنوان **"القرآن ونقض مطاعن الرهبان"**[2]. وقد خصصه الخالدي للانتصار للقرآن الكريم والدفاع عنه أمام هجمات أعدائه الذين حاولوا الانتقاص من شأنه وخطّؤوه مثيرين حوله كل ما أمكنهم من شبهاتٍ وا اماتٍ، باعثهم على ذلك العداوة له والجهل به. وقد سبق لنا التعريف بكتاب الفادي المسمى "هل القرآن معصوم؟" في المبحث الثالث من الفصل الرابع في هذه الدراسة، وذكرنا في الصفحات القريبة الماضية جهود الدكتور إبراهيم عوض في الرد عليه وعلى أبرز ما فيه من شبهات. ولعلّ تصدي الأستاذ الخالدي هو الآخر للرد على هذا الكتاب ليعكس مدى خطورته، لا لمستوى مضمونه ومحتواه لا، ولكن لأنه نشر على الإنترنت بعد توزيعه مطبوعاً، فوصلَ بذلك إلى الكثيرين من ضعاف النفوس والجاهلين بالقرآن مما استدعى الرد من جديدٍ لإزالة كل شبهةٍ قد تعلق في النفوس ليزداد القراءُ يقينا بأنّ القرآن كلام الله وأنه م ّه عن الأخطاء والمطاعن كلّها. ويتألف كتاب الأستاذ الخالدي من فصولٍ عشرةٍ هي التالية:

---

[1] ولد صلاح عبد الفتاح الخالدي في مدينة جنين في ١٩٤٧/١٢/١م الموافق ١٨/محرم/١٣٦٧ هـ سافر إلى القاهرة سنة ١٩٦٥م، وهناك حصل علـى الثانويـة الأزهرية، ثم دخل كلية الشريعة وتخرج فيها سنة ١٩٧٠م، وعاد إلى الأردن لأن الضفة الغربية كانت قد احتلّت سنة ١٩٦٧م. تقدم لدراسة الماجستير سنة ١٩٧٧م في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وكانت الرسالة التي قدمها بعنوان: سيد قطب والتصوير الفني في القرآن وجاءت في قسمين: القسم الأول عـن حياة سيد قطب، والثاني عن التصوير الفني في القرآن. وتمت المناقشة سنة ١٩٨٠ ثم حصل على درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن سنة ١٩٨٤م من الجامعـة نفسها، وكانت الرسالة بعنوان: في ظلال القرآن - دراسة وتقويم. بلغت مؤلفاته أربعةً وأربعين، ومن أبرزها "سيد قطب الشهيد الحي"، وسلسلة "من كنوز القرآن" و"نظرية التصوير الفني عند سيد قطب" و"وقفات مع بعض الآيات".

[2] صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عن دار القلم، بدمشق، عام ٢٠٠٧، وهو يتكون من ٧٥٨ صفحة من القطع العادي (المتوسط).

الفصل الأول: نقض المطاعن الجغرافية.

الفصل الثاني: نقض المطاعن التاريخية.

الفصل الثالث: نقض المطاعن الأخلاقية.

الفصل الرابع: نقض المطاعن اللاهوتية.

الفصل الخامس: نقض المطاعن اللغوية.

الفصل السادس: نقض المطاعن التشريعية.

الفصل السابع: نقض المطاعن الاجتماعية.

الفصل الثامن: نقض المطاعن العلمية.

الفصل التاسع: نقض المطاعن الفنية.

الفصل العاشر: نقض المطاعن الموجهة إلى حياة الرسول ﷺ.

وقراءةُ مقدمة كتاب الخالدي على درجةٍ عاليةٍ من الأهمية لكل مقتنٍ له ففيها بين المؤلف اسم الكتاب المختار للرد عليه، وعرف بكاتبه ووضح السبب المباشر الذي دفعه للرد عليه كما شخص في المقدمة موطن الخلل عند الفادي **وبيان ذلك ما يلي:**

١. أما عن اسم الكتاب المختار للرد عليه، وعن اسم مؤلفه فقال[١]: "الكتاب الذي خصصنا كتابنا للرد عليه وتفنيد شبهاته وا اماته هو (هل القرآن معصوم؟) ونسِب لرجل دينٍ نصرانيٍّ هو عبد الله الفادي، ويبدو أن هذا الاسم مستعار. وصدر الكتاب عن مؤسسةٍ تنصيريةٍ في النمسا، اسمها ضوءُ الحياة، وظهرت طبعته الأولى عام ١٩٩٤م وتوزعه هيئات ومراكز التبشيرالنصرانية. ودعت مؤسسة ضوء الحياة إلى مراسلتها لإرسال الكتاب لمن يطلبونه كما أ ا أنزلته على الإنترنت".

٢. وأما عن السبب المباشر الذي دفعه للرد على هذا الكتاب فقال[٢]: "وقد رأينا من المناسب أن نرد على كتاب الفادي "هل القرآن معصوم؟" وأن نبين افة أسئلته، وتفاهة انتقاداته ... والذي دفعنا إلى الرد عليه أنه يمثلُ خلاصةَ جهودِ النصارى في فحص القرآن، وإثارة الأسئلة والشبهات حوله، فهناك كتب كثيرةٌ لنصارى عديدين،

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، القرآن ونقض مطاعن الرهبان، المقدمة ص ٥، ط ١، ٢٠٠٧، دار القلم، دمشق.

(٢) المرجع السابق نفسه ص ٨.

تنتقد القرآن، وتثير حوله الاعتراضات، وتزعم الوقوف على أخطاءٍ، ولقد قرأنا بعض تلك الكتب،ولدى مقارنتها ـذا الكتاب، وجدناه خلاصةً لها، فالرد عليه رد عليها.

٣. وأما عن تشخيصه لموطن الخلل عند الفادي، فقد ذكره الأستاذ الخالدي بعد أن اقتبس بعض عبارات الفادي التي أوردها في مؤلّفه الطاعن في عصمة القرآن فقال: "رغبت منذ حداثتي أن أقوم بخدمةٍ منتجةٍ دائمةِ الأثر للجنس البشري، وليس في مقدوري أن اكتشف قارةً، مثل ما فعل كولمبس، ولا أن أخترع مذياعاً، مثلما فعل ماركوني، ولا أن أسخر الكهرباء، مثل ما فعل أديسون، ولا أن أحلل الذرة، كما فعل أينشتاين، فليس شيء من هذا يدخل في دائرة اختصاصي ... ولكنني كرجل دين، رأيت أن أدرس القرآن"[١].

وقال الأستاذ الخالدي معلّقاً على عبارات الفادي السابقة ومحدداً موطن الخلل فيها بقوله[٢]: "لم يبق أمامه إلاّ الإسلام ليدرسه، وبما أن القرآن هو أساس الإسلام، فليوجه القسيس الفادي نظراته الكنسية النصرانية إليه، ليدرسه دراسةً مفصلةً، يقدم ا خدمة للبشرية!! فالفادي المسكين تراوده أحلام ا ـد وأن يكون في مصاف أديسون وماركوني وأينشتاين، لهذا وضع هذا الكتاب "خدمةً للبشرية"!!! فالمسكين أسير فكرةٍ عجيبةٍ استحوذت عليه وفرضت عليه المُضي في هذه الطريق ... وطبعاً لن ينال ا ـد إن درس القرآنَ دراسةً منصفةً محكمةً، بل لابد أن تكونَ دراسته من منطَلقٍ نصراني ضيقٍ ... كي ينال ا ـد الذي يحلم به!!! **وهذا هو موطن الخلل: الأفكار المسبقةُ، والتحيز والتحاملُ.**

لقد رد الأستاذ الخالدي على مطاعن وأكاذيب الفادي واحدةً تلو الأخرى، بتفصيلٍ مفيدٍ دون أن يترك شاردةً ولا واردةً ووضح بما لا يدع مجالاً للشك كذب الفادي وغشه الذي تمثل في إخلاله المقصود بالأمانة العلمية حيث كان يأخذ النصوص من كلام المفسر البيضاوي، رحمه الله، ثمّ يزيد عليه ما لم يقله البيضاوي ويحذف منه الشيء الكثير.

وينبه الأستاذ الخالدي في هذا المعرض إلى أنّ هذا التصرف "الشائن" ليس خاصاً بالفادي وحده بل هو ج عند أمثاله من أهل الكتاب في إحالتهم لكتب العلماء المسلمين التي يأخذون منها أحياناً ويستيعنون ا، حيث أ م يفتقدون إلى الأمانة العلمية في النقل والنسبة.

---

(١) المرجع السابق نفسه ص ١٥.

(٢) المرجع السابق نفسه ص ١٥.

خامساً: الدكتور منقذ السقّار

يعتبر الدكتور السقّار[1] من الوجوه المشرقة التي برزت حديثاً في ساحة الدعوة إلى الله في السنوات الثماني الماضية. وهو بالرغم من حداثة ظهوره إلاّ أنه شق طريقه في الدعوة بقوةٍ وعزيمةٍ وإصرارٍ، وسجل حضوراً لافتاً للأنظار من خلال ألمعيته في محاورة ومناظرة النصارى باللّغتين العربية والإنجليزية، وهذا واضح معلوم لكل متابعٍ للمواقع والمنتديات الإلكترونية المتخصصة في محاورة ومناقشة النصارى.

وهذا ليس مستغرباً من هذا العلَمِ الذي خط العديد من المؤلفات في هذا الموضوع وأبرزها "هل العهد القديم كلمةُ الله؟" وكتاب "هل العهد الجديد كلمة الله؟" وكتاب "الله جل جلاله واحد أم ثلاثة؟" وكتاب "هل افتدانا المسيح على الصليب؟" وكتاب "هل بشر الكتاب المقدس بمحمدٍ ﷺ؟" وهذه الكتب جميعها قام السقّار بترجمتها إلى اللغة الإنجليزية.

والدكتور السقّار واحد من الأساتذة والدعاة الذين يدركون تماماً أهمية توظيف وسائل الاتصال المعاصرة في الدعوة إلى الله تعالى، لذلك نرى مؤلّفاته كلّها متوفرةً، وبا ّان، على شبكة الإنترنت والمواقع الإسلامية. كما أنّ له حلقاتٍ كثيرةً وسلاسل من الدروس الصوتية والمتلفزة في مناقشة النصارى ورد شبها م عن الإسلام. ومن أبرز هذه الدروس والمحاضرات والمناظرات ما يلي[٢]:

- سلسلة هل العهد القديم كلمة الله؟
- سلسلة مناظرة مع القس أسعد وهبة عن الصلب في التوراة.
- سلسلة مناظرة مع القس أسعد وهبة عن الصلب في العهد الجديد.
- سلسلة مناظرة مع القس رأفت مشرقي عن قدسية العهد القديم.
- سلسلة هل صِلِب المسيح عليه السلام.
- سلسلة محاضرات ومناظرات متعلقة بالنصرانية والكتاب المقدس.
- سلسلة من دلائل النبوة.

---

(1) منقذ بن محمود السقّار، عالمٌ وداعيةٌ سعودي. يحمل شهادة الدكتوراة في علم مقارنة الأديان من جامعة أم القرى في السعودية. تخصصت معظم كتاباته في الدين المسيحي نقداً وتحليلاً.

(2) جميع مؤلفات الدكتور منقذ السقّار ودروسه ومحاضراته متوفرة على الصفحة المخصصة له على موقع صيد الفوائد www.saaid.net وموقع طريق الإسلام www.islamway.com وموقع ابن مريم للحوار الإسلامي المسيحي www.ebnmaryam.com.

- سلسلة مناظرات مع القس رافت مشرقي (تافار) عن إنجيل لوقا.
- سلسلة مناظرة مع القس جاكوبي حول الكتاب المقدس.
- سلسلة مناظرة مع المُنصِر بوس عن ألوهية المسيح.
- سلسلة تعالوا نتأسى بمحمدٍ ﷺ.
- مناظرة مع القس لف يوكي.
- رد على مغالطة البابا حول انتشار الإسلام.
- الإرهاب بين الإسلام والمسيحية.
- الرد على شبهة أنّ ورقة بن نوفل هو من علم النبي ﷺ القرآن.
- الرد على شبهة حول الجزية في الإسلام.
- القرآن والإرهاب.
- الرد على من زعم بأنّ القرآن منحولٌ من أشعار العرب وبحيرا.
- الرد على فرية أنّ النبي ﷺ كان مصاباً بالصرع.
- الرد على شبهة الغرانيق.
- الرد على من يقول بوجود أخطاءٍ نحويةٍ في القرآن الكريم.

ومن الواضح مما سبق ذكره وتعداده من دروس ومحاضرات الدكتور السقّار أنه كان يركّز على نقد ونقض الكثير من العقائد المسيحية لكنه وفي الوقت ذاته كان يركّز على رد كلّ الشبهات التي يثيرها المسيحيون حول الإسلام ونبوته ﷺ.

ولعلّ أكثر ما يهمنا في دراستنا هذه من مؤلفات الشيخ السقّار دراسته الأخيرة المطولة والهامة، التي حملت عنوان **"شبهات النصارى حول الإسلام"** وهو بحثٌ يتكونُ من أربعة مطالب ويقع في صميم دراستنا.

وقبل البدء في استعراض أهم ما اشتملت عليه مطالب البحث الأربعة، نلفت إلى أنّ الشيخ السقّار قد أشار في مقدمة بحثه إلى أنّ أبرز الموضوعات التي ركّزت عليها الدراسات النصرانية المتعلّقة بالإسلام هي الستةُ التالية:

١. التشكيك في مصدرية الإسلام.

٢. الطعن في النبي ﷺ.

٣. الطعن في القرآن الكريم.

٤. الطعن في سنة النبي ﷺ.

٥. الطعن في تاريخ الإسلام على مر العصور.

٦. الزعم بأن القرآن قد حوى في دفتيه ما يؤيد المعتقدات والكتب النصرانية.

أما عن مطالب بحث السقّار الهام جداً عن شبهات النصارى حول الإسلام فقد جرت على النحو التالي:

في **المطلب الأول، والذي حمل عنوان "منهج النصارى** في **شبهاتهم عن الإسلام"** لخص المؤلف المنهج في كذبهم وتلاعبهم بالنصوص وتحريفهم لها، ثم تحدث عن نماذج من ذلك وعن نماذج من المغالطات التي يقعون فيها عند استدلالهم على ما يقولون. وكانت أبرز كتب النصارى التي استخرج منها المؤلف ما يثبت صحة كلامه كتاب "أديان العالم" لمؤلفه حبيب سعيد، وكتابات القس أنيس شروش.

وفي المطلب الثاني والذي حمل عنوان "شبهات النصارى المتعلّقة ببعض شرائع الإسلام" تصدى الدكتور السقّار للرد على شبهة انتشار الإسلام بالسيف وقدم فيها المبررات التي لأجلها شرع الإسلام الجهاد، ورد فيها كذلك مستعرضاً الاضطهاد الديني الذي رافق انتشار النصرانية في العالم. ثم رد على شبهة ظلم الإسلام للمرأة وهضمِهِ لحقوقها وتشريعه لضرب النساء ولقوامة الرجال وللطلاق ولتعدد الزوجات ولإعطاء المرأة نصف ما للرجل في الميراث.

وفي المطلب الثالث الذي حمل عنوان "شبهات النصارى حول نبوة نبينا ﷺ"، تصدى السقّار لشبهة النصارى القائلة بأنّ محمداً لم يأتِ بمعجزاتٍ مستدلين ببعض الآيات القرآنية الكريمة التي تأولوها على نحوٍ باطلٍ والتي أوردها وهيب خليل في كتابه "استحالة تحريف الكتاب المقدس". ثم تصدى الشيخ السقّار للرد على الشبهات النصرانية المثارة حول تعدد زوجات الرسول ﷺ.

وفي المطلب الرابع والذي حمل عنوان "شبهات النصارى عن القرآن الكريم" فند المؤلف كلّ شبهاتهم المتعلّقة بمصدر القرآن، وقولهم بأنّ مصدره يعود للكتاب المقدس ولأشعار العرب وللعقائد النسطورية ولبحيرا الراهب. كما فند المؤلف كذلك شبهاتهم المتعلّقة بصحة ثبوت القرآن الكريم حيث يزعم هؤلاء أنّ القرآن الكريم عند وفاة النبي ﷺ كان نصوصاً متنافرةً وحدها عثمانُ بن عفان، ويزعم هؤلاء كذلك أنّ المسلمين بعد وفاة محمد ﷺ اسقطوا بعض

الآيات والسور القرآنية كرجم الزاني وسورة الحفد والخلع، ويزعم هؤلاء أن في القرآن الكريم تناقضاتٍ وأخطاءً تاريخيةً ولغويةً ... وأخيراً فقد زعم هؤلاء النصارى أنّ القرآن أيد المعتقداتِ المسيحية بألوهية المسيح وعقيدة التثليث!!! كل هذه الشبهات تصدى لها الشيخ منقذ، أنقذه الله، وفندها وردها كلمةً كلمةً وجلّى الحق والصواب. جزى الله هذا الشيخ خيراً عن هذه الأمة العملاقة، وأطال سيفه في الحق والذب عن الإسلام وأهله ونبيه المصطفى ﷺ.

نأملُ أن تكون هذه الدراسة قد وفقت في تقديم هذا الداعية لمن لا يعرفونه من طلبة العلم في بلادنا، فهو أسد من أسود الله وسيف من سيوفه التي تكتسي على الزمان مضاءً بعونه تعالى.

سادساً: الشيخ أكرم حسن مرسي(١)

مرةً أخرى قدمت إلينا استفزازات الرهبان والمنصرين شخصيةً مسلمةً متميزةً ما كُنا لنعرفها لولا أن واجهتها استفزازات وامتحانات المنصرين للمسلمين ومحاولة تشكيكهم في دينهم ونبوة الحبيب المصطفى ﷺ.

معلوماتنا عن هذه الشخصية، وهي الشيخ أكرم حسن مرسي قليلةٌ جداً، ولكن العمل الذي أنجزه في الذب عن ديننا ورسولنا كبير جداً. كبير في مستواه وهدوئه وعقلانيته وحسن تعامله مع الكارهين المبغضين لهذا الدين. ألف الشيخ كتاباً ضخماً جاوزت صفحاته الستمائة وسبعاً وعشرين، وسماه "**رد السهام عن خير الأنام محمدٍ عليه الصلاة والسلام**" وقد روى هذا الكاتب الشاب في مقدمة كتابه المذكور سبب إقدامه على كتابته فقال(**٢**):

"إنّ اثارة الشبهاتِ لتشكيكِ المسلمين في عقيد م، أخطر الحروبِ على الإسلام؛ لأن اصحا ا يستهدفون البسطاء وذوي النفوس الضعيفة، وطالبي الدنيا ومتاعها الزائل؛ فالمغريات كثيرةٌ، والشبهات شديدةٌ على من تلقى إليهم، فيتخبطون حيارى، يريدون من يأخذ بأيديهم، فلا يجدون من يشفي صدورهم، ويريح قلو م، ويزيل ما ا من شكٍّ وريبةٍ ـ وأصدقكم القول ـ أني تعرضت لما تعرضوا، وفُتنت كما فُتنوا، وزلزلت زلزالاً شديداً، فقد ألم بي طائف منهم، تقرب إلي، وادعى صداقتي لينال مأربه وما كان ذلك إلاّ صرفي عن ديني وتشكيكي في عقيدتي التي درجت عليها، وقد وجد ضالته، وأصاب مني مأربه، فقد كنت في ذلك الوقتِ ضائعاً، أتخبطُ في الشهوات .. واستطاع ـ رغم عدمِ براعتِه في إلقاءِ الشبهةِ ـ أن يجعلني أسهر الليالي الطوالَ، وأبيت مفكراً فيما يقولُ، ولا أجد

---

(1) أكرم حسن مرسي (المحامي)، من دعاة الجمعية الشرعية بالجيزة في مصر، وله عنوانان إلكترونيان: akram614@hotmail.com و AlM07AMY-@Paltalk.com

(2) مرسي، أكرم حسن، رد السهام عن خير الأنام محمدٍ عليه الصلاة والسلام، ص ٢، ٣، النسخة الإلكترونية.

إجابةً شافيةً، فقد كنت خاوياً، عقلٌ ضالٌ وقلب فارغٌ، ثم أراد اللهُ بي خيراً، وتغمدني بواسع رحمته، وعظيم فضلِه، فقد قيض اللهُ لي من يأخذ بيدي، وينتشلني مما أنا فيه، شاب نجيب، له سمت العلماء وفطنة المفكّرين، فطرحت عليه تلك الأسئلة، وأخبرته بمكنون صدري،وما كان يموج في عقلي من شكوكٍ وضلالاتٍ، فأذهب ما في نفسي بالإقناع والحجةِ، وليلتها نمت مستريح البال، قرير العين، فقد كنت قبل ذلك تتنازعني الوساوس والشكوك، وقد ولدت على يديه مولداً جديداً، وبعثت بعثاً آخر، وأوصاني هذا الأخ الكريم ـ حفظه الله ـ بأنْ التمس العلم، وأتفقّه في الدين، وبدأت بسماعِ المحاضراتِ، وقراءةِ القرآن الكريم بتدبرٍ، وشئياً فشيئاً أصبحت شغوفاً بالعلمِ، أطلبه أينما كان فليست العبرةُ بمن سبق ولكن العبرةَ بمن صدق. ومع مرور الأيام دخلت على "الإنترنت" بقدر الله وحاورتهم وحاوروني، فأكسبني ذلك خبرةً بطرقهم ومسالكهم، فانكشفت لي ألاعيبهم، وأظنني اليوم قادراً على مجارا م ورد كيدهم إلى نحورهم ـ بإذن الله ـ، ولعلّ فيما ذكرته خيراً يرد الأمةَ إلى ر ا، ويوقظها من سباتِها وما يراد ا، فينقلب السحر على الساحرِ".

إنه لمن الواضح تماماً خطورة الدور الذي يلعبه المنصرون في حر م على الإسلام ورسول الله ﷺ ومدى التشكيك الذي تحدثه شبها م لعامة المسلمين. ولخطورة هؤلاء فقد أكد الكاتب أنه يخاطبهم وحدهم في كتابه هذا ولا يخاطب أحداً غيرهم معِلماً إياهم بأنه سيرد على شبها م بعد عرضها بأسلو م، وأنه لن يلجأ إلى السخرية والاستهزاء والهمز واللمز، كما فعلوا هم، مؤكداً على حقّه في الذّود عن الإسلام ودفع الشبهات بالحجة.

وقد وضح الكاتب أنه اعتمد في منهج كتابه هذا على جمع الشبهات التي تنالُ من الرسول ﷺ والرد عليها بأسلوبٍ هادئٍ بعيدٍ عن الانفعال والانسياق وراء العواطف وركوب الشطط والمغالاة، ولم يسلك مسلك هؤلاء بالتعمية على القارئ وإخفاء الحقائق التي لا يستطيع عاقلٌ أن ينكرها ومنصف أن يجحدها. وذكر بأنّ أصحاب الشبهات يعتمدون في إثارة شبها م حول الرسول ﷺ على أحاديث ـ جلّها ـ ضعيفةِ الإسنادِ، أو صحيحةٍ لم يفهموها إما لجهلهم أو لسوءِ نيتهم، فيعمدون إلى الكذب والتدليس وبتر الأحاديث والاستدلال بما ليس فيها.

يتألف كتاب "رد السهام" من ستة أقسام. وفي **القسم الأول الذي** حمل **عنوان "شبهات حول عصمته ورسالته"** تصدى الكاتب للرد على العديد من الشبهات الخبيثة الخطيرة كان من أبرزها:

١. شبهة أن القرآن وصف محمداً بأنه يرتكب الذنوب.

٢. شبهة سحر الرسول.

٣. شبهة الغرانيق.

٤. شبهة عبادة محمدٍ للأصنام.

٥. شبهة كاد محمد أن يفتن.

٦. شبهة كان محمد ضالاً.

٧. شبهة محاولة محمدٍ الانتحار.

٨. شبهة كان محمد ينسى.

٩. شبهة محمد يعظم ويقبلُ الحجر الأسود.

١٠. شبهة كان محمد يعبس ويتولى.

١١. شبهة كان محمد يحرم ما أحله اللهُ.

١٢. أخطأ محمد في علم الساعة.

١٣. مات محمد مسموماً بعد أكله من شاةٍ مسمومةٍ.

١٤. مات محمد وتحلّل جسده حتى تعفن.

١٥. انتفخ جسد محمدٍ بعد موته.

وفي **القسم الثاني الذي** حمل **عنوان "شبهات حول رحمته"**، تصدى الكاتب لمزيدٍ من الشبهات والافتراءات المتمثّلة في سوء فهم وتفسير الكثير من نصوص الحديث النبوي الشريف، ومن ذلك:

١. محمد يقول: أُمرت أن أُقاتلَ الناس.

٢. محمد يقول: الجنةُ تحت ظلال السيوف.

٣. محمد يرعب الناس ويرهبهم رافعاً شعار "نصِرت بالرعب".

٤. جعِلَ رزق محمدٍ تحت ظلّ رمحه وأخذ الغنائم.

٥. أمر محمد بقتل النساء والصبيان.

٦. كان محمد يحرق النخيل والزرع ويفسد في الأرض أثناء حروبه وغزواته.

٧. كان محمد يأخذ الجزية.

وفي **القسم الثالث والذي حمل عنوان "شبهات حول أخلاقه وسلوكه ﷺ"** فند الكاتب ورد شبهاتٍ عظيمةً كان من أبرزها ما يلي:

١. كان محمد يكثر من اللعن والسب كقوله: "ثكلتك أمك".

٢. كان محمد يكتحل مثل النساء ويحني شعره الطويل الذي يبلغُ كتفيه.

٣. كان محمد يتبولُ جالساً مثل النساء.

٤. اضطجع محمد مع فاطمة بنت أسد في قبرها وعاشرها وهي ميتة.

٥. كان محمد عاشقاً للنساء يقول: حبب إلي من دنياكم النساء.

٦. كان محمد يلعق أصابعه بعد الأكل.

٧. كان محمد يحلل الكذب بحجة إصلاح ذات البين.

وفي **القسم الرابع، الذي حمل عنوان "شبهات حول معجزاته"** رد الكاتب على شبهاتٍ كثيرةٍ، كان من أبرزها قول المنصرين ما يلي:

١. محمد ليس له معجزات.

٢. لو كان محمد رسولاً لورد ذكره في الكتاب المقدس.

٣. أخذَ محمد القرآن وتعلّمه من البشر والناس مثل بحيرا الراهب، ومن بعده ورقة بن نوفل.

٤. كان محمد يعرف القراءة والكتابة.

وفي **القسم الخامس، والذي حمل عنوان "شبهات حول أحاديث تتعلّق بالمرأة،وزوجاته ﷺ"**، رد المؤلف على الافتراءات والشبهات التي كان من أبرزها ما يلي:

١. حكَم محمد على المرأة بأنها شؤم.

٢. أمر محمد المرأة أن تسجد لزوجها.

٣. قال محمد: إنّ الملائكة تلعن المرأة إن رفضت دعوة زوجها للفراش.

٤. وصف محمد النساء بأنهن ناقصات عقلٍ ودينٍ.

٥. حقّر دين محمدٍ المرأة عندما جعل شهاد ا نصف شهادة الرجل.

٦. وصلَ عدد زوجات محمدٍ إلى إثنتي عشرةَ، مما يثبت ولعه بالدنيا.

٧. تزوج محمد من طفلةٍ كان عمرها تسع سنوات اسمها عائشة.

٨. أجبر محمد ابنه بالتبني على تطليق زوجته زينب بن جحش ثم تزوجها هو وذلك بعد أن رآها فأعجبته وقال: سبحان مقلّب القلوب.

٩. تزوج محمد ميمونة وهو محرم، وتزوج صفية قبل انقضاء عد ا وطلّق سودة لأ ا أصبحت كبيرةً مسِنةً.

وفي **القسم السادس والأخير، والذي حمل عنوان "شبهات حول أصولٍ يزعمون أنها خرافات"،** رد المؤلف على شبهاتٍ كثيرةٍ كان من أبرزها ما يلي:

١. كيف يكون محمد أولَ المسلمين، والقرآن يذكر أن النبي إبراهيم كان مسلماً؟؟

٢. كيف يصلّي اللهُ على محمد؟؟

٣. كيف أجرى الملاك جبريل عمليةً جراحيةً لمحمدٍ وشق صدره وغَسل قلبه؟؟

سابعاً: الدكتور سليمان بن عبد الله الرومي

لا تتوفر لدينا معلومات كثيرةٌ عن الدكتور سليمان الرومي(١)، ولكن تتوفر لدينا معلومات وافرةٌ عن كتابه **"دعوة المسلمين للنصارى** في **عصر الحروب الصليبية"**(٢)، والذي كان في أصله رسالة دكتوراه خطّها أستاذنا الرومي وهو على مقاعد الدراسة، وأخرجها إلى النور عام ٢٠٠٧م في كتابٍ من مجلدين بواقع تسعمائة صفحةٍ. وفي هذا الكتاب الضخم تصدى المؤلف لمعتقدات النصارى كالتثليث والقول بالاتحاد والتجسد وألوهية المسيح والصلب والفداء، وفندها واحدةً تلو الأخرى، بالأدلة العقلية والنقلية، وكذا فعل عندما ناقش شعائر النصارى وطقوسهم كالمعمودية والصلاة والصوم وترك الختان وتعظيم الصور والتماثيل. ولكنه وقبل أن ينتقل لرد شبهات النصارى عن الإسلام ونبوة الحبيب المصطفى ﷺ نراه، جزاه اللهُ خيراً، قد أفرد مبحثاً من خمسة مطالب عنون له بـ" الدعوة إلى العقيدة الإسلامية"، وكان من مطالب هذا المبحث الدعوة إلى اعتناق الإسلام من خلال بيان محاسنه، ومن خلال رد الشبه عنه وعن تشريعاته، وكان من مطالب هذا المبحث كذلك الدعوة إلى الإيمان بالقرآن والدعوة إلى الإيمان بنبوة

(1) سليمان بن عبد الله بن صالح الرومي، عضو هيئة تدريس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(2) الرومي، سليمان بن عبد الله بن صالح، دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية ط١، ٢٠٠٧، مكتبة الرشد، الرياض.

محمدٍ ﷺ. واستعرض المؤلف جهود أبرز الولاة والقادة والعلماء والدعاة في تلك العصور الذين قاموا بدعوة النصارى لاعتناق الإسلام. وقد أفرد المؤلف كذلك مبحثاً هاماً تصدى فيه للرد على شبهات النصارى ومطاعنهم في الإسلام ونبوة محمدٍ ﷺ وكانت أبرز هذه الشبهات والدعاوى ما يلي:

١. دعوى خصوصية رسالة النبي ﷺ بالعرب.

٢. دعوى أن القرآن ورد بتعظيم النصارى والثناء عليهم.

٣. شبهة تعدد الزوجات في الإسلام.

٤. دعوى انتشار الإسلام بالسيف.

٥. دعوى عدم جزم المسلمين بصحة القرآن لاختلاف الصحابة في جمعه وتعدد قراءاته.

٦. دعوى أن القرآن يشتمل على ما ليس بصحيحٍ.

٧. انتقادهم الطّلاق في الإسلام.

٨. دعوى أنّ المسلمين وثنيون وكُفّار.

المبحث الثالث

أبرز الجهود الجماعية المؤسسية المعاصرة في رد الشبهات عن الإسلام ونبوة محمدٍ والتصدي للمطاعن فيهما

مر بنا في المبحثين السابقين استعراض لبعض أبرز جهود أبناء هذه الأمة قديماً وحديثاً في رد الشبهات والمطاعن التي أثارها النصارى، ولا زالوا، حول الإسلام ونبوة محمدٍ ﷺ. وهي المطاعن التي أسس لها وأثارها رهبانُ العصور الوسطى الذين أسسوا الاستشراق الديني ووضعوا له القواعد والمنطلقات والأهداف، وذلك كلّه بغرض محاربة الإسلام والتشكيك فيه والنيل منه. ولمّا كان إطلاق الشبهات والتأسيس لها عملاً جماعياً ومؤسسياً قام به رهبان العصور الوسطى، وذلك نظراً لانطلاقه برعاية وتشجيع ودعم الكنيسة الغربية وما يتبع لها من الأديرة والأبرشيات ... كان من الطبيعي والمتوقع أن تكون هناك جهود جماعيةٌ مؤسسيةٌ تتصدى للرد على هذه الشبهات ومطلقيها.

وسنعرض تالياً لنماذج من هذه الجهود ولبعضها لا لكُلها، وذلك راجع لتعدد وكثرة مؤسسات العمل الدعوي والثقافيّ، ولله الحمد. فكان استعراض جهودها كلها من الصعوبة بمكان.

أولاً: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر.

يعتبر هذا المجلس الأعلى، وهو تابع لوزارة الأوقاف المصرية، نموذجاً رائعاً من نماذج العمل الدعوي الإسلامي، ولعلّ موقعه الإلكترونيّ على شبكة الإنترنت[1] خير دليلٍ على ذلك، ففيه تعريف بالإسلام بأبرز لغات أهل الأرض، وهو يقدم الخدمات والمعلومات والإجابات لكل سائلٍ أو متصلٍ أو باحثٍ، وهذا الكلام ليس وليد الساعة أو اليوم، فقد سبق لهذا المجلس الأعلى، أن قاد حملةً ضخمةً على الإنترنت كان هدفها تحسين صورة الإسلام، وبالذات في الدول الأوروبية والأمريكية لكلّ الذين أساؤوا فهم هذا الدين بعد أحداث الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١ للميلاد.وذلك عن طريق بثّ رسائل مباشرةٍ على الإنترنت بهدف للدفاع عن صورة الإسلام ومبادئه ضد الحملات التي تعمل على تشويه صورته.

"وأوضح الدكتور عبد الصبور مرزوق، أنّ هذه الرسائل سوف تتناولُ بين طياتها أيضاً مناقشاتٍ تستند إلى المنطق والحقائق، رداً على العديد من القضايا التي يثيرها المجتمع الغربي في هذه المناطق، إما عن جهلٍ وإما لأسبابٍ

---

[1] موقع المجلس على شبكة الإنترنت هو www.islamic-council.org

مغرضةٍ. وتبين المناقشات موقف الإسلام من القضايا المتعلقة بحقوق الإنسان، وقضايا المرأة خاصةً ما يدور حول أحكام الميراث بالنسبة لها وقواعد المساواة بينها وبين الرجل أو الشهادة. وذكر أن المسلمين لن يقفوا مكتوفي الأيدي ضد تلك الدعاوى. وأنه يجب على كافة المؤسسات الإسلامية أن تؤدي دورها دفاعاً عن الإسلام وتصحيح المعلومات المغلوطة والخاطئة. وشدد على ضرورة أن تمتلك الدول الإسلامية وسائل إعلامٍ قويةٍ لمواجهة الهجوم الغربي على الإسلام وعلى المجتمعات الإسلامية، موضحاً أنّ موقع المجلس الأعلى يتضمن موسوعةً إسلاميةً ومكتبةً دينيةً كبيرةً تضم عشرات الكتب في فروع العلوم الإسلامية"[1].

نقول ما نقول عن هذا المجلس وأعضائه الكرام، بعد أن قام بنشر كتابٍ هامٍّ جداً يقع في صميم دراستنا حمل عنوان **"حقائق الإسلام** في **مواجهة شبهات المشكّكين"**، والذي تضمن الرد على مائةٍ وسبعٍ وأربعين شبهةً من الشبهات المغرضة حول الإسلام ونبوة محمد ﷺ، وكان هذا الكتاب من وضع بعض العلماء المعروفين المشهود لهم في العالم الإسلامي وهم الأساتذة محمود حمدي زقزوق وعبد الصبور مرزوق وعبد العظيم المطعني ومحمد عمارة وعلي جمعة. وسوف يترجم هذا العمل المشرف للعديد من اللغات، حتى تعم الفائدة ويطّلع عليه المسلمون من العرب وغير العرب وحتى يطلع غير المسلمين على مضمونه كذلك.

وكان مما ورد في مقدمة هذا الكتاب النافع التي خطّها الأستاذ محمود حمدي زقزوق بيانٌ للأسباب الدافعة لتأليف هذا الكتاب،ومن ذلك **أنه عندما ظهر الإسلام منذ أكثر من أربعةَ عشر قرناً من الزمان،** لم **يتوقّف سيلُ الشبهات التي يثيرها المشكّكون من خصوم هذا الدين تشكيكاً** في **مصادره أو** في **نبيه أو** في **مبادئه وتعاليمه. ولا تزال الشبهات القديمة تظهر** حتى **اليوم،** في **أثوابٍ جديدةٍ يحاول مروجوها أن يضيفوا عليها طابعاً علمياً زائفاً.**

ومن المفارقات الغريبة في **هذا الصدد أن يكون الإسلام قد اختص من** بين **كل الديانات التي عرفها الإنسانُ سماويةً كانت أم أرضيةً بأكبر قدرٍ من الهجوم وإثارة الشبهات حوله.** ووجه الغرابة في ذلك، يتمثل في أنّ الإسلام في الوقت الذي جاء فيه يعلن للناس الكلمةَ الأخيرةَ لدين الله على الأرض لم ينكر أياً من أنبياء الله السابقين ولا ما أنزل عليهم من كتبٍ سماويةٍ، ولم يجبر أحد من أتباع الديانات السماوية السابقة على اعتناق الإسلام. ولم يقتصر الأمر على عدم الإنكار، وإنما جعلَ الإسلام الإيمانَ بأنبياء الله جميعاً وما أنزل عليهم من كتبٍ عنصراً أساسياً

[1] جريدة الشرق الأوسط العدد ٨٨٦٦، بتاريخ ٢٠٠٣/٣/٨م.

من عقيدة كل مسلمٍ بحيث لا تصح هذه العقيدة بدونه. ومن شأن هذا الموقف المتسامح للإسلام إزاء الديانات السابقة أن يقابلَ بتسامحٍ مماثلٍ وأن يقللَ من عدد المناهضين للإسلام. ولكن الذي حدثّ كان على العكس من ذلك تماماً، فقد وجدنا الإسلام ـ على مدى تاريخه ـ يتعرض لحملاتٍ ضاريةٍ من كل اتجاهٍ. وليس هناك في عالمِ اليوم دين من الأديان يتعرض لمثل ما يتعرض له الإسلام في الإعلام الدولي من ظلمٍ فادحٍ وافتراءاتٍ كاذبةٍ. وهذا يبين لنا أن هناك جهلاً فاضحاً بالإسلام وسوءَ فهمٍ لتعاليمه سواءٌ كان ذلك بوعيٍ أو بغير وعيٍ ... ومواجهة ذلك تكون ببذل جهودٍ علميةٍ مضاعفةٍ من أجل توضيح الصورة الحقيقية للإسلام، ونشر ذلك على أوسع نطاق.

ولم يقصر علماءُ المسلمين على مدى تاريخ الإسلام في القيام بواجبهم في الرد على هذه الشبهات، كلٌ بطريقته الخاصة وبأسلوبه الذي يعتقد أنه السبيل الأقوم للرد، وهناك محاولات جادة بذلت في الفترة الأخيرة للدفاع عن الإسلام في مواجهة حملات التشكيك.

ولعلّ أبرز الشبهات التي وردت في دراستنا هذه، قد وردت كذلك في كتاب الرد الصادر عن ا لمس الأعلى، حيث تناول كتاب "حقائق الإسلام" العديد من هذه المواضيع، وكان من أبرزها ما يلي:

أولاً: حقائق حول القرآن الكريم.

وتمّ فيه تفنيد ودحض العديد من الشبهات الزائفة، وكان من أبرزها:

١. شبهة الكلام الأعجمي في القرآن.

٢. شبهة الكلام المتناقض والمفكك والمنسوخ في القرآن.

٣. دعوى أنّ القرآن مقتبس من التوراة.

٤. مخالفة القرآن للكتاب المقدس في أسماء بعض الشخصيات التاريخية.

ثانياً: حقائق حول رسول ﷺ.

وتمّ فيه تفنيد ودحض العديد من الشبهات الزائفة والتي منها:

١. تعدد زوجات النبي ﷺ.

٢. محاولة النبي محمد ﷺ الانتحار.

٣. ولادة النبي ﷺ عادية.

٤. يحتاج محمد ﷺ إلى الصلاة عليه.

٥. محمد ﷺ أمي فكيف علم القرآن؟

٦. محمد ﷺ يحرم ما أحل الله.

٧. تعلّم محمد ﷺ من غيره.

٨. محمد ﷺ يعظّم الحجر الأسود.

٩. كاد محمد ﷺ أن يفتن.

١٠. قاتل محمد ﷺ في الشهر الحرام.

١١. محمد ﷺ مذنب كما في القرآن.

١٢. الشيطان يوحي إلى محمدٍ ﷺ.

١٣. حول عصمة الرسول ﷺ وموقف القرآن من العصمة.

١٤. دعوى خلو الكتب السابقة من البشارة برسول الإسلام.

١٥. قوم النبي محمدٍ ﷺ زناةٌ من أصحاب الجحيم.

١٦. مات النبي ﷺ بالسم.

ثالثاً: حقائق حول السنة النبوية.

وتمّ فيها الرد على شبهتين بارزتين حول تناقض النقل (القرآن) مع العقل. وحول الاستغناء عن السنة بالقرآن.

رابعاً: حقائق حول الإسلام.

وتم فيها الرد على شبهة انتشار الإسلام بالسيف، وتحبيذه للعنف.

خامساً: حقائق حول الآيات القرآنية.

وتمّ فيها الرد على شبهاتٍ عديدةٍ كان من أبرزها، ما يلي:

١. هل النجوم رجوم للشياطين؟

٢. هل الرعد ملَك من الملائكة؟

٣. تناقض القرآن مع العلم.

سادساً: حقائق حول الأنبياء والرسل والأعلام.

وتم فيها الرد على مجموعةٍ من الشبهات كان من أبرزها ما يلي:

١. نوح لم يتبعه الأراذل.

٢. إختراع طفلٍ ينطق بالشهادة.

٣. إسماعيل بين الأنبياء.

٤. قميص سحري.

٥. لم ت ل مائدةٌ من السماء.

٦. إنكار الصلب.

سابعاً: حقائق حول التحليل.

ثامناً: حقائق حول الحدود.

تاسعاً: حقائق حول الشريعة.

عاشراً: مناقشة النموذج الإسلامي لتحرير المرأة.

ومن الجدير في ا ية حديثنا عن مضمون هذا الكتابِ المفيدِ أن نشير إلى أنّ ا لس الأعلى للشؤون الإسلامية قد نشر العديد من الرسائل في سلسلتي "قضايا إسلامية" و"دراسات إسلامية"، قام فيها العديد من العلماء بالرد على هذه الشبهات، ومنها على سبيل المثال: حقائق إسلامية في مواجهة حملات التشكيك، ومقولات ظالمة، وشبهات وإجابات حول القرآن الكريم، وشبهات وإجابات حول مكانة المرأة في الإسلام ج١، ٢، وحقائق القرآن وأباطيل خصومه، وشبهات وردود ج١، ٢. فجزاهم الله عن المسلمين خير الجزاء.

ثانياً: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة "الإيسيسكو".

يحسب لمنظمة الإيسيسكو[1] إفرادها مؤلفٍ خاصٍّ للرد على الافتراءات المسيحية الغربية، في الوقت الذي اكتفت فيه بعض منظمات وهيئات العمل الإسلامي بالشجب والاستنكار للحملات المعادية للإسلام في السنوات الثلاث الماضية..

لقد حمل هذا المُصنف عنوان **"الإسلام بين الحقيقة والادعاء"**، وتم فيه شرح المفهوم المتكامل للإسلام، كما تم فيه تفنيد العديد من الشبهات المُغرضة المثارة حول الإسلام والرسول ﷺ. وقد حملت هذه الشبهات مسمى الادعاءات، وذلك بالطبع راجع لزيفها وبطلا ا وعدم توفر أي دليلٍ يدعم صحة أيٍّ منها.

قامت مجموعةٌ من ستة علماء بارزين بتأليف هذا الكتاب. وهم الأساتذة أحمد شلبي وأحمد عمر هاشم وعبد الصبور شاهين وأحمد كمال أبو ا د وعبد الصبور مرزوق ومحمود حمدي زقزوق. وكانت أبرز الادعاءات التي تصدى المؤلّفون للرد عليها التالية:

١. إنّ مصدر القرآن بشري وليس وحياً إلهياً.

٢. إن محمداً كان يغير خططه حسب الظروف التي يوجد فيها، والدليل على ذلك أنه قدم الإسلام في مكّة على أنه دين خاص بالعرب ثم جعله عالمياً بعد أن انتصر في المدينة.

٣. إنّ محمداً كان رجلاً شهوانياً ويشهد لذلك كثرة عدد زوجاته.

٤. إنّ الإسلام انتشر بالسيف وكانت الجيوش المنتصرةُ تسبقه دائماً.

٥. كانت الفتوحات الإسلامية توسعاتٍ استعماريةً ذات طابعٍ اقتصاديٍّ دف إلى الحصول على الغنائم وفرض الجزية.

٦. المسلمون لا يحترمون الآخر، ولا يحترمون حضارته والدليل على ذلك إحراقهم لمكتبة الإسكندرية.

٧. لا يسمح الإسلام بإعمال العقل بل يجعله خاضعاً للنصوص الدينية.

٨. نصوص الإسلام شديدة الوضوح في احتقار المرأة وظلمها.

---

(1) المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو (بالإنجليزية: ISESCO)) منظمةٌ تابعةٌ للمؤتمر الإسلامي، تعنى بميادين التربية والعلوم والثقافة والإتصال في البلدان الإسلامية، مقرها الرباط.

وكان القرار الأعلى الصادر عن مؤتمر القمة الإسلامي الثالث بمكة المكرمة في ٢٥ – ١٩٨١/١/٢٨م، تأكيداً لإنشاء جهازٍ إسلاميٍ دوليٍ جديدٍ ضمن أجهزة العمل الإسلامي المشترك في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي، يحمل اسم: "المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة".

٩. يعارض الإسلام حرية التعبير، والدليل على ذلك الموقف من سلمان رشدي.

١٠. الجهاد الإسلامي حرب عدوانيةٌ دف إلى الاعتداء على الآخرين.

ثالثاً: مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي[1].

يتبع لهذه المؤسسة العديد من المؤسسات الإسلامية كالمدارس والجامعات ومواقع الإنترنت ... ولعلّ أبرز هذه المواقع على الإطلاق موقع (كلمة سواء). وقد سمي الموقع ذا الاسم للتعريف بوثيقة أو رسالة (كلمة سواء بيننا وبينكم)؛ ففي الثالث عشر من تشرين الأول عام ٢٠٠٦م، وبعد شهرٍ على التمام، من المحاضرة التي ألقاها البابا بنديكتيوس السادس عشر في ريجنسبيرغ في الثالث عشر من أيلول عام ٢٠٠٦م، صدرت كلمةُ الرد على البابا من ثمانيةٍ وثلاثين من علماء المسلمين من أرجاء العالم، ينتمون لجميع المذاهب والمدارس الفكرية، بروحٍ من التبادل الثقافي المفتوح والتفاهم المتبادل. وفي هذا الرد، الذي حمل عنوان "رسالة مفتوحة إلى البابا" تحدث العلماء المسلمون من جميع فئات المسلمين، بصوتٍ واحدٍ حول التعاليم الحقيقية للإسلام.

وبعد مرور عامٍ كاملٍ على صياغة هذه الرسالة والرد المفتوح ازداد عدد الموقعين على هذه الرسالة ووصل إلى مائةٍ وثمانيةٍ وثلاثين، فقاموا بتوسيع رسالتهم هذه معلنين إضافة ما سمي بـ "القواسم المشتركة بين الإسلام والمسيحية" إليها. وكانت صيغتها النهائية تحمل عنوان "الحب في القرآن الكريم". **والذي يعنينا** في **هذه الدراسة، وبالدرجة الأولى استعراض ما تضمنته الرسالة** في **صيغتها الأولى** التي **رفعت إلى البابا بنديكتيوس السادس عشر** لأننا نراها جاءت واضحةً صريحةً قصدت الرد بطريقةٍ عصريةٍ مهذّبةٍ على خطاب البابا بنديكتيوس، الذي لم يكن خطابه خطاباً عصرياً ولم يكن خطاباً مهذّباً، لم يكن عصرياً لإنه جاء بأسلوبٍ استعلائيٍ أكّدته تعليقاته اللاحقة عليه، ولم يكن مهذباً لأنه تعمد الطعن الصريح واللمز المباشر وغير المباشر بالإسلام وبالرسول الكريم ﷺ، والذي وصِف بأنه جاء بكل ما هو شرير ولا إنسانيّ!!!.

[1] هذا هو المسمى الجديد، للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، وهو هيئة علمية إسلامية مستقلة، مقره مدينة عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية، يختار أعضاؤها من كبار علماء المسلمين في شتى بلدان العالم الإسلامي، ممن اشتهروا بمؤلفا م وبحوثهم وآرائهم العلمية في أحد ميادين المعرفة التي نشأت وازدهرت في ظل الحضارة الإسلامية، كالعلوم الشرعية،وآداب اللغة العربية والتاريخ الإسلامي.

وقد تأسس ا مع بأمر من الملك الراحل الحسين بن طلال ملك المملكة الأردنية الهاشمية، وباشر عمله في مطلع شهر نيسان عام (١٩٨١م)، وبلغ عدد أعضاء ا مع في بداية عام (١٩٩٥م)، مائة عضوٍ وعضواً واحداً. من سبعة وثلاثين بلداً إسلامياً. ويعقد ا مع مؤتمراً علمياً دورياً، مرةً كل سنتين، يحضره الأعضاء وعـدد مـن العلماء المهتمين من أنحاء العالم الإسلامي، ويناقش البحوث العلمية المتخصصة في ميدان أو أكثر من ميادين العلوم الإسلامية.

وكما ذكرت هذه الدراسة في فصلها الأول / المبحث السادس النص الكامل لمحاضرة البابا في جامعة ريجنسبورغ الألمانية، فإن من المفيد تماماً أن نذكر النص الكامل لرد هؤلاء العلماء والمفكّرين، والذي حمل عنوان (كلمة سواء بيننا وبينكم)،وهو التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

رسالة مفتوحة إلى قداسة البابا بندكت السادس عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

" ولاَ تجادِلُواْ أهلَ الْكِتابِ إلا بِالّتِي هِي أحسن"

(القرآن الكريم، العنكبوت ٢٩: ٤٦)

بالنسبة إلى محاضرتكم التي ألقيتموها في جامعة رِجنسبورغ في ألمانيا بتاريخ ١٢ أيلول / سبتمبر ٢٠٠٦م، نحسب أنه من الملائم في سياق روح النقاش المفتوح أن نتناول استخدامكم لمناظرةٍ جرت بين الإمبراطور مانويل الثاني باليولوجوس ورجلٍ "فارسي مثقّف" كنقطة بدايةٍ لخطابكم حول العلاقة بين العقل والإيمان. ففي الوقت الذي نثني فيه على جهودكم التي تبذلو ا في معارضة هيمنة الفلسفة الوضعية والمادية في حياة الإنسان، لابد لنا أن ننوه إلى بعض الأخطاء التي وردت في إطار الطريقة التي أشرتم فيها إلى الإسلام على أنه الجهةُ المقابلةُ للاستعمال المناسب للعقل؛ بالإضافة إلى بعض الأخطاء التي وردت في التأكيدات التي سقتموها لدعم حجتكم.

لاَ إِكْراه ِفي الدين.

لقد ذكرتم بأنه "وفقاً لما يقرره أهل الدراية" فإن الآية القرآنية التي مطلعها " لاَ إِكْراه ِفي الدين" (البقرة ٢: ٢٥٦) كانت في بداية أمر النبي عندما "كان ضعيفاً وتحت التهديد"، وهذا غير صحيح. والصحيح الثابت أن هذه الآية تعود إلى الفترة التي كان فيها التنزيلُ القرآنيُ متوافقاً ومنسجماً مع تنامي السيطرة السياسية والعسكرية للأمة الإسلامية الفتية. لم تكن آية لاَ إِكْراه ِفي الدين...، أمراً للمسلمين بالبقاء ثابتين راسخين أمام رغبة الذين ظلموهم وعذبوهم لإرغامهم على التخلي عن دينهم وإيما م؛ ولكنها جاءت تذكيراً للمسلمين أنفسهم عندما تحققت لهم أسباب القوة

والمنعة أنه لا يمكن لهم أن يرغموا قلوب غيرهم على الإيمان. " لاَ إِكْراه فِي الدين" تخاطب أولئك الذين هم في حالة القوة وليس الضعف. ولقد بينت التفاسير الأولى للقرآن الكريم (مثل تفسير الطبري) بأنّ المسلمين في المدينة أرادوا إرغام أبنائهم ليتحولوا من اليهودية أو النصرانية إلى الإسلام، فكانت هذه الآية جواباً دقيقاً لهم بألاّ يحاولوا أن يكرِهوا أبناءهم على الإسلام. هذا بالإضافة إلى أن المسلمين لديهم أيضاً توجيهات قرآنيةٌ هاديةٌ في هذا الصدد مثل: " وقُل الْحق مِن ربكُم فَمن شاءَ فَلْيؤمِن ومن شاءَ فَلْيكْفُر..." (الكهف، ١٨: ٢٩) وأيضاً "قُلْ يأيها الْكَافِرونَ (١) لاَ أعبد ما تعبدونَ (٢) ولاَ أَنتم عاَبِدونَ ما أَعبد (٣) ولاَ أَنا عاَبِد ما عبدتم (٤) ولاَ أَنتم عاَبِدونَ ما أَعبد (٥) لَكُم دِينكُم ولِي دِينِ (٦)". (الكافرون، ١٠٩: ١ – ٦).

ت يه الله تعالى

لقد قلتم أيضاً: إن "الإله، بالنسبة إلى التعاليم الإسلامية، م ه ت يهاً مطلقاً"؛ وهذا تبسيطٌ يمكن أن يكون مؤداه مضللاً. فلقد بين القرآن أنه: "... لَيس كَمِثْلِهِ شيءٌ ..." (الشورى، ٤٢: ١١)، وبين أيضاً: " الله نور السماواتِ والأَرضِ...." (النور، ٢٤: ٣٥)، وقال: ".... ونحن أَقْرب إِلَيهِ مِن حبل الْورِيدِ" (ق، ٥٠: ١٦)، وقال: " هو الأَولُ والآخِر والظاهِر والْباطِن..." (الحديد، ٥٧: ٣)، وقال: ".... وهو معكُم أَين ما كُنتم..." (الحديد، ٥٧: ٤)، وقال: ".... فَأَينما تولواْ فَثَم وجه اللهِ ...." (البقرة: ٢: ١١٥)؛ وكذلك دعونا نتذكّر حديثَ النبي، صلّى الله عليه وآله وسلّم، الذي يبين فيه أن الله يقول في (العبد الصالح): "فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش ا، ورجله التي يمشي ا" (صحيح البخاري ٦٥٨١، كتاب الرقاق).

وفي مجال التعليم المتعلّق بالرقائق وعلم الكلام والفلسفة، يعتبر المفكّر ابن حزم (المتوفى ١٠٦٩م) الذي استشهدتم به شخصيةً فاضلةً ولكن هامشية ـ وإن كان ذا شهرةٍ ـ وهو ينتمي إلى المذهب الظاهري الذي لا يتبعه أي مسلمٍ في العالم اليوم. وإذا أراد إنسانٌ البحثَ عن عباراتٍ ونصوصٍ أصيلةٍ بشأن عقيدة الت يه، فإنّ هناك شخصياتٍ لدى المسلمين أهم بكثيرٍ من ابن حزم من حيث تأثيرهم ومرجعيتهم في مجال العقيدة الإسلامية مثل الإمام الغزالي (المتوفى ١١١١م) وكثيرين غيره.

لقد اقتبستم مناقشةً مفادها أنه بسبب أن الامبراطور "كان متأثراً بشدةٍ بالفلسفة اليونانية" فإن فكرة أن "الله لا يرضى عن سفك الدماء" "أمر بدهي" بالنسبة له، وأنّ التعاليم الإسلامية بشأن ت يه الإله عرضت مقابلها كنموذجٍ

مضادٍّ. فقولكم إنّ إرادة الله بالنسبة للمسلمين "غير مقيدةٍ بأي مقولةٍ من مقولاتنا" يعتبر تبسيطاً أيضاً يمكن أن يفضي إلى سوء فهم. إنّ لله تعالى في دين الإسلام أسماءً كثيرةً منها: الرحيم والعدل والبصير والسميع والعليم والودود واللطيف. وإنّ اعتقاد المسلمين التام بوحدانية الله تعالى وأنه " ولَم يكُن له كُفُواً أحد" (الإخلاص، ١١٢: ٤) لم يؤد إلى إنكارهم نسبةَ هذه الصفات إلى الله تعالى وإلى خلقه، (مع الوضع جانباً الآن فكرة 'المقولات' وهي عبارةٌ تحتاج إلى إيضاحٍ أكثر في هذا السياق). وحيث أن هذا أمر يتعلّق بإرادة الإله، فاستنتاجكم أنّ المسلمين يؤمنون بإلهٍ مزاجيّ يمكن أن يأمرنا بالشر أو يمكن ألا يأمر، من شأنه أن يغفِل قوله الله في القرآن: "إِن الله يأمر بِالْعدل والإحسانِ وإِيتآءِ ذِي الْقُربى وينهى عنِ الْفَحشاءِ والْمنكرِ والْبغي يعِظُكُم لَعلكُم تذَكرونَ" (النحل، ١٦: ٩٠) كما يغفِلُ قوله تعالى: ".... كَتب علَى نفْسِهِ الرحمةَ ...." (الأنعام، ٦: ١٢، انظر أيضاً ٦: ٥٤)؛ وبأنه قال: "..... ورحمتِي وسِعت كُل شيءٍ ...." (الأعراف، ٧: ١٥٦). وإن كلمة رحمة يمكن أيضاً أن تترجم إلى الحب واللطف والشفقة. ومن كلمة الرحمة جاءت العبارة المقدسة التي يستعملها المسلمون يومياً، 'بسم الله الرحمن الرحيم' أليس بدهياً أنّ سفك دمٍ بريءٍ يتعارض مع الرحمة والشفقة؟

استعمال التفكير المنطقي

إن التعاليم الإسلامية غنيةٌ بتنقيبا ا وبحوثها في طبيعة الذكاء الإنساني وعلاقته بكُنهِ الإله وإرادته، ويتضمن ذلك تساؤلاتٍ بشأن ما هو بدهي وما هو غير بدهي. لكن الفصل بين التفكير المنطقي من جهةٍ و'الإيمان' من جهةٍ أخرى لا يوجد بنفس هذا الشكل تماماً في الفكر الإسلامي؛ بل أدرك المسلمون قوةَ الذكاء الإنساني وحدوده بطريقتهم الخاصة، مقرين بتسلسلٍ هرميّ للمعرفة يقع التفكير المنطقي في جزءٍ هامٍّ جداً منه. وهناك تطرّفان عمِلَ المنهج الفكري الإسلامي الأصيل على تجنبهما عموماً: الأولُ، جعل العقل التحليلي هو الحَكَم النهائي على الحقيقية؛ والآخر، هو إنكار قوة الإدراك الإنساني في تناول التساؤلات المطلقة. والأهم من ذلك، أن البحوث الفكرية للمسلمين خلال العصور في أنماطها الأكثر نضجاً ورواجاً قد حافظت على انسجامٍ وتوافقٍ بين حقائق الت يل القرآني ومطالب الذكاء الإنساني دون التضحية بأحدهما من أجل الآخر. يقول الله تعالى: " سنرِيهم آياتِنا فِي الآفَاقِ وفِي أَنفُسِهِم حتى يتبين لَهم أَنه الْحق ..." (فصلت، ٤١، ٥٣).هذا وإن العقلَ آيةٌ من بين آياتٍ كثيرةٍ بداخلنا، دعانا الله للتأمل فيها والتأمل ا، كوسيلةٍ لمعرفة الحقيقة.

ما الحرب المقدسة؟

نود الإشارة إلى أن "الحرب المقدسة" مصطلح ليس له وجود في المفردات الإسلامية؛ ولابد من التأكيد هنا أنّ الجهاد يعني المجاهدة والمناضلة، وخصوصاً الجهاد في سبيل الله تعالى. إن هذا الجهاد يمكن أن يأخذ أشكالاً كثيرةً، بما في ذلك استخدام القوة. وبالرغم من أن الجهاد يمكن أن يكون مباركاً بمعنى أن يكون في سبيل غايةٍ ساميةٍ مباركةٍ، إلاّ أنه ليس بالضرورة أن يكون "حرباً". وعلاوةً على ذلك، تجدر الملاحظة إلى أن مانويل الثاني باليولوجوس يقول بأن "العنف" يتعارض مع طبيعة الإله، ولكن المسيح نفسه (عليه السلام) استعمل العنف ضد صرافي الأموال في المعبد، وقال: "لا تظنوا أنني أتيت لأجلب السلام في الأرض، لم آتِ لجلب السلام ولكن جئت بالسيف .." (متى، ١٠: ٣٤ – ٣٦). وعندما أغرق اللهُ فرعون، هل كان يتصرف على عكس طبيعته؟ ربما قصد الإمبراطور القولَ أنّ القسوة والوحشية والعدوان ضد طبيعة الإله، وفي هذه الحالة، فإن ذلك يتوافق تماماً مع التشريع الأصيل الخاص بالجهاد في الإسلام.

لقد قلتم بأنّ "الإمبراطور عِلم، بالطبع، بالتعليمات التي طُورت فيما بعد ودونت في القرآن فيما يتعلّق بالحرب المقدسة"، ولكن كما أشرنا أعلاه بخصوص 'لا إكراه في الدين ..' فإن التعليمات آنفةُ الذكر لم تكن فيما بعد على الإطلاق. وعلاوةً على ذلك، فإن أقوال الإمبراطور حول اعتناق الدين بالعنف تبين أنه لم يكن يدري ما هي هذه التعليمات وكيف كانت دائماً.

ويمكن تلخيص القواعد الإسلامية الأصيلة المعتمدة الخاصة بالحرب في المبادئ التالية:

١. غير المقاتِلين ليسوا أهدافاً جائزةً أو شرعيةً. ولقد تم التأكيد على هذا مراراً وبشكل واضح مِن قِبل النبي، صلى الله عليه وآله وسلّم، وأصحابه ومن قِبل أهل العلم منذ ذلك الحين.

٢. الاعتقاد الديني لوحده لا يجعل أي إنسانٍ هدفاً للنيل منه. فالمجتمع الإسلامي الأول كان أفراده يقاتِلون وثنيين قاموا بطردِهم من ديارهم وظلمِهم وتعذيبهم وسفكِ دمائهم. وبعد ذلك كان الفتوحات الإسلامية ذات طبيعةٍ سياسيةٍ.

٣. المسلمون يمكنهم أن يعيشوا بسلامٍ مع جيرا م وينبغي عليهم ذلك. " وإن جنحواْ لِلسلْمِ فَاجنح لَها وتوكلْ علَى اللهِ ....." (الأنفال، ٨: ٦١). ومع ذلك، فهذا لا يستبعد حقهم الشرعي في الدفاع عن أنفسهم والحفاظ على سياد م واستقلالهم.

والمسلمون ملتزمون تماماً بالتقيد ذه القواعد كالتزامهم باجتناب السرقة والزنا. وإذا نظّم الدين تشريعاً للحرب وحدد الظروف التي تجعلها ضروريةً وعادلةً، فذلك لا يجعل هذا الدين ديناً عدوانياً، كما لو أن الدين وضع نظاماً خاصاً بالعلاقة الجنسية فإنّ ذلك لا يجعل الدين ديناً شهوانياً. وإذا استخف البعض بالتعاليم والمبادئ الراسخة بقوةٍ وعلى مدى طويلٍ من أجل أحلامٍ يوطوبيةٍ حيث الغاية تبرر الوسيلةَ، فإنّ فعلهم يكون من قبيل الهوى والرغبة الخاصة وليس بتشريعٍ صادرٍ عن الله أو عن نبيه، صلى الله عليه وآله وسلّم، أو عن أهل العلم. يقول الله في القرآن الكريم: ".... ولاَ يجرِمنكُم شنآنُ قَومٍ علَى أَلا تعدِلُواْ اعدِلُواْ هو أَقْرب لِلتقْوى ......" (المائدة، ٥: ٨). وفي هذا السياق، لا بد من بيان أن جريمة القتل التي وقعت في الصومال بتاريخ ٢٠٠٦/٩/١٧م وراح ضحيتها راهبة كاثوليكية بريئة ـ وأية أعمال عنف فرديةٍ مخزيةٍ وشائنةٍ مماثلةٍ أخرى ـ كردة فعلٍ لمحاضرتكم في جامعة رِجنسبورغ، هي لا تمت بصلةٍ إلى الإسلام أبداً، ونحن ننكر مثل هذه الأفعال تماماً.

اعتناق الدين بالإكراه

إنّ الفكرة التي مفادها أنّ المسلمين مأمورون بنشر دينهم "بالسيف" وأن الإسلام في الواقع انتشر بشكلٍ هائلٍ "بالسيف" تتهاوى أمام التدقيق وإمعان النظر. وحقيقة الأمر أنّ الإسلام من حيث كونه كياناً سياسياً فقد انتشر بشكلٍ جزئيٍ نتيجةً للفتوحات، لكن الجزء الأكبر من توسعه قد تحقّق نتيجةً للنشاط الدعوي. فالتعاليم الإسلامية لم تنص على أن يتم إرغام سكّان البلاد المفتوحة أو إكراههم على الإسلام. وفي الواقع، إن كثيراً من المناطق الأولى التي فتحها المسلمون بقيت أغلب أجزائها غير مسلمةٍ لقرون من الزمان. ولو أن المسلمين رغبوا بإكراه الناس جميعهم حتى يعتنقوا دينهم، لما بقي هناك كنيسةٌ واحدةٌ أو معبد يهودي في أي مكانٍ من العالم الإسلامي. وإنّ الأمر الإلهي الذي تتضمنه آية "لا إكراه في الدين ..." تعني الآن ما عنته في ذلك الوقت. وإنّ مجرد كون الشخص غير مسلمٍ لم يكن مبرراً شرعياً للحرب قط لا في الشريعة ولا في العقيدة الإسلامية. وبالنسبة لقوانين الحرب، يبدي التاريخ أن بعض المسلمين قد خرقوا المبادئ الإسلامية فيما يتعلق بإكراه غيرهم على اعتناق الدين ومعاملة أقوام الأديان الأخرى، ولكن

التاريخ يبدي أيضاً بأنّ هذه التصرفات بلا أدنى ريبٍ هي استثناءٌ يثبت القاعدة ويبرهن عليها. وإننا نوافق بالتأكيد على أن إكراه الآخرين على الاعتقاد ـ إنْ كان ذلك ممكناً بحال من الأحوال ـ هو أمر غير مرضِيٍّ عند الله، وأنّ الله لا يرضى عن سفك الدماء البريئة. ونحن في حقيقة الأمر نؤمن كما آمن المسلمون دائماً بقول الله: "... من قَتلَ نفْساً بِغير نفْسٍ أو فَسادٍ في الأرض فَكأنما قتلَ الناس جمِيعاً ..." (المائدة، ٥: ٣٢).

شيء جديد؟

لقد ذكرتم تأكيد الإمبراطور بأنّ "أي شيء جديد" جاء به النبي كان "شريراً ولا إنسانياً، مثل أمره المزعوم بنشر الدين الذي يدعو إليه بالسيف". هذا وإن الأمر الذي فشل الإمبراطور في إدراكه ومعرفته ـ عدا عن أن واقع مثل هذا الأمر (كما ذُكر أعلاه) ليس له وجود في الإسلام مطْلقاً ـ هو أن النبي، صلّى الله عليه وآله وسلّم، لم يدعِ أنه جاء بشيء جديدٍ من الأساس. يقول الله تعالى في القرآن العظيم: " ما يقَالُ لَك إلا ما قَد قِيلَ للرسل مِن قَبلِك " (فُصلت، ٤١: ٤٣)، ويقول أيضاً "قُلْ ما كُنت بِدعاً من الرسل وما أَدري ما يفْعلُ بِي ولاَ بِكُم إنْ أَتبِع إلا ما يوحى إلَي وما أناْ إلا نذِير مبِين" (الأحقاف: ٤٦: ٩). وهكذا فإن الإيمان بالله الواحد ليس من خصائص أي ملّةٍ لوحدها دون غيرها. ووفقاً للعقيدة الإسلامية فإنّ جميع الأنبياء الحقيقيين (عليهم السلام) كانوا يدعون أقواماً مختلفين في أزمنةٍ مختلفةٍ إلى الحقيقة ذا ا. فمن الممكن أن تكون الشرائع مختلفةً، ولكن الحقيقة لا تتغير.

"أهل الدراية"

لقد أشرتم مرةً من دون تحديدٍ إلى "أهل الدراية" (بشأن الإسلام)، وفعلياً قمتم أيضاً بنقل كلام باحثَين كاثوليكيين بالاسم، الأستاذ (عادل) تيودور خوري و(الأستاذ المشارك) روجر أرنالدِز. ويكفي القول هنا أنه بينما يعتبر كثير من المسلمين أن هناك منصفين من غير المسلمين ومن الكاثوليك الذين من الممكن أن يعتبروا حقيقةً "أهل دراية" في دين الإسلام، إلا أن المسلمين لم يصادقوا حسب عِلمنا على "أهل الدراية" اللذين اشرتم إليهما ولا يقرون لهما بأ ما يمثّلان المسلمين أو وجهات نظرهم. لقد كررتم بتاريخ ٢٠٠٦/٩/٢٥م، ما جاء في بيانكم الهام في مدينة كولونيا في ألمانيا بتاريخ ٢٠٠٥/٨/٢م، أن "الحوار بين الأديان والثقافات فيما بين المسيحيين والمسلمين لا يمكن تقليصه إلى مستوى الشيء 'الزائد الاختياري'، فهو في الواقع ضرورةٌ أساسيةٌ حيويةٌ يعتمد عليها مستقبلنا بمقدارٍ كبير". وفي الوقت الذي نوافقكم فيه تماماً، إلا أنه يبدو لنا بأن جزءاً كبيراً من هدف الحوار بين الأديان يكمن في أن

نجاهد من أجل الإصغاء إلى الأصوات الفعلية لأولئك الذين نتحاور معهم، وأخذها بعين الاعتبار،وليس فقط لأصوات أولئك الذين ينتمون إلى جماعتنا.

المسيحية والإسلام

إن المسيحية والإسلام يعتبران الدينين الأول والثاني من حيث عدد أتباعهما في العالم وفي التاريخ، حيث يشكّل المسيحيون والمسلمون حسب التقارير ما يزيد على ثلث العالم وخمس العالم على التوالي. وهم يشكلون معاً أكثر من ٥٥% من عدد سكان العالم، مما يجعل حسن العلاقة بين مجتمعات هذين الدينين أهم عاملٍ من العوامل المساهمة في إحلال سلامٍ مؤثرٍ حول العالم. وباعتباركم قائداً لأكثر من مليار كاثوليكي ومثالاً أخلاقياً لكثيرين غيرهم في أرجاء المعمورة، فربما تكونون الصوت الأوحد والأهم في مواصلة المضي قدماً في هذه العلاقة باتجاه التفاهم المتبادل. ونحن نشارككم الرغبة في إقامة حوارٍ صريحٍ مخلصٍ وندرك أهميته في عالمٍ يشتد الترابط فيه بشكلٍ متزايدٍ. وعند إقامة حوارٍ مخلصٍ صريحٍ فإننا نأمل في الاستمرار ببناء علاقات وئامٍ وصداقةٍ مؤسسيةٍ على الاحترام والانصاف المتبادلَين وعلى ما يجمعنا جوهرياً من الإرث المشترك المرتبط بالأنبياء من ذرية إبراهيم (عليه السلام)؛ وخصوصاً 'الوصيتين العظميين' في إنجيل مرقص، ١٢: ٢٩-٣١ (وبشكلٍ مختلفٍ في إنجيل متى، ٢٢: ٣٧ – ٤٠) 'الرب إلهنا رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك من كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك، هذه هي الوصية الأولى؛ وثانية مثلها هي تحب قريبك كنفسِك ليس وصية أخرى أعظم من هاتين'.

وعلى ذلك، فإن المسلمين يقدرون الكلمات الآتية الصادرة من مجلس الفاتيكان الثاني:

تكِن الكنيسة أيضاً احتراماً عالياً للمسلمين، فهم يعبدون الله الواحد الحي القيوم الرحيم القادر، خالق السماوات والأرض، والذي كلّم البشر أيضاً. وهم يجتهدون في الخضوع الكامل لأوامر الله دون تحفظٍ، تماماً مثل خضوع إبراهيم لقضاء الله، وهو الذي يربط المسلمون دينهم بدينه بشدةٍ. وبالرغم من أ م لا يقرون بأن عيسى المسيح إله، إلا أ م يوقّرونه باعتباره نبياً، وهم يجلّون أمه العذراء أيضاً ويذكرو ا حتى في أوقات تضرعهم الخاشع؛ ويترقبون أيضاً يوم القيامة والثواب من الله بعد بعث الأموات. ولهذا السبب هم يعظمون الحياة المستقيمة ويعبدون الله خاصةً من خلال الصلوات والصدقات والصوم (نوسترا إيتاته، ١٩٦٥/١٠/٢٣م).

كذلك وبنفس القدر، يثمن المسلمون كلمات البابا الراحل يوحنا بولص الثاني والذي كان يحترمه ويقدره كثير من المسلمين: نحن المسيحيين نعترف بكل سرورٍ بالقِيمِ الدينية التي نشترك فيها مع الإسلام. وأود اليوم أن أكرر ما قلته لشبابٍ مسلمين في الدار البيضاء قبل بضعة سنين: "نحن نؤمن بالإله نفسه، الإله الواحد الحي، الإله الذي خلق العالم وأخرج مخلوقاته في أكمل صورة" (انسجنمِنتي، VIII/٢، [١٩٨٥]، صفحة ٤٩٧، اقتِبست من كلمةٍ خلال عظةٍ عامةٍ بتاريخ ١٩٩٩/٥/٥م).

كما يقَدر المسلمون أيضاً تعبيركم الشخصي غير المسبوق عن الأسف وإيضاحكم وتأكيدكم (في ٢٠٠٦/٩/١٧م) بأن الاقتباس الذي استعملتموه لا يعكس رأيكم الشخصي، بالإضافة إلى تأكيد أمين سر حاضرة الفاتيكان الكاردينال تارشيزيو بيرتوني (في ٢٠٠٦/٩/١٦م) على ما جاء في الوثيقة الوفاقية الصادرة عن مجلس الفاتيكان نوسترا إيتاته. وأخيراً، فإن المسلمين يقدرون تعبيركم عن "الاحترام الكامل والعميق لجميع المسلمين" أمام مجموعةٍ مجتمعةٍ من سفراء دولٍ إسلاميةٍ بتاريخ ٢٠٠٦/٩/٢٥م.

نأمل بأننا سوف نتجنب جميعاً أخطاءَ الماضي ونتحاشاها ونعيش سوية في المستقبل بسلام، وتسامح واحترام متبادلين.

والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الموقعون على الرسالة الموجهة إلى بابا الفاتيكان

١. سماحة الشيخ أبو بكر أحمد المليباري، الأمين العام لجمعية علماء أهل السنة والجماعة في الهند.

٢. سماحة الشيخ أحمد الكبيسي، مؤسس هيئة العلماء في العراق.

٣. سماحة الدكتور أحمد بدر الدين حسون، المفتي العام للجمهورية العربية السورية.

٤. سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، المفتي العام لسلطنة عمان.

٥. سماحة الشيخ أحمد هاشم موزدي، رئيس ضة العلماء بأندونيسيا.

٦. سماحة الأستاذ الدكتور السيد حسين نصر، أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة جورج واشنطن، واشنطن دي. سي.

٧. الشيخ حمزة يوسف هانسن، مؤسس ومدير معهد الزيتونة ـ كاليفورنيا.

٨. سماحة الشيخ شيفقو عمر باشيتش، مفتي كرواتيا.

٩. الدكتور طارق السويدان، مدير عام قناة الرسالة الفضائية.

١٠. الأستاذ عبد الحكيم مراد ونتر، أستاذ كرسي الشيخ زايد للدراسات الإسلامية، كلية اللاهوت، جامعة كمبردج؛ مدير الأمانة الأكاديمية الإسلامية، بريطانيا.

١١. سماحة الدكتور عبد العزيز عثمان التويجري،مدير عام المنظمة الإسلامية للتربية والتعليم والثقافة.

١٢. سماحة الدكتور مولاي عبد الكبير العلوم المودغري، مدير عام هيئة بيت مال القدس الشريف، وزير الشئون الإسلامية سابقاً، المغرب.

١٣. سماحة العلامة عبدالله بن محفوظ بن بيه، الأستاذ بجامعة الملك عبد العزيز في السعودية، نائب رئيس ووزير العدل ووزير التعليم ووزير الشؤون الإسلامية سابقاً في موريتانيا.

١٤. الدكتورة عبلة محمد الكحلاوي، عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر، بنات.

١٥. الدكتور عز الدين إبراهيم، مستشار ثقافة بوزارة شؤون الرئاسة بالإمارات.

١٦. سماحة الحبيب علي المشهور بن محمد بن سالم بن حفيظ، إمام جامع تريم ورئيس مجلس الإفتاء بتريم ومدير دار المصطفى للدراسات الإسلامية ومحاضر بكلية الشريعة بتريم سابقاً.

١٧. سماحة الأستاذ الدكتور علي جمعة، مفتي جمهورية مصر العربية.

١٨. الحبيب علي زين العابدين بن عبد الرحمن الجفري، مؤسس ومدير عام مؤسسة طابة.

١٩. سماحة الحبيب عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ، عميد دار المصطفى للدراسات الإسلامية، تريم، حضرموت.

٢٠. الاستاذ الدكتور عمر جاه، أستاذ الفكر والحضارة الإسلامية بجامبيا.

٢١. الأستاذ الدكتور سمو الأمير غازي بن محمد بن طلال، رئيس مجلس إدارة مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي.

٢٢. الأستاذ الدكتور فاروق حمادة، أستاذ السنة وعلومها بجامعة محمد الخامس.

٢٣. الأستاذ الدكتور محمد إقبال سلّم، نائب أمين عالم ضة العلماء بأندونيسيا.

٢٤. سماحة الشيخ محمد الصادق محمد يوسف، مفتي عام أوزباكستان.

٢٥. الشريف محمد العلويني، رئيس الأكاديمية الأوروبية للثقافة والإسلام في بروكسل.

٢٦. السيد محمد بن محمد المنصور، مرجع الزيدية.

٢٧. سماحة مفتي العدل محمد تقي عثماني، نائب رئيس دار العلوم، كراتشي.

٢٨. سماحة الشيخ محمد عبد الله قاراتشاي، نائب نائب مفتي روسيا.

٢٩. الأستاذ الدكتور العلامة محمد سعيد رمضان البوطي، رئيس قسم العقائد والأديان بجامعة دمشق.

٣٠. الأستاذ الدكتور محمد عبد الغفار الشريف، الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت.

٣١. سماحة آية الله محمد علي تسخيري، الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

٣٢. الأستاذ الدكتور محمد هاشم كمالي، عميد المعهد الدولي للفكر والحضارة الإسلامية، أستاذ الشريعة الإسلامية والفقه، الجامعة الإسلامية الدولية، ماليزيا.

٣٣. سماحة الأستاذ الدكتور الشيخ مصطفى تسيرتش، رئيس العلماء والمفتي العام لدولة البوسنة والهرسك.

٣٤. سماحة الأستاذ الدكتور مصطفى كاجريسي، مفتي عام استانبول.

٣٥. سماحة الشيخ معمر زوكورليتش، مفتي السنجق.

٣٦. سماحة الشيخ نجاد غرابوس، مفتي سلوفينيا.

٣٧. سماحة الشيخ نعيم ترنافا، مفتي عام كوسوفو.

٣٨. الشيخ نوح حاميم كلر، مرشد من مشايخ الطريقة الشاذلية، وزميل أول في مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي، الأردن"(*)

نقولُ من غير مجاملةٍ ولا مداهنةٍ: لقد كان هذا الرد من هؤلاء العلماء والأساتذة والمفكّرين محبوكاً تماماً ومفيداً جداً، فقد ساهم في تعريف الكثير من القيادات المسيحية الغربية بحقيقة الإسلام ودعوته، كما ساهم في تعريف البابا ببعض المفاهيم الإسلامية، هذا على فَرضِ أنّ البابا خال الذهن من معرفة الإسلام، لم يطلع عليه، ولم يسبق له دراسته بالتفصيل بهدف نقضه وإظهار عيوبه ونواقصه!!.

(*) هنا ينتهي النص الكامل للرسالة.

ولقد لاقت هذه الرسالة صدى واسعاً من الارتياح في العالم الغربي المسيحي، في الوقت الذي كان يتوقّع فيه مزيداً من الخطابات والردود المليئة بالشتم والسب والقدح في حبرهم الأعظم، صاحب الفضل في ابتداء طريق السب والقدح.

لقد تعرضت هذه الرسالة والرد لبعض الانتقادات من بعض المفكّرين المسلمين لأ ا ذكرت إجماع العلماء والمفكّرين المسلمين عليها ـ وهو الأمر الذي لم يتحقّق ـ كما تعرضت لانتقاداتٍ من بعض علماء الدين المسيحي كالأب ترول الجزويتي الذي أكد على الفارق السحيق بين الله الواحد بالنسبة للمسلمين وبين الله الثالوث بالنسبة للمسيحيين. ولا يملك أحد الحق في تكميم الأفواه ومنع الانتقادات، بل تتسسع له الصدور ـ إن شاء الله ـ ولكن المرفوض في كلّ الأحوال هو السب والشتم، فنحن نقبلُ كل ما يوافق شرعنا، شرع العقول المستنيرة والقلوب السليمة من المرض. وتجدر الإشارة في ماية الحديث عن هذه الرسالة أنها ساهمت وبقدرٍ كبيرٍ في رد الكثير من الشبهات والغموض الذي يكتنف عقول بعض الغربيين عن الإسلام ونبوة محمدٍ ﷺ. وإنْ كان لنا من ملاحظةٍ على نص هذا الرد والرسالة فإنّ ملاحظتنا تقتصر على أنّ الذين صاغوا هذا الرد، الذي نؤكّد على أنه محكّم ومفيد لم يراجعوا مسألة (أنّ ابن حزمٍ ذهب إلى حد الإقرار بأنّ الرب الله لا يلتزم حتى بكلمته الخاصة ... فإنه ينبغي علينا التعبد بشكلٍ وثنيٍ أعمى) حيث أنّ فيها افتراءً على هذا العالم وظلماً له، وقد اكتفت وثيقة الرد (الرسالة) بوصف ابن حزمٍ بأنه شخصيةٌ فاضلةٌ ولكن **هامشية** وأنّ له مذهباً لا يتبعه أي مسلمٍ في العالم اليوم!!! لقد كان الجدير ؤلاء الأساتذة والعلماء أن يقرؤوا تاريخ الأندلس وأن يوفوا "مؤسس علم مقارنة الأديان" حقّه!!.

رابعاً: مجمع فُقهاء الشريعة بأمريكا

في آخر الجهود الجماعية المؤسسية، نعرض البيان الذي رد فيه مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا[1] على ما سبق إيراده في محاضرة البابا بنديكتيوس السادس عشر السابقة من شبهاتٍ على الإسلام والرسول المصطفى ﷺ. ولمن يتساءلون عن سبب إدراجنا لردود بعض هذه المؤسسات الإسلامية على محاضرة البابا بنديكتيوس السادس عشر نقول: لقد اشتملت هذه المحاضرة على العديد من الشبهات الخطيرة التي كانت ولا زالت ترددها أفواه الكارهين للإسلام منذ

---

[1] هو مؤسسةٌ شرعيةٌ علميةٌ غير ربحيةٍ، أعضاؤه كلهم من حملة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية. تسعى هذه المؤسسة إلى بيان أحكام الشريعة فيما يعرض للمقيمين في أمريكا من النوازل والأقضيات. ومن أبرز أعضاء هذه المؤسسة ومستشاريها الأساتذة صلاح الصاوي وعلي أحمد السالوس وأحمد شليبك ووهبة الزحيلي وعمـر سليمان الأشقر.

أزمانٍ بعيدةٍ. ومنها شبهةُ عدم اتفاق العقيدة الإسلامية مع العقل، وشبهة انتشار الإسلام بالسيف، وأنّ حروبه كانت لقهر الناس وإجبارهم على اعتناقه، وشبهة أنّ محمداً لم يأتِ بأي شيءٍ جديدٍ، وأنّ محمداً جاء بالأشياء الشريرة فقط. وسبب آخر نورد لأجله ردود هذا ا مع على البابا وخطبته ألا وهو إظهار مدى اعتزاز هؤلاء العلماء بدين الله عز وجلّ ودفاعهم عن دفاعاً مقنعاً بأسلوبٍ خطابيٍّ لا يصدر إلاّ عن قوةٍ وحق واعتزازٍ ذا الدين. لم يتزلف علماءُ ا مع إلى البابا ولم يخاطبوه على خوفٍ، وهم يدركون تماماً أ م يعيشون بين ظهراني النصارى في أقوى دول الغرب المسيحي ألا وهي الولايات المتحدة الأمريكية. فجزى اللهُ هؤلاء المعتزين بدينهم خير الجزاء وأكرمه. وحتى لا يطول الحديث فسنذكر تالياً نص هذا البيان[1] كما هو دونما حاجةٍ لأي تعليقٍ أو تذييل.

بيانٌ من مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا ... رداً على ا امات البابا

"يتابع مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا ببالغ الأسف والإنكار ما أدلى به البابا بنديكت السادس عشر رأس الكنيسة الكاثوليكية على مستوى العالم من تصريحاتٍ مسيئةٍ للإسلام والمسلمين في محاضرته بجامعة ريجنسبرج. وهي تصريحات تنم عن ذهولٍ أو جحودٍ لأبسط الحقائق الإسلامية، الأمر الذي لا يليق برجلٍ في مثل سنِهِ ومكانته اللاهوتية، فهو الذي شارف الثمانين من عمره، وأنفق حياته بأسرها في الدراسات اللاهوتية، وتبوأ منصب الأستاذية بالجامعة، وأسس ا عِلْم الأديان، وتدرج في المناصب اللاهوتية حتى تبوأ منصب البابوية منذ ما يزيد على عام!

ورغم كل مشاعر الغضب والاستياء التي تجتاح العالم الإسلامي عامةً وتجتاح مشاعر أعضاء ا مع وخبرائه خاصةً بمناسبة هذه التصريحات الفجة، إلاّ أننا سننطلق من أدب الإسلام في مجادلة المخالفين، ونستصحب قوله تعالى في محكم آياته: {ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاّ بالتي هي أحسن}، وسنتوجه بكلمةٍ هادئةٍ إلى البابا بنديكيت السادس عشر وإلى العالم من ورائه راجين أن يكون فيها إقامةٌ للحجة وتبرئةٌ للذمة!

أولاً: حول طلاقة المشيئة الإلهية

يذكر البابا في حديثه " أنّ (الله) في العقيدة الإسلامية مطلَق السمو، ومشيئته ليست مرتبطةً بأي شيءٍ من مقولاتنا، ولا حتى بالعقل، ثم عقد مقارنةً مع الفكر المسيحي المتشبع بالفلسفة الإغريقية، زاعماً أنّ الفكر المسيحي

---

[1] صدر هذا البيان في شهر أيلول من عام ٢٠٠٦م، وقد قام ا مع بنشره على موقعه الإلكتروني www.amjaonline.com كما نشرته الشبكة الإسـلامية بتاريخ ٢٠٠٦/٩/٢١م على موقعها الإلكتروني www.islamweb.net.

ينحاز إلى العقل، ويرفض كل ما يتناقض معه، ودللَ على ذلك بما جاء في أول فقرة في سفر التكوين، وهي أولُ فقرةٍ في الكتاب المقدس كَكُلٍّ، استخدمها يوحنا في بداية إنجيله قائلا: في البدء كانت الكلمة. ويلاحظ أن هذه الكلمة لم ترد في صدر سفر التكوين كما ذَكَر وإنما ورد فيه " في البدء خلق الله السماوات والأرض"

أما طلاقُة المشيئة الإلهية فهي موضع إجماع المسلمين، بل هي موضع إجماع الرسالات السماوية جميعا قبل أن تمتد إليها يد البشر بالتحريف والتبديل. ولكن هذا يمثلُ نصف الحقيقة فقط، أما نصفها الآخر فهو ما أجمع عليه حملةُ الشريعة أيضا من أن مشيئة الله تعالى مرتبطةٌ بحكمته لا تنفصل عنها، فلا يشاء أمرا مخالفًا للحكمة ولا مخالفاً للحق، فهو لا يخلق شيئًا باطلاً، ولا يشرع شيئًا عبثاً، بل هو حكيم فيما خلق، وحكيم فيما شرع، فخبره صدق، وحكمه عدلٌ، {وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً}، فهو الحكم العدل، وتكرار ذلك في القرآن مما يدركه القاصي والداني، فلا تتعلق مشيئته بباطلٍ، ولا تتعلق مشيئته بظلمٍ، كيف وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق وأنزل الكتاب بالحق، وحرم الظلم على نفسه وجعله محرماً بين عباده، وهو جل وعلا لا يفعل إلاّ ما فيه الخير والصلاح لعباده، كما قال صلى الله عليه وسلم في مناجاته لربه: "الخير بيديك، والشر ليس إليك".

ثانياً: حول الثبات والتطور في مدلول كلمات الله

وللمزيد من استجلاء الحقيقة حول مدى استيعاب البابا للتصور الإسلامي نتابع كلمته - في ندوةٍ كنسيةٍ حول الإسلام في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٥م - حول قابلية الإسلام للتطور التي اعترض عليها بشدةٍ قائلاً "إنّ كلمة الله عند المسلمين كلمةٌ أبديةٌ كما هي، غير قابلة للتلاؤم مع المستجدات أو التأويل، وهذا فارق أساسي مع المسيحية واليهودية، فكلمة الله عندهم أُوكِلَت إلى البشر، وأوكل إليهم أن تتعدل لتتلاءم مع المستجدات".

ولتصحيح هذا التصور المغلوط نقول: إنّ كلمات الله منها الـ محكَم القطعي ومنها المتشابه الظني، ولله في ذلك كلّه الحكمةُ البالغةُ، ولو شاء الله عز وجل أن يجعل كلماته جميعاً على نحوٍ لا يحتمل في الفهم إلا معنى واحدا ما أعجزه ذلك، ولكنه جعل منها القواطع التي تمثل الشرع المحكم الذي تجتمع عليه كلمة المسلمين ويمثلُ مبنى دينهم، وجعل منها المتشا ات التي تمثّلُ دائرة المرونة والتوسعة في هذه الملّة، حتى لا تحبس الأمةُ في اجتهادٍ واحدٍ أو في تفسيرٍ واحدٍ، و ذا يجمع مدلول كلمة الله بين الثبات والتطور، وبين القطعي والظني، وبين المحكم والمتشابه، ولهذا استوعبت شريعةُ الإسلام ما لايحصى وما لا يتناهى من الوقائع والأحداث، وبينت أحكام الله بشأ ا، وذخرت المكتبة

الإسلامية بمئات الألوف من الذخائر الفقهية التي حوت نفائس الاجتهادات ودقائق الاستنباطات، واستوعبت حاجات الإنسان على مدى الزمان وعلى مدى المكان، فلم تضق بجديدٍ ولم تصادر فطرةً، ولم تقمع حاجةً بشريةً حقيقيةً، ولم تعنت أحدا من البشر، ولا يزال فقهاؤنا يتحدثون عن تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان، وعن المصلحة ودورها في استنباط الأحكام، وعن الضرورات وفقهها، والحاجات وت يلها م لة الضرورات في إباحة المحظورات في منظومةٍ تشريعيةٍ بديعةٍ محكمةٍ ومنضبطةٍ أذهلت العالم كله شرقاً وغرباً مما لا نظنه يخفى عن رجلٍ في مثل سن البابا وعلمه.

ولا تزال ا امع الفقهيةُ المعاصرة تنظر نوازل الأمة ومستجدات حيا ا، وتستنبط أحكامها وتقَدم الصيغ والبدائل للمعاملات المُحرمةِ في إطارٍ يجمع بين المحافظة على الأصل واستيعاب العصر، فلم تحلّ حراماً مجمعاً عليه، ولم تحرم حلالاً مجمعاً عليه، ولم تبدلْ شرعاً مجمعاً عليه، ولم تقَدم بين يدي الله ورسوله، فبقي الدين محفوظاً من الخلل، وبقيت الأمةُ ممنوعةً من الزلل. أما ما فعله أحبار اليهود والنصارى بشرائعهم فالبابا أخبر به! لقد استحفِظوا كتاب الله ت يلاً وتأويلاً، فما حافظوا على ت يلٍ ولا على تأويلٍ، لقد دخل التحريف على الت يل بما يقر به علماء النصرانية أنفسهم وبما يغني عن الاستشهاد عليه من خارجهم، أما تحريفات التأويل فحسبك أنهم يحلّون الحرام ويحرمون الحلال، وما خبر تقنينِ الشذوذ والسحاق وزواج الـ ـمِثْل وإباحة الربا وقد نهوا عنه ببعيدٍ، وهو الأمر الذي يستنكره البابا لما عرِف من تصلبه، ولكن كنائس عديدةً ومرجعياتٍ نصرانيةً معتبرةً في شرق العالم وغربه أقرته تحت سمع العالم وبصره، وهو الذي أشار إليه القرآن بحقٍّ في قول الله جل وعلا {اتخذوا أحبارهم ورهبا م أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أُمِروا إلا ليعبدوا إلهاً واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون}.. وقد كانت الربوبية فيهم أ م يحِلّون الحرام ويحرمون الحلال فيتابعو م على ذلك.

ثالثاً: حول العلاقة بين الإسلام والعقل

إذا كانت أولَ فقرة استخدمها يوحنا في بداية إنجيله كما يقول البابا: في البدء كانت الكلمة. فإن أول كلمة ت لت في القرآن الكريم على محمدٍ صلى الله عليه وسلّم، هي قول الله جل وعلا {اقرأ باسم ربك الذي خلق } فهي دعوةٌ إلى القراءة ودعوةٌ إلى العلم، ولا يعرف كتاب احتفى بالنظر ودعا إلى التدبر وقَدر العقل وأعلى من شأنه كالقرآن الكريم. وآياته التي يقرؤها المسلمون في المشارق والمغارب شاهدةٌ بذلك، فقد أشاد هذا الكتاب الكريم

بالعقل، وجعله مناطَ التكليف، وأصبح من القواعد الثابتة في شرعنا أن من لا عقل له، لا تكليف عليه، وقد أمر الله الناس أن يعملوا عقولهم، وأن يتفكّروا في ملكوت السماوات والأرض، حتى يخلص الإنسان من خلال ذلك إلى الحق الذي بعث اللهُ به أنبياءه ورسله، قال تعالى :{ قُلْ إنما أَعِظُكُم بِواحِدةٍ أَنْ تقُوموا لِلهِ مثْنى وفُرادى ثُم تتفَكروا ما بِصاحِبِكُم مِن جِنةٍ إِنْ هو إلا نذِير لَكُم بين يدي عذَابٍ شدِيدٍ }(سـبأ:٤٦). وعير سبحانه الكفار بتركهم تعقل وتفهم وحيه، فشبههم بالبهائم، فقال سبحانه: { ومثَلُ الذِين كفَروا كمثَل الذِي ينعِق بِما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً صم بكْم عمي فَهم لا يعقِلُونَ} (البقرة:١٧١)، وقال أيضاً: {إِن شر الدواب عِند اللهِ الصم الْبكْم الذِين لا يعقِلُونَ}(الأنفال:٢٢)، والآيات في هذا الباب كثيرةٌ، وهي لا تزال كتاباً مفتوحاً على العالم أجمع، فالعقل أساس النقل، وبالعقل ثبت النقل والوحي والنبوة، وإنّ من الأبجديات والبدهيات في دين الإسلام أن العلم يسبق الإيمان، وأن الإيمان ثمرةٌ له، كما في قوله تعالى: {ولِيعلَم الذِين أُوتوا الْعِلْم أنه الْحق مِن ربك فَيؤمِنوا بِهِ فَتخبِت لَه قُلُوبهم} [الحج: ٥٤] فجعل العلم سابقاً والإيمان ثمرةً له. ولايعرف في الإسلام تعارض بين عقلٍ صحيحٍ ونصٍ صريحٍ، وهو تحدٍّ معروض على العالم كله، فليأتونا بمثالٍ واحدٍ يهدم هذه الحقيقة، ولعلماء المسلمين في درء التعارض بين العقل والنقل مراجع ومطولات، ولهم في ذلك من القوانين والقواعد الكلية ما لا يزال مفخرةً للفكر البشري كله.

ومن العجيب أن يرمي رأس الكنيسة الإسلام بهذه الفرية ولا يعرف دين حفِلَ بالعجائب والخرافات كالنصرانية المحرفة التي يتبوأ البابا عرش بابويتها والتي تقول تعاليمها: آمِن ثم اعلَم! اعتقِد وأنت أعمى! أغمض عينيك ثم اتبعني! والتي يقول أحد فلاسفتها الدينيين (أوغستين): أُومن بهذا لأنه محالٌ، أو غير معقول! ويقول أحد قساوستها من المعاصرين وهو القس وهيب الله عطا: "إن التجسيد قضيةٌ فيها تناقض مع العقل والمنطق والحس والمادة والمصطلحات الفلسفية، لكننا نصدق ونؤمن أنّ هذا ممكن حتى ولو لم يكن معقولاً " (عن كتاب مقارنة الأديان لشلبي ١٢٤/٢) .

هل يستطيع البابا أن يمنطِق لنفسه أو للعالم عقائد النصرانية من الصلب والفداء والتثليث والتجسيد والعشاء الرباني وسائر ما حفلت به عقائد القوم من العجائب والغرائب والأباطيل؟!!

رابعاً: حول مفهوم الجهاد في الإسلام

يدندن البابا حول مغالطةٍ كبرى معادةٍ ومكرورة، يزعم من تولّى كِبرها أنّ الإسلام قد انتشر بالسيف، أي أنّ حروبه كانت لقهر الناس على الإيمان، ثم يصول البابا ويجول في بيان أنّ هذا مجافٍ للمنطق ولطبائع الأشياء، بل مجافٍ لطبيعة الرب ذاته التي لا تحِب الدماء والتي تجعل من الكلمة والإقناع الطريق الوحيد إلى الإيمان. والحقيقة التي لا مراء فيها أنّ الجهاد في الإسلام إنما شرِع لدرء الحرابة وكف العدوان، وليس للإكراه على الدين سواء أكانت هذه الحرابة واقعةً بالفعل، وهو ما يسمى بجهاد الدفع، أو متوقّعةً ولاحت نذُرها بدلائل قطعيةٍ وبيناتٍ يقينيةٍ وهذا هو جهاد الطّلَبِ، وحسبنا هذه الآية القطعية المُحكمةُ من كتاب الله عز وجل {لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي} [البقرة:٢٥٦]. ولم تخرج حروبه كلها، صلّى الله عليه وسلم، عن ذلك لمن تدبر السيرة وأمعن النظر في حروبه وغزواته، صلّى الله عليه وسلم؛ ذلك أنّ هذه الأمة أمةُ هدايةٍ، وليست أمةَ بغيٍ وحرابة، وحيثما أمكن استحياء النفوس بالإيمان أو بالأمان فلا ينبغي العدول عن ذلك فإن الله تعالى لم يبح مِن قتل النفوس إلا ما لا بد منه لصلاح الخلق، دفعاً للعدوان ودحراً للمعتدين، ولعلّ الله أن يخرِج من أصلا ا من يعبد الله تعالى ويوحده، وقد قال تعالى: { وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إنّ الله لا يحب المعتدين}.

وكل ما ذكره البابا من مجافاة القهر على الإيمان للمنطق ولحكمة الرب جلّ وعلا فهو وإن كان صحيحاً في مجمله ولكنه لا علاقةَ له بالإسلام الذي يسوق البابا هذا الكلام للإرجاف حوله والتشنيع عليه.

وإذا كان البابا ينطلق في حديثه من بعض حوادث العنف التي تقع في مناطق متفرقةٍ من العالم، فلا نحسب أنه يخفى على مثله أن العنف ظاهرةٌ عالميةٌ لم تكد تنفك عنها أمةٌ من الأمم، ولا ملةٌ من الملل، وأنّ ما يقع من مظاهر العنف في بعض مناطق العالم الإسلامي أو مِن بعض من ينتسبون إليه **فإنّ منه ما هو مشروع** لا ينكره على أصحابه إلاّ ظالمٌ لنفسه، وهو ما يندرج تحت أعمال المقاومة المشروعة التي اتفقت على مشروعيتها الشرائع السماوية والقوانين الوضعية، كهذا الذي يجري على أرض فلسطين والعراق ولبنان وغيرها من المناطق المحتلّة في عالمنا الإسلامي، لدفع ما وقع عليها من الظلم والعدوان، والذي لو وقع مثله على دولة الفاتيكان ما وسع البابا إلا أن يعلن بنفسه النفير، وأن ينضم إلى قوافل المقاومة، وأن يجيش قومه قاصيهم ودانيهم لدفع العدوان ودحر المعتدين! **ومنه ما هو غير مشروع** كهذا الذي جرى في الولايات المتحدة ولندن وغيرها وهو الأمر الذي يدينه المسلمون قاطبةً، ويعتقدونه خروجاً

صارخاً على أبسط قواعد المشروعية الإسلامية، وهذا النوع من العنف إن كان سببه ما يقع على أمة الإسلام من مظالم واعتداءاتٍ تحت سمع العالم وبصره، ولكن هذا لا يسوغُ مثل هذه الأعمال ولا يضفي عليها مشروعيةً بحالٍ من الأحوال.

ومن ناحيةٍ أخرى فهل نسي البابا ما ارتبط بالمسيحية من عنفٍ على مدار التاريخ قديما وحديثًا سواء في صراعا ا الداخلية أم في صراعها مع العالم الإسلامي بدءاً من الحروب الصليبية وانتهاءً بالحملات الاستعمارية في العصر الحديث؟!

يقول "هانز كونج" عالم اللاهوت السويسري، المحاضِر السابق بالجامعات الألمانية، ومؤسس "مشروع الأخلاق الكونية"، في معرض انتقاده لباباالفاتيكان: إنه "وضع العنف والإسلام في سلّةٍ واحدةٍ، وأغفلَ ما ارتبط بالمسيحية على مدار التاريخ من عنف".

واستطرد كونج: "المسلمون لا يتذكّرون فقط الحملات الصليبية؛ بل يذكرون أيضا الاستعمار الأوربي بالقرن الـ ١٩ الذي امتد من المحيط الأطلنطي حتى ماليزيا".

الجديد الذي جاء به محمد صلّى الله عليه وسلم

ويبلغ التطاول والعدوان ذروته عندما يسوق البابا في حديثه قول الامبراطورالبيزنطي في حديثه المزعوم للمسلم الفارسي: أرني شيئاً جديداً أتى به محمد، فلن تجد إلاّ ما هو شرير ولا إنساني، مثل أمره بنشر الدين الذي كان يبشر به بحد السيف".

وبعيداً عن الشك الذي يكتنف هذه الرواية من حيث المبدأ، وعن ذكره لقول الإمبراطور البيزنطي وصمته عن جواب المسلم عنه، وهو الأمر الذي يجافي أبسط قواعد الإنصاف والموضوعية، فإن الجحود والجهل والحمق الذي يكتنف هذه المقولة أكبر من أن تحيط به كلمات البشر بالغةً ما بلغت!

وفي البداية نؤكّد على أنّ محمداً، صلى الله عليه وسلم، لم يكن بدعاً من الرسل، بل جاء بما جاء به سائر الأنبياء من قبله من التوحيد وأصول الشرائع، كالدعوة إلى عبادة الله وحده، والكفرِ بما يعبد مِن دونه، والدعوة إلى مكارم الأخلاق والنهي عن سفاسفها، وغير ذلك من أصول الشرائع التي اتفق عليها سائر النبيين، فهو اللبنة الأخيرة في بنيان النبوة الذي تكامل به على مدار التاريخ، وهو القائل إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، والقائل [إنّ مثَلي

ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجلٍ بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنةٍ من زاويةٍ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلاّ وضعت هذه اللبنة قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين] ثم بعد هذا خصه اللهُ عز وجل بباقةٍ من الخصائص تميز ا وتميزت ا دعوته، وهو الأمر الذي لا يحول دون الإقرار به إلا البهت الصريح أو الجهلُ الفاحش!

ترى أيجهلُ البابا أن محمداً، صلّى الله عليه وسلم، قد وضع بدينه الإصر والأغلال التي كانت على بني إسرائيل بظلمهم وبفجورهم وبفسوقهم عن أمر الله؟! أم هو الجحود والتجاهل؟! أيجهل البابا أن محمداً، صلّى الله عليه وسلم، هو الذي أعاد للمرأة كرامتها، وقد كانت سلعةً تباع وتشترى وتورثُ كما يورثُ المتاع؟! أم هو الجحود والتجاهل؟! أيجهل البابا أن محمداً، صلّى الله عليه وسلم، هو الذي جاء بمنظومةٍ متكاملةٍ من الأحكام والشرائع المدنية والحقوقية بما لا يسع العالم إلاّ أن يقف أمامها صاغرا ومذهولا ؟! أم هو الجحود والتجاهل؟! أيجهل البابا أن محمداً، صلّى الله عليه وسلم، هو الذي جاء بمنظومةٍ من القواعد والآداب التي تحكم العلاقات الدولية حرباً وسلماً بما لا ترقى إلى عشر معشاره أرقى الاتفاقيات الدولية المعاصرة ؟! وهو الأمر الذي شهد به كبار الحقوقين من بني جلدته؟! أم هو الجحود والتجاهل؟! أيجهل البابا أنّ محمداً، صلّى الله عليه وسلّم، هو الذي أعلن المساواة بين الجنس البشري، وهدم التمييز بين البشر على أساس الألوان أو الأعراق أو الألسنة، ولم يجعل معياراً للتفاضل بينهم إلا بالتقوى، وقد تجسد ذلك في المؤاخاة التي جرت في المدينة، ثم تجذر هذا المفهوم في ا تمع المسلم وأصبح من آكدِ الإنجازات الحضارية التي قدمها الإسلام للبشرية؟ أم هو الجحود والتجاهل؟!

أيجهلُ البابا أن محمداً، صلّى الله عليه وسلم، هو الذي قدم إلى البشرية التكامل بين الروح والجسد، والتوافق بين العقل والقلب، والتمازج بين الدنيا والآخرة، ولبى مطالب الإنسان المادية كما أشبع أشواقه الروحية، في تكاملٍ وتناسقٍ بديعٍ عجيبٍ، وجاء بالوسطية السمحة بين الرهبانية العاتية والمادية الطاغية؟! أم هو الجحود والتجاهل؟!

هذا غيض من فيض، ولا تحتمل مثل هذه المقولة أكثر من هذه الإشارات ا ملة!

هل يمكن اعتبار ما صدر عن البابا من قبيل الزلةِ العارضة؟

وأخيراً فإنه لا يمكن حملُ كلمات البابا على أنه من قبيل الزلّة العارضة أو الفلتة العابرة كما اعتبر بعضهم كلمة "بوش" في حديثه عن قيادته لحروب صليبية في بدايات مسلسل ما سماه الحرب على الإرهاب، فكلمة البابا

جاءت في سياق محاضرةٍ أكاديميةٍ له، وهو الرجل الأكاديمي الذي درس في الجامعة لسنواتٍ عديدةٍ، وحصل ا على درجة الأستاذية، وأسس ا علم الأديان، وهو يمثلُ كنيسةً تعتقد العصمةَ لرجالا ا، وتدقّق فيما يصدر عنهم من كلماتٍ وتصريحاتٍ قبل تطييرها، لعسرِ رجوعها واعتذارها عما ينسب إليها، ولم تتراجع الكنيسة عن كثيرٍ من أخطائها إلا بعد مرور مئات السنين عليها!

كما لا يمكن فصل هذه الكلمة عن السيرة الذاتية للبابا الذي يحملُ مشاعر سلبيةً تجاه الإسلام والمسلمين فاضت ا مواقفه وتصريحاته، سواءٌ منها ما كان قبل تبوئه منصب البابوية كما حدث عندما أدلى بتصريح في عام ٢٠٠٤م عندما كان كبير علماءِ اللاهوت في الفاتيكان أعرب فيه عن مناهضته لانضمام تركيا للاتحاد الأوروبي لأ ا دولةٌ مسلمةٌ! أو ما كان منها عبر مشوار ولايته البابوية على قصره كما حدث عند استقباله لممثلين مسلمين في مدينة كولونيا بقوله (إن على المسلمين نزع ما في قلو م من حقدٍ، ومواجهة كل مظاهر التعصب، وما يمكن أن يصدر منهم من عنفٍ)! وكاستقباله للكاتبة الإيطالية المقيمة في الولايات المتحدة (أوريانا فالاتشي) والتي تؤلب في كتبها ومقالا ا على الإسلام والمسلمين. والتي تصف الإسلام كلّه بالتطرف ولا ترى فرقًا بين إسلامٍ متطرفٍ وإسلامٍ معتدلٍ!

هل يحمل الأسف الذي أعلنه البابا اعتذاراً عن تصريحاته أو تراجعاً عنها؟

وما اعتذر به البابا من القول بأنه يشعِر بالأسف بعد أن رأى أن كلمته عن الإسلام التي تحدثت عن انتشار الديانة عبر إراقة الدماء كانت مسيئةً، قائلاً إنه يحترم عقيد م ويأمل أن يفهموا "المعنى الحقيقي" لكلماته. فالواقع أنّ مثل هذا الأسف لا يفيد في هذا المقام، ذلك أن المشكلة لا تتمثّل في "قصده" بل في مضمون كلماته، فضلاً عن أنّ هذا المضمون هو الموضوع المفضل قديماً وحديثاً لدى بنديكت السادس عشر، أي التوفيق بين "العلم والدين" أو "العقل والعقيدة"، وتلك "مشكلةٌ كنسيةٌ" قديمةٌ جديدةٌ، فحديثه [عن الإسلام] لا يمكن كما سبق اعتباره من قبيل الزلة العارضة، ومن هنا كان حديثه عن الإسلام في المحاضرة - على أفضل التفسيرات- من باب "المثال"، الذي أراد ذكره للقول إنّ التناقض (في زعم القائل) بين الدين والعقل يمنع الحوار مع الآخرين ، ومن ناحيةٍ أخرى فإن هذا الأسف يحمل تجهيلاً للمسلمين وسباً جديداً لهم بقصور الفهم وضيق الأفق، وادعاءً بأ م لم يرتقوا إلى المستوى الذي يؤهلهم لفهم كلماته ولذلك فإنه يأسى لهم ويأسف لحالهم!!

أما قولُ بعضهم بأن البابا قد أورد مقولة قيصرٍ بيزنطيّ ولا يعني إيراده لها بالضرورة تبنيه لمضمو ا فإنه قولٌ لا يتسنى قبوله في هذا المقام، فقد كان باستطاعة البابا الكاثوليكي ذي الأصل الألماني، المتحدث بالألمانية، لجمهورٍ ألمانيّ، على الأرض الألمانية.. كان باستطاعته لو أراد شيئا آخر سوى "مضمون" الاستشهاد، أن يأتي مثلاً ببعض ما قاله عن الإسلام القيصر الألماني غليوم الثاني قبل أقلّ من قرنٍ واحدٍ، بدلاً من القيصر البيزنطي إيمانويل الثاني قبل ستة قرون، أو ببعض ما قال به جوتة، أشهر شاعرٍ وأديبٍ ألماني، أو سواهما - وسواهما كثير- من مشاهير الفلاسفة الألمان وغير الألمان في حقبة "التنوير" الأوروبية.

للحوار آدابه وقواعده

أما قولُ البابا "إنه يؤيد بشكلٍ مطلقٍ الحوار بين الأديان والثقافات" فإننا نقول له: إن للحوار آدابه وقواعده، متى التزم ا المتحاورون كان الحوار مثمرا وبناءً، وإلا فإنه يفتح أبواباً إلى الجدل العقيم وإثارة الأحقاد والضغائن بما لا يفيد قضية الحوار بل ربما أتى بنقيض ما أُريد ا.

وأخيرا فإن للبابا أن يكفر بالله ورسوله كما شاء، وأن يسيء الظن بنبيه وبرسالته كما شاء، فتلك قضيته التي لا شأن لنا ا، وسيرد إلى ربه فيحاسبه على ذلك، أما أن يحولَ هذا الكفر إلى سبابٍ وأكاذيب فهذا الذي نتحدث عنه في هذا المقام وهو الذي يرفضه منطق الحوار الذي يرفع البابا لواءه ويفتح أبوابه.

وما أحوجنا في واقعنا المعاصر وقد مزقته الصراعات وأشقته المنازعات إلى صوت الحكمة الذي يرفعه عقلاءُ العالم على اختلاف أجناسهم ومللهم ونحلهم لكي يجنبوا البشرية ويلات هذه الحروب الطاحنة ويهيئوا الأجواء لتعايشٍ سلميّ هادئٍ يمشي الناس فيه في مناكب الأرض يبتغون من رزق الله ويتعرفون على هدايات أنبيائه ويسعون في مرضاته بعيداً عن التطاحن والتظالم والتقاتل الذي لا تصلُح به دنيا ولا يقَام به دين، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل"(*).

يستفاد مما سبق أنّ علماء الأمة لم يقصروا ولم يدخروا جهداً في كل الأزمان والعصور التي مرت على الإسلام. لقد ض علماؤنا بكل عزةٍ وشموخٍ ليردوا الشبهات والافتراءات عن الإسلام ونبوة الحبيب المصطفى ﷺ، وهي الشبهات التي كان رهبان الكنيسة الغربية في العصور الوسطى قد أسسوا قواعدها وأقاموا بنيا ا، وحاولوا أن

(*) هنا ينهي النص الكامل لبيان مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا.

يجعلوها سياجاً شائكاً يضربونه حول الإسلام ويحاصرونه به، حتى يصدوا الناس عن الدخول فيه. نعم، لم يتعرض دين ولا نبي في تاريخ البشرية من عهد آدم وحواء، عليهما السلام، إلى يومنا هذا لما تعرض له الإسلام والحبيب المصطفى من حملاتٍ محاربةٍ وتشويهٍ وتزييفٍ وتضليلٍ استهدفت النيل منهما والقضاء عليهما. فكانت النتيجة أن ض العلماء من أبنائه ليذودوا عن حياضه، ويحموه ويقدموه للعالم بصورته الحقيقية كما هي دون تعديلٍ أو تجميلٍ؛ نعم فالإسلام لا يحتاج إلى تجميلٍ أو تعديلٍ من أحدٍ، فهو الدين الذي ارتضاه اللهُ لنا، جميلاً سهلاً واضحاً كاملاً غير منقوصٍ يحملُ في كينونته القدرة على الاستمرارية والنمو والازدهار..

ولـما توالت الشبهات توالت الردود، ولمّا استمرت حملات التزييف استمرت حملات التوضيح ولا زالت المعركةُ مستمرةً...

المبحث الرابع

الردود الشافية الكافية على ما تقدم من شبهاتٍ ومطاعن ونقضها تفصيلاً

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وبعد؛ فقد وقفنا فيما سبق على الدور الخطير الذي لعبه رهبان العصور الوسطى حين أسسوا للأباطيل والشبهات التي أطلقوها على الإسلام ونبوة الحبيب المصطفى ـ ﷺ ـ ... كما تقدم القولُ في أنّ خطورة هذه الشبهات تكمن في استمراريتها وبقائها حيةً في عصرنا هذا، مع الأخذ بعين الاعتبار خضوع بعضها للتعديل والزيادة والتطوير. كما تكمن خطورة هذه الشبهات كذلك في إصابة سهامها لقلوب بعض العوام من المسلمين حيث أصابتهم بالتشككِ في دينهم والحيرة والقلق، فتركتهم يتساءلون عن هذا النبأ العظيم، وهم لا يدرون كيف يردون عنه سهام الباطل والكيد والأذى ...

وقد استدعى هذا الأمر، قديماً وحديثاً، نهوض علماء الأمة ودعاتها والأساتذة وطلبة العلم فيها ليقوموا بالدور المطلوب منهم في هذا الصدد، فلم يقصروا ولم يبطّئوا ـ جزاهم اللهُ خيراً ـ وهم يدركون تماماً أن نهوضهم هذا إنما هو جزءٌ من حق الله تعالى عليهم. "ومن بعض حقوق الله على عبده رد الطاعنين على كتابه ورسولِه ودينِه، ومجاهدتهم بالحجة والبيان، والسيف والسنان، والقلب والجنان، وليس وراء ذلك حبةُ خردلٍ من إيمان"[١].

نحن نوقن بأنّ هذا الدين متين، واضح لا تشوبه شائبةٌ، ولن تنقِص من علو قدره ومنزلته الشتائم والمطاعن التي يثيرها رجالات الكنيسة الغربية، فقد سبقهم إلى مثل ذلك كُفّار قريشٍ الأوائل ... ولكن يجب أن يعلم هؤلاء الكارهون الطاعنون وكل من دار في فلكهم أنّ لهذا الدين فرساناً جاهزين على مدار الساعة، لكُل أنواع المواجهات وعلى رأسها وفي مقدمتها الفكرية العقديةُ. لأنّ السكوت في عالم اليوم لن يؤدي إلاّ إلى مزيدٍ من ارتياب المُبطلين وتماديهم في غيهم، ولن يفهم إلاّ على أنه عجز عن الرد وبالتالي صحة المطاعن والشبهات والشكوك.

هذا بغي أصابنا في ديننا ورسولنا الكريم وبالتالي وجب الانتصار لهما والذّود عنهما مصداقاً لقوله تعالى: " وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ "[٢]. مع التذكير بأننا في حديثنا هذا لا نقوم لحمل السيوف أو لإطلاق الرصاص أو لإخضاع المخالِفِ لنا بالقوة والقهر، لا وإنما ننهض وبين أيدينا مصدر يعلّمنا كيفية النهوض وآدابه ومقتضياته، ننهض

---

[1] ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق عصام الحرستاني، ص ٢٧، ط١، ١٩٩٤، المكتبـة الثقافيـة، بيروت.

[2] سورة الشورى: الآية ٣٩.

كما ـض محمد ﷺ، لا شتاماً ولا سباباً ولا طعاناً، ننهض لنخاطب العقول والقلوب وننفض الغبار عن فطرة الناس السليمة التي فطرهم اللهُ عليها مواجهين الحجةَ بالحجةِ ودافعين بالحسنة السيئةَ، لِتستبين السبيلُ لكُل من عمي عليه وفُرضت عليه نظّارةٌ سوداء لا يلبسها إلاّ حين ينظر إلى الإسلام والمسلمين ونبوة الحبيب المصطفى ﷺ.

وتجدر الإشارة قبل الشروع في إيراد الردود على الشبهات أنّ مطلقي هذه الإشاعات والشبهات قد أخذوا جذورها وأصولها من كتب التراث الإسلامي (ككتب التفسير وشرح الحديث والتاريخ الإسلامي) ثُم صاغوا لها القوالب والأشكال التي تلائم هواهم وأهدافهم، وبالتالي فهم مطالبونَ بالقبول بالتوضيحات والتفسيرات التي جاءت في نفس الكتب التي يزعمون أنهم استقوا معلوما م منها. ونذكر بادئ ذي بدءٍ، بأنّ كثيراً من المواضيع التي تناولتها الشبهات قد سبق لأئمة الكفر وصناديده الأوائل من قريشٍ أن أثاروها وتعلّقوا ا، فقذفوه، ﷺ، بالسحر والجنون والتتلمذِ على يد الأعاجم، وما إلى ذلك من الا امات. وقد كان واقع حال النبي ﷺ، آنذاك يكذّ م، ويدفع ا اما م وشبها م حتى إنها لتبدو في صور الأباطيل المتهالكة التي لا يلقى إليها بالٌ ولا تنال الكثير من الاهتمام والرواج.

الشبهة الأولى ودفعها:

كان محمد مصاباً بالصرع، وكان يعللُ حالات الصرع التي تصيبه بأنها وحي يـ لُ عليه من السماء بواسطة ملَكٍ اسمه جبريل. وقد حدث ذات مرةٍ أن غابت عنه حالات الصرع الذي يسميه وحياً لفترةٍ غير قصيرةٍ فشرع محمد في الانتحار.

- هذه الشبهة مركّبةٌ من جزأين، أولهما أنّ رسول الله ﷺ كان يصاب بالصرع وثانيهما أنه، حاشاه، عليه قد شرع في الانتحار.

- أما عن أكذوبة إصابة النبي ﷺ بنوباتٍ من الصرع فيكذ ا ما يلي:

"إن المريض بالصرع يصاب بآلامٍ حادةٍ في أعضاء جسمه كافّة، يحس ا عندما تنتهي نوبة الصرع، ويظل حزيناً كاسف البال، وكثيراً ما يحاول مرضى الصرع الانتحار من قسوة ما يعانون من الآلام. فلو كان ما يعتري النبي ﷺ عند الوحي صرعاً، لَحزِنَ لوقوعه ولَسعِد بانقطاعه، ولكن الأمر بخلاف ذلك. ثمّ إنّ الثابت علمياً أن المصروع أثناء الصرع يتعطلُ تفكيره وإدراكه تعطلاً تاماً فلا يدري المريض في نوبته شيئاً عما يدور حوله، ولا ما يجيش في نفسه، كما أنه يغيب عن صوابه. والنبي ﷺ بخلاف هذا كله كان يتلو على الناس، بعد انتهاء لحظات نزول الوحي، آياتٍ

بيناتٍ وعظاتٍ بليغاتٍ، وتشريعاً محكّماً، وأخلاقاً عاليةً، وكلاماً بلغ الغاية في الفصاحة والبلاغة، فهل يعقلُ أن يأتيَ المصروع بشيءٍ من هذا؟؟؟"[1].

ثم إنْ كان محمد ﷺ مصاباً بالصرع فلماذا سكتت عن ذلك نساؤه رضوان الله عليهن؟؟ ثم لِم اتبعه أحكم رجال قريشٍ وأعقلهم كالصديق والفاروق وعثمان وعلي رضوان الله عليهم؟؟ وقبل هذا كلّه وذاك فلماذا يسكت صناديد قريش من أعدائه عن ذلك، وهم الذين يتربصون به ريب المنون آناء الليل وأطراف النهار؟؟ لماذا يسكتون وهم كانوا بانتظار ولو هفوةٍ أو زلةٍ ليجعلوا منها مأخذاً عليه وعلى نبوته؟؟ لعمري لو كان هذا صحيحاً لسرتِ الفضيحةُ في السر والعلن، ولسار بخبرها الركبانُ ولعلم ا القاصي والداني. ولكنها شمس الحق عندما تشرق فتغطي على كل نورٍ سواها، شمس الحق التي تشرق كلّ يومٍ على ما يزيد عن المليار والنصف من سكّان هذه الأرض الذين يؤمنون بدعوة هذا الحبيب المصطفى ﷺ.

- **أما عن أكذوبة شروعه** ﷺ في **الانتحار،** فقد بنى الكاذبون شبهتهم وفريتهم هذه على ما ورد في بعض كتب السير والتفسير من أنّ النبي ﷺ قد حزن حزناً شديداً لمّا فتر الوحي وأصابه ضيق وألمٌ لذلك. فزعم المفترون أنه عليه السلام قد فكّر بالانتحار وقتل نفسه بسبب ذلك وأخذ يتنقّلُ في رؤوس الجبال ليلقي نفسه من أعلاها، فـ ل القرآن معاتباً له يقول "فلعلّك باخع نفسك". وفسروا ذلك بقولهم: أي فلعلّك تقتلُ نفسك غماً!!! وكلام هؤلاء باطلٌ مردود ليس له ما يدعمه من حديثٍ صحيحٍ ولا حسنٍ ولا حتى ضعيف. وليس هناك تفسير عند أيّ من علمائنا الأفاضل يؤيده، فقوله تعالى: "فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا "[2] يجسد وبكل وضوحٍ حرص النبي ﷺ على هداية قومه ويظهر تألمه بسبب تكذيبهم له وصدهم عنه، وذلك إشفاقاً منه عليهم بسبب ما ينتظرهم من عذاب الآخرة إن هم بقوا مصرين على كفرهم وعنادهم.

فكيف فَهم هؤلاء الزاعمون دلالةَ هذه الآية على محاولة النبي الانتحار ورغبته فيه لاندري!!! ثمّ كيف يعقَلُ أن يقوم النبي بذلك وقد رفَض الصلاة على رجلٍ قتل نفسه بنصل سهمٍ، وكذلك أخبرنا بأنّ المنتحر خالد مخلد في

---

[1] الجبري، عبد المتعال، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ص ٥٩ بتصرف ، ط١، ١٩٨٨، مكتبة وهبة، مصر.
[2] سورة الكهف: الآية ٦.

نار جهنم!! روى الإمام النسائي[1] في الجزء الرابع من سننه في كتاب الجنائز في (باب ترك الصلاة على من قتل نفسه) قال: "أخبرنا إسحق بن منصور قال أنبأنا أبو الوليد قال حدثنا أبو خيثمة زهير قال حدثنا سماك عن ابن سمرة أن رجلاً قتل نفسه بمشاقص[2]. فقال رسول الله ﷺ أما أنا فلا أصلّي عليه. أخبرنا محمد بن عبد الأعلى قال حدثنا خالد قال حدثنا شعبة عن سليمان سمعت ذكوان يحدثُ عن أبي هريرة عن النبي ـ ﷺ ـ قال: من تردى من جبلٍ فقتلَ نفسه فهو في نار جهنم يتردى خالداً مخلّداً فيها أبداً. ومن تحسى سماً فقتل نفسه، فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلّداً فيها أبداً. ومن قتلَ نفسه بحديدةٍ ثم انقطع علي شيءٌ خالد يقول كانت حديدته في يده يجأ ا في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً".

ونقول تأكيداً على ما سبق: إن كان النبي ـ ﷺ ـ قد رفض الصلاة على من مات منتحراً فكيف يعقل أن يكون عليه السلام قد شرع في الانتحار؟؟ لعمري إنه كلام تقشعر له الأبدان.

الشبهة الثانية ودفعها:

إن كان محمد يزعم أنّ كتاباً أنزلَ عليه من السماء، فإنّ هذا الكتاب عينه يخبرنا أنّ محمداً كان مذنباً (واستغفِر لذنبك) كما يخبرنا هذا الكتاب كذلك أنّ محمداً كاد أن يفتن (وإن كادوا ليفتنونك).

- هذه الشبهة هي الأخرى مركبةٌ من جزأين أولهما اتهام الرسول ـ ﷺ ـ بارتكاب الذنوب وثانيهما اتهامه بأنه كاد أن يفتن.

- أما عن شبهة ذنوب النبي ﷺ فتفنيدها هو التالي:

من الطبيعي والمتوقع أن يقود أخذُ الآيات الكريمة السابقة على ظاهرها إلى فهمٍ غير صحيحٍ لها، حيث أنّ المعنى الظاهر هنا يعارض عصمةَ الله تعالى لأنبيائه ورسله عن الوقوع في المعاصي والآثام والذنوب، إذ لا يصلُح مذنب وآثمٌ وعاصٍ لأن يكون قدوةً للناس يأخذ بيدهم إلى الخير والفلاح ويقودهم لتطبيق تعاليم شرع الله تعالى "فذنب الرسول ﷺ ليس ذنباً حقيقياً، قائماً على فعل المعصية، وإنما هو ذنب معنوي يقوم على نوعٍ من تركِ الأولى، والسهو والغفلة والنسيان، الذي لا يؤدي إلى ترك واجبٍ أو فعل محرمٍ. وقد يفعل الرسول ﷺ خلاف الأولى، فيعاتبه الله، وقد

[1] انظر: أ. سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي ج٤، كتاب الجنائز، باب (ترك الصلاة على من قتل نفسه)، ص ٦٦، ٦٧، ط دار البشائر الإسلامية، بيروت.

ب. صحيح البخاري كتاب الطب، باب شرب السم والدواء به وما يخاف منه والخبيث.

[2] المشاقص: نصل السهم إذا كان طويلاً غير عريض.

يمر بحالةٍ من السهو اليسير أو الغفلة البسيطة، فيتداركه الله، وهذا نوع من التقصير، يستدعي أن يستغفر اللهَ منه، ليبقى ﷺ في كامل تألقه وارتقائه. وقديماً قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين. إن استغفار الرسول ﷺ وتوبته نوع من أنواع ذكره الله، وعلى هذا قوله ﷺ: "إنه ليغانُ على قلبي فأتوب إلى الله واستغفره في اليوم مئة مرة" فاستغفاره لله صورةٌ من صور ذكره وشكره له"[1].

وعلى ذلك يكون الأمر بالاستغفار أن يستغفر النبي ﷺ من الأمور التي اجتهد فيها، من غير وحي إليه فيها، فترك الأولى (الأحسن) وأخذَ بالحَسنِ وكان من أمثلة ذلك أنه عليه الصلاة والسلام قد أَذِنَ لبعض المنافقين بالتخلف عن إحدى الغزوات والقعود عن الجهاد، وكذلك قبوله ـ عليه السلام ـ أخذ الفدية من أسرى معركة بدرٍ، وكذلك أيضاً عندما عبس وجهه عليه الصلاة والسلام، وأعرض لأجلٍ عن عبد الله بن أم مكتوم في وقتٍ كان منشغلاً فيه، عليه السلام، بعرض الإسلام على بعض كبار وأشراف غير المسلمين. وبالعودة لقوله تعالى: " لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ "[2] فإننا نذكر هؤلاء الذين أجروها على معناها الظاهر فاتهموا الحبيب المصطفى بارتكاب الذنوب والآثام بأنه لو كان مذنباً ـ كما يظنون ويزعمون ـ لَما أيده اللهُ تعالى بنصره وتوفيقه، ولَما أتم عليه نعمته وهداه صراطاً مستقيماً، فهذه كلها أمور لا تنبغي للمذنبين والعصاة والآثمين أبداً.

لقد كان من الجدير ؤلاء الرهبان المستشرقين القدامى والمعاصرين الذين يتهمون الحبيب المصطفى بارتكاب الذنوب ـ التي لا زالوا غير قادرين حتى هذه الساعة على إثبات واحدٍ منها ـ كان من الجدير م الالتفات إلى كتا م المقدس الذي وسم أنبياء الله تعالى بكُل مالا يليق م من أوصافٍ قبيحةٍ وذنوبٍ عظيمةٍ، حيث نسب إلى الكثيرين منهم الكذب والسكر وزنا المحارم والرقص عراةً والأمر بممارسة القتل والإبادة الجماعية!!!.

ـ **وأما عن شبهة "كاد محمد أن يفتن"** فتفنيدها ما يلي:

إن هذه الشبهة مبنيةٌ على فهمٍ خاطئٍ وتفسيرٍ مغلوطٍ لقوله تعالى: " وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ

---

[1] الخالدي [م. س]، ص ٦٩٠.
[2] سورة الفتح: الآية ٢

شَيْئًا قَلِيلًا "[1]. وقبل الشروع في إيراد التفسير الصحيح لهاتين الآيتين الكريمتين نشير إلى أنّ فيهما رداً صريحاً ومباشراً على كُل أولئك الذين اتهموه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأنه جاء بالقرآن من عنده وأنه المؤلف الحقيقي له. لأنه لو كان كذلك، حاشاه، فلماذا يكتب آياتٍ يعاتب نفسه فيها؟؟؟

وقد ذكر المفسرون أسباباً متعددةً، ولكنها متقاربةٌ في معناها، ل ول هاتين الآيتين الكريمتين، وقد ساقها الإمام السيوطي، رحمه الله، في تفسيره، وكان من أبرزها ما يلي[٢]:

١. أخرج ابن اسحق وابن أبي حاتم وابن مردويه، عن ابن عباسٍ قال: إنّ أميةَ بن خلف وأبا جهل بن هشام ورجالاً من قريشٍ، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: تعال فاستلم آلهتنا وندخل معك في دينك. وكان رسول الله ﷺ يشتد عليه فراق قومه ويحب إسلامهم، فرق لهم فأنزلَ الله "وإِن كَادواْ لَيفْتِنونك .. " إلى قوله " نصِيراً".

٢. وأخرج ابن مردوية من طريق الكلبي، عن باذان عن جابر بن عبد الله مِثلَه.

٣. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير قال: كان رسول الله ﷺ يستلم الحجر فقالوا: لا ندعك تستلمه حتى تستلم آلهتنا. فقال رسول الله ﷺ: وما علي لو فعلت واللهُ يعلم مني خلافه؟ فأنزل الله "وإِن كَادواْ لَيفْتِنونك .. " إلى قوله " نصِيراً".

٤. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شهاب قال: كان رسول الله ﷺ إذا طاف يقول له المشركون: استلم آلهتنا كي لا تضرك فكاد يفعل فأنزل الله "وإِن كَادواْ لَيفْتِنونك" .. الآية.

٥. وأخرج ابن أبي حاتم عن جبير بن نفير رضي الله عنه، أن قريشاً أتوا النبي ﷺ فقالوا له: إنْ كنت أُرسِلْت إلينا فاطرد الذين اتبعوك مِن سقاط الناس ومواليهم لنكونَ نحن أصحابك. فركن إليهم فأوحى الله إليه "وإِن كَادواْ لَيفْتِنونك" .. الآية.

٦. وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن ثقيفاً قالوا للنبي ﷺ: أجلْنا سنةً حتى دي لآلهتنا، فإذا قبضنا الذي يهدى للآلهةِ أحرزناه ثم أسلمنا وكسرنا الآلهة. فَهم أن يؤجلَهم ف لت "وإِن كَادواْ لَيفْتِنونك" .. الآية.

---

(1) سورة الإسراء: الآيتان ٧٣، ٧٤.

(2) السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين، الدر المنثور في التفسير المأثور، ط١، ج ١٥، ص ١٣٨، ٣١٩ بتصرف، ١٩٨٣، دار الفكر، بيروت.

وخلاصة هذه المعاني والتفسيرات والأسباب السابقة هو: يا محمد لقد قاربت أن تستجيب لما عرضوه عليك ولكنك لم تفعل وذلك بسبب عصمة الله لك وتثبيته إياك. وكاد المشركون أن يفتنوا النبي ﷺ لكنه لم يفتن وذلك لعصمة الله تعالى وحمايته له.

الشبهة الثالثة ودفعها:

يتبع المسلمون رجلاً مسحوراً اسمه "محمد". وقد ذكرت التعاليم التي كان محمد يلقنها لأصحابه والمسماة "الحديث النبوي" أنّ محمداً قد سحِر وأنّ يهودياً هو الذي قام بذلك.

مما لا شك فيه أنّ هذه واحدةٌ من الشبهات الخطيرة التي أثارها الرهبان المستشرقون وتكمن خطورة هذه الشبهة في القول بأنّ كل ما جاء به من آياتٍ قرآنيةٍ إنما هو ناجم عن السحر الذي أصابه وذَهب بعقله، فهو مسحور في كل ما يصدر عنه من أقوالٍ وأفعالٍ.

- **وتفنيد هذه الشبهة والرد عليها وتوضيح ما حدث هو التالي**: لقد حاول بعض العلماء الأفاضل، كالجصاص (في كتابه أحكام القرآن) والقاسمي في تفسيره، إنكار هذا الحديث لتكون الشبهة مردودةً تلقائياً لأنها مبنيةٌ عليه.

والصواب أنّ الحديث الذي ذكر سحر النبي ﷺ حديث صحيح ذكره الإمام البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ في صحيحه في كلٍّ من كتاب بدء الخلق وكتاب الأدب وكتاب الجزية، ورواياته هي التالية:

١. صحيح البخاري كتاب (الأدب) باب قوله الله سبحانه: "إِن الله يأمر بِالْعدلِ والإحسان وإِيتآءِ ذِي الْقُربى وينهى عنِ الْفَحشاءِ والْمنكرِ والْبغي يعِظُكُم لَعلكُم تذَكَرونَ" حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: مكثَ النبي ﷺ كذا وكذا يخيلُ إليه أنه يأتي أهله ولا يأتي. قالت عائشة: فقال لي ذات يوم: يا عائشة إنّ الله أفتاني في أمرٍ استفتيته فيه. أتاني رجلان فجلس أحدهما عند رِجلي والأخر عند رأسي فقال الذي عند رجلي للذي عند رأسي: ما بالُ الرجل. قال: مطبوب يعني مسحوراً قال: ومن طَبه قال: لبيد بن أعصم قال: وفيم. قال: في جف طلعة ذكرٍ في مشطٍ ومشاقةٍ تحت رعوفةٍ في بئر ذروان فجاء النبي ﷺ فقال: هذه البئر التي أرِيتها كان رؤوس نخلها رؤوس الشياطين وكأنّ ماءها نقاعةُ الحناء فأمر به النبي ﷺ فأخرج قالت عائشة: فقلت يا رسول الله: فهلا تعني تنشرت فقال النبي ﷺ: "أما الله فقد شفاني وأما أنا فأكره أن أُثير على الناس شراً" قالت: ولبيد بن أعصم رجلٌ من بني زريقٍ حليف ليهود.

٢. صحيح البخاري كتاب (بدء الخلق) باب صفة إبليس وجنوده ... حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا عيسى عن هشام عن أبيه عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سحِر النبي ﷺ. وقال الليث: كتب إلي هشام أنه سمعه ووعاه عن أبيه عن عائشة قالت: سحِر النبي ﷺ حتى كان يخيلُ أنه يفعل الشيء وما يفعله، حتى كان ذات يومٍ دعا ودعا، ثم قال: أشعرتِ أن الله أفتاني فيما فيه شفائي. أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رِجلي فقال أحدهما للآخر: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب قال: ومن طبّه؟ قال: لبيد بن الأعصم قال: فيما ذا؟ قال: في مشطٍ ومشاقةٍ وجف طلعةٍ ذكرٍ قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذروان. فخرج إليها النبي ثم رجع فقال لعائشة حين رجع: نخلها كأنه رؤوس الشياطين فقلت: استخرجته فقال: لا "أما أنا فقد شفاني الله وخشيت أن يثير ذلك على الناس شراً ثم دفِنت البئر".

٣. صحيح البخاري كتاب (الجزية) باب هل يعفى عن الذمي إذا سحر ... حدثني محمد بن المثنى حدثنا يحيى حدثنا هشام قال: حدثني أبي عن عائشة أن النبي سحِر حتى كان يخيلُ إليه أنه صنع شيئاً ولم يصنعه.

وبعد إيرادنا لهذه الأحاديث نقول: من المعلوم أننا إذا أردنا استخراج حكم مسألةٍ ما، فإننا نجمع الروايات الواردة فيها لنخرج من مجموعها بفهمٍ صحيحٍ متكامل. لقد ركز المستشرقون والطاعنون على عبارةٍ في الأحاديث السابقة هي (وكان يخيلُ إليه أنه صنع شيئاً ولم يصنعه) وتناسوا عبارة (كان يخيلُ إليه أنه يأتي أهله ولا يأتي) والتي هي مفتاح الفهم الصحيح للقصة كلّها، والتي تتلخص في أنّ السحر تعلّق بموضوع إتيان النبي ﷺ لزوجاته مع أنه لم يأ ن، وهذا الأمر لا علاقة له بالوحي ولا بالرسالة التي بعثه اللهُ ا من قريبٍ ولا من بعيدٍ. "فالإنسان قد يأخذ قرصاً معيناً من الدواء فلا يستطيع أن يأتي أهله، أو قد يكون متعباً نفسياً أحياناً، فلا يستطيع أن يأتي أهله، وكل هذه الأمراض التي لها علاقة بالصفات البشرية، وليس لها علاقة بالوحي والرسالة، فالنبي ﷺ معصوم في تأديته للرسالة، ومن المستحيل أن يزيغ عن الوحي أبداً"(١). قال القاضي عياض، رحمه الله تعالى: وقد جاءت روايات هذا الحديث مبينةً أنّ السحر إنما تسلطَ على جسده وظواهر جوارحه لا على عقله وقلبه واعتقاده(٢).

---

(1) مرسي [م. س] ص ١٥، بتصرف.

(2) صحيح مسلم، بشرح الإمام النووي، كتاب السلام، باب السحر، ج٧، ص ٣٥١، ط١، مكتبة الإيمان، المنصورة.

ولعلّ ا امات الرهبان المستشرقين هذه للنبي محمدٍ ﷺ بأنه مسحور تتعارض مع ا اماتٍ سابقةٍ لأسلافهم زعموا فيها أنّ محمداً ساحر محترف وأنّ ممارسته للسحر كانت السبب المباشر وراء سرعة انتشار الإسلام وإقبال الناس عليه بسرعةٍ عجيبةٍ.

ثم لماذا لم يذكر هؤلاء الطاعنون عبارة أما **"أنا فقد شفاني الله"** التي وردت على لسانه ﷺ في الحديث السابق والتي كانت ايةً للحادثة؟؟؟ إ ا العقلية الانتقائية المريضة التي تحاول الاستدلال الخاطئ بنصٍّ صحيحٍ على أمر خاطئٍ، واتباع لمنهج (فلا تقربوا الصلاة) أو (فويلٌ للمصلّين)! ثم كيف يعقلُ أن يقال "إنّ محمداً مارس السحر"، في الوقت الذي عد فيه هذا الرسولُ الكريم ﷺ السحر من السبع الموبقات المهلكات؟؟ حيث قال: "اجتنبوا الموبقات: الشرك بالله والسحر"[1]. وحين قال ﷺ: "اجتنبوا السبع الموبقات. قِيلَ يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله والسحر ... الحديث"[2]. وقد ذكر الإمام النووي، رحمه الله تعالى، في شرحه لهذا الحديث الشريف "ومذهب الجماهير أن السحر حرام من الكبائر فعله وتعلمه وتعليمه"[3].

الشبهة الرابعة ودفعها:

كيف يسمي محمد نفسه أولَ المسلمين، والقرآن الذي بين يديه يذكر أنّ إبراهيم كان حنيفاً مسلماً؟؟ ومعلوم أنّ إبراهيم عاش قبل محمدٍ بمئات السنوات!!!

- يحاول هؤلاء الرهبان المستشرقون الطاعنون أن يوهموا الناس بوجود التناقض في القرآن الكريم. ويحاولون أن يضربوا القرآن الكريم بعضه ببعضٍ ليخرجوا بتناقضٍ يثبت بشرية مصدره وأنه من عند محمدٍ وليس موحى به.

- **والجواب على هذه الشبهة ما يلي:** لقد ذكر القرآنُ الكريم أنّ إبراهيم عليه السلام كان مسلماً، قال تعالى: " مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصۡرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسۡلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ "[4]. كما ذكر القرآنُ الكريم كذلك قوله تعالى على لسانِ محمدٍ ﷺ بأنه أولُ المسلمين، قال تعالى: " قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ

---

[1] صحيح البخاري، [م. س]، كتاب الأدب، باب الشرك والسحر من الموبقات.
[2] صحيح مسلم، [م. س]، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها.
[3] المرجع السابق نفسه ج١، ص ٢٩٢.
[4] سورة آل عمران: الآية ٦٧.

رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ "[1] والإجابة على ذلك تخبرنا ا كتب التفسير، حيث ذكر معظمها أنّ معنى قوله (وأنا أولُ المسلمين) أي أولُ المسلمين من هذه الأمة[2]، فالنبي ﷺ هو أولُ من انقاد لله تعالى من أمته ـ عليه السلام ـ وهو يخبرنا ويعلّمنا ـ عليه الصلاة والسلام ـ إذا أصبحنا أن نقول "أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمدٍ وملّةِ إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين"[3]. وهذا الحديث الشريف واضح تماماً في الدلالة على أننا ورسولنا المصطفى ﷺ مِن قَبلنا معتنقون لدين إبراهيم الحنيف الموحد عليه السلام، وهذا الدين هو الإسلام.

الشبهة الخامسة ودفُعها:

إنّ محمداً لم يأتِ بمعجزاتٍ، على خلاف موسى وعيسى وغيرهم من أنبياء بني إسرائيل. وفي هذا دليلٌ واضح على عدم صدق نبوته، بل إن القرآن الذي جاء به محمد للناس يقول، وبكل صراحةٍ ووضوحٍ "وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ "**[4].**

- يبدو أنّ هؤلاء الطاعنين لا يدركون حقيقةً مفادها أنّ الله تعالى هو الذي يؤيد الرسل بالمعجزات، وأن الرسلَ عليهم السلام لا يقدرون على الإتيان بالمعجزات من تلقاء أنفسهم، ويشهد لهذه الحقيقة قوله تعالى: " وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ "[5]. واستشهادهم بالآية السابقة من سورة الاسراء "وما منعنا أن نرسِلَ بالآياتِ إلا أن كذب بها الأولُونَ" باطلٌ تماماً، فهذه الآية الكريمة لا تلغي الآيات المعجزات ولا تنفي فائد ا على الإطلاق "وإنما تنفي استجابة الله لطلب المشركين إنزال الآيات. فلم يستجب الله لهم، ولم يـ ل الآياتِ التي طلبوها؛ لأنه يعلم أنه لو

---

[1] سورة الأنعام: الأيتان ١٦٢، ١٦٣.

[2] انظر على سبيل المثال السيوطي [م. س] ج٣، ص ٤١٠.

[3] رواه الإمام السيوطي في جمع الجوامع الجامع الكبير في الحديث، والجامع الصغير وزوائده، ا لمد الأول، الحديث رقم (٣١٦٧)، وقد صححه الالباني، انظر صحيح الجامع (٤/٢٠٩).

[4] سورة الاسراء: الآية ٥٩.

[5] سورة الرعد: الآية ٣٨.

أنزلها كما طلبوا فإ م لن يؤمنوا ا، وبعد ذلك سيعذّبهم ويهلكهم، ولذلك لم يستجب الله لهم رحمةً م، لئلا يعذّ م ... وليس معنى هذا أن الله لم ي ل الآيات على النبي ﷺ ولا على غيره من الأنبياء السابقين"[١].

ومن الواضح أنّ هذه الشبهة قائمةٌ على الكذب الخالص، وذلك لأنّ كتاب الله العزيز، والأحاديث النبوية الشريفة، والأخبار المتواترة، التي جمعها علماؤنا ذكرت الكثير الكثير من هذه المعجزات، والتي منها على سبيل المثال:

١. القرآن الكريم: وهوأعظم هذه المعجزات على الإطلاق، ولئن زعم الرهبان المستشرقون ومن وافقهم من الطاعنين ضعف نصوص القرآن وتعارضها مع بعضها البعض وإنها من عند محمدٍ ﷺ، فإنّ التحدي ذا القرآن لا يزال قائماً حتى قيام الساعة، وهم مطالَبون بالإتيان ولو بعشر سورٍ مفترياتٍ تصلُح لأن تقابلَ بسور القرآن الكريم وآياته. ولا زال التحدي للخلق على الإتيان بمثل القرآن الكريم قائماً حتى هذا العصر، عصر الحاسوب والإنترنت والاختراعات والاكتشافات العلمية على مدار الساعة. ألا فليأتوا بمثل ذلك إن استطاعوا.

٢. معجزة انشقاق القمر، قال تعالى: " ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ "[٢] وقد كان هذا الانشقاق للقمر الذي حدث في زمن رسول الله ﷺ معجزةً للنبي وآيةً دالةً على صدق نبوته، وتوضيح ذلك وارد في صحيح الإمام البخاري، رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً، الذي جاء فيه[٣]: حدثني عبد الله بن عبد الوهاب حدثنا بشر بن المفضل حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه "إنّ أهل مكّة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آيةً فأراهم القمر شقّين، حتى رأوا حِراءً بينهما". ويفهم من مجموع روايات الحديث الشريف السابق أن هذا الانشقاق استمر ما يقارب الساعة من الزمن. ولئن أنكر الرهبان المستشرقون والطاعنون المعاصرون صحة وقوع ذلك فإننا نحيلهم إلى الموقع الإلكتروني http://the-moon.wikispaces.com. الذي نشر صورةً للقمر كانت قد التقطتها وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) والتي يظهر فيها وبكل وضوحٍ ما تبقّى من آثار التئام هذا الانشقاق ويبلغ طوله مسافة ثلاثمائة كيلو متراً أي ما يعادل ١٨٦,٤ ميلاً[٤]. بكُل جلاءٍ ووضوح.

---

(1) الخالدي، [م. س]، ص ٦٩٧.

(2) سورة القمر، الآية ١.

(3) صحيح البخاري، [م. س] كتاب مناقب الأنصار، باب انشقاق القمر.

(4) انظر الصورة والقياسات والتقرير المرفق معها على موقع وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) التالي:
www.nasa.gov/mission-payes/LRO/multimeaia/iromageslroc-20090928-ariadaeus.html

وما من شكٍّ أنّ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف كانا المصدرين اللذين ذكرا حادثة بل معجزة انشقاق القمر آنذاك. وهنا نتوجه بالسؤال للرهبان وللطاعنين فنقول: هذا اكتشاف علمي معاصِر، وكان القرآن الذي جاء به محمد ﷺ قد أخبرنا به قبل مئات السنوات فبماذا تجيبون على ذلك؟؟ ليس هناك سوى إجابةٍ واحدةٍ **إنها النبوةُ.** ولقد آثرنا ههنا التركيز على ذكر معجزة انشقاق القمر لأ ا معجزة ماديةٌ حسيةٌ تحاكي فهم هؤلاء الرهبان الطاعنين للمعجزة إذ أ ا عندهم لا تتجاوز حدود المادة والحس.

لن نطيل في ذكر وتفصيل المعجزات التي ذكرها القرآن الكريم والتي أجراها الله تعالى إظهاراً لصدق نبوةِ محمدٍ ﷺ ولكننا سنذكر، وعلى عجالةٍ، بعض هذه المعجزات والنبوؤات والأخبار الصحيحة الإسناد التي حدثت بعده، عليه الصلاة والسلام، وكلّها شواهد على معجزاته في الإخبار عن الغيب الذي سيقع ثمّ وقع، ومن ذلك[1]:

١. أخبر ﷺ الصحابةَ رضي الله عنهم، بفتح بيت المقدس، واليمن، والشام، والعراق، وقد وقع ما أخبر به ﷺ.

٢. أخبر ﷺ أن الإسلام سوف يسود حتى يسير الراكب من صنعاءَ إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه، وقد وقع ما أخبر به ﷺ.

٣. أخبر ﷺ أنّ خيبر تفتح على يد عليّ، رضي الله عنه، في غد يومه، وقد فُتحت على يد علي رضي الله عنه كما أخبر ﷺ.

٤. أخبر ﷺ أن المسلمين يقسمون كنوز ملك فارس وملك الروم، وقد فتح المسلمون تلك البلاد، وقسموا كنوز ملوكها كما أخبر ﷺ، فأخذ سراقة بن مالك رضي الله عنه وغيره ما وعدهم به النبي ﷺ.

٥. أخبر ﷺ أنّ عثمان بن عفان رضي الله سيقتلُ وهو يقرأ القرآن، وقد كان كما أخبر.

٦. أخبر ﷺ أن عمار رضي الله عنه تقتله الفئةُ الباغية، فوقع كما أخبر النبي ﷺ.

٧. أخبر ﷺ أنّ الموتان أي: الوباء (الطاعون) يكون بعد فتح بيت المقدس، وقد وقع في خلافة عمر، رضي الله عنه، بعمواس في بلاد الشام من قرى بيت المقدس، و ا كان عسكره، وهو أول طاعونٍ في تاريخ الإسلام، مات على أثرهِ عدد كثير منهم لا يقل عن سبعين ألفاً.

---

(1) مرسي [م. س]، ص ٤١٨، ٤١٩، بتصرف.

٨. أخبر ﷺ أنّ فاطمةَ بنت النبي ﷺ أولُ أهلِهِ لحوقاً به بعد موته، فماتت ـ رضي الله عنها ـ بعد ستة أشهر من وفاته ﷺ، فكانت أول آل بيت النبي وفاةً بعده ﷺ.

٩. أخبر ﷺ أنّ الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ سيد يصلح الله على يده بين فئتين من المسلمين تقتتلان، وقد حدث ما أخبره به ﷺ.

الشبهة السادسة ودفعها:

لو كان محمد رسولاً لما مات مسموماً ولما تحللَ جسده حتى تعفّن

- تتكون هذه الشبهة من جزأين، أولهما أنه ﷺ مات مسموماً، وثانيهما أنّ جسده تحللَ وتعفن بعد موته.

- **أما عن تفصيل القول** في **الجزء الأول من هذه الشبهة** فلا نسلم به أبداً. نعم، أكل النبي من شاةٍ مسمومةٍ قدمتها له يهوديةٌ بخيبر، لكنه لم يمت من ذلك بل مات ﷺ بعد ما يزيد على الثلاث سنوات بعد غزوة خيبر[1]. وقصة أكله، عليه السلام، من الشاة المسمومة ذكرها الإمام البخاري في صحيحه عند حديثه عن غزوة خيبر، كما ذكرها الإمام أبو داود في سننه في كتاب الديات فقال[٢]: حدثنا وهب بن بقية في موضع آخر عن خالد عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة ولم يذكر أبا هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ولا يأكل الصدقة. زاد فأهدت له يهوديةٌ بخيبر شاةً مصليةً سمتها فأكل رسولُ الله منها وأكل القوم فقال: "ارفعوا أيديكم فإ ا أخبرتني أ ا مسمومة". فمات ِبشر بن البراء بن معرور الأنصاري فأرسل [الرسول ﷺ] إلى اليهودية ما حملكِ على الذي صنعتِ؟ قالت إنْ كنت نبياً لم يضرك الذي صنعت وإن كنت ملكاً ارحت الناس منك فأمر ا رسول الله ﷺ فَقُتِلَت ثم قال في وجعه الذي مات فيه ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت بخيبر فهذا أوانُ قَطَعت أبهري.

وقد ورد في بعض الروايات الأخرى أنّ هذه المرأة اليهودية قد سألت عن أي عضو أحب إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها الذراع، فأكثرت السم فيها، ثم سممت الشاة ... والوجه الصحيح الذي تفهم هذه الحادثة بناءً عليه هو التالي:

إن رسول الله ﷺ لم يمت بتأثير السم، ولو مات بتأثير السم لمات فوراً، أو بعد ساعات أو أيام أو أشهر، مثل بشر بن البراء الذي مات فوراً. وقد عاش رسول الله ﷺ بعد حادثة السم أكثر من ثلاث سنوات!.

---

(1) وقعت خيبر في شهر محرم في العام الهجري السابع، بينما كانت وفاته ﷺ في شهر ربيع الأول في العام الحادي عشر للهجرة.

(2) انظر سنن أبي داود، كتاب الديات، باب (فيمن سقى رجلاً سماً أو أطعمه فمات أيقاد منه).

"صحيح أنه بلغ أثر السم، لكن هذا الأثر لم يؤد إلى وفاته، لأنّ الله تكفل بحمايته وعصمته من الأعداء، فكم حاول الأعداء اغتياله وقتله، ولكن الله عصمه وحماه، وأخبره عن ذلك في قوله تعالى: "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ "[1]. وصحيح أنّ رسول الله ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها: "ما زلت أجد أثر السم الذي قُدم لي في خيبر" وأنه قال لها أيضاً: "هذا أوانُ انقطاع أ ري". وهذا معناه أنه كان يمرض من أثر ذلك السم، وكان أكبر الأثر على أ ره، وهو وريده، لكن فرق بين أن نقول: كان يمرض من أثر السم، وبين أن نقول: مات متأثّراً بالسم"[2].

- **أما عن زعم الرهبان المستشرقين والطاعنين بأنه ﷺ قد تحللَ جسده وتعفّن بعد موته،** فمسألةٌ خطيرةٌ، وقد بنى هؤلاء هذه الشبهة على حادثةٍ رواها الإمام الدارمي، رحمه الله تعالى، في سننه في باب وفاة النبي ﷺ، هذا تفصيلها كاملاً:

"أخبرنا سليمانُ بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال: توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين فَحِبس بقية يومه وليلته والغد حتى دُفِن ليلة الأربعاء، وقالوا: عن رسول الله ﷺ لم يمت ولكن عُرِج بروحه كما عُرِج بروح موسى، فقام عمر فقال: إنّ رسول الله ﷺ لم يمت، ولكن عُرِج بروحه كما عُرِج بروح موسى، والله لا يمت رسول الله ﷺ حتى يقطع أيدي أقوام وألسنتهم. فلم يزل عمر يتكلم حتى أزبد شدقاه مما يوعد ويقول، **فقام العباس فقال: إنّ رسول الله ﷺ قد مات وإنه لبشر، وإنه يأسن كما يأسن البشر. أي قوم، فادفنوا صاحبكم** فإنه أكرم على الله من أن يميته إماتتين أيميت أحدكم إماته ويميته إماتتين، وهو أكرم على الله من ذلك؟ أي قومِ فادفنوا صاحبكم، فإن يك كما تقولون فليس بعزيزٍ على الله أن يبحثَ عنه التراب. إن رسول الله ﷺ والله ما مات حتى ترك السبيل جاً واضحاً، فأحل الحلال وحرم الحرام، ونكح وطَلق وحارب وسالَمَ، ما كان راعي غَنمٍ يتبع ا صاحبها رؤوس الجبال يخبطُ عليها العِضاه بمخبطهِ ويمدر حوضها بيده بأنصب ولا أداب من رسول الله ﷺ كان فيكم. أي قومِ فادفنوا صاحبكم. قال: وجعلت أم أيمن تبكي فقيل لها يا أم أيمن تبكي على رسول الله ﷺ؟ قالت: إني والله ما

---

[1] سورة المائدة: الآية ٦٧.

[2] الخالدي [م. س]، ص ٧١٢، بتصرف.

أبكي على رسول الله ﷺ أنْ لا أكونَ أعلم أنه قد ذهب إلى ما هو خير له من الدنيا، ولكني أبكي على خبر السماء انقطع. قال حماد: خنقتِ العبرةُ أيوب حين بلغ ها هنا"[١].

ولعلّ أبرز عبارةٍ واردةٍ في هذه الرواية ركز عليها الرهبان هو قول العباس رضي الله عنه وأرضاه "إنّ رسولَ الله ﷺ قد مات وإنه يأسن كما يأسن البشر أي قومِ، فادفنوا صاحبكم". ومن الواضح لكلّ ذي فهمٍ سليمٍ أن قول العباس، رضي الله عنه، السابق ليس إخباراً عن أمرٍ قد وقع أو عن وصفٍ لجسد رسول الله ﷺ بعد وفاته. وإنما هو ظن منه بأنّ ما يسري على سائر الأجساد يسري على جسده ﷺ بعد الموت. وقوله هذا ومن دون أدنى شكٍّ يثبت عدم سماعه لقول رسول الله ﷺ "فإن الله عز وجلّ قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء"[٢]. "وقد قال هذه المقولة ترهيباً وتنبيهاً لعمر، رضي الله عنه، حين رفض قبول مصيبة موت رسول الله فضلاً عن دفن جسده الكريم، وصرخ من هول المصيبة متوعداً يقول: إنّ رسول الله ﷺ قد مات.

إذاً جسد رسول الله لم يكن قد أسن، وإنما طالب العباس ـ رضي الله عنه ـ بدفن البدن الشريف إكراماً له وترهيباً من تركه حتى يأسن اعتقاداً منه أن ذلك محتملٌ مع رسول الله ﷺ بحكم بشريته وطبيعته الإنسانية. و"الملاحظُ أيضاً أنّ هذا الحديث مرسلٌ منقطع السند لا يصح ومع ذلك كانت أجابتنا على الشبهة بفرض صحته"[٣].

الشبهة السابعة ودفعها:

كان محمد ضالاً على غير هدى، والقرآن الذي جاء به يشهد على ذلك "وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ "[٤].

- مِن المضحِك في سلوك هؤلاء الرهبان الطاعنين أ م يرجعون للتفسيرات التي لربما وافق بعضها هواهم، فإن لم يجدوا شيئاً من ذلك فإننا نراهم يذكرون النص ولا يوردون تفسيره أبداً. ومن ذلك ذكرهم للآية الكريمة السابقة دون إيراد أيٍّ من أقوال العلماء في تفسيرها. ودورنا هنا يقتصر على إيراد بعض هذه التفسيرات شبه المتطابقة لهذه الآية، ومنها:

---

(١) الدرامي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل، سنن الدارمي، تحقيق د. مصطفى البغا، ج١، ص ٤٢، ٤٣، ط١، ١٩٩١، دار القلم، دمشق. وقد وردت هذه الحادثة في باب (في وفاة النبي) رقم ٨٣، وهو من الأبواب التي وردت في مقدمة الكتاب قبل البدء بكتبه والتي كان أولها كتاب الطهارة.

(٢) انظر أ. القزويني، أبو عبد الله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، رقم الحديث ١٠٨٥، باب رقم ٧٨ (فضل الجمعة) ج١، ص ٣٤٥، ط١، المكتبة العلمية، بيروت.

ب. السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق عادل مرشد وسليم عامر، رقم الحديث ١٠٤٧، ص ١٧٤، ط١، ٢٠٠٣، دار الأعلام، عمان.

(٣) مرسي [م. س]، ص ١٢ بتصرف.

(٤) سورة الضحى: الآية ٧.

١. فسرها الطبري[1] بـ "وجدك في قومٍ ضلالٍ فهداك".

٢. فسرها الزمخشري[2] بـ "ضالاً عن عِلم الشرائع".

٣. فسرها السيوطي[3] بـ "ووجدك بين ضالّين فاستنقذك من ضلالتهم".

٤. وفسرها صاحب التفسير الميسر بـ "ووجدك لا تدري ما الكتاب والإيمان فعلمك ما لم تعلم ووفّقك لأحسن الأعمال".

ونرتأي في معرض حديثنا عن شبهة وفرية ضلال النبي، وما سبق أن ذكره الرهبان الطاعنون سابقاً من ارتكابه للذنوب والمعاصي، نرتأي أن نلفت نظر القارئ الكريم إلى أنّ صدور هذه الا امات ومثلها عن هؤلاء الرهبان أمر غير مستغربٍ أبداً؛ فهم يؤمنون بالكتاب المقدس كله بعهديه القديم والجديد، وبما اشتمل عليه من العجائب والقبائح التي أُلصقت بالأنبياء المذكورين فيه. ولنستعرض منها على سبيل المثال، لا الحصر، ما يلي:

١. كان نوح يشرب الخمر ويسكر ويتعرى! "وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً وشرب من الخمر فَسكَر وتعرى داخل خبائه"[4].

٢. ارتد سليمان في آخر حياته عن عبادة الله تعالى! "وكان في زمن شيخوخة سليمان أنّ نساءه أملن قلبه وراء آلهةٍ أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه"[5].

٣. شرب لوطٌ الخمر وزنا بابنتيه! "فحبلت ابنتا لوطٍ من أبيهما"[6].

ومن المدهش في ايه حديثنا عن فهم هؤلاء للعصمة ولضلالات الأنبياء أن نذكر بما يعتقدونه من ثبوت العصمة "للبابوات"، وهو الأمر الذي لا زال مثار شكٍّ واستهجانٍ إلى يومنا هذا!! ولكي نبرهن على صحة معتقدنا ببطلان عصمة هؤلاء "البابوات" فإننا نسوق بين يدي القارئ الكريم نماذج من مارسات هؤلاء الذين يؤمن الرهبان بعصمتهم في الوقت الذي ينفو ا عن الحبيب المصطفى ﷺ ومنها[7]:

---

[1] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، ا لمد ١٢، ص ١٤٩، ط١، دار المعرفة، بيروت.

[2] الزمخشري،محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التن يل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج٤، ص ٧٦٨، ط١، ١٩٨٦، دار الكتاب العربي، بيروت.

[3] السيوطي [م. س]، ا لمد الثامن، ص ٥٤٤.

[4] التكوين: ٩: ٢٠ – ٢١.

[5] الملوك الأول ١١: ٤، وانظر كذلك ١١: ٥ – ٩.

[6] التكوين: ١٩: ٣٠ – ٣٦.

[7] للتوسع انظر الآرو [م. س]، ص ٩٢٩ فما فوق في مبحث "العصمة البابوية عرضاً ونقداً".

١. حكَم البابا أدريان الثاني بجواز الزواج المدني، ثم جاء بعده البابا بيوس الرابع فحكم ببطلانه.

٢. قال البابا غريغوريوس الأول: إن أي إنسانٍ يرضى بلقب "البابا العالمي" فإنه ضِد المسيح. وجاء بعده البابا بونيافس الثالث فأرغم الإمبراطور على أن يخلع عليه هذا اللقب، وسار على جه من أتى بعده من البابوات. أي أنّ بابوات روما قبل ذلك إنما كانوا يعرفون بأساقفة روما فحسب.

٣. حكم البابا إيوغين الرابع على جان الأركونية بأن تحرق حيةً لأ ا ساحرةٌ، بينما أعلن البابا بندكت الخامس عشر بعد ذلك في عام ١٩١٩م أ ا قديسةٌ!.

٤. أجاز البابا سيكستوس الخامس قراءة كتا م المقدس للعامة، بعد أن منعوا من ذلك منذ عام ١٢٢٩م، ثم جاء بعده بابوات آخرون، وعلى رأسهم البابا بيوس السابع، فمنعوها مرةً أخرى. وحتى اليوم فإن الكنيسة الكاثوليكية لا تجيز للعامة قراءةَ وفهم نصوص العهد القديم والعهد الجديد بمفردهم، وإنْ كان لا بد من اقتناء نسخةٍ منهما فلتكن ـ وجوباً ـ النسخةَ المحشوةَ بتعليقات وتفسيرات الآباء والبابوات!.

٥. وهذا بيوس السابع نفسه يصدر أمره في السابع من أغسطس عام ١٨١٤م بإعادة اليسوعيين إلى حظيرة الكنيسة، بعد أ ن كانت طائفتهم محظورةً محرومةً بأمر من البابا كلمنت الرابع عشر الصادر في الحادي والعشرين من يوليو عام ١٧٧٣م.

الشبهة الثامنة ودفعها:

علم محمد أتباعه بعض العبادات الوثنية، ومن ذلك أنه كان يقبل الحجر الأسود ويعظّمه. وقد ذكر القرآنُ الذي جاء محمد حقيقة عبادة محمدٍ للأوثان والأصنام بقوله: "والرجز فاهجر".

- تكاد هذه الفريةُ تكون أسخف ما اتهم به الرهبان الطاعنون رسولَ الله ﷺ، وهم الذين يعظّمون أصنام المسيح، عليه السلام، وتماثيله وصوره، وتماثيل مريم، عليها السلام، وصورها ويقدسو ا!! أما بالنسبة لقوله تعالى في سورة المدثّر "﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ "[1] فليس فيها ما يدل مِن قريبٍ ولا بعيدٍ على أنه ﷺ كان يعبد الأصنام أو يعظمها. وحتى يتضح تفسير معنى قوله تعالى " والرجز فاهجر" في ذهن القارئ، فمن المستحسن أن نورد بعض ما ذكره المفسرون في تفسيرها ومن ذلك:

---

[1] سورة المدثر: الآيات ١ – ٥.

١. فسرها الطبري[١] بقوله: الرجز: آلهتهم التي كانوا يعبدون [يقصد قريشاً] أمره أن يهجرها فلا يأتيها ولا يقر ا، وقال آخرون: بل معنى ذلك والمعصيةَ والإثمَ فاهجر.

٢. فسرها الزمخشري[٢] بقوله: الرجز هو العذاب. ومعناه: اهجر ما يؤدي إليه عبادة الأوثان وغيرها من المآثم. والمعنى الثبات على هجره، لأنه ﷺ كان بريئاً منه.

٣. وفسرها السيوطي[٣] بقوله: عن ابن عباسٍ قال: والرجز هو الأصنام. والرجز فاهجر: أي أترك المعصية. ثم قال السيوطي عبارةً هامةً في اية ذكره لهذه التفسيرات وهي (وعلى كل تقديرٍ فلا يلزم تلبسه بشيءٍ من ذلك).

ونظن أن ذكر هذا القدر من التفسيرات كافٍ لبيان المقصود من قوله تعالى. ولا ننسى هنا أن واحداً من أبرز الأعمال التي قام ا رسول الله ﷺ عند فتح مكّة قيامه بتحطيم الأصنام التي كانت حول الكعبة المُشرفة فقد "أمر الرسول ﷺ بتحطيم الأصنام وتطهير البيت الحرام منها، وشارك في ذلك فكان يهوي بقوسه إليها فتساقطُ وهو يقرأ " وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا "[٤]. وكانت ستين وثلاثمائة من الأنصاب، ولُطخ بالزعفران صور إبراهيم وإسماعيل وإسحق وهم يستقسمون بالأزلام وكانت هذه الصور داخل الكعبة، وقال: قاتلَهم اللهُ ما كان إبراهيم يستقسم بالأزلام.وفي روايةٍ أن صورة مريم كانت داخل الكعبة أيضاً. ولم يدخل الرسول ﷺ الكعبة إلا بعد أن محيت هذه الصور منها. ثم دخلها فصلّى فيها ركعتين"[٥].

ولا ندري كيف سيفسر لنا الرهبان الطاعنون قيام النبي ﷺ بتحطيم هذه الأوثان في الوقت الذي يتهمونه فيه بعباد ا، حاشاه!!.

ويخبرنا التاريخ الإسلامي أنّ النبي ﷺ لم يكتفِ بتحطيم الأصنام التي كانت موجودةً حول الكعبة، بل إنه قام بإرسال من يقوم بتحطيم أصنام مضر وهذيل "ولا شك أن تطهير البيت من الأصنام كان أكبر ضربةٍ للوثنية في أرجاء الجزيرة العربية، حيث كانت الكعبة أعظم مراكزها، وما أن تم فتح مكة وطُهرت الكعبة حتى أرسل الرسولُ ﷺ خالد بن الوليد إلى نخلة لهدم العزى التي كانت مضر جميعاً تعظّمها فهدمها. وأرسلَ عمرو بن العاص إلى سواع صنم هذيل

---

(1) الطبري [م. س] الجزء ٢٨ – ٣٠، تفسير سور المدثر ص ٩٣.
(2) الزمخشري [م. س] ج٤، ص ٦٤٥.
(3) السيوطي [م. س] ج٤، ص ٧٢٦.
(4) سورة الإسراء: الآية ٨١.
(5) العمري [م. س]، ص ٤٨٣.

فهدمه. وأرسل سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة بالمشلل (ناحية قديد على طريق مكة ـ المدينة) فهدمها، وبذلك أُزيلت أكبر مراكز الوثنية"[١].

نعم لقد ى النبي ﷺ المسلمين عن عبادة الأوثان لأنها شرك بالله تعالى وكُفر به سبحانه، فكانت تلك بدايةً لعهدٍ جديد في حياة الصحابة، رضوان الله عليهم، عهدٍ من التوحيد الخالص لله تعالى، ولقد سجل هذه البداية بحروفٍ من نورٍ جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه، في حواره الشهير مع النجاشي ملك الحبشة عندما سأل المهاجرين الأوائل عند دينهم فقال له جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه: "أيها الملك كُنا قوماً على الشرك، **نعبد الأوثان** ونأكل الميتة، ونسيء الجوار، ونستحِلُ المحارم، بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها، لا نحل شيئاً ولا نحرمه. فبعث الله إلينا نبياً من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته، فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له، ونصل الرحم، ونحسن الجوار، ونصلي ونصوم، ولا نعبد غيره.

ونظن أن هذه الفرية قد اوت بما سلف ذكره وإيراده من النصوص والوقائع.

- **أما عن تقبيل الرسول ﷺ للحجر الأسود** فهو أمر لا ننكره بل نثبته، وقد ذكره الإمام البخاري، رحمه الله تعالى، في صحيحه في كتاب الحج، فقال: حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان بن الأعمش عن إبراهيم عن عابس بن ربيعة عن عمر رضي الله عنه أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال: إنيّ أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك"[٢].

وقد شرح الإمام ابن حجر العسقلاني، يرحمه الله، هذا الحديث في "فتح الباري" فقال: "قال الطبري: إنما قال ذلك عمر لأن الناس كانوا حديثي عهدٍ بعبادة الأصنام فخشي عمر أن يظن الجُهالُ أنّ استلام الحجر من باب تعظيم الأحجار كما كانت العرب تفعل في الجاهلية. فأراد عمر أن يعلّم الناس أن استلامه اتباع لفعل رسول الله ﷺ، لا لأن الحجر ينفع ويضر بذاته كما كانت الجاهلية تعتقده في الأوثان ... وفي قول عمر هذا التسليم للشارع في أمور

---

(1) العمري [م. س]، ص ٤٨٤.

(2) صحيح البخاري [م. س]، كتاب الحج باب ما ذُكر في الحجر الأسود.

الدين وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها، وهو قاعدةٌ عظميةٌ في اتباع النبي ﷺ فيما يفعله ولو لم يعلم الحكمة فيه"[(١)].

ثمّ أنّ هذا الحجر الأسود يختلف عن كلّ أحجار الأرض إذ أنه ليس منها، بل هو من أحجار الجنة، كما أخبرنا رسول الله ﷺ "نزل الحجر الأسود من الجنة أشد بياضاً من الثلج فسودته خطايا بني آدم"[(٢)].

فهو عليه السلام لم يقبله بوصفه وثناً أو صنماً كما فهم الطاعنون من الرهبان. ويشار هنا إلى أنّ تقبيل الحجر الأسود بعد استلامه في الطواف حول الكعبة المشرفة مستحب وليس واجباً. "إذا لو كان الأمر فيه عبادة أصنامٍ وشرك كما يهمز المعترِضون لكان الأمر على الوجوب، فشتان بين من يأتي ذلك طاعةً لله ورسوله معتقِداً أنّ الحجر لا يضر ولا ينفع كما يذكر الحديث الذي ذكرناه، وبين من يقدس الأوثان التي ى الله سبحانه وتعالى عن الاقتراب منها"[(٣)].

لم يكن محمد ﷺ عابداً للأوثان ولا معظماً لها أيها الرهبان الطاعنون، ولكن كنيستكم الكاثوليكية هي التي كانت ولا زالت تمارس طقوس الوثنية من خلال إصرارها على وجوب تقديم المسيحيين للإكرام وسجود الاحترام لصور المسيح، عليه السلام، وأمه مريم عليها السلام، وهما بريئان من ذلك، والله تعالى يشهد، لم يكن محمد وثنياً ولم يأمر أصحابه ولا أتباعه بوضع بقايا أجسادهم وأشلائهم أو جثثهم في المساجد أثناء بنائها كما فعلتم عند بناء الكثير من كنائسكم.

ولربما يكذب مكذب كلامنا هذا فنجيبه بالقول: إرجع إلى قرارات ا مع المسكوني السابع الذي عقِد في مدينة نيقية عام ٧٨٧ للميلاد الذي عقَد ثماني جلسات عملٍ خلال شهرٍ واحدٍ فقط إنتهت "إلى وجوب تكريم وتقديس صور وتماثيل المسيح وأمه مريم وجمع القديسين وذلك بإحناء الرأس لها وتقبيلها وإضاءة الشموع أمامها وحتى السجود لها. كما جاء ذلك في إعلان ا مع أو ما نسميه في الأسلوب الحديث بالبيان الختامي له، فقد قالوا فيه: [... نحدد بكل جزمٍ وتدقيقٍ أنه كما يرفع الصليب الكريم المحيي، هكذا يجب أن تعلق الصور الموقرةُ المقدسة المصبوغةُ بالدهان ... أو من مواد أُخرى في كنائس الله المقدسة، وأن توضع على الأواني المكرسة والحلل الكهنوتية، وأن ترفع

---

(1) العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، شرح كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود ج٣، ص ٥٢٥ دون رقم الطبعـة، ٢٠٠٤، دار الحديث، القاهرة.

(2) صححه الألباني، في السلسلة الصحيحة، ورقمه فيها ٢٦١٨.

(3) مرسي [م. س]، ص ٧٤.

وتعلّق في المنازل وفي الطرق، **ونعني بذلك صورة ربنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح، وصورة سيدتنا الكلية الطهارة والدة الإله، وصورة الملائكة المكرمين، وصور كلّ القديسين، وكلّ الأشخاص الأتقياء ...، ويجب أن يقدم لهذه الصورة الإكرام وسجود الاحترام دون العبادة المختصة بالطبيعة الإلهية دون سواها].** بل ورد في القانون السابع من مجموعة قوانين هذا ا مع ـ وعددها اثنان وعشرون قانوناً ـ وجوب وضع بقايا من سموهم بالقديسين والشهداء (من آباء الكنيسة المتوفين) أو جثثهم في الكنائس أثناء تشييدها أو تدشينها، وأنّ أي أسقفٍ يدشن كنيسةً بدون جثث أو بقايا هؤلاء الآباء يجب عزله لمخالفته تقاليد الكنيسة"[١].

الشبهة التاسعة ودفُعها:

زعم الرهبانُ الطّاعنون،كما زعم أسلافهم من كُفّار قريش سابقاً، أنّ القرآن الكريم من تأليف محمدٍ جاء به من عنده لا من عند الله، وأنّ هذا المؤلف [القرآن] كان نتيجةً لجهدٍ متواصلٍ من جمع ومزج أساطير السابقين.

- يتركّب هذا الادعاء الزائف من جزأين اثنين، كان القرآن الكريم قد أشار إليهما في قوله تعالى على ألسنة كفّار قريش "وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ "[٢]. وقد سجلَ القرآنُ الكريم فرية (لو نشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هـ ـذَا) مرةً واحدةً فقط، بينما سجل فرية (أساطِير الأولين) تسع مراتٍ، والسبب في ذلك كما هو واضح "أنّ أخف المقولتين مؤنةً على النفس هي أكثرهما ذكراً على اللسان. فوصف المنكرين للقرآن بأنه أساطير الأولين لم يكن يكلّفهم أكثر من النطق ذه الفرية. ولذا فقد رددوها كثيراً في مواجهتهم للقرآن. أما دعواهم الإتيان بمثله فكانت تكلفهم ما هو فوق طاقا م جميعاً، وهو الإتيان بمثله فعلاً، ولأ م قد أحسوا بضعفهم أمام هذا الادعاء فإ م لم يكرروا القول به. ففي التكرار تحميلٌ لهم بما ليس في قدر م، وبما فيه إدانةٌ لهم، إذا هم لم يأتوا بمثله، وما هم بفاعلين. ولهذا كله لم تساعدهم أنفسهم على تكرارها وإذاعتها أمام الخصوم"[٣].

---

(1) الآرو [م. س]، ص ٨١٩، ٨٢٠، بتصرف.

(2) سورة الأنفال: الآية ٣١.

(3) المطعني، عبد العظيم إبراهيم، الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي، ص ٥١٧، ٥١٨، بتصرف، ط١، ١٩٨٧، دار الوفاء، السعودية.

وقد تدرج القرآن الكريم في التحدي، فبعد أن كان القدر المطلوب الإتيان بمثل هذا القرآن، حدد في مرحلةٍ لاحقةٍ بالإتيان بعشرِ سورٍ من مثله، ثم حدد أخيراً بالإتيان بسورةٍ واحدةٍ من مثله. ولكن العجز عن الإتيان بذلك ظل قائماً إلى يومنا هذا، وسيبقى إلى يوم الدين، وهذا التحدي هو ذاته الذي نواجه به الرهبان الطاعنين ألا فليأتوا بسورةٍ واحدةٍ من مثله إن استطاعوا.

إنّ هنالك العديد من الملاحظات والأمور والحقائق التي يجدر بمن يزعم أنّ القرآن من عند محمدٍ ﷺ أن يقف عندها، ليدرك من خلالها بطلان هذه الدعوى وهذا الزعم، ومن ذلك ما يلي[1]:

١. إن أسلوب القرآن الكريم يخالف مخالفةً تامةً أسلوب كلام محمد ﷺ، فلو رجعنا إلى كتب الأحاديث التي جمعت أقوالَ محمد ﷺ وقارناها بالقرآن الكريم لرأينا الفرق الواضح والتغاير الظاهر في كل شيءٍ، في أسلوب التعبير، وفي الموضوعات، فحديث محمد ﷺ تتجلى فيه لغةُ المحادثة والتفهيم والتعليم والخطابة في صورها ومعناها المألوف لدى العرب كافّة، بخلاف أسلوب القرآن الكريم الذي لا يعرف له شبيه في أساليب العرب.

٢. إذا افترض الشخص أنّ القرآن الكريم إنتاج عقلٍ بشريّ فإنه يتوقع أن يذكر شيئاً عن عقلية مؤلفه. ولو كانت تلك الادعاءات حقيقيةً فإن أدلة ذلك ستظهر في القرآن الكريم، فهل توجد مثل تلك الأدلة؟ وحتى نتمكن من الإجابة على ذلك فإن علينا معرفة الأفكار والتأملات التي دارت في عقله في ذلك الوقت ثم نبحث عنها في القرآن الكريم.

٣. محمد ﷺ أمي ما درس ولا تعلم ولا تتلمذ، فهل يعقل أنه أتى ذا الإعجاز التشريعي المتكامل دون أي تناقض، فأقر بعظمة هذا التشريع القريب والبعيد، المسلم وغير المسلم؟ فكيف يستطيع هذا الأمي أن يكتب هذا القرآن بإعجازه اللغوي الفريد الغريب وإعجازه التشريعي المتكامل اجتماعياً واقتصادياً ودينياً وسياسياً ... هل يمكن لهذا

---

[1] انظر:

أ. زناتي، أنور محمود، معجم افتراءات الغرب على الإسلام والرد عليها، ص ٢٣٠ – ٢٣٣ باختصار وتصرف. وهذا الكتاب منشور على موقع الكاتب الإلكتروني على شبكة الإنترنت http://anwarzanaty.maktoobblog.com. كما أنه منشور مجزءاً على موقع شبكة ابن مريم الإسلامية ـ عن المسيح الحق وعنوا www.ebnmaryam.com .

ب. النقبي، عبدالله أبو حفص، سلسلة مقالات علمية في مقارنة الأديان، هل القرآن هو كلام محمد؟ منشور على موقع www.maktobblg.com بتاريخ ٢٠٠٨/١١/٢٧.

الكتاب أن يكون من عنده؟! وهل يجرؤ على تحدي ذلك بقوله " أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا "[١] هذا تحدٍّ واضح لغير المسلمين فهو يدعوهم لإيجاد خطأ فيه.

٤. إخبار القرآن بالغيب ووقوعه كما أخبر وفي التوقيت الذي حدد (كما في نصر الروم). لو أن محمداً ﷺ هو الذي كتب القرآن فما الذي يدفعه إلى الجزم بوقوع شيءٍ في المستقبل القريب جداً؟ بل ويحدد له موعداً لا يتجاوزه، ولا يترك التوقيت مفتوحاً كما في قوله تعالى " الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ "[٢]. ماذا لو لم يحدث مثلُ هذا في الموعد المحددِ (بضع سنين) وهو ما لا يزيد عن تسع سنين؟ لو لم يحدث هذا لسقطت مصداقيةُ الدعوة تماماً، ولثبت للعالم أجمع أن هذا القرآن ليس كلام الله. إنه ليس مضطراً أبداً لمثل هذا، لكنه كلام عالِمِ الغيب والشهادة.

٥. لم يرد على لسان النبي ما يشبه القرآن قبل البعثة قال تعالى " فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ "[٣] ألم يكن سيدنا محمد ﷺ يعيش بين قومه قبل البعثة أربعين عاماً، كيف لم يظْهر في كلامه مثلُ هذا القرآن البليغ المذهل، ولو كان قد ظهر من قبل لكان هذا حجةً تلقفها المشركون ولقالوا له، إنه كلامك مذ عرفناك والله ما هو بجديدٍ.

٦. لوم القرآن للنبي محمدٍ ﷺ: إن القرآن نزل في غير موضع يلوم الرسولَ ﷺ ويعاتبه على بعض أفعاله، فهل هو محمد ﷺ الذي يلوم نفسه؟؟

٧. لماذا يؤلف محمد ﷺ القرآن وينسبه إلى غيره؟ فالعظمةُ تكون أقوى وأوضح وأسمى فيما لو جاء بعملٍ يعجز عنه العالمُ كله، ولكان ـذا العمل فوق طاقة البشرية فيرفَع إلى مرتبةٍ أسمى من مرتبة البشر، فأي مصلحةٍ أو غايةٍ لمحمد ﷺ في أن يؤلف القرآن ـ وهو عملٌ جبار معجِز ـ وينسبه لغيره؟

---

[1] سورة النساء، الآية ٨٢.
[2] سورة الروم، الآيات ١ – ٣.
[3] سورة يونس، الآية ١٦.

٨. في القرآن أخبار الأولين بما يغاير أخبارهم في الكتب المتداولة أيام محمد ﷺ، فإن القرآن الكريم يحتوي على معلوماتٍ كثيرةٍ لا يمكن أن يكون مصدرها غير الله. مثلاً: من أخبر محمداً ﷺ عن ذي القرنين وعن سفينة نوحٍ وناقة صالح؟؟!.

نختتم الحديث عن هذه الفرية بقولنا: لقد أخبر القرآن الكريم أنّ أبا لهبٍ سيصلى النار ويكون من أهلها، وقد كان هذا من باب الإعجاز في الإخبار عن غيب المُستقبل. وهنا نتساءل: ألم يكن بإمكان أبي لهبٍ أن يكذب محمداً والقرآنَ الذي جاء به فيعلِن إسلامه، ولو تظاهراً بذلك؟؟ بلى لقد كان بإمكانه ذلك، ولكنه لم يفعل، لماذا؟ لأنّ محمداً لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

الشبهة العاشرة ودفعها:

أخذ محمد الإسلام والقرآن عن مصادر بشريةٍ وبالتحديد من اثنين من أبرز الرهبان والقسيسين آنذاك، وهما ورقة بن نوفل وبحيرا سرجيوس حيث قاما بتعليمه وتلقينه ما يريدان.

- تتكون هذه الشبهة من شقّين، أولهما أنّ محمداً أخذ الإسلام والقرآن عن ورقة بن نوفل وثانيهما أنه أخذه عن الراهب بحيرا سرجيوس.

- **أما عن ورقة بن نوفل** فقد التقى به رسول الله ﷺ بعيد فترةٍ قصيرةٍ من نزول الوحي عليه ﷺ عندما رجع من غار حراء إلى خديجة، رضي الله عنها وأرضاها، ترجف بوادره وقال لها: زملوني زملوني. وقد أخرج الإمام البخاري، رحمه الله تعالى، هذا الحديث في صحيحه كما يلي:

عن عائشة زوج النبي قالت: كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، حبب إليه الخلاءُ فكان يلحق بغار حراءٍ فيتحنث فيه ـ قال: والتحنثُ التعبد ـ الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ... فانطلقت به خديجةُ حتى أتت به ورقة بن نوفل وهو ابن عم خديجة، أخي أبيها وكان امرأً تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، قال ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره النبي (خبر ما رأى)، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أُنزل على موسى. ليتني فيها جذعاً ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك، قال رسول الله ﷺ: "أو مخرجي هم؟" قال ورقة: نعم، لم يأت رجلٌ بما جئت به إلا أُوذي ـ وفي روايةٍ:

عودي ـ وإن يدركني يومك حياً أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم ينشب ورقةُ أن توفي، وفتر الوحي فترةً حتى حزن رسول الله ﷺ [١].

ونقول بعد أن سقنا هذا الحديث الصحيح الذي وضح لقاء النبي ﷺ بورقة بن نوفل لمدة قصيرةٍ جداً ما يلي:

أولاً: إن كان الرهبان الطاعنون يزعمون أنّ محمداً قد سمع وتعلّم من ورقة بن نوفل فليخبرونا على وجه التحديد ما الذي سمعه محمد منه؟ ومتى كان ذلك؟ وأين كان؟؟

ثانياً: خلال ثلاثٍ وعشرين سنةً من نزول الوحي على رسول الله ﷺ لم يلتقِ، عليه السلام، بورقة سوى دقائق معدودةٍ، فالرجلُ مات بعد لقائه حبيبنا المصطفى بفترةٍ قصيرةٍ، وهو لم يعاصِر التسلسلَ الزمني والفعلي للإسلام على مدى هذه الأعوام الثلاثة والعشرين إذ أنه "توفي في أول البعثة، فأين ورقةُ مِن سؤالٍ يسأله المشركون أو اليهود أو غيرهم للرسول ﷺ فنرى الإجابة قد وجدت في حينها وجاء القرآن يشرحها ويحدد موقفه منها كسؤالهم عن الأهلّة وعن الحيض وعن الخمر ... كثيراً ما كان المؤمنون أو اليهود أو المنافقون أو المشركون، يسألون عن أشياء يريدون فهمها أو عن أشياء يريدون تعجيز الرسول وإظهاره بمظهر عدم العارف ليضعِفُوا من شخصيته ومهابته، وكان نزول القرآن مفرقاً يتيح للرسول أن يتلقّى الرد عليهم من جبريل بما يريد الله، ولذلك نجد كثيراً في القرآن (يسألونك) أو (يسألك الناس)، ونجد الرد بعد ذلك. حتى بلغ (يسألونك) نحو خمسة عشر سؤالاً وجهت للرسول في أوقاتٍ متباعدةٍ، ونزل القرآن للرد عليها فأين هو ورقة بن نوفل من هذه الأسئلة؟ أين ورقةُ من أحداثٍ تمّت بعد وفاته وقد تحدثَ عنها القرآن الكريم؟ فليخبرنا هؤلاء الرهبان الطاعنون هل عاصر ورقةٌ غزوةَ الأحزاب التي تحدثَ عنها القرآن الكريم؟ وهل عاصر يوم حنين الذي تحدثَ عنه القرآنُ؟ هل عاصر قصةَ زيد التي تحدث عنها القرآن الكريم؟ هل عاصر حادثةَ الإفك التي تحدث عنها القرآن؟ هل عاصر قدوم وفدِ نجران والدعوة للمباهلة؟"[٢].

ثالثاً: في القرآن الكريم آيات لا توافق عقيدة المسيحية فكيف يكتبها ورقة؟ فعلى سبيل المثال: إذا كان القرآن مصدره ورقة، وورقةُ شخص نصرانيٌ فكيف ينكر القرآنُ صلب المسيح؟

---

(1) صحيح البخاري، [م. س] كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي على رسول الله ﷺ.

(2) يوسف عبد الرحمن، الرد على شبهة أن النبي تلقّى القرآن عن ورقة بن نوفل، مقالة منشورة بتاريخ ٢٠٠٨/٦/٢٤ في موقع www.alhakeah.com

رابعاً: إنّ المشركين من أهل مكة قد دأبوا على أن يجدوا أي صلةٍ أو علاقةٍ تدل على كذب رسول الله ﷺ فيما جاء به عن ربه؛ ولو صح لديهم أو شاع عندهم أنه ﷺ كان يستعين ببعض أهل الكتاب لكانت تلك فرصتهم، وحجتهم القوية على أنه غير صادقٍ فيما جاء به من الوحي. ومن الثابت تاريخياً أنّ ا امات المشركين ـ بمن فيهم اليهود ـ لم يكن فيها [أنّ محمداً استعان بعناصر من أهل الكتاب]، مع أنّ الفرصة أمام اليهود والنصارى كانت سانحةً لهم ليوجهوا له مثل هذا الا ام، أما وإ م لم يفعلوا ذلك ـ مع توافر الدواعي ـ فقد دل هذا على أن هذه المقولة كاذبةٌ، ولا تمت إلى الحقيقة بِصِلةٍ.

ثم على فرض أن هذا الادعاء لم يكن أهل مكة يعرفونه، فمن المفروض أن مصدر الاستعانة ـ لو صح هذا ـ وهم أهل الكتاب كانوا موجودين زمن البعثة المحمدية، بدليل أن بعض وفود أهل الكتاب قد جاءت إلى رسول الله ﷺ، ولم ينقل إلينا التاريخ أن أحداً منهم أعلن أن محمداً أخذ عنهم أو استعان م.

خامساً: لا يملك أي من هؤلاء الرهبان الطّاعنين أدنى دليلٍ على أنّ ورقة بن نوفل كان راهباً أو قسيساً. وإلاّ فليخبرونا عند من درس المسيحية ومن الذي كان يعلّمه إياها؟ وفي أي ديرٍ أو كنيسةٍ؟ ومتى كان ذلك؟ وفي أي بلدٍ؟ وما هي المؤسسة التي كان ينشر المسيحية من خلالها؟ ومن هم الذين تنصروا على يديه ومتى؟؟

سادساً: ولئن كانت هذه القدرات كلها عند ورقة بن نوفل فلماذا لم يعلنها هو؟ لماذا لم يعلن للملأ عن تأليفه لكتابٍ عظيمٍ كالقرآن الكريم؟ ولماذا ترك ا الَ لمحمدٍ ليعلن عنه ويصدع به؟ لماذا ترك هذه الفرصةَ الذهبيةَ للإفصاح عن مواهبه وقدراته؟ ولماذا لم يعلن أنه الأستاذ وأن محمداً كان تلميذاً عنده؟؟ لماذا ولماذا؟؟

إننا نؤكد في هذه الدراسة بكل مسؤوليةٍ وأمانةٍ رجوعنا إلى ما كتبه الرهبان الطّاعنون قديماً وحديثاً حول تلقين وتعليم ورقة بن نوفل الإسلام والقرآن لمحمدٍ ﷺ، فما وجدنا لها أصلاً ولا دليلاً معتمداً في أيّ من الكتب التاريخية المعتمدة. حتى أننا لم نجد اسماً لشخصٍ بعينه أو موعةٍ من الأشخاص تزعم هذه المصادر أ ا أخذت أو روت عنهم هذه الفرية، إذ أنّ الأصل أن تبنى مثل هذه الادعاءات والافتراءات على روايةٍ أو رواياتٍ ولو لشخصٍ واحدٍ عاصر ورقةَ بن نوفل أو رآه أو سمِع منه، مما يثبت أنّ هذه الفرية لا أصلَ لها ولا دليلَ. ومما يثبت كذلك أنها جاءت لاحقةً ومتأخرةً عن عصر ورقة بل وعن عصر صدر الإسلام كلّه.

- **أما عن الراهب** بحيرا **أو سرجيوس** بحيرا كما تسميه المصادر المسيحية فالحديث عنه يطولُ ويطول، وكُنا قد عرضنا في المبحث الثاني من الفصل الأول لهذه الدراسة تلخيصاً لتتبع المؤرخ الألماني لودفيغ هاغمان لفرية تتلمذِ محمد ﷺ على يدا بحيرا الراهب خلال فترةٍ قاربت الأربعمائة سنةٍ، حيث أكدت الكثير من المصادر التاريخية المسيحية هذه الحادثة ووصفت هذا الراهب بإنه نسطوري حيناً وآريوسي حيناً وإبيوني حيناً آخر!!.

أما بالنسبة لورود قصة لقاء رسول الله ﷺ ذا الراهب بحيرا في المصادر الإسلامية فملخصها ما يلي:

قال الإمام الترمذي(١): حدثنا الفضل بن سهل أبو العباس الأعرج البغدادي: حدثنا عبدالرحمن بن غزوان أبو نوح: أخبرنا يونس بن أبي إسحق عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال: خرج أبو طالبٍ إلى الشام وخرج معه النبي ﷺ في أشياخٍ من قريشٍ فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلّوا رحالهم فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت، قال: فهم يحلّون رحالهم فجعل يتخلّلهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ قال: هذا سيد العالمين، هذا رسولُ رب العالمين، يبعثه الله رحمةً للعالمين فقال له أشياخ من قريش: ما علمك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً، ولا يسجدان إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفلَ من غضروف كتفه مثل التفاحة، ثم رجع فصنع لهم طعاماً، فلما أتاهم به وكان هو في رعيه الإبل قال: أرسلوا إليه. فأقبل وعليه غمامةٌ تظلّه فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس مال فيءُ الشجرة عليه، فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مالَ عليه قال فبينما هو قائم عليهم وهو يناشدهم أن لا يذهبوا إلى الروم، فإن الروم إذا رأوه عرفوه بالصفَةِ فيقتلونه .... الحديث".

ولقد ثارت بين العلماء نقاشات مطولةٌ حول مدى صحة هذا الحديث وصلاحيته للاحتجاج به، فمنهم من أنكر صحته ومنهم من حكم عليه بالقبول ونقد بعض متنه، ومنهم من أقر بصحته وصلاحيته للاستدلال به(٢). والذي نميلُ إليه ونأخذ به في هذه الدراسة رأي الأستاذين أكرم ضياء العمري وزياد سليم العبادي؛ فقدخلص الأستاذ العمري بعد دراسة مفصلةٍ لهذه الرواية سنداً ومتناً إلى القول: **ويمكن أن تطمئن النفس** إلى **إثبات سفره ﷺ مع عمه إلى بصرى،وتحذير الراهب** بحيرا **لعمه من يهودٍ والروم بالاعتماد على رواية الترمذي، والاستئناس بالروايات الضعيفة الأخرى.**

---

(١) سنن الترمذي، تحقيق عادل مرشد، أبواب المناقب، باب ٤ – ٥، ص ٧٩٤، ٧٩٥، رقم الحديث (٣٦٢٠) ط١، ٢٠٠١، دار الأعلام، الأردن.

(٢) العمري، [م. س]، ص ١٠٩.

كما خلُص الدكتور العبادي في اية بحثٍ مفصلٍ أعده حول هذه الرواية إلى القول: من خلال بحثي المضني والذي استقرأت من خلاله عشرات الكتب للوصول إلى إجابةٍ شافيةٍ، لحالة حديث بحيرا في ميزان القبول والرد، فإنني أُنبه على ما يأتي:

١. ما تطمئن له نفس الباحث ثبوت قصة بحيرا، وإن كان ثمة نقد لبعض الألفاظ الواردة فيه، ولكنها لا تطيح بالحديث، كما سبق بيانه.

٢. جماهير العلماء أثبتوا صحة الحديث نصاً، أو استشهدوا به في كتبهم مقرين له دون نقدٍ، بل أشار ابن الأثير للإجماع على قبوله، وقد يقَبلُ ذلك منه؛ لأنني لم أجد أحداً سبقه في رد الحديث، وما بين وفاته ووفاة الإمام الذهبي ما يقرب من مائةٍ وأربعين عاماً.

٣. الإمام الذهبي هو من تزعم نقد الحديث، وقد انصب نقده على المتن، وكل من جاء بعده ناقداً للحديث؛ فإنما كان صدى لكلامه دون إضافةٍ هامةٍ.

٤. جميع الشبهات التي أُثيرت حول القصة أمكن الإجابة عنها بما يثبت أصلَها وصحةَ وقوعها، وفي ذلك إثبات جزءٍ هامٍ من سيرة النبي ﷺ [1].

ويستحسن بعد الاستئناس برأي هذين الأستاذين الفاضلين في إثبات وقوع لقاء النبي ﷺ عندما كان صغيراً ببحيرا الراهب، الرد على الرهبان الطاعنين الذين زعموا أنّ محمداً ﷺ قد تلقّن القرآن والإسلام وأخذهما عن هذا الراهب عند لقائه إياه ويتجلّى ردنا على هذه الفرية وأصحا ا فيما يلي:

١. اتفق مؤرخو السيرة النبوية وعلماؤها المختصون ا وبعلوم الحديث الشريف على أنّ النبي ﷺ كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة، فهل يعقلُ أن يتلقّى صبي أمي في سن الثانية عشرة وفي وقتٍ قصيرٍ جداً القرآن كله والإسلام كلّه وأن يفهم التوارة والإنجيل، ثم يقوم بحفظها وتخزينها في ذاكرته ثم يخرجها ويعلن عنها وهو في سن الأربعين؟؟ لعمري إنّ هذا إلا كلام يفترى، وإن هذا إلا عجاب.

٢. لم تتجاوز الفترة التي قضاها هذا الصبي بصحبة عمهِ وبعض رجال قريشٍ مع هذا الراهب فترة التحضير لطعام الغداء وتناولِه والاستراحة بعده، ثم انطلقت قافلة قريشٍ بعيد ذلك تسير من جديد.

---

[1] العبادي، زياد سليم، بحث غير منشور بعنوان (خبر بحيرا الراهب في ميزان النقد الحديث)، الخاتمة.

٣. لو صح أن الصبي محمداً ﷺ قد تعلم عند هذا الراهب بحيرا عند لقائه إياه في بصرى لشاع هذا الأمر واشتهر ولكان معلوماً في الأوساط القُرشية بعد رحلة العودة إلى مكة.

٤. ألصق كفّار قريشٍ بمحمدٍ ﷺ كل أنواع التهم والافتراءات إلا تهمة [إنك تعلمت دينك من الراهب بحيرا] فلو أنها وقعت فعلاً لكانت مستنداً بارزاً لهم في تكذيبه. ونحن نعلم يقيناً أنهم كانوا يتربصون به ويحاولون أن يخلقوا له تهمةً أو شبهةً أو فريةً من لا شيء. كيف لا وهم الذين اتهموه بأنه يعلّمه الفتى الأعجمي النصراني الذي كان عبداً لبعض بني الحضرمي والذي كان رسول الله ﷺ يجلس معه أحياناً؟؟ "وقد كان هذا بياعاً عند الصفا وكان أعجمي اللسان لا يعرف العربيةَ أو أنه كان يعرف الشيء اليسير بقدر ما يرد جواب الخطاب لا بد منه، فلهذا قال الله تعالى: راداً عليهم [على قريش] في افترائهم ذلك ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾[1] أي القرآن، أي فكيف يتعلّم من جاء بهذا القرآن في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة... كيف يتعلم من رجلٍ أعجميّ؟؟"[٢].

لقد اصطنع هؤلاء القرشيون فضيحةً لرسول الله ﷺ لمجرد جلوسه مع هذا العبد الأعجمي واتهموه بأنه هو الذي يعلمه القرآن والإسلام، فلنتخيلْ كيف سيكون الأمر ورد فعلهم لو اشتبهوا مجرد اشتباهٍ بأنّ محمداً ﷺ كان يجلس مع بحيرا ويدرس عنده!!! واضح تماماً أن قريشاً لم تدعِ ذلك مطلقاً.

ولربما يسأل سائلٌ: إن لم تكن قريش، أبداً، قد ادعت بأنّ محمداً أخذ عن بحيرا الراهب وتتلمذَ عليه فمن أين جاءت بعض كتب التاريخ المسيحية بهذا الفرية؟؟؟ إن الرد الصريح الصحيح الذي نذكره في الإجابة عن هذا السؤال هو يوحنا الدمشقي (منصور بن سرجون بن منصور) الذي كان أولَ من دونَ هذه الفرية في مؤلفه الخطير (ينبوع المعرفة) قسم (هرطقة الإسماعيليين) الذي سبقت الإشارة إليه في نهاية المبحث الأول من الفصل الثاني من هذه الدراسة. نعم إنّ ما يبنيه الغرب من أكاذيب وافتراءاتٍ على الإسلام والرسول المصطفى ﷺ إنما هو مصنوع في الشرق أولاً ومن ثم كان انتقاله للغرب.

---

(1) سورة النحل: الآية ١٠٣.

(2) ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، تفسير سورة النحل، الآية (١٠٣)، ج٢، ص ٩٥٦، ط١، ١٩٨٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥. إن فرضنا جدلاً وجود هذا العلم الغزير المدهش كالقرآن وما تضمنه والإسلام وما اشتمل عليه، والتوراة والإنجيل عند بحيرا الراهب فلماذا يا ترى كان هذا الرجل مغموراً ولم يشتهر أمره بين الناس آنذاك؟؟؟ ثم أين موقف الكنيسة من الاهتمام به والترجمة له ولسيرته ولأعماله؟ وأين هي مؤلّفاته؟ وقبل هذا وذاك أين هي سيرته الذاتية من حيث تاريخ الميلاد ومكانه ومؤهلاته العلمية والدينية اللاهوتية؟؟ كلها تساؤلات ستبقى من دون إجاباتٍ. ولكن لماذا؟ لأنّ بحيرا المسكين لم يكن كذلك؛ لم يكن شهيراً ولا عبقرياً ولا أستاذاً ولكن المتحاملين على الإسلام ورسوله الكريم ﷺ حملوه ما لم يكن ليقدر على حمله!!! "أما بالنسبة لمعلوماتنا عن بحيرا فإن المصادر لا تكاد تتفق على شيءٍ بشأنه، بل هي متضاربةٌ في اسمه فمرةً جرجيس وأُخرى جرجس وثالثةً سرجيس ورابعةً معناه العالم المتبحر ومرةً ينسب لقبيلة عبد القيس فهو عبقسي ومرةً هو نصراني وأخرى يهودي"[١]!!!.

الشبهة الحادية عشرة ودفعها:

إنّ من الأدلّة على أنّ محمداً تتلمذ على يد الراهب النسطوري بحيرا **ومن بعده ورقة بن نوفل، اللذين لقّناه القرآن وتعاليم الإسلام وتعاليم التوراة والإنجيل امتلاءُ القرآن الذي جاء به محمد بقصص التوارة والإنجيل، وقصص الأنبياء الواردة فيهما كنوح وإبراهيم وشعيب وموسى وهارون ...**

- تكاد هذه الفريةُ تكونُ أوثق الفريات والشبهات ارتباطاً بسابقتها، بل إنها صادرةٌ عنها ونتيجةٌ لها؛ فالقول بأنّ القرآن الكريم منحولٌ عن التوراة والإنجيل امتداد للقول بأنّ بحيرا وورقة هما اللذان لقنا محمداً تعاليم القرآن والتوراة والإنجيل، وامتداد للقول بأنّ الإسلام هرطقةٌ مسيحيةٌ وأنه مزيج من تعاليم التوراة والإنجيل. وهذا الكلام ليس جديداً علينا فنحن نسمعه يتردد في الأوساط الكنسية الغربية المعاصرة والمواقع الإلكترونية التابعة لها صباح مساء.

ولمّا جاء ذكر قصص الأنبياء على وجه التحديد في هذه الفرية كشاهدٍ على أخذها من التوراة والإنجيل، استلزم الأمر الرد على ما فيها من خلال عقد مقارناتٍ ولو قليلةٍ ما بين القصص القرآني والقصص الكتابي بعهديه القديم والجديد.

ونشير في بداية ردنا على هذه الفرية، بإنها لربما تكون صحيحةً في حالةٍ واحدةٍ فقط، ألا وهي تطابق النصوص والأشخاص والمضامين والأماكن والمُسميات فيها. ولكن هذا مخالف تماماً لواقع الحال، فعلى سبيل المثال نرى

---

[١] العمري [م. س] ص ١١٠، ١١١.

أنّ الإنجيل يروي قصة آلام المسيح وحادثة إلقاء القبض عليه التي انتهت بقتله صلباً، بينما نرى القرآن الكريم يذكر قصة عيسى عليه السلام ومعجزاته وينكِر تمام الإنكار حادثة صلبه وقتله عليه السلام.

كما أننا نرى الكتاب المقدس في بعض نصوصه يرفع المسيح عليه السلام لمرتبة الإله في حين نرى القرآن الكريم يقرر عبوديته لله تعالى، وأنّ مَثَله عند الله كمثل آدم الذي خلقه اللهُ تعالى من ترابٍ ثم قال له كن فيكون. وبينما نقرأ في القرآن قصة سليمان عليه السلام وإيمانه بالله تعالى وتوحيده له نقرأ في التوراة أنّ نساءه الكثيرات أملن قلبه عن توحيد الله وأنه جعل لنفسه آلهةً أُخرى!!!.

وحتى تكون المسألةُ أكثر فاعليةً وجدوى، فإننا سنعمد إلى ذكر ثلاثٍ من القصص المشهورة التي ورد ذكرها في كل من الكتاب المقدس وفي القرآن الكريم ليتبين الأمر من خلالها بشكل أوضح:

أولاً: من خلال مقارنتنا لبشارة زكريا بيحيى عليهما السلام كما وردت في إنجيل لوقا، في إصحاحه الأول في الآيات ٧ – ٢٢ بالبشارة نِفسها كما وردت في القرآن الكريم في سورتي آل عمران ومريم، فإننا نقف على مجموعةٍ هامةٍ من الفروق الجوهرية التي تثبت استحالة أخذ القرآن الكريم لهذه القصة عن الإنجيل. وبيان ذلك ما يلي[١]:

١. في سورة "آل عمران" تقدم على قصة بشارة زكريا بيحيى، قصةُ نذرِ امرأة عمران ما في بطنها خالصاً لله. في حين أنه لم يرد ذِكر لهذا في النص الإنجيلي.

٢. النص القرآني أخبر أن امرأة عمران ولدت أنثى؛ وكانت ترجو أن يكون المولود ذكراً، وهذا أيضاً لم يأتِ له ذِكر في النص الإنجيلي.

٣. ذكر النص القرآنيُ، كفالة زكريا للمولودة "مريم" وأخبر عن وجود رزقها عندها، وبين أنّ مصدر هذا الرزق هو الله. وهذا بدوره لم يرد ذكره في النص الإنجيلي.

٤. ربطَ النص القرآني بين قصة الدعاء بمولودٍ لزكريا، وبين قصة مولودة امرأة عمران. وهذا لا وجود له في النص الإنجيلي.

٥. ذكر النص القرآنيُ دعاءَ زكريا، في حين أننا لا نجد ذكراً لذلك في النص الإنجيلي.

---

(١) هذه المقارنة والمقارنتان التاليتان لها مأخوذتان بالكامل من كتاب حقائق الإسلام في مواجهة المشككين [م. س] قسم (دعوى أن القرآن من الكلام المنقول عـن غيره).

٦. تناول النص القرآني ما رتبه زكريا على هبة الله له ولياً، وهو أن يرثه ويرث من آل يعقوب. بينما لم يرد ذِكر لهذا في النص الإنجيلي.

٧. بين النص القرآني أن السبب الذي حمل زكريا على دعاء ربه، هو خوفه الموالي من ورائه. والنص الإنجيلي خالٍ من هذا تماماً.

٨. صرح النص القرآني بأنّ زكريا أوحى لقومه، بأن يسبحوا بكرةً وعشياً.ولا وجود لهذا في النص الإنجيلي.

٩. ذكر النص القرآنيُ الثناءَ على المولود "يحيى" وبين أنه بار بوالديه، يوم ولادته ويوم موته ويوم بعثه حياً. ولا مقابل لهذا الثناء في النص الإنجيلي.

ثانياً: من خلال مقارنتنا لقصة قابيل وهابيل الواردة في التوراة بالقصة ذا ا الواردة في القرآن الكريم في سورة المائدة، فإننا نقف على فروقٍ هامةٍ تنفي وبكل جلاءٍ ووضوحٍ الزعم بأخذِها من التوراة، وذلك من خلال جدول المقارنة التالي:

القصة كما رو ا التوراة	**القصة كما ذكرها القرآن الكريم**
تسمي أحد الأخوين بقابين وهو "القاتل" والثاني "هابيل" كما تصف القربانين وتحدد نوعهما	لا يسميهما ويكتفي ببنو ما لآدم، كما اكتفى بذكر القربانين ولم يحددهما.
تروي حواراً بين قابين والرب بعد قتله أخيه، وتعلن غضب الرب على قابين وطرده من وجه الرب إلى أرضٍ بعيدةٍ.	لا يذكر حواراً حدث بين القاتل وبين الله، ولا يذكر أنّ القاتل طرده الله من وجهه إلى أرضٍ بعيدةٍ، إذ ليس على الله بعيد.
التوراة تخلو من أي حوار بين الأخوين	يذكر الحديثَ الذي دار بين ابني آدم، ويفصل القول فيما صدر من القتيل قبل قتله و ديده لأخيه بأنه سيكون من أصحاب النار إذا قتله ظلماً.
لا مقابل في التوراة لهذه الرواية ولم تبين مصير جثة القتيل؟!	يذكر مسألة الغراب، الذي بعثه الله ليري القاتلَ كيف يتصرف في جثة أخيه، ويواري عورته.
تنسب الندم إلى "قابين" القاتل لمّا هدده اللهُ بحرمانه من خيرات الأرض، ولا تجعله يشعر بشناعة ذنبه.	يصرح بندم "القاتل" بعد دفنه أخيه وإدراكه فداحة جريمته.
لا هدف لذكر القصة في التوراة إلا مجرد التاريخ. فهي معلومات ذهنية خالية من روح التربية والتوجيه	يجعل من هذه القصة هدفاً تربوياً ويبني شريعة القصاص العادل عليها. ويلوم بني إسرائيل على إفسادهم في الأرض بعد مجئ رسل الله إليهم.

ثالثاً: وآخر هذه القصص الثلاث قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز. وتفاصيل الفروق فيها ما يلي:

القصة كما رو ا التوراة	**القصة كما ذكرها القرآن الكريم**
المراودة حدثت مراراً. ونصح يوسف لامرأة سيده كان قبل المرة الأخيرة	المراودة حدثت مرةً واحدةً، اقترنت بعزم المرأة على يوسف لينفّذ رغبتها.
تخلو من الإشارة إلى تغليق الأبواب وتقول إنّ يوسف ترك ثوبه بجانبها وهرب، وانتظرت هي قدوم زوجها وقصت عليه القصة بعد أن أعلمت ا أهل بيتها	يشير إلى تغليق الأبواب وأن يوسف هم بالخروج، فقدت ثوبه من الخَلف، وحين وصلا إلى الباب فوجئا بالعزيز يدخل عليهما فبادرت المرأة بالشكوى في الحال
لم يكن يوسف موجوداً حين دخل العزيز ولم يدافع يوسف عن نفسه لدى العزيز	يوسف كان موجوداً حين قَدم العزيز، وقد دافع عن نفسه بعد وشاية المرأة، وقال هي راودتني عن نفسي.
تخلو من حديث الشاهد وتقول إنّ العزيز حمي غضبه على يوسف بعد سماع المرأة	يذكر تفصيلاً شهادة الشاهد، كما يذكر اقتناع العزيز بتلك الشهادة ولومه لامرأته وتذكيرها بخطئها. وتثبيت يوسف على العفة والطهارة.
تقول إنّ العزيز في الحال أمر بوضع يوسف في السجن ولم يعرض أمره على رجال حاشيته.	يشير إلى أنّ القرار بسجن يوسف كان بعد مداولةٍ بين العزيز وحاشيته.
تخلو من حديث النسوة اللاتي لُمن امرأة العزيز على مراود ا فتاها عن نفسه، وهي فجوةٌ هائلةٌ في نص التوراة.	يذكر حديث النسوة بالتفصيل، كما يذكر موقف امرأة العزيز منهن ودعو ا إياهن ملتمسةً أعذارها لديهن ومصِرةً على أن ينفّذَ رغبتها.

هذه ستة فروقٍ بارزةٍ بين ما يورده القرآن الكريم وما ذكرته التوراة. والنظر الفاحص في المصدرين يرينا أ ما لم يتفقا إلا في "أصل" الواقعة من حيث هي واقعة وكفى. "ثم إن القرآن والتوراة بعد هذا يختلفان في كل شئٍ، على أنّ القرآن قام هنا بعملين جليلي الشأن:

أولهما: أنه أورد جديداً لم تعرفه التوراة، ومن أبرزها هذا الجديد:

١. حديث النسوة وموقف المرأة منهن.

٢. شهادة الشاهد الذي هو من أهل امرأة العزيز.

ثانيهما: تصحيح أخطاءٍ وقعت فيها التوراة ومن أبرزها:

١. لم يترك يوسف ثوبه لدى المرأة بل كان لابساً إياه ولكنه قُطِع من الخلف.

٢. غياب يوسف حين حضر العزيز وإسقاطها دفاعه عن نفسه"[1].

---

(1) المرجع السابق نفسه.

لقد كانت فرية أخذ محمدٍ ﷺ للقصص القرآني من التوراة والإنجيل واحدةً من الفريات والادعاءات الأكثر إزعاجاً واستفزازاً للمسلمين في الوقت الحاضر، وذلك كما أسلفنا، لأنّ الرهبان الطاعنين لا يملّون من تكرارها وترديدها على الدوام، مما دفع ببعض المفكّرين المسلمين لوضع كتابٍ متخصصٍ في الرد عليها، وقد كان في مقدمة هؤلاء المفكرين الأستاذ عبد الجواد المحص. وقد كان مما دحض به هذا الأستاذ هذه الفرية إيراده للعديد من القصص الذي انفرد به القرآن أو خالف فيه التوراة والإنجيل، ومن ذلك ما يلي[1]:

١. ما جاء في القرآن الكريم من أمر الله الملائكة بالسجود لآدم وامتناع إبليس عن هذا السجود.

٢. ما ورد في القرآن الكريم من قصص إبراهيم الخليل، عليه السلام،مع قومه وتحطيمه لأصنامهم ونظرته في النجوم، وحجاجه مع قومه، ومحاولتهم إحراقه في النار، وإسكانه بعض ذريته عند بيت الله الحرام، واشتراكه هو وابنه إسماعيل في رفع القواعد من البيت وبناء الكعبة.

٣. ما قّصه علينا القرآن الكريم من محاورة بين نوحٍ وابنه الكافر، وعدم ركوب ابنه في السفينة وغرقه، ومحاورة نوح مع الله في ذلك.

٤. ما قّصه القرآنُ الكريم عن خبر سحرة فرعون والتقام العصا، التي انقلبت حيةً، لحبالهم وعصيهم، وسجودهم وإيما م برب هارون وموسى، ومحاور م مع فرعون.

٥. السامري الذي صنع العجل لبني إسرائيل في حين أنّ التوراة تذكر أنه هارون عليه السلام.

٦. ما قّصه القرآن الكريم عن الرجل المؤمن من آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه، ودافع عن موسى حين همّوا بقتله، وذلك الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى فنصح موسى بالخروج من أرض مصر.

٧. القرآن الكريم يذكر أنّ بناتِ الشيخ المديني اثنتان، في حين أن التوراة تذكر أ ن سبع.

٩. أمر الله لقوم موسى بدخول الباب سجداً ومخالفتهم لهذا الأمر.

١٠. قصة أصحاب السبت ومسخهم قردةً بعد أن اعتدوا فيه.

١١. ما قّصه القرآن الكريم من تسخير الله الشجر والطير والحديد لداود عليه السلام.

١٢. تسخير الجن والريح لسليمان عليه السلام.

---

[1] المحص، عبد الجواد، أباطيل الخصوم حول القصص القرآني عرض ومناقشة، ص ٤٦ فما فوق، ط١، ٢٠٠٠، الدار المصرية، مصر.

١٣. قصة الهدهد، وكتاب سليمان لملكة سبأ وإسلامها وإحضار عرشها بلمح البصر مِن قِبل الذي عنده علم الكتاب.

١٤. كلام عيسى في المهد.

ولا ندري بماذا يجيب الرهبان الطّاعنون على ورود هذا العدد الكبير من القصص في القرآن الكريم وعدم وروده في كتا م المقدس؟ ولا ندري كيف يجيب هؤلاء على إمكانية اطلاع بحيرا لمحمدٍ ﷺ على هذا العدد الكبير من القصص والكم الهائل الذي حوته من التفاصيل خلال ساعةٍ من الزمان تناولوا فيها طعام الغداء؟؟

ولمن يتساءلون عن سبب ورود بعض هذه القصص في القرآن الكريم وفي التوراة والإنجيل بالرغم من تباعد الأزمان بينهم نقول: إن ذلك راجع لوحدة المصدر الذي صدرت عنه هذه الكتب الثلاثة ألا وهو الله تبارك وتعالى، الذي أوحى ا إلى أنبيائه ورسله ليبلّغوها أقوامهم، فمنها ما حِفِظَ كما نزل، ومنها ما تعرض للزيادة والنقصان بما كسبته أيدي البعض.

ونلّخص في اية الرد على شبهة وفرية أخذ القرآن للقصص من الكتاب المقدس بالقول: إنّ القرآن الكريم لم يقف ولو في واحدٍ من هذه القصص عند حدود ما ذكره الكتاب في مواضع التشابه بينهما؛ حيث أن القرآن الكريم عرض هذه القصص عرضاً يختلف تماماً عن عرض الكتاب المقدس لها، كما أن القرآن الكريم عرض قصصاً جديدةً لم يعرفها الكتاب المقدس في المواضع المشتركة بينهما. وأخيراً فقد انفرد كتاب الله العزيز بذكر قصصٍ خاصةٍ به لم ترد في أي مصدرٍ سواه.

الشبهة الثانية عشرة ودفعها

نشر محمد دينه بقوة السيف والسلاح، وأجبر الكثيرين على اعتناقه، وبالذات من كانوا يهوداً أو مسيحيين، ثم قام أصحابه الذين حكموا من بعد بالسير على هذا النهج أزماناً طويلةً. وها هو الإسلام في القرن الحادي والعشرين مرتبطٌ ذِكره على الدوام بالعنف والتهديد والإرهاب.

- تحتلُ هذه الشبهة مركز الصدارة في مجال الحرب الإعلامية التي تستهدف تشويه صورة الإسلام قديماً وحديثاً. وقد كان الترويج لها مقدمةً هامةً في حثّ الشعوب الأوروبية لشن الحروب الصليبية على العالم الإسلامي. ونرى في واقعنا المعاصر العديد من البرامج والأفلام المُتلفَزة والسينمائية التي تخصصت في نشر هذه الفرية والترويج لها. حتى بات ذِكر الإسلام، وللأسف، مقترناً في كثيرٍ من الأحيان بالعنف والإرهاب. والفضلُ في ذلك كله راجع، وبكل

تأكيدٍ، لما خطته أيدي الرهبان الطاعنين الذين ساقوا شعو م إلى الموت في الحروب الصليبية دف القضاء على الإسلام.

وهذه الشبهة مركبةٌ من ثلاثة عناصر خطيرةٍ تستلزم منا دقّة الرد، وهي:

١. انتشر الإسلام بقوة السيف والسلاح، وعن طريق الجهاد فقط.

٢. أجبر المسلمون غير المسلمين من اليهود والمسيحيين على الدخول في الإسلام عنوةً.

٣. الإسلام مرتبط بالعنف والتهديد والتخويف (الإرهاب).

- أما بالنسبة لشبهة انتشار الإسلام بقوة السيف والسلاح والجهاد فقط فتدحضها الحقائق التالية:

يطلق لفظ الجهاد غالباً على القتال، مع أنّ القتال ليس سوى صورةٍ واحدةٍ من الصور التي يتجلّى فيها الجهاد وتعبر عنه. فالصبر على الأذى جهاد، والتربية الإيمانية جهاد، والثبات على الابتلاء جهاد، ومجاهدة النفس ومنعها عن الرذيلة والمعاصي جهاد، والتبرع بالمال لتجهيز جيوش المسلمين جهاد وكذا إمدادهم بالمؤونة والطعام والشراب. وإقامة الحجج العقلية والنقلية على غير المسلمين في دعو م للإسلام جهاد. "والجهاد ليس أحد أركان الإسلام الخمسة. وخلافاً للراي السائد في الغرب فهو أيضاً ليس دعامةَ الإسلام المحورية. لكن يظل من واجب المسلمين أن يلتزموا بالنضال على جميع الجبهات، الأخلاقية منها والسياسية والروحية من أجل خلق مجتمعٍ عادلٍ كريمٍ جديرٍ بالاحترام، يعيش فيه الإنسان وفقاً لإرادة الله، ولا يستغل في ظله الفقراء وغير المحصنين. وقد يكون الحرب والقتال ضرورةً في بعض الأحيان، لكن ذلك جزءٌ ثانوي من الجهاد أو النضال. وهناك حديث مروي عن محمد لدى رجوعه من إحدى المعارك حيث قال ما معناه: "لقد عدنا من الجهاد الأصغر، إلى الجهاد الأكبر"، أي أن الجهد الأكثر صعوبة وحسماً هو هزيمة قوى الشر في نفس الإنسان، وفي مجتمع الإنسان في جميع تفاصيل الحياة اليومية"[١].

وهنا نذكر القارئ الكريم بأنّ الأصل في الدعوة إلى الإسلام هو قيامها على قوله تعالى: " ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ "[٢]. وهي دعوةٌ سلميةٌ يقوم المسلمون بنشرها في العالم كلّه دون الوقوف عند حدودٍ جغرافيةٍ أو مكانيةٍ أو زمانيةٍ أو لغويةٍ أو عرقيةٍ.

---

[1] آرمسترونج، سيرة النبي محمد [م. س]، ص ٢٥٣.

[2] سورة النحل: الآية ١٢٥.

فدعوة الإسلام دعوةُ الحق، تصلح للسريان والتطبيق في كل زمانٍ ومكانٍ ولكن هناك الكثير من العقبات والصعوبات والعوائق التي يصنعها أعداء هذا الدين ليجعلوا منها حواجز ماديةً تحول دون وصول دعوة الإسلام إلى الناس، ومن هنا كان الجهاد الوسيلة الأبرز لإزالة هذه العقبات والحواجز وتذليلها، وذلك لضمان وصول دعوة الإسلام للناس، وإعطائهم بالتالي الحرية الكاملة في الاختيار بقبول الإسلام أو رفضه. ولا يصح أبداً إكراههم على قبوله بأي شكلٍ أو صورةٍ، وذلك حتى يكون رضاهم به، إن هم اختاروه، قائماً على الرضى الكامل والقناعة التي لا تتزعزع "وهكذا فإن محمداً لم يفكر في ملكٍ ولا في مالٍ ولا في تجارةٍ وإنما كان كل همّه توفير الطمأنينة لمن يتبع رسالته، وكفالة الحرية لهم في عقيدتهم ككفالتها لغيرهم في عقيدتهم. وهذه الوجهة في التفكير هي التي نزل بها الوحي على محمدٍ منذ الهجرة وهي التي جعلته جنوحاً للسلم راغباً عن القتال مقتصداً طول حياته اشد القصد فيه غير لاجئ إليه إلا لضرورةٍ تقتضيه دفاعاً عن الحرية والدين والعقيدة. ثم ألم تكُن أول آيةٍ في القتال: "أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ "(1) والآية بعدها: "وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ "(2) فتفكير محمدٍ إذاً أنما كان متجهاً لغايةٍ واحدةٍ عليا وهي كفالةُ حرية العقيدة والرأي كفالةً في سبيلها وحدها أُحِل القتالُ ودفاعاً عنها أُبيح دفع المعتدي حتى لا يفُتن أحد عن دينه ولا يظّلم أحد بسبب عقيدته أو رأيه!(3).

ولعمري، لو كان السيف والجهاد هو السبيل الوحيد لنشر الإسلام، كما زعم الرهبان الطاعنون، لارتدت كل القرى والمدن والبلدان التي فتحتها جيوش الإسلام بمجرد رحيل هذه الجيوش عنها، وهذا ما تكذّبه الحقائق التاريخية دون استثناء. ولو كان كلامنا خاطئاً فإننا نتحدى الرهبان الطاعنين أن يأتونا ولو باسم بلدٍ واحدٍ من بلاد غير المسلمين ارتد أهلُه بعد رحيل جيوش الإسلام عنه. و لازالت إسبانيا التي شنت جيوشها حملات الاضطهاد والتنصير ومحاكم التفتيش على المسلمين بعد انهزام الجيوش الإسلامية فيها، لا زالت أصدق شاهدٍ على استمرارية وجود عشرات الآلاف من المسلمين المورسيكيين والإسبان فيها إلى يومنا هذا.

ثمّ لو أننا سلّمنا بصدق مقولة انتشار الإسلام بالسيف فبماذا نعللُ إسلام عشرات الآلاف من الأوروبيين والأمريكيين كل عامٍ في وقتنا الحاضر؟؟ وقد ذهب عن المسلمين جيشهم وتلاشت عزيمتهم وتشتت شملهم ولم تقم

---

(1) سورة الحج، الآية ٣٩

(2) سورة البقرة، الآية ١٩٣

(3) رستم، أسد [م. س]، ج٢، ص ١٥، ١٦، نقلاً عن محمد حسين هيكل في كتاب حياة محمد ص ١٨٦، ١٨٧.

لسيفهم قائمةٌ منذ مئات السنين؟؟ هل دخل هؤلاء الأوروبيون والأمريكيون الإسلام بقوة السيف والسلاح والجهاد؟؟ طبعاً لا. "يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ "[1].

ولو فرضنا جدلاً صحةَ مقولة الرهبان الطاعنين بأنّ الإسلام انتشر قديماً بالسيف والسلاح والجهاد فقط، عن طريق جيوشه الجرارة فبماذا يجيبنا هؤلاء على انتشاره في عشرات الدول والبلدان التي لم تدخلها جيوش المسلمين ولم تصلها قطّ كالصين وماليزيا واندونيسيا ونيجيريا والهند ...؟؟؟

وللمصممين من هؤلاء الطاعنين على السؤال عن غايات الجهاد والهدف من تـشريعه إن لم يكـن لنـشر الإسلام بالقوة، نقول: إنّ القتال في الإسلام ليس محبوباً ولا مطلوباً لذاته، وهو أمر تكرهه النفوس وتـستثقله، قـال تعـالى: "كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ "[2].

ولئن كان القتال مما تكرهه النفوس، ولئن كان غير مطلوبٍ لذاته، فقد شرع لفوائد وحكمٍ كثيرةٍ نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر الفائدتين التاليتين:

أولاً: الدفاع عن المظلومين والمُستضعفين في الأرض من المسلمين. ولعل هذا واضح تمام الوضوح في قوله تعالى " وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا "[3].

"فقد أمر الله تعالى المسلمين أن يقاتلوا دفاعاً عن مستضعفين مؤمنين كانوا بمكّةَ ولا يستطيعون أن يخرجـوا منها. قال ابن عباس: كُنت أنا وأمي من المُستضعفين"[4].

---

(1) سورة التوبة: الآية ٣٢.

(2) سورة البقرة: الآية ٢١٦.

(3) سورة النساء: الآيتان ٧٥، ٧٦.

(4) السيوطي [م. س] ج٢، ص ٥٩٣.

ثانياً: حمايةُ الإسلام، ومنع فتنة المسلمين والاعتداء عليهم في دينهم. فالتاريخ والحاضر يخبراننا أن أمة لا تـستطيع أن تحفظ كرامتها وتصون عقيد ا وتحمي بلادها وأبناءها دون أن تملك قوةً تكفل لها ذلك. والجهاد في ديننا إنمـا يمثلُ ويجسد هذه القّوة، قال تعالى: " وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ "[1]

"عن نافعٍ أنّ رجلاً أتى ابن عمر فقال: ... كان الإسلام قليلاً وكان الرجلُ يفتن في دينه إما قتلوه أو عـذبوه حتى كثُر الإسلام فلم تكن فتنة"[2].

ويثبت صحة ما ذهبنا إليه من سلمية الدعوة إلى الإسلام أنّ رسول الله ﷺ لما دخل مكّة فاتحـاً علـى رأس جيشٍ يفوق العشرة آلافٍ من المقاتِلين، عفا عن أهلها الذين ظلموه وعذّبوه وعذّبوا أصحابه وأخرجوهم من ديـارهم بقوله: "اذهبوا فأنتم الطلقاء" مع أنّ الغالبية العظمى من هؤلاء (الطلقاء) كانوا على شركهم وكفرهم آنذاك.

إنّ سلمية الدعوة إلى الإسلام وكراهية القتال والحرص على دعوة الناس بالحكمة والموعظة الحَسنة يشهد له الأمران التاليان:

أولاً: ى النبي ﷺ عن قتل النساء والصبيان والشيوخ. روى الإمام مسلم عن ابن عمر قال: "وجدت امرأةٌ مقتولةٌ في بعض مغازي رسول الله ﷺ، **فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان**"[3]. وأخرج ابن أبي شيبة عـن أنسٍ قال: "كنا إذا استنفرنا نزلنا بظهر المدينة حتى يخرج إلينا رسولُ الله ﷺ فيقول: **انطلقوا باسـم الله وفي سبيل الله تقاتلون أعداء الله، لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً صغيراً ولا امرأة ولا تغلّوا**"[4].

إننا نذكر هذا الحديث الشريف، فيما يقابله على الطرف الآخر ما يزيد على خمسة عشر نـصاً صـريحاً في العهد القديم تبيح كلها، بل توجب أحياناً، قتل النساء والأطفال والرجال الشيوخ من غير بني إسرائيل. ونذكر منـها على سبيل المثال ما يلي:

١. "وقال له الرب اعبر في وسط المدينة في وسط أورشليم وسِم سمةً على جباه الرجال الذين يئنون ويتنهدون على كل الرجاسات المصنوعة في وسطها (٥) وقال لأولئك في سمعي اعبروا في المدينة وراءه واضربوا، لا تشفِق أعيـنكم

---

[1] سورة الأنفال: الآية ٣٩

[2] السيوطي [م. س]، ج١، ص ٤٩٧.

[3] صحيح الأمام مسلم [م. س]، كتاب الجهاد والسير، باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب.

[4] السيوطي [م. س]، ج٢، ص ٤٩٣.

ولا تعفوا (٦) الشيخ والشاب والعذراءَ والطفلَ والنساءَ اقتلوا للهلاك. ولا تقربوا من إنسانٍ عليه السمة وابتدئوا من مقدسي فابتدأوا بالرجال الشيوخ الذين أمام البيت (٧) وقال لهم نجسوا البيت واملأوا الدور قتلى اخرجـوا فخرجوا وقُتِلُوا في المدينة"[١].

٢. "اذهبوا واضربوا سكّانَ يابيش جلعاد بحد السيف مع النساء والأطفال (١١) وهذا ما تعلمونه تحرمون كل ذكـرٍ وكل امرأةٍ عرفت اضطجاع ذكر"[٢].

٣. "وتحطم أطفالهم أمام عيونهم وتنهب بيوتهم وتفْضح نساؤهم"[٣].

٤. "تجازى السامرةُ لأنها تمردت على إلهها، بالسيف يسقطون تحطم أطفالُهم والحواملُ تشق"[٤].

ثانياً: تميزت حروب النبي ﷺ بخلّوها من الدموية، والرغبةِ في الثأر والانتقامِ والعمل المقصود على إبادة الـشعوب أو القرى أو المدن. كما تميزت بقلّة عدد شهداء المسلمين وقلّة عدد قتلى المشركين في المعارك التي خاضوها ضد رسول الله ﷺ. وذلك على العكس تماماً من الحروب والمعارك التي ذكر الكتاب المقدس أن أنبياء وملوك بـني إسرائيل قد خاضوها وأبادوا فيها الكثير من القبائل والمدن والقُرى، وذلك، كما يزعمون، بأمرٍ من الرب[٥].

ونشير هنا إلى الجهود المُضني الذي يستحق كل الثناء والتقدير الذي قام به الأستاذ الدكتور راغب السرجاني في دراسته التي عنونَ لها بـ "عدم دموية الحروب النبوية"[٦]، وكان من خلاصة هذه الدراسة القيمة ما يلي:

"لقد بلغ عدد شهداء المسلمين في كل معاركهم أيام رسول الله ﷺ، وذلك على مدار عشر سنواتٍ كاملةٍ، ٢٦٢ شهيداً، وبلغ عدد قتلى أعدائه ﷺ ١٠٢٢ قتيلاً. وقد حرصت في هذه الإحصائية على جمع كُل من قُتـلَ مـن الطرفين حتى ما تم في حوادث فردية. وليس في حروب مواجهةٍ، كما أنني حرصت على الجمع من الروايات الموثّقـةِ بصرف النظر عن الأعداد المذكورة، وذلك كي أتجنب المبالغات التي يقع فيها بعض المحققين بإيراد الروايات الـضعيفة

---

[١] حزقيال: ٩: ٤ – ٧.

[٢] القضاة: ٢١: ١٠ – ١١.

[٣] اشعياء: ١٣: ١٦.

[٤] هوشع: ١٣: ١٦.

[٥] للوقوف على تفاصيل هذه المعارك والإبادات انظر سفر المزامير.

[٦] السرجاني، راغب، عدم دموية الحروب النبوية، دراسة منشورة على الإنترنت في الموقع الإلكتـروني للمركـز العـالمي للتعريـف بالرسـول ﷺ ونـصرته / www.mercyprophet.org.

التي تحمل أرقاماً أقل، وذلك لتجميل نتائج الحروب النبوية! وبذلك بلغ العدد الإجماليّ لقتلى الفريقين ١٢٨٤ قتـيلاً فقط!!!

ولكي لا يتعلل أحد بأن أعداد الجيوش آنذاك كانت قليلة ولذلك جاء عدد القتلى على هذا النحو، فـإنني قمت بإحصاء عدد الجيوش المشتركة في المعارك، ثم قمت بحساب نسبة القتلى بالنسبة إلى عدد الجيوشن فوجدت مـا أذهلني!! إن نسبة الشهداء من المسلمين إلى الجيوش المسلمة تبلغ ١% فقط، بينما تبلغ نسبة القتلى من أعداء المسلمين بالنسبة إلى أعداد جيوشهم ٢%! وبذلك تكون النسبة المتوسطة لقتلى الفريقين هي ١,٥% فقط!.

إنّ هذه النسب الضئيلة في معارك كثيرةٍ بلغت ٢٥ أو ٢٧ غزوة، و٣٨ سرية، أي أكثر من ٦٣ معركـة، لَمِن أصدق الأدلة على عدم دموية الحروب في عهده ﷺ"[1].

ونضع بين يدي القارئ الكريم بعض الحقائق التاريخية التي تحفظُها ذاكرة التاريخ والحاضر التي رواها "ريمون داغويليه" الذي كان واحداً من المقاِتلين في الجيوش الصليبية التي احتلت القدس في الخامس عشر من شهر تموز عـام ١٠٩٩م، والذي وثّقت الكثير من المصادر التاريخية المسيحية روايته على أ ا روايةُ شاهدٍ عيانٍ على دخـول جيـوش الصليبيين إلى القدس. وروايته هي التالية[2]: [وشاهدنا أشياءً عجيبةً، إذا قطعت رؤوس عددٍ كبيرٍ من المسلمين، وقُتل غيرهم رمياً بالسهام، أو أُرغموا على أن يلقوا بأنفسهم من فوق الأبراج. وظلّ بعضهم الآخر يعذبون عدة أيـامٍ، ثم أُحرقوا في النار. وكنت ترى في الشوارع أكوام الرؤوس والأيدي والأقدام، وكان الإنسان أينما سار فوق جواده يسير بين جثث الرجال والخيل. بيد أن هذا كله لا يعد شيئاً بالمقارنة مع ما حصل في هيكل سـليمان [يقـصد المـسجد الأقصى المبارك] حيث تقام عادةً خدمة القداس. فماذا حصل هناك؟ أخشى إن انا أخبرتكم بالحقيقة أن لا تـصدقوها لذلك حسبي أن أقول لكم على الأقل إنه في هيكل سليمان [يقصد المسجد الأقصى المبارك] ورواقه غـاص الرجـال حتى الركَب وأعنة الخيل في الدماء. **وقد كان حكماً إلهياً عادلاً ورائعاً أن يمتلئ هذا المكان بدماء الملحدين، وهـو**

---

(1) المرجع السابق نفسه.

(2) انظر:

أ. ديورانت [م. س]، ا لمد الرابع من الجزء الرابع الباب ٢٣، الفصل الأول، الحروب الصليبية، ص ٢٥.

ب. آرمسترونج، الحرب المقدسة [م. س] ص ٢٣١، ٢٣٢ بتصرف.

ج. الفرا [م. س] ص ٣١ – ٣٣.

د. زابورف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص ١٢٢، ١٢٣.

هـ. حبشي، حسن، الحرب الصليبية الأولى، ص ١٧٩.

الذي عانى طويلاً من تجديفا م وتدليسا م. لم تكن تلك المقتلةُ مجرد معركةٍ عاديةٍ من معارك الفتوحات، فقد هجم الصليبيون على مسلمي بيت المقدس وأعملوا في رقا م السيف كأ م ملائكةُ الانتقام في سفر الرؤيا. كان ذلك حكماً أصدره الرب بذاته. وكان خلاصاً يشبه الخلاص الذي اجترحه الرب في البحر الأحمر حين فتك بجيش المصريين عن بكرة أبيه. بل كان فصلاً عنيفاً وقاطعاً ما بين العدل والظلم لقد أضحت الحملة الصليبية بحقٍّ حرباً مقدسةً. والرحلة المقدسةُ انتهت بمعركة الخير ضد الشر، أباد فيها جنود المسيح زهاء ٤٠ ألفاً من المسلمين في ظروف يومين..].

إنّ مرض فقدان الذاكرة المؤقّتِ عاد ليلازم الرهبان الطاعنين في هذا الفصل من جديدٍ، فهم يكبرون ويضخمون قضية الجهاد والسيف في الإسلام وينسون، بل يتناسون تماماً، قضية الحرب المقدسةِ (أو الحرب العادلة) والسيف في المسيحية. "وكان القديس أوغوسطينوس قد أجاز الجهاد في سبيل الله، فتبعه البابا لاوون الرابع (٨٤٧ – ٨٥٥) فأكد الثواب لمن يسقط مدافعاً عن الكنيسة. وجاء يوحنا الثامن (٨٧٢ – ٨٨٢) فاعتبر ا اهدين شهداء. وأباح البابا نيقولاووس الأول (٨٥٨ – ٨٦٧) حملَ السلاح في وجه الكَفَرةِ لكل من أخطأ ووقع تحت الحرم. ولم يعبأ الآباء الغربيون باجتهاد باسيليوس الكبير وامتناعه عن مناولة المحاربين ثلاث سنواتٍ متتاليةٍ فحضوا المؤمنين على حمل السلاح في وجه المسلمين. ومنح البابا الكسندروس الثاني الغفران لجميع ا اهدين في إسبانية وشجع غريغوريوس السابع في السنة ١٠٨٠ حملة غوي جوفروا على إسبانية. وحذا حذوه أوربانوس الثاني فحض حجاج القبر المقدس على استبدال الحج بالعمل المثمر لتحرير إسبانية من المسلمين وإعادة بنائها.

وهكذا فإنه عندما دعا الوفد البيزنطي الآباءَ إلى التعاون في سبيل الدفاع عن الكنيسة الجامعة في الشرق كانت فكرة الحرب المقدسة قد ظهرت إلى حيز الوجود في الغرب وكانت الكنيسة الغربية قد باركتها ونشطتها. فوقع نداء الشرق في نفس أوربانوس الكبيرة موقعاً جليلاً. وأطرق يفكّر، فمرت مواقف أسلافه أمام عينيه مرور البرق فصمم أن يقدم للمسيحية في الشرق أكثر بكثيرٍ مما طلب وفد اليكسيوس الفسيلفس"[1].

وقد سبق لنا في هذه الدراسة الوقوف طويلاً عند كيفية تشريع القديس أوغسطين للحرب المقدسة (الحرب العادلة) في المسيحية وتطوير توما الأكويني لها ووضعه للشروط الخاصةِ ا[2].

---

[1] رستم، أسد، [م. س]، ص ٢٤٧، ٢٤٨.

[2] انظر المبحث الرابع من الفصل الأول من هذه الدراسة للوقوف على التفاصيل.

ونرى من المناسب في نهاية دحضنا لشبهة انتشار الإسلام عن طريق السيف والسلاح والجهاد، أن نسوق شهادةً لواحدٍ من أبرز الدارسين المسيحيين للإسلام، ألا وهو الدكتور غوستاف لوبون لنرى ماذا يقول عن انتشار الإسلام بالسيف والسلاح والجهاد ... لقد ضمن لوبون رأيه الصريح في هذا الموضوع في كتابه "حضارة العرب" حيث كانت خلاصة ذلك ما يلي:

"وسيرى القارئ، حين نبحثُ في فتوح العرب وأسباب انتصاراتهم، أن القوة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن "الإسلام"، فقد ترك العرب المغلوبين أحراراً في أديانهم، فإذا حدث أن اعتنق بعض الأقوام النصرانية الإسلام واتخذوا العربية لغةً لهم فذلك لما رأوا من عدل العرب الغالبين ما لم يروا مثله من سادتهم السابقين، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم يعرفوها من قبل.

وقد أثبت التاريخ أنّ الأديان لا تفرض بالقوة، فلما قهر النصارى عرب الأندلس فضل هؤلاء القتلَ والطرد عن آخرهم على ترك الإسلام ... لم ينتشر الإسلام بالسيف إذن، بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التي قهرت العرب مؤخراً كالترك والمغول. وبلغ القرآن من الانتشار في الهند، التي لم يكن العرب فيها غير عابري سبيل ما زاد معه عدد المسلمين على خمسين مليون نفْسٍ فيها، ولم يكن القرآن أقل انتشاراً في الصين التي لم يفتح العرب أي جزءٍ منها قط"[(١)].

"وكانت أخلاق العرب في أدوار الإسلام الأولى أرقى كثيراً من أخلاق أمم الأرض قاطبةً، ولا سيما الأمم النصرانية ، وكان عدلهم واعتدالهم ورأفتهم وتسامحهم نحو الأمم المغلوبة ، ووفاؤهم بعهودهم ونبل طبائعهم مما يستوقف النظر ويناقض سلوك الأمم الأخرى، ولا سيما الأمم الأوروبية أيام الحروب الصليبية ... الحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا ديناً مثل دينهم"[(٢)].

- أما عن شبهة إجبار غير المسلمين على الدخول في الإسلام فتدحضها وترد عليها الحقائق التالية:

---

(1) لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، عيسى البابي الحلبي، ص ١٢٥ – ١٢٩ بتصرف، واختصار ط٢، ١٩٥٦، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

(2) المرجع السابق نفسه ص ٤٢٩، ٤٣٠، بتصرف.

أولاً: قوله تعالى: " لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ "[(1)]. وقد جاء في سبب نزول هذه الآية الكريمة ما يفسرها ويوضح المقصود منها والحكم الذي تدل عليه ألا وهو عدم جواز إكراه وإجبار غير المسلمين على الدخول في الإسلام. "أخرج ابن اسحق وابن جرير عن ابن عباس في قوله " لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ " قال: نزلت في رجلٍ من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين، كان له ابنان نصرانيان، وكان هو رجلاً مسلماً، فقال للنبي ﷺ ألا أستكرههما فإنهما قد أبيا إلاّ النصرانية، فأنزل الله فيه ذلك.

وأخرج عبد بن حميد عن عبد الله بن عبيدة "أنّ رجلاً من الأنصار من بني سالم ابن عوف كان له ابنان تنصرا قبل أن يبعثَ النبي ﷺ، فقدما المدينة في نفرٍ من أهل دينهم يحملون الطعام، فرآهما أبوهما فانتزعهما وقال: واللهِ لا أدعهما حتى يسلما، فأبيا أن يسلما، فاختصموا إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر؟ فأنزل الله " لا إكْراه في الدين" الآية. فخلى سبيلهما"[(2)].

ثانياً: قوله تعالى: " فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ۝٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ "[(3)]. فقد وضحت هذه الآية الكريمة وظيفةَ الرسول ﷺ وهي دعوة الناس إلى الإيمان بالله تعالى دون أي نوعٍ من الإكراه أو الإجبار وقد جاء في تفسيره هذه الآية الكريمة ما يلي:

"أي فذكر يا محمد الناس بما أرسلت به إليهم "فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب" ولهذا قال " لست عليهم بمصيطرٍ"، قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما "لست عليهم بجبارٍ" أي لست تخلق الإيمان في قلوبهم. وقال ابن زيدٍ لست بالذي تكرههم على الإيمان"[(4)].

ثالثاً: مجيء عشرات الوفود من القبائل العربية وعلى رأسها سادتها وزعماؤها طواعيةً إلى المدينة المنورة لمقابلة الرسول ﷺ وإعلان إسلامهم في العام التاسع للهجرة والذي سمي بسبب ذلك عام الوفود

---

(1) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.
(2) السيوطي [م. س]، ج٣، ص ٢١.
(3) سورة الغاشية: الآيتان ٢١، ٢٢.
(4) ابن كثير، [م. س]، ج٤، ص ٨٣٦.

رابعاً: استقبال النبي ﷺ لوفد نصارى نجران الذي "كان يتكون من أشرافهم وسادا م وعلى رأسهم عبد المسيح وأبـو الحارث بن علقمة، وقد دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام وتلا عليهم القرآن فامتنعوا"[1]. وقرروا البقاء علـى دينهم وصالحهم النبي ﷺ على أن يدفعوا الجزية وأرسل معهم أبا عبيدة عامر بن الجراح لتحصيلها.

خامساً: إن كان المسلمون قد أجبروا غيرهم على الدخول في الإسلام فبماذا نعللُ وجـود عـشرات الآلاف منـهم يعيشون في بلاد المسلمين وبين ظهرانيهم في سلامٍ وأمانٍ منذ صدر الإسلام حتى يومنا هذا؟؟

سادساً: يدحض هذا الفريةَ كتاب رسول الله ﷺ لأهل نجران النصارى. وهذه مقتطفات من أبرز ما ورد فيه[2]: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما كتب محمد النبي رسول الله ﷺ لأهل نجران ـ إذ كان عليهم حكمه ـ في كـلّ ثمرةٍ وفي كلّ صفراء وبيضاء ورقيق، ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمةُ محمدٍ النبي رسول الله علـى أمـوالهم وأنفسهم وأرضهم وملّتهم وغائبهم وشاهدهم وعشير م وبِيعِهم وكل ما تحت أيديهم من قليلٍ أو كـثير، لا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته وليس عليه دنيةٌ. ولا دم جاهليـةٍ، ولا يخسرون ولا يعسرون ولا يطأ أرضهم جيش. ومن سأل منهم حقاً فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلـومين. ومن أكل ربِاً من ذي قبلٍ فذّمتي منه برئيةٌ. ولا يؤخذُ رجلٌ منهم بظلمِ آخر وعلى ما في هذا الكتاب جوار الله وذمةُ محمدٍ النبي رسول الله أبداً حتى يأتي الله بأمره، ما نصحوا وأصلحوا ما عليهم غير منفلتين بظلمٍ. شهد أبو سفيان بن حرب وغيلان بن عمرو ومالك بن عوف من بني نصر والاقرع بن حابس الحنظلي والمغـيرة بـن شعبة. وكتب لهم هذا الكتاب عبد الله ابن أبي بكر".

سابعاً: ويدحض هذه الفريةَ كتاب خليفة رسول الله ﷺ أبي بكرٍ الصديق لنصارى نجران بعد وفـاة رسـول الله ﷺ. وهذه مقتطفات من أبرز ما ورد فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما كتب به عبد الله أبو بكر خليفة محمدٍ النبي رسول الله ﷺ لأهل نجران، أجارهم بجوار الله وذمة محمدٍ النبي رسول الله ﷺ على أنفـسهم وأرضـيهم وملّتهم وأموالهم وحاشيتهم وعباد م وغائبهم وشاهدهم وأساقفتهم ورهبا م وبِيعِهم، وكل ما تحت أيـديهم من قليلٍ أو كثيرٍ. لا يخسرون ولا يعسرون، ولا يغير أُسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته وفـاءً لهـم بكل ما كتب لهم محمد النبي ﷺ. وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله وذمةُ محمدٍ النبي ﷺ أبـداً. وعلـيهم

[1] صحيح البخاري [م. س] كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، ص ١٠٩، ١١٠ بتصرف.
[2] القاضي أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج، ص ٨٥، ٨٦، ٨٧، بتصرف، ط١، ١٩٢٧، المطبعة السلفية، القاهرة.

النصح والإصلاح فيما عليهم من الحق. شهد المستورد بن عمرو أحد بني القين وعمرو مولى أبي بكر وراشد بن حذيفة والمغيرة وكتب"[1].

وقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عهد ولايته كتاباً مشا اً لهذا الكتاب لنصارى نجران.

ثامناً: ويبلغ التسامح مع غير المسلمين الذين يعيشون في كنف ديار الإسلام قمته في موقفٍ لعمر بن الخطاب، رضي الله عنه، عندما مر بعجوزٍ يهوديٍّ ضريرٍ لا يقدر على الكسب وجعل له من بيت المال سهماً. "مر عمر، رضي الله عنه، بباب قومٍ وعليه سائلٌ يسأل: شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفهِ وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي. قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن. قال: فأخذ عمر بيده وذهب به إلى م له فرضخ له بشيءٍ من الم ل. ثم أرسلَ إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم "إنما الصدقات للفقراء والمساكين" والفقراء هم المسلمون وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه"[2].

تاسعاً: وهذا جزأٌ من كتاب سيف الله المسلول خالد بن الوليد، رضي الله عنه، للنصارى من أهل الحيرة وكان عددهم ستة آلاف رجلٍ آنذاك. ذكر فيه رفضهم الدخول في الإسلام وطلبهم المصالحة على ما صالحَ عليه غيرهم من أهل الكتاب في إعطاء الجزية ثم قال: "... وإني دعوتهم إلى الله وإلى رسوله فأبوا أن يجيبوا، فعرضت عليهم الجزية أو الحرب فقالوا: لا حاجة لنا بحربك، ولكن صالِحنا على ما صالحت عليه غيرنا من أهل الكتاب في إعطاء الجزية .. وشرطت عليهم أن عليهم عهد الله وميثاقه الذي أخذ على أهل التوراة والإنجيل: أن لا يخالفوا ولا يعينوا كافراً على مسلمٍ من العرب ولا من العجم. ولا يدلّوهم على عورات المسلمين، عليهم بذلك عهد الله وميثاقه الذي أخذَه اشد ما أخذه على نبيٍّ من عهدٍ أو ميثاقٍ أو ذمةٍ ... وجعلت لهم أيما شيخٍ ضعف عن العمل أو أصابته آفةٌ من الآفات أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طُرِحت جزيته وعِيلَ من بيت مال المسلمين وعياله، ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام. فإن خرجوا إلى غير دار الهجرة ودار الإسلام فليس على المسلمين النفقة على عيالهم"[3].

---

(1) المرجع السابق، ص ٨٧.

(2) المرجع السابق، نفسه، ص ١٥١.

(3) المرجع السابق نفسه، ص ١٧٢، بتصرف.

عاشراً: وحتى يكون آخر القول أحسنه في نهاية ردنا على شبهة وفرية إجبار المسلمين لغيرهم على الدخول في الإسلام، فإننا نسوق وبكل فخرٍ واعتزازٍ عهد الأمان الذي أعطاه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، للنصارى من أهل القدس عندما أكرمه اللهُ تعالى بدخولها فاتحاً لها فتحاً سلمياً، ومؤمناً لهم على أرواحهم وأموالهم وممتلكاتهم ودور عباداتهم. "بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان؛ أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملّتها؛ أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيءٍ من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود. وعلى أهل إيلياء أن يعطُوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرِجوا منها الروم واللصوت؛ فمن خرج منهم فإنه آمِن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم؛ ومن أقام منهم فهو آمن؛ وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب مِن أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلّي بِيعهم وصلُبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم. ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فَمن شاء منهم قعدوا، عليه مِثلُ ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم؛ ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذُ منهم شيءٌ حتى يحصد حصادهم. وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمةُ رسوله وذمةُ الخلفاء وذمةُ المؤمنين إذا أعطُوا الذي عليهم من الجزية. شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاويةُ بن أبي سفيان، وكتب وحضر سنة خمس عشرة"[(١)].

لقد عرِفَت هذه الوثيقةُ وهذا العهد في التاريخ باسم العهدة العمرية، وهي كبير وخير شاهدٍ على تسامح المسلمين وقدرتهم على استيعاب الآخر والتعايش معه دون إكراهه أو إجباره على ترك دينه واعتناق دينهم.

إن الرهبان الطاعنين لمطالَبون أمام أنفسهم وضمائرهم والتاريخ والحاضر بعقد مقارنةٍ بين فعل الفاروق صاحب أقوى جيشٍ على الأرض آنذاك وبين فعل جيوش الصليبيين الذين دخلوا القدس وفعلوا فيها الأفاعيل من الذبح والقتل وسفك الدماء، ليعرفوا من هو الأرحم، ومن هو الأقدر على التسامح، ومن الأقدر على التعايش مع الآخر ...

[(١)] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل، ج٣، ص ٦٠٩، ط٢، ١٩٦٧، دار سويدان للنشر، بيروت.

- **أما عن شبهة ارتباط الإسلام بالعنف والتهديد والتخويف والإرهاب** فهي شبهةٌ باطلةٌ متهافتةٌ كذبتـها الوقـائع والحقائق التاريخية التي سبق إيرادها، ونحن نعلم تماماً أنّ هذه واحدةٌ من الافتراءات التي صنعتها آلةُ الإعلام المسيحي الغربي **قديماً وحديثاً** لتخويف الناس من المسلمين وصدهم عن اعتناق الإسلام.

- **أما قديماً** فقد دحضت هذه الفرية أخلاق المسلمين الأوائل الفاتحين الذين لم يكرِهوا مسيحياً واحداً على الدخول في الإسلام، ولم يهتكوا عِرضاً ولم يهدموا منزلاً، وكانت أخلاقهم من أكبر عوامل جذب غير المسلمين إلى الإسـلام. وقد تقدمت الأحاديثُ الدالّةُ على ذلك، ولكننا نجد من المفيد لإقامة الحجة على هؤلاء الطاعنين تذكيرهم بوصايا قادة الجيوش المُسلمة لجنودهم قبل خوض أيةِ معركةٍ، ومن ذلك وصية أبي بكرٍ الصديق لجيش أسامة "يأيها الناس، قفُوا أوصِكُم بعشرٍ فاحفظوها عني: لا تخونوا ولا تغِلّوا، ولا تغدِروا ولا تمثلُوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأةً، ولا تعقِروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرةً مثمرةً، ولا تذبحوا شاةً ولا بقـرةً ولا بعـيراً إلا لمَأكلةٍ؛ وسوف تمرونَ بأقوامٍ قد فَرغُوا أنفسهم في الصوامع؛ فدعوهم وما فَرغُوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قومٍ يأتونكم بآنيةٍ فيها ألوانُ الطعام؛ فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيءٍ فاذكروا اسم الله عليه ..."[(١)].

إن كانت هذه الوصايا للجيش المُقَاتِل وهو خارج للحرب فمن السهل على كل عاقلٍ أن يتـصور كيـف كانت الوصايا لبقية الناس في الأوضاع العادية التي كانت تسود المجتمعات الإسلامية آنذاك.

- **أما** في **وقتنا الحاضر**، فقد كان لمجمع الفقه الإسلامي الكلمةُ الفصلُ في الرد على أولئك الطاعنين الـذين يـسِمون الإسلام بالعنف والإرهاب، غير فاصلين بينه وبين تصرفات بعض أبنائه الذين أساؤوا فهمه فأساؤوا له وللآخرين. لقد مايز علماءُ المجمع بين العنف والإرهاب من جهةٍ وبين الجهاد وحق الدفاع عن النفس ومقاومة الاعتـداء مـن جهةٍ أخرى في كلامٍ سهلٍ راقٍ مقنعٍ هذا نصه[(٢)]:

أولاً: تحريم أعمال الأرهاب وأشكاله وممارساته جميعها، واعتبارها أعمالاً إجراميةً تدخلُ ضمن جريمة الحَرابة وأينمـا وقعت وأياً كان مرتكبوها. ويعد إرهابياً كلّ من شارك في الأعمال الإرهابية مباشرةً، أو تسبباً، أو تمويلاً، أو دعماً، سواء كان فرداً أم جماعةً أم دولةً، وقد يكون الإرهاب من دولةٍ أو دولٍ على دولٍ أخرى.

---

(1) الطبري [م. س] ص ٢٢٦، ٢٢٧.

(2) قرار مجمع الفقه الإسلامي رقم ١٥٤ (١٧/٣) بـشأن موقـف الإسـلام مـن الغلـو والتطـرف والإرهـاب، منـشور في موقـع المجمـع الإلكتـروني www.fiqhacademy.org.

ثانياً: التمييز بين جرائم الإرهاب وبين المقاومة المشروعة للاحتلال بالوسائل المقبولة شرعاً، لأنّ الهدف من المقاومة المشروعة إزالة الظلم واسترداد الحقوق المسلوبة، وهو حق معترف به شرعاً وعقلاً وأقرته المواثيق الدولية.

ثالثاً: وجوب معالجة الأسباب المؤدية للإرهاب، وفي مقدمتها الغلو والتطرف والتعصب والجهل بأحكام الشريعة الإسلامية، وإهدار حقوق الإنسان وحرياته السياسية والفكرية، والتي تؤدي إلى اختلال الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

رابعاً: التأكيد على أنّ الجهاد للدفاع عن العقيدة الإسلامية، وحماية الأوطان وتحريرها من الاحتلال الأجنبي ليس من الإرهاب في شيءٍ، ما دام الجهاد ملتزماً فيه بأحكام الشريعة الإسلامية.

الشبهةُ الثالثةَ عشرة ودفعها:

يستتبع الحديثَ عن شبهة انتشار الإسلام بحد السيف وقوة السلاح والجهاد شبهةٌ تدعمها وتقوي من وقعها في النفوس، **ومضمون هذه الشبهة أنّ محمداً يقول: إنّ** الله **أمره أن يقاتلَ كل الناس فلا يتوقّف عن قتالهم إلا حين إعلانهم الدخول** في **الإسلام ونطقهم بالشهادتين. وإنّ** الجنة التي **وعد بها محمد أتباعه كانت وستبقى تحت ظلال السيوف!!!**

- من الواضح تماماً أنّ هذه الشبهةَ قائمةٌ على حديثين شريفين، أولهما قوله ﷺ "أُمِرت أن أقاتلَ الناس حتى يشهدوا أنْ لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول" وثانيهما قوله ﷺ "واعلموا أنّ الجنة تحت ظلال السيوف". وهذان الحديثان صحيحان أخرجهما الإمام البخاري، رحمه اللهُ تعالى رحمةً واسعةً، في صحيحه. ومن الواضح أنّ كلمة "السيف" لها وقع عظيم في نفوس الرهبان الطاعنين وتأثير عليهم لا يعلمه إلاّ اللهُ تعالى. وهم في إبرازهم لأحاديث "السيف والقتال والحرب" يتعامون تماماً عن ورود هذه الألفاظ الثلاثة في كتابهم المقدس بعهديه القديم والجديد مراتٍ كثيرةً، وهذا ما سنقوم بتوضيحه وتفصيل القول فيه، بعونه تعالى، بعد شرحنا لمضمون الحديثين الشريفين وحقيقة المراد بهما.

أما الحديث الأول فقد أخرجه الإمام البخاري، رحمه الله، في صحيحه "قال رسول الله ﷺ: (أُمِرت أن أُقاتلَ الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني

دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله)[١]. كما أخرجه الإمام مسلم، رحمه الله تعالى، في صحيحه قال رسول الله ﷺ: (أُمِرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا اللهُ عصم مني ماله ونفَسه إلا بحقِهِ، وحسابه على الله)[٢].

ومن المستحيل عقلاً وشرعاً أن يقاتل رسول الله ﷺ الناس جميعاً، كما فهم الرهبان الطاعنون، لأن هذا الفهم الأعوج يقتضي أن يحارِب النبي كل الناس سوى المسلمين، وهذا مرفوض شرعاً حيث أنّ أهل الكتاب من اليهود والنصارى لم يطلَب إليهم أبداً أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

فالمقصود بالناس في الحديث الشريف "بعض الناس" أو "طائفةٌ من الناس" ألا وهم المشركون من غير أهل الكتاب. قال ابن حجرٍ العسقلاني، رحمه الله، في توضيح معنى لفظ "الناس" الوارد في هذا الحديث الشريف "أن يكونَ من العام الذي أُرِيد به الخاص، فيكون المراد بالناس في قوله "أقاتل الناس" أي: المشركين من غير أهل الكتاب. ويدل عليه رواية النسائي بلفظ "أُمرت أن أقاتل المشركين". فإن قيل: إذا تم هذا في أهل الجزية لم يتم في المعاهدين ولا فيمن منع الجزية، أجيب بأن الممتنع في ترك المقاتلة رفعها لا تأخيرها مدةً كما في الهدنة، ومقاتلة من امتنع من أداء الجزية بدليل الآية"[٣].

ويشهد لصحة تبعيض المقصود من كلمة الناس الواردة في هذا الحديث لا تعميمه قوله تعالى في سورة آل عمران "ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ "[٤]. فقد ورد في تفسير معنى "الناس" المُثَبطون الذين حاولوا تثبيط همم المسلمين الذين خرجوا في طلب أبي سفيان في حمراء الأسد، والمقصود ا نعيم بن مسعود الأشجعي، أما (الناس) فالمقصود ا أبو سفيان وأصحابه، فإن قُلت كيف قيل (الناس) إن كان نعيم هو المُثَبط وحده؟ قلت: قيلَ ذلك لأنه من جنس الناس، كما يقال: فلان يركب الخيل ويلبس البرود، وماله إلاّ فرس واحدةٌ وبرد فرد[٥].

---

(١) صحيح البخاري [م. س] كتاب الإيمان، باب "فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم".
(٢) صحيح مسلم [م. س] كتاب الإيمان، باب "الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله"
(٣) فتح الباري [م. س]، ج١، ص ٩٧.
(٤) سورة آل عمران: الآية ١٧٣.
(٥) الزمخشري، [م. س]، ج١، ص ٤٤١، بتصرف واختصار.

ثم إنه لا يصح أن يفهم من الحديث الشريف السابق أن كلمة "أقاتل الناس" تعني قتلهم لا، فمن معاني القتال رد الأذى والاعتداء والظّلم.

أما عن الحديث الثاني فقد أخرجه الإمام البخاري، رحمه الله، في صحيحه، "إن رسولَ الله ﷺ في بعض أيامه التي لَقِي فيها انتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس خطيباً قال: "أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافيـة فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنةَ تحت ظلال السيوف. ثم قال: اللهم مِنزلَ الكتاب ومجري السحاب وهـازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم"[1].

هذا الحديث الشريف شارح نفسه بنفسه؛ فهو يجسد غزوة الأحزاب (الخندق) التي تداعت فيها الكثير من القبائل العربية واليهودية لمهاجمة المسلمين في المدينة المنورة والقضاء عليهم واستئصالهم، في جيشٍ فاق تعداده العـشرة آلافٍ من المقاتلين. فهب النبي ﷺ يستنهض هِمم المسلمين للذود عن وجودهم وكيا م المهددِ آنذاك، ويدعوهم لحمل السلاح والسيوف للذود عن أنفسهم ويبشرهم بأنّ الجنة تحت ظلال هذه السيوف. السيوف المرفوعة في وجه الظاـم والبغي والمعتدي، لا السيوف المرفوعة للقتل والإكراه والاعتداء كما تتخيلُ عقول الرهبان الطاعنين السقيمة. ماذا كان الرهبانُ الطّاعنون يتوقّعون من رسول الله ﷺ أن يقول في هذا الموقف الرهيب الذي كان يتهدد دينه وقومه؟؟ ماذا كان الرهبان الطاعنون يتوقّعون من الرسول المُحاصِر وقومه ونسائهم وذراريهم؟؟ أكانوا يتوقّعون منه أن يقول لأصـحابه أغمدوا سيوفكم واخفضوا أصواتكم وأحنوا رؤوسكم واستعدوا للموت؟؟ أكانوا يتوقّعون منه الاستـسلام والفـرار وا ول على حكم اليهود والقبائل العربية الوثنية المُشرِكة؟؟ حاشا لنبيّ أن يفعل ذلك، فكيف وهو سيد الأنبياء وسيد ولد آدم؟؟ حاشاه حاشاه، وكيف لا يقول سيد الأنبياء ذلك وقد سبق أن وعدهم مراراً بأنّ الجنة والجنة وحدها جزاءُ ومستقر الشهداء وا اهدين لتكون كلمةُ الله هي العليا؟؟!

ولعمري لولا ذاك الوعد وصمود رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام، في ذاك الموقف وتلك الغزوة لمـا وصـلَ الإسلام إلى زماننا هذا خصوصاً إذا ما تذكرنا أن حلفاء النبي ﷺ من يهود بني قريظة قد تآمروا مع الأحزاب ونقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ والمسلمين، وفتحوا أبوا م على مصراعيها لتكونَ بدايةً لجبهةٍ جنوبيةٍ يغير منها المـشركون على المسلمين.

[1] صحيح البخاري [م. س] كتاب الجهاد والسير، باب لا تمنوا لقاء العدو.

ثُم لماذا يستكثر الرهبان الطاعنون على رسول الله ﷺ أن يدعو المسلمين لحمل السيوف للدفاع عن وجودهم ويتعامون عن استخدام أنبياء وملوك العهد القديم للسيوف والإسراف في القتل والتقتيل وإبادة المدن والقرى؟؟ ولماذا يتعامون عن دعوة المسيح التي قال فيها "لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض، ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً، وإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه، والابنة ضد أمها، والكِنةَ ضد حماتها، وأعداءُ الإنسان أهل بيته. من أحب أباً أو أماً أكثر مني فلا يستحقّني، ومن أحب ابناً أو ابنةً أكثر مني فلا يستحقني، ومن لا يأخذُ صليبه ويتبعني فلا يستحقّني. من وجد حياته يضيعها، ومن أضاع حياته من أجلي يجدها"[1].

وماذا يقول الرهبان الطاعنون عندما نقرأ عليهم قول المسيح - عليه السلام - "جئت لأُلقي ناراً على الأرض فما أريد لو اضطرمت؟؟"[2] وماذا يقولون عندما نقرأ عليهم قول المسيح - عليه السلام - "أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أمِلك عليهم، فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قُدامي؟؟"[3].

وماذا يقول الرهبان الطاعنون عندما نقرأ عليهم نصوص العهد القديم التي تبيح قتلَ الرجال والنساء والأطفال وتدمير القبائل وأهلها؟؟ ومن ذلك "حين تقرب من مدينةٍ لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك. وإن لم تسالمك، بل عمِلَت معك حرباً، فحاصرها. وإذا دفَعها الرب إلهُك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة، كل غنيمتها، فتغتنِمها لنفسك، وتأكلُ غنيمةَ أعدائك التي أعطاك الرب إلهُك. هكذا تفعلُ بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا. وأما مدنُ هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهُك نصيباً فلا تستبقِ منها نسمةً ما، بل تحرمها تحريماً: الحثّيين والأموريين والكنعانيين والفِرزيين والحِويين واليبوسيين، كما أمرك الرب إلهُك، لكي لا يعلموكم أن تعملوا حسب جميع أرجاسهم التي عملوا لآلهتهم فتخطِئوا إلى الرب إلهكم"[4].

---

[1] متى: ١٠: ٣٤ – ٣٩.
[2] لوقا: ١٢: ٤٩.
[3] لوقا: ١٩: ٢٧.
[4] التثنية: ٢٠: ١٠ – ١٨.

وماذا يقول الرهبان الطاعنون عندما نذكرهم بأنّ كتابهم المقدس في عهده القديم يحكي أنّ نبي الله داود قتل أربعين ألفاً من الفرسان المحاربين في حربه ضد أرام؟ "وهرب أرام من أمام إسرائيل، وقتل داود من أرام سبع مئةِ مركبةٍ وأربعين ألف فارسٍ، وضرب شوبك رئيس جيشه فمات هناك"[1].

وأخيراً فماذا يقول الرهبان الطاعنون عندما نذكر أمامهم قول الكتاب المقدس في عهده القديم عن نبي الله داود في حربه ضد مدينة ربة بني عمون "وأخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارجِ حديدٍ وفؤوسِ حديدٍ وأمرهم في أتون الآجر، وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون، ثم رجع داود وجميع الشعب إلى أورشليم"[2].

ما لهؤلاء الرهبان الطاعنين يستخفون كل أنواع السيوف إلا سيف الإسلام يستثقلونه؟ وما لهم يعترفون بمشروعية حمل السيف للدفاع عن النفس تارةً ولإبادة المدن والقرى تارةً إلا سيف الإسلام يرونه للقتل والإكراه والإجبار؟؟؟.

الشبهةُ الرابعةَ عشرةَ ودفْعها:

إن الجنةَ التي وعد بها محمد أتباعه وأصحابه مليئةٌ بالشهوات والملذّات الحسية والمادية والجنسية فقط. وقد وعد محمد أتباعه بأن المحرماتِ عليهم في الدنيا، كالخمر ولبس الحرير والذهب والزواج من نساءٍ كثيراتٍ، ستكون مباحةً لهم ومتوفّرةً بالكامل في الجنة.

- من الطبيعي والمتوقع أن يقول الرهبان الطاعنون قولاً كهذا؛ فهم لم يتعِبوا أنفسهم في قراءة الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي شكلت بمجموعها التصور الصحيح الواضح الدقيق للمسلم عن جنة الخُلدِ والنعيم. ونذكّرهم هنا بأنّ الجنةَ كما وصفها لنا الشارع لا تقتصر على ما تتوهمه عقولهم من اللذات، والمتع المادية فقط بل إنّ فيها من اللذات المعنوية والروحية ما يفوق كل شيءٍ يسمى مادةً. ففيها نهاية الغايات من الطمأنينة القلبية والراحة النفسية والسكينة والرضى المتحققة برؤية الله تعالى، "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ"[3]. وهل هناك نعيم ألذ وأكبر من هذا المتحقق برؤية الله تعالى؟؟ وفي الجنة مودةٌ وود متبادلٌ بين أهلها وسلام وسكينةٌ يتقلّب أهلها في النعيم. فلا خوف ولا شحناء ولا تحاسد ولا تباغض ولا تنافس ولا "قيل وقال" ولا لغواً ولا تأثيماً.

---

[1] صموئيل الثاني: ١٠: ١٨.
[2] صموئيل الثاني: ١٢: ٣١.
[3] سورة القيامة: الآيتان ٢٢، ٢٣.

ولعمري ما الذي يطمع فيه الإنسان من حياةٍ غير هذه ؟؟ ثمّ إنّ هناك من ألوان النعيم الذي خبأه الله تعالى لعباده الذين يدخلون الجنة ما لم تره عين ولم تسمعه أذنٌ ولم يخطر على قلب واحدٍ من البشر. قال رسول الله ﷺ: "يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر، ذخراً من بلْه ما أُطلِعتم عليه. ثم قرأ " فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ "[1])[2].

ونذكّر الرهبان الطاعنين، بمناسبة الحديث عن المتع المادية في الجنة من طعامٍ وشرابٍ وخمرٍ ولبنٍ وعسلٍ، بأن هذه الأطعمة والأشربة ولئن وجِدت في الجنة إلا أ ا لا تشبه طعام وشراب أهل الدنيا في شيءٍ مِن طعمها وأثرها، يشهد لذلك قول ابن عباسٍ، رضي الله عنهما، "ليس في الدنيا من الجنة شيءٌ إلا الأسماء"[3]، فهو تشابه في الأسماء والمعاني لا في الخصائص والكيفيات. قال ابن تيمية رحمة الله عليه: واليهود والنصارى والصابئون من المتفلسِفة وغيرهم فإ م ينكرون أن يكون في الجنة أكلٌ وشرب ولباس وزواج. ويمنعون وجود ما أخبر به القرآن. والرد عليهم هو أن ما ورد في القرآن الكريم من وصف ملذات الجنة، أن حقيقتها ليست مماثِلةً لما في الدنيا، بل بينها تباين عظيم من التشابه في الأسماء. فنحن نعلمها إذا خوطبنا بتلك الأسماء من جهة القدرِ المشتركِ بينهما ولكن لتلك الحقائق خاصيةٌ لا ندركها في الدنيا، ولا سبيل إلى إدراكنا لها لعدم إدراك عينها أو نظيرها من كل وجهٍ، وتلك الحقائق على ما هي عليه[4].

ثمّ من أين جاء الرهبان الطاعنون بعبارة وفكرة "أنّ كلّ محرمٍ على المسلمين في الدنيا سيكون مباحاً لهم في الجنة"؟؟ فهل تباح السرقة في الجنة؟؟ وهل يباح القتل؟؟ وهل يباح التحاسد؟؟.

وفي الوقت الذي نرى فيه الرهبان الطاعنين يهاجمون التصور الإسلامي للجنة ويقصرون ذلك على الجانب الحسي المادي وينفون وجود مثل هذا الجانب في تصورهم المسيحي للجنة نرى الإنجيل يخبرنا خلاف تصورهم تماماً، حيث أنّ الإنجيل يذكر في مواضع متعددةٍ تناول الطعام والشراب فيها. ويشهد ذلك ما يلي مما جاء على لسان المسيح عليه السلام:

---

[1] سورة السجدة: الآية ١٧.

[2] صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب (فلاتعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)

[3] الطبري، جامع البيان (م.٧) ج١ ص١٣٥.

[4] ابن تيمية، رسالة الإكليل، من مجموعة الرسائل الكبرى ٢: ١١.

١. (وأنا أجعلُ لكم كما جعل لي أبي ملكوتا لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي وتجلسوا على كراسي تدينون أسباط إسرائيل الإثني عشر)[١].

٢. (الحق أقولُ لكم إني لا أشرب بعد من نِتاج الكرمة إلى ذلك اليوم حينما أشربه جديداً في ملكوت الله)[٢].

٣. (إذا صنعت غَداءً أو عشاءً فلا تدع أصدقاءك ولا إخوتك ولا أقرباءَك ولا الجيران، لئلا يدعوك هم أيضاً بالمقابل فتكون لك مكافأةٌ، بل إذا صنعت ضيافةً فادع المساكين الجُدع العرج العمي، فيكون لك الطّوبى إذ ليس لهم حتى يكافؤك لأنك تكافأُ في قيامة الأبرار، فلما سمع هذا واحد من المتكئين قال له: طوبى لمن يأكل خبزاً في ملكوت الله)[٣].

ونحن نكتفي بإيراد ما سقناه من ردودٍ على شبهة الرهبان الطاعنين في اقتصار (جنة المُسلمين) على الشهوات والجوانب الحسية فقط، مذكرين القارئ الكريم بأنّ المصادر المسيحية كافّةً لم تقدم لأتباعها حتى الساعة دليلاً يدرء وصف (الحسية) عن الجنة حسب التصور المسيحي لها.

الشبهةُ الخامسةَ عشرة ودفعها:

كان محمد رجلاً شهوانياً يعشق النساء. ولقد اتخذَ لنفسه تسع زوجاتٍ في الوقت الذي حدد لأتباعه عدد الزوجات المسموح به بأربعٍ فقط، وهذا دليلٌ كبير على شهوانيته وانكبابه على الدنيا وملذّاتها، مما يؤكد استحالة كونه نبياً طالما كانت هذه أخلاقه.

- تعتبر هذه الفِريةُ من أكثر الافتراءات والمطاعن الرهبانية استفزازاً لمشاعر المسلمين قديماً وحديثاً. ولذلك نرى عدداً كبيراً من المؤلفات التي كتبها الأساتذة والعلماء والدعاة لدحضها والرد عليها، وبيان زيفها. مع أنّ الكتاب المقدس يخبرنا عن عددٍ كبيرٍ من أنبياء بني إسرائيل الذين اتخذوا لأنفسهم العديد من الزوجات، إلا أنّ الرهبان الطاعنين لا يرون بأساً إلا في تعدد زوجات محمد ﷺ.

ولقد ارتأينا صياغة ردود علمائنا الأفاضل[٤] على هذه الفرية على شكل نقاطٍ ليسهلَ العرض والنقاش.

---

[1] لوقا: ٢٢: ٣٠

[2] مرقس: ١٤: ٢٥

[3] لوقا: ١٤: ١٢ - ١٥

[4] انظر:

أ. مرسي [م. س] ص ١٩٤-٥٠١ بتصرف. =

ونشير قبل استعراض هذه الردود إلى أنّ الله تعالى قد منح من الخصوصيات لأنبيائه ورسله ما لم يمنحه لغيرهم من البشر، ومن هذه الخصوصيات على سبيل المثال لا لحصر وجوب التهجد والقيام بحقه ﷺ، ومواصلة الصيام، والزواج بأكثر من أربعِ زوجاتٍ. ولَعل دافِع الكثيرين من الطاعنين لإنكار ذلك هو إخضاعهم لما سبق ذكره لمقاييس الحياة المعاصرة في القرن الحادي والعشرين وهو أمر من الخطأ بمكان!!.

إنّ العقل الغربي المعاصر يقْبلُ أن يكون للرجل زوجةٌ واحدةٌ تربطه ا علاقة شرعيةٌ وقانونيةٌ. كما يقبلُ هذا العقل أن يكون لهذا الرجل **عشيقات عديدات،** ولكن هذا العقل الغربي المعاصِر لا يقبل أن يكون للنبي محمد ﷺ **زوجات عديدات**!! عجباً لهؤلاء كيف يحكمون!!!.

ولعل بيانَ الحكمة من زواج رسول الله ﷺ من كل واحدة من أمهات المؤمنين يكون خير طريقٍ ليفهم من خلاله هؤلاء الطاعنون لماذا تزوج محمد ﷺ تسع نساء.

١. حين بلغ رسول الله ﷺ الخامسة والعشرين ورغب في الزواج لم يبحث عن "البِكْر" التي تكون أحظى للقبول وأولى للباحثين عن مجردِ المتعة. وإنما تزوج إمرأةً تكبره بحوالي خمسةَ عشر عاماً، ثم إنها ليست بكراً بل هي ثَيب، ولها أولاد كبار عمر أحدهم يقترب من العشرين؛ تلكم هي السيدة خديجة رضي الله عنها وأرضاها، وفوق هذا كله فمشهور أ ا هي التي اختارته بعد ما لمست بنفسها- من خلال مباشرته لتجار ا- من أمانته وعفته وطيب شمائله ﷺ.

وبعد زواجه منها دامت عشرته ا طيلة حيا ا، ولم يتزوج عليها حتى مضت عن دنياه إلى رحاب الله. وقضى معها-رضي الله عنها- زهرة شبابه وكان له منها أولاده جميعاً إلاّ إبراهيم الذي كانت أمه السيدة "مارية"

= ب. الرومي [م. س] ص٣٢٨-٣٣١ بتصرف

ج. الإسلام بين الحقيقة والادعاء [م. س]، مبحث نساء الرسول.

د. حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين [م. س] الشبهة ٥١ تعدد زوجات النبي.

هـ. السقار (م.س) المطلب الثالث، تعدد زوجات النبي ﷺ

و. عبد الرؤوف، حسام الدين صبري، الضياء المبين في الرد على المضللين، ج١ شبهة تعدد زوجات النبي.

ز. الراسي، زيادة بن يحيى، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح، تحقيق سعود بن عبد العزيز الخلف، ص١٢٥-١٣٠. بتـصرف، ط١، ٢٠٠٣، منـشورات الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

ح. هيكل، محمد حسين، حياة محمد، ص٢٥٧-٢٦٥ بتصرف، من منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمان، ط١، ٢٠٠٨.

القبطية. وقد بقي يذكرها بالخير ويعدد مآثرها والثناء عليها بعد وفا ا حتى أثار ذلك غيرة السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها.

٢. كان رحيل السيدة خديجة ـ رضي الله عنها ـ مثيراً لأحزانٍ كُبرى في بيت النبي ﷺ وفي محيطِ الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ إشفاقاً عليه من الوحدة وافتقادِ من يرعى شؤونه وشؤون أولاده، ثم رأوا فقدانه ﷺ عمه أبي طالبٍ، نصيره وظهيره وسمي العام الذي رحل فيه نصيراه خديجة وأبو طالب عام الحُزن.

في هذا المناخ، مناخ الحزن والوحدة وافتقاد من يرعى شئون الرسول وشئون أولاده، تزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة رضي الله عنها وأرضاها. وهنا تجدر الإشارة إلى أن سودة هذه كانت زوجةً للسكران بن عمرو وتوفي عنها زوجها بمكة فلما حلّت تزوجها الرسول ﷺ وكانت أولَ امرأةٍ تزوجها ﷺ بعد خديجة.

وعجِب ا تمع المكي لهذا الزواج لأن "سودة" كانت كبيرةً في السن لم تكن ذات جمالٍ ولا حسبٍ ولا تصلُح أن تكون خلفاً لأم المؤمنين خديجة التي كانت عند زواج الرسول ﷺ ا جميلةً وضيئةً وحسيبةً تطمح إليها الأنظار، ولكنها ـ رضي الله عنها ـ كانت مؤمنةً هاجرت الهجرة الأولى مع من فروا بدينهم إلى الحبشة وقد قبل الرسولُ زواجها حمايةً لها وجبراً لخاطرها بعد وفاة زوجها إثر عود ما من الحبشة. وليس الزواج ا شعار شهوةٍ للرسول ولكنه كان جبراً لخاطر امرأةٍ مؤمنةٍ خرجت مع زوجها من أهل الهجرة الأولى إلى الحبشة ولما عادا توفّي زوجها وتركها امرأةً تحتاج هي وبنوها إلى من يرعاهم.

٣. بعد سودة ـ رضي الله عنها ـ تـزوج الحبيب المصطفى عائشة بنت أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنها ـ وسنفرد لزواجه ا ـ رضي الله عنها ـ مساحةً خاصةً في الصفحات القادمة بإذنه تعالى.

٤. أما عن حفصة بنت عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنها ـ فقد تزوجها الحبيب المصطفى جبراً لخاطرها وإكراماً لها ولوالدها الفاروق ـ رضي الله عنه ـ وأرضاه. وذلك بعد أن توفي عنها زوجها خنيس بن حذافة السهمي، وهو صحابي جليلٌ من أصحاب الهجرتين ـ إلى الحبشة ثم إلى المدينة ـ ذلك بعد جراحٍ أصابته في غزوة أحدٍ حيث فارق الحياة وأصبحت حفصةُ بنت عمر بن الخطاب أرملةً وهي شابةٌ.

وكان ترملها مثار ألمٍ دائمٍ لأبيها عمر بن الخطاب الذي كان يحزنه أن يرى جمال ابنته وحيويتها تخبو يوماً بعد يومٍ. فعرض الزواج ا على أبي بكر الصديق الذي التزم الصمت، ومن بعده عثمان بن عفان، الذي رفض ذلك، حتى خطبها وتزوجها من هو خير منهما ﷺ.

٥. تزوج رسولُ الله ﷺ أم سلمة بنت زاد الركب، وهي من المهاجرين الأولين إلى الحبشة وكان زوجها عبد الله بن عبد الأسد المخزومي أولَ من هاجر إلى المدينة من أصحاب محمد ﷺ. وقد جاءت إلى بيت النبي ﷺ كزوجةٍ بعد وفاة زينب بنت خزيمة الهلالية بزمنٍ غير قصير. وهي سليلةُ بيتٍ كريمٍ، فأبوها أحد أجواد قريش المعروفين بلقب زاد الراكب؛ إذ كان لا يرافقه أحد في سفرٍ إلا كفاه زاده. وزوجها الذي مات عنها صحابي من بني مخزوم ابن عمة المصطفى ﷺ وأخوه من الرضاعة. وكانت هي وزوجها من السابقين إلى الإسلام. وكانت هجر ما إلى المدينة معاً.

٦. تزوج النبي ﷺ بعد ذلك زينب بنت جحش ـ رضي الله عنها ـ وسنفْرِد لها في الصفحات القادمة مساحةً خاصةً للحديث عن زواجها هذا، بإذنه تعالى.

٧. تزوج النبي ﷺ بعد ذلك جويرية بنت الحارث الخزاعية، قد كانت ـ رضي الله عنها ـ مِمن وقع في الأسر بعد هزيمة بني المصطلق من اليهود، فكاتبها من وقعت في أسره (ثابت بن قيس) على مالٍ فلم يعجبها ذلك، وذهبت إلى رسول الله ﷺ أملاً فيما هو خير من ذلك، فكان لها ما أَمِلَته حيثُ عرض عليها الحبيب المصطفى أن يقضي عنها المال الذي كاتبها عليه من أسرها مِن المسلمين وتزوجها ﷺ. فلما ذاع الخبر أطلق المسلمون كل من وقع في أسرهم من بني المصطلق إكراماً لهذه المرأة الفاضلةِ واحتراماً للحبيب المصطفى الذي غدا أسرى بني المصطلق بمثابة أصهاره، فكان أن دخلَ معظم هؤلاء الأسرى الطلقاء في الإسلام، فأي خيرٍ وأي شرفٍ كان أعظم لجويرية وقومها مما حدث؟؟

٨. تزوج النبي ﷺ من صفية بنت حيي التي وقعت في أسر (دحية الكلبي) بعد غزوة الخندق. فأعتقَها من الأسرِ وحررها. وقد أسلمت وحسن إسلامها، رضي الله عنها. وأي شرفٍ كان لصفية ـ رضي الله عنها ـ أعظم من دخولها بيت النبي عوضاً عن بقائها في الأسر والذل والهوان؟؟ خصوصاً إذا ما تذكَّرنا أ ا كانت بنت واحدٍ من أشهر زعماء القبائل اليهودية وأكثرهم عداوةً لرسول الله ﷺ ألا وهو حيي بن أخطب.

٩. تزوج النبي ﷺ رملة بنت أبي سفيان إنقاذاً لها من محنةٍ خطيرةٍ وإخراجاً لها من ظرفٍ قاسٍ عز مثيلُه وعز مثيلُ رجلٍ أنقذها منه. فقد كانت زوجاً لعبيد الله بن جحش، وخرجا معاً مهاجِرين بإسلامهما في الهجرة الأولى إلى الحبشة، وكما هو معروف فإن الحبشة في عهد النجاشي كانت المهجر الآمن للفارين بدينهم من المسلمين، حتى يخلصوا من بطش المشركين م وعدوا م عليهم. لقد تعرضت رملةُ ـ رضي الله عنها ـ لمحنةٍ قاسيةٍ لم يتعرض لمثلها أحد من هؤلاء المهاجرين الأوائل إلى الحبشة؛ ذلك أنّ زوجها عبيد الله بن جحش قد أعلن ارتداده عن الإسلام ودخولَه في النصرانية. وما أصعب وأدق حالَ امرأةٍ في محنةٍ مضاعفةٍ! محنتها في زوجها الذي ارتد وخانَ، ومحنتها السابقة مع أبيها الذي فارقته مغاضِبةً إياه في مكةَ منذ دخلت في دين الله. وفوق هاتين المحنتين كانت محنةُ الاغتراب حيث لا أهل ولا وطن. ثم كانت محنة حملِها بالوليدة التي كانت تنتظرها والتي رزِقَت ا مِن بعد وأسمتها "حبيبة".

لقد كانت خِطبته ﷺ لرملة (أم حبيبة) موقفاً يذكره التاريخ بكل فخرٍ واعتزازٍ، يعبر بكل وضوحٍ عن الجانب الإنساني البارز في شخصيته عليه الصلاة والسلام.

١٠. تزوج النبي ﷺ ميمونة بنت الحارث الهلالية، وقد كانت آخِر أمهات المؤمنين، رضوان الله عليهن جميعاً. توفّي عنها زوجها أبو رهمٍ بن عبد العزى العامري؛ فانتهت ولايةُ أمرها إلى زوج أختها العباس الذي زوجها رسول الله ﷺ؛ حيث بنى ا الرسولُ في "سرف" قُرب التنعيم على مقربةٍ من مكة، حيث يكون بدء الإحرام للمعتمرين من أهل مكة والمقيمين ا.

وقيل: إنه لمّا جاءها الخاطب بالبشرى قفزت من فوق بعيرها وقالت: البعير وما عليه لرسول الله ﷺ. وقيل: إ ا هي التي وهبت نفسها للنبي والتي نزل فيها قوله تعالى: "وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ "[1].

ويستفاد مما سبق انتفاء فرية الشهوانية عن الحبيب المصطفى ﷺ. كيف لا؟ وهو الذي اشتهر بالعفّة، والاستقامة والأمانة في قريش كلها حتى قبل أن يكونَ نبياً ﷺ. كما يستفاد كذلك أن كلّ المبررات التي سيقت

[1] سورة الأحزاب: الآية ٥٠.

لزيجاته ـ عليه السلام ـ كانت منطقيةً معقولةً مقبولةً عادت بالخير على الزوجات اللواتي كان معظمهن من الأرامل ـ رضي الله عنهن ـ كما عادت بعض هذه الزيجات بالخير على أقوامِ زوجاته ـ رضوان الله عليهن ـ.

وإضافةً لما سبق فقد فوت هذه الزيجات روابط رسول الله ﷺ بصفته رئيساً للدولة الإسلامية مع الكثير من القبائل العربية وغير العربية التي تشرفت بمصاهرته ـ عليه السلام ـ وكان في ذلك أيضاً تأليف قلوب هؤلاء للإسلام، وفي ذلك أيضاً تعليم لرجال هذه الأمة أن يعدلوا بين زوجا م وإعالة من لا معيلَ لها من النساء الضعيفات والأرامل.

وفي ابة حديثنا عن الفوائد التي توضحت في تعداد وكثرة زوجاته عليه الصلاة والسلام، نرى الحاجة شديدةً ومِلحةً لتذكير الرهبان الطاعنين بنصوص الكتاب المقدس التي بين أيديهم والتي يبجلو ا ويعظمو ا، فهي أكبر شاهدٍ على اتخاذ رسل بني إسرائيل وأنبيائهم وملوكهم لزوجاتٍ عديداتٍ وسراري أكثر عدداً. ومن الشواهد على ذلك ما يلي:

أولاً: "وأحب الملك سليمانُ نساءً غريبةً كثيرةً مع بنت فرعون: موآبياتٍ وعمونياتٍ وأدومياتٍ وصيدونياتٍ وحثياتٍ من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل: "لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم، لأ م يمِيلون قلوبكم وراء آلهتهم". فالتصق سليمانُ ولاء بالمحبةِ. وكانت له سبع مئةٍ من النساء السيدات، وثلاثُ مئةٍ من السراري، فأمالت نساؤه قلبه"[١].

ثانياً: "وأحب رحبعام معكةَ بنت أبشالوم أكثر من جميع نسائه وسراريه، لأنه اتخذَ ثماني عشرة امرأةً وستين سريةً، وولَد ثمانيةً وعشرين ابناً وستين ابنةً"[٢].

ثالثاً: واخذ داود أيضاً سراري ونساءً من أورشليم بعد مجيئه من حبرون، فَولد أيضاً لداود بنون وبنات"[٣].

---

(1) سفر الملوك الأول: ١١: ١ – ٣.

(2) أخبار الأيام الثاني: ١١: ٢١.

(3) صموئيل الثاني: ٨: ١٣.

رابعاً: كان للملك داود (على ذمة العهد القديم) العديد من السراري، كان من أبرزهن (ميكال ابنة شاول وأبيجال أرملة نابال وأخينوعيم اليزرعيلية ومعكة ابنة تلماى ملك جشور وأبيطال وعجلة وحجيث وبثشبع أرملة أوريا الحثي وأبيشج الشونمية)[1].

الشبهةُ السادسةَ عشرةَ ودفْعها:

مِما يثبت شهوانية محمدٍ وعشقه للنساء أنه لمّا رأى زوجة ابنه بالتبني زيد بن حارثة، وكان اسمها زينب، أعجبته وأثر فيه جمالُها وحسنها. ووقعت في قلبه وأخذ يقول (سبحان مقلبِ القلوب). ثم أمر زوجها زيداً بتطليقها وقام محمد بالزواج منها، حتى أنّ القرآن الذي جاء به محمد قد ذكر رغبة محمدٍ بهذه الزوجة فقال: (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى)[2]. وقد سجلت كتب التفسير لدى المسلمين هذه الواقعة وأثبتتها.

- من الواضح تماماً أنّ الرهبان الطاعنين يقرأون نصوص وآيات القرآن. ومن الواضح كذلك أنهم لا يفهمونها ولا يدركون مقاصدها ولا حتى التفسير الصحيح لها. وهم إن أرادوا تفسيرها وفهم مقصودِها فإنما يرجعون إلى تفسيراتٍ شاذّةٍ تقوم على رواياتٍ ضعيفةٍ لربما يجدون فيها ما يشفي صدورهم ويحقق مرادهم.

وهذا تماماً ما قاموا به عندما بنوا هذه التهمة والشبهة المُتهالكة. وحتى لا يطول الكلام فمن المستحسن أن نأتيَ بالآيات القرآنية الكريمة التي ذكروها في هذه الشبهة، وأن نأتي بعد ذلك بتفسيرها الصحيح المُعتمدِ. وهذه الآيات هي قوله تعالى في سور الأحزاب: " وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ

---

[1] انظر سفر صموئيل الأول ١٨: ٢٠ – ٢٧ و٢٥: ٤٢ و٢٥: ٤٣ وسفر صموئيل الثاني: ٣: ٢ – ٥ و١١: ٢٧ وسفر الملوك الأول ١: ١ – ٤.

[2] سورة الأحزاب: الآية ٣٧.

ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا"(1)

وخلاصة تفسير ما ورد في هذه الآيات الكريمة ما يلي(2):

إنّ زينب بنت جحش هي ابنة أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، وقد ربيت بعينه وعنايته، وأ ا كانت، لذلك، منه بمقام البنت أو الأخت الصغرى وإنه كان يعرفُها ويعرف أهي ذات مفاتن أم ليست كذلك قبل أن تتزوج زيداً. وإنه شهدها في نموها تحبو من الطفولة إلى الصبا وإلى الشباب، وهو الذي خطبها لزيدٍ مولاه. إذا عرفنا ذلك كلّه تداعت أمام ناظرينا كل تلك الخيالات والأقاصيص من أنه مر ببيت زيدٍ ولم يكن فيه، فرأى زينب فبهره حسنها وقال: سبحانُ مقلبِ القلوب! أو أنه لمّا فتح باب زيدٍ عبث الهواءُ بالستار الذي على غرفة زينب، فألفاها في قميصها ممددةً فانقلب قلبه فجأةً ونسي سودة وعائشة وحفصة وزينب بنت خزيمة وأم سلمة وخديجة! ولو أن شيئاً من حبها علق بقلبه لخطبها لنفسه بدل أن يخطبها لزيدٍ ... إنّ محمداً ﷺ خطب ابنة عمته زينب لزيدٍ؛ فأبى أخوها عبد الله بن جحش أن تكون أخته وهي قرشيةٌ هاشميةٌ، وهي فوق ذلك ابنة عمة الرسول، تحت عبدٍ رِقّ اشترته خديجة ثم أعتقه محمد ﷺ، ورأى في ذلك على زينب عاراً كبيراً. وكان ذلك عاراً عند العرب كبيراً؛ فلم تكن بنات الأشراف الشريفات ليتزوجن من موالٍ وإن اعِتقُوا. لكن محمداً يريد أن تزول مثل هذه الاعتبارات القائمة في النفوس على العصبية وحدها، وأن يدرك الناس جميعاً أن لا فضل لعربيّ على أعجميّ إلا بالتقوى. ولما أصر محمد ﷺ على أن تقبل زينب وأخوها عبد الله بن جحشٍ زيداً زوجاً لها نزل قوله تعالى: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا"(3).

---

(1) سورة الأحزاب: الآيات ٣٧ – ٤٠.
(2) انظر:
أ. هيكل [م. س] ص ٢٦٢ – ٢٦٥ بتصرف واختصار.
ب. الخالدي [م. س] ٦٦٨، ٦٦٩.
ج. ابن كثير [م. س]، ج٣، ص ٤٩٩، ٥٠٠، بتصرف.
د. القرطبي [م. س]، ج ١٤، ص ١٩٠ – ١٩٣، بتصرف.
هـ. مرسي [م. س]، ص ٥١١ – ٥١٧، بتصرف.
و. حقائق الإسلام [م. س]، الشبهة ٥١ تعدد زوجات النبي، بتصرف.
(3) سورة الأحزاب: الآية ٣٦.

لم يبق أمام عبد الله واخته زينب بعد نزول هذه الآية إلا الإذعان؛ فقالا: رضينا يا رسول الله. وبنى زيد بزينب بعد أن ساق النبي إليها عنه مهرها. فلما سارت زينب إلى زوجها لم يسلس له قيادها ولا لانَ إباؤها، بل جعلت تؤذي زيداً وتفخر عليه بنسبها وبأ ا لم يجرِ عليها رِق. واشتكى زيد إلى النبي غير مرةٍ من سوء معاملتها إياه، واستأذنه غير مرةٍ في تطليقها، فكان النبي يجيبه: "أمسك عليك زوجك واتق الله". لكن زيداً لم يطق معاشرة زينب وإباءها عليه طويلاً فطلقها.

وكأن الشارع الحكيم قد أراد أن يبطِلَ ما كانت تدين به العرب من التصاق الأدعياء بالبيوت واتصالهم بأنسا ا، ومن إعطاء الدعي جميع حقوق الابن، ومن إجرائهم عليه أحكامه حتى في الميراث وحرمةِ النسب فـ ل قوله تعالى: "وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ "[1] ومعنى هذا أنه يجوز للمدعي أن يتزوج مِمن كانت زوجاً لمن ادعاه. ويجوز للمتبني أن يتزوج ممن كانت زوجاً لمتبناه. ولكن كيف السبيل إلى تنفيذ هذا؟ ومن مِن العرب يستطيعه وينقض به تقاليد الأجيال السالفة جميعاً؟ إن محمداً ﷺ نفسه، على قوةِ عزيمته وعميق إدراكه لحكمةِ الله في أمره، قد وجد في نفسه الغضاضة في تنفيذ هذا الحكم بأن يتزوج زينب بعد تطليق زيدٍ إياها. ودار بخاطره ما يمكن أن يقول الناس في خرقِهِ لهذه العادة القديمة المتأصلة في نفوس العرب؛ وذلك ما يريده تعالى في قوله: "وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُۖ "[2] ... لكن محمداً كان القدوة في كلّ ما أمر الله به وما ألقى عليه أن يبلغه للناس؛ فلا يخشى ما يقول الناس في تزوجه من زوجة زيدٍ مولاه، فخشية الناس ليست شيئاً إلى جانب خشية الله بتنفيذ أمره، وليتزوج من زينب ليكون قدوةً فيما أبطل الشارع الحكيم من الحقوق المقررةِ للتبني، والادعاء، وفي ذلك قوله تعالى: "فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًاۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا"[3].

هذه روايةُ التاريخ الصحيح في أمر زينب بنت جحشٍ وزواج محمد ﷺ منها. فهي ابنة عمته يراها ويعرف مبلغ جمالها قبل أن تتزوج زيداً، وهو الذي خطبها لزيدٍ، رضي الله عنه وعنها.

---

[1] سورة الأحزاب: الآية ٤.

[2] سورة الأحزاب: الآية ٣٧.

[3] سورة الأحزاب: الآية ٣٧.

ونختم توضحينا لقصة زواجه ﷺ من زينب بنت جحش ـ رضي الله عنها ـ بالتذكير أنّ الروايات التي **استند عليها الرهبان الطاعنون** في **تفسيرهم للآيات القرآنية الكريمة** التي **ذكرت هذه القصةَ إنما هي روايات ضعيفةٌ مردودةٌ لا تصلح للاحتجاج ا بحالٍ من الأحوال، حتى ولو كثرت** في **بعض كتب التفسير.** وقد علّق الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ بعد تفسيره للآيات الكريمة السابقة بالقول: "هذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المُفَسرين والعلماء الراسخين، كالزهري والقاضي بكر بن العلاء القشيري والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم. **فأما ما روي أن النبي ﷺ هوى زينب امرأة زيدٍ وربما أطلق بعض المُجان لفظ "عشق" فهذا إنما صدر عن جاهلٍ بعصمة النبي ﷺ عن مثل هذا، أو مستخِفٍّ** بحرمته**"[1].** ولعلّ قول القرطبي هذا لا يقع بعيداً عن تعليق ابن كثيرٍ ـ رحمه الله ـ على الآيات السابقة نفسها بقوله "ذكر ابن أبي حاتم والطبري ها هنا آثاراً عـن بعض السلف ـ رضي الله عنهم ـ أحببنا أن نضرب عنها صفْحاً لعدم صحتها فلا نوردها"[2].

الشبهةُ السابعةَ عشرةَ ودفعها:

كان محمد يمارس أعمالاً تدل على شذوذه وبعده عن أخلاق الأنبياء الحميدة، والدليلُ على ذلك زواجه من الطّفلة عائشة، التي **كانت تبلغ من العمر تسع سنواتٍ فقط.**

- تعتبر هذه الفرية والشبهةُ أقبح وأقذر ما أثاره الطّاعنون حول شخصهِ الكريم ﷺ. وكانت هذه الشبهةُ قد تصدرت في وقتٍ غير بعيدٍ من الأعوام الماضية عناوين بعض الصحف والمواقع الإلكترونية، فمن قائلٍ (الرسول محمد يعاشر طفلةً) إلى قائلٍ (نبي يتزوج فتاةً صغيرةَ السن) إلى قائلٍ (محمد كان يتحرش بالأطفال) إلى قائلٍ (محمد يمارس شذوذه مع طفلةٍ في السادسة)، حاشاه ﷺ.

وقد أطل علينا الكثير من القساوسة، عبر شاشات محطّات التلفزة الفضائية، يناقشون هذا الموضوع بتوسعٍ مقصودٍ في أكثر من حلقتين وثلاثٍ، من حلقات البرامج المتلفزة!!

ما من شكٍّ أنّ السيدة عائشة بنت أبي بكرٍ الصديق ـ رضي اللهُ عنهما ـ كانت من أكبر وأكثر الشخصيات التي تعرضت للهجوم والتشهير في تاريخ الإسلام كله. ولكن الذي نراه في هذه الشبهة شيءٌ مختِلف تماماً؛

---

(1) القرطبي [م. س]، ج١٤، ص ١٩١.

(2) ابن كثير [م. س]، ج٣، ص ٤٩٩.

حيث نرى الرهبان الطّاعنين ينصبون أنفسهم محامين للدفاع عن حقوقها التي هضمها محمد ﷺ حين حرمها من طفولتها، كما يزعمون، واتخذها زوجةً له. كيف لا والرهبان الطاعنون هؤلاء يعرفون مصلحة السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ أكثر من نفسها ويعلمون الذي يناسبها أكثر من أبيها وأُمها وإخوا ا وأقار ا وعشير ا الأقربين كلّهم!!!.

ونشير قبيل البدء في الرد على هذه الشبهة وتفنيدها إلى الجهود المباركة الطيبة التي بذلها علماء الأمة وأساتذتنا وزملاؤنا من طلبة العلم الشرعي في الذب عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ وعن حبيبنا المصطفى ﷺ وتصديهم المبارك لتوضيح مشروعية هذا الزواج وفوائده وآثاره[1].

حينما توفيت السيدة خديجة زوجة النبي ﷺ، مكّث الحبيب فترةً من الزمن عاكفاً عن الزواج. ولكن حاجة البيت كانت تدعو لوجود امرأةٍ لتربية الأولاد الذين أنجبهم ﷺ من السيدة خديجة، فقد أنجب منها كل أولاده عدا إبراهيم. فأقبلت عليه خولة بنت حكيم تعرض عليه أن يتزوج، فسألها الحبيب ﷺ أي النساء تقصد ... حتى أتمت الخاطبة زواجه ﷺ من السيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها وبعدها بفترةٍ كان زواجه من عائشة بنت أبي بكر الصديق.

وقبل أن يتقدم لها النبي ﷺ كانت السيدة عائشةُ مخطوبةً لجبير بن المطعم بن عدي، وهذا يعني أنها وإن كانت بنت تسع سنين إلاّ أ ا كانت تصلح للزواج وقتها من حيثُ البنيةُ، علماً بأنّ ساكني البلاد الحارة ينمون أسرع ويبلغون أسرع من ساكني البلاد الباردة. **ولأنها لو لم تكن كذلك لما قامت خولة بن حكيم ـ رضي الله عنها ـ بخطبتها لرسولنا الكريم.**

لقد نقل لنا التاريخ حوادث كثيرةً ثبت من خلالها أن زواج الرجل بمن هي أصغر منه سِناً، حتى ولو بفارقٍ كبيرٍ، أمر مألوف. ومن ذلك ما يلي:

---

[1] انظر:

أ. عبد الرؤوف [م. س]، ج١، شبهة الرسول يعاشر طفلة.

ب. مرسي [م. س]، ص ٥٠٤ – ٥١٠ بتصرف واختصار.

ج. حقائق الإسلام [م. س]، الرد على شبهة تعدد زوجات النبي، بتصرف واختصار.

د. الهّواري، محمد عبد العزيز، شبهة زواج النبي ﷺ من عائشة وهي صغيرة السن. مقالة منشورة بتاريخ ٢٠٠٨/٣/٢٧م على موقـع لـواء الـشريعة الإلكتـروني www.shareah.com.

هـ. زناتي [م. س] ١٥٥ – ١٥٧، بتصرف،حرف الفاء، شبهة الرسول كان يتحرش بالأطفال، رد الشيخ السيد وفا على تصريحات القس جيري فايـ التي ذكـر فيها أن الرسول ﷺ كان يتحرش بالأطفال.

١. تثبت الموسوعة الكاثوليكية أن مريم أم الرب يسوع، بحسب إيمان الرهبان الطاعنين، كانت مخطوبةً ليوسف النجار، وكان عمرها اثنتي عشرةَ سنةً وكانت حاملاً بيسوع آنذاك، وكان عمر يوسف النجار تسعاً وثمانين سنةً، أي أنه يكبرها بنحو سبعٍ وسبعين سنةً ... وهذا الكلام موثق في الموسوعة الكاثوليكية.ويستطيع القارئ الكريم أن يرجع لهذين الموقعين ليتأكد من صحة نقلنا لهذه المعلومة:

- http://www.newadvent.org/cathen/08504a.htm

"a respectable man to espouse Mary, then tweleve to fourteen years of age, Joseph, who was at the time nirety years old".

- http://www.cin.org/users/james/files/key2mary.htm

"Virgin Mary Delivers jesus Pbuh@ the age of 12".

وهنا نتساءل: هل كانت مريم، أم الرب يسوع بحسب إيما م، طفلةً أم امرأةً لما كانت حبلى بيسوع ومخطوبةً ليوسف النجار؟!

٢. زواج جد النبي ﷺ عبد المطلب وزواج ابنه عبد الله، حيثُ ثبت أنّ آمنة بن وهب أُم رسول الله ﷺ كانت في حجر عمها أهيب بن عبد مناف بن زهرة وأنّ عبد المطلب بن هاشم جاء بابنه عبد الله بن عبد المطلب أبي رسول الله ﷺ فتزوج عبد الله آمنةَ بن وهب وتزوج عبد المطلب هالةَ بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة وهي أم حمزة بن عبد المطلب في مجلسٍ واحد، وكان قريب السن من رسول الله ﷺ وأخاه من الرضاعة. إذاً فقد تزوج عبد المطلب فتاةً وابنه تزوج أخرى في مثل عمرها وهي ابنة عمها[1].

٣. تزوج عمر الخطاب ابنة علي بن أبي طالب (أم كلثوم)، علماً بأنه كان أكبر سناً من أبيها في ذلك الوقت. بل وعرض الفاروق عمر بن الخطاب على أبي بكر أن يتزوج ابنته السيدة حفصة وكانت شابةً في ريعان شبا ا بعد وفاة زوجها.

كلنا يعلم أن الآباء والأجداد من عصورٍ متقاربةٍ كانوا يتزوجون مبكراً أي في أعمارٍ مبكرةٍ ذلك لأن أجسامهم كانت تختلف كثيراً عن أجسامنا من حيث الحجم، وأجدادهم كانوا أضخم منهم جسماً. ومعروف أن

---

[1] الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله أبو عبد الله، المُستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطـا، ج٣، ص ٢١٢، ط١، ١٩٩٠، دار الكتـب العلمية، بيروت.

الإنسان كلما مرت به العصور تقزم، أي تضاءل حجمه. فلم العجب إذاً إذا كانت جداتنا وأمهاتنا يتزوجن وهن بنات الإحدى عشرةَ سنةً أن تتزوج السيدة عائشة قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنةٍ وهي ابنة تسع سنين؟؟

لمّا تزوج رسولنا الكريم ﷺ السيدة عائشة لم ينجب منها، وكانت البكر الوحيد التي تزوجها ﷺ من بين زوجاته. **وكان من فوائد زواجه عليه السلام بزوجةٍ صغيرة السن أنّ النساء بحاجةٍ إلى من يعلمهن خاصةً إذا كان الأمر ذا مشقةٍ أن يتناولَ بين رجلٍ وامرأةٍ، فكانت أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ من قامت ذا الدور فهي فتاةٌ صغيرة في السن، يسهل عليها الحفظُ والفهم والتلقّي، وأيضاً لا تتحرج النساءُ منها. وقد كانت أكثر النساء روايةً للحديث عنه ﷺ، وحتى بعد وفاته ظلّت تعلم النساء أمور دينهم، وكانت وقتها ابنةَ الثامنة عشرةَ من عمرها رضي الله عنها.**

وللمدافعين عن حقوق هذه الطفلة عائشة، رضي الله عنها، من الرهبان الطاعنين نقول: إنْ فَرضنا جدلاً أن الرسول ﷺ تزوج عائشة وهي صغيرةٌ رغماً عنها وبالإجبار لها ولوالديها، فإن الله تعالى أمر رسوله الكريم ﷺ في فترةٍ لاحقةٍ بأنْ يخير نساءه بين أن يفارقهن فيذهبن إلى غيره مِمن يحصلُ لهن عنده الحياةُ الدنيا وزينتها وبين الصبر على ما عنده ﷺ من الفقر وضيق الحال، فلماذا لم تختر مفارقته لو كانت مجبرةً على الزواج منه؟؟

ولمّا بدأ النبي ﷺ بتخيير زوجاته بدأ بعائشة ـ رضي الله عنها ـ وأرضاها، قالت عائشة: "لما أُمِر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه، بدأ بي، فقال: إني ذاكر لكِ أمراً، فلا عليكِ أن تعجلي حتى تستأمري أبويك، قالت: وقد عِلم أنّ أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثمّ قال: إنّ اللهَ جل ثناؤه قال: "يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردنَ الحياة الدنيا وزينتها" إلى "أجراً عظيماً" قالت: فقلت: **ففي أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد اللهَ ورسوله والدارَ الآخرةَ**، قالت: ثم فعلَ أزواج النبي مثلَ ما فعلت"[1].

إنّ زواج النبي ﷺ بالسيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ شاهد حي على الزواج الناجح الذي لا يمنعه فارق العمر، والذي نرى فيه بكُل جلاءٍ ووضوحٍ تأثير الزوج المسلم في شخصية واهتمامات وتوجهات الزوجة المسلمة، فقد كانت عائشة لما أراد الحبيب ﷺ الزواج ا تلعب في أرجوحةٍ هي وصواحب لها، ولمّا مات عنها ﷺ

---

[1] صحيح البخاري [م. س]، كاب التفسير، باب (وإن كُنتن تردنَ الله ورسوله ....)، ج٨، ص ٦٠٩، ٦١٠.

بعد تسع سنواتٍ من مكوثه عندها كانت خير من يعلم المسلمين ويفتيهم في دين الله تعالى، وروت عنه ما يزيد على الألفي حديث، واحتلت المرتبة الثانية فيمن روى أكثر عن النبي ﷺ.

لقد صنع رسولُ الله ﷺ من عائشة مدرسةً قائمةً بذا ا تعلم وتؤسس وتقوم بنشر الدين الإسلامي وتفقيه الناس بأحكامه، فكانت في نتاجها العلمي الشرعي ومخرجاتِه أفضلَ مئةَ مرةٍ من الكثير من المعاهد والكليات الشرعية في القرن الحادي والعشرين. قال فيها الإمام الزهري: "لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين، وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل". وقال فيها عطاء بن أبي رباح: "كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأياً في العامة". وقال فيها أبو موسى الأشعري: "ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة، إلا وجدنا عندها فيه علماً" وقال فيها مسروق: "رأيت مشيخةَ أصحاب رسول الله ﷺ الأكابر يسألو ا عن الفرائض". وقال فيها عروة بن الزبير: "ما رأيت أحداً أعلم بفقهٍ ولا طبٍّ ولا بشعرٍ من عائشة"[1].

ولو كان زواج النبي ﷺ من عائشة التي تصغره سناً خارجاً عن المألوف أو مطْعناً أو مستمسكاً عليه أو قادحاً في سلوكه لكان مشركو قريش الذين يتربصون به أولى الناس بمهاجمته لفعله هذا، وتقليب الناس عليه، ولصنعوا له الفضائح ولحاكوا حوله إشاعات الشهوانية والاعتداء على الصغار وسوء السلوك والتصرف. لكن أياً من هذا لم يكن. لماذا؟ لأنّ ذلك كان الزواج عرفاً سائداً معمولاً به بين الناس في ذلك الزمان.

لقد كان من الجدير بالرهبان الطاعنين أن يأخذوا بعين الاعتبار أنّ مقاييس القرن العشرين والحادي والعشرين تختلف تماماً عن مقاييس القرون الوسطى وأن يأخذوا بعين الاعتبار اختلاف العصور والبيئات والطباع والقوانين والأعراف والتقاليد واختلاف البنى الجسدية والنفسية، قبل أن يقولوا في رسول ﷺ ما قالوا.

ثم أين هم الرهبان الطّاعنون من الدفاع عن حقوق عشرات الأطفال الذين اعتدى عليهم رهبان وقساوسة الكنائس في الغرب المسيحي؟؟ ألا فليدرؤوا، إن استطاعوا، عن أبناء وبنات زما م هذا عوضاً عن الانشغال بزواجٍ تم قبل ما يزيد على الألف وثلاثمائة عامٍ، وليقدموا للعالم المسيحي الغربي حلولاً لمشكلاته التي يتخبط فيها بدلاً من الاشتغال بزواج محمدٍ ﷺ في بيئةٍ وعصرٍ ودينٍ لا شأنَ لهم به مِن قريبٍ ولا مِن بعيدٍ. ولنقف قليلاً مع قارئنا الكريم

---

(1) مرسي [م. س]، ص ٥٠٧ نقلاً عن "الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة" للزركشي.

عند صفحاتٍ قليلةٍ من ملف الكنيسة الغربية والشذوذ والاعتداء على الأطفال، ليعلَم كل من غابت عنه الحقائق من هم الذين يتحرشون بالأطفال ويمارسون الشذوذ.

أولاً: حملَ البابا بنديكتوس السادس عشر بقوةٍ مساء الأربعاء في واشنطن على الإباحية والعنف اللذين يفسدان أخلاق المجتمع الأمريكي. بعدما أقر الثلاثاء **بشعور الكنيسة الكاثوليكية بـ "الخزي" جراء فضائح الكهنة الضالعين في اعتداءاتٍ وتحرشات جنسيةٍ بأطفالٍ** في **الولايات المتحدة.** وبعد الصلاة مع الأساقفة الأمريكيين في مركز "الحبل بلا دنس" الوطني في واشنطن تطرق البابا إلى الفضيحة الكبيرة حول ضلوع كهنةٍ في اعتداءاتٍ وتحرشاتٍ جنسية على أطفال كُشِف عنها في عام ٢٠٠٢م معتبراً أنها **"مصدر خزي" و"آلامٍ كبيرة" للكنيسة جمعاء. وأقر بأنّ القضية "أُدِيرت بطريقةٍ سيئةٍ" ودعا إلى "التعاطف مع الضحايا والاهتمام بهم"[(١)].**

ثانياً: بثت شبكتا BBC البريطانية، وقناة "راي ٢" الإيطالية مؤخراً عدداً من الحلقات التلفزيونية، تناولت ممارساتٍ بعض القساوسة والكرادلة والبطاركة داخل الكنائس، **وكشفت النقاب عن آلاف الشكاوى** التي **وردت إلى "مجمع العقيدة والإيمان" بالفاتيكان.** وفي سياقٍ متصلٍ كشفت مجلة "بانوراما" الإيطالية أنه بسبب تلك الممارسات اللاأخلاقية أُحِيلَ مئات الكرادلة والقساوسة إلى المحاكمات القضائية، التي بلغت أكثر من عشر محاكمات منذ عام ٢٠٠١م.

وأضاف التحقيق الذي نشِر يوم الجمعة ١ يونيو ٢٠٠٧م في مجلة "بانوراما" حول حالات الاعتداء على الأطفال من قِبل رجال الدين: **"رغم الشكاوى الكثيرة إلى "مجمع عقيدة الإيمان"، التي تجاوز عددها بضعة آلاف، إلا أن الهيئة المذكورة التي كان يرأسها (البابا الحالي) (بنديكت السادس عشر) أخفت تلك الحقائق وتسترت عليها، فلم تتم إحالةُ أكثر من عددٍ هزيل من المُتهمين إلى القضاء"[(٢)].**

"ونشر التحقيق رسالةً ظّلت قيد الكتمان ممهورةً بتوقيع الكاردينال "جوزف راتسنغر" (بابا الفاتيكان الحالي) موجهةً إلى كافة الهيئات الكنسية في العالم "ضرورة إبقاء هذه القضية ضمن الأسرار البابوية". وحسب التحقيق المذكور فإن رسالة "راتسنغر" المؤرخة في ٢٠٠١/٥/١٧م لا علاقة لها البتة بالشريط، الذي أنتجته وبثته محطة BBC

---

(1) جريدة الرأي الأردنية، بتاريخ ٢٠٠٨/٤/١٨م.

(2) مجلة المجتمع، العدد ١٧٥٧، بتاريخ ٢٠٠٧/٦/٢٣م.

حول حالات الاعتداءات الجنسية على الأطفال من جانب الكنيسة، والذي أعادت بثه لأول مرةٍ القناةُ الثانيةُ بالتلفزيون الإيطالي مساء الجمعة ١ يونيو ٢٠٠٧م.

ويتضمن التحقيق لائحةً بالقُضاة الكَنسِيين المُكَلفين بمعالجة قضايا الاعتداء الجنسي، وقائمةً بالمؤسسات الإيطالية التي تستقبلُ الكهنة الذين يرتكبون هذه الجرائم لإعادة تأهيلهم.

وقد انتقد الفاتيكان بشدة بث قناة (رأي ٢) الحكومية الإيطالية للشريط الوثائقي الذي أنتجته هيئة الإذاعة البريطانية BBC ووصف الناطق باسم الفاتيكان الأب "فيديريكو لومباردي"، في حديثٍ لراديو الفاتيكان ... الشريطَ الوثائقي بأنه "سرد أحداثاً درامية ضمن إطارٍ مغلوطٍ ومنحازٍ"[1].

ثالثاً: حث الواعظُ الشخصي للبابا بنيدكتوس السادس عشر، رئيس الكنيسة الكاثوليكية العالمية على إعلان يومٍ للصوم والتوبة عن الجرائم الجنسية التي استهدفت أطفالاً على أيدي رجال دين كاثوليك. وقد جاءت الدعوةُ في عظةٍ قبل عيد الميلاد استمع إليها الحبر الأعظم ومسؤولون في الكنيسة الكاثوليكية. **يذكُر أن الكنيسة تعرضت لهزةٍ بسبب سلسلةٍ من الفضائح تتعلق بإساءاتٍ جنسيةٍ للأطفال** في **السنوات الأخيرة، خاصةً** في **أمريكا الشمالية وايرلندا.**

والواعظ البابوي الأب رانييرو كمانتالاميسا، هو الوحيد المخول بتوجيه العظة للبابا.

وفي عظته للبابا، قال الأب كانتالاميسا إنه يتعين أن تِعلن الكنيسةُ يوماً للصوم والاعتكاف، للتعبير بشكلٍ علنيّ عن التوبة أمام الله والتضامن مع الضحايا.

وقال إن الوقت قد جاء لنصرخ أمام الله من أجل الفضيحة التي ألمت بالأخوة الصغار.

ولم يصدر رد فعلٍ علنّي من البابا، ولكنه قال مؤخراً إنه يتعين على الكنيسة اتخاذ كافة الخطوات اللازمة للحيلولة دون وقوع المزيد من حالات الاعتداء الجنسي على الأطفال من جانب القساوسة[2].

رابعاً: حكمت هيئةُ محلفين في ولاية كاليفورنيا الأميركية يوم الأربعاء بدفع ما يقرب من مليوني دولار لشقيقين تعرضا لانتهاكاتٍ جنسيةٍ مِن قِبَل قسٍّ كاثوليكي منذ ربع قرن.

---

(1) مجلة ا تمع، العدد ١٧٥٧، بتاريخ ٢٠٠٧/٦/٢٣م.

(2) مجلة العرب الإلكترونية بتاريخ ٢٠٠٦/١٢/١٦م على موقعها www.arabmag.blogpost.com.

والحكم ضد أبرشية أوكلاند الكاثوليكية هو الثاني الذي يصدر في الأسابيع القليلة الماضية في منطقة سان فرانسيسكو اعتماداً على إجراءٍ تشريعيٍّ أقرته كاليفورنيا يرفع مؤقتاً قانون التقادم عن مطالب التعويضات ضد القساوسة.

وفي القضية الأخيرة قال روبرت تاتشر "٣٤ عاماً" وشقيقه توم "٣٣ عاماً": إن القس روبرت بونسيرولي أساءَ معاملتهم عندما كانا طفلين يخدمان في الكنيسة في انتيوك شرق سان فرانسيسكو. وقال محامي الأخوين تاتشر: إن الكنيسة كانت تعرف أنّ بونسيرولي يسيء معاملة الأطفال ولكنها لم تحرك ساكناً.

وقال الأب مارك ويزنر المُتحدثُ باسم ابرشيه أوكلاند: "قطعاً يستحق روبرت وتوم تاتشر مقابلاً نقدياً لما تحملاه".

وقال: إنّ المسؤولين في كنيسة اوكلاند يتمنون التوصل إلى تسويةٍ في ٤٠ أو ٥٠ قضيةٍ انتهاكاتٍ قام ا فساوسة. وطالب محامٍ عن الأخوين تاتشر هيئة المحلفين يوم الثلاثاء بتعويضٍ قيمته ٢٧ مليون دولار. واستبعِد بونيسرلي من صفوف القساوسة وهو يعيش في فلوريدا.

وفي قضيةٍ أخرى الشهر الماضي قضت هيئةُ محلفين بدفع ٤٣٧ ألف دولار مقابل أضرارٍ لحقت بضحيةٍ تعرض لانتهاكاتٍ جنسيةٍ قام ا قس آخر في سبعينات القرن الماضي بعد الكشف عن أن أبرشيةَ كبير الأساقفة في سان فرانسيسكو كانت على علمٍ بالانتهاك.

وقالت دراسةٌ تمّت بتكليفٍ من الكنيسة نشرت العام الماضي إنّ ما يقرب من ١١ ألف شخصٍ اتهموا قساوسةً بانتهاكاتٍ جنسيةٍ ضد الأطفال منذ عام ١٩٥٠م إلى عام ٢٠٠٢م[1].

خامساً: وصل بابا الفاتيكان إلى سيدني استعداداً للمشاركة في الأيام العالمية الثالثة والعشرين للشباب، وسط مطالباتٍ بضرورة أن يقدم اعتذاراً رسمياً عن الفضائح الجنسية التي هزت الكنيسة الكاثوليكية في أستراليا. **وتزامن ذلك مع مطالبة تجمع يعرف باسم "ضحايا الاعتداءات الجنسية في الكنائس" بضرورة أن يقدم بنديكت السادس عشر اعتذاراً رسمياً إلى الضحايا وذويهم لما تعرضوا له من اعتداءاتٍ جنسيةٍ على يد رجال دينٍ ينتمون للكنيسة الكاثوليكية في البلاد.** وكان البابا أعرب ـ في تصريحٍ إعلاميٍّ على متن الطائرة التي أقَلته

(1) جريدة "الرأي" الأردنية، بتاريخ ٢٠٠٥/٤/١٥م.

إلى أستراليا ـ عن عزمه الأسف لما تعرض له بعض الأشخاص على يد أشخاصٍ ينتمون للكنيسة، وهو ما اعتبره تجمع أسرٍ وذوي الضحايا أقل بكثيرٍ مما تطالب به[1].

سادساً: كشف تقرير جديد أن أكثر من مائة كاهنٍ في **الكنيسة الكاثوليكية** في **"دبلن" على الأقل متورطون خلال الـ ٦٦ عاماً الأخيرة بالاعتداء الجنسي على أكثر من ٣٥٠ طفلاً.**

وقال تقرير أصدرته مطرانيةُ دبلن: إن أكثر من مائة كاهنٍ تورطوا منذ عام ١٩٤٠م في **سوء معاملة الأيتام والاعتداء الجنسي على الأطفال، وهذا ما وصِف بأنه أخطر اعترافٍ** في **الكنيسة الكاثوليكية** بدبلن حتى **اليوم. وقدمت المطرانيةُ التقرير للجنة التحقيق القضائية.**

ويقول رئيس الأساقفة ديرموند مارتن، في تصريح لـ "الغارديان" البريطانية، **إن الكنيسة ستبيع ممتلكا ا لكي تدفع تعويضاتٍ معتبراً أنّ هذه الخطوة هي تضحيةٌ من الكنيسة تكفيراً عن أخطاء الماضي.** وأشار إلى أن ما جرى خلال السنوات الماضية في هذه الكنيسة كان صعباً جداً بالنسبة له مشيراً إلى أنّ معظم الكهنة لم يتورطوا في هذه الأعمال. وقد تمّ الكشف عن قضيةٍ مشا ةٍ في أبرشية بوسطن منذ ٣ سنوات. **وأشار مارتن، الذي يرأس المطرانية منذ عام ٢٠٠٣م،** إلى **أنّ إجراءاتٍ** تم اتخاذها **ضد** اثنين **وثلاثين كاهناً** في **دبلن، وتمت مراجعةُ ملفاتٍ شخصيةٍ لـ ٢٨٠٠ كاهن** بين **عامي ١٩٤٠م و٢٠٠٦م** وتم **الادعاءُ على واحدٍ** وتسعين **كاهناً فيما** تحول **الشكوك حول أحد عشر كاهناً. وأشارت "الغارديان"** إلى **أن إيرلندا، البلد الكاثوليكي، اهتزت بعد الفضائح** الجنسية في **الكنيسة خلال العقد المنصرم حيث تورطَ الكهنةُ** في **سوء معاملة الأيتام والاعتداء الجنسي على الأطفال.** وفي **أواخر العام الماضي كشف** تحقيق **أجري على نطاقٍ ضيق** في **مقاطعة ويكشفورد وجود أكثر من مائة ادعاءٍ بالتحرش ضد واحدٍ وعشرين راهباً[2].**

سابعاً: اعترف القس تيد هاجارد مستشار البيت الأبيض، وأحد أشهر الزعماء المسيحيين **الإنجيليين الأمريكيين** بم**مارسته الشذوذ الجنسي،** وهو الا ام الذي أنكره مسبقاً، وتسبب في تنحيته عن منصبه كزعيمٍ للاتحاد الوطني للإنجيليين والذي يبلغ عدد أتباعه نحو ٣٠ مليون أمريكي. وقال هاجارد في خطابٍ تلاه القس "لاري

---

(1) قناة الجزيرة الفضائية بتاريخ ٢٠٠٨/٧/١٣م، على موقعها الإلكتروني www.aljazeera.net.

(2) قناة العربية الأخبارية، في موقعها الإلكتروني .www.alarabiya. net

ستوكستيل" الذي خلفه في قيادة كنيسة "الحياة الجديدة" بولاية كلورادو يوم الأحد ٢٠٠٦/١١/١٥م أمام ثمانية آلاف شخص: "أنا مخادِع وكاذِب".

وقد ظل القس البارز المعروف بمعارضته العلنية البارزة لزواج الشواذ ينفي الا امات المنسوبةَ إليه من تعاطي المخدرات وممارسته الشذوذ الجنسي مع المدلكِ الخاص به مايك جونز، إلا أن ذلك لم يمنع هيئة المراقبين التابعة للكنيسة من القول: **"لقد أثبتت تحقيقاتنا وتصريحات القس هاجارد أنه متورطٌ لا محالة** في **ممارسة الشذوذ".**

الفضيحة تفَجرت عندما صرح جونز (٤٩ عاماً) بأنه مارس الجنس مع القس هاجارد، مقابل أجرٍ ماليّ كل شهرٍ تقريباً، خلال السنوات الثلاث الماضية، وأ ما كانا يتعاطيان المخدرات قبيل اقترافهما الفحشاء!.

وأوضح جونز أنه أقدم على الإعلان عن العلاقة مع هاجارد، إثر التصويت الذي جرى مؤخراً في ولاية كولورادو وسبع ولايات أخرى، حول منع الزواج المثلي أو السماح به. وقال: **"لقد أغاظني أن يلقي شخص بالمواعظ ضد زواج المثليين (خلال الجدل الإعلامي الذي سبق عملية التصويت)،** ثم **يذهب ليمارس المثليةً من خلف الستار"[1].**

ثامناً: اعترف الفاتيكان بصحةِ تقارير صحيفةٍ تحدثت **عن انتهاكاتٍ أخلاقيةٍ** في **صفوف الكنيسة، وقالت إن قساوسةً ورجالَ دين كباراً أرغموا راهباتٍ على** ممارسة **الجنس معهم. وتعرضت بعض الراهبات للاغتصاب وأجبِرت أخريات على الإجهاض.**

وقال الفاتيكان في بيان له إن القضية محدودةٌ ومتعلقةٌ بمنطقةٍ جغرافيةٍ محدودةٍ، لكنه لم يشر إلى هذه المنطقة الجغرافية، وكانت التقارير أكّدت أن هذه الانتهاكات موجودةٌ في ثلاثة وعشرين بلداً من بينها الولايات المتحدة الأميركية والبرازيل والفلبين والهند وإيرلندا وإيطاليا نفسها. وقد أعدت التقرير الذي تحدث عن حالاتٍ محددةٍ بالأسماء وحالاتٍ تورط أصحابها راهبةٌ وطبيبةٌ تدعى ماروا أودونوهو، وقدمت الراهبة تقريرها إلى رئيس مجمع الفاتيكان للأوامر الدينية الكاردينال مارتي سومالو في فبراير / شباط عام ١٩٩٥م.

وقد أمر الكاردينال آنذاك بإنشاء فريق عملٍ من ا مع لدراسة المشكلة مع أودونوهو والتي كانت تعمل منسقةَ الإيدز في منظمة (كافود) وهي منظمة دينية تابعة لطائفة الروم الكاثوليك تتخذ من لندن مقراً لها.

---

(1) للاستماع للاعتراف كاملاً (افتح ملف Ted Haggard's Downfall على موقع video.google.com ولقراءة التفاصيل مكتوبة راجـع موقـع www.islamonline.net بتاريخ ٢٠٠٦/١١/٦م. تقرير محمد حامد.

واشارت أودونوهو إلى أدلّةٍ واضحة على ا اما ا، وقالت **إنه** في **إحدى الحالات أجبر قسيس راهبةً على الإجهاض** مما **أدى** إلى **مو ا،** ثم **قام بنفسه بعمل قُداسٍ لها.**

وبشأن أفريقيا قال تقريرها إن الراهبات لا يستطعن هناك رفض أوامر القساوسة ذا الشأن، **وأكدت أنّ عدداً من القساوسة هناك مارسوا الجنس مع الراهبات خوفاً من إصابتهم بالإيدز إذا "مارسوه مع العاهرات". وترغَم الراهبات على تناول حبوبٍ** لمنع **الحمل، لكنها قالت: إن مؤسسةً دينيةً اكتشفت وجود عشرين حالةِ** حملٍ **دفعةً واحدةً** بين **راهبا ا العاملات هناك.**

وأشار التقرير إلى **أن الأسقف** المحلي **لإحدى** المناطق **طرد رئيسةَ ديرٍ عندما اشتكت له من أن تسعاً وعشرين راهبةً من راهبات الدير حبالى بعد أن أُرغِمن على** ممارسة **الجنس مع القساوسة(١).**

تاسعاً: وفي اية حديثنا عن هذا الموضوع فإننا نحيلُ القارى الكريم إلى عدد مجلة التايم الأمريكية المنشور بتاريخ ٢٠٠٢/٥/١م ليقرأ فيه الملف المؤلم الطويل الذي نشرته الكاتبة جوانا ماكجيري، والذي جاء فيه:

بعدما كثرت وتزايدت الا امات بالاعتداءات الجنسيةِ التي **يرتكبها الرهبانُ الكاثوليك وبعد التستر الرسمي عليها، طالب الرومان الكاثوليك الغاضبون** قادتهم **ورؤساءَهم بإصلاح الدين المسيحي [يقصد المسيحيين]. فالصدمة هي أن حالاتٍ كثيرةً من هذا القبيل انتشرت كفيروسٍ قاتلٍ** في **نظر الرأي العام.** فالأمر لم يعد يقتصر على بوسطن بل تعداه إلى لوس أنجلوس وسانت لويس ومينوستا وفيلادلفيا وبالم بيتش وفلوريدا وواشنطن وبورتلاند وماين وبرايدج بورت وكنكتيكت. والمريع في كل هذه الحالات ليس تفردها ذه القضية بل في الشبهِ المُرعِبِ بينها. فقد تنوعت وتعددت الا امات الموجهة للرهبان الكاثوليك بالاعتداء الجنسي على الأطفال وا امات للكنيسة التستر عليها سواءٌ القضايا التي تورط فيها الأب دان أوليفر أو روكو أو بريت.

الشبهةُ الثامنة عشرة ودفْعها:

لمّا عجز الرهبان الطاعنون وكل من شايعهم عن الإتيان ولو بجزءٍ من كتابٍ يصلح لأن يعارِض القرآن الكريم، ولمّا سلم الكثيرون من خبراء اللغة ونقد النصوص الأدبية ومِن فلاسفة الغرب المسيحيين الغربيين بأنّ هذا

---

(١) قناة الجزيرة الفضائية، بتاريخ ٢٠٠١/٣/٢١م في موقعها الإلكتروني www.aljazeera.net.

القرآن لا يمكن أن يكون من وضع محمدٍ ﷺ **فقد نسبوا مصدر هذا القرآن** إلى الجن **والشياطين. وزعموا أن الشيطان هو الذي كان يوحي** إلى محمدٍ **هذا الكتاب ليفسد على الناس دينهم ويصدهم عن الدخول** في **المسيحية.**

ولم **يعجز هؤلاء الطاعنون عن** إيجاد **مستندٍ لإثبات صحة ادعائهم،** فاحتجوا **بقصة الغرانيق** التي **ساقّها المفسر الطبري** في **(جامع البيان)** كسببٍ لـ ول قوله تعالى: "وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ "(١).

وقد ساق الطبري رواياتٍ متعددةً لقصة الغرانيق، تعددت فيها الأسماء والأحداث،كما أنه ساق هذه القصة كذلك في (تاريخ الأمم والملوك). ويمكننا بعد قراءة كل ما كتبه في (جامع البيان وفي تاريخ الأمم والملوك) أن نستخلص مختصراً مفيداً للقصة، حتى نقوم بعد ذلك بمناقشتها سنداً ومتناً. وتالياً ملخصها(٢):

إنّ رسول الله قد آلمه انفضاض قومه عنه وصدودهم عن دعوته، وكان من شدة حبِه لهم،أحرص الناس على هدايتهم لدين الله، فتمنى أن يأتيه من الله ما يقرب بينه وبينهم. وفي يومٍ جاءه "الأسود بن المطلب" و"الوليد بن المغيرة" و"أمية بن خلف" و"العاص بن وائل"، وهم من زعماء قريشٍ وأسيادها وقالوا له: يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما عبدنا فنشترك نحن وأنت في الأمر. يا محمد إنما يجالسك الفقراءُ والمساكين وضعفاءُ الناس فلو ذكرت آلهتنا بخيرٍ لجالسناك، فإنّ الناس يأتونك من الآفاق.

وقال أبو الوليد وكان كبيرهم: قد عرفنا أن الله يحيي ويميت، وهو الذي يخلق ويرزق، ولكن آلهتنا تلك تشفع لنا عنده، فإنْ جعلت لها نصيباً فنحن معك.

وهكذا كانوا يعرِضون على الرسول صفقةً، أنُ يؤمنوا بالله وبالرسالة، مقابل أن يظلّوا على توسلهم بالأصنام. فجاء رد الرسول عليهم وحياً في سورة "الكافرون"، حيث يقول في جوا م: " ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ "(٣).

---

(1) سورة الحج: الآية ٥٢.

(2) للوقوف على تفاصيل القصة كاملةً انظر الطبري، جامع البيان [م. س]، ج١٧، ص ١٣١ – ١٣٣. والغرانيق جمع غرنوق وهو طائر أبيض من الطيور التي تعيش قرب الماء. وكُني بذلك الشاب الأبيض الناعم، وكان المشركون يزعمون أنّ الأصنام تقر م من الله وتشفع لهم فشبهت بالطيور التي تعلو وترتفع.

(3) سورة الكافرون: الآيات ١-٣.

على أنّ الرسول بقى يراوده الأمل في أنْ يراهم مصدقين له وكان يقول في نفسه: ليته يـ لُ في ذلك أمر يقربنا من قريش.

وذات يومٍ وبينما كان رسول الله يتلو القرآن عند الكعبة ويقرأ سورة "النجم" فلما بلغ قوله تعالى: "أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ"[1]. أجرى الشيطانُ على لسانه الجملتين التاليتين: "تلك الغرانيق العلى، منها الشفاعة ترتجى). وفي روايةٍ أخرى (منها الشفاعة ترتضى).

فلما سمع كفار قريشٍ ذلك فرحوا وسرهم وأعجبهم ما ذكر به آلهتهم، وقرأ محمد ما بعدها من آياتٍ، ولمّا بلغ آية السجدة فيها وختم السورة، سجد هو ومن حضر من المسلمين والمشركين إلاّ الوليد بن المغيرة لكِبرٍ في سنه، فأخذه بيده من البطحاء فسجد عليها.

وفرح المشركون، وارتفعت نداءاتهم يقولون: لقد ذكر محمد آلهتنا بخير. ولمّا كان كل حي من العرب له وثنه، وكانت له تلبيته الخاصةُ حول الكعبة، أصبحت تلبيةُ اللات والعزى ومناة هي كما أجراها الشيطان (أرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الكبرى، تلك الغرانيق العلى، منها الشفاعة ترتجى).

وانتشر نبأ هذه المُصالحة وعم بين الناس، وهلّلت قريش في الركبان أن التقارب قد حدث بينها وبين رسول الله في مكّة. حتى بلغ خبر السجدة المهاجرين في الحبشة من أصحاب رسول الله، وقيل لهم أسلمت قريش، فقرر رجال منهم العودة إلى مكة.

فلما أمسى أتاه جبريلُ، عليه السلام، فعرض عليه السورة، فلما بلغ الجملتين اللتين ألقى ما الشيطانُ عليه قال جبريل: ما جئتك اتين!! لقد تلوت على الناس ما لم آتِك به من الله عز وجلّ، وقلت ما لم يقُلْ لك، فقال رسولُ الله: افتريت على الله وقلت ما لم يقُلْ، فأوحى الله إليه " وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ﴿٧٣﴾ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا "[2].

[1] سورة النجم: الآيتان ١٩، ٢٠.

[2] سورة الإسراء: الآيتان ٧٣، ٧٤.

فما زال رسول الله مغموماً مكروباً، يلوم نفسه أنه افترى على الله الكذب، [وحاشاه أن يفعل ذلك] حتى نزلت عليه الآية الكريمة: " وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ "(١). تعزيه و ونُ عليه الأمر، وتبلّغه أنّ ذلك أمر شاع في الأنبياء قبله، فلم يكن قبله نبي ولا رسولٌ تمنى كما تمنى، ولا أحب كما أحب، إلا والشيطانُ قد ألقى في أمنيته، وأجرى على لسانه آياتٍ مثلها، فنسخ اللهُ ما ألقى الشيطان ثم أحكم آياته. فذهب عن رسول الله الحزنُ.

وقالت قريش: ندم محمد على ما ذكر من م لِة آلهتنا عند الله فغير ذلك وجاء بغيره، فازدادوا شراً على ما كانوا عليه ...

لا شك أن هذه القصة من الخُطورة بمكانٍ، وقد وجب التصدي لها وتفنيدها وفحصها سنداً ومتناً. ولا يكفي لصحة الاحتجاج ا مجرد ورودها في تفسير الطبري ـ يرحمه الله ـ ففي تفسيره الكثير من الروايات التي ردها العلماء ولم يقبلوا الاحتجاج ا وذلك لوجودِ علّةٍ أو ضعفٍ أو انقطاعٍ أو إرسالٍ في أسانيدها.

ومن الممكن حصر أسباب رد قصة الغرانيق فيما يلي(٢):

أولاً: مخالفتها الصريحة الواضحة لنصوص القرآن الكريم، التالية:

١. قال تعالى في سورة الحاقة: "وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ "(٣).

---

(1) سورة الحج: الآية ٥٢.

(2) انظر:

أ. الألباني، محمد ناصر الدين، نصب ا انيق لنسف قصة الغرانيق ص ٢٤ – ٢٦ بتصرف واختصار، ط١، ١٩٥٢، المكتب الإسلامي، دمشق.

ب. الخالدي [م. س]، ص ٦٦٤ – ٦٦٦ بتصرف.

ج. مرسي [م. س]، ص ٢٠ – ٢٥ بتصرف.

د. الشريف، عبد الرحيم، إفتراء ورد: مصدر القرآن الكريم هي الشياطين، بحث منشور في موقع شبكة الحقيقة الإسلامية بتاريخ ٢٠٠٧/١/١٣م على الموقع الإلكتروني للشبكة www.trutheye.com.

هـ. الأزهري، إسماعيل شعبان، قصة الغرانيق في الميزان، بحث منشور في موقع الشبكة الإسلامية بتاريخ ٢٠٠٩/١/٢م على الموقع الإلكتروني للشبكة www.islamweb.net.

و. حقائق الإسلام [م. س] الشبهة ٦٢، الشيطان يوحي إلى محمد ﷺ والرد عليها.

(3) سورة الحاقة: الآيات ٤٤ – ٤٦.

٢. وفي سورة يونس: " قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ "[1].

٣. وفي سورة الإسراء: " وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا "[2]. فكلمة "كاد" تفيد أن الأمر لم يحصل.

٤. وفيها قوله: " وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا "[3]. فكلمةُ "لولا" تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره فدل على أن ذلك الركون لم يحصل.

٥. وفي سورة الفرقان: " كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلْنَٰهُ "[4].

٦. وفي سورة الشعراء نص قاطع ينفي ذلك بتاتاً: " وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ "[5].

ثانياً: مخالفتها للعقل السليم الذي يفهم الإسلام فهماً صحيحاً. وتوضيح ذلك ما يلي:

١. إن النبي ﷺ لم يحترم الأصنام في الجاهلية، ولم يعرف عنه أنه تقرب إلى صنمٍ قط، وقد كسر النبي ﷺ في فتح مكة ثلاثمائة وستين صنماً، فكيف يوقرها وهو رسولٌ مِن الله سبحانه وتعالى؟ وكيف يتركه ربه سبحانه وتعالى يسجد للأصنام بحسب هذه القصة الموضوعة؟! فهو من يأمر ﷺ بطمس الأصنام، وتغيير معالمها!!.

٢. لو جوزنا ذلك لارتفع الأمانُ عن شرعه، ولجوزنا في كل الشرائع أن تكون كذلك.

٣. ليس من المعقول أن يعترف النبي بشفاعة الغرانيق وهو يدعو إلى عبادة الله تعالى ويحارب الأصنام. ولو كان الشيطان له سلطانٌ عليه لدرجةٍ أنه يملي عليه ويحرك لسانه بالكُفر، لكان أُلعوبةً له، ليس في هذه القصة فقط، بل في غيرها أيضاً. والنبي معصوم من الشياطين بداهةً.

٤. إنّ الاعتراف بشفاعةِ الأصنام كفر مخرج من المِلّة!!.

---

[1] سورة يونس: الآية: ١٥

[2] سورة الإسراء: الآية ٧٣.

[3] سورة الإسراء: الآية ٧٤.

[4] سورة الفرقان: الآية ٣٢.

[5] سورة الشعراء: الآيتان ٢١٠، ٢١١.

ثالثاً: قصة الغرانيق مردودةٌ ومطعونٌ في سندها عند المحدثين والمحقّقين.

وبيان ذلك أننا لو ألقينا النظر على روايات هذه القصة، لألفيناها كلّها مرسلةً، باستثناء حديث ابن عباس، ولكن طرقه كلّها واهيةٌ شديدة الضعف، لا تنجبر ا تلك المراسيلُ. فيبقى النظر في هذه المراسيل، وهي كما علمنا سبعةٌ، صح إسناد أربعةٍ منها، وهي مرسلُ سعيد بن جبير، وأبي بكرٍ بن عبد الرحمن بن الحارث، وأبي العالية، ومرسل قتادة، وهي مراسيلُ يرد عليها أحد الاحتمالين السابقين، لأ م من طبقةٍ واحدةٍ: فوفاة سعيد بن جبير سنة (٩٥ هـ) وابي بكر بن عبد الرحمن سنة (٩٤ هـ)، وأبي العالية ـ واسمه رفيع مصغراً لسنة (٩٠ هـ) وقتادة سنة بضع عشرة ومائة. والأول كوفي،والثاني مدني، والأخيران بصريان. فجائز أن يكون مصدرهم الذي اخذوا منه هذه القصة ورووها عنه، واحداً لا غير، وهو مجهول. وجائز أن يكون جمعاً، ولكنهم ضعفاءُ جميعاً، **فمع هذه الاحتمالات لا يمكن أن تطمئن النفس لقبول حديثهم هذا، لا سيما في مثل هذا الحَدثِ العظيم الذي يمس المقام الكريم، فلا جرم تتابع العلماء على إنكارها، بل التنديد ببطلا ا، ولا وجه لذلك من جهة الرواية إلاّ ما ذُكِر.** قال الفخر الرازي في تفسيره (١٩٣/٦): "روي عن محمد بن اسحق بن خزيمة أنه سئِلَ عن هذه القصة؟ فقال: "هذه من وضع الزنادقة"، وصنف فيه كتاباً. وقال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: "هذه القصة غير ثابتةٍ من جهة النقل" ثم أخذ يتكلم في أن رواة هذه القصة مطعون فيهم. وأيضاً: فقد روى البخاري في "صحيحه" أن النبي ﷺ قرأ سورة (النجم) وسجد وسجد فيها المسلمون والمشركون، والأنس والجن، وليس فيه حديث الغرانيق، وروي هذا الحديث من طرقٍ كثيرةٍ، وليس فيها ألبتة حديث الغرانيق.

وقد تبع هؤلاءِ جماعةٌ من الأئمة العلماء رحمهم اللهُ تعالى [1].

---

[1] وأسماؤهم على ترتيب وفيا م ما يلي:

١. أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن العربي توفي سنة (٥٤٢)، في تفسيره "أحكام القرآن".
٢. القاضي عياض بن موسى بن عياض (٥٤٤) في كتابه "الشفا في حقوق المصطفى".
٣. فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن الرازي (٦٠٦) في تفسيره "مفاتيح الغيب" (١٩٣/٦ – ١٩٧).
٤. محمد بن أحمد الأنصاري أبو عبد الله القرطبي في "أحكام القرآن" (٨٠/١٢ – ٨٤).
٥. محمد بن يوسف بن علي الكرماني، مِن شراح "البخاري" (٧٨٦)، وقد نقل كلامه في ذلك الحافظ بن حجر في "الفتح" (٤٩٨/٨).
٦. محمود بن أحمد بدر الدين العيني (٨٥٥) في "عمدة القاري". (٤٧/٩).
٧. محمد بن علي بن محمد اليمني الشوكاني (١٢٥٠) في "فتح القدير". (٢٤٧/٣ – ٢٤٨).
٨. السيد محمود أبو الفضل شهاب الدين الآلوسي (١٢٧٠) في "روح المعاني" (١٦٠/١٧ – ١٦٩).
٩. صديق حسن خان أبو الطيب (١٣٠٧) في تفسير "فتح البيان".

وفي ـاية ردنا على شبهة الشيطان كمصدرٍ للقرآن وأنه قد يلقى على لسان محمد ﷺ ما شاء فقد يواجهنا سؤالٌ لمعترضٍ يقول فيه: "**إن كان ما ذكرتم صحيحاً فكيف تفسرون قول القرآن:** "وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ"[1]؟؟ **فهذه الآية واضحةٌ في الدلالة على قدرة الشيطان على أن يملي لمحمدٍ والأنبياء من قبله!!!**

والرد على هذا السؤال سهلٌ ميسور لكل من أراد الفهم الصحيح لها؛ ففيها يخبر اللهُ رسوله ﷺ أن كل رسولٍ ونبيٍّ قبله كان يتمنى ويرجو ويأملُ أنْ يؤمن به قومه ويصدقوه، وكان يبذلُ جهده في دعوتهم، ولكن الشيطانَ كان يحاولُ تيئيسه، ولذلك كان يلقي في أمنيتِهِ، ويريه أنّها مستحيلةٌ، وأن قومه لن يؤمنوا به، فلا يتعب نفسه معهم. وكان اللهُ يتدارك رسوله برحمته، ويمن عليه بالأمل، وبذلك كان ينسخ ما يلقي الشيطانُ من وساوس، ويحكم آياته، ويبقي الرسولَ على ثقته وأملِهِ وجهوده في الدعوة....

الشبهةُ التاسعةَ عشرةَ ودفْعها

إن القرآن الذي جاء به محمد، يزعم أنّ محمداً مكتوب في التوراة والإنجيل. كما يزعم أنّ اليهود والمسيحيين من بعدهم اتفقوا على محو اسم (محمدٍ) مِن الكتاب المقدس! فهل يعقلُ أن يتفق اليهود والمسيحيون في شرق العالم وغربه وشماله وجنوبه على محو اسم (محمد) من الكتاب المقدس، وهو غير مذكورٍ فيه أصلاً؟؟

- تتركب هذه الشبهةُ من جزأين:

أولهما: القطع بعدم ورود نصٍّ كتابيٍّ يذكر اسم محمدٍ أو نبوته.

ثانيهما: اتهام القرآن لأهل الكتاب بالتواطؤ والتآمر لمحو اسم محمدٍ من الكتاب المقدس.

---

[1] سورة الحج: الآية ٥٢.

- **أما عن الرد على الجزء الثاني من هذه الفرية**، فهو أنّ أساسها مبني على فهمٍ فاسدٍ؛ وهو أنّ المسلمين يعتقدون أنّ اسم النبي ﷺ الصريح، وهو محمد بالعربية، مذكور في التوراة والإنجيل" وهذا لم يقُلْه عالِم من علماء المسلمين ولا أخبر اللهُ سبحانه به في كتابه عنهم، ولا رسولُه ولا بكتهم به يوماً من الدهر، ولا قاله أحد من الصحابة ولا الأئمةُ بعدهم، ولا علماء التفسير، ولا المُعتنون بأخبار الأمم وتواريخهم.

وإنْ قُدر أنه قاله بعض عوام المسلمين يقصد به نصر الرسول فقد قيل: يضر الصديق الجاهلُ أكثر مما يضر العدو العاقل. وإنما أُتي هؤلاء مِن قلة فهم القرآن، وظنوا أنّ قوله تعالى: " الَّذِين يتبِعونَ الرسولَ النبِي الْأُمي الَّذِي يجِدونه مكْتوباً عِندهم فِي التوراةِ والإِنجِيل يأمرهم بِالْمعروفِ وينهاهم عنِ الْمنكَرِ" [الأعراف: ١٧٥]، دل على الاسم الخاص بالعربية في التوراة والإنجيل المخصوصين وأن ذلك لم يوجد البتة ... فالرب سبحانه: إنما أخبر عن كون رسوله مكتوباً عندهم، أي الإخبار عنه وصِفَتِه ومخرجِه ونعتِه، ولم يخبِر بأنّ صريح اسمه العربي مذكور عندهم في التوراة والإنجيل، وهذا أبلغُ من ذكره بمجرد اسمه، فإنّ الاشتراك قد يقع في الاسم فلا يحصل التعريف والتمييز، ولا يشاءُ أحد يسمى بهذا الاسم أن يدعي أنه هو إلاّ فَعلَ، إذ الحوالة إنما وقعت على مجرد الاسم، وهذا لا يحصلُ به بيانٌ ولا تعريف ولا هدى، بخلاف ذكره بنعته وصِفته وعلاماته ودعوته وصِفَةِ أُمته ووقتِ مخرجِهِ ونحو ذلك، فإن هذا يعينه ويميزه ويحصر نوعه في شخصه[1].

- **أما عن الرد على الجزء الأول من هذه الشبهة وهو القطع بعدم ورود نصّ كتابيٍّ يذكر نبوةَ محمدٍ** ﷺ فقد بحثَ علماؤنا المهتمون بدراسة اليهودية والمسيحية هذا الموضوع بحثاً مستفيضاً ينم عن اطلاعهم على الكتاب المقدس ودراستهم له، وكانوا ولا يزالون يضعون بين كل فترةٍ وفترةٍ كتاباً يتناول هذا الموضوع. ولعل معظم عناوين أبحاثهم المتعلّقة به قد حملت عنوان (المبشرات) أو (البشارات) أو (التباشير). وهم يقصدون بها نصوص الكتاب المقدس التي تحدثت عن أوصاف ونبوة سيدنا محمدٍ ﷺ.

ولعل أنفع كتبهم وأكثرها دقةً، حسب تقييمنا المتواضع، خمسةٌ هي:

---

(1) ابن القيم [م. س]، ص ٩٠، ٩١ بتصرف واختصار.

١. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية، يرحمه الله، ويكاد هذا الكتاب يكونُ العمدةَ في هذا الموضوع؛ حيث نهلَ اللاحقون لابن تيمية من صفحاته خيراً كثيراً وبالذات تلميذه ابن القيم. وقد شرح ابن تيمية في هذا الكتاب اثنتين وعشرين بشارةً من بشارات الكتاب المقدس بنبوةِ محمدٍ ﷺ.

٢. هداية الحيارى لأجوبة اليهود والنصارى، لابن قيم الجوزية.

٣. إظهار الحق، لرحمت الله الهندي.

٤. محمد في الكتاب المقدس، لعبد الأحد داود، والذي كان يسمى سابقاً دافيد بنجامين كلداني، والذي كان أباً روحياً وقسيساً لطائفة الكلدانيين.

٥. تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمدٍ ﷺ، للدكتور نصر الله عبد الرحمن أبو طالب. وهذا الكتاب جهد علمي ضخم جمع فيه المؤلف خلاصة جهود السابقين في هذا الموضوع وناقشها فقبل بعضها واستبعد بعضها الآخر لضعفٍ في دلالتها، كما قال، ثم أضاف عليها بشاراتٍ جديدةً هامةً، مؤكداً أنّ كل ما ضمنه في كتابه هذا إنما هو دلالةٌ قاطعةٌ لبشارات الكتاب المُقدسِ على الإسلام يستحيلُ تفسيرها بغير ذلك.

لقد رصدنا في هذه الدراسة الكتب الخمسة السابقة رصداً متأنياً، وقُمنا بتحليل أبرز مضامينها المتعلّقة بالبشارات الدالّة على أوصافه ونبوته ﷺ. وكان من نتائج ذلك، أنّ نصوص الكتاب المقدس التي استدل ا علماؤنا قديماً وحديثاً متشا ةٌ جداً بل تكاد تكون هي عينها التي استدل ا كل منهم. وكذا كان حال التفسير والتوجيه الذي قدمه كل منهم لهذه النصوص، ولكن مع فروقٍ قليلةٍ غير هامةٍ.

وقد تفاوتت أعداد هذه البشارات عند علمائنا حتى زادت عن الخمسين عند بعضهم، مع ذِكرهم لترجماتٍ وتفصيلاتٍ كثيرةٍ قد يشكِلُ على الكثيرين فهمها.

ولتسهيل الأمر وتوطئته على القارئ الكريم، فإننا سنسوق أبرز وأهم هذه البشارات مع شرحٍ مختصرٍ لها[(١)]:

---

[1] انظر:

أ. ابن تيمية [م. س] ص ٢٦٦ – ٣٠٢.

ب. ابن القيم [م. س] ص ١٠٩ – ١١٧، ١٤٧ – ١٥٧، ١٧٤ – ١٨٤.

ج. الهندي [م. س] ص ٥١٩ – ٥٤٥

د. داود، عبد الأحد، محمد في الكتاب المقدس، ترجمة فهمي شمّا، ص ٣٠ – ٣٥، ٣٦ – ٥٤. =

أولاً: "جاء الرب مِن سِيناءَ وأشرق من سعير وتلألأ من جبل فاران".[(١)] وهذه البشارة متضمنةٌ النبوات الثلاث: نبوةَ موسى، ونبوةَ عيسى، ونبوةَ محمدٍ ﷺ؛ فمجيئه من "سيناء" وهو الجبل الذي كلم اللهُ عليه موسى ونبأه عليه، إخبار عن نبوته. وتجليه من ساعير هو مظهر المسيح من بيت المقدس، و"ساعير" قريةٌ معروفةٌ هناك إلى اليوم، وهذه بشارة بنبوة المسيح. و"فاران" هي مكّةُ. وشبه سبحانه نبوةَ موسى بمجيء الصباح، ونبوةَ المسيح بعدها بإشراقِ وضيائه، ونبوةَ خاتم الأنبياء بعدهما باستعلاء الشمس وظهور ضوئها في الآفاق. وقد وقع الأمر كما أخبر به؛ فإنّ الله سبحانه صدع بنبوةِ موسى ليلً الكفر فأضاء فَجره بنبوته، وزاد الضياء والإشراق بنبوة المسيح، وكَملَ الضياءُ واستعلن بنبوةِ محمدٍ صلوات الله وسلامه عليهم.

وذِكْر هذه النبوات الثلاث التي اشتملت عليها هذه البشارةُ نظير ذِكرِها في أول سورة " ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾"[(٢)]. فَذَكَر أمكنةَ هؤلاء الأنبياء وأرضهم التي خرجوا منها و"والتينِ والزيتون" المراد بما منبتهما وأرضهما وهي الأرض المقدسةُ التي هي مظهر المسيح، و"وطُورِ سِينِين" الجبل الذي كلم اللهُ عليه موسى فهو مظهر نبوته، و"وهـذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ" مكّةُ، حرم الله وأمنه التي هي مظهر نبوةُ محمدٍ صلوات الله عليه وسلامه عليهم. فهذه الثلاثة نظير تلك الثلاثة، سواءٌ قالت اليهود: "فاران" هي أرض الشام وليست أرض الحجاز أم لم تقلْ. وليس هذا ببدعٍ من بهتهم وتحريفهم، فعندهم في التوراة: إنّ إسماعيل لمّا فارق أباه سكَن في برية فاران. هكذا نطقت التوراة، ولفظُها "وسكَن في بريةِ فاران، وأخذت له أمه زوجةً من أرض مصر"[(٣)].

ولا يشك علماءُ أهل الكتاب أن فاران مسكن لآل إسماعيل، فقد تضمنت التوراةُ نبوةً تنزلُ بأرض فاران، وتضمنت نبوةً تدل على عظيمٍ من ولد إسماعيل، وتضمنت انتشار أُمتِهِ وأتباعه حتى يملأوا السهل والجبل. ولم يبق بعد هذا شبهةٌ أصلاً في أن هذه هي نبوةُ محمدٍ ﷺ التي نزلت بفاران على أشرف ولد إسماعيل حتى ملأت الأرض ضياءً ونوراً وملأ أتباعه السهل والجبل. وهنا نسألُ منكري ذلك والمكابرين: أي نبوةٍ خرجت من الشام فاستعلَت استعلاءَ ضياءِ الشمس، وظهرت فوق ظهورِ النبوتين قبلها؟!.

=هـ. أبو طالب، نصر الله عبد الرحمن، تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمـد ﷺ، ص ٢٥٠، ٢٥١، ٢٧٣، ٢٧٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣٧١، ٣٧٢، ط٢، كتاب منشور في موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة www.55a.net

(1) سفر التثنية: ٣٣: ٢

(2) سورة التين: الآيات ١ – ٣.

(3) التكوين: ٢١: ٢١.

ثانياً: **"هو ذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سرت به نفسي، وضعت روحي عليه، فيخرج الحق للأمم، لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته، قصبةً مرضوضةً لا يقصف وفتيلةً خامدةً لا يطفئُ، إلى الأمان يخرج الحق، لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته. وهكذا يقولُ خالق السماوات وناشرها، باسطُ الأرض ونتائجِها معطي الشعبِ عليها نسمةً والساكنين فيها روحاً، أنا الرب قد دعوتك بالبِر فأمسِك بيدك وأحفَظُك وأجعلُك عهداً تفتح للشعب ونوراً للأمم، لتفتح عيون العمي، لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة"(١).**

"هو ذا الأوليات قد أتت والحديثات أنا مخبِر ا، قبل أن تنبت أعلمكم ا، غنوا للرب أغنيةً جديدةً تسبيحةً من أقصى الأرض، أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها. لِترفَع البريةُ ومدنها صوتها، الديار التي سكنها قيدار، لتترنم سكانُ سالِع، من رؤوس الجبال ليهتفوا، ليعطوا الرب مجداً ويخبروا بتسبيحه في الجزائر. الرب كالجبار يخرج، كرجل حروبٍ ينهض غيرته، يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه"(٢). "يخزى خِزياً المتكِلونَ على المنحوتات القائلون للمسبوكات انتن آلهتنا ..."(٣).

هذا حديثٌ بين عن عبد الله المُختارِ الذي سيرسلُ إلى كل الأمم ... الذي تنتظر الأمم شريعته والنور الذي معه والذي من خلاله سيتم عهد الله مع أمم الأرض.

مؤيد بالله محفوظٌ مِن قِبل الله يأتي بشريعة وتسبيحةٍ جديدةٍ ... يفَتح ا عيون العمي من بين الظلمات، ويخرج ا الناس من حبس الدنيا، إلى سعة الدنيا والآخرة. فتبدد الظلماتِ في أرض البرية التي سكنها قيدار ابن إسماعيل (الحجاز والجزيرة العربية) ... فيعبدون الله ويسبحونه ويرفعون أصوا م بذكره من فوق الجبال (بما فيها جبل سلع في المدينة) ... ويقاتلون أعدءهم فَينصرون عليهم ...

ما تمت هذه النبوءةُ إلا بظهور الإسلام من جزيرة العرب حيث سكن أبناءُ إسماعيل الذين قاموا بنشره بين أمم الأرض ... فنقلوها من جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ... وأخرجوا الحق والإيمان الذي طالما كان مستضعفاً ومطارداً إلى بر الأمان والعزة ... وكان المصطفى المختار، ﷺ، قد لُقب في القرآن

---

(1) إشعياء: ٤٢: ١ – ٧.

(2) إشعياء: ٤٢: ٩ - ١٣

(3) إشعياء: ٤٢: ١٧

مراراً بعبد الله، وهو الذي تعهد اللهُ بحفظه وعصمته من الناس وأيده بنصره، ووهبه خُلُقاً عظيماً وجعله إماماً في مكارم الأخلاق.

هذه النبوءة لا تنطبق على كورش الفارسي كما هو واضح، وإنْ كانت إصحاحات تاليةٌ تتحدثُ بعد ذلك عن شخصية كورش، إلا أن المشهور عنه وثنيته وعدم إيمانه، فكيف ينسب إلى المرسلين؟ وكورش لم ينشر النور ولا الهدى في أرض بني إسماعيل، ولا أصبح الناس من بعده في هذه الديار مؤمنين، ولا تنطبق هذه النبوءة من أي ناحيةٍ على المسيح عليه السلام، خلافاً لزعم المسيحيين ... هذا إضافةً إلى نسبة العبودية إلى هذا الرسول، وهم يزعمون أنه هو الله أو أنه ابنه المساوي له في الجوهر والمقام ... ويكفي، فوق أن هذه النبوةَ لم تتحقق إلاّ على يدي رسول الله محمد ﷺ، يكفي ا تلك الإشارة الواضحة إلى موطن ظهور المختار وأ ا الديار التي سكنها قيدار ... وقيدار هو ثاني أبناء إسماعيل كما تذكر التوراة. وقد أورد المؤرخون اسمه ضمن أسماء أجداد قبيلة قريش التي سكنت مكةَ، والتي ظهر منها رسولُ الله محمد ﷺ والسؤال ـ الذي ليس له إلاّ جواب واحد ـ هو متى تبددت الظلمات في الحجاز؟ ومتى آمن أبناء إسماعيل بالله وتركوا عبادة الأصنام إلاّ عند مجيء رسول الله محمد ﷺ؟ هذا في الوقت الذي أعلن فيه المسيح، عليه السلام، عن خصوصية دعوته لبني إسرائيل، وأن هدفها تبشيرهم بقرب مجيء مملكة الله حتى يستقبلوها برضى وإيمان.

ثُم، من غير رسول الإسلام محمد ﷺ مؤهلٌ لهذه الصفات..؟ هو المختار (مختاري) أو المصطفى والمصطفى من أسمائه وألقابه المشهورة ... هو الذي أعلن منذُ اللحظة الأولى في دعوته أنه رسولٌ لكل الأمم (فيخرِج الحق والعدل للأمم) .. ولم يكن ذلك لأي نبيٍ قبله بما فيهم عيسى، عليه السلام، الذي نقلت عنه الأناجيلُ الحاليةُ إعلانه أن دعوته خاصةٌ ببني إسرائيل ... وهو صاحب اللقب "عبد الله" في الوحي ... ولم يشتهر أحد ذا اللقب أو يعرف به ـ وإن كان الجميع عبيد الله ـ إلاّ رسولُ الإسلام محمد ﷺ. وهو النبي الذي اشتهر بأخلاقه وكمال أدبه وإن كانت أخلاقهم جميعها لعالية ... وأُثبت الثناءُ على أخلاقه في مواضع متعددةٍ من القرآن الكريم لتكون شاهداً لنبوته في حياته وبعد مماته. ويكفي هنا تذكير القارئ الكريم بقوله تعالى " وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ "[1]. فما كان يرفع صوته في الأسواق والطرقات ... كان يبني ولا يهدم ... كان يفرح ويشجع على الخير حتى وإن كان ضئيلاً بل يأمر بالخير

---

[1] سورة القلم، الآية ٤

وعمله حتى لو كانت القيامةُ بادئةً كما في أمره بمواصلة الغرس حتى لو قامت القيامة... ولم ييأس في دعوته ولم يكل حتى انتصر الدين الذي جاء به وأقام دولته التي حكمت جزيرةَ العرب كاملةً في حياته ... ومن بعد موته انتشر الدين خارج الجزيرة وبلغ الأمصار التي كانت تنتظر شريعته ... "لا يكلّ ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته".

ثالثاً: ١. "فقال لها [لهاجر] ملاك الرب: ارجعي إلى مولاتكِ واخضعي تحت يديها. وقال لها ملاك الرب: تكثيراً أكثر نسلكِ فلا يعد مِن الكثرةِ وقال لها ملاك الرب: ها أنت حبلى فتلدين ابناً وتدعين اسمه إسماعيل"[1].

٢. "وأما إسماعيلُ فقد سمِعت لكِ فيه، ها أنا أباركه وأثمِره وأكثره كثيراً جداً، إثني عشر رئيساً يلد، وأجعله أمةً كبيرةً"[2].

٣. "قومي احملي الغلام [أي إسماعيل] وشدي يدكِ به لأني سأجعله أمةً عظيمةً"[3].

٤. ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانيةً من السماء، وقال بذاتي أقسمت يقول الرب إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك أباركك مباركةً وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر، ويرث نسلُك باب أعدائه ويتبارك في نسلِك جميع أمم الأرض"[4].

تتأكد هذه البشارة لإبراهيم في مباركة ذريته في مواضع متعددةٍ كما نرى ... ثلاثُ مراتٍ منها خاصةٌ بنسل إسماعيل وأخرى بنسله عامةً ... تتكرر الثلاث الأولى مؤكدةً بأنّ أبناء إسماعيل سيكثرون، ويبارك اللهُ فيهم حتى يكونوا أمةً عظيمةً وكبيرةً ... ومعلوم بدهياً أن أبناء إسماعيل لم يكونوا سوى قبائل قليلةٍ متناحرةٍ بينها بالجزيرة العربية، ويعبد غالبيتها الأصنام ... وقد أُهمِلَ ذِكْر العرب على مدى التاريخ، وأصبحوا موضع احتقارٍ من اليهود من أبناء يعقوب وإسحاق ومن الأمم الأخرى ... فهم الأمةُ الوثنيةُ الجاهلة، ولم يتحقق لأبناء إسماعيل ذِكْر ولم يصيروا أُمةً عظيمةً غالبةً على أعدائها إلا بظهور رسول الله محمد ﷺ بينهم ... فلما ظهر بينهم رسولُ الله أظهرهم اللهُ بفضله على سائر الأمم فحكموا بالإسلام معظم المعمور من الأرض في الزمن الماضي، من أطراف الصين حتى إسبانيا وتوالت بعد دولةِ الرسول ﷺ دولُ الأمويين والعباسيين وغيرهم وهم من أبناء إسماعيل مباشرةً ... واستمر الحكم الإسلامي بعد

---

(1) التكوين: ١٦: ٩ – ١٣.

(2) التكوين: ١٧: ٢٠.

(3) التكوين: ٢١: ١٨.

(4) التكوين: ٢٢: ١٥ – ١٨.

ذلك في حكم العثمانيين، وهم إن لم يكونوا عرباً إسماعيليين فقد حكموا منتسبين لرسول الله ﷺ فكأنهم ولاةٌ عنه في أمةٍ عظيمةٍ، راسخةٍ في الأرض ـ وإن ضعفت أحياناً ـ زعيمها ومؤسسها رسول الله ﷺ.

ولولا أنّ الإسلام حق ... وأنّ رسول الله ﷺ حق، لما بشر إبراهيم عليه السلام بظهور أبناء إسماعيل أُمةً عظيمةً وكبيرةً ... فما كان الله عز وجلّ ليبشر إبراهيم بضلال أبنائه ولكن بهدايتهم وكثرتهم على الحق والهدى.

رابعاً: "أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مِثْلك، وأجعلُ كلامي في فمِهِ، فيكلّمهم بكلِ ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه[1]، وأما النبي الذي يطغي فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصِه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهةٍ أخرى فيموت ذلك النبي"[2].

هذا النص مما لا يمكن لأحدٍ منهم جحده وإنكاره ولكن لأهل الكتاب فيه أربعةُ طرقٍ: أحدها: حمله على المسيح وهذه طريقة النصارى.

وأما اليهود فلهم فيه ثلاثةُ طرقٍ:

أحدها: أنه على حذف أداة الاستفهام، والتقدير: أَأُقيم لبني إسرائيلَ نبياً من إخوتهم؟ أي لا أفعلُ هذا، فهو استفهام إنكارٍ حذِفَت منه أداة الاستفهام.

الثاني: أنه خبر ووعد، ولكن المراد به شمويل النبي [صموئيل]، فإنه من بني إسرائيل، والبشارةُ إنما وقعت بنبيٍّ من إخوتهم، وإخوةُ القومِ هم بنو أبيهم، وهم بنو إسرائيل.

الثالث: أنه نبي يبعثه الله في آخر الزمان يقيم به ملْك اليهود ويعلو به شأنهم وهم ينتظرون إلى الآن.

والذي نراه نحن أنها بشارةٌ صريحةٌ في النبي العربي الأمي محمدٍ بن عبد الله ﷺ لا تحتملُ غيره. فإنها إنما وقعت بنبي من إخوة بني إسرائيل لا من بني إسرائيل أنفسهم. والمسيح من بني إسرائيل، فلو كان المراد بها هو المسيح لقالَ: أُقيم لهم نبياً من أنفسهم، كما قال تعالى: " لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ "[3].

---

[1] وفي ترجمة البروتستانت (فأكون أنا المنتقم)، وفي بعض الترجمات الكاثوليكية الأخرى (فإني أحاسبه).

[2] التثنية: ١٨: ١٨ – ٢٠.

[3] سورة آل عمران، الآية ١٦٤.

وإخوةُ بني إسرائيل هم بنو إسماعيل، ولا يعقَلُ في لغةِ أُمةٍ من الأمم أن بني إسرائيل هم إخوةُ بني إسرائيل، كما أن إخوةَ زيدٍ لا يدخل فيهم زيد نفُسه. وأيضاً فإنه قال: "نبياً مثلك" وهذا يدل على أنه صاحب شريعةٍ عامةٍ مثل موسى وهذا يبطِلُ حملَه على شمويل [صموئيل] من هذا الوجه أيضاً، ويبطِلُ حملَه على يوشع من أربعة أوجه:

أحدها: أنه من بني إسرائيل لا مِن إخو م.

الثاني: أنه لم يكن مثل موسى، وفي التوراة: "ولم يقم بعد نبي في إسرائيلَ مِثلُ موسى. الذي عرفه الرب وجهاً لوجه. وفي جميع الآيات والعجائب التي أرسله الرب ليعملَها في أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده وكُل أرضه"(١).

الثالث: أن يوشع نبي في زمن موسى، وهذا الوعد إنما هو بنبيٍّ يقيمه الله بعد موسى.

و ذه الوجوه الثلاثة يبطلُ حملُه على هارون، مع أنّ هارون توفّي قبل موسى، ونبأه اللهُ مع موسى في حياته.

الرابع: إن في هذه البشارة أنه ي ـلُ عليه كتاباً يظهر للناس مِن فيه، وهذا لم يكن لأحدٍ بعد موسى غير النبي ﷺ، وهذا من علامات نبوته التي أخبر ا الأنبياءُ المتقدمون.

خامساً: "ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد، أشيدي بالترنم أيتها التي لم تمخض، لأن بني المستوحِشةِ أكثر من بني ذات البعل قال الرب. أوسعي مكانَ خيمتكِ ولتبسطْ شقُق مساكِنك. لا تمسكي أطيلي أطنابكِ وشددي أوتادكِ، لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار ويرثُ نسلُكِ أمماً ويعمر مدناً خربةً، لا تخافي لأنك لا تخزين .."(٢).

لا يستقيم المعنى هنا إلاّ بأن يكون الخطاب موجهاً إلى مدينة مكة لا القدس ... فإن مكّةَ هي مدينةُ هاجر وإسماعيل .. وبنو المستوحشة التي تركها بعلُها هم بنو هاجر وإسماعيل ... وقد وصِف إسماعيلُ، عليه السلام، في التوراة المعاصرة بأنه وحشي (مستوحِش). وقد ظلّت مكة مهجورةً موحِشةً من الوحي، عاقراً لا تلد أنبياء كمدينةِ القدس ... فجاء ا البشرى هنا بأنّ أبناءها سيكثرون ... وهو ما ينسجم مع البشارات السابقة والعديدة حول إكثار أبناء هاجر، وما ينسجم مع واقع الناس في الماضي والحاضر ... فسيكثر أبناء إسماعيل كما بشر بذلك من قبل وستمتد دولتهم وأُمتهم إلى ما حولهم من البلاد والمدن فيعمرو ا ويقيمون دولةً عالمية تنضوي تحتها الأمم (ويرث نسلُك أمماً) ... وهو ما تم فعلاً على أيدي أبناء إسماعيل فقط، ولم يتم مثلُه على أيدي أبناء ذات البعل سارة عليها السلام.

---

(١) التثنية: ٣٤: ١٠، ١١.

(٢) اشعياء: ٥٤: ١ - ٤

فهذا تبشير واضح بالإسلام ودولته ... إذ لم يتحقق لأبناء إسماعيل (أبناء هاجر / أبناء مكة) ذِكر ولا تاريخ إلا بمجيء الإسلام.

سادساً: البشارات الواردة في إنجيل يوحنا بـ (البارقليط أو الفارقليط) أو (المُعزي)، وهي التالية:

١. " بهذا كلّمتكم وأنا عندكم، وأما المُعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيءٍ ويذكركم بكل ما قلته لكم ..."[(١)].

٢. "وأنا أطلب من الآب فيعطِيكم معزياً آخر ليمكُثَ معكم إلى الأبد .."[(٢)].

٣. "لكِني أقولُ لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إنْ لم أنطلِق لا يأتيكم المُعزي ولكن إنْ ذهبت أرسِلُه لكم، ومتى جاء ذاك يبكت العالمَ علي خطِيةٍ وعلى بِرٍّ وعلى دينونةٍ"[(٣)].

٤. "ومتى جاء المُعزي الذي سأرسلِه أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً لأنكُم معي من الابتداء"[(٤)].

٥. "إنّ لي أموراً كثيرةً أيضاً لأقولَ لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاءَ ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسِه، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمورٍ آتيةٍ، ذاك يمجدني، لأنه يأخذُ مما لي ويخبركم"[(٥)].

وننبه قبل الشروع في تفسير المعاني المقصودة من النصوص السابقة من إنجيل يوحنا إلى أمرين هامين:

الأمر الأول: إنّ هناك خلافاً شديداً قد وقع بين العلماء المسلمين وعلماء أهل الكتاب من المسيحيين في ترجمة كلمة (Paraclytos) اليونانية إلى اللغة العربية، ففي حين ترجمها المسيحيون المعاصرون إلى لفظ (المُعزي) تمسك العلماء المسلمون بترجمتها إلى (الفارقليط أو البارقليط)[(٦)]، وقد احتج العلماء المسلمون بأمرين، أولهما أنّ كلمة المعزي هي ترجمةٌ لكلمة (Paracalon) التي لم ترد في الإنجيل

---

(1) يوحنا: ١٤: ٢٥، ٢٦.
(2) يوحنا: ١٤: ١٦.
(3) يوحنا: ١٦: ٧، ٨.
(4) يوحنا: ١٥: ٢٦، ٢٧.
(5) يوحنا: ١٦: ١٢ – ١٤.
(6) للتوسع، انظر:
أ. الهندي [م. س]، ص ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١.
ب. داود [م. س]، ص ٢١٦ – ٢١٨.

اليونانيّ وليست ترجمةً لكلمة (Paraclytos) التي وردت بحرفيتها في الإنجيل اليونانيّ. وثاني الأمرين اللذين احتج بهما العلماء المسلمون هو وجود لفظ (الفارقليط) في الأناجيل القديمة التي كانت مستعملةً أيام الإمام الماوردي على سبيل المثال وهو متوفى في عام (٤٥٠ للهجرة)، وقد أورده في "أعلام النبوة". كما كان هذا اللفظ موجوداً في الأناجيل التي كانت مستعملةً أيام شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو متوفّى في عام (٧٢٨ للهجرة)، وقد أوردها عدة مراتٍ في "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح".

الأمر الثاني: لا ينكر علماء المسيحيين هذه البشارةَ، ولكنهم يستدلّون بها استدلالاً، نراه خاطئاً، على المسيح، عليه السلام، تارةً وعلى الروح القدس تارةً أخرى. بينما يستدلُ بها العلماء المسلمون على سيدنا محمدٍ ﷺ.

ولكي لا نخوض في تفاصيل الترجمات، والاتهامات بصحة الاستدلالات أو خطأها فيما يتعلّق بـ (البارقليط) أو (المعزي)، فإننا نرى أنّ الحلّ المناسب لهذه المشكلة هو إيراد وتحليل مواصفات هذا (البارقليط) أو (المعزي) كما وردت في إنجيل يوحنا لنرى على أي نبيٍّ أو شخصٍ تدل، وذلك على النحو الآتي:

١. إنّ استخدام كلمة روح الحق في النصوص السابقة لا تدل على الروح القدس، وذلك لما يلي:

أ. إنّ يوحنا نفسه الذي وردت البشارات السابقة في إنجيله قد عبر عن معنى النبي الصادق بكلمة (روح الحق) كما عبر عن معنى النبي الكاذبِ بكلمة (روح الضلال)، وقد ورد ذلك في رسالته الأولى، الإصحاح الرابع عند تحذيره من اتباع الأنبياء الكذَبةِ فقال: "أيها الأحبةُ لا تصدقوا كل روحٍ، بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله؟ لأنّ أنبياءَ كذَبةً كثيرين قد خرجوا إلى العالم، بهذا تعرفون روح الله"[1]. وقال: "من هذا نعرف **روح الحق وروح الضلال**"[2]. وواضح أن يوحنا يتحدث هنا عن النبي الحق الذي بشر به المسيح، عليه السلام، وتمييزه عن الأنبياء الكذَبةِ الذين حذر منهم المسيح عليه السلام ... ولا معنى للحديث عن تمييز روح القدس عن الأنبياء الكذبة فليس ذلك ما يريد.

---

[1] رسالة يوحنا الرسولي: ٤: ١، ٢.

[2] رسالة يوحنا الرسولي: ٤: ٦

ب. إن الروح التي زعموا أ ا زارت جماعةً منهم لم تمكُثْ معهم إلى الأبد، ولم تبين للعالم ضلالَ عقيدته عن الله وعن المسيح وعن الخطيئة والبِر ويومِ الدينونة، ولا تنطبق بقيةُ الصفات أعلاه عليها، ثمّ كيف وهم يؤلهونها والذي بشر به المسيح، عليه السلام، مِن بعده يوصف بأنه لا ينطق من ذات نفسه بل مما يوحى إليه، **ثُم إ ا** لم **تسم هنا بروح القدس بل سميت روح الحق.**

٢. إن محمداً ﷺ هو الذي جاء بعد عيسى، عليه السلام، فَمجده والأنبياءَ ودفع عنهم افتراءات اليهود بأن منهم من عبد الأصنام أو ارتكب الفواحش أو سرق أو سكر ... ودفع افتراءات اليهود عن المسيح وعن أُمهِ عليهما السلام.

٣. إنّ محمداً ﷺ هو الذي جاء بعد عيسى، عليه السلام، وبين للناس أوجه البِر وأنذرهم يوم الدينونة، وأخبر أنّ تعاليمه للناس هي الأخيرةُ من عند الله تعالى وبالتالي فهي أبديةٌ ولن تتغير، ولن تنسخ.

٤. إنّ محمداً ﷺ هو النبي الذي جاء بعد عيسى، عليه السلام، أُمياً لا يقرأ بل يتلقّى الوحي سماعاً ويقول للناس إنه لا ينطق عن نفسه بل عن وحيٍ يوحى من الله تعالى.

٥. إنّ محمداً ﷺ هو النبي الذي جاء بعد عيسى، عليه السلام، وأخبر الناس بأحداثٍ قادمةٍ ستقع، ونبؤاتٍ ستتحقّق وقد وقعت وتحقّقت.

ونترك لرأي القارئ الكريم أن يختار ويقرر من هو الذي تنطبق عليه الأوصاف السابقة أمحمد هو أم الروح الحق؟؟؟ كما نترك لرأيه كذلك أن يتفكر فيما سقناه من بشاراتٍ بنبوته، عليه السلام، في الكتاب المقدس ليقرر بنفسه أورد ذِكره، عليه السلام، في الكتاب المقدس أم لا؟؟.

الشبهةُ العشرون ودفْعها

إن كانّ قرآنُ محمدٍ موحى به من عند الله كما يزعم، فكيف نسوغُ وجود النسخ فيه؟ كيف يقول اللهُ قولاً ثم يرجع عنه وينسخه بقولٍ آخر؟؟ وإن كان اللهُ يعلم الغيب فكيف ينسِب إليه محمد أقوالاً ثمّ يزعم أنه غَيرها فيما بعد؟؟

- إنّ الذي دفع هؤلاء الرهبان الطاعنين لنحت هذه الشبهة أمران اثنان: أما الأولُ فهو تصورهم أنّ النسخ يجوز على الله تعالى البداء؛ بمعنى أنه يأمر بأمرٍ ثم يعود عنه لحكمةٍ بدت له وظهرت بعد أنْ كانت خافيةً عليه، تعالى الله عن

ذلك علواً كبيراً. أما الأمر الثاني فهو أنّ هؤلاء الطاعنين يتوهمون أنّ النسخ لم يرد في كتابهم المقدس، وهذا أمر غير صحيح فقد وردت في الكتاب المقدس آيات ناسخةٌ للعديد من الأحكام في العهدين القديم والجديد، وهو ما سنذكر شواهده في نهاية تفنيدنا لهذه الشبهة وردنا عليها.

ونقر بادئ ذي بدءٍ أن القرآن الكريم ذكَر النسخ في عدةٍ آياتٍ نذكر منها قوله تعالى: "مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ "[1]. ومنها قوله تعالى: " وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ "[2]. وقد لخص الزرقاني، يرحمه الله، الحِكَم الإلهيةَ في النسخ، فقال: "إن الله تعالى حين نسخ بعض أحكامه ببعضٍ، ما ظَهر له أمر كان خافياً عليه وما نشأ له رأي جديد، كان يفقده مِن قبلُ، وإنما كان سبحانه يعلم الناسخ والمنسوخ أزلاً من قبل أن يشرعهما لعباده، بل مِن قبل أن يخلق الخَلْق، ويبدأ السماء، والأرض؛ إلاّ أنه ـ جلت حكمته ـ عِلم أنّ الحُكم الأول المنسوخ منوطٌ بحكمةٍ، أو مصلحةٍ تنتهي في وقتٍ معلوم. وعِلم بجانب هذا أن الناسخ يجيءُ في هذا الوقت المعلوم منوطاً بحكمةٍ، ومصلحةٍ أخرى. ولا ريب أنّ الحِكَم، والمصالحَ تختلف باختلاف الناس، وتتجدد بتجددِ ظروفهم، وأحوالهم، وأنّ الأحكام، وحِكَمها، والعباد، ومصالحهم، والنواسخ، والمنسوخات كانت كلّها معلومةً له من قبل، ظاهرةً لديه لم يخف شيءٌ منها عليه. والجديد في النسخ إنما هو إظهاره تعالى ما عِلم لعباده لا ظهور ذلك له"[3].

وقد ذكر صاحب "هدى الفرقان" كلاماً قريباً من كلام الزرقانيّ السابق في رده على إمكانية تجويز النسخ للبداء على الله تعالى فقال: "إن نسخ الله تعالى لحُكمٍ من أحكامه، أساسه حِكمةٌ ظاهرةٌ، ومعلومةٌ لله تعالى، ويستحيلُ أن تخفَى عليه. وغايةُ الأمر أنّ الله تعالى عندما ينسخ حكماً بحكْمٍ آخر، فإنّ الحُكم الناسخ يأتي بحكمةٍ غير الحِكمة التي أتى بها الحكم الأولُ المنسوخ. وعلى اعتبار أنّ هناك مصلحةً جديدةً للعباد اقتضتها عمليةُ النسخ، وجاء بها الحكم الناسخ. فمصالحُ العباد تتجدد بتجددِ الأزمان، وتختلف باختلاف الأشخاص، والأحوال. ولذا فإنّ النسخ يعني أن هناك

---

(1) سورة البقرة: الآية ١٠٦.

(2) سورة النحل: الآية ١٠١.

(3) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج٢، ص ٧٨، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

مصلحةً جديدةً فيأتي الله ـبحكمٍ جديدٍ يتضمنها، وينسخ به الحكم السابق الذي يتضمن المصلحةَ السابقة. والله تعالى أحاطَ بكُلِ شيءٍ علماً، فلا يستلزم النسخ إذن الجهلَ، أو العبثَ على الله تعالى"[1].

ولربما يعترض معترِض فيقول: إن النسخ يقتضي اجتماع الضدين، وهذا محالٌ وتوضيح ذلك: أن الله إذا أمر بحكمٍ فيعني هذا أنه حسن، ومرغوب فيه، وإذا ى عنه فيعني هذا أنه خبيثٌ، وغير مرغوبٍ فيه، ولذا فالأمر بالشيء، والنهي عن معناه اجتماع الصفات المتضادة في الحكم الواحد، أو الفعل الواحد الذي تعلق به الأمر، والنهي.

وهذا الاعتراض مردود بما يلي:

"إن الحُسن، والقُبح ليست من صفات الفعل الذاتي حتى تكون ثابتةً فيها لا تتغير؛ بل هي تابعةٌ لتعلق أمر الله، و يِهِ بالفعل. وعلى هذا يكون الفعلُ حسناً، ومرغوباً فيه ما دام مأموراً به من الله تعالى، وكذلك يكون هذا الفعل نفسه قبيحاً، وغير مرغوبٍ فيه عند الله تعالى ما دام منهياً عنه منه تعالى. والقائلون بالحسن، والقبح العقليين هم المعتزلة، وهم يعترفون أن الحُسن، والقُبح يختلفان باختلاف الأشخاص، والأحوال، والأوقات. و ذا التأصيل ينتفي اجتماع الضدين؛ لأنّ الوقت الذي يكون فيه الفعل حسناً غير الوقت الذي يكون فيه ذلك الفعل قبيحاً، فلم يجتمع الحسن، والقبح في فعلٍ واحدٍ، وفي وقت واحدٍ"[2].

ولمزيدٍ من الفائدة التي نرجو أن تتحقّق للقارئ الكريم فإننا نضع بين يديه مزيداً من الفوائد والحِكَم التي تناسب أنواع النسخ المتعددة، نعم فلكُل نوعٍ من أنواع النسخ حِكَم وترافقه وتناسبه، ومِن ذلك ما يلي[3]:

أولاً: حكمة نسخ بعض أحكام الإسلام ببعض: تتجلّى حكمة الله في هذا النوع من النسخ في أن الله أخذَ الناس بالتدريج في فرضية الأحكام، رأفةً م، وتيسيراً عليهم، وتدريباً للنفوس على تقَبل الأحكام، وتلطفاً بالأمة في التطبيق للفرائض، ومراعاةً للشعور في التحليل، والتحريم. ويدعم صحة هذا الكلام قولُ عائشة أم المؤمنين، رضي الله عنها: "إنما نزلَ أولَ ما نزلَ منه سورةٌ من المُفَصل فيها ذِكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب

---

(1) عناية، غازي، هدى الفرقان في علوم القرآن، ج٢، ص ١٨٧، ط١، ١٩٩٦، عالم الكتب للنشر والتوزيع، بيروت.

(2) المرجع السابق نفسه ص ١٨٨، ١٨٩.

(3) المرجع السابق نفسه ص ١٩٤، ١٩٥، بتصرف واختصار.

الناس إلى الإسلام نزلَ الحلالُ والحرام، ولو نزلَ أول شيءٍ: لا تشربوا الخمر؟ لقالوا: لا ندع الخمر أبداً. ولو نزل: لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبداً"(١).

ثانياً: حكمة نسخ الحكم الأصعب إلى الأسهل منه: وتتجلّى حكمة الله في هذا النوع من النسخ في التخفيف، والتسهيل، والتهوين على الناس؛ وإظهاراً لفضل الله، ورحمته بالعباد، وابتلاءً لهم في الشكر لله على نعمائه، وحفزاً لهم على طاعته.

ثالثاً: حكمة نسخ الحكم الأسهل إلى الأصعب: وتتجلّى حكمة الله في هذا النوع من النسخ في كون هذا ابتلاءً، واختباراً للمؤمن في طاعة ربه، وتمحيصاً للنفس البشرية المؤمنة، من الكافرة، والصابرة من الهلوعة، والمُطْمئنةِ من المتشككةِ.

رابعاً: حكمة نسخة الحكم إلى المساوي له: وتتجلّى حكمة الله في هذا النوع من النسخ في تثبيت أفئدة المؤمنين على الأحكام الربانية بتقبل ما يملى عليهم منها، ودعوتهم إلى الاستمرارية في الطاعة، والامتثال؛ حفزاً لهم في الأخذ، والتطبيق، وامتحاناً لهم في الطاعة، والقبول.

خامساً: حكمة نسخة الحكم مع بقاء التلاوة: وتتجلّى حكمة الله في هذا النوع من النسخ في إسباغ الثواب الالهي على التلاوة؛ حيث إن الآيات المنسوخة حكماً الباقية تلاوةً متعبد بتلاوتها يثاب المؤمن على مجرد قراءتها، وإنْ لم يطبّق حكمها، فضلاً عن الثواب لمجرد الاستماع إلى التلاوة؛ وكل هذا من شأنه أن يغرس شواهد الإيمان في النفوس، ويعمق شواهد الطاعة للخالق المعبود.

سادساً: حكمة نسخ التلاوة مع بقاء الحكم: وتتجلّى حكمة الله في هذا النوع من النسخ في الابتلاء الربانيّ للمؤمنين بتطبيق الأحكام، ومدى الالتزام بالأمر الربانيّ في تطبيق الحكم دون وجود اللفظ.

لقد كان من الجدير بالرهبان الطاعنين الاطلاع على الحِكَمِ الربانية في النسخ والتماسها وفهمها عوضاً عن تقديمها في ثوب المَنقَصةِ والطعنِ فيها. وإننا إذ نقول ما نقول فسنقف بهؤلاء على أبرز ما ورد في كتابهم المقدس من الناسخ والمنسوخ الذي أنكروه ورفضوا الاعتراف بوجوده فيه.

(١) صحيح البخاري [م. س]، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، ج٩، ص ٤٥.

شواهد الناسخ والمنسوخ في الكتاب المقدس

نكتفي تحت هذا العنوان بإيراد بعض الشواهد من الكتاب المقدس التي تثبت وقوع النسخ فيه[1] وهي التالية:

أولاً: الفرض بصدق شهادة المسيح ابن مريم عليه السلام، ودليله: "أجاب يسوع: وإنْ كُنت أشهد لِنفْسِي فَشهادِتي حق"[٢]. ثُم **نسِخ هذا الفرض بصدق شهادة المسيح ابن مريم عليه السلام** وأنها الآن ليست حقاً. ودليله ما يلي: "إنْ كُنت أشهد لِنفْسِي فَشهادِتي لَيست حقّاً"[٣].

ثانياً: السماح بالزواج من أختين في نفس الوقت ليعقوب، عليه السلام. ودليله أنّ يعقوب قد تزوج الأختين "ليئة وراحيل"[٤] **ثُم جاءَ نسخ السماح بالزواج من الأختين،** ودليل ذلك: "ولاَ تأخذِ امرأةً علَى أختِها لِلضر لِتكْشِف عورتها معها في حياتِها"[٥].

ثالثاً: السماح بالزواج من العمةِ لعمرام أبي موسى عليه السلام. ودليله: أثبت سفر الخروج إباحة الزواج بالعمة: "وأخذَ عمرام يوكابد عمته زوجةً لَه فَولَدت لَه هارون وموسى. وكانت سِنو حياةِ عمرام مِئَةً وسبعاً وثَلاَثين سنةً"[٦]. ثم **جاءَ نسخ السماح بالزواج من العمة،** ودليل ذلك: "عورةَ أختِ أبيك لا تكْشِف. إنها قَريبةُ أبيك"[٧].

رابعاً: إباحة الحلف بالله. ودليله: "الرب إلهَك تتقِي وإِياه تعبد وبِاسمِهِ تحلِف"[٨]. ثم جاء **نسخ إباحة الحلف بالله،** ودليله ما يلي: "أيضاً سمِعتم أنه قِيلَ لِلْقُدماءِ: لاَ تحنثْ بلْ أوفِ لِلرب أقْسامك. وأما أنا فَأقُولُ لكُم: لاَ تحلِفُوا الْبتة لاَ بالسماءِ لأنها كُرسِي اللهِ ولاَ بالأرضِ لأنها موطِئُ قَدميهِ ولاَ بأورشَلِيم لأنها مدِينةُ الْملِكِ

---

[1] للتوسع انظر: بحث الدكتور حبيب عبد الملك بن حبيب "الناسخ والمنسوخ بين الكتاب المقدس والقرآن الكريم" المنشور على موقع شبكة ابن مريم الإسـلامية، www.ebnmaryam.com، ضمن سلسلة مؤلفاته في مقارنة الأديان. وقد ذكر في هذا البحث ما يزيد على الثلاثين شاهداً على وقوع النسخ في الكتـاب المقدس.

[2] يوحنا: ٨: ١٤

[3] يوحنا: ٥: ٣١.

[4] انظر سفر التكوين: ٢٩: ٢٣ – ٣٠.

[5] اللاويين: ١٨: ١٨.

[6] الخروج: ٦: ٢٠.

[7] اللاويين: ١٨: ١٢.

[8] التثنية: ٦: ١٣.

الْعظِيمِ. ولاَ تحلِف برأسِك لأنك لاَ تقْدِر أنْ تجعلَ شعرةً واحِدةٍ بيضاءَ أو سوداءَ. بلْ لِيكُن كَلاَمكُم: نعم نعم لاَ لاَ. وما زاد على ذَلِك فَهو مِن الشرير"[١].

خامساً: جاء الأمر بالقصاص في شريعة التوراة. ودليل ذلك: "وإن حصلت أذيةٌ تعطي نفساً بنفْسس وعيناً بعينٍ وسِناً بِسِنٍّ ويداً بيدٍ ورجلاً برجلٍ وكَياً بكَيٍّ وجرحاً بجرحٍ ورضاً برضٍّ"[٢]. ثمّ **جاء الإنجيل ونسخ القصاص.** ودليلُ ذلك على لسان المسيح عليه السلام: "سمعتم أنه قِيلَ عين بعينٍ وسِن بِسنٍّ، وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بلَ من لطمك على خدك الأيمن فَحول له الآخر أيضاً، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً"[٣].

سادساً: إباحة أكل كل حيوانات الأرض. ودليله، "كل دابةٍ حيةٍ تكونُ لكم طعاماً كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع"[٤]. ثمّ **جاء الأمر بنسخ ذلك، بتحريم أكل بعضها** كالخ ير على سبيل المثال، ودليل ذلك ما يلي: "والخ ير لأنه يشق ظلفاً ويقسِمه ظلفينِ لكنه لا يجتر، فهو نجس لكم، من لحمها لا تأكلوا، وجثتها لا تلمسوا، إنها نجسةٌ لكم"[٥].

سابعاً: قالت التوراة بفرض الختان على كل الذكور، "وقَالَ اللهُ لِإبراهِيم: وأما أنت فَتحفَظُ عهدِي أنت ونسلُك مِن بعدِك فِي أجيالِهم. هذَا هو عهدِي الذِي تحفَظُونه بيني وبينكُم وبين نسلِك مِن بعدِك: يختن مِنكُم كُل ذَكَرٍ فَتختنونَ فِي لَحمِ غُرلَتِكُم فَيكُونُ علاَمة عهدٍ بيني وبينكُم. اِبن ثَمانِيةِ أيامٍ يختن مِنكُم كُل ذَكَرٍ فِي أجيالكُم: وليد الْبيتِ والْمبتاع بِفضةٍ مِن كُل ابنِ غَرِيبٍ ليس مِن نسلِك. يختن خِتاناً وليد بيتك والْمبتاع بِفضتِك فَيكُونُ عهدِي فِي لحْمِكُم عهداً أبدياً"[٦].

وقد اختتن يوحنا المعمدان، "وفِي الْيومِ الثامِنِ جاءُوا لِيختِنوا الصبِي وسموه بِاسمِ أبيه زكَرِيا. فَقَالَت أُمه: لاَ بلْ يسمى يوحنا"[٧].

---

(1) متى: ٥: ٣٣ – ٣٧.
(2) الخروج: ٢١: ٢٣ – ٢٥.
(3) متى: ٥: ٣٨ – ٤٠.
(4) التكوين: ٩: ٣
(5) اللاويين: ١١: ٧، ٨.
(6) التكوين: ١٧: ٩ – ١٣.
(7) لوقا: ١: ٥٩، ٦٠.

وكذلك اختتن المسيح ابن مريم عليه السلام: "ولَما تمت ثَمانِيةُ أيامٍ لِيخْتِنوا الصبِي سمي يسوع كَما تسمى مِن الْملاَكِ قَبلَ أَنْ حبِلَ بِهِ فِي الْبطْنِ"[١].

ثم **قال الإنجيل بنسخ فرض الختان** حيثُ ألغاه بولس في رسالته إلى أهل غلاطية: "ها أنا بولُس أقُولُ لَكُم: إنه إن اختتنتم لاَ ينفَعكُم الْمسِيح شيئاً! لَكِن أشهد أيضاً لِكُل إنسانٍ مختتِنٍ أنه ملْتزِم أنْ يعملَ بكُل الناموس. قَد تبطلْتم عنِ الْمسِيحِ أيها الذِين تتبررونَ بِالناموس. سقَطْتم مِن النعمةِ"[٢].

ثامناً: تحدثَ إنجيلُ متى عن أنّ **رسالة المسيح، عليه السلام، كانت موجهةً لبني إسرائيل فقط.** ودليل ذلك "وقالَ لم أُرسلْ إلاّ إلى خِرافِ بيت إسرائيل الضالةِ"[٣].

ثم جاءَ إنجيل مرقس ليقرر بأن **المسيح** لم **يرسلْ لبني إسرائيل فقط، بل للعالم كله.** ودليل ذلك "وقال لهم: إذهبوا إلى العالمِ أجمع، واكرزوا بالإنجيل"[٤].

تاسعاً: س**محت التوراةُ بالزواج من الأخت،** فقد ذكرت أنّ إبراهيم، عليه السلام، قد تزوج أخته سارة من أبيه: "وبالْحقِيقَةِ أيضاً هِي أُختِي ابنة أَبِي غَير أنها لَيستِ ابنةَ أُمي فَصارت لِي زوجةً"[٥].

ثمُ **جاءَ الأمر بنسخ السماح بالزواج من الأخت،** ودليلُ ذلك: "ملْعونٌ كُل من يضاجِع أُخته ابنةَ أُمهِ أو ابنة أَبِيهِ. ويقُولُ جمِيع الشعبِ: آمِين"[٦].

عاشراً: أباحت التوراةُ الطلاقَ "إذا أخذَ رجلٌ امرأةً وتزوج ا فإنْ لم تجِد نعمةً في عينيه لأنه وجد فيها عيب شيءٍ وكَتب لها كتاب طلاقٍ ودفَعه إلى يدها وأطلقَها من بيته ..."[٧].

ثم **جاء الإنجيل بنسخ الطلاق وتحريمه،** ودليل ذلك ما يلي: "فالذي جمعه اللهُ لا يفرقُه إنسانٌ. قالوا له فَلِماذَا أوصى موسى أنْ يعطَى كِتاب طَلاَقٍ فَتطَلّق؟ قَالَ لَهم: إن موسى مِن أجل قَساوةَ قُلُوبكُم أَذِنَ لَكُم أَنْ تطَلقُوا

---

[١] لوقا: ٢: ٢١.
[٢] رسالة بولس الخامس إلى غلاطية: ٢ – ٤.
[٣] متى: ١٥: ٢٤.
[٤] مرقس: ١٦: ١٥
[٥] التكوين: ٢٠: ١٢
[٦] التثنية: ٢٧: ٢٢
[٧] التثنية: ٢٤: ١

ِنساءَكُم. ولَكِن مِن الْبدءِ لَم يكُن هكَذَا. وأقُولُ لَكُم: إن من طَلق امرأته إلا ِبسببِ الزنا وتزوج بأخرى يزني والذِي يتزوج بمطَلَقَةٍ يزني"[١].

حادي عشر: جاءت التوراة بحكم تقديس يوم السبت وتعظيمه وتخصيصه للعبادة، لأنه اليوم الذي استراح فيه الرب بعد إتمامه لخلق السماوات والأرض كما ذكرت التوراة "فأُكْمِلت السموات والأرض وكل جندها، وفرغَ اللهُ في اليوم السابع من عملِهِ الذي عمِلَ، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمِلَ، وبارك اللهُ اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عملِهِ الذي عمِلَ اللهُ خالقاً"[٢].

ثُم جاء الإنجيلُ لينسخ تقديس السبت ويستبدِلَه بتقديس وتعظيم يوم الأحد وجعله للعبادة. حيث يذكر الإنجيلُ أنّ السبب في ذلك راجع لكون الأحد اليوم الذي قام فيه المسيح من قبره بعد الصلب ولكونه كذلك اليوم الذي كان فيه الرسل (تلاميذ المسيح) يجتمعون للعبادة أيام الكنيسة الأولى. وهنا نشير إلى أنّ لفظ الأحد لم يذكر في الإنجيل ولكن الذي ذُكِر هو الإشارة إليه بـ "اليوم الأول من الأسبوع"[٣]. كما جاء التعبير عنه في رؤيا يوحنا بـ "يوم الرب"[٤].

يعتبر ما سبق إيراده من شواهد أدلّةً قاطعةً على ورود الناسخ والمنسوخ في **كتاب الرهبان الطّاعنين المُقَدس. ولكن يبدو أنّ هؤلاء لا يقرؤون كتابهم حق القراءة. وهذا صحيح؛ فهم منشغِلون بقراءة كتابنا العزيز** في **محاولةٍ يائسةٍ منهم لإثبات بشريته ووقوع التناقض والاختلاف فيه، فعجباً لهم، عجباً!!!.**

الشبهةُ الحادية والعشرون ودفْعها

---

[١] متى: ١٩: ٦ – ٩.

[٢] التكوين: ٢: ١ – ٣.

[٣] انظر:

أ. لوقا: ٢٤: ١ – ٧.

ب. أعمال الرسل: ٢٠: ٧.

[٤] رؤيا يوحنا: ١: ١٠.

إنّ القرآن الذي جاء به محمد مليءٌ بالتناقضات. وفيه آيات تعارض وتناقض في مضمو ا آياتٍ أخريات.

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

الآية	الآية التي تعارضها وتناقضها
لا تبدِيلَ لِكَلِماتِ اللهِ	**وإذَا بدلنَا آيةً مكانَ آيةٍ**
لا مبدلَ لِكَلِماتِهِ	**ما ننسخ مِن آيةٍ أو ننسِها نأتِ بِخيرٍ منها**
إنا نحن نزلنا الذكْر وإنا له لحافِظُونَ	**يمحو الله ما يشاءُ ويثْبِت وعِنده أم الكِتابِ**

- مما لا شك فيه أنّ هذه الشبهة ملتصقةٌ تمام الالتصاق بما سبقها من شبهة الناسخ والمنسوخ. وقد حرصنا على إيرادها وذِكرِ المُراد منها، والله أعلم بمراده، وذلك توضيحاً للقارئ الكريم، لئلا يقع في قلبه ما يرجوا الرهبانُ الطاعنون أن يقع، وإنا لموردوها مع توثيقها وتخريجها، حيث حرص الرهبان على إيرادها دون توثيقٍ كما حرصوا على اقتطاعها وإخراجها من السياق الذي وردت فيه ليوهموا الناس بوقوع التعارض والتناقض فيها.

أما الآية الأولى فقد وردت في سياق قوله تعالى: "أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ "[(1)].

ومعنى قوله تعالى "لاَ تبدِيلَ لِكَلِماتِ اللهِ" "أي أنّ هذا الوعد بالبشرى لعباد الله الصالحين في الدنيا والآخرة لا يبدلُ ولا يخلَف ولا يغير، بل هو مثْبت لا محالة، ذلك هو الفوز العظيم. فلا تبديل لأقوال الله تعالى ولا إخلاف لمواعيده سبحانه، كقوله تعالى: "ما يبدلُ الْقَولُ لَدي"، وذلك إشارةٌ إلى كو م من المُبشرِين في الدارين فلا خلْف لوعده سبحانه"[(2)].

وقيلَ في تفسيرها كذلك: لا تبديلَ لأخباره أي لا ينسخها بشيءٍ ولا تكون إلاّ كما قال[(3)].

---

(1) سورة يونس، الآيات ٦٢ – ٦٤.

(2) انظر: ابن كثير [م. س] ج٢، ص ٤٣٩، الزمخشري [م. س]، ج٢، ص ٣٥٧، بتصرف.

(3) القرطبي [م. س]، ا لمد الرابع، ج ٧ – ٨، ص ٣٥٩.

أما قوله تعالى "وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ"(١). فهو يتحدثُ عن الناسخ والمنسوخ، والذي تقدم القولُ فيه، ونشير هنا إلى أنّ "النسخ لا يكون إلاّ في الأحكام، أما العقائد فلأنها حقائق صحيحةٌ لا تقبلُ التغيير والتبديلَ فبدهي ألاّ يتعلق ا نسخ ... ولا نسخ لمدلولات الأخبار المَحضةِ لأنّ نسخها يؤدي إلى كذب الشارع في أحد خبريه الناسخ والمنسوخ، وهو محالٌ عقلاً ونقلاً"(٢). وإنه من الواضح تماماً أنّ الآية الأولى كانت تتحدث عن إخبار الله أنّ وعد عباده الصالحين بالبشرى والتثبيت في الدنيا والآخرة وهو إخبار لا يخلَف ولا يطاله النسخ.

أما قوله تعالى: " وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا "(٣) فيعني أنه "لا مغير ولا محرف ولا مزيل لكلمات الله تعالى ولا يقدر أحد على تبديلها وتغييرها، إنما يقدر على ذلك هو وحده " وإذَا بدلْنآ آيةً مكَانَ آيةٍ"(٤).

وقال القرطبي: قيلَ هو مِن تمام قصة أصحاب الكهف: أي اتبِع القرآن فلا مبدلَ لكلمات الله ولا خلف فيما أخبر به من قصة أصحاب الكهف(٥). وقال الطبري: لا مغير لما أوعد بكلماته التي أنزلها عليك أهلَ معاصيه والعاملين بخلاف هذا الكتاب الذي أوحيناه إليك"(٦).

ونشير هنا إلى أنّ بعض التفاسير المعاصرة لـِ (كلماته) أو (كلمات الله) قد جاءت بمعنى سنن الله وقوانينه في الكون. وعلى ذلك يكون معنى (كلمات الله) أو (كلماته) "آيات الله تعالى في الكون والسنن والقوانين التي وضعها اللهُ له فهي لا تتغير ولا تتبدل"(٧).

---

(١) سورة النحل، الآية ١٠١.
(٢) الزرقاني [م. س]، ص ١٠٧، ١٠٨ بتصرف.
(٣) سورة الكهف، الآية ٢٧
(٤) انظر: ابن كثير [م. س] ج٣، ص ٨٤ والزمخشري [م. س]، ج٢، ص ٧١٦.
(٥) القرطبي [م. س] ا لد ٥، ج ٩ - ١٠، ص ٣٨٩.
(٦) الطبري، جامع البيان [م. س]، ج ١٥، ص ١٥٤.
(٧) انظر كتاب (كشف كذب اللئيم حول الإسلام العظيم) المنشور بتاريخ ١٤٢٥/٤/٥ هـ في موقع ملتقى أهل الحديث www.ahelalhadeeth.com من غير اسم مؤلف.

ومن المعاصرين من فسرها بـ "قضاء الله الذي يقضيه في شؤون الكائنات"[١]. ولا تعارض بين الآية السابقة من سورة الكهف (لا مبدلَ لكلماته) وبين قوله تعالى في سورة البقرة " مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ "[٢] لأنّ الآية الأولى تقول باستحالة أن يقدِر أحد على تغيير أو تبديل أو تحريف كلام الله، بينما الثانية تتحدث عن الناسخ والمنسوخ في القرآن، والذي هو من اختصاص الله تعالى وحده ولا يقدر على نسخه أو تبديله أحد سواه. وأنه لا يكون إلاّ لحِكَمٍ وفوائد سبق لنا ذكرها وتعدادها في ردنا على الشبهة السابقة.

أما قوله تعالى: " إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ "[٣]، فلا ندري كيف فهم الرهبانُ الطّاعنون تعارضه وتناقضه مع قول الله تعالى: " يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ "[٤]؟؟

فالآية الأولى صريحةٌ في الدلالة على حفظ الله تعالى للقرآن الكريم من التغيير والتحريف والتبديل، والآية الثانية تتحدث عن الناسخ والمنسوخ في القرآن والذي هو من اختصاص الله تعالى وحده، بل وهي تدل على أنّ النسخ الذي يحدثه الله تعالى لبعض آياته في القرآن الكريم معلوم مقدر عنده في اللوح المحفوظ (أم الكتاب) قبل خلقه تعالى للخلق.

قال قتادة وابن زيدٍ وسعيد جبير: يمحو اللهُ ما يشاء من الفرائض والنوافل فينسخه ويبدلُه ويثبت ما يشاء فلا ينسخه، وجملةُ الناسخ والمنسوخ عنده في أم الكتاب"[٥].

وإن كان الرهبان الطاعنون يتوهمون ويزعمون وجود تناقضاتٍ وتحريفاتٍ في القرآن الكريم فإنهم مطالبون بالإجابة عن السؤالين التاليين:

السؤال الأول: كيف نوفق بين نسخ الإنجيل لكثيرٍ من أحكام وتشريعات التوراة وبين قول المسيح عليه السلام "لا تظنوا أني جئت لأنقُض الناموس أو الأنبياءَ. ما جئت لأنقُض بل لأكملَ. فإني الحق أقولُ

---

[١] المرجع السابق نفسه.
[٢] سورة البقرة، الآية ١٠٦.
[٣] سورة الحجر، الآية ٩.
[٤] سورة الرعد، الآية ٣٩.
[٥] القرطبي [م. س] المد ج ٩ – ١٠، ص ٣٣١.

لكم إلى أن تزولَ السماءُ والأرض، لا يزولُ حرف واحد أو نقطةٌ واحدةٌ من الناموس حتى يكون الكُل"[١]؟؟

فإنّ الذي نراه أن النسخ الذي أحدثه الإنجيل على الكثير من أحكام وتشريعات التوراة إنما هو نقض وتبديلٌ وتغيير وليس تكميلاً!!.

السؤال الثاني: ما تعليق الرهبان الطاعنين، يا ترى، على نشر الهيئة الكهنوتية في الكنيسة الكاثوليكية لوثيقة "هبة الكتاب المقدس"، التي ذكرت أنّ بعض أجزاء الكتاب المقدس غير صحيحةٍ وأنّ علينا ألا نتوقع العثور على كلامٍ علمي دقيق وإحكامٍ تاريخي بالغ الدقّةِ أو تامٍّ في الكتاب المقدس!!

"أوردت صحيفة "التايمز" البريطانية، في عددها الصادر الأربعاء ٢٠٠٥/١٠/٥، أن الأساقفة ذكروا في وثيقتهم المُسماة "هبة الكتاب المقدس"، "يجب علينا ألاّ نتوقع العثور على كلامٍ علمي دقيقٍ وإحكامٍ تاريخي بالغ الدقة أو تامٍّ في الكتاب المقدس".

ويتزامن تقديم هذه الوثيقة مع النهوض المستمر لليمين المسيحي وخاصةً في الولايات المتحدة الأمريكية. ويطلب بعض المسيحيين التأويلَ الحرفي لقصة الخلق في سفر التكوين التي يتم تعليمها مع نظرية النشوء والتطور لـ "داروين"، معتقدين أ ا نظريةٌ جديرةٌ بالتصديق حول كيفية نشوء العالم. وفصول سفر التكوين الـ ١١ التي تروي قصتين متناقضتين حول الخلق، هي من بين القصص التي يصر الأساقفة الكاثوليك على أ ا لا يمكن أن تكون "تاريخيةً".

وتضيف الصحيفة إن الوثيقة تسرد موقف الكنيسة الكاثوليكية منذ القرن السابع عشر عندما أدانت غاليليو واعتبرته "مهرطِقا" لسخريته من اعتقادٍ كان سائداً آنذاك حول الوحي الإلهي للكتاب المقدس، وذلك بدفاعه عن وجهة نظر كوبرنيكوس حول النظام الشمسي.

ويرى الأساقفة أن الاطلاع على الكتابِ المقدسِ يجب أن يكون في ضوء معرفة أنه ـ أي الكتاب المقدس ـ كلمة الله التي تم التعبير عنها في لُغةٍ بشريةٍ.

---

[١] متى: ٥: ١٧، ١٨.

ويقولون إنّ الكنيسة يجب أن تقَدم الكتاب المقدس عبر طرقٍ مناسبةٍ للزمن المتغير وطرق ذكية للناس الذي يعيشون في هذا العصر.

ويتابعون: "الكتاب المقدس فيه فقرات صحيحةٌ تتحدثُ عن تخليص الإنسان ... لكن يجب علينا ألا نتوقع دقةً كاملةً في الكتاب المقدس في مسائلَ دنيويةٍ أخرى".

وفي نفس السياق، يرفض الأساقفةُ في وثيقتهم نبوءات سفر الرؤيا، آخرِ كتابٍ في الإنجيل المسيحي، والذي يصف كتابه قيامةَ المسيح وموت البهيمة. ويعلق الأساقفة: إن هذه اللغة الرمزية يجب أن تحترم لما هي عليه ولكن ليس لكي يتم تأويلها بشكلٍ حرفيّ، كما يجب ألا نتوقع اكتشاف تفاصيل في هذا الكتاب حول نهاية العالم".

وتختم صحيفة "التايمز" أن الأساقفة يذكرون في وثيقتهم أيضاً أن الناس يتطلعون اليوم نحو الأشياء القابلة للتصديق والصحيحة والتي تكون جديرةً بالاهتمام"[1]!!!

الشبهةُ الثانية والعشرون ودفْعها

هاجم الرهبانُ الطاعنون عقيدةَ المسلمين في موضوع الجبر والاختيار، وكانوا في هجومهم هذا فريقين اثنين:

<u>أما الفريق الأول:</u> فقال بأن المسلمين جبريون يعتقدون بعدم حرية الإرادة البشرية ويفرضون قَسراً على التصرفات البشرية بسبب المعرفة الإلهية المُسبقة وبسبب النظام الإلهي، وهم يعتقدون بأنّ لكل إنسانٍ قَدره المكتوب على جبينه.

<u>وأما الفريق الثاني:</u> فَوجه نقداً للإسلام في هذه القضية بحجة أنّ محمداً نفسه كان غير حاسمٍ في الإجابة عن سؤال (هل الإنسان حر أم مجبر في تصرفاته؟) وأن القرآن نفسه فيه آيات تتحدث عن الجبر وأخرى تتحدث عن الاختيار، وأنّ علماء الإسلام لم يتفقوا على رأيٍ واحدٍ في هذه المسألة.

- **أما عن عدم اتفاق علماء المسلمين على رأيٍ واحدٍ في هذه المسألة فهو كلام باطلٌ مردود.** لأنّ الذين كانوا يقولون بأنّ الإنسان مجبور في أفعاله وأنه لا خيار ولا قدرة له وأنه كالريشة في مهب الريح، فهؤلاءِ نفر قليلٌ

[1] قناة العربية الإخبارية، ٢٠٠٥/١٠/٥، في موقعها الإلكتروني www.alarabiya.net.

ظهروا في التاريخ الإسلامي ثم ماتوا ومات معهم معتقَدهم وكان من هؤلاء الجعد بن درهم والجهم بن صفوان، وبعض المعتزلة. أما بقيةُ علماء الإسلام من أهل السنة والجماعة فمتفقون على أن الإنسان، فيما هو محاسب عليه ومجازى به في الدنيا والآخرة، مخير قد أعطاه اللهُ عقلاً وأعطاه مشيئةً وإرادةً يتصرف ا، فإنْ فعلَ الخير نال الثواب والأجر من الله تعالى، وإذا فعل الشر استحق العقاب من الله تعالى. ولا شك أن أهل السنة والجماعة هم السواد الأعظم والأغلبية الساحقة من أبناء الإسلام. ولمّا كانت هذه الدراسة غير مختصةٍ بدراسة موضوع الجبر والاختيار فإننا سنكتفي، لرد شبهة الرهبان ومطعنهم في الموضوع، بإيراد إيجازٍ يلّخص موقف ومعتقَد أهل السنة والجماعة في موضوع الجبر والاختيار، على النحو التالي[1]:

أ. لا خالق غير الله، فأفعال العباد التي صاروا ا مطيعين وعصاةً، يخلقها الله تعالى، فالحق سبحانه منفرد بخلق المخلوقات.

ب. أفعال الناس كلها لا تقع بغير مشية الله وقدرته، فالأدلة كلها تدل على عموم قدرة الله ومشيئته لجميع ما في الكون من الأشياء والأفعال.

ج. والإنسانُ، مع ذلك، غير مجبورٍ على أفعاله وأقواله، وأ ا ليست لا إرادية، وأنّ أفعال الإنسان، وإن كان اللهُ هو الذي خلقها، إلاّ أنّ الإنسان هو الذي فَعلَها حقيقةً، وأنه اختارها وأرادها حقيقةً، وأن نسبةَ أفعاله إليه نسبةٌ حقيقيةٌ وليست مجازاً، ولذا بما أن البشر فاعلون لأفعالهم حقيقةً، فإنهم يستوجبون عليها المدح أو الذم.

وباختصارٍ فإن أفعال الناس لا يخلقها الناس، بل هي من خلق الله تعالى، وفعل الإنسان وكَسبِه.

د. كونُ الله سبحانه وتعالى خالقاً لأفعال العباد، لا يعني أن فعل العبد هو نفس فعل الله، ففعلُ العبد يخلقه الله، ويفعله العبد، ويكسب آثاره العبد، سواء كانت هذه الآثار والنتائج، نفعاً أو ضرراً.

وقد بين اللهُ تعالى أنه قد خلق كل شيء، قال تعالى: "ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ "[2]. وقال تعالى: "كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ"[3]. إنّ الله سبحانه وتعالى قد خص الإنسانَ بطبيعةٍ خاصةٍ، فقد خلق له قدرةً وإرادةً حرةً مختارةً، تختار ما تريد

---

[1] الخطيب، محمد أحمد، الفرق الإسلامية، ص ٧١، ٧٢، بتصرف واختصار، ط١، ١٩٩٦، منشورات جامعة القدس المفتوحة، الأردن.

[2] سورة الرعد، الآية ١٦.

[3] سورة النساء، الآية ٧٨.

من الأفعال دون إكراهٍ ولا إجبارٍ، وهذا واضح في قوله تعالى: "وَهَدَيْنَهُ ٱلنَّجْدَيْنِ"[1] وفي قوله عز وجل " إِنَّا هَدَيْنَهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا"[2] وفي قوله تعالى: "وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا"**[3]**. وبناءً على ذلك فالإنسانُ يشاءُ ويريد ويفعل ويعمل ويصنع ويكسب، والله عز وجل بعد أن منح الإنسانَ الحريةَ والاختيار سهلَ له السبيل إلى ما يختار أيا كان اختياره، فلا يحمله عليه كرهاً ولا يجبره، ولكنه يسهلُ له سلوك ما يختار من سبيلٍ. وفي هذا المعنى يقول الله تعالى: " فأما من أعطى واتقى * فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ "[4] ويقول تعالى: "فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ"[5].

وأمثالُ هذه الآيات كثير جداً في القرآن، ويلاحظُ في الآيات كلها أن العبد هو الذي يبدأ باختيار السبيل الأقوم، فتكون حينئذٍ هداية الله بفتح باب الخير له، أو باختياره طريق الشر ويتبع ذلك الإضلالُ مِن الله لمن بادر الضلال.

وخلاصةُ القول، إن الجبر لا يكون مطلَقاً، وإن الاختيار، لا يجوز أن يكونَ مطلقاً، بل الحق التوسطُ بين هذين الرأيين، وذلك أن أفعال الإنسان ليست اختياريةً تماماً ولا اضطراريةً تماماً.

- أما بالنسبة لردنا على الرهبان الطاعنين الذين يتهمون الإسلام بالجبرية فنقول[6]:

أولاً: إن الله الذي خلق الكون وقَدر سننه وأجرى حوادثه وفق تلك السنن التي قَدرها، عاِلم به وبحوادثه قبل وقوعها، وهو الذي خلق الإنسان، وخلق له إرادةً حرةً وهو عاِلم به وبما سيختار. وعِلم الله هذا السابق لوقوع الحوادث، ومن جملتها أفعال البشر، لا يقتضي حملَ الناس وإكراههم على تنفيذ مقْتضى علْمِهِ. ولنضرب مثلاً من البشر أنفسهم على سبيل التقريب ـ ولله المثل الأعلى ـ فلو أن معلماً عرف مِن مجرى حياة تلاميذه خلال السنة كلها: صفا م، عادا م، ومواهبهم، لتمكن قبلَ الامتحان من أن يعرف إلى حد كبيرٍ الناجح والراسب، فهل نجاح أي طالبٍ أو رسوبه كما قال المعلم، كان إجبارياً لأن المعلم علم بذلك؟؟

---

[1] سورة البلد، الآية ١٠.
[2] الإنسان، الآية ٣.
[3] سورة الشمس، الآيتان ٧، ٨.
[4] سورة الليل، الآيات ٥ - ١٠
[5] سورة الصف، الآية ٥.
[6] الخطيب [م. س]، ص ٧٦، ٧٧، بتصرف واختصار.

ثانياً: إذا كان ما يجري في الكون من حوادث، وما يفعله البشر كذلك من أفعالٍ ضمن مشيئة الله وتحقيقاً لقوانين أو خِطَطٍ أو سننٍ قَدرها لها، فلا ينتج عن ذلك وقوف الإنسان أمامها موقف الموافق لها والراضي عنها كُلها، لأن مِن تلك التقديرات الإلهية: إرادة الإنسان، ومن الأوامر الإلهية الموجهة إلى الإنسان، أن يتولى تغيير أحوال وأوضاع واقعةٍ أي (مقَدرهِ).

فالقرآن الكريم يأمر الإنسان بمحاربة الكفر والظلم ... ومعنى ذلك أن بعض ما يجري في الكون من الأقدار نفسها ينبغي مكافحته، وهذه المحاربة نفسها من القدر، فقد جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عهد خلافته قاصداً دخول الشام، فوجد الطاعونَ منتشراً فيها، فلم يدخل، فقال أبو عبيدةَ، رضي الله عنه: أتفر مِن قدرِ الله؟! قال: أفَر من قدِر إلى قدر الله؟! وهكذا يخطئُ من يظن أن الإسلام يطلب من الإنسان أن يقبل الواقع مطْلقاً وأياً كان ذلك الواقع، وتسقط حجةُ من يقول كذلك بقبول الواقع، لأنه قدر إلهي، فَمِن القدرِ ما أُمِرنا أن نقاومه بقَدرٍ مثلِهِ، فَعملُنا جزءٌ من القَدرِ.

ثالثاً: القولُ بالجبر منافٍ للشرائع ودعوة الرسل والثواب والعقاب، فلو صح الجبر لبطلت الشرائع، وبطل الأمر والنهي، ويلزم من بطلان ذلك بطلانُ الثواب والعقاب.

أما بالنسبة لاعتراض الرهبان الطّاعنين على ذكر القرآن للجبر في آياتٍ وللاختيار في آياتٍ أخرى، فنقول: "لو أنّ القرآن الكريم صرح بأنّ الإنسان مسلوب الاختيار دائماً لما كان هناك معنى للمسؤولية، ولو سقطت المسؤوليةُ لسقطَ الجزاءُ على الأعمال، فلا يكون هناك فَرق بين المُحسنِ والمُسيء. ولو صرح بأن له الاختيار المُطلَق في أفعاله، حتى أنه يقدر على كل ما يريد، لكان في هذا ما يشبه أن يكونَ مشاركةً لله في خلقه ... فَوقف القرآنُ فيها عند هذا الحد، وعبر عنها بآياتٍ، تدل في مجموعها على أن للإنسان اختياراً بمقدار ما يصحح مسؤوليته، لا اختياراً مطلَقاً يجعله يخرج عن حدوده البشرية، ولا جبراً مطلقاً يسلب عنه المسؤولية"[(1)].

الشبهةُ الثّالثةُ والعشرون ودفْعها

في مواصلةٍ منه لنهج الضغط والتضييق على غير المسلمين الذين يسكنون في البلاد الإسلامية شرع محمد مبدأ الجزية عقاباً لِكُل من رفَض اعتناق الإسلام من اليهود والمسيحيين!!

[(1)] الغرابي، علي مصطفى، تاريخ الفرق الإسلامية، ص ٣٧، ٣٨، بتصرف، ط٢، ١٩٨٥، مكتبة الانجلو، القاهرة.

- يبدو أن الرهبان الطّاعنين في حيرةٍ من أمرهم؛ فتارةً يقولون: إنّ محمداً قد أجبر اليهود والمسحيين الذين يعيشون في البلاد الإسلامية على اعتناق الإسلام بالقوة والإكراه.وتارةً يقولون: إنه قد فرض عليهم الجزية عقاباً لهم لأنهم رفضوا الدخول في الإسلام!!.

ومن الواضح تماماً مدى التناقض بين هاتين الفِريتين، وقد تقدم سابقاً الرد على أولاهما، ونذكر تالياً الرد على أُخراهما:

إن الذي فَرض الجزية هو الله تبارك وتعالى، وقد جاء الأمر ا في سورة التوبة في قوله تعالى: " قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ "[(١)].

وتكاد تفاسير القرآن الكريم التي رجعنا إليها تجمِع على أنّ معنى "وهم صاغرون" أي أَذِلاّءُ مقهورون خاضعون لأحكام الإسلام. وليس هناك مجالٌ لتقديم تفسيرٍ جديدٍ يخالِف التفاسير السابقةَ من أجل التقربِ من غير المسلمين وتطييب خاطرهم بتفسيرٍ أكثر ليونةً يرضون عنه ويقبلون به، لأنّ تفسيراً كهذا سيكون منافياً للحكمة التي لأجلها شرع اللهُ تعالى الجزية على أهل الكتاب. وهنا نلحظُ اختلافاً بين بعض العلماء حول تعليل دفع أهل الكتاب للجزية على النحو التالي:

١. يرى صاحب الأحكام السلطانية[(٢)]، أنه يجب على ولي الأمر المسلم أن يضع الجزية على رقاب من دخلَ في الذمةِ مِن أهل الكتاب لِيقروا ا في دار الإسلام، ويلتزم لهم ببذلها حقّان: أحدهما الكف عنهم، والثاني: الحمايةُ لهم ليكونوا بالكف آمنين وبالحماية محروسين.

٢. يرى الإمام الشافعي أ ا "وجبت بدلاً عن الدم وسكنى الدار"[(٣)]. أي بدلاً عن عصمة دمائهم من القتل وبدلاً عن سكناهم لدار الإسلام.

٣. يرى المالكيةُ أنها وجبت بدلاً عن القتل بسبب الكُفر[(٤)].

[(1)] سورة التوبة، الآية ٢٩.

[(2)] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص ١٨٢، ١٨٣، ط١، ١٩٨٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

[(3)] ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، أحكام أهل الذمة، ج١، ص ١١٨، ط١، ١٩٩٧، دار ابن حزم، بيروت.

[(4)] القرطبي [م. س]، ج٨، ص ١١٣.

والذي نختاره مِما سبق ذِكره وإيراده قولَ الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ وهو منسجم مع الآية الكرية الواردة في الموضوع (وهم صاغرون)، "فالصواب في الآية أنّ الصغار هو التزامهم لجريان أحكام المِلةِ عليهم وإعطاءُ الجزية، فإنّ التزام ذلك هو الصغار"(١).

ولا يجانب الصواب أن نقول: إنّ الإسلام أجبر أهل الكتاب الذين يعيشون في دياره على دفع الجزيةِ مقابلَ تأمينه لسكنهم بأمانٍ وحمايته لهم ومنع أي إنسانٍ من التعرض لهم أو الإساءة لهم، ومقابل ماذا؟ مقابل مردودٍ ماليّ صغيرٍ جداً "قدره الشافعي، رحمه الله، بأربعةِ دنانير في السنة على الكتابي الغني وبدينارٍ واحدٍ فقط في السنة على الفقير المعتمل منهم، وقدره أصحاب مالك بأربعة دنانير على أهل الذهب لا يزاد عليها. فإن كان منهم ضعيف خفف عنه بقدر ما يراه الإمام المسلم"(٢). وذلك راجِع لعدم تحديد مقدارها شرعاً.

وقد تقدم معنا أنّ عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وضع الجزيةَ عن فقيرٍ من أهل الكتاب لا يقدر على دفعها وأنه أعطاه من صدقات بيت المال. ويفهم من هذا أنّ الجزية تسقطُ عمن عجِز عن دفعها من أهل الكتاب، "ولا يكّلف أغنياءُ أهل الكتاب دفعها عن فقرائهم"(٣). ومن المفيد هنا التنبيه على أنّ الإسلام لم يفرض الجزيةَ على كُل فئات أهل الكتاب "فالذي دل عليه القرآنُ أن الجزية تؤخذُ من الرجال المقاتِلين؛ لأنه تعالى قال: "قَاتِلُوا الذين" إلى قوله ـ "حتى يعطُوا الْجِزيةَ" فيقتضي ذلك وجوبها على من يقاتل.ويدلّ على أنه ليس على العبد وإن كان مقاتِلاً؛ لأنه لا مال له. وهذا إجماع من العلماء على أن الجزية إنما توضع على جماجم الرجال الأحرار البالغين، وهم الذين يقاتِلون دون النساء والذرية والعبيد وا انين المغلوبين على عقولهم والشيخ الفاني(٤).

كما أنه من المفيد التنبيه هنا إلى أنّ أهل الجزية إذا دفعوها فإنه لا يجوز أن يؤخذَ بعدها شيءٌ من ثمارِهم ولا تجارِ م ولا زروعِهم.

ولعل قصر دفع الجزية على الرجال القادرين على القتال وحمل السلاح يعود لرغبة الشارع الحكيم في إشعار هذه الفئة من أهل الكتاب يبة السلطان المسلم وباستمرارية خضوع هذه الفئة لأحكامه وسلطاته. ولو كان المقصود من الجزية، كما يزعم الرهبان الطّاعنون، الإمعان في إهانة وإذلال أهل الكتاب واستمرارية الضغط عليهم لقَرض

(1) ابن قيم الجوزية [م. س]، ص ١٢١.
(2) ابن قيم الجوزية [م. س]، ص ١٢٣.
(3) القرطبي [م. س]، ج٨، ص ١١٥.
(4) المرجع السابق نفسه، ج٨، ص ١١٢.

الإسلام الجزيةَ عليهم جميعاً رجالاً ونساءً وأولاداً وبناتٍ وشيوخاً ... ولفرض عليهم أداءَ مبالغَ ماليةٍ ضخمةٍ ترهقهم في الدفع والسداد وتجبرهم على الهجرة إلى ديارٍ غير ديار الإسلام. ثُم لماذا يتجاهل ويتناسى الرهبان الطاعنون حق الحكومات والدول في فرض رسومٍ ومطالب ماليةٍ على رعاياها دون استثناء، فالرعايا المسلمون يدفعون الزكاة والرعايا غير المسلمين يدفعون الجزية.

ولعل مقارنةً سريعةً بين الجزية والزكاة لكفيلةٌ بتذكيرنا بأنّ قيمة الجزية التي يدفعها غير المسلم مرةً في السنة لهي أقل بكثيرٍ من قيمة الزكاة التي يدفعها المسلم في السنة، ويكون (الذمي) متمتعاً مقابل ذلك بالأمان والطمأنينة على نفسه وأهله وبيته وذريته، وممارساً لعقائده وشعائره في دور عبادته وفي بيته بسقفٍ من الحريةِ لم تعرف البشريةُ مثيلاً له في غير ظل الإسلام. إننا نقول هذا الكلام ونحن نرى ما نراه من ظلمٍ واضطهادٍ وأذى يلحق بالمسلمين الذين يعيشون في ديار الحضارة المسيحية الغربية من منعٍ للحجاب في بعض تلك الدول، ومن منعٍ لمآذن المساجد في بعضها الآخر، ومن حملاتٍ تشهيريةٍ يتعرضون لها وهم الحبيب المصطفى ﷺ، هذا إضافةً لما تمارسه دول وحكومات الغرب (المُتحضِر) بحقّهم من تمييزٍ في المعاملات وفي الوظائف العامة، لا لشيءٍ إلا لأنهم مسلمون لا يدينون دين الدولة المسيحية التي يعيشون في كنفها سواءً في أوروبا أو في أمريكا.

يـ عج الرهبان من كلمة (الجزية) ومن كلمة (صاغرون) وهم يتعامون تماماً عما تمارسه حكومات بلادهم من إذلالٍ وقهرٍ لشعوب العالم الإسلامي صباح مساء حتى جعلتهم صاغرين حتى وهم في عقر دارهم!! يـ عجون من دينار ذهبٍ كان المسيحي يدفعه للدولة الإسلامية مرةً واحدةً في السنة ويتناسون المبالغ الضخمة والشروط والكفالات المالية المُرهِقةَ التي يدفعها المسلم عندما يسعى للحصول على تأشيرة زيارةٍ أو عملٍ في بلاد الغرب المسيحي!!!.

بقي أن نضع بين أيدي القارئ الكريم معلومةً مفادها أنّ مفهوم (الجزية) غير جديدٍ على الرهبان الطّاعنين فهم يعرفونه حق المعرفة؛ إذ ورد في كتا م المقدس بعهديه القديم والجديد. فنحن نقرأ في العهد الجديد أنّ بولس الرسول قد حثّ أتباعه على دفعها وعدم التعرض للسلطان، وكذلك فعلَ المسيح، عليه السلام، عن محاولة اليهود لإيقاع الفتنة بينه وبين حكومة القيصر الروماني آنذاك. والدليل ما يلي:

أولاً: "فاعطوا الجميع حقوقهم: الجزيةَ لمن له الجزيةُ، الجبايةَ لمن له الجبايةُ. والخوف لمن له الخوف. والإكرام لمن له الإكرام"[(١)].

ثانياً: "أيجوز لنا أن نعطي جزيةً لقيصر أم لا؟ فشعر بمكرهم وقال لهم: لماذ تجربونني؟ أروني ديناراً. لمن الصورةُ والكتابة؟" فأجابوا وقالوا: "لقيصر" فقال لهم: "أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله" فلم يقدروا أن يمسكوه بكلمةٍ قُدام الشعبِ، وتعجبوا من جوابه وسكتوا"[(٢)].

وقد ورد في العهد القديم أنّ يعقوب، عليه السلام، قد أخذَ الجزية، كما ورد أنّ يوسف عليه السلام قد دفعها والدليل على ما يلي:

أولاً: "وكانَ لما تشدد إسرائيلُ أنه وضع الكنعانيين تحت الجزية ولم يطردهم طرداً"[(٣)].

ثانياً: "فعزم الأموريون على السكنِ في جبل حارس في أيلّونَ وفي شعلبيم. وقويت يد بيتِ يوسف فكانوا تحت الجزية"[(٤)].

الشبهةُ الرابعةُ والعشرون ودفْعها

إن القرآن الذي جاء به محمد لا يتفق مع العقل في الكثير من أحكامه وتشريعاته. وقد قام محمد بفرض نصوص كتابه هذا على أتباعه، وأوجب عليهم الالتزام بما جاء فيه وتنفيذه دونَ أن يسمح لهم بالتفكير في مضامينه أو مناقشتها.

ولا زال التزام المسلمين بهذا الكتاب عائقاً أمام تقدّمِهم العلمي وتطورهم، حتى عصرنا هذا.

- إنّ هذه التهمةَ والفرية ساقطةٌ من عدة وجوهٍ، هي التالية:

أولاً: إنّ القرآن الكريم في إقامته لأدلّة وجود الخالق سبحانه وتعالى، أمر الإنسانَ أولَ ما أمره بإعمال النظر العقلي في خلق الكون وموجوداته وما فيه من مخلوقاتٍ ليكون ذلك سبيلاً للاهتداء إلى وجود الله تعالى، ومن ثمّ ليكون سبيلاً للاهتداء إلى وحدانية الله عز وجلّ.

---

(1) رومية: ١٣: ٧

(2) لوقا: ٢٠: ٢٢ – ٢٦.

(3) القضاة: ١: ٢٨

(4) القضاة: ١: ٣٥، ٣٦.

كما أنّ منهج القرآن في إثبات كل قضايا الإيمان وأركانه يدعو العقل البشري إلى النظر والتأمل في مظاهر عظمة الله، عن طريق التفكير في كونه الواسع. والإنسانُ بحكم تفكيره القاصر لابد له من الاستعانة بما ذكره القرآن الكريم عن تلك القضايا. ومن خلال النظر في الكون والنفس الإنسانية نتبين أنه لا بد لكل حادثٍ من محدِثٍ واستحالة أن يتم هذا الخلق بلا خالق، قال الله تعالى: " أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ "[١].

ثانياً: إنّ معرفة الله تعالى يجب أن تكون معرفةً يقينيةً لا تحصلُ بالتقليد. قال تعالى: " فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ "[٢]. ولذلك رفض القرآنُ الكريم التقليد في العقيدة وعده مانعاً للعقل البشري من التفكير. وأثنى اللهُ تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ويذرون ما هو غير حسنٍ " فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ "[٣]. كما ندد القرآنُ الكريم بالمقلدين الذين لا يفكرون إلا بعقول غيرهم " وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ "[٤].

ثالثاً: إن القرآن الكريم هو مصدر العقلانية المؤمنةِ، والباعثُ عليها، والداعي لاستخدام العقل والتفكرِ والتدبرِ في آيات الله المنظورة والمسطورة جميعاً ... وآيات القرآن التي تحض على العقل والتعقل تبلغُ تسعاً وأربعين آيةً ... والآيات التي تتحدث عن "اللب" ـ بمعنى عقل وجوهرِ الإنسان ـ هي ست عشرةَ آيةً. كما يتحدثُ القرآن عن "النهى" ـ بمعنى العقل ـ في آيتين ... وعن الفكرِ والتفكرِ في ثمانيةَ عشر موضعاً ... وعن الفقه والتفقهِ ـ بمعنى العقل والتعقل ـ في عشرين موضعاً ... وعن "التدبر" في أربعة آيات ... وعن "الاعتبار" في سبع آيات ... وعن "الحكمة" في تسع عشرةَ آيةً .. وعن "القلب" كأداةٍ للفقه والعقل ـ في مائةٍ واثنين وثلاثين موضعاً ... ناهيك عن آيات العلم والتعلم والعلماء التي تبلغُ في القرآن أكثر من ثمانمائة آيةٍ ... فالقرآن الكريم هو الداعي للتعقل والتدبر والتفقّه والتعلّم ... والعقل الإنساني هو أداة فقه الشرع، وشرطُ ومناطُ التدين ـ ذا

---

[١] سورة الطور، الآيتان ٣٥، ٣٦.

[٢] سورة محمد، الآية ١٩.

[٣] سورة الزمر، الآيتان ١٧، ١٨.

[٤] سورة البقرة، الآية ١٧٠.

الشرع الإلهي ... ولذلك لا أثر للشرع بدون العقل، كما أنه لا غنى للعقل عن الشرع، وخاصةً فيما لا يستقل العقلُ بإدراكه من أمور الغيب وأحكام الدين[(١)].

رابعاً: أما بالنسبة لعلاقة القرآن بالعلم فنذكّر الرهبان الطاعنين بما يلي:

١. تميز الإسلام بكونه الدين الوحيد الذي جعل طلب العلم فريضةً على أتباعه. وقد كان أولَ ما نزل من آيات القرآن الكريم قوله تعالى: " ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ "[(٢)].

٢. ومما يدل على مكانة العلم في الإسلام، أن الله تعالى أقسم به وبأدواته في القرآن الكريم، فقال الله تعالى: "نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ"[(٣)]. فقد ابتدأت السورةُ بأحد الأحرف المُستعملة في الكتابة، ثم أقسم اللهُ تعالى بالقلم الذي تكتب به العلوم والمعارف، وفي هذا تنبيه من الله تعالى للخلق على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي تنال ا العلوم. ثم أقسم اللهُ تعالى بما يسطره الناس أي ما يكتبونه، وهذا قسم بالعلم، وفي ذلك كله دلالةٌ على م لة العلم وأهله[(٤)].

٣. الأمر بالاستزادة من العلم، فقد أمر اللهُ تعالى نبيه محمداً ﷺ، بطلب المزيد من العلم بقوله تعالى: "وَقُل رَّبِّ زِدۡنِى عِلۡمًا "[(٥)]. وإذا كان هذا الأمر للنبي ﷺ وهو ذو م لةٍ عاليةٍ علماً وفضلاً وكرامةً فإن المسلمين مدعوون لذلك لأن خطاب النبي خطاب لأمته[(٦)].

٤. أكد القرآن الكريم على أنّ العلم سبب مباشر لرفعة العلماء وأنه بالعلم يعلو قدر الإنسان وتعلو م لته، قال تعالى: " يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ "[(٧)].

---

(1) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين [م. س]، الرد على الشبهة رقم ٦٣ حول تناقض القرآن مع العقل.
(2) سورة العلق، الآيات ١ – ٥.
(3) سورة القلم، الآية ١.
(4) الصوا، علي، وآخرون [م. س] ص ٣٦.
(5) سورة طه، الآية ١١٤.
(6) الصوا، [م. س]، ص ٣٦.
(7) سورة ا ادلة، الآية ١١.

ولا نأتي بجديدٍ ولا نذيع سِراً إذا قلنا: إنّ القرآن الكريم قد قرر الكثير من الحقائق العلمية التي لم يقدر العلم على إثبات صحتها إلاّ مؤخراً[١]. إنّ الرهبان الطاعنين لمطالبون أن يأتونا ولو بمثالٍ واحدٍ من القرآن الكريم يناقض حقيقةً علميةً ثابتةً.

وبعد أن طوينا صفحة الحديث عن م لة العقل والعلم في القرآن الكريم نرى من المناسب أن نفتح الصفحةَ ذا ا في الكتاب المقدس لنرى مدى انسجامه مع العقل وتوافقه مع العلم ولنرى موقع العلماء من سطوره.

أولاً: يذكر العهد القديم من الكتاب المقدسِ أنّ الحية هي التي أغرت المرأة (حواء عليها السلام) لتأكل من الشجرة التي أوصى الرب آدم وحواءَ ألاّ يأكُلا منها، فكانت النتيجةُ أن غَضِب اللهُ على الحية ولعنها وكتب عليها أن تسعى على بطنها زاحفةً وأن تأكل التراب طيلة حيا ا!! وكذلك فقد حكم على المرأة عقاباً لها التعب والوجع عند الحمل وعند الولادة!!! "فقال الرب الإله للحية لأنك فعلتِ هذا ملعونةٌ أنتِ من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية، على بطِنك تسعين وتراباً تأكلين كل أيام حياتك ... وقال للمرأة تكثيراً أُكثر أتعاب حبلكِ بالوجع تلدين أولاداً"[٢].

ثانياً: يذكر العهد القديم من الكتاب المقدس أنّ فترة النفَاس التي تقضيها المرأة بعد الولادة لتطهر تكون أربعين يوماً إن كان مولودها ذكراً. بينما تمتد هذه الفترة لتكون ثمانين يوماً إن كان مولودها أنثى!! "إذا حبلت امرأةٌ وولَدت ذكراً تكون نجسه سبعة أيام ... ثم تقيم ثلاثةً وثلاثين يوماً في دم تطهيرها ... وإن ولَدت أنثى تكون نجسةً أسبوعين ... ثُم تقيم ستةً وستين يوماً في دم تطهيرها"[٣].

ثالثاً: تتجلّى تناقضات العهد القديم مع العقل في أبرز صورها في سفر التكوين، والذي هو أولُ أسفار التوراة؛ ففي هذا السفر تبرز لدينا روايتان متناقضتان عن قضية الخلق وترتيبِ خلق المخلوقات في كل واحدٍ من أيام الأسبوع، "كما يبرز لدينا تناقض واضح في الروايتين اللتين ذَكَرتا موضوع الطوفان حيث أنّ إحداهما تذكر أن سبب الطوفان هو ماءُ المطر، بينما تذكر الرواية الأخرى أن سبب الطوفان مزدوج؛ أي مِن ماء المطر ومن ينابيع

---

(1) انظر كتاب موريس بوكاي (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم).

(2) التكوين: ٣: ١٤ – ١٦.

(3) اللاويين: ١٢: ١ – ٥.

الأرض. وبينما تذكر روايةٌ أنّ مدة الطوفان أربعون يوماً تذكر نصوص أخرى أنّ مدة الطوفان كانت مائةً وخمسين يوماً"(١).

ومما يجدر ذكره هنا أن كبار رهبان وعلماء المسيحية قد تصدوا للدفاع عن وجود التناقضات والأمور المنافية للعقل في الكتاب المقدس بقولهم: إنّ ذلك يعود لضعف عقول الناس وعدم فهمهم له. وفي هذا يقول القديس أوغسطين "فعندما ألتقي في هذه الكتب بدعوى تبدو مناقضةً للحقيقة فإنني عندئذٍ لا أشك في أن نص نسختي لا يحتوي على خطأٍ أو أنّ المترجِم لم يترجم النص الأصلي بشكلٍ صحيحٍ أو أنّ مقدرتي على الفهم تتسم بالضعف"(٢).

رابعاً: المسيحيون متفقون على أن المسيح، عليه السلام، هو الذي ألهم كُتاب الأناجيل الأربعة (متى، ومرقص، ولوقا، ويوحنا) القيام بكتابتها، ويفهم من ذلك وبكل تأكيدٍ، استحالة وجود تناقضٍ أو تعارضٍ بينها وبين بعضها البعض، وذلك لأ ا إلهام من المسيح الرب. وهنا نذكر الرهبان الطاعنين في القرآن الكريم والزاعمين وجود التناقض بين آياته ووجود التعارض بينه وبين العقل بما يلي(٣):

١. إنّ الفصح(٤) في الأناجيل الثلاثة مختلف زمنياً مع عشاء المسيح الأخير مع الرسل، عنه في الإنجيل الرابع، فبينما يضع يوحنا العشاءَ السري "قبل عيد الفصح" يضعه الثلاثة الآخرون أثناء الفصح نفسه. ويستنتج من هذا اختلاف صريح مع الحقيقة. ولا يمكن قبول هذه الواقعة بسبب وضع عيد الفصح المُعينِ بالنسبة إليه. وعندما نعلم أهمية الفصح في الطقوس الدينية اليهودية وأهمية عشاء المسيح الوداعي مع تلاميذه، فكيف يتصور أن تفقد الذاكرةُ مركز أحدهما بالنسبة إلى الآخر في الرواية المنقولة فيما بعد من الإنجيليين!!.

٢. تختلف روايات "الآلام"(5) بصورةٍ عامةٍ فيما بين الإنجيليين وبخاصةٍ بين الأناجيل الثلاثة الأوائل وإنجيل يوحنا. ويشغل العشاءُ الأخير للمسيح والآلام في إنجيل يوحنا حيزاً كبيراً يكاد يكون ضعفَي الحَيز الذي عند مرقس ولوقا. وطولُ نصهِ أكبر من الذي عند متى بمرةٍ ونصفِ المرة. هذا ويروي يوحنا أيضاً خطاباً طويلاً جداً من المسيح إلى تلاميذه، يملأ من إنجيله أربعةَ فصولٍ أعطى فيه تلاميذَه الذين يودعهم آخر توجيهاته، ووصيته

---

(1) بوكاي موريس، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص ٤٤ فما فوق بتصرف، ط١، ١٩٧٨، دار الكندي، لبنان.

(2) المرجع السابق نفسه ص ٤٨.

(3) بوكاي [م. س] ص ٩٤، ٩٥.

(4) الفصح: اسم عبري معناه عبور،وهو أول الأعياد السنوية الثلاثة، وهو يعرف أيضاً بعيد الفطير.

(5) اشارة إلى آلام المسيح ابتداءً من ألمه في بستان جشيماني وانتهاءً بموته على الصليب كما يعتقد المسيحيون.

الروحيةَ، بينما لا نجد لذلك أي أثرٍ في الأناجيل الأخرى. بل على العكس فإنّ متى ولوقا ومرقس، يروون صلاةَ المسيح في حديقة الزيتون التي لا يتكلم عنها يوحنا أبداً!!

٣. إنّ الحدثَ الأهم الذي يصدم قارئ قصةِ الآلام في إنجيل يوحنا، هو أنه لا يتعرض لأي ذكرٍ لتأسيس سر "الأفخارستيا"[1] خلال عشاء المسيح الأخير مع الرسل!!

وما من مسيحيٍ لا يعرف صورة "العشاء السري"؛ حيث كان المسيح يجلس للمرةِ الأخيرة، إلى المائدة وسط الرسل. وقد أبرز أعاظم الرسامين في هذا الاجتماع الأخير وبالقرب من عيسى يوحنا الذي جرت العادةُ على اعتباره كاتب الإنجيل المعروف باسمه.

ويوحنا الرسول، مهما كان مدهِشاً هذا للكثيرين، ليس معتبراً في نظر أكثرية الاختصاصيين كاتب الإنجيل الرابع الذي لم يذكر تأسيس الإفخارستيا. وهذا التقديس للخبز وللخمر اللذين يستحيلان جسد المسيح ودمه هو العمل الطقسي الأساسي للمسيحية، يتكلم عنه الانجيليون الثلاثة الآخرون كما ذكرنا آنفاً وإن كان بعباراتٍ مختِلفةٍ. أما يوحنا فلا يذكر عنه أية كلمةٍ!!.

٤. إنّ يوحنا هو الإنجيلي الوحيد الذي نقل في ناية عشاء المسيح السري وقبلَ توقيفه واقعة الأحاديث الختامية مع الرسل التي خِتمت بخطابٍ طويلٍ جداً خصص له أربعةَ فصولٍ من إنجيله، لا نجد أيةَ صلةٍ لها في الأناجيل الأخرى. ومع ذلك فإن هذه الفصول تعالج عند يوحنا مسائلَ أوليةً في رؤى المستقبل ذات أهميةٍ أساسيةٍ معروضةٍ بأسلوبٍ فخمٍ وإطارٍ عظيمٍ يتميز بما هذا المشهد الوداعي بين المعلم وتلاميذه.

وكيف يمكننا تفسير انعدامِ الوجود المطلَق لرواية الوداع المؤثرةِ التي تحتوي وصية المسيح الروحية لدى متى ومرقس ولوقا؟؟

٥. لم يذكر يوحنا ومتى قصةَ صعودِ عيسى، عليه السلام، إلى السماء وجلوسه عن يمين أبيه، بينما ذكرها كل من مرقس ولوقا!!.

---

(1) الإفخارستيا أو سر التناول أو العشاء الرباني، هو أحد الأسرار السبعة المقدسة في الكنيسة الكاثوليكية، وهو تذكير بالعشاء الذي تناوله المسيح بصحبة تلاميـذه عشية آلامه.

٦. كيف يمكن التوفيق بين اعتزاز المسيح، عليه السلام، ببطرس وثقته العالية به وترشيحه ليكون رأساً للكنيسة، وأمره له ببنائها حين قال "أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي، وقوات الجحيم لن تقدر عليها، وأُعطيك مفاتيح ملكوت السماوات"(١).

نقول كيف نوفّق بين هذا القول للمسيح، عليه السلام، وبين توبيخ المسيح لبطرس لمّا حاول أن يبعِده عن طريق الصلب وقوله له: "إذهب عني يا شيطان"(٢)!! هذا عدا عن إخبار المسيح، عليه السلام، أن بطرس سينكره ثلاثَ مراتٍ ويحلف بأنه لا يعرفه(٣).

٧. بماذا نعللُ فقدان النسخ الأصلية للأناجيل الأربعة؟ وبماذا نعللُ الخلاف حول اللغة التي كُتِب ا كل منها؟ وبماذا نعللُ عدم معرفة المترجِم الحقيقي لكل واحدٍ منها؟ وبماذا نعللُ الاختلافات التي بين الأناجيل في ذكر نسب المسيح، عليه السلام؟؟؟

- **أما بالنسبة لاتهام الرهبان الطاعنين القرآن الكريم بأنه السبب الذي يعوق التطور والتقدم العلمي للمسلمين،** فقد كان حرياً ؤلاء أن يتذكّروا أنّ النهضة العلمية والتطور الذي عرفَته القارةُ الأوروبية لم يقُم إلا بعد أن أزاحت الكنيسةَ عن طريقها وعزلَتها عن التدخل في كل نواحي الحياة.

وكان حرياً م أن يراجعوا صفحات تاريخهم الملطّخة بدماء العلماء الأبرياء الذين لم يكن لهم ذنب سوى أنهم وضعوا نظرياتٍ علميةً هامةً خالفت في مضمو ا بعض كلمات الكتاب المقدس، والأمثلة على ذلك كثيرةٌ وشهيرةٌ، ومنها:

أولاً: قامت مجموعةٌ من رهبان الكنيسة المسيحية في عام ٤١٥ للميلاد بقتل "هيباثيا" ابنة "نيون السكَندري" الذي كان مديراً لمكتبة الإسكندرية. وقد كانت "هيباثيا" آخر أكبر عالمة رياضياتٍ وفلسفةٍ في مدرسة الاسكندرية آنذاك. وقد تمت عملية القتل بناءً على توجيهاتٍ وأوامر مِن أُسقُفِ الإسكندرية "سيريل" الذي جعلَته الكنيسةُ البابوية قديساً فيما بعد!!! "وبعد إعدامها بلا محاكمةٍ، قام الجُناةُ بسحب جثتِها داخل الكاتدرائية وتولى الرهبانُ تقطيع جسدها. وكانت حجةُ المسيحيين في النيل منها أ ا كانت مدرسةَ رياضياتٍ بارعةً

---

(١) متى ١٦: ١٨، ١٩.
(٢) متى ١٦: ٢٣.
(٣) انظر متى: ٢٦

وتمثلُ ديداً ضد انتشار المسيحية بسبب تعليمها العلوم وفلسفة الأفلاطونية الجديدة. ويمثلُ مقتلُها نقطةَ تحولٍ كبرى إذا غادر العديد من العلماء مدينة الإسكندرية متجِهين إلى الهند أو فارس ولم تعد الإسكندرية تمثل مركز الإشعاع العلمي في العصر القديم"[١].

ثانياً: جاء العالِم "كوبر نيكوس" بنظريته التي تقول بأن الشمس هي مركز الكون وليس الأرض، وإنّ الأرض والكواكب الأخرى تدور حول الشمس بسرعةٍ. فإذا نظرنا إلى السماء فتصورنا أنّ الأجرام السماوية تتحرك، فما ذلك إلا نتيجةً لدوران الأرض في الاتجاه المعاكس. وظلّت نظرية "كوبرنيكوس" ناقصةً، ولكن عالم الفيزياء الألماني "يوهانز كيبلر" تمكّن من توفير الأدلة الحسابية على صِحتها، ثم قام الفلكي "جاليليو جاليلي"، بإجراء اختبارٍ علميّ تجريبيّ لتلك "الفرضية" عن طريق رصد الكواكب "بالتليسكوب". "وقد لاقت نظرية "كوبر نيكوس" محاربةً شديدةً من ِقبل رجال الكنيسة، لأن فيها، كما يقولون، مخالفةً لما جاء في الكتب المقدسة، ومن ذلك ما كتبه "فروماندوس"، وهو أحد رجال الدين، في مقالته التي سماها "أرسطارخس" حيثُ بدأ أولَ صفحةٍ منها بلعنة "كوبرنيكوس" ثم أعلَن "أن الت يل يقاوم "كوبر نيكوس وأنصاره"[٢].

ومن أجل أن يبرهن على فساد نظرية "كوبر نيكوس" وأ ا ضرب من ضروب الكفر والإلحاد، رجع إلى النصوص المقدسة التي تتحدثُ عن شروق الشمس وغرو ا وثبات الأرض، حيث استند على نصٍّ من التوراة جاء فيه، أن الأرض ثابتةٌ إلى الأبد، "ما الفائدة للإنسان من كل تعبه الذي يتبعه تحت الشمس، دور يمضي ودور يجيء، والأرض قائمةٌ إلى الأبد، والشمس تشرق والشمس تغرب وتسرع إلى موضعها حيث تشرق"[٣].

ثالثاً: جاء العالم "جيوردانو برونو" بفرضيةٍ علميةٍ وصف من خلالها الكون بأنه "لا ائي" كما تضمنت فرضيته معلوماتٍ أخرى منها على سبيل المثال (أنّ هنالك أشكالاً من الحياة خارج الكرة الأرضية) مِما أثار غضب رجال الكنيسة الذين كانوا يعتقدون بأن الأرض منبسِطةٌ، وبناءً على ذلك فقد وجهت الكنيسةُ مة (الهرطقة) إلى "جيوردانو برونو" وقامت بمحاكمته لمدةٍ قاربت الثماني سنوات "تم خلالها انتزاع الاعترافات من "برونو" عن طريق التعذيب وحكِم على "جيوردانو برونو" بالموت لأنه "متعنت مصِر على هرطقته" ... وكان قد

---

(1) ريبوني، إنريكو، الإلحاد وأسبابه "الصفحة السوداء للكنيسة" ترجمة د. زينب عبد العزيز، ص ٦٩، ط١، ٢٠٠٤، دار الكتاب العربي، مصر.

(2) وايت، آندروديكسون، بين العلم والدين، ترجمة إسماعيل مظهر، ص ٧٣، ط١، ١٩٣٠، دار العصور، مصر.

(3) سفر الجامعة : ١: ٣ – ٥.

جاهد ليشرح أنّ أفكاره ليست خطأً، دون جدوى. وتم حرقُه حياً في "كامبو دي فيوري" وقد كمموه قبل أن يأخذوه إلى المَحرقةِ لتفادي أن تتسبب عباراته في قلقلة معتقدات الجمهور الذي حضر لمشاهدة المَحرِقة. وقد تم إضفاءُ رتبةِ "كبير علماء الكنيسة" عام ١٩٣٠م على "الكاردينال بلّلارمين" الذي تولّى إدانة "برونو" رسميا..."[١].

رابعاً: كما ذكرنا في النقطة الثانية أنّ العالم (جاليليو جاليلي)، وهو أحد علماء الفلك الأكثر شهرةً في تاريخ إيطاليا قد تمكّن من إجراء اختباراتٍ علميةٍ تجريبيةٍ أثبت من خلالها صحة نظرية "كوبر نيكوس"، وذلك عن طريق رصده للكواكب باستخدام "التليسكوب". وأثبت دوران الأرض حول الشمس على خلاف الاعتقاد الكنسي القائم على أن الأرض ثابتةٌ لا تتحرك، وأنها مركز الكون، كما استطاع هذا العالِم الفذ المُبدِع أن يثبت أن هنالك كواكب سيارةً تدور حولها، وأن عددها يزيد عن سبعة كواكب على خلاف الاعتقاد الكنسي السائد آنذاك والذي كان يحصرها في سبعة كواكب فقط. فثارت ثائرة الكنيسة وأعلنت هرطقةَ وكفر وإلحاد هذا العالم مستندةً إلى أن أقواله تخالف ما ورد في الكتاب المقدس. وتم تحويل (جاليليو) إلى محكمة التفتيش في روما.

"وأجبرته لجنةُ المحكمة على الرجوع في رأيه بأن عرضت عليه أولاً وسائل التعذيب المستخدمةَ إذا ما أصر على رأيه ... وكانت أعمالُ "جاليليو" قد أدينت ووضعت في كشف الممنوعات منذ عام ١٦١٦م[٢]. وقد أمضى بقية حياته معتقَلاً في م له إذ أن شهرته العالمية قد سمحت له بتفادي العواقب الوخيمة، فكانت عمليةُ اعتقاله في م له هي الوسيلة الوحيدة لتفادي عمليات التعذيب الرسمية التي تمارسها اللجنة .."[٣] خصوصاً بعد أن صدر الحكم عن محكمة التفتيش بسجنه وتعذيبه بشدةٍ مما اضطره للتراجع عن نظرياته العملية [التي أثبت العلُم صحتها تماماً] وأعلن أمام البابا "أربان الثامن" تراجعه وتوبته عما قاله. وقال في إعلانه هذا: **"أنا غاليليو، وفي السبعين من عمري، سجين جاثٍ**

---

(1) ريبوني [م. س]، ص ١٠٠.

(2) قامت اللجنة الخاصة بالحكر على الفكر التابعة للكنيسة بإصدار (الإندكس) أو قائمة الكتب التي يمنع نشرها وتداولها وكان من ضمنها كتب (كوبر نيكـ ـوس) و(جاليلو).

(3) ريبوني [م. س] ص ١٠٣.

على ركبتي، وبحضور فخامتك، وأمامي الكتاب المقدس، الذي ألمسه الآن بيدي أعلِن أني لا أشايع، بل ألعن وأحتقر خطأ القول وهرطقةَ الاعتقاد بأن الأرض تدور"[١].

ولربما يسألُ سائلٌ عن الدافع الذي كان يؤدي بالكنيسة ورجالها إلى فعل ما فَعلوه بعلماء من أمثال (جاليليلو وهيباثيا) وآخرين؟؟ والجواب على ذلك: أنّ رجال الكنيسة كانوا يعتقدون بأنّ الكتاب المقدس يتضمن كل أنواع العلوم التي يحتاجها الناس، سواءٌ أكانت علوم دينٍ أو علوم دنيا "وأن أساس كل علمٍ، عندهم، هو الكتاب المقدس وتقاليد الكنيسة وأن الله لم يقصر تعليمنا بالوحي على الهداية إلى الدينِ فقط بل علمنا بالوحي كل ما أراد أنْ نعلَمه من الكون، فالكتاب المقدس يحتوي من المعرفة على المقدار الذي قُدر للبشر أن ينالوه، فجميع ما جاء في الكتب السماوية من وصف السماء والأرض، وما فيها، وتاريخ الأمم مما يجب تسليمه مهما عارض العقلَ أو خالف شاهِد الحس، فعلى الناس أن يؤمنوا به أولاً، ثم يجتهدوا ثانياً في حمل أنفسهم على فهمه"[٢].

ولأنّ الأوروبيين أعلم بشؤون بلادهم وأعلم بتاريخهم وأخبر بالجراحات والأذى الذي سببته لهم الكنيسةُ فقد رفضت أكبر جامعةٍ إيطاليةٍ استقبال بابا الفاتيكان بنديكتيوس السادس عشر عندما هم بزيار ا وتعرضت شخصيته للاستهزاء والسخرية، فما كان منه إلاّ أن تراجع عن زيارته لهذه الجامعة، وهي جامعة (الأسابينتسا) جامعة روما الأولى.

"وكل ما استطاع البابا أن يفعله هو التراجع عن زيارة الجامعة، وسط سخريةٍ و تَهكمِ أهل العلم التجريبي والفيزياء والأجيال الجديدة من الطلبة. حيث قال رئيس قسم الفيزياء في جامعة روما الأولى "جان كارلو رووكو"، وهو القسم الذي تزعم أساتذته وطلبته الاحتجاجات على الزيارة المُلْغاة لبابا الفاتيكان، في حديثٍ مع قناة "سكاي تي جي ٢٤" الإخبارية الإيطالية: **"تاريخ الصراع بين الفيزياء والكنيسة قديم جداً ولا يزال قائماً حتى الآن" ... وأضاف: "لا نريد العودة إلى تاريخ وجغرافية الكنيسة ... لقد تجاوزنا القرون الوسطى حيث كانت الكنيسة تفرض تاريخاً وجغرافيةً مغلوطين عن تاريخ الكون وشكل الكرة الأرضة"[٣].**

---

(1) وايت [م. س]، ص ٧٩، ٨٠.

(2) عبده، محمد، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، ص ٢٧، ط٣، ١٣٤١ هـ، مطبعة المنار، مصر.

(3) مجلة ا تمع، العدد ١٧٨٨، بتاريخ ٢٠٠٨/٢/٩.

"وفي خضم الجدل الدائر حول الزيارة المُلغاةِ لبابا الفاتيكان لجامعة روما الأولى (لاسابينتسا) بمناسبة افتتاح السنة الأكاديمية، قالت وزيرة التجارة الخارجية والسياسات الأوروبية "إيما بونينو": **"لا أحد يريد أن يكمم البابا أو يمنعه من الكلام ... إن ما نشهده يومياً يدعو للقلق، فالوحيد الذي يتكلم صباح مساءً هو البابا وأتباعه بالخزعبلات الكاثوليكية"، وأضافت: "أي شخص يفكر بشكلٍ مختلفٍ، أو يتولى المسؤولية استجابةً لحاجات المواطنين الإيطاليين من أي دين كانوا، يجد نفسه في نهاية المطاف بلا صوتٍ، إن البابا يريد من الأصوات الأخرى أن تخرس".**

وكان الفاتيكان قد حاول عبثاً دحض الشائعات التي سرت حول إلغاء الزيارة، وأكدت الدائرةُ الصحافيةُ للفاتيكان أن البابا بنديكت السادس عشر سيزور جامعة روما الأولى (لاسابينتسا) يوم الخميس ١٧ كانون الثاني ٢٠٠٨م، وقال الأب "تشيرو بينيديتيني" نائب مدير الدائرة الصحفية: "سيقوم البابا بالزيارة وليس هناك أي تغيير سيطرأ عليها".

وقد أعلن الفاتيكان إلغاء زيارة البابا إلى حرم جامعة روما الأولى، وأصدرت الدار الصحافية في الفاتيكان بياناً رسمياً جاء فيه: نظراً للوقائع التي شهدها الأيام الماضية فيما يتعلق بزيارة الأب الأقدس إلى جامعة روما الأولى للدراسات (لاسابينتسا) بدعوةٍ من رئيسها فقد اعتُبِر أن مِن الملائم إرجاء الزيارة" وختم بالقول: "وسيقوم الأب الأقدس بإرسال كلمته على أية حال"[(1)].

ونشير هنا إلى أن إلغاء زيارة البابا إلى جامعة روما الأولى بعد إصدار أكثر من ستين أستاذاً في الجامعة نفسها نداءً اعتبروا فيه زيارة رأس الفاتيكان إلى جامعةٍ علميةٍ أمراً "غير لائق"، بينما أعلن تجمع طلابي واسع النطاق في الجامعة أسبوعاً لـ "مناهضة الإكليروس".

"وكان من ردود أفعال الكنيسة ما أطلق عليها رئيس أساقفة روما الكاردينال "كاميللو روِيني" دعوةً لكل المؤمنين لحضور "صلاة الملاك" الأحد ٢٠ كانون الثاني ٢٠٠٨م في ساحة كنيسة القديس بطرس، لإظهار تلاحمهم وتأييدهم للبابا "بنديكت السادس عشر". وقال في بيانٍ صادرٍ عن الكاردينال: إنه "تابع خطوةً بخطوةٍ بالتعاون مع أعضاء وهيئات الكرسي الرسولي الأحداث المؤسفة التي أرغمت الأب الأقدس على إلغاء زيارته لجامعة روما الأولى،

---

(1) المرجع السابق نفسه.

والتي دعي إليها منذ وقت طويل" ... وتابع: "وفي هذه الظروف المحْزنة والمؤثرةِ على المدينة بأكملها، تعبر كنيسةُ روما عن قر ا من أسقفها البابا وترفع صو ا معلنةً حبها وثقتها وتقديرها وامتنا ا له ولمكانته التي تحتل قلوب سكا ا..

وكان الرد سريعاً وحاسماً من أساتذة وطلبة الجامعة على حملةِ الفاتيكان ضدهم: لم نحرق أحداً. ونسبةُ الغلط إلى المخالفين وإلى حد الهرطقةِ وما يترتب عليها أمر معروف ومعهود في تاريخ الكنيسة"[1].

وفي ختام ردنا على فرية وشبهة عدم اتفاق القرآن مع العقل، نذكر الرهبان الطاعنين بقول الراهب مارتن لوثر مؤسسِ المذهب البروتستانتي: **أنت لا تستطيع أن تقبلَ كُلا مِن الإنجيل والعقل، فأحدهما** يجب **أن يفسح الطريق للآخر ... "إن كل آيات عقيدتنا المسيحية التي كشف لنا اللهُ عنها** في **كلمتهِ أمام العقل مستحيلةٌ** تماماً **ومنافيةٌ للمعقول وزائفةٌ. فإذاً كيف يعتقد ذلك الأحمق الصغير الماكر[٢] أنّ هناك شيئاً** يمكن **أنْ يكونَ أكثر** مجافاةً **للعقل واستحالةً من أن المسيح يعطينا جسده لنأكله ودمه لنشربه** في **العشاء الأخير؟ ... أو أن المسيح إبن الله** حملت **به مريم العذراء وولدته** ثم **غدا رجلاً يتعذب** ثم **يموت مِيتةً مخجِلةً على الصليب؟ ... إن العقل هو أكبر عدوٍّ للإيمان"[٣].**

الشبهةُ الخامسة والعشرون ودفْعها

يزعم محمد أنّ الله يصلّي عليه!! وكيف لعقلٍ أن يتخيلَ قيام الرب بأداء الصلاة على واحدٍ من الذين خلقهم؟؟

- إنّ مما توهمته عقولُ الرهبان الطّاعنين أنّ الله تعالى يصلّي على محمدٍ ﷺ يئة الصلاة المعروفة الظّاهرة في صلوات المسلمين!!.

وفي هذا التوهم دلالةٌ واضحةٌ على ضحالة فهمهم للإسلام وسوء تصورهم له. وتوضيح صلاة الله تعالى على حبيبه المصطفى هو التالي:

---

(1) المرجع السابق نفسه.

(2) يقصد البابا

(3) ديورانت، [م. س]، الكتاب الثالث والعشرين، ص ٥٦ بتصرف.

وردت صلاة الله تعالى على رسولنا الكريم ﷺ في قوله تعالى: " إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا "[1]. وينقل لنا الإمام البخاري، رحمه الله تعالى، في صحيحه تفسير ذلك، فيقول: "قال أبو العالية: صلاةُ الله ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدعاءُ. قال ابن عباس: يصلونَ: يبركُون. أي يدعون له بالبركة"[2].

هذا عن تفسير معنى صلاة الله على النبي ﷺ. أما عن معنى صلاة المؤمنين على النبي ﷺ فيوضحها الحديث الشريف التالي: روى البخاري عن سعيد بن يحيى قال: حدثنا أبي حدثنا مِسعر عن الحَكَمِ عن ابن أبي ليلى عن كعب بن عجرة رضي الله عنه: "قيل: يا رسولَ الله، أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاةُ عليك؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد"[3].

الشبهةُ السادسة والعشرون ودفْعها

كان محمد يغير خِططه حسب الظروف التي يوجد فيها. فعندما كان ضعيفاً في مكّة قدم الإسلام على أنه دين عربي، ولمّا اشتد عوده وقَوِي جيشه بعد الهجرة إلى المدينة جعلَ محمد الإسلام ديناً عالمياً.

- تشتمل هذه الفريةُ على مطعنين هامين خطيرين؛ أولهما: مطعن في أخلاق الرسول الكريم ﷺ واتهامه بالمصلحية والافتقار إلى وجود المبدأ. وثانيهما: مطعن في الإسلام، وذلك بوصفه رسالةً خاصةً بالعرب وحدهم.

وهذا الكلام متهالِك وساقطٌ من عدة وجوهٍ أبرزها ما يلي:

١. لن نجاري أولئك الذين يقولون بالتدرج في إعلان الإسلام على عالميته فهذا الأمر قد صرحت به الكثير من الآيات المكية التي نزلت قبل الهجرة إلى المدينة (واشتداد عود محمدٍ على حد قول الرهبان الطاعنين) ومن هذه الآيات على سبيل المثال لا الحصر.

[1] سورة الأحزاب، الآية ٥٦.

[2] صحيح البخاري [م. س]، كتاب التفسير، باب "إن الله وملائكته يصلّون على النبي ...".

[3] المرجع السابق نفسه.

أ. " تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا "[١].

ب. " وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ "[٢].

ج. " هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ "[٣].

ويفهم من هذه الآيات أن القرآن الكريم كان واضحاً وصريحاً في الإعلان عن عالمية الدعوة التي يقدمها للبشرية وأنها ليست خاصةً بقومٍ ولا بأهل بلدٍ معينةٍ.

٢. ليس من الصواب الاستدلال على أنّ محمداً بعثَ للعرب فقط بدليل أنه كان يتحدثُ اللغةَ العربيةَ، فإنّ الحكمة من إرسال الرسل عموماً بألسنةِ أقوامهم ـِليكونَ ذلك أبلغَ في الفهم بينه وبينهم، حتى تقوم الحُجةُ ويحصلَ البلاغُ وحتى يكون ذلك أدعى إلى فهم غيرهم.

٣. "لو صح أنْ نقول: إنّ كونَ القرآن عربياً وتحدثَ محمدٍ بالعربية دليلٌ على أنه مرسلٌ للعرب فقط وأن رسالته خاصةٌ م، لَلَزِم من ذلك بأنّ المسيحيين مخطؤون في اتباعهم لأحكام التوراة لأنها نزلت بغير لسا م"![٤].

٤. "ومن الطبيعي أن يبدأ الرسول دعوته العلنيةَ بإنذار عشيرته الأقربين، إذ أن مكّةَ بلد توغلت في الروح القَبليةُ، فبدء الدعوة بالعشيرة قد يعين على نصرته وتأييده وحمايته، كما أنّ القيام بالدعوة في مكة لابد أن يكون له أثر خاص، ـِلما لهذا البلد من مركزٍ دينيّ خطيرٍ، فَجلْبها إلى حظيرة الإسلام لابد وأن يكون له وقع كبير على بقية القبائل ... على أنّ هذا لا يعني أنّ رسالة الإسلام كانت في أدوارها الأولى محدودةً بقريش، لأن الإسلام كما يتجلّى من القرآن اتخذَ الدعوةَ في قريشٍ خطوةً أُولى لتحقيق رسالته العالمية، والواقع أنّ كثيراً من الآيات المكية كانت تنص على أن القرآن "وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ"[٥] الأمر الذي يدل على أن فكرة الدعوة العالمية كانت قائمةً منذ هذا الوقت المُبكرِ"[٦].

---

(1) سورة الفرقان، الآية ١.

(2) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

(3) سورة إبراهيم، الآية ٥٢.

(4) الرومي [م. س]، ج١، ص ٣١٦.

(5) سورة القلم، الآية ٥٢.

(6) العمري [م، س]، ج١، ص ١٤٣، نقلاً عن "دراسة في السيرة" ص ٢٢ لعماد الدين خليل.

٥. إنّ الدعوة التي جاءت خاصةً بقومٍ بعينهم ليست دعوةَ الإسلام، بل هي دعوة المسيح، عليه السلام، ويشهد لذلك قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ "[1]، كما يشهد لذلك قول المسيح، عليه السلام، "لم أُرسلْ إلاّ إلى خِراف بيت إسرائيل الضالةِ"[2]. ولكن الذين جاؤوا من بعده أحدثوا أمراً غير هذا، وارتأوا نشر دعوة المسيح خارج حدود بني إسرائيل فأصبحت الآية "اذهبوا إلى العالمِ أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كُلها"[3].

ويمكننا من خلال ذلك أن نقول وبكل صراحةٍ: إنّ المسيح، عليه السلام، قدم دعوته في ثوبٍ خاصٍّ ببني إسرائيل. ولمّا اشتد عود دعوتِهِ وكثُر عدد أتباعها والمتعاطفين معها جعل منها هؤلاء ديناً عالمياً.

ولربما يسألُ سائلٌ فيقول: لماذا جاهد محمد في المدينة بالقتال والسيف، ولم يفعل ذلك في مكّة؟ أليس هذا تغييراً للخطط وافتقاراً للمبدأ؟؟ والرد على هذا السؤال سهلٌ وميسور ولا يختلف عما ذكرناه في النقاط الخمس السابقة؛ فتغيير الخِطَطِ يجب أن يفْهم في إطار الحكمة الإلهية في التدرج في التشريع، حيث كان من الطبيعي أن يتصرف الرسولُ ﷺ في العهد المكي وتحت ضغط المشركين على خلافِ تصرفه في العهد المدنيّ، الذي تأسست فيه الدولة الإسلامية وبرز فيه ا تمع المسلم بكلّ ما يشتمل عليه من معاملاتٍ وتصرفاتٍ وعمليات تفاعلٍ اجتماعيّ وسياسيّ وثقافيٍ وأخلاقيّ.

كانت تلك أبرز الشبهات والمطاعن والافتراءات التي أثارها رهبان الكنيسة الغربية حول الإسلام ونبوة الحبيب المصطفى ﷺ. وحقيقةُ الأمر أنّ المطاعن والشبهات أكثر من ذلك عدداً، ولكن اختيارنا وقّع على أبرزها وأخطرها، وذلك لما لها من شهرةٍ وتداولٍ عبر العصور والأزمنة، ولما لبعضها من تأثيرٍ في نفوس بعض العوام من المسلمين. مع التذكير بأنّ هذه الشبهات قد أثارها الرهبان الكاثوليك وغيرهم من البروتستانت والآرثوذكس.

وكُنا قد عمدنا إلى دمج بعضها ببعض وذلك لتقار ا وتداخلِها في المضمون والمحتوى.

ونسألُ الله تعالى أن نكون قد وفقنا في عرضها ونقدها ونقضها، مبدين الاستعداد الكامل لقبول كل إضافةٍ قد تطرأ عليها أو تلحق ا، فنهاية هذا البحث وهذه الدراسة لا تعني أبداً توقفنا عن الدراسة والبحث.

---

[1] سورة الصف، الآية ٦.

[2] متى: ١٥: ٢٤

[3] مرقص: ١٦: ١٥.

وختاماً، نذكّر القارئ الكريم، إن رغب في الاستزادة، بالرجوع إلى ما خطّه علماؤنا الأفاضل قديماً وحديثاً، جزاهم الله خيراً، في كتبهم ومؤلفا م وبالذات تلك التي أوردناها في الفصل الأخير من هذه الدراسة.

المبحث الخامس

وشهد شاهد من أهلها

نختم هذه الدراسة بإيرادنا لمقتطفاتٍ من آراء بعض العلماء والمفكرين والأدباء المسيحيين. يذكرون فيها بكُل حياديةٍ وتجردٍ وإنصافٍ رفضهم لما أُثير من طعونٍ وشبهاتٍ صنعها وخطها رهبانُ العصور الوسطى، ورجال الاستشراق الديني الإعلامي المعاصر، ومخالفين لما روجته الكنيسةُ بهذا الصدد.

وقد اخترنا أن نعنونَ لموقف وآراء هؤلاء المُنصفين بـ **"وشهد شاهد من أهلها"**. وهي شهادات تناقض وتعارض ما سبق إيراده من شبهاتٍ وأباطيل، ونؤكد هنا على أنّ هذه الآراء والمواقف إنما هي صادرةٌ عن شخصياتٍ لها وزنها واعتبارها في العالم المسيحي، وكما نؤكد في الوقت ذاته على أنها غُيبت وكان صوتها غير مسموع في الضمير المسيحي الغربي، في الوقت الذي ضخمت فيه آلات الإعلام صوت الباطل والافتراء على الإسلام وخلقت رأياً عاماً مضللاً أنشأته على كراهية الإسلام ورفض الاعتراف بنبوة الحبيب المصطفى ﷺ. وشهادات هؤلاء التي كانت منصفةً للإسلام وللحبيب المصطفى ﷺ هي التالية:

أولاً: شهادة الكاتب الإنجليزي الشهير توماس كارلايل[1]:

مِما يبطلُ دعوى القائلين أن محمداً ﷺ لم يكن صادقاً في رسالته أنه قضى عنفوان شبابه ومرارةَ صباه في تلك العيشة الهادئة المطمئنة لم يحاول أثناءها إحداثَ ضجةٍ ولا دويّ مما يكون وراءه ذِكر وشهرةٌ وجاه وسلطةٌ. ولم يك إلاّ بعد أن ذهب الشباب وأقبل المشيب أن فار بصدره ذلك البركان الذي كان هاجعاً وثار يريد أمراً جليلاً وشأناً عظيماً .. وقد لوحظ على محمدٍ ﷺ أنه كان شاباً مفكراً، وقد سماه رفقاؤه الأمين – رجل الصدق والوفاء – الصدق في أفعاله وأقواله وأفكاره. وقد لاحظوا أنه ما مِن كلمةٍ تخرج من فيه إلا وفيها حكمةٌ بليغةٌ، وإني لأعرف عنه أنه كان كثير الصمت يسكت حيث لا موجِب للكلام فإذا نطق فما شئت مِن لُبٍّ وفضلٍ وإخلاصٍ وحكمةٍ، لا يتناول غرضاً فيتركه إلا وقد أنار شبهته وكشف ظلمته .. وقد رأيناه طول حياته رجلاً راسخ المبدأ صارم العزم بعيد الهم كريماً براً رؤوفاً تقياً فاضلاً حراً، رجلاً شديد الجد مخلِصاً وهو مع ذلك سهل الجانب لَين العريكة، جم البشر

[1] انظر: كارلايل، توماس، الأبطال، ترجمة محمد السباعي ص ٤٣، ٥٠، ٥١، ٦٤، بتصرف واختصار من دون رقم طبعةٍ ومن دون تاريخ نشر، الدار القومية، القاهرة.

والطلاقة، حميد العشرة، وكان على العموم تضيء وجهه ابتسامةٌ مشرقةٌ من فؤادٍ صادقٍ .. وما مكان محمد ﷺ أخا شهواتٍ برغم ما اتهم به ظلماً وعدواناً، ونخطئ إذا حسبناه رجلاً شهوانياً لا هم له إلا قضاء مآربه من الملاذ، كلا! فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ أياً كانت. لقد كان زاهداً متقشفاً في مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه وسائر أموره وأحواله، وكان طعامه عادة الخبز والماء، وربما تتابعت الشهور ولم توقّد بداره نار .. وكان يصلح ثوبه بيده، فهل بعد ذلك مكرمةٌ ومفخرةٌ؟

ثانياً: شهادة مونتجمري وات[1]:

لست مسلماً بالمعنى المألوف، ومع ذلك فإني أرجو أن أكون مسلماً كإنسانٍ استلسم لله. بيد أني أعتقد أن القرآن وغيره من تعبيرات المنظور الإسلامي، ينطوي على ذخيرةٍ هائلةٍ من الحق الإلهي، الذي ما زال يجب على أنا وآخرين من الغربيين أن نتعلم منه الكثير.

ومن المؤكدِ أن الإسلام منافس قوي في مجال إعطاء النظام الأساسي للدين الوحيد الذي يسود في المستقبل.

ثالثاً: شهادة الكاتب الإسبانيّ بلاسكو إيبانز[2]:

إنّ النهضة الأوروبية لم تأتِ من الشمال، وإنما جاءت من الجنوب مع المسلمين الفاتحين، الذين حملوا معهم المدنيةَ والتقدم، وأدخلوا الثقافة الشابةَ الفتيةَ النشطةَ، ذات صنوف التقدم السريعة المدهشة، التي انتصرت بمجردِ ولادتها على أرض الأندلس. هذه الحضارة التي قامت بفضل المناخ الحُر الذي أتاحه الإسلام للعقل، أن يبحث ويسبح من أجل المعرفة، ولم يقيده بقيودٍ كتلك التي فرضتها الكنيسةُ على العقلية الأوروبية.

رابعاً: شهادة المستشرق السويسري إدوارد مونتيه[3]:

"إن الإسلام في جوهره دين عقلانيٌ وفق أوسع المعاني لهذا المصطلح من الوجهة الاشتقاقية والتاريخية. إن تعريف العقلانية، باعتبارها نظاماً يقيم المعتقدات الدينية على مبادئ يدعمها العقل، إنما ينطبق تماماً على الإسلام. وعلى الرغمِ من التطورِ الخصب، بكل ما في هذه الكلمة من معنى، لتعاليم النبي، فقد احتفظَ القرآنُ بمنزلته الثابتة،

[1] انظر: عبد الوهاب، لواء أحمد، الإسلام في الفكر الغربي، دين ودولةٌ وحضارةٌ، ص ١٩، ط١، من دون سنة نشر، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة. وقد ترجم هذه العبارة نقلاً عن مونتجمري وات في كتابه (الإسلام والمسيحية اليوم) المنشور في لندن عام ١٩٨٣.

[2] النبراوي، فتحية، عالمية الحاضرة الإسلامية ودورها في النهضة الأوروبية مجلة الدراسات الإنسانية، العدد (١٩) ج(٢)، سنة ٢٠٠١، جامعة الأزهر.

[3] عبد الوهاب، [م. س]، ص ٢٠، ٢١، نقلاً عن مونتيه وترجمةً لكتابة (الدعاية المسيحية وأعداؤها المسلمون) الصادر في باريس عام ١٨٩٠م.

كنقطة البداية الرئيسية لفهم الدين، وصار يعلن دائماً عن عقيدة توحيد الله في سمّوٍ وجلالٍ وصفاءٍ .. مع اقتناعٍ يقينيّ متميزٍ من الصعب أن يوجد ما يفوقه خارج نطاق الإسلام. .... إن عقيدةً بمثل هذه الدقّةِ، ومجردةً من كل التعقيدات اللاهوتية، وبالتالي يمكن للفهم العادي أن يتقبلَها بسهولةٍ، من المتوقع أن تكون لها قدرةٌ عجيبةٌ - وهـي في الواقـع تمتلك هذه القدرة - على اكتساب طريقها إلى ضمائر البشر.

خامساً: شهادة الدكتور الفرنسي ديفيد دي سانتيلانا[1]:

إن هذا الاستسلام المُفعم بالاتضاع والأمل (لله) إنما هو الإيمان الصحيح. لذلك كان الإسلام (ومعناه تسليم المرء نفسه لله) عقيدةً دينيةً صحيحةً، فذلكم هو الشكل الوحيد الذي يجب أن تتخذه النفس المؤمنة في حـضرة الله .. ذلكم هو شكل النظام الجديد الذي دعا إليه محمد، ونحن نجد في ظله أن قيمة الفرد بدأت تتضح وكينونته البـشرية أخذت تبرز إلى عالم الوجود، فصار يستمد حقوقه وواجباته من إيمانه ويستقيها من معـينِ دينـه لا مـن روابطـه الاجتماعية والعرفية. فمن جماعة المؤمنين هؤلاء تكون ا تمع الإسلامي .. إن آيات القرآن فُصلت للناس بمعرفة خبيرٍ حكيمٍ لتكون شريعةً للحرية وقانوناً للرحمة التي أنعم االله ا على الجنس البشري للتخفيف من صرامة الكتب (الدينية) الأولى. فالإسلام هو عود إلى القانون الطبيعي، بل عود إلى الإيمان الأول الذي بشر به الأنبياء الأقدمون والذي ابتعد به اليهود والنصارى عن غرضه الحقيقي. إنّ الشريعة الجديدة ألغت القيود الصارمة والمُحرماتِ المختلفة الـتي فرضـتها شريعة موسى على اليهود، ونسخت الرهبانية المسيحية وأعلنت رغبتها الصادقة في مسايرة الطبيعة البشرية واستجابت إلى جميع حاجات الإنسان العملية في الحياة.

سادساً: شهادة الناقد الإنجليزي روم لاندو[2]:

في الإسلام لم يول كلٌ من الدينِ والعلم ظهره للأخر، ويتخذ طريقاً معاكسةً. والواقع أن الأول كان باعثـاً من البواعث الرئيسية للثاني فالعلم الإسلامي لم ينفصل عن الدين قطّ. والواقع أن الدين كان هو ملهمه وقُوته الدافعـةَ الرئيسيةَ. ففي الإسلام ظهرت الفلسفةُ والعلم معاً إلى الوجود، لا لِيحلاّ محل ألوهية الدين ولكن لتفـسيرها عقليـاً، لإقامة الدليل عليها وتمجيدها ... إن المسلمين وفقُوا، طوال خمسة قرونٍ كاملةٍ، إلى القيام بخطواتٍ حاسمةٍ في مختلـف

(1) سانتيلانا، ديفيد دي، تراث الإسلام، ترجمة جرجس فتح الله، ص ٤١٠، ٤٠٦، ٤١١، ٤١٢، بتصرفٍ واختصارٍ، ط١، ١٩٧٢، دار الطليعة، بيروت.
(2) لاندو، روم، الإسلام والعرب، ترجمة منير البعلبكي، ص ٢٨٠، ٢٨١، ١٨٧، بتصرف واختصارٍ، ط٢، ١٩٧٧، دار العلم للملايين، بيروت.

العلوم من غير أن يديروا ظهورهم للدين وحقائقه وإنهم وجدوا في ذلك الانصهار عامل تسريعٍ وانجاحٍ لا عامل تعويقٍ وإحباطٍ .. إنّ مجموعةَ الشرائع التي نشأت من طريق النظام والتنظيم اللذين أحدثهما الإسلام ليس لها ما يقابلـها في القوانين الغربية التي انبثقت من أنماطٍ من السلوك متعارفٍ عليها. ذلك أنّ القانون في الإسلام أُسس منذ البدء، تأسيساً مباشراً على الوحي الإلهي الذي تلقاه محمد .. وبسببٍ من طبيعته الإلهية، وبالتالي المعصومة عن الخطأ، سـن القـرآنُ شرائع م هةً عن الضلال مفروضاً في المؤمنين أن يعملوا بموجبها، لا كواجبٍ اجتماعي، كما هي الحال في الغـرب، ولكن كجزءٍ من الإيمان بالله.

سابعاً: شهادة الكاتب والمفكر الإيرلندي جورج برنارد شو(١):

لقد كنت دائماً احتفظُ لدين محمدٍ عندي بأعلى التقدير، وذلك بسبب حيويتِهِ المدهشة. إنه الدين الوحيد الذي يبدو لي أنه يمتلك القدرة على استيعاب تغير أطوار الحياة بما يجعله محل إعجابٍ لكل العصور.

لقد درست محمداً ـ ذلك الرجل العجيب ـ وفي رأيي أنه أبعد ما يكون عمن يسمى ضد المسيح، ويجب أن يسمى: منقِذَ الإنسانية.

إني أعتقد لو أن شخصاً مثله تولى الحكم المُطْلَق للعالم المعاصر لنجح في حل مشاكله بطريقةٍ تجلب له ما هو في أشد الحاجة إليهما من سلامٍ وسعادةٍ.

لقد تنبأت بأن دين محمدٍ سيكون مقبولاً في أوروبا الغد، كما أنه يكون مقبولاً في أوروبا اليوم.

ثامناً: شهادة المؤرخ الإنجليزي هربرت فيشر(٢):

وخلالَ السنوات الأولى من التوسع العربي، ما كان الفاتحون في حاجةٍ إلى بذل مجهودٍ كبيرٍ لكسب مهتدين إلى الإسلام. فعلى العكس من ذلك، كان نجاحهم في الحكم متوقفاً إلى حدٍّ كبيرٍ على سياستهم الحكيمة في التـسامح التي مارسوها تجاه اليهود والمسيحيين. لقد اشتمل الدين الجديد، منذ البداية، على قدرٍ كبيرٍ من السياسة .. وهكـذا انتشرت الحضارةُ الإسلاميةُ، وكانت مراكزها السياسية: في دمشق تحت حكم الأمويين، وفي بغـداد تحـت حكـم العباسيين، وفي مصر تحت حكم الفاطميين. ولقد ساهم فيها السوريون والفرس والترك والبربر والإسـبان، ليقـدموا

(1) عبد الوهاب، [م. س]، ص ٢٢، نقلاً عن برناردشو في كتابه The Genuine Islam وترجمةً لعباراته.
(2) عبد الوهاب، [م. س]، ص ٢٨، ٢٩، نقلاً عن فيشر في كتابه تاريخ أوروبا المختصر. وترجمةً لعباراته.

جميعاً العصر الرائع للآداب والفنون الإسلامية، التي مكنت شعوب الإسلام من السيادة الفكرية للعالم طيلة أربعة قرونٍ، بينما كان العقلُ الأوروبي غارقاً في قيعان الجهل والكسل.

تاسعاً: شهادة المؤرخ الأمريكي ول ديورانت(1):

إن المسلمين ـ كما يلوح ـ كانوا رجالاً أكملَ من المسيحيين، فقد كانوا أحفظَ منهم للعهد، وأكثر منهم رحمةً بالمغلوبين، وقلّما ارتكبوا في تاريخهم من الوحشيةِ ما ارتكبه المسيحيون عندما استولوا على بيت المقدس من عام ١٠٩٩م .. وأصبح المسيحيون الخارجون على كنيسة الدولة البيزنطية والذين كانوا يلقون صوراً من الاضطهاد على يد البطارقة، أصبحوا أحراراً آمنين تحت حكم المسلمين .. بل لقد ذهب المسلمون إلى أبعد من هذا؛ إذ عين والي أنطاكية في القرن التاسع الميلادي حرساً خاصاً ليمنع الطوائف المسيحيةَ المختلفة من أن يقتل بعضها بعضاً في الكنائس ... وكانت طوائف الموظفين الرسميين في البلاد الإسلامية تضم مئاتٍ من المسيحيين .. فعلى الرغم من خطّة التسامح الديني التي كان ينتهجها المسلمون الأوُلون، أو بسبب هذه الخطة، اعتنق الدين الجديد معظم المسيحيين، وجميع الزردشتيين والوثنيين، إلا عدداً قليلاً جداً منهم، وكثيرون من اليهود .. وحيث عجزت الهلينيةُ عن أن تثّبت قواعدها بعد سيادةٍ دامت ألف عامٍ، وحيث تركت الجيوش الرومانيةُ الآلهةَ الوطنيةَ ولم تغلبها على أمرها، وفي البلاد التي نشأت فيها مذاهب مسيحيةٌ خارجة على مذهب الدولة البيزنطية الرسمي، في هذه الأقاليم كُلها انتشرت العقائد والعبادات الإسلامية، وآمن السكّانُ بالدين الجديد وأخلصوا له واستمسكوا بأصوله إخلاصاً واستمساكاً أنساهم بعد وقتٍ قصيرٍ آلهتهم القدامى، واستحوذ الدين الإسلامي على قلوب مئات الشعوب في البلاد الممتدة من الصين وحتى الأندلس، وتملك خيالهم، وسيطر على أخلاقهم، وصاغ حياتهم، وبعث فيهم آمالاً تخفف عنهم بؤس الحياة ومتاعبها، وأوحى إليهم العزةَ والأنفة، حتى بلغ عدد من يعتنقونه ويعتزون به في هذه الأيام مئات الملايين من الأنفس، يوحد هذا الدين بينهم ويؤلف قلوبهم مهما يكن بينهم من الاختلافات والفروق السياسية.

(1) ديورانت ول، قصة الحضارة [م. س]، المجلد الثالث عشر، ص ١٣١ – ١٣٣، بتصرف واختصار.

عاشراً: شهادة الطبيب المصري القبطي نظمي لوفا في دفاعه عن تعدد زوجات الرسول ﷺ[1]:

تسع زوجات عدد ليس بالقليل، ولكن العبرة ليست بالعدد، العبرةُ بالظروف التي أفضت بـه إلى الجمـع بينهن، ومنها ظروف اجتماعيةٌ ترجع إلى الأحداث التي كان هو محورها ولا يمكن أن يعفي نفـسه مـن المـسؤولية والالتزام ببعض آثارها، ومنها ظروف نفسيةٌ مرجعها إلى عواطفه ومراميه. ولا نفهم هذه الظروف حق فهمها إلا إذا قَدرنا المرحلةَ الطويلةَ من عمره قبل زواجه من التسع. مرحلةٌ طويلةٌ خطيرةٌ من عمره، مداها ربع قرنٍ من الزمن، هي فترة الشباب العارم والرجولة الفتيةِ ولم يكن فيها زوجاً للعدد العديد من الحريم. بل كان بعل امرأةٍ واحدةٍ هي خديجة بنت خويلدٍ تكبره بنيفٍ وخمسةَ عشر عاماً. تزوجها وهو في الخامسة والعشرين، وهي فوق الأربعين، وقيل وهي تناهز الخامسة والأربعين. وماتت وهي فوق الخامسة والستين على الأقل، وكان هو في الخمسين. ربع قرنٍ لم تكن فيه هذه الزوجة الواحدة مقْنعاً لشابٍّ في سن ابنها لو كان هذا الزواج أخا شهوةٍ، لا نقول جامحة، بل متوقدة ذات سـلطانٍ على نفسه. ربع قرن لم تكن فيه الزوجة الواحدة فرضاً مفروضاً عليه، والبيئة لا تعرف إلا التعدد الذي لا حصر لـه، وليس للتوحدِ في الزواج قيمةٌ متفَق عليها هناك في ذلك الزمن. ومع ذلك لم يتزوج محمد طيلة تلك الفترة الطويلة إلا خديجة المُسِنةَ، ولم ينشد سواها صاحبةً بزواجٍ أو بغير زواجٍ. لم يكن أخا لهوٍ وشرابٍ ومجونٍ وميسرٍ كسائر نظرائه من أبناء البيوت المرموقة في قريش لتلك الحقبة من الزمن. ولو كان محمد أخا مجانةٍ لما كان ذلك مستغرباً لدى أحـد، إلا أ م كانوا جديرين أن يتشدقُوا به أول ما يتشدقُون بالمطاعن على الرسول يوم ض بالدعوة إلى عبادة الله وما ينـبني عليها من التعفف والاستقامة والطهر .. ما تورعوا عن التلفيق في التهم [كفار قريش]، فما الذي اسكَتهم عن هذه لو أ ا كانت صحيحةً مشاهدةً؟ ولكنها لم تخطر ببالهم على كثرة ما رموه من البذاء، لسببٍ واحدٍ لا يعقَلُ سواه: إنـه كان في سلوكه الشخصي على نقيض ذلك، وكان مشهوراً بالتزام العفّة والطهر والبعد عن الشهوات.

---

[1] لوفا، نظمي، محمد في حياته الخاصة، ص ٢٢ – ٤٤، بتصرف واختصار، ط١، ١٩٦٩، دار الهلال، القاهرة.

حادي عشر: شهادة السياسي والبرلماني الإنجليزي إدوارد جيبون[(١)]:

إن مواهب محمدٍ تجعلنا نكيلُ له المديح، إلا أن نجاحه ربما كان هو الذي جذب بقوةٍ انتباهنا إليه. وإن ما يستحق إعجابنا ليس انتشار ديانته، وإنما استمراريتها. إن نفس الانطباع النقي الكامل الذي حفره في الأذهان في مكة والمدينة لا يزال مصوناً إلى اليوم بعد انقضاء اثني عشر قرناً، عند الذين اهتدوا بالقرآن من هنودٍ وأفارقةٍ وتركٍ ...

لقد نفثَ محمد بين المؤمنين روح الأخوة والإحسان وأوصى بممارسة الفضائل الاجتماعية، وكبح بشريعته وتعاليمه الأخلاقية التعطش إلى الانتقام وظلم الأرامل واليتامى. ولقد توحدت القبائلُ التي كانت في عداءٍ تحت مظلّة الدين والطّاعة، وتوجهت شجاعةُ المقاتلين – التي أُنفِقَت هدراً في صراعاتٍ داخليةٍ – نحو العدو الخارجي، فانتشرت بذلك أمصار الأمة الإسلامية شرقاً وغرباً.

ثاني عشر: شهادة الكاتب الفرنسي فولتير[(٢)]:

لا يزالُ القرآنُ، في واقع الأمر، يشتهر إلى اليوم بأنه الكتاب الأكثر تميزاً وسمواً، الذي كُتِب بهذه اللغة (العربية). **لقد ألصقْنا بالقرآن ما لا نهاية له مِن السفاهات التي لم تكُن به على الإطلاق. لقد كان هذا موجهاً بالدرجة الأولى ضد الترك الذين أصبحوا من أتباع محمدٍ، فكتب رهباننا الكثير من كتب المطاعن هذه، إذ لم تكن هناك وسيلةٌ تمكنهم من مواجهة فاتحي القسطنطينية،** خلاف ذلك. كما أن مؤلفينا، والذين هم في كثرتهم الهائلة أكبر عدداً من جنود الإنكشارية، لم يجدوا صعوبةً تذكر في جعل نسائنا تقف في صفهم؛ لقد أقنعوهن بأن محمداً لم يعتبرهن ضمن الحيوانات الذكيةِ، وأنهن جميعاً إماءٌ وِفْق شريعة القرآن، ولن ينلن أي خيرٍ في هذه الحياة، وفي الحياة الأخرى لا نصيب لهن في الفردوس على الإطلاق. من الواضح أن كل هذا كذب وبطلانٌ اعتقدوا فيه بكل قوةٍ.

ثالث عشر: شهادة الدكتور القبطي نبيل لوقا بباوي [(٣)]:

صدرت في مصر مؤخراً دراسة قبطية للباحث الدكتور نبيل لوقا بباوي، تحت عنوان **"انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء"** رد فيها على الذين يتهمون الإسلام بأنه دين انتشر بحد السيف، وأنه أجبر الناس على الدخول فيه، واعتناقه بالقوة. وناقشت الدراسةُ هذه التهمة الكاذبة بموضوعيةٍ علميةٍ وتاريخيةٍ، وبرهنت على بطلانها

---

(1) عبد الوهاب، [م. س]، ص ٣٦، ٣٧، ٣٨، بتصرف، نقلاً عن جيبون في كتابه انحدار الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، وترجمةً لعباراته.

(2) عبد الوهاب، [م. س]، ص ٥٠، ٥١، نقلاً عن القاموس الفلسفي لفولتير، وترجمةً لعباراته.

(3) انظر ملخص هذه الدراسة في مجلة المستقبل الإسلامي الإلكترونية، في موقع الألوكة الإلكتروني بتاريخ ٢٠٠٨/١/١٧.

وكذ ا، موضحةً أنّ الإسلام لم ينفرد وحدة بالتناقض بين أحكامه وشرائعه ومبادئه التي ترفض الإكراه على الـدين، وتحرم الاعتداء على النفس البشرية، وبين سلوك وأفعال بعض أتباعه من الولاة والحكّام وعامة المـسلمين، والـتي لا تمت إلى تعاليم الإسلام بصلة، وأشارت الدراسة إلى أنّ المسيحية أيضاً تشارك الإسلام في التنـاقض بـين تعاليمهـا ومبادئها التي تدعو إلى المحبة والتسامح والسلام بين البشر، وعدم الاعتداء على الآخرين، وبين ما فعله بعض أتباعها في بعضهم من قتلٍ، وسفك دماءٍ، واضطهادٍ، وتعذيبٍ، ترفضه المسيحية، ولا تقر مبادئُهـا. وأشـارت إلى الاضـطهاد والتعذيب والتنكيل والمذابح التي وقعت على المسيحيين الأرثوذكس في مصر من الدولة الرومانية، ومـن المـسيحيين الكاثوليك.

وأشار الباحث إلى الحروب الدمويةِ التي حدثت بين الكاثوليك والبروتـستانت في أوروبـا، ومـا لاقـاه البروتستانت من العذاب، والقتل، والتشريد، والحبس في غياهب السجون والإعدام بالجملة، إثر قيام الراهب مـارتن لوثر بإنشاء المذهب البروتستانتي بعد أن فاض به الكيل من صكوك الغفران التي كانت تمنح لبعض أتباع الكنيسة من أجل جمع الأموال، وبعد أن أصبحت صكوك الغفران تجارةً رابحةً للكهنةِ.

وقد هدفت دراسة الدكتور بباوي إلى ما يلي:

أولاً: عقد مقارنةٍ بين الاضطهاد الديني الذي وقع على المسيحيين الأرثوذكس من الدولة الرومانية، ومن المـسيحيين الكاثوليك؛ وبين التسامح الديني الذي حققته الدولة الإسلامية في مصر، وحرية العقيدة الدينية الـتي أقرهـا الإسلام لغير المسلمين، وتركهم أحراراً في ممارسة شعائرهم الدينية داخل كنائسهم، وتطبيق شرائع مِلـتِهم في الأحوال الشخصية.

ثانياً: إثبات أن الجزية التي فُرضت على غير المسلمين في الدولة الإسلامية بموجب عقود الأمان، التي وقعت معهم، إنما هي ضريبةُ دفاعٍ عنهم في مقابل حمايتهم والدفاع عنهم من أي اعتداءٍ خارجيٍ؛ لاعفائهم مـن الاشـتراك في الجيش الإسلامي، حتى لا يدخلوا حرباً يدافعون فيها عن دينٍ لا يؤمنون به.

ثالثاً: إثبات أن تجاوز بعض الولاة المسلمين أو بعض أفرادهم في معاملا م لغير المسلمين إنما هـو تـصرفات فرديـةٌ شخصيةٌ، لا تمت لتعاليم الإسلام بصلةٍ، ولا علاقة لها بمبادئ الدين الإسلامي وأحكامه، فإنصافاً للحقيقة ينبغي ألا ينسب هذا التجاوز إلى الدين الإسلامي، وإنما ينسب إلى من تجاوز ذلك بتصرفاتٍ لا علاقة لها بالإسلام.

رابع عشر: شهادة الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون[(١)]:

وسيرى القارىء، حين نبحثُ في فتوح العرب وأسباب انتصارا م، أن القوة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن "الإسلام"، فقد ترك العرب المغلوبين أحراراً في أديا م، فإذا حدث أن اعتنق بعض الأقوامِ النصرانيةِ الإسلام واتخـذوا العربية لغةً لهم فذلك لما رأوا من عدل العرب الغالبين ما لم يروا مثله من ساد م السابقين، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم يعرفوها من قبل .. وقد أثبت التاريخ أنّ الأديان لا تفرض بالقوة، فلما قهر النصارى عرب الأنـدلس فضل هؤلاء القتلَ والطرد عن آخرهم على ترك الإسلام ... لم ينتشر الإسلام بالسيف إذن، بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التي قهرت العرب مؤخراً كالترك والمغول. وبلغ القرآن من الانتشار في الهند، التي لم يكن العرب فيها غير عابري سبيل ما زاد معه عدد المسلمين على خمسين مليون نفْسٍ فيها، ولم يكـن القـرآن أقـل انتشاراً في الصين التي لم يفتح العرب أي جزءٍ منها قط .. وكانت أخلاق العرب في أدوار الإسلام الأولى أرقى كثيراً من أخلاق أمم الأرض قاطبةً، ولا سيما الأمم النصرانية ، وكان عدلهم واعتدالهم ورأفتهم وتسامحهم نحو الأمم المغلوبة ، ووفاؤهم بعهودهم ونبل طبائعهم مما يستوقف النظر ويناقض سلوك الأمم الأخرى، ولا سيما الأمم الأوروبية أيـام الحروب الصليبية ... الحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا ديناً مثل دينهم.

---

(١) لوبون [م. س]، ص ١٢٥ – ١٢٩، بتصرف واختصار.

الخاتمة

توصلت هذه الدراسةُ إلى مجموعةٍ من النتائج والحقائق، التي نرى فيها فائدةً ونضعها بين يدي القاريء الكريم، سائلين الله تعالى أن ينفع ا ... وهي التالية:

أولاً: كان رسولُ الله ﷺ السباق في مد يده للحوار مع المسيحيين الروم الغربيين، حيث دعاهم إلى التعرف على الإسلام واعتناقه، وذلك من خلال الرسالة التي بعثَ ا إلى هرقل فلافيوس أغسطس، ابن هرقل الأكبر، الذي كان أعظم وأقوى زعيمٍ وقائدٍ عسكريّ مسيحيّ في ذلك الوقت، وكان شديد الصلةِ بالكاثوليكية، وقد وصِف بأنه الصليبي الأولُ وذلك نظراً للأعمال التي قام ا في الدفاع عن دولته وكنيسته ودينه. وخاض سلسلةً من الحروب ضد الفُرس لاسترداد الصليب الكبير (صليب الصلبوت) وإعادة نصبه في القدس. وقد تحقّق له ذلك في شهر آذار من السنة ستمائةٍ وثلاثين للميلاد.

ثانياً: تمحورت الكنيسة الكاثوليكية حول شخص البابا بوصفه خليفةً للقديس بطرس، وتمتع البابا بصفة القداسة في ذاته وكلماته كما اعتِبر عند الكثيرين من الكاثوليك واسطةً بين الله والخلق، وممثّلاً لله على وجه الأرض. وتطّور الأمر لدرجةٍ وصلت إلى إطلاق وصف العصمة عليه فهو معصوم عندما يتكلم بصفته كاهناً أو معلماً، وهذه العصمة، كما يرون، إنما هي هديةٌ من الله ثبتت مشروعيتها بنص العهد الجديد. وقد قرر مجمع روما الذي عقد عام (٨٦٩م) أموراً هامةً فيما يتعلق بالكنيسة والبابا كان من أبرزها تقرير مبدأ عصمة البابا ومنح الكنيسة سلطة محو السيئات ووجوب الاحتكام إلى كنيسة روما في كل أمرٍ يتعلق بالمسيحية، وأن المسيحيين في جميع بلاد العالم يخضعون لقرارات رئيس كنيسة روما.

ثالثاً: إنّ هنالك مجموعةً من العوامل كانت قد تضافرت وتجمعت لِتشكلَ وتصنع الموقف والفهم الذي لا زالت الكنيسة الغربية في روما تتبناه تجاه الإسلام إلى وقتنا الحاضر، وترفض أن تدخل على جوهره أي تغييرٍ حقيقي. وعواملُ فهم هذه الكنيسة للإسلام (أو فلنقل عوامل صورة الإسلام في ذهن الكنيسة الغربية) إنما هي عوامل متباينةٌ مختلفةٌ، على مصدريتها العشرات والعشرات من علامات الاستفهام والتعجب والرفض، وأبرز هذه العوامل هي قصص العهد القديم ودور الحجاج المسيحيين العائدين من بيت المقدس (أورشليم) وقصص الخيال والموروث الشعبي، ويضاف إلى تلك العوامل مساهمات الكنيسة الإسبانية ومساهمات الرهبان

في التحريض على الإسلام والمسلمين. أما أهم هذه العوامل وأبرزها على الإطلاق فكان عامل الجهل بالإسلام والخوف منه.

رابعاً: يعتبر المؤرخ "بدا" (أو بيدا) العالِم الكبير بنصوص الكتاب المقدس في مطالع العصور الوسطى أولَ من أدخل المسلمين في تفسير العهد القديم، وصار الأمر من بعده بمثابة (كليشية) يستعمله الجميع في شروح الكتاب المقدس وخارجها ... وقد ظلّت صورة "بدا" عن المسلمين (السرازانيين) سائدةً لمدةٍ طويلةٍ دون إضافاتٍ ظاهرةٍ.

خامساً: شكّلت سرعةُ انتشار الدين الإسلامي في العالم في العصور الوسطى، تماماً كما هي اليوم، ظاهرةً فريدةً أثارت الخوف والقلق في قلوب رجال الكنيسة الغربيين، فعملوا جاهدين على محاربة هذه الظاهرة والحد منها بأن حاكوا حولها الأكاذيب والقصص المشوهة والخيالية لصد الناس عن مجرد التفكير في حقيقة هذا الدين وطبيعته فقالوا بأن الإسلام من اختراع محمدٍ وإنه استلهم هذا الدين من الشيطان. وكان هذا القول نقطة البداية التي نسجت حولها الخيوط، وبنيت عليها الكثير من الأساطير والافتراءات على الإسلام، ونشروها بين الناس وبخاصة في الأوساط المسيحية، لإخافتهم من هذا الدين، ومنعهم من التحول عن دينهم واعتناق الإسلام.

سادساً: ظهرت في العصور الوسطى في أوروبا محاولات لفهم الإسلام والتعرفِ عليه من خلال الكتاب المقدس وكان خلاصة ما انتهت إليه تلك المحاولات أن محمداً هو عدو المسيح (أي أنه المسيح الدجال) والذي يعتبرون قدومه وكثرة انتصاراته الدنيوية دلالةً على اقتراب اليوم الآخر. وقد خرجت فتاوى هنا وهناك في أنحاء أوروبا وبالذات في إسبانيا تشجع على مسبة وشتيمة هذا "المحمد" أو "المسيح الدجال" وكانت تلك الفتاوى والتي شجعها رجال من أمثال باول ألفاروس وأوجيليو بدايةً لتاريخ مؤلمٍ محزنٍ مريرٍ من العلاقات بين المسلمين والمسيحيين والغربيين. وقد بدأ ذلك بالهجوم على شخص الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في الأندلس المُسلمة عام ٨٥٠ للميلاد.

سابعاً: يعتبر الجهل بالإسلام، في تقديرنا، أبرز وأهم العوامل التي صاغت صورة الإسلام في ذهن الكنيسة الغربية حتى يومنا الحاضر، وليس هذا الجهل بالإسلام راجعاً لتواضع إمكانيات الكنيسة الغربية وعدم قدر ا على بعث

من يذهبون إلى الجزيرة العربية للتعرف على حقيقة دعوة الإسلام لا، ولكن ذلك راجع إلى عدم اهتمام هذه الكنيسة والقائمين عليها، في ذلك الوقت على الأقل، بمعرفة عقيدةٍ غير العقيدة الكاثوليكية، و"كان الكثير مِن أتباع هذه الكنيسة يعتقدون بأن الدين الجديد (أو المحمدي كما كانوا يسمونه) إن كان غير مسيحيٍ فإنه ومن كل بدٍّ سيكون وثنياً، ولمّا كان المسيحيون الكاثوليك يعبدون مؤسس العقيدة المسيحية فإنه ومن كل بدٍّ سيكون المسلمون يعبدون محمداً مؤسس العقيدة الإسلامية!!!

ثامناً: مما اشاعته الكنيسة الغربيةُ عن رسول الله ﷺ في القرون الوسطى أنّ محمداً كان في البداية تلميذاً للراهب النسطوري سرجيوس بحيرا، تلقّى عنه بعض المعلومات الأساسية عن التوراة والإنجيل، وبعد ذلك أعلن نفسه نبياً وكونَ عقيدةً خاصةً به. ورأى لاهوتيون كثيرون أنّ النبي محمداً هو مطرانٌ أو بطريق في الأصل؛ تشاجر مع بطريق القسطنطينية فشكل هرطقةً انفصلت تدريجياً عن المسيحية الكاثوليكية الصحيحة. ولم تكن هذه الفرية وليدة لحظةٍ أو ساعةٍ، بل الأمر خلاف ذلك تماماً حيث ولدت هذه الفرية في بيئةٍ ملائمةٍ ونمت وتطورت واتخذت اشكالاً متعددةً في التعبير عنها، إلا أن هذه الأشكال بقيت تعبر عن جوهرٍ واحدٍ، وهو أن محمداً تلميذٌ لبحيرا النسطوري أخذ عنه هذه الهرطقة المسيحية وأدخل عليها بعض التعديلات والتطويرات والإضافات وزعم أ ا دين جديد سماه الإسلام.

تاسعاً: ظن الغربيونَ بأن فتح العرب المسلمين لبلادهم ما هي إلا غزوة طارئة من أقوامٍ حل ا القحطُ، أو شكت من مجاعةٍ أو واجهت الشح في عيشها فلم تجد وسيلةً تخفف بلو ا إلاّ بالإغارة على المناطق الزراعية الخصبة. ولكن سرعان ما خاب ظنهم بعد أن شاهدوا انطلاقة الإسلام يكتسح العوائق والعقبات التي تعترض طريقه، ورأوا المسلمين يقبلون على الجهاد، لا طمعاً في المكاسب والمغانم، وإنما طلباً للشهادة، وفوزاً بالجنة التي وعِد ا اهدون ا، بل لقد امتلأت قلو م بالإيمان ونفوسهم تشبعت بالإسلام فزاد ذلك من مخاوفهم وحولها إلى قلقٍ مستمرٍ دائم.

عاشراً: كانت الخطبة الناريةُ التي ألقاها البابا أوربان الثاني في مجمع كليرمون الإعلانَ الرسمي عن بداية الحروب الصليبية ضد المسلمين. وكان مما جاء في تلك الخطبة: أقولها للحاضرين هنا، وأطلبها من الغائبين: إن المسيح يأمر بذلك ... إن كل الذين سيذهبون ويموتون على الطريق، سواء على الأرض أم في البحر، أو أولئك

الذين سيموتون وهم يحاربون الكفّار، فإن ذنو م ستغفر لهم وسأمنح الغفران لكل الذين سيساهمون في هذه الرحلة بموجب السلطة التي منحني الرب إياها ... ويا للعار إذا ما انتصر مثل هذا الشعب الحقير، المنحطّ، عابد الشياطين، على الأمة التي تعبد الرب، وتفخر بأ ا مسيحية! أي لوم سيوجهه لكم الرب بنفسه إذا لم تجدوا الرجال الكافية الجديرة مثلكم بلقب المسيحيين! ليذهب إذن هؤلاء الذين كانوا يحاربون بعضهم بعضاً على حساب المؤمنين ليذهبوا إلى المعركة ضد الكفّار، إ ا معركةٌ جديرةٌ بأن تبدأ، ورهينةٌ بأن تنتهي بالنصر! وليصبحوا من الآن فرسان المسيح، بعد أن كانوا قُطّاع طرقٍ! ليحاربوا الآن ضد البرابرة بدلاً من أن يحاربوا ذويهم وإخوا م!

حادي عشر: كانت مساهمةُ الكنيسة الغربية في تكريس الصورة السوداء عن الإسلام كبيرةً فقد صورت الكنيسةُ الأوروبية رسولَ الإسلام ساحراً كبيراً ... وصورت "قرطبة" في الأندلس على أنها وطن عباد الشيطان، المتوسلين بالموتى، الذين قدموا لمحمدٍ الصنم الذهبي الذي كانت تحرسه عصبةٌ من الشياطين، تضحيةً بشرية"!! فبلاد الإسلام هي عالم الخرافات والأساطير وعبدة الشيطان، والسحرة المتضرعين إلى الشيطان ... بلاد الأضاحي البشرية من أجل صنم ذهبي، تسهر على سلامته عصبة من الشياطين، اسمه محمد!!.

ثاني عشر: عاشت الكنيسةُ الكاثوليكيةُ في إسبانيا حرباً مفتوحةً طويلة الأمد في ا ال العقدي ضد الإسلام والمسلمين. ويمكن القول إن أكثر أخبار وأفكار الأوروبيين عن المسلمين في القرون الأولى للعصور الوسطى إسبانيةُ المنشأ. صحيح أنّ النظريات العامة، والمنظومات الشاملة، وتطورات الأفكار الأولى، جرت كلها خارج إسبانيا تقريباً، بيد أن الدوافع الأصلية إسبانيةٌ في غالبيتها العظمى؛ سواءٌ كانت تلك الدوافع العلمية الطبيعية، أو المستندة إلى رؤى أنبياء الكتاب المقدس.

ثالث عشر: ترى الكنيسةُ الغربية أنّ أهم وصفٍ يعرف من خلاله الأنبياءُ الكذبةُ، إنكارهم لعقيدة الثالوث الأقدس (الآب والإبن والروح القدس) وإنكارهم للصليب ولقيامة ولاهوت المسيح وعمل الفداء. ويضاف إلى ما سبق من أوصاف الأنبياء الكذبة ادعاؤهم معرفة علم الغيب وظهور العديد من الآيات والعجائب على أيديهم، إضافةً لكو م يقدمون تفسيراتٍ جديدةً مغايرةً تماماً للمعروف والمألوف من تفسير الكتاب المقدس. لقد أسندت الكنيسةُ في تاريخها وصف النبي الكاذب للعديد من الرجال، وذلك حسب تفسيرا ا التي كانت

على الدوام تتغير بتغير الزمان والأماكن والأشخاص، لكن الشخص الوحيد الذي اتهمته الكنيسةُ بهذا الوصف منذ ما يزيد على تسعمائة سنةٍ ولا زال هذا الوصف ملازماً له كلما ذُكِر هو الرسولُ محمد ﷺ، الذي لا زالت الكنيسةُ الكاثوليكية حتى اليوم تتخذُ من الطعن في صحة نبوته مدخلاً للطعن في الإسلام كله.

رابع عشر: بالرغم من أنّ بعض الحضارات حاربت المسلمين، إلاّ أنّ معظم تلك الحضارات لم تحتفظ بتراثٍ من الكراهية تجاه نبي الإسلام مثلما احتفظت به دويلات أوروبا وكنائسها. إنّ مِن المُلفت للنظر أن العداء المسيحي للإسلام وللنبي ﷺ وسلم خارج أوروبا الغربية لم يتحول إلى كراهيةٍ تاريخيةٍ يتم الاحتفاء بها وتأكيدها في المناسبات الدينية وعلى حوائط الكنائس والأديرة كما حدث في أوروبا الغربية.

خامس عشر: إن الحرب ضد الإسلام قد صارت مقدسةً منذ أصدر الباباوات السابقون عدة قراراتٍ بشأنها، ومنذ شارك فيها ملوك وأمراءُ كثيرون. إنّ الكنيسة الرومانية الكاثوليكية منحت المقاتلين المشاركين في ضرب الإسلام امتيازاتٍ وحقوقاً استمدتها من سلطتها الكنسية الدينية.

سادس عشر: يعتبر المجمع الفاتيكاني الثاني الذي انعقد في حياة البابا الراحل يوحنا بولس السادس، أولَ مجمعٍ مسكونيٍّ كاثوليكي يتحدثُ بصورةٍ إيجابيةٍ عن المسلمين ويعترف بأنّ الخلاص سيشملهم، ومن قرارات ذلك المجمع أنّ الخلاص سيشمل أولئك الذين يعترفون بالخالق، وأولهم المسلمون الذين يعتقدون أنهم يتبعون ملة إبراهيم، ويعبدون معنا الإله الواحد الحي القيوم الرحيم، الذي سيحاسب الناس يوم الدين، إلاله الذي خلق العالم وكل ما فيه، الذي يعطي الجميع حياةً ونفساً وكل شيءٍ لأن المخلص يريد أن جميع الناس يخلصون، أولئك الذين ليس بذنبهم لا يعرفون إنجيل المسيح وكنيسته، ولكنهم يبحثون بإخلاصٍ عن الرب، وبتأثير النبل والخير يسعون لأن ينفذُوا بأعمالهم إرادته؛ حيث يقودهم إلى ذلك ضميرهم، وبذلك يمكن أن يحوزوا على الخلاص الأبدي.

سابع عشر: لا يعترف البابا الحالي بنديكتيوس السادس عشر بخلاص غير الكاثوليك سواءٌ أكانوا مسيحيين تابعين لكنائس أُخرى أو مسلمين أو غير ذلك. وقد عبر عن ذلك بصياغته ونشره لوثيقة "إحكتار روح المسيح" (دومينوس يزوس) التي تؤكد أن الدين المسيحي يشدد على حقيقةٍ واحدةٍ، وهي أن جميع عناصر كنيسة المسيح موجودةٌ متوحدةٌ في كيانٍ واحدٍ هو الكنيسة الكاثوليكية، وهذه العناصر غير متوفرةٍ في الجماعات

الكنسية الأخرى. وتقول الوثيقة استناداً إلى ذلك فإنه، في ظل إيماننا الكامل بوجود عيوبٍ في الكنائس والجماعات الأخرى، فإ ا في كل الأحوال محرومةٌ من أسرار الخلاص، لأن روح المسيح عزفت عن استخدامها كوسائط للخلاص، ووضعت كل النعمة الإلهية والحقيقة ا ردةَ في الكنيسة الكاثوليكية ... وتؤكد على أفضلية الكنيسة الكاثوليكية الرومانية على غيرها من الكنائس واعتبارها كنيسة المسيح الحقيقية والطريق الحقيقي الوحيد للخلاص في حين تعتبر بقية الكنائس إما معيبةً أو غير حقيقيةٍ.

ثامن عشر: اتخّذَ الرهبانُ القائمون على الأديرة قراراً بالاشتراك في الحروب الصليبية ضد العالم الإسلامي بمجرد أن دعا البابا أوروبان إليها، كما فعل الراهب بطرس الناسك لا بل إنّ منهم من شجع الحكّام عليها بعد انتهائها كما فعل القديس برنار الذي كان مسؤولاً عن دير كليرفو، والذي كان سبباً رئيساً ومباشراً في اشتعال الحملة الثانية من حملات الحروب الصليبة وذلك بعد خمسين عاماً من انتهاء الحملة الأولى التي دعا إليها أوربان الثاني ... لقد انخرط الرهبان في الدعوة للحروب الصليبية وحثّوا الناس على الاشتراك فيها وأخذوا يشجعو م للخروج للقتال والقضاء على المسلمين الكُفّار الذين منعوا الحجاج المسيحيين من الوصول إلى القدس ودنسوا قبر المسيح المقدس، وقد استخدم هؤلاء الرهبان كل ما خطر ببالهم من طرق وحيلٍ ووسائل لحث الناس على الخروج لقتال المسلمين وذبحهم.

تاسع عشر: لم يقف الرهبان الكاثوليك مكتوفي الأيدي، بل شاركوا في محاربة الإسلام عسكرياً من خلال دورهم الخطير في الحروب الصليبية كما حاربوه عقدياً وإعلامياً من خلال الحملات التشهيرية التي تزعموها ضده وضد الرسول الكريم ﷺ، وهي الحملات التي عملوا من خلالها على ربط العسكري بالعقدي، وعملوا على استنهاض الأحلام النبوئية والفكر الرؤيوي في محاولةٍ منهم لتخويف الناس من الإسلام، وتشويه صورته ولتشجيعهم على قتاله من خلال الانضمام للحملات والجيوش الصليبية. صحيح أن ربط هذه الرؤى بالإسلام كان محل رفضٍ واستهجان الكثيرين من مفكري ومؤرخي العصور الوسطى إلا أنه، وللأسف، اتسم بسرعة التصديق والانتشار بين الناس. كان تخويف الناس من "المحمدية" الطريقة المثلى التي اختارها هؤلاء لاستنهاض الهمم بعيد فشل كل حملةٍ صليبيةٍ.

عشرون: قامت طريقةُ أصحاب الفكر الرؤيوي في تقديمهم للإسلام في أوروبا على أساسٍ واحدٍ هو الإلصاق الكاذب للنبؤات المرعِبة بشخص رسول الله ﷺ ومحاولة إسقاط تفاصيلها عليه وعلى الدولة الإسلامية، وبالذات في عهود الفتح الإسلامي وازدهار الحضارة الإسلامية، ووصولها إلى قلب القارة الأوروبية التي كانت تسبح في عصور الظلمات الوسطى آنذاك.

الحادي والعشرون: إنّ نشأة الاستشراق كانت دينيةَ الدافع، وكانت الكنيسةُ الكاثوليكية ورهبا ا المحرك والداعم له، وذلك في واحدٍ من فصول حر ا المُعلَنة ضد الإسلام والمُسلمين؛ تلكم هي الحرب الإعلامية التضليلية التي اختار ا الكنيسة ولجأ إليها رجالا ا بعد العجز المُبين لهم ولجيوشهم الصليبية أمام الآلة العسكرية الإسلامية في العصور الوسطى.

الثاني والعشرون: إنّ الدراسات الاستشراقية الدينية التي نشأت في الشرق إنما كانت الأساس والأرضية التي بنيت عليها الآراء والدراسات الاستشراقية الغربية فيما بعد. ويشهد لصحة هذا الكلام بناء بيدا المبجل وأوغيليوس وباول ألفاروس لكتابا م ضد الإسلام على أعمال ومؤلّفات يوحنا الدمشقي، كما يشهد لصحة هذا الكلام بناءُ بطرس المبجل لأعماله ومؤلّفاته ضد الإسلام على الرسالة الإسلامية والجواب المسيحي عليها، ويشهد لصحة هذا الكلام كذلك أنّ الشبهات والأباطيل المتعلّقة بالإسلام ونبوة محمدٍ ﷺ التي وردت في هذه الدراسات الناشئة في الشرق هي عينها الشبهات والأباطيل حول الإسلام ونبوة محمدٍ التي وردت في الدراسات الغربية للإسلام ونبوة محمدٍ ﷺ والتي لا زالت تتردد على مسامعنا بين الفينة والأخرى حتى يومنا هذا.

الثالث والعشرون: يعتبر يوحنا الدمشقي (منصور بن سرجون بن منصور) من أوائل الذين ألفُوا كتباً تتهم المسلمين بالهرطقة والضلال وتتهم الرسول ﷺ بالزيف وادعاء النبوة وكان هدف يوحنا الدمشقي من ذلك التشويه، تحصين النصارى من أهل الذمة والحيلولة بينهم في بلاد الشام وبين اعتناق الإسلام حين رأى تسامح المسلمين مع أهل الذمة، ودخول كثير من النصارى في الإسلام فلم يجد وسيلة لتثبيت النصارى على دينهم سوى ا ام الإسلام بالهرطقة وتشويه سيرة النبي، لتكون صورته في نظر النصارى صورةً كريهةً حتى لا يقْبلوا على اعتناق الإسلام. وقد انتشرت كتبه في بلاد الدولة البيزنطية (دولة الروم) واستخدمها الكُتّاب

البيزنطيون في هجما م الفكرية على الإسلام. ثم تُرجمت إلى اللاتينية وأسهمت في صياغة العقيدة الغربية تجاه الإسلام والمسلمين طوال العصور الوسطى وحتى العصر الحاضر. وقد ردد جميع ا ادلين ضد الإسلام بعده بعض أو كل قوالبه.

الرابع والعشرون: كانت البداية الحقيقية للاستشراق على المستوى الفردي في الغرب على يد الراهب الكاثوليكي الفرنسي جربردي أولياك الذي انتخِب لاحقاً حبراً أعظم لكنيسة روما وحمل لقب سلفستر الثاني في العام ٩٩٩م. كان هذا الراهب أولَ المشتغلين بعلوم الشرق.

الخامس والعشرون: كانت البداية الرسمية للاستشراق في ا مع الكنسي المُنعقِد في فينا بين عامي ١٣١١ و١٣١٢ للميلاد والذي نص قانونه رقم (١١) على تدريس اللغات الشرقية في أكبر خمس جامعاتٍ أوروبيةٍ آنذاك، كما نص على تخصيص مدرسين كاثوليكيين لكل واحدةٍ من هذه الجامعات الكبرى ليقوما بتدريس اللغة العربية.

السادس والعشرون: رجح معظم العلماء والدارسين المسلمين زيف "الرسالة الإسلامية والجواب المسيحي عليها" وشكّكوا في وجود طرفيها أصلاً، وترجح لديهم أنّ الاسمين المذكورين فيها (عبد الله الهاشمي، وعبد المسيح الكندي) اسمان مستعاران. وأنّ كاتب نص الرسالتين هو الطبيب والفيلسوف النصراني يحيى بن عدي الذي عاش في العراق، وتوفّي سنة ٩٧٥ للميلاد.

السابع والعشرون: احتوت "الرسالة الإسلامية والجواب المسيحي عليها" الكثير من القدح في النبي ﷺ والقرآن. ولهذا تمّت ترجمتها من العربية وضمها إلى مجموعة دير كلوني الشهيرة التي تشمل بضعة مؤلفات في الجدل مع المسلمين بأمرٍ من بطرس المحترم في القرن الثاني عشر الميلادي حتى يتعلم منها الرهبانُ أساليب الرد على المسلمين والطعن في الإسلام. وقد تلقف كُتاب القرون الوسطى هذه الرسالة بلهفةٍ وأدرجوها في مؤلفا م ضد الإسلام وصار ما تحويه من تشويهٍ مفاهيم ثابتةً في الفكر الأوروبي. وقد جرى نشر هذه الرسالة مرتين في لندن عامي ١٨٨٠م و١٨٨٥م لاستعمال المنصرين.

الثامن والعشرون: يعتبر بطرس المبجلُ رئيس ديركلوني أولَ من وضع ترجمةً لاتينيةً للقرآن وكلف بذلك فريق عملٍ مكوناً من الراهبين روبرت الكيتوني ومساعده هرمان دلماتا، وقد تقصد فيها التشويه والتحريف والمغالطة.

ولعل ما نراه فاجعةً وطامةً كبرى فيما يتعلق ذه الترجمة، إضافةً لمضمو ا وأهدافها، هو أنها ظلّت طوال خمسة قرونٍ الأكثر استعمالاً وعليها تقوم أقدم ترجمات القرآن الكريم إلى اللغات الإيطالية والألمانية والهولندية. ولم تجرِ إزاحة ترجمة القرآن اللاتينية لروبرت الكيتوني بسبب ترجمة الإيطالي لودفيكو مراتشي إزاحةً ائيةً إلاّ في عام ١٦٩٨م إذ كانت هذه أفضلَ وأكثر دقّةً بما لا يقاس.

التاسع والعشرون: اتخذَ الاستشراق الديني لنفسه ثياباً وقنواتٍ جديدةً يصل من خلالها إلى الذهنية الغربية ليكرس مِن خلالها الصورة المؤلمة السابقة التي رسمها عن الإسلام والرسول الكريم ﷺ. وقد تطلب الواقع المعاصر وجود هذه القنوات الجديدة بعد أن ضعف سلطانُ الكنيسة في النفوس، وبعد أن تحرر الغرب من مركزيتها وسلطتها واتخذ العلمانية درباً وحيداً للنهضة والتقّدم. وهذه القنوات كثيرةٌ متعددةٌ أبرزها قناتان؛ أولاهما القناة الأكاديمية الجامعية وثانيهما قناة وسائل الاتصال والإعلام.

الثلاثون: كان الاستشراق وبكل مدلولاته ومضامينه مهنةً ملوثةً، لأ ا قامت من بدايتها على قلب الحقائق وتشويه الوقائع واستخدام كل وسيلةٍ ممكنةٍ لمحاربة القرآن الكريم والحبيب المصطفى ﷺ وللقضاء على كل ما جاء به هذا الإسلام العظيم.

الحادي والثلاثون: لَعِب كل من برنارد لويس وصامويل هنتنغتون ودانيال بايبس دوراً خطيراً في الصد عن الإسلام ومحاربته و حملوا بكل حرفيةٍ وأمانةٍ، ما خطّه رهبان الكنيسة الغربية المستشرقون من تراثٍ مشوهٍ للإسلام، ورسوله الكريم ﷺ ونقلوا مضامينه لتلاميذهم في الجامعات، فكانوا بحقٍ ، منابر للتضليل ونشر الأباطيل. لقد حمل الكثيرون من الأكاديميين الغربيين على الإسلام ورسوله الكريم، وحاربوا قيمه وتشريعاته وعقيدته، ولكنهم لم يبلغوا الحد الذي بلغه هؤلاء الثلاثة، ولم ينالوا الشهرة التي نالها هؤلاء الثلاثة؛ ولعلّ شهر م هذه راجعةٌ إلى ما دونوه من كتاباتٍ وما قدموه من مساهماتٍ فكريةٍ في صناعة الكراهية بين ثقافة الإسلام والثقافات الغربية، وتركيزهم على أنّ صداماً حتمياً ووشيكاً لا بد أن يتم بين حضارة الإسلام وحضارة الغرب، وأنّ الإسلام، بعد ا يار الشيوعية، هو الخصم الألد والأوحد للغرب، وهو الخطر الأكبر الذي يهدد منظومة القيم الغربية ودينها المسيحي. وفوق كل ما سبق، فقد ساهم هؤلاء في صناعة ظاهرة الخوف من

الإسلام في الغرب (الإسلام فوبيا) كما ساهموا في خلق ظاهرة الاستشراق الإعلامي المعاصر والاستشراق المعولم، الذي حمل رسالة الكنيسة قديماً وحديثاً في حجب المعلومة الصحيحة عن الإسلام ورسول الله ﷺ.

الثاني والثلاثون: إنّ حملات الإساءة إلى رسول الله ﷺ التي شهدها العالم الإسلامي قبل سنتين لها أصولٌ عقديةٌ ودوافع فكريةٌ. ولم تكن حملاتٍ مرتجلةً أو عشوائيةً متخبطة لا صلةَ بينها ولم تكن وليدةَ اللحظة أو الساعة التي وقعت فيها، فعكس ذلك هو الصحيح، لأ ا كانت حملاتٍ مدروسةً منظّمةً وبينها من الوشائج والصلات ما قد يخفى على الكثير من الناس.

الثالث والثلاثون: إنّ الجهود المسيحية المتعلقَةَ بالتأليف الجدليّ اللاهوتيّ الطاعن في الإسلام ونبوته ﷺ، التي بدأت في العصور الوسطى توالت واستمرت حتى وصلت يومنا هذا مع زياداتٍ عليها تتعلّق بالمضمون والشكل ووسائل الاتصال.

الرابع والثلاثون: حظيت الأندلس بنصيب الأسد من كتابات العلماء المسلمين الذين جادلوا النصارى وأفحموهم وردوا على تساؤلا م أو شبها م وأباطيلهم. وهذا لا يعني انحصار الجهود في الأرض الأندلسية وحدها، فقد ضت الشام هي الأخرى لتأخذ نصيبها من هذه الجهود، كذلك ض علماء أرض الحجاز وأرض الكنانة ليقوموا بواجبهم في هذا الموضوع. ولكن الأندلس تبقى صاحبة الأسبقية والأهمية في هذا الشأن، وذلك راجع لوقوعها على الحدود المباشرة مع القارة الأوروبية المسيحية، كما أنه راجع إلى ترؤس الكنيسة الإسبانية ورهبا ا للحرب العقدية والفكرية ضد الإسلام وذلك بعد وقوع إسبانيا في ظل الفتح الإسلامي آنذاك.

الخامس والثلاثون: عاشت الأندلس سنواتٍ طويلةً من الجدل الديني بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الأديان السماوية، وبالذات أتباع الكنيسة الكاثوليكية من الرهبان والقساوسة الذين أخذوا على عاتقهم إعلان الحرب العقدية والفكرية ضد الإسلام، وذلك من خلال ما خطوه في أدير م من مؤلفاتٍ كثيرةٍ العدد اشتركت كلها في قاسمٍ واحدٍ هو تكذيب كل ما جاء به محمد من القرآن والعقائد والشرائع. وكانت مؤلفات الرهبان هذه، في كثيرٍ من الأحيان، تكتب في الخفاء وتحفظُ في الأديرة أو مكتبات الكنائس في ظلّ الحرية الكبيرة التي منحتها الدولةُ الإسلامية لغير المسلمين آنذاك.

السادس والثلاثون: لا مجال للشك في تقدم الإسلام في الغرب وتراجع المسيحية الكاثوليكية التي يزداد على مدار الساعة عدد المعتنقين من أبنائها للإسلام ازدياداً كبيراً متنامياً، ولعلّ هذا الازدياد يعتبر المفتاح الرئيسي لفهمنا لما سبق من تعليقاتٍ وحملاتٍ ومحارباتٍ يتعرض لها الإسلام بين الحين والآخر، نعم لقد عاد الإسلام ليتألق من جديدٍ وليكون سبباً في إثارة قلقهم ومخاوفهم، هذه المخاوف التي عبر عنها الكاردينال "جان لوي توران" مسؤول الفاتيكان المعني بشؤون العلاقات مع الأديان الأخرى حين قال: إنّ العالم مهووس بالإسلام ... لا نريد أن يتنامى الانطباع بأنّ الأديان ذات وضعٍ طبقي، أو أن هناك ديناً أفضل من آخر ... إن الإسلام مهم للغاية، ولكن هناك أيضاً ديانات آسيويةٌ عظيمةٌ أخرى، والإسلام دين واحد... بالفعل إن الناس مهووسون بالإسلام.

المراجع

أولاً: المراجع باللغة العربية

١. أ. جبسون، و. ج، الكنيسة النابضة، الفصل الأول، وهو ترجمة لكتابه المسمى The Dynamic Churuch، الذي قام بترجمته ونشره موقع كلمة الحياة التابع للكنيسة الارثوذكسية

٢. أحمد ديدات ومايكل هارت، محمد ﷺ أعظم عظماء العالم، ترجمة علي الجوهري، ط١، ٢٠٠٠، مكتبة القرآن، القاهرة.

٣. آرمسترونج، كارين، الحرب المقدسة، الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم، ترجمة سامي العكعكي، ط١، ٢٠٠٤، دار الكتاب العربي.

٤. آرمسترونج، كارين، القدس مدينةٌ واحدةٌ وعقائد ثلاثةٌ، ترجمة فاطمة نصر ومحمد عناني، ط١، ١٩٩٨، دار الكتاب العربي، القاهرة.

٥. أرمسترونج، كارين، سيرة النبي محمد، ترجمة فاطمة نصر ومحمد عناني، ط١، ١٩٨٩، دار الكتاب العربي، القاهرة.

٦. الآرو، عبد الرزاق عبد المجيد، مصادر النصرانية دراسةً ونقداً، ج٢، ط١، ٢٠٠٧، دار التوحيد للنشر، الرياض.

٧. الألباني، محمد ناصر الدين، نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق ط١، 1952، المكتب الإسلامي، دمشق.

٨. الألوسي، نعمان بن محمود، الجواب الفسيح لما لفّقه عبد المسيح، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا، ط١، ١٩٩٢، دار الجيل، بيروت.

٩. باير، مايكل كوليد ، كهنة الحرب الكبار، ترجمة عبد اللطيف أبو البصل، ط١، ٢٠٠٦، مكتبة العبيكان، الرياض.

١٠. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، دون رقم طبعة، ٢٠٠٤، دار الحديث، القاهرة.

١١. بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ط١، ١٩٨٤، دار العلم للملايين، بيروت.

١٢. بسترس، كيرلس سليم، نظرة الكنيسة الكاثوليكية إلى العلاقات المسيحية الإسلامية، بحث منشور ضمن كتاب "العيش المشترك في الإسلام والمسيحية"، ط١، ٢٠٠٢، من منشورات اللجنة الوطنية اللبنانية، بيروت.

١٣. البهي محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ط٣، مكتبة وهبة.

١٤. بوكاي موريس، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة نخبة من الدعاة، ط١، ١٩٧٨، دار الكندي، لبنان.

١٥. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، الجامع، تحقيق عادل مرشد، ط١، ٢٠٠١، دار الأعلام، الأردن.

١٦. تسمرلينغ، دنتر، النهايات، الهوس القيامي الألفي، ترجمة ميشيل كيلو، ص ٣٦، ط١، ١٩٩٩، دار قدمس للنشر، بيروت.

١٧. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق وتقديم محمد حسن إسماعيل، ط١، ٢٠٠٣، المكتبة العلمية، بيروت.

١٨. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق الأستاذ / الدكتور محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٩. الجبري، عبد المتعال، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ط١، ١٩٨٨، مكتبة وهبة، مصر.

٢٠. الجزيري عبد الرحمن، أدلّة اليقين في الرد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشرين المسيحيين في الإسلام، ط١، ١٩٣٤، مطبعة الإرشاد، مصر.

٢١. الجليند، محمد السيد، الاستشراق والتبشير قراءة تاريخية موجزة، ط١، ١٩٩١، دار قباء، القاهرة.

٢٢. الجندي، جمعة، ملامح العنف والإرهاب الصليبي في بلاد الشام، ط١، ٢٠٠٦، مكتبة مدبولي، مصر.

٢٣. جورافسكي، إليكسي، الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، ترجمة خلف محمد الجراد، ط١، ٢٠٠٥، دار الفكر، بيروت.

٢٤. الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله أبو عبد الله، المُستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، ١٩٩٠، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٥. حبشي، حسن، الحرب الصليبية الأولى، ط١، ١٩٥٨، دار الفكر العربي، القاهرة.

٢٦. حبيب عبد الملك بن حبيب، الناسخ والمنسوخ بين الكتاب المقدس والقرآن الكريم، بحث منشور في موقع شبكة ابن مريم الإسلامية، النسخة الإلكترونية.

٢٧. حسونة، محمد ومحمد رفعت، معالم تاريخ العصور الوسطى، ط١، ١٩٢٥، المطبعة الرحمانية، مصر.

٢٨. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، القرآن ونقض مطاعن الرهبان، المقدمة ط ١، ٢٠٠٧، دار القلم، دمشق.

٢٩. الخزرجي، أحمد بن عبد الصمد، مقامع الصلبان، تحقيق وتقديم عبد ا يد الـشرفي ط١، ١٩٧٥، مـن منشورات الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس.

٣٠. خضر، لطيفة إبراهيم، الإسلام في الفكر الغربي، ط١، ٢٠٠٢، دار علا للنشر والتوزيع.

٣١. الخطيب، محمد أحمد، الفرق الإسلامية، ط١، ١٩٩٦، منشورات جامعة القدس المفتوحة، الأردن.

٣٢. الخطيب، محمد أحمد، مقارنة الأديان، ط١، ٢٠٠٨، دار المسيرة، الأردن.

٣٣. الخفاجي، باسم، لماذا يكرهونه؟ الأصول الفكرية لموقف الغرب من نبي الإسـلام، ط١، ٢٠٠٦، مـن منشورات مجلة البيان، الرياض.

٣٤. أبو الخير، عبد المسيح بسيط، إعجاز الوحي والنبوة في سفر دانيال، ط١، ١٩٩٥، مطبعـة المـصريين، مصر.

٣٥. الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل، سنن الدارمي، تحقيق د. مـصطفى البغـا، ط١، ١٩٩١، دار القلم، دمشق.

٣٦. داود، عبد الأحد، محمد في الكتاب المقدس، ترجمة فهمي شمّا، من منشورات رئاسة المحـاكم الـشرعية والشؤون الدينية، ١٩٨٥، قطر.

٣٧. الدباغ، مصطفى، الإسلام فوبيا عقدة الخوف من الإسلام، ط١، ١٩٩٩، دار الفرقان، عمان.

٣٨. ديورانت، ول، قصة الحضارة، الكتاب الخامس، ترجمة عبد الحميد يونس، طبعة الإدارة الثقافية وبجامعـة الدول العربية.

٣٩. الراسي، زيادة بن يحيى، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح، تحقيق سعود بن عبد العزيز الخلـف، ط١، ٢٠٠٣، منشورات الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

٤٠. رستم، أسد، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، ج١، بتصرف، مطبعة دار الفنون، تاريخ النشر مجهول.

٤١. رستم، سعد، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ط٢، ٢٠٠٥، دار الأوائل للنشر، دمشق.

٤٢. الرومي، سليمان بن عبد الله بن صالح، دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية ط١، ٢٠٠٧، مكتبة الرشد، الرياض.

٤٣. ريبوني، إنريكو، الإلحاد وأسبابه "الصفحة السوداء للكنيسة" ترجمة د. زينب عبد العزيز، ط١، ٢٠٠٤، دار الكتاب العربي، مصر.

٤٤. الريس، علي، الحروب الصليبية من عهد قسطنطين إلى اليوم وجذورها الدينية، ط١، ٢٠٠٨، دار طيبة، مصر.

٤٥. زاربوف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ترجمة إلياس شاهين، ط١، ١٩٦٨، دار التقدم، موسكو.

٤٦. الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٧. الزعبي، سلافة فاروق، صورة العرب في الإعلام الأمريكي، ط١، ٢٠٠٦، دار ورد للنـشر والتوزيـع، الأردن.

٤٨. زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري بلا تاريخ نشر ولا رقم طبعة، دار المعارف، القاهرة.

٤٩. زقزوق، محمود حمدي، حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشكّكين، من منشورات المجلـس الأعلـى للشؤون الإسلامي. النسخة الإلكترونية.

٥٠. الزمخشري،محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط١، ١٩٨٦، دار الكتاب العربي، بيروت.

٥١. زناتي، أنور محمود، معجم افتراءات الغرب على الإسلام والرد عليها، النسخة الإلكترونية.

٥٢. سانتيلانا، ديفيد دي، تراث الإسلام، ترجمة جرجس فتح الله، ط١، ١٩٧٢، دار الطليعة، بيروت.

٥٣. السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق عادل مرشد وسليم عـامر، ط١، ٢٠٠٣، دار الأعلام، عمان.

٥٤. سعيد، إدوارد، الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، ط١، ١٩٨١، من منـشورات مؤسـسة الأبحـاث العربية، بيروت.

٥٥. سوذرن، ريتشارد، صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة رضوان السيد، بتـصرف ط١، ١٩٨٤، من منشورات معهد الإنماء العربي، لبنان.

٥٦. السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين، الدر المنثور في التفسير المأثور، ط١، ١٩٨٣، دار الفكر، بيروت.

٥٧. الشرقاوي، محمد عبد الله، رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليهـا. ط١، ١٩٨٦، مكتبة دار الصحوة، القاهرة.

٥٨. شعبان، فؤاد، من أجل صهيون، ط١، ٢٠٠٣، دار الفكر، دمشق.

٥٩. شلبي، أحمد، المسيحية، ط١٠، سنة ١٩٩٣، مكتبة النهضة، مصر.

٦٠. الشمعة، خلدون، خطاب أبلسة الآخر .. برنارد لويس واكتشاف الإسلام لأوروبا، بحـث مـشارك في ندوة الرحالة العرب والمسلمين "اكتشاف الذات والآخر"، المنعقدة في الرباط شهر أيـار ٢٠٠٩، النـسخة الإلكترونية.

٦١. الصوا، علي محمد وآخرون، العلوم الإسلامية، ط٣، منشورات وزارة التربية والتعليم، الأردن.

٦٢. أبو طالب، نصر الله عبد الرحمن، تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمدٍ ﷺ، ط٢، كتاب منشور على موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة www.55a.net

٦٣. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبـو الفـضل، ط٢، ١٩٦٧، دار سويدان للنشر، بيروت.

٦٤. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، ط١، دار المعرفة، بيروت.

٦٥. الطويل، توفيق، قصة الاضطهاد الديني في الإسلام والمسيحية ط١، دار الفكر العربي.

٦٦. العبادي، زياد سليم، بحث غير منشور بعنوان (خبر بحيرا الراهب في ميزان النقد الحديث).

٦٧. عبد الرؤوف، حسام الدين صبري، الضياء المبين في الرد على المضللين، ج١ شبهة تعدد زوجات النبي، النسخة الإلكترونية.

٦٨. عبد العزيز زينب، محاصرة وإبادة، موقف الغرب من الإسلام، ط ١، ١٩٩٣، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت.

٦٩. عبد المحسن، عبد الراضي محمد، الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم، بحث من بحوث ندوة العناية بالقرآن الكريم وعلومه المنشورة في موقع المفكرة الدعوية الإلكتروني.

٧٠. عبد الوهاب، لواء أحمد، الإسلام في الفكر الغربي دين ودولة وحضارة، ط١، دون سنة نشر، مكتبة التراث، القاهرة.

٧١. عبده، محمد، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، ط٣، ١٣٤١ هـ، مطبعة المنار، مصر.

٧٢. عريبي، محمد ياسين، الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي، ط١، ١٩٩١، من منشورات المجلس القومي للثقافة العربية.

٧٣. العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دون رقم طبعة، ٢٠٠٤، دار الحديث، القاهرة.

٧٤. عسكر، عبد الله بن إبراهيم، الجدل الديني في الأندلس، دراسة مطولة نشرها قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض بتاريخ ٢٠٠٨/٣/٢٣.

٧٥. عقيقي، نجيب، المستشرقون، الجزء ١٢، ط٣، ١٩٦٤، دار المعارف، القاهرة.

٧٦. عمارة، محمد، الفاتيكان والإسلام، أهي حماقة أم عداء له تاريخ، ٢٩، ط١، ٢٠٠٧، مكتبة الشروق الدولية، مصر.

٧٧. عمارة، محمد، في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام، ط٢، ٢٠٠٧، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.

٧٨. العمري، أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة، ط٧، ٢٠٠٧، مكتبة العبيكان، الرياض.

٧٩. عناية، غازي، هدى الفرقان في علوم القرآن، ج٢، ط١، ١٩٩٦، عالم الكتب للنشر والتوزيع، بيروت.

٨٠. عودة، علي بن محمد، العدوان الفكري الغربي على الإسلام وعلى نبيه محمد، بحث منشور في موقع نصرة رسول الله، النسخة الإلكترونية.

٨١. عوض، إبراهيم، عصمة القرآن وجهالات المبشرين، ط١، ٢٠٠٥، مكتبة الزهراء، القاهرة، النسخة الإلكترونية.

٨٢. عوض، إبراهيم، مصدر القرآن دراسة لشبهات المستشرقين والمبشرين حول الوحي المحمدي، ط٨، ١٩٩٧، مكتبة الزهراء، القاهرة، النسخة الإلكترونية.

٨٣. غراب، أحمد عبد الحميد، رؤية إسلاميةُ للاستشراق، ط١، ١٩٩٠، من منشورات المنتدى الإسلامي للنشر، لندن.

٨٤. الغرابي، علي مصطفى، تاريخ الفرق الإسلامية، ط٢، ١٩٨٥، مكتبة الانجلو، القاهرة.

٨٥. الفرا، محمد علي، الإسلام والغرب مواجهةٌ أم حوار، ط١، ٢٠٠٢، دار مجدلاوي للنشر، الأردن.

٨٦. فكري، أنطونيوس، تفسير الكتاب المقدس، النسخة الإلكترونية المنشورة في الموقع الإلكتروني للكنيسة العربية.

٨٧. فلوري، جان، الحرب المقدسة، الجهاد، الحرب الصليبية، العنف والدين في المسيحية والإسلام، ترجمة غسان مايسو، ط١، ٢٠٠٤، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، بيروت.

٨٨. فندلي، بول، لاسكوت بعد اليوم مواجهة الصور المزيفّة عن الإسلام في اميركا، ترجمة تحسين خياط، ط١، ٢٠٠٢، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت.

٨٩. فوك، يوهان، تاريخ حركة الاستشراق، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، ترجمة عمر لطفي العالم، ط١، ١٩٩٦، دار قتيبة، دمشق.

٩٠. القاسم، أنيس، نحن والفاتيكان وإسرائيل، ط١، ١٩٦٦، منشورات مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت

٩١. القاضي أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج، ط١، ١٩٢٧، المطبعة السلفية، القاهرة.

٩٢. القرافي، أحمد بن أدريس، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور بكر زكي عوض، ص ٤٧، ط١، ١٩٨٦، الناشر [المحقق]، القاهرة.

٩٣. القرآن الكريم.

٩٤. القرطبي [م. س]، ج٨، ص ١١٥.

٩٥. القرني، جت، العلاقة بين الفكر والسياسة كما تظهر في نظرية صدام الحضارات، وهذه الدراسة هـي الفصل الرابع من كتاب "صناعة الكراهية في العلاقات العربية الأمريكية"، الصادر عـن مركـز دراسـات الوحدة العربية ط٣، شهر أيار لعام ٢٠٠٧، بيروت.

٩٦. القزويني، أبو عبد الله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، المكتبة العلمية، بيروت.

٩٧. القيصري، يوسابيوس، تاريخ الكنيسة، الكتاب الثاني، مطبعة القاهرة الحديثة، ط١، ١٩٧٩، باختـصار وتصرف.

٩٨. ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، أحكام أهل الذمة، ط١، ١٩٩٧، دار ابن حزم، بيروت.

٩٩. ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن ابي بكر، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق عصام الحرستاني، ط١، ١٩٩٤، المكتبة الثقافية، بيروت.

١٠٠. كارلايل، توماس، الأبطال، ترجمة محمد السباعي، من دون رقم طبعةٍ وتاريخ نشرٍ، الدار القومية القاهرة.

١٠١. كامبل، د. ك، كنيسة الله الحي، ترجمة موقع كلمة الحياة الإلكتروني. التابع للكنيسة الآرثوذكسية.

١٠٢. الكتاب المقدس، ط٨، ١٩٦٩، منشورات دار المشرق، بيروت.

١٠٣. الكتاب المقدس، دون رقم طبعة، ١٩٦٠، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.

١٠٤. ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل، البداية والنهاية، ط١، من دون سنة نشر مكتبة الإيمان، القاهرة، مصر.

١٠٥. ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ط١، ١٩٨٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٠٦. كونزلن، جوتفرايد، مأزق المسيحية والعلمانية في أوروبا، تجربة المانية، ط١، ١٩٩٩، دار نهضة مصر، القاهرة.

١٠٧. الكيلاني، إسماعيل، الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، ط١، ١٩٨٦، مكتبة الأقصى، الدوحة.

١٠٨. لاندو، روم، الإسلام والعرب، ترجمة منير البعلبكي، ط٢، ١٩٧٧، دار العلم للملايين، بيروت.

١٠٩. اللحام، كريم، موقف الكنيسة الكاثوليكية من الإسلام بعد المجمع الفاتيكاني الثاني، منشور ضمن سلسلة ورقات طابة، العدد ٢، شهر تموز، ٢٠٠٨. مؤسسة طابة، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة.

١١٠. لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، عيسى البابي الحلبي، واختصار ط٢، ١٩٥٦، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

١١١. لوقا، نظمي، محمد في حياته الخاصة، ط١، ١٩٦٩، دار الهلال، القاهرة.

١١٢. لويس، برنارد، الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، ترجمة هاشم صالح، ط٢، ٢٠٠٠، دار الساقي، بيروت.

١١٣. لويس، برنارد، السياسة والحرب في تراث الإسلام، ترجمة إحسان العمد وحسين مؤنس ومحمد السمهوري، ج١، ط٣، من منشورات عالم المعرفة.

١١٤. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ١٨٣، ط١، ١٩٨٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١٥. مدني، بسام، دروس الكنيسة في التاريخ، من منشورات موقع كلمة الحياة، النسخة الإلكترونية.

١١٦. المحص، عبد الجواد، أباطيل الخصوم حول القصص القرآني عرض ومناقشة، ط١، ٢٠٠٠، الدار المصرية، مصر.

١١٧. مرسي، أكرم حسن، رد السهام عن خير الأنام محمدٍ عليه الصلاة والسلام، النسخة الإلكترونية.

١١٨. مسير، محمد سيد أحمد، المدخل لدراسة الأديان، ط١، ٢٠٠١، دار الندى، مصر.

١١٩. مطبقاني، مازن بن صلاح، الاستشراق والاتجاهات الفكريّة في التاريخ الإسلامي، ط١، ١٩٩٥ من منشورات مؤسسة الملك فهد الوطنية.

١٢٠. المطعني، عبد العظيم إبراهيم، الإسلام في مواجهـة الاستـشراق العـالمي، ط١، ١٩٨٧، دار الوفـاء، السعودية.

١٢١. مقار، شفيق، المسيحية والتوراة، ط١، ١٩٩٢، دار رياض الريس للنشر، لندن، وقبرص.

١٢٢. ملطي، تادرس يعقوب، تفسير الكتاب المقدس، النسخة الإلكترونية المنشورة في الموقع الإلكتروني للكنيسة العربية.

١٢٣. مهاجراني، السيد عطاء الله، الإسلام والغرب، ترجمة عادل سـويلم، ص ١٣٩، ط١، ٢٠٠٦، مكتبـة الشروق الدولية، القاهرة.

١٢٤. ميخائيل، جريس ميخائيل، تاريخ الكنيسة القبطية الآرثوذكسية. النسخة الإلكترونية المنشورة على موقع الكنيسة القبطية.

١٢٥. النملة، علي بن إبراهيم، صناعة الكراهية بين الثقافات وأثر الاستشراق في افتعالهـا، ط١، ٢٠٠٨، دار الفكر، دمشق.

١٢٦. النيسابوري، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، دون رقم طبعة ودون سـنة طبـع، طبعة مكتبة الإيمان، مصر.

١٢٧. هاغمان، لودفيغ، المسيحية ضد الإسلام حوار انتهى إلى الاخفاق، ترجمة محمد جديـد، ط٢، ٢٠٠٥، قدمس للنشر، سوريا.

١٢٨. هنتنغتون، صامويل فيلبس، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي الجديد، ترجمة طلعت الـشايب، ط١، ١٩٩٨، دار سطور للنشر، القاهرة.

١٢٩. الهندي، محمد رحمت الله الكيرانوي، إظهار الحق، ط١، ١٩٨٣، طبعة إدارة إحياء التراث الإسـلامي، الدوحة، قطر.

١٣٠. هونكة، زيغريد، العقيدة والمعرفة، ترجمة عمر لطفي العالم، ط١، ١٩٨٧، دمشق.

١٣١. هيكل، محمد حسين، حياة محمد، من منشورات وزارة الثقافة الأردنية، ط١، ٢٠٠٨، عمان.

١٣٢. وايت، آندروديكسون، بين العلم والدين، ترجمة إسماعيل مظهر، ط١، ١٩٣٠، دار العصور، مصر.

ثانياً: مراجع شبكة الإنترنت

١. أحمد تمام، الحروب الصليبية، حملة الرعاع في ذكرى تجّمعها. دراسة منشورة على موقع www.islamonline.net .

٢. إسماعيل شعبان الأزهري، قصة الغرانيق في الميزان، بحث منشور في موقع الشبكة الإسلامية الإلكتروني www.islamweb.net بتاريخ ٢٠٠٩/١/٢.

٣. أنس حسن، برنارد لويس تسامح ماكر ومعرفةٌ موجهةٌ، مقالة منشورة في موقع www.shareah.com بتاريخ ٢٠٠٨/١١/٤.

٤. البابا بنديكتيوس السادس عشر، محاضرة بعنوان (الإيمان والعقل والجامعة، ذكريات وانعكاسات) منشورة في موقع الفاتيكان الرسمي www.vatican.va.

٥. البابا بولس الثاني، الدستور الرسولي، Pastor Bonus، موقع الفاتيكان الرسمي www.vatican.va.

٦. البابا بولس السادس، الإرادة الرسولية infructibus multis، موقع الفاتيكان الرسمي www.vatican.va.

٧. البابا شنودة الثالث، مقالة بعنوان (احترزوا من الأنبياء الكَذَبة) منشورة في موقعه الرسمي www.copticpope.org.

٨. البابا يوحنا بولس الثاني، لا تخافوا من وسائل الإعلام، رسالة منشورة في الموقع الإلكتروني للقديسة تيريزا www.terezia.org بتاريخ ٢٠٠٥/١/٢٤.

٩. بدران الحسن، برنارد لويس وصهينة الدراسات الاستشراقية، دراسة منشورة في موقع الإسلام اليوم www.islamtoday.com بتاريخ ٢٠٠٥/٣/٦.

١٠.برناد لويس، مقابلة بعنوان (Muslims about to take over Europe) منشورة في موقع www.jihadwatch.org بتاريخ ٢٠٠٧/١/٢٩.

١١. برنارد لويس، الحملات الصليبية رداً على الجهاد، مقالة منشورة في الموقع الإلكتروني لوكالة الأخبار الإسلامية نبأ www.islamicnews.net بتاريخ ٢٠٠٧/٤/٩.

١٢. برنارد لويس، مقابلة بعنوان (bring them or they destroy us) منشورة في موقع www.realclear.politics في شهر أيلول عام ٢٠٠٦.

١٣. ترجمة مقالة (مليون ضد محمد، الفاتيكان يسعى لوقف إنتشار الإسلام حول العالم، منظمة معروفة ... بالكاد تسهم بربع التكلفة)، منشورة بدون اسم مؤلف على موقع www.islamdaily.net، وهي ترجمة للمقالة التي نشر ا صحيفة فليت إم زونتاج الألمانية بتاريخ ٢٠٠٤/١/٣٠.

١٤. تفاسير الكتاب المقدس الكاملة، من دون اسم مؤلف، منشورةٌ في الموقع الإلكتروني المسيحي كلمة الحياة www.kalematalhayat.com.

١٥. جون فولي وبيرفراتكو باستوري، رسالة ا لس الحبري للإعلام "الكنيسة والإنترنت"، نشرة طويلة منشورة في موقع الفاتيكان الرسمي www.vatican.va.

١٦. الحسن السرات، عرض كتاب "الإنترنت والدين" لجان فرانسوا مايير، مقالة منشورة في موقع www.aljazeera.net.

١٧. خلف أحمد محمود، شمس الإسلام هل تسطع من الغرب، مقالة منشورة في موقع الألوكة الإلكتروني www.alukah.net بتاريخ ٢٠٠٩/٩/٢٨.

١٨. خليل الصغير، برنارد لويس بطريرك الاستشراق: ليتذكر المسلمون نعمة الاستعمار. دراسة منشورة في الموقع الإلكتروني www.bintjbeil.com بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٢٦.

١٩. دانيال بايبس، سلسلة المقالات المنشورة في موقعه الإلكتروني www.danielpipes.org

١. الإسلام الراديكالي المتطرف ضد الحضارة.

٢. أوروبا المسلمة.

٣. مسألة الإكراه في الدين: الإسلام هو ما يصنعه أتباعه منه.

٤. ما هو الجهاد.

٥. الجهاد عبر التاريخ.

٦. كيف نقضي على الإرهاب.

٧. مشكلة صورة الإسلام.

٨. الولايات الأمريكية الإسلامية.

٩. الفاتيكان يواجه الإسلام.

١٠. ترهيب الغرب وإكراهه بالتهديد من رشدي إلى بيندكت.

١١. رسوم الكرتون والإمبريالية الإسلامية

٢٠. راغب السرجاني، عدم دموية الحروب النبوية، دراسة منشورة في موقع المركز العالمي للتعريف بالرسول ﷺ ونصرته www.mercyprophet.org.

٢١. زينب عبد العزيز، أفيقوا أيها المسلمون، مقالة منشورة في موقعها الإلكتروني www.dr-abdelaziz.com.

٢٢. زينب عبد العزيز، البابوات والإسلام، دراسة منشورة في موقعها الإلكتروني www.dr-abdelaziz.com بتاريخ ٢٠٠٩/١/٢.

٢٣. زينب عبد العزيز، مقالة بعنوان (رد الفاتيكان على خطاب الـ ١٣٨ مقالة تحليلية) منشورة في موقع وكالة الأخبار الإسلامية (نبأ) www.islamicnews.net بتاريخ ٢٠٠٧/١٢/١٠.

٢٤. زينب عبد العزيز، مقالة بعنوان (وثيقة في زماننا هذا وعلاقة الكنيسة بالإسلام) منشورة في موقعها الإلكتروني www.abdelaziz.com بتاريخ ٢٠٠٨/١٠/٢٧.

٢٥. صامويل هنتنغتون، The Clash of civilizations، مقالة طويلة منشورة في موقع www.foreignaffairs.com . المقالة رقم ٤٨٩٥٠.

٢٦. صبحي حديدي، الصلةُ بين مروة الشربيني وبرنارد لويس: صناعة الخطر الأخضر. مقالة منشورة في الموقع الإلكتروني لمة صفحات السورية بتاريخ ٢٠٠٩/٧/١٢.

٢٧. صلاح عبد العاطي، قراءة نقدية في كتاب صدام الحضارات، دراسة منشورة في الموقع الإلكتروني لمجلة الحوار المتمدن، www.alhewar.org بتاريخ ٢٠٠٧/٨/٣٠.

٢٨. طوني خضرة، الكنيسة والإعلام، أي علاقةٍ، أي دورٍ؟ دراسة منشورة في الموقع الإلكتروني للاتحاد الكاثوليكي العالمي للصحافة www.ucipliban.org.

٢٩. عبد الرحيم الشريف، افتراءٌ ورد: مصدر القرآن الكريم هي الشياطين، بحث منشور في موقع شبكة الحقيقة الإسلامية الإلكتروني www.trutheye.com بتاريخ ٢٠٠٧/١/١٣.

٣٠. عبد الله أبو حفص النقبي، هل القرآن هو كلام محمد؟ مقالة منشورة في موقع www.maktobblog.com بتاريخ ٢٠٠٨/١١/٢٧.

٣١. عصام بن أحمد، هال مارس رشدي الجنس مع ملكة بريطانيا؟ مقالة منشورة في موقع www.dedaatwordpress.com.

٣٢. عقيل عبد الله الإزرقي، تكريم الغرب لرشدي مكافأة له أم احتقار للمسلمين؟ مقالة منشورة في موقع شبكة النبأ المعلوماتية www.annabaa.org بتاريخ ٢٠٠٧/٦/٢٥.

٣٣. علي بن محمد عودة، العدوان الفكري الغربي على الإسلام وعلى نبيه محمدٍ، دراسة منشورة في موقع نصرة رسول الله www.nosra.islammemo.com.

٣٤. القديس يوحنا الذهبي الفم في تفسيره لموعظة المسيح على الجبل (كيف نميز الأنبياء الكذبة) المنشورة في موقع كلمة الحياة www.kalimalhayat.com.

٣٥. ماجد الكيلاني، الهجوم على الإسلام والمسلمين، صيحة برنارد لويس أو حيي بن أخطب الجديد. مقالة منشورة في موقع دهشة الإلكتروني www.dahsha.com.

٣٦. مازن المطبقاني، حقيقة نهاية الاستشراق. دراسة منشورة في الموقع الإلكتروني لمركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق www.madinacenter.con .

٣٧. مجمع الفقه الإسلامي، القرار رقم ١٥٤ (١٧٧/٣) بشأن موقف الإسلام من الغلو والتطرف والإرهاب. منشور في الموقع الإلكتروني للمجمع www.fiahacademy.org.

٣٨.مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا، بيانٌ من مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا رداً على ا امات البابا، البيان منشور في موقع ا مع www.amjaonline.com.

٣٩.محمد أسعد بيوض التميمي، (الحرب الصليبية والإساءة المتكررة لرسول الله ﷺ والغزو الفكـري والثقـافي وحقيقة المعركة) دراسة منشورة في موقع مفكرة الإسلام الإلكتروني بتاريخ ٢٠٠٨/٣/٢٣.

٤٠.محمد حمادي الفقير التمساني، تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن الكريم من قِبَـلَ المستـشرقين ودوافعهـا وخطرها. دراسة منشورة في موقع شبكة التفسير والدراسات القرآنية www.tafsir.org.

٤١.محمد عبد العزيز الهواري، شبهة زواج النبي ﷺ من عائشة وهي صغيرة السن، مقالـة منـشورة في موقـع www.shareah.com بتاريخ ٢٠٠٨/٣/٢٧.

٤٢.محمـد مـورو، الحـرب الـصليبية لم تتوقّـف قـط ... وستـشتد. مقالـة منـشورة في موقـع www.aljazeeratalk.net بتاريخ ٢٠٠٨/٦/١٥.

٤٣.محمد يحيى، صراع الحضارات أم هيمنة الحضارة الغربية، مقال منـشور في موقـع الموسـوعة الإلكتـروني www.islamport.com.

٤٤.ناديا سعد، أحمد ديدات فارس الدعوة وقاهر المنصرين. دراسة منشورة في موقع www.bnyaan.net وموقع www.defensearab.com.

٤٥.وثائق ا مع الفاتيكاني الثاني. منشورةٌ في موقع الفاتيكان الرسمي www.vatican.va.

٤٦.وثيقة دومينوس يزوس. منشورة في موقع الفاتيكان الرسمي www.vatican.va.

٤٧.يوسف عبد الرحمن، الرد على شبهة أنّ النبي تلقّى القرآن عن ورقة بن نوفل، مقالـة منـشورة في موقـع www.alhakeah.com بتاريخ ٢٠٠٨/٦/٢٤.

The Attitude of Western Church of Islam and the prophethood of Muhammad peace be upon him.

- Presentation & Criticism-

Prepared by:
Rajeh Ibraheem Mohammad Sabateen

Supervisor
Prof. Dr. Abdel – Maksoud Hamid Abdel – Maksoud

Abstract

This study consists of five chapters, which talks about the meaning of the Church, its origin, evolution, and discusses the identity of the real builder of the Church of Rome, and reviews the main factors that led to the formation of the image of Islam in the minds of the Western Church such as the Old Testament stories, and ignorance of Islam and fear of it, fairy tales and songs enthusiastic, and the role of the Spanish church, sophisticated false prophets, and the constant comparison between Muhammad and Jesus peace be upon them.

This study also gives a complete analysis of the motives and implications of some of the speeches delivered by Popes in the presence of huge masses of people, and made clear the real position of the Church of Rome of Islam, and these sermons, for example, the speech of Pope Urban II in Clermont complex that served as the official announcement of the Crusades, including the Pope's speech Bndiktios XVI's speech at the University Regensburg Germany in 2007.

This study demonstrates the important and dangerous role played by monks in the Western Church, in urging people to engage in holy wars against Muslims under the so-called Crusades, the study also discusses the fact the end or not the end of the wars in the present day, and then presents the study of thought Visionary (Prediction) and identify the meaning of the term, and how to use it in wrong manner, for alienation from Islam and the kind Prophet peace be upon him, as it introduces the main texts of visions of Ezekiel and Daniel and the Theologian John, which allegedly visionary thinkers presage the coming of the Islamic state and the end of the State of the Romans, describes Muhammad as the Antichrist who will come at the end of time. The study of these texts display, completes with revenue analysis and interpretation of the accredited Christian, which is contrary to interpretations made by the false visionary thinkers in this field.

This study takes long time at the role of the Western Church in the creation of Orientalism as a means to combat Islam religion intellectually, after the failure of the military confrontation with Muslims.

And gives in detail and analysis of the most dangerous and insidious efforts made by the Catholic monks of the Middle Ages in this field, starting from the venerable abbot Peter Alkloni, who is the first translator of the Koran, and ends with Nicolas Alkwese who have the books "a look in the Quran" and "Criticism of Islam and refute" The study shows that all these efforts were intended to malign Islam and intimidation of it, in order to repel the Christians from entering therein. And then the study presents a

highlighted summary of the suspicions and slanders that came out of medieval monks, with regard to Islam and the prophethood of Muhammad, peace be upon him, and then the study discusses the continues existence of religious Orientalism at the present time, and the evolution of the contemporary Orientalism information, under new names and new communication channels, and gives details in saying the focus of the Western Church on the use of media channels, and in particular "the Internet" as a modern means for the dissemination of its beliefs, and delves into the role of many Christian sites, "the Internet" to attack Islam, and slander him and his beloved prophet peace be upon him, this study also discusses the role played by three contemporary Orientalists to carry the previous Church legacy in rejection of the prophethood of Mohammed, and evil of religion, which he brought, and these have had a role in a very serious challenge of Islam and distort its image and appeal in the prophethood of lovely Mohammed peace be upon him, aiming of intimidating Christians and repulsed him.
In the final chapter of the survey it highlights the major efforts made by the scholars of the nation's previously and nowadays in challenging the previous challenges, either these efforts are individual or collective, institutional, where the study presents a definition of the books, ancient and contemporary literature, which has made response to suspicions and slanders against Islam and his prophecy peace be upon him , these suspicions raised by the monks of the Middle Ages, under the supervision and support of the Western Church, which continued and its circulation continued and developed by increases and additions to it, until it reached the present day ... Finally, the study sets the appropriate remedial responses made by the nation's scientists, previously and nowadays in responding to these suspicions and slanders, and refutes the criticism and denunciation.